

تاريخ العرب

في عصور القريش والراشدين

تأليف

أحمد زكي مصطفى

الجزء الثاني

الفصل الأموي

دار البعث للنشر والتوزيع

ضمان أحمد الباز، الزرقاء، عمان، الأردن

لغة خزانة العرب في عصور العرب الزاهرة

الجزء الثاني

العصر الأموي

تأليف

أحمد زكي صقوت

وكيل كلية دار العلوم جامعة القاهرة سابقا

المكتبة العلمية
مشهورات - لبنان

تصدير

الطبعة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أبدأ بحمدك اللهم على ما أوليتني من جزيل تفضلك ، ومزيد تطولك ، وأصلي وأسلم على رسولك الأمين ، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

وبعد : فها هو ذا « الجزء الثاني - من جهرة خطاب العرب » أصدره حاويا ما وصل إلينا من خطاب العصر الأموي ووصاياه ، وما دار بمجالس الخلفاء والأمراء والرؤساء من حوار ومجاوبة ، وهو كما ستراه أحفل أجزاء الكتاب الثلاثة ، وأغزرها مادة ، لتوافق دواعي الخطابة في هذا العصر ، ونفاق سوقها .

وقد نهجت فيه نهجي في سالفه ، من التوفيق بين الروايات ، وتحرير الألفاظ وضبطها وشرحها ، والتعليق عليها بما يبيط اللثام عن خفايا مراميها ، وغواض مغازيها ، فحيا بحمده تعالى وافيا مرضيا ، والله نسأل أن يكلائنا برعابته ، وأن يمن علينا بالتوفيق للعمل الصالح ، إنه خير مرتجى ، فنعم المولى ونعم النصير .

أحمد زكي صفوت

حرر بالقاهرة في
رجب سنة ١٣٥٢ هـ
نوفمبر سنة ١٩٣٣ م

فهرس

مآخذ الخطب في هذا الجزء

- الأمالى : لأبى على القالى
الأغانى : لأبى الفرج الأصبهانى
الجزء الأول - الثانى - ذيل الأمالى :
» الثانى - السابع - الثالث عشر -
الخامس عشر - السابع عشر - الثامن
عشر - العشرون - الحادى والعشرون
صبح الأعشى : لأبى العباس القلقشندى : الجزء الأول - التاسع
نهاية الأرب : لشهاب الدين النويرى : » الخامس - السابع
عيون الأخبار : لابن قتيبة الدينورى : المجلد الثانى
الكامل : لأبى العباس المبرد : الجزء الأول - الثانى
العقد الفريد : لابن عبد ربه : » الأول - الثانى - الثالث
زهر الآداب : لأبى إسحق الحضرى : » الأول - الثانى - الثالث
البيان والتبيين : للجاحظ : » الأول - الثانى - الثالث
نهج البلاغة : للشريف الرضى : » الأول
شرح نهج البلاغة : لابن أبى الحديد : المجلد الأول - الثانى - الثالث - الرابع
أمالى السيد المرتضى : الجزء الأول
جمهرة الأمثال ، لأبى هلال العسكرى : » الأول

- مجمع الأمثال : لأبي الفضل الميداني : الجزء الأول - الثاني
- تاريخ الأمم والملوك : لابن جرير الطبري : « السادس - السابع - الثامن - التاسع
- تاريخ الكامل : لابن الأثير : « الثالث - الرابع
- مروج الذهب : للمسعودي : « الثاني
- الإمامة والسياسة : لابن قتيبة : « الأول - الثاني
- معجم البلدان : لياقوت الحموي : « الثالث
- أسد الغابة في معرفة الصحابة : لابن الأثير : « الثالث
- النجوم الزاهرة ، في ملوك مصر والقاهرة : « الأول
- لابن تفرى بردى :
- وفيات الأعيان : لابن خلكان : « الأول - الثاني
- معاهد التنصيص : لعبد الرحيم العباسي : « الأول
- نفع الطيب ، للمقرئ : « الأول
- بلوغ الأرب : للسيد محمود شكري الألويسي : « الثالث
- مواسم الأدب : للسيد جعفر بن السيد : « الثاني
- محمد البيهقي العلوي

سيرة عمر بن عبد العزيز : لأبي الفرج بن الجوزي

« « « « : لابن عبدالحكم

شرح العيون : شرح رسالة ابن زيدون : لابن نباتة المصري

أنباء نجباء الأنبياء : لابن ظفر المسكي

الحسن البصري : لابن الجوزي

الفخرى : لابن طباطبا

بلاغات النساء : لابن أبي طاهر طيفور

دستور معالم الحكم : للقضاى

إعجاز القرآن : لأبى بكر الباقلانى

المُنية والأمل : لأحمد بن يحيى المرتضى

مفتاح الأفكار : للشيخ أحمد مفتاح



الباب الثالث

الخطب والوصايا

في

العصر الأموي

الخطب

خطب بني هاشم وشيعتهم وما يتصل بها

١ - خطبة الحسن بن علي بعد وفاة أبيه^(١)

خطب الحسن بن علي رضي الله عنهما بعد وفاة أبيه فنعاه فقال :

« لقد قتلتم الليلة رجلا في ليلة فيها نزل القرآن ، وفيها رُفِعَ عيسى بن مريم عليه السلام ، وفيها قتل يوشع بن نون ، فتي موسى عليهما السلام ، والله ما سبقه أحدٌ كان

(١) في الكامل لابن الأثير (٣ : ١٩٧) أن الحسن بن علي توفي سنة ٤٩ هـ وفي ابن أبي الحديد (م : ٤ : ص ٤) أنه توفي سنة ٥٠ هـ وفي الإمامة والسياسة (١ : ١٢٧) أنه توفي سنة ٥١ هـ .

قبله ، ولا يُدْرِكُه أحد يكون بعده ، والله إن كَانَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبعثه في السَّرِيَّةِ^(۱) ، وجبريلُ عن يمينه ، وميكائيلُ عن يساره ، والله ماترك صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم من عطائه ، أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله ، ثم خنفته العَبْرَةُ فبكى ، وبكى الناس معه ، ثم قال :

« أيها الناس : من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد رسول الله صلى الله عليه وآله ، أنا ابن البشير ، أنا ابن النذير ، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه والسراج المنير ، أنا من أهل البيت ، الذين أذهب الله عنهم الرجس^(۲) وطهرهم تطهيراً ، والذين افترض الله مودتهم في كتابه إذ يقول : (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ نَجِّنَا لَهُ مِنْ سَيِّئَاتِهِ كُلِّهَا وَاللَّهُ خَنَّاسٌ) ، فاقترافُ الحسنة مودتنا أهل البيت . »

فلما انتهى إلى هذا الموضع من الخطبة ، قام عبيد الله بن العباس بين يديه ، فدعا الناس إلى بيعته ، فاستجابوا وقالوا ما أحبُّه إلينا وأحقُّه بالخلافة ! فبايعوه ثم نزل من المنبر .

(تاريخ الطبري ۶ : ۹۱ ، وشرح ابن أبي الحديد م ۴ ص ۱۱ ، والعقد الفريد ۲ : ۶)

(۱) السرية من خمسة أنفس إلى ثلثائة أو أربعمائة . (۲) الرجس : القدر والمائم ، وكل ما استقدر

من العمل ، والعمل المؤدى إلى العذاب .

تعبئته الجيوش لقتال معاوية

سار معاوية بجيوشه قاصداً إلى العراق ، وبلغ الحسن خبره ، ومسيره نحوه ، فأمر بالتهيؤ للمسير ، ونادى المنادى : الصلاة جامعة ، فأقبل الناس يتوبون ويحتمعون ، فخرج الحسن ، وصعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

٢ - خطبة الحسن بن علي في الحث على الجهاد

« أما بعد : فإن الله كتب الجهاد على خلقه ، وسماه كُرْهًا ^(١) ، ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين : « أَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ » فلستم أيها الناس ناثين ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون . بلغني أن معاوية بلغه أنا كنا أزهنا على المسير إليه ، فتمحرك لذلك ، اخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بِالْخَيْلَةِ ، حتى ننظر وتنظروا ، ونرى وترؤوا » - وإنه في كلامه ليتخوف خذلان الناس له - فسكتوا ، فأتكلم منهم أحد ، ولا أجابه بحرف ، فلما رأى ذلك عدى بن حاتم ، قام فقال :

٣ - مقال عدى بن حاتم

« أنا ابن حاتم ، سبحان الله ! ما أقبح هذا المقام ! لا تُجيبون إمامكم ، وابن بنت نبيكم ! ابن خطباء مُعَرِّ الدِّينِ أَلَمِنْتُمْ كَأَمْخَارِيقٍ فِي الدَّعَةِ ^(٢) ، إِذَا جَدَّ الْجِدُّ

(١) يشير إلى قوله تعالى « كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالَ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ » .

(٢) جمع مخراق بالكسر : السيف (وهو أيضا المنديل يلف ليضرب به) وفي الدعوة : أى وقت الدعوة ؛ أى الخلفى والسلم .

فرواغون كالثعالب ، أما تخافون مقت الله ! ولا عيبها وعارها^(۱) .

ثم استقبل الحسن بوجهه فقال : « أصاب الله بك المرأشد ، وجنبتك المكاره ، ووقتك لما تحمد وروده وصدوره ، قد سمعنا مقاتلك ، وانتهينا إلى أمرك ، وسمعنا لك ، وأطعناك فيما قلت وما رأيت ، وهذا وجهي إلى معسكرى ، فن أحب أن يوافقيني فليوافق » ثم مضى لوجهه ، إلى النخيلة .

وقام ثلاثة آخرون من أصحاب الحسن ، فأنبوا الناس ولا موم وحرزوم ، وكلوا الحسن بمثل كلام عدى بن حاتم ، فقال لهم : صدقتم رحمكم الله ، ما زلت أعرفكم بصدق النية والوفاء والقبول والمودة الصحيحة ، فجزاكم الله خيراً ، ثم نزل ، وخرج الناس فمسكروا ونشطوا للخروج ، وسار الحسن في عسكر عظيم ، وعدة حسنة .

(شرح ابن أبي الحديد م : ص ۱۴)

ع - خطبة الحسن وقد جنح إلى مصالحة معاوية

ثم نزل الحسن ساباط^(۲) ، فلما أصبح نادى في الناس : الصلاة جامعة ، فاجتمعوا ، فصعد المنبر ، فخطبهم فقال :

« الحمد لله كلما حمده حامد ، وأشهد أن لا إله إلا الله كلما شهد له شاهد ، وأشهد أن محمداً رسوا الله ، أرسله بالحق ، وأتمنه على الوحي ، صلى الله عليه وآله ، أما بعد ، فوالله إنى لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنه ، وأنا أنصح خلقه خلقه ، وما أصبحت محمداً على مسلم ضئيلة ، ولا مريداً له بسوء ولا غائلة^(۳) ، إلا وإن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة ، إلا وإنى ناظر لكم خيراً من نظركم

(۱) أى من نعمتكم هذه : ومى تقاعسهم من إجابة الحسن إلى مدعاهم إليه ، وفى الأصل : «وعارته»

وأراه محرفاً إذ العارة هى العارية ولا معنى لها هنا . (۲) ساباط كسرى بالمداين .

(۳) الغائلة : الشر والفساد واللداهية .

لأنفسكم ، فلا تخالفوا أمرى ، ولا تردوا على رأى ، غفر الله لى ولكم ، وأرشدنى وإياكم لما فيه محبته ورضاه إن شاء الله » ثم نزل .

فنظر الناس بعضهم إلى بعض ، وقالوا ما ترّونه يريد بما قال ؟ قالوا : نظنه يريد أن يصلح معاوية ويكفل الأمر إليه ، كفر والله الرجل ، ثم شدوا على فسطاطه فأنهبوه ، حتى أخذوا مُصَلَّاه من تحته ، وشد عليه بعضهم ، فنزع مُطْرَفَه^(۱) عن عاتقه ، فبقى جالساً متقلداً سيفاً بغير رداء ، فدعا بفرسه فركبه ، وأحذق به طوائف من خاصته وشيعته ، ومنعوا منه من أراده ، ولاموه وضعفوه لما تكلم .

فلما مرّ فى مُظَلِّم^(۲) ساباط ، قام إليه رجل من بنى أسد يقال له جراح بن سنان ، وبیده مِعْوَل^(۳) ، فأخذ بلبجام فرسه وقال : الله أكبر يا حسن ! أشرك أبوك ، ثم أشركت أنت ! وطعنه بالمعول ، فوقعت فى فخذه فشقتُهُ ، حتى بلغت أُرْبِيَّتَهُ^(۴) ، وسقط الحسن إلى الأرض بعد أن ضرب الذى طعنه بسيف كان بيده واعتنقه فخرّاً جميعاً إلى الأرض . (شرح ابن أبي الحديد م ۴ : ص ۱۴)

ه - خطبته يبرر مصالحته لمعاوية

لما رأى الحسن رضى الله عنه تفرق الأمر عنه ، بعث إلى معاوية يطلب الصلح ، فبعث معاوية إليه رسولين ، قدما عليه بالمدائن ، فأعطياه ما أراد ، وصالحاه على أن يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة آلاف ألف - فى أشياء اشترطها - ثم قام الحسن فى أهل العراق فقال :

« يا أهل العراق ، إنه سخطى بنفسى عنكم ثلاث : قتلكم أبى ، وطعنكم إياى ، وانتهابكم متاعى . » (تاريخ الطبرى ۶ : ۹۲ ، ومروج الذهب ۲ : ۵۳)

(۱) رداء من عزم مربع ذو أهلام . (۲) مظلم مضاف إلى ساباط التي قرب المدائن . موضع هناك .

(۳) المعول : الفأس العظيمة التي ينقر بها الصخر . (۴) الأربية : أصل الفخذ .

۶ - خطبته في الصلح بينه وبين معاوية

وقدم معاوية الكوفة لإنفاذ الصلح بينه وبين الحسن (سنة ۴۱ هـ) ، وكان عمرو ابن العاص حين اجتمعوا بالكوفة ، قد كلم معاوية ، وأمره أن يأمر الحسن أن يقوم ويخطب الناس ، فكره ذلك معاوية ، وقال ما تريد إلى أن أخطب الناس ؟ فقال عمرو : لكنني أريد أن يبدؤ عيئه للناس^(۱) ، فلم يزل عمرو بمعاوية حتى أطاعه ، فخرج معاوية فخطب الناس ، ثم نادى الحسن ، فقال : قم يا حسن فكلم الناس ، فتشهد في بديهة أمر لم يرو فيه ، ثم قال :

« أما بعد أيها الناس : فإن الله قد هدى أولكم بأولنا ، وحقن دماءكم بأخرنا ، وكانت لي في رقابكم بيعة ، تحاربون من حاربت ، وتسلمون من سلمت ، وقد سلمت معاوية وبابته فبايعوه ، وإن لهذا الأمر مدة ، والدنيا دُول ، وإن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : (وَإِن أَدْرِى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) وأشار إلى معاوية ، فلما قالها قال معاوية اجلس ، فلم يزل ضريماً^(۲) على عمرو ، وقال هذا من رأيك ، ولحق الحسن بالمدينة .

(تاريخ الطبرى ۶ : ۹۳ ، ومروج الذهب ۲ : ۵۳ ، والإمامة والسياسة ۱ : ۱۲۰ ،

وأنباء نبياء الأنبياء ص ۵۶ وتاريخ ابن عساکر ۴ : ۲۲۴)

۷ - خطبة له بعد الصلح

روى المدائني قال : سأل معاوية الحسن بن علي رضي الله عنه بعد الصلح أن يخطب الناس ، فامتنع ، فناشده أن يفعل ، فوضع له كرسي فجلس عليه ، ثم قال :

(۱) روى أبو الفرج الأصبهاني أنه كان في لسان الحسن ثقل كالكافأة (شرح ابن أبي الحديد ۴ ص ۱۱) .

(۲) ضم عليه كفرح : احتدم غضبا فهو ضرم .

« الحمد لله الذي توحد في ملكه ، وتفرد في ربوبيته ، يؤتي الملك من يشاء ، وينزعهُ عن يشاء ، والحمد لله أكرم بنا مؤمنكم ، وأخرج من الشرك أولكم ، وحققَ دماءَ آخركم ، قبلاؤنا عندكم قديماً وحديثاً أحسن البلاء^(۱) ، إن شكرتم أو كفرتم . أياها الناس : إن ربَّ عليّ كان أعلم بعلیّ حين قبضه إليه ، ولقد اختصه بفضل لم تعتدوا مثلهُ ، ولم تجدوا مثل سابقته ، فهيات هيات ، طالما قلبتم له الأمور حتى أعلاه الله عليكم ، وهو صاحبكم وعدوكم في بدر وأخواتها ، جرّ عكم رنقا^(۲) ، وسقا^(۳) علقاً^(۴) ، وأذلّ رقابكم ، وأشرفكم بريقكم ، فليتم بلومين على بفضله ، وإيم الله لا ترى أمةً محمد خنصاً ما كانت سادتهم وقادتهم بنى أمية ، ولقد وجه الله إليكم فتنةً لن تصدروا عنها حتى تهلكوا ، لطاعتكم طواغيتكم^(۵) ، وانضواثكم^(۶) إلى شياطينكم ، فعند الله أحسنُ ما مضى ، وما ينتظر من سوء دعتكم ، وحيف^(۷) حكمكم ، ثم قال :

« يا أهل الكوفة لقد فارقكم بالأمس سهم من مرأى الله ، صائب على أعداء الله ، نكالٌ على فجّار قريش ، لم يزل آخذاً بمناجرها ، جاثماً على أنفاسها ، ليس باللومة في أمر الله ، ولا بالسروة لمال الله ، ولا بالفروقة^(۷) في حرب أعداء الله ، أعطى الكتاب خواتمه وعزائمه ، دعاه فأجابه ، وقاده فاتبعه ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، فصلوات الله عليه ورحمته » ثم نزل .

فقال معارفة : أخطأ عَجِلٌ أو كَاد ، وأصاب مثبت أو كَاد ، ما ذا أردتُ من خطبة الحسن ؟

(شرح ابن أبي الحديد ۴ : ص ۱۰)

(۱) البلاء يكون منحة ويكون محنة ، وهو هنا بالمعنى الأول .

(۲) ماء رنق : كعدل وكشف وجبل كدر . (۳) العلق : الدم ودويبية في الماء تمص الدم .

(۴) العلقايت : جمع طاغوث ، وهو الشيطان وكل رأس ضلال . (۵) انضمامكم .

(۶) الحيف : الظلم : (۷) الفروق والفروقة : شاهد الفزع .

۸ - خطبة معاوية في أهل الكوفة

وروى المدائني قال : خرج علي معاوية قوم من الخوارج بعد دخوله الكوفة وصلح الحسن رضي الله عنه ، فأرسل معاوية إلى الحسن يسأله أن يخرج ، فيقاتل الخوارج ، فقال الحسن : سبحان الله ! تركت قتالك - وهولي حلال - لصالح الأمة وألفتهم ، أفراني أقاتل معك ؟ فخطب معاوية أهل الكوفة فقال :

« يا أهل الكوفة ، أتراني ، قانتكم على الصلاة والزكاة والحج . وقد علمت أنكم تصلون وتزكون وتحجّون ، ولكني قانتكم لأنأمركم عليكم وعلى رقابكم ، وقد آتاني الله ذلك وأنتم كارهون ، إلا إن كل مال أودم أصيب في هذه الفتنة فطلول ، وكل شرط شرّطته فتحت قدمي هاتين ، ولا يصلح الناس إلا ثلاث : إخراج العطاء عند محله ، وإقبال^(۱) الجنود لوقتها ، وغزو العدو في داره ، فإنه إن لم تغزؤم غزؤكم » ثم نزل .
(شرح ابن أبي الحديد م ۴ ص ۶)

۹ - ردّ الحسن بن عليّ على معاوية حين نال منه ومن أبيه

وخطب معاوية بالكوفة حين دخلها ، والحسن والحسين رضي الله عنهما جالسان تحت المنبر ، فذكر عليّاً عليه السلام ، فقال منه ثم نال من الحسن ، فقام الحسين ايرد عليه ، فأخذه الحسن بيده فأجلسه ، ثم قام فقال :

« أيها الذاكر عليّاً : أنا الحسن ، وأبي عليّ ، وأنت معاوية ، وأبوك صخر ، وأمى فاطمة ، وأمك هند ، وجدّي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجدك عتبة بن ربيعة ،

(۱) إرجاعهم وردهم .

وجدتني خديجة ، وجدتك قتيلة ، فلعن الله أخلفنا ذكراً ، والأمننا حسباً ، وشرنا قديماً
وحديثاً ، وأقدمنا كفرةً ونفاقاً »

فقال طوائف من أهل المسجد آمين . (شرح ابن أبي الحديد م ٤ ص ١٦)

١٠ - خطبة سليمان بن صرد في استنكار الصلح

وذكروا أنه لما تمت البيعة لمعاوية بالعراق ، وانصرف راجعاً إلى الشام ، أتى سليمان
ابن صرد - وكان غائباً عن الكوفة ، وكان سيد أهل العراق ورأسهم - فدخل على الحسن
فقال : السلام عليك يا مُذِلَّ المؤمنين ، فقال وعليك السلام ، اجلس لله أبوك ، فجلس
سليمان ، ثم قال :

« أما بعد : فإن تَعَجُّبَنَا لا يَنْقُضِي مِنْ بَيْعَتِكَ مَعَاوِيَةَ وَمَعَكَ مِائَةٌ أَلْفٍ مَقَاتِلٍ مِنْ
أَهْلِ الْعِرَاقِ ، وَكُلِّهِمْ يَأْخُذُ الْعَطَاءَ ، مَعَ مِثَالِهِمْ مِنْ أَبْنَائِهِمْ وَمَوَالِيهِمْ ، سِوَى شَيْعَتِكَ مِنْ
أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَأَهْلِ الْحِجَازِ ، ثُمَّ لَمْ تَأْخُذْ لِنَفْسِكَ بَقِيَّةَ فِي الْعَهْدِ ، وَلَا حَظًّا مِنَ الْقَضِيَّةِ ،
فَلَوْ كُنْتَ إِذْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ ، وَأَعْطَاكَ مَا أَعْطَاكَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مِنَ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ ، كُنْتَ
كُتِبَتْ عَلَيْكَ بِذَلِكَ كِتَابًا ، وَأَشْهَدْتَ عَلَيْهِ شُهُودًا مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، أَنَّ هَذَا
الْأَمْرَ لَكَ مِنْ بَعْدِهِ ، كَانَ الْأَمْرُ عَلَيْنَا أَيْسَرَ ، وَلَكِنَّهُ أَعْطَاكَ هَذَا ، فَضَيْتَ بِهِ مِنْ قَوْلِهِ ،
ثُمَّ قَالَ ، وَزَعَمَ عَلَيَّ رِوَسُ النَّاسِ مَا قَدْ سَمِعْتَ : إِنِّي كُنْتُ شَرَطْتُ لِقَوْمٍ شُرُوطًا ،
وَوَعَدْتُهُمْ عِدَاتٍ ، وَمَنْعَيْتُهُمْ أَمَانِي ، إِرَادَةَ إِطْفَاءِ نَارِ الْحَرْبِ ، وَمُدَارَاةِ لِهَذِهِ الْفِتْنَةِ ،
إِذْ جَمَعَ اللَّهُ لَنَا كَلِمَتَنَا وَأَلْفَتَنَا ، فَإِنْ كُلُّ مَا هُنَاكَ تَحْتَ قَدَمَيْ هَاتَيْنِ ، وَوَاللَّهِ مَا عَنَى بِذَلِكَ
إِلَّا تَقْضَى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ فَأَعِدَ الْحَرْبَ جَذَعَةً^(١) ، وَأُذِنَ لِي أَشْخَصَ إِلَى الْكُوفَةِ ،

(١) هي في الأصل خدعة ، وصوابها جذعة : أي فتنة .

فأخرج عامله منها ، وأظهر فيها خلعه ، وَأَنْبِذَ إِلَيْهِ ^(۱) قَلَى سَوَاءَ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي
كَيْدَ الْخَائِنِينَ .

ثم سكت ، فتكلم كل من حضر مجلسه بمثل مقالته ، وكلهم يقول : ابعث سليمان
ابن سرد وابعثنا معه ، ثم الحقنا إذا علمت أننا قد أشخصنا عامله ، وأظهرنا خلعه .
(الإمامة والسياسة ۱ : ۱۲۰)

۱۱ - خطبة الحسن يرد على مستنكري الصلح

فتكلم الحسن فحمد الله ثم قال :

« أما بعد فإنكم شبيهتمنا وأهل مودتنا ، ومَن تعرفه بالنصيحة والاستقامة لنا ، وقد
فهمت ما ذكرتم ، ولو كنت بالحزم في أمر الدنيا ، والدنيا أعمل وأنصب ، ما كان
معاوية بأبأس مني وأشد شكيمَةً ، ولكن رأيت غير ما رأيتم ، لكنني أشهد الله
وإياكم أنني لم أريد بما رأيتم إلا حَقَّنَ دمائكم ، وإصلاح ذات بينكم ، فاتقوا الله ،
وارضوا بقضاء الله ، وسلموا لأمر الله ، والزموا بيوتكم ، وكفوا أيديكم ، حتى يستريح برئ
أو يُستراح من فاجر ، مع أن أبي كان يحدثني أن معاوية سَيَلِي الأمر ، فوالله لو سرنا إليه
بالجبال والشجر ما شككت أنه سيظهر ^(۲) ، إن الله لامعقب لحكمه ، ولا راد لقضائه ،
وأما قولك يا مُذِلُّ المؤمنين ، فوالله لأن تَدَلُّوا وتُعَافُوا أحبُّ إليَّ من أن تَهْرُوا وتُقتلوا ،
فإن رَدَّ الله علينا حَقَّنَا في عافية ، قَبَلْنَا وسألنا الله العونَ عَلَى أمره ، وإن صرفه عنا رَضِينَا
وسألنا الله أن يبارك في صرفه عنا ، فليكن كل رجل منكم جِلْسًا ^(۳) من أحلاس بيته ،

(۱) معناه إذا هادنت قوما ، فعلمت منهم النقص للمهد ، فلا توقع بهم سابقا إلى النقص ، حتى تعلمهم

أنك نقصت المهد ، فتكرونا في علم النقص مستوين ، ثم أوقع بهم . (۲) يَنْلَب .

(۳) المجلس : بساط البيت ، وفلان جلس من أحلاس البيت : الذي لا يبرح البيت ، وفي الحديث : « في الفتنة

كن جلسا من أحلاس بيتك حتى تأتيك يد خاطئة ، أو منية قاضية » أي لا تبرح .

ما دام معاوية حياً ، فإن يَهْذِكِ ونحن وأنتم أحياء ، سألنا الله العزيمه على رشدنا ، والمعونة على أمرنا ، وأن لا يَكَلِّمنا إلى أنفسنا ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

(الإمامة والسياسة ۱ : ۱۲۰)

۱۲ - خطبة له في عهد خلافته

ومن خطبه رضى الله عنه في آياته في بعض مقاماته أنه قال :

« نحن حزب الله المفلحون ، وَعِترَةٌ^(۱) رسول الله صلى الله عليه وسلم الأقربون ، وأهل بيته الطاهرون الطيبون ، وأحد الثقلين^(۲) اللذين خلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والثاني كتاب الله ، فيه تفصيل كل شيء ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والمعول عليه في كل شيء ، لا يُخْطِئنا تأويله ، بل نتيقن حقايقه ، فأطيعونا ، فأطاعتنا مفروضة ، إذ كانت بطاعة الله والرسول وأولى الأمر مقرونة^(۳) : (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) (وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) ، وأحذركم الإصغاء لهتاف الشيطان ، إنه لكم عدو مبين ، فتكونون كأولياته الذين قال لهم : (لَا غَائِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ ، وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ ، فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِتْنَانِ نَكَصَ عَلَى قَعْبَيْهِ ، وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي

(۱) العتره : رباط الرجل وعشيرته الأذنون . (۲) الثقل : كل شيء نفيس مصون ، وفي الحديث « إن تارك فيكم الثقلين كتاب الله وصرفي » .

(۳) يشير إلى قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) .

(۲ - جهره خطب العرب - ثان)

أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ) فَيُلْقُونَ لِلرِّمَاحِ أَزْرًا^(۱) ، وَالسِّيُوفَ جَزْرًا^(۲) ، وَاللِّعْمُدَ^(۳) حَظًّا ،
وَالسِّهَامَ غَرَضًا ، ثُمَّ : (لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ
فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا) . (مروج الذهب ۲ : ۵۳)

۱۳ - خطبة أخرى له

ومن خطبه رضي الله عنه :

« اعدوا أن الحلم زين ، والوقار مودة ، والصلاة نعمة ، والإكثار صلف^(۴) ،
والعجلة سفة ، والسفة ضعف ، والقلق ورطة ، ومجالسة أهل الدناءة شين ، ومخالطة
أهل الفسوق ريبة » . (صبح الأعشى ۱ : ۲۱۵)

(۱) الأزر: جمع إزار، وهو الملحفة وكل ما وارك وستره: أي فتكونون أجربة للرمح تغيب فأبدانكم
وتستر ، أو هو الأزر بفتح فسكون وهو الظهر : أي تركيبكم الرماح وتعاوكم ، والمراد تطعنون وتضربون بها
والأول أوجه . (۲) أي قطعاً . (۳) عمد بفتحعين ، وعمد بضمعين : جمع عمود ، وهي من
الآلات التي كانت تستعمل في القتال . (۴) الصلف : التكلم بما يكرهه صاحبك والتحدح بما ليس عندك ،
أو مجاوزة قدر الطرف والادعاء فوق ذلك تكبراً .

مخاصمة ومهاجاة

بين الحسن بن عليّ ، وبين عمرو بن العاص ، والوليد بن عقبة ،
وعتبة بن أبي سفيان ، والمغيرة بن شعبة ، بحضرة معاوية

قال ابن أبي الحديد : روى الزبير بن بكار في كتاب المفاخرات قال :

« اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص ، والوليد بن عقبة بن أبي معيط ، وعُتْبَةُ بن
أبي سفيان ، والمغيرة بن شعبة ، وقد كان بلغهم عن الحسن بن عليّ عليه السلام
قوارص^(١) ، وبلغه منهم مثل ذلك ، فقالوا يا أمير المؤمنين : إن الحسن قد أحيا أباه
وذكره ، وقال فصّدق ، وأمر فأطيع ، وخفقت^(٢) له النعال ، وإن ذلك لرافعه إلى ما هو
أعظم منه ، ولا يزال يبلّغنا عنه ما يسوءنا . قال معاوية : فما تريدون ؟ قالوا : بعث إليه
فليحضر لتسبّه ونسب أباه ونعيّره ونوبّخه ، ونخبره أن أباه قتل عثمان وتقرّره بذلك ،
ولا يستطيع أن يغيّر علينا شيئاً من ذلك . قال معاوية : إني لا أرى ذلك ولا أفعله ، قالوا :
عزّمتنا عليك يا أمير المؤمنين لتفعلن ، فقال : وبمحم لا تفعلوا ، فوالله ما رأيت قط جالساً
عندي إلا خفت مقامه وعيبه لي ، قالوا بعث إليه على كل حال . قال : إن بعثت إليه
لأنصفته منكم ، فقال عمرو بن العاص : اتخشي أن يأتي باطله على حقنا ، أو يرُبي قوله
على قولنا ؟ قال معاوية : أما إني إن بعثت إليه لأمرته أن يتكلم بلسانه كذبه . قالوا :
مره بذلك ، قال : أما إذا عصيتهموني وبعثتم إليه وأيتم إلا ذلك ، فلا تمرضوا^(٣) له

(١) القوارص من الكلام : التي تنفصك وتؤلك . (٢) الخفق : صوت النعل .

(٣) تمرض : ضعف في أمره .

في القول ، واعدوا أنهم أهل بيت لا يعيبهم العائب ، ولا يُلصق بهم العارُ ، ولكن اذفوه بحجره ؛ تقولون له إن أباك قتل عثمان ، وَكَرِهَ خِلاَفَةَ الْخُلَفَاءِ مِنْ قَبْلِهِ ؛ فبعث إليه معاوية ، فجاءه رسوله . فقال : إن أمير المؤمنين يدعوك . قال : من عنده ؟ فسماهم . فقال الحسن عليه السلام ما لهم ؟ خَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ ، وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ، ثُمَّ قَالَ : يَا جَارِيَةَ ابْتِعِي نِيَابِي ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ ، وَأَدْرَأُ^(۱) بِكَ فِي نَحْوِهِمْ ، وَأَسْتَعِينُ بِكَ عَلَيْهِمْ ، فَكَفَيْهِمْ كَيْفَ شِئْتُ ، وَأَنْتَ شِئْتَ ، بِحَوْلِ مَنْكَ وَقُوَّةِ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، ثُمَّ قَامَ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى مَعَاوِيَةَ أَعْظَمَهُ وَأَكْرَمَهُ ، وَأَجْلَسَهُ إِلَى جَانِبِهِ ، وَقَدْ ارْتَادَ^(۲) الْقَوْمَ ، وَخَطَرُوا^(۳) خَطَرَ انْفِجَافِ الْفُجُولِ ، بَغِيًّا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعُلُوًّا ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، إِنَّ هَؤُلَاءِ بَعَثُوا إِلَيْكَ وَعَصَوْنِي . فَقَالَ الْحَسَنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! الدَّارُ دَارُكَ ، وَالْإِذْنُ فِيهَا إِلَيْكَ ؛ وَاللَّهُ إِنْ كُنْتَ أَحْبَبْتَهُمْ إِلَى مَا أَرَادُوا وَمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنْ لَمْ يَأْتِكَ مِنْ الْفُحْشِ ، وَإِنْ كَانُوا غَلَبُوكَ عَلَى رَأْيِكَ إِنْ لَمْ يَأْتِكَ مِنْ الضَّعْفِ ، فَأَيُّهُمَا تَقَرَّ وَأَيُّهُمَا تَنْكَرَ ؟ أَمَا إِنْ لَوْ عَلِمْتَ بِمَكَانِهِمْ جِئْتَ مَعِيَ بِمِثْلِهِمْ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَمَالِي أَنْ أَكُونَ مُسْتَوْحِشًا مِنْكَ أَوْ مِنْهُمْ ؟ إِنْ وَلِيَّ اللَّهُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ؛ فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : يَا هَذَا إِنْ كَرِهْتَ أَنْ أَدْعُوكَ ، وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ حَمَلُونِي عَلَى ذَلِكَ مَعَ كِرَاهَتِي لَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ النِّصْفُ^(۴) وَمَنِي ، وَإِنَّمَا دَعَوْنَاكَ لِنَقْرُوكَ أَنْ عُثْمَانَ قُتِلَ مَظْلُومًا ، وَأَنْ أَبَاكَ قَتَلَهُ ، فَاسْتَمَعَ مِنْهُمْ ثُمَّ أَحْبَبَهُمْ ، وَلَا تَمْنَعُكَ وَحَدَّثُكَ وَاجْتِمَاعُهُمْ أَنْ تَتَكَلَّمَ بِكُلِّ لِسَانِكَ ، فَتَكَلَّمَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ :

(۱) أدفع . (۲) الارتداد : الذهاب والمجيء . (۳) خطر الرجل في مشيته : رفع يديه ووضعها واهتز وتبختر ، وخطر بسيفه ورمح : رفعه مرة ووضعته أخرى خطرانا (بالتحريك) وخطر الفحل بذنبه : ضرب به يمينا وشمالا . (۴) الإنصاف والعدل .

۱۴ - مقال عمرو بن العاص

فحمد الله وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر علياً عليه السلام ، فلم يترك شيئاً يعيبه به إلا قاله ، وقال إنه شتم أبا بكر ، وكره خلافته ، وامتنع من بيعته ، ثم بايعه مُكْرَهًا ، ومُشْرِكًا في دم عمر ، وقتل عثمان ظلماً ، وادّعى من الخلافة ما ليس له . ثم ذكر الفتنة بغيره بها ، وأضاف إليه مساوي ، وقال : إنكم يا بني عبد المطلب لم يكن الله ليعطيكم الملك ، على قتلكم الخلفاء ، واستحلالكم ما حرم الله من الدماء ، وحرصكم على الملك ، وإتيانكم ما لا يحل ؛ ثم إنك يا حسن تحدث نفسك أن الخلافة صائرة إليك ، وليس عندك عقل ذلك ولا لبه ، كيف ترى الله سبحانه سلبك عقلك ، وتركك أحق قريش ، يُسخر منك ، ويهزأ بك ، وذلك لسوء عمل أبيك ؛ وإنما دعوناك لنسبتك وأباك ؛ فأما أبوك فقد تفرد الله به ، وكفانا أمره ، وأما أنت فإنك في أيدينا ، نختار فيك الخصال ، ولو قتلناك ما كان علينا إثم من الله ، ولا عيب من الناس ؛ فهل تستطيع أن ترد علينا وتكذبنا ؟ فإن كنت ترى أننا كذبتنا في شيء فاردده علينا فيما قلنا ، وإلا فاعلم أنك وأباك ظالمان .

۱۵ - مقال الوليد بن عقبة بن أبي معيط

ثم تكلم الوليد بن عقبة بن أبي معيط فقال :

« يا بني هاشم : إنكم كنتم أخوال عثمان ، فنعم الولدُ كان لكم ، فعرف حَقكم ، وكنتم أصهاره ، فنعم الصهرُ كان لكم يُكرمكم ، فكنتم أول من حسده ، فقتله أبوك ظلماً ، لا عذر له ولا حجة ، فكيف تزوت الله طلب بدميه ، وأنزلكم منزلتكم ، والله إن بني أمية خير لبني هاشم من بني هاشم لبني أمية ، وإن معاوية خير لك من نفسك . »

۱۶ - مقال عتبة بن أبي سفيان

ثم تكلم عتبة بن أبي سفيان فقال :

« يا حسنُ : كان أبوك شرَّ قرشٍ لقريش ، لِسْفِكِهِ الدِّمَاءَ ، وقَطْعِهِ لأَرْحَامِهَا ، طَوِيلَ السِّيفِ واللِّسَانِ ، يَقْتُلُ الحَيَّ وَيَعْيِبُ المَيِّتَ ، وَإِنَّكَ مِنْ قَتَلِ عِثْمَانَ وَنَحْنُ قَاتِلُوكَ بِهِ . وَأما رَجَاؤُكَ الخِلافةَ فَلَسْتَ فِي زَندِهَا^(۱) قَادِحًا ، وَلَا فِي مِيزَانِهَا رَاجِحًا ، وَإِنَّكُمْ يَا بَنِي هَاشِمٍ قَتَلْتُمْ عِثْمَانَ ، وَإِنَّ فِي الحَقِّ أَنْ نَقْتُلَكَ وَأَخَاكَ بِهِ ، فَأَما أَبُوكَ فَقَدْ كَفَانَا اللهُ أَمْرَهُ ، وَأَقَادَ^(۲) مِنْهُ ، وَأَما أَنْتَ فَوَاللهِ ما عَلَيْنَا لو قَتَلْنَاكَ بِعِثْمَانَ إِثْمًا وَلَا عُدُوَانًا . »

۱۷ - مقال المغيرة بن شعبه

ثم تكلم المغيرة بن شعبه ، فشمّ عليا وقال : والله ما أعيبه في قضية يخون ، ولا في حكم يميل ، ولكنه قتل عثمان ، ثم سكتوا .

۱۸ - رد الحسن بن علي عليهم

فتكلم الحسن بن علي عليه السلام ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله صلى الله عليه وآله ، ثم قال :

« أما بئس يا معاوية ، فما هؤلاء شتموني ، وإسكنك شتمتي ، فحشاً ألفتَهُ ، وسوء رأى عرفتَ به ، وَخُلِقًا سَيِّئًا ثَبَّتَ عَلَيْهِ ، وَبَغِيًّا عَلَيْنَا ، عداوة منك لمحمد وأهله ، ولكن اسمع يا معاوية واسمعوا ، فَلَأَقُولَنَّ فِيكَ وفيهم ما هو دون ما فيكم ، أَنشدكم الله أيها الرهط ، أتعلمون أن الذي شتمتموه منذ اليوم صلى القبلتين^(۳) كاتبهما ، وأنت يا معاوية

(۱) الزند : العود الذي يقدح به النار . (۲) أفاد الغائل بالقتيل : قتله به .

(۳) كان صلى الله عليه وسلم يستقبل الكعبة وهو بمكة ، فلما هاجر إلى المدينة أمر أن يستقبل بيت المقدس تألفاً لليهود ، فصل إلى مكة أو سبعة عشر شهراً ثم حول .

بہما کافر ، تراہا ضلالہ وتعبد اللات والعزى^(۱) غواۃ ، وأنشدکم اللہ هل تعلمون أنه بايع البيعتين كليهما بيعة الفتح^(۲) وبيعة الرضوان^(۳) ، وأنت يامعاوية بإحداہما کافر ، وبالآخرى ناکث ، وأنشدکم اللہ هل تعلمون أنه أول الناس إيماناً ، وأنتک يامعاوية وأباك من المؤلفة قلوبہم ، تُسرُّون الکفر وتُظهرون الإسلام ، وتُستألون بالأموال ، وأنشدکم اللہ ألسم تعلمون أنه كان صاحب راية رسول اللہ صلى اللہ علیہ وآلہ يوم بدر ، وأن راية المشركين كانت مع معاوية ومع أبيہ ؟ ثم لقيکم يوم أحد ويوم الأحزاب ومعه راية رسول اللہ صلى اللہ علیہ وآلہ ، ومعك ومع أبيك راية الشرك ، وفي كل ذلك يفتح اللہ له ، ويُفليج^(۴) حجته ، وينصر دعوتہ ، ويصدق حديثہ ، ورسول اللہ صلى اللہ علیہ وآلہ في تلك المواطن كلها عنه راض ، وعليك وعلى أبيك ساخط ؛ وأنشدك اللہ يامعاوية أتذكر يوماً جاء أبوك على جمل أحمر ، وأنت تسوقه ، وأخوك عتبه هذا يقوده ، فرآكم رسول اللہ صلى اللہ علیہ وآلہ ، فقال : « اللهم العن الراكب والقائد والسائق » أتتسى يامعاوية الشعر الذي كتبتہ إلى أبيك - لما تمَّ أن يُسلم - تنهات عن ذلك :

يَا صَخْرُ لَا تُسَلِّنْ يَوْمًا فَتَفْضَحَنَا بَعْدَ الدِّينِ بِيَدْرِ أَصْبَحُوا مِرْقًا^(۵)
خَالِي وَعَمِّي وَعَمُّ الْأُمَّ ثَالِثَهُمْ وَحَنَظَلِ الْخَيْرِ قَدْ أَهْدَى لَنَا الْأَرْقًا^(۶)

(۱) اللات : صنم ثقيف بالطائف ، والعزى : أكبر صنم لقريش ، وكان يبطن نخلة .

(۲) روى الطبري في تاريخه - بعد أن أورد خبر فتحه صلى اللہ علیہ وسلم مكة سنة ثمان للهجرة ، وخطبته حين وقف على باب الكعبة - قال : « ثم اجتمع الناس بمكة لبيعة رسول اللہ صلى اللہ علیہ وسلم فجلس لهم - فيما بلغني - على الصفا ، وعمر بن الخطاب تحت رسول اللہ أسفل من مجلسه يأخذ على الناس ، فبايع رسول اللہ صلى اللہ علیہ وسلم والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا ، وكذلك كانت بيعة لمن بايع رسول اللہ صلى اللہ علیہ وسلم من الناس على الإسلام ، فلما فرغ رسول اللہ صلى اللہ علیہ وسلم من بيعة الرجال بايع النساء ، واجتمع إليه نساء من نساء قريش فيهن هند بنت عتبة أم معاوية . . . إلى آخر القصة - تاريخ الطبري ۳ : ۱۲۱ - وكان معاوية ممن أسلم بعد الفتح .

(۳) بيعة الرضوان كانت سنة ست هجرية في غزوة الحديبية حين دعا الرسول صلى اللہ علیہ وسلم المسلمين

للببيعة على القتال فبايعوه على الموت تحت شجرة هناك سميت بعد بشجرة الرضوان . (۴) ينصر .

(۵) المرق : جمع مزقة بالكسر ، وهي القطعة من الثوب وغيره . (۶) أي لشدة الحزن والأسى .

لَا تَزَكَّيْنِي إِلَىٰ أَمْرِ تُكَلِّفُنَا وَالرَّاقِصَاتِ بِهِ فِي مَكَّةَ الْخَرَقَةَ^(۱)
فَلَمَوْتُ أَهْوُونَ مِنْ قَوْلِ الْمُدَاةِ «لَقَدْ حَادَّ ابْنُ حَرْبٍ عَنِ الْعُزْمِيِّ إِذَا فَرِقًا»^(۲)

والله لما أخفيتُ من أمرِك ، أ كبر مما أبديتُ ؛ وأنشدكم الله أيها الرهط أن تعلمون أن علياً حرّم الشهوات على نفسه بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأنزل فيه :
(يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرَّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ) . وأن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث أ كابر أصحابه إلى بني قريظة ، فنزلوا من حصنهم فهزموا ، فبعث علياً بالرابية ؛ فاستنزلهم على حكم الله وحكم رسوله ، وفعل في خيبر مثلاً ، ثم قال : يا معاوية اظنك لا تعلم أني أعلم مادعا به عليك رسول الله صلى الله عليه وآله ، لما أراد أن يكتب كتاباً إلى بني جذيمة^(۳) فبعث إليك ونهّمك^(۴) إلى أن تموت ، وأنتم أيها الرهط .

(۱) الخرق محرّكة : ألا يحسن الرجل العمل والتصرف في الأمور ، والحقق . (۲) فرق : فزع .
(۳) في الأصل « خزيمية » ، وهو تحريف ، وهم بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة ، وقد بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خالده بن الوائِد حين افتتح مكة داعياً ، ولم يبعثه مقاتلاً ، فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالده : ضعوا السلاح ، فإن الناس قد أسلموا ، فلما وضعوه أمر بهم خالده عند ذلك فكتفوا ، ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم - وكان بنو جذيمة قد أصابوا في الجاهلية عوف بن عبد عوف أبا عبد الرحمن بن عوف ، والفاكه بن المغيرة عم خالده ، وكانا أقبلتا تاجرِين من اليمن حتى إذا نزلا بهم قتلوهما وأخذوا أموالهما - فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يديه إلى السماء ثم قال : اللهم إن أبرا إليك مما صنع خالده بن الوليد ، ثم دعا علي بن أبي طالب ، فقال : يا علي اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم ، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك ، فخرج علي حتى جاءهم ومعه مال قد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم به فودى لهم الدماء ، وما أصيب من الأموال ، حتى إنه ليدى بيلغة الكلب ، (والميلغة بالكسر : الإناء يلغ فيه الكلب) حتى إذا لم يبق شيء من دم أو مال إلا وداه بقيت معه بقية من المال . قال لهم : هل بقي لكم دم أو مال لم يود إليكم ؟ قالوا لا ، قال : فإن أعطيتكم هذه البقية من هذا المال احتياطاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما لا يعلم ولا تعلمون ففعل ، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، فقال أصبت وأحسن ، ثم استقبل القبلة قائماً شاهراً يديه ، وهو يقول : اللهم إن أبرا إليك مما صنع خالده ابن الوليد ، ثلاث مرات . (۴) الذي في كتب اللغة : « نهّمه : زجره ، وحذفه بالحصى وغيره » ومراده هنا أنه دعا عليه بالنهم وعدم الشجع ، وقد تقدم الكلام عليه .

نشدتكم الله ألا تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله لعن أبا سفيان في سبعة مواطن لا يستطيعون ردّها؟ أولها يوم لقي رسول الله صلى الله عليه وآله خارجاً من مكة إلى الطائف يدعو تقيفاً إلى الدين؛ فوقع به، وسبه وسفه، وشتمه وكذّبه وتوعده. وهم أن يبطش به، فلعنه الله ورسوله وصرف عنه. والثانية يوم العير^(١) إذ عرض لها رسول الله صلى الله عليه وآله وهي جاثية من الشام. فطردها أبو سفيان وساحل^(٢) بها، فلم يظفر المسلمون بها، ولعنه رسول الله صلى الله عليه وآله ودعا عليه، فكانت وقعة بدر لأجلها. والثالثة يوم أحد حيث وقف تحت الجبل ورسول الله صلى الله عليه وآله في أعلاه، وهو ينادى أعلُّ هبل^(٣) مرارا فلعنه رسول الله صلى الله عليه وآله عشر مرات ولعنه المسلمون. والرابعة يوم جاء بالأحزاب وغطفان واليهود، فلعنه رسول الله صلى الله عليه وآله وابتهل. والخامسة يوم جاء أبو سفيان في قريش، فصدوا رسول الله صلى الله عليه وآله عن المسجد والمذمى معكوكاً أن يبلغ محله^(٤) ذلك يوم الحد يبية. فلعن رسول الله صلى الله عليه وآله أبا سفيان، ولعن القادة والأتباع، وقال ملعونون كلهم وليس فيهم من يؤمن. فقيل يا رسول الله أفما يرجي الإسلام لأحد منهم فكيف باللعنة؟ فقال: لا تصيب اللعنة أحداً من الأتباع. وأما القادة فلا يفلح منهم أحد^(٥). والسادسة يوم الجمل الأحمر. والسابعة يوم وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وآله في العقبة ليستنفروا ناقته وكانوا اثني عشر رجلاً منهم أبو سفيان. فهذا لك يا معاوية.

وأما أنت يا بن العاص، فإن أمرك مشترك، وضعتك أمك مجهولاً من عَهَر^(٦)

(١) العير: الإبل تحمل الميرة: (٢) أتى بها ساحل البحر. (٣) أي اعل وانتصر يا هبل: وهو صنم كان في الكعبة. (٤) والمذمى معكوك على رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمذمى ما يهدى إلى مكة، ومعكوك أي محبوباً وهو حال. أن يبلغ محله أي مكانه الذي ينحر فيه عادة وهو الحرم. (٥) لا يتعارض مع هذا أن أبا سفيان أفلح بعد وأسلم، إذا التقى فيه بلا، وليس التقى بلن. (٦) فجور: ذكروا أن النابغة أم عمرو بن العاص كانت أمة لرجل من هذلة (بالتحريك) فسبيت فاشتراها عبد الله بن جدهان النسي بمكة، فكانت بنيا، ثم احتقها، فوقع عليها أبو هب بن عبد المطلب،

وسِفَاحٍ فَمَحَا كَمَ فَيَكُ أَرْبَعَةَ مِنْ قَرِيشٍ . فَغَلَبَ عَلَيْكَ جَزَارَهَا . الْأَمَهُمْ حَسِبَاءُ ، وَأَخْبَثَهُمْ مَنَصِبًا . ثُمَّ قَامَ أَبُوكَ فَقَالَ : أَنَا شَانِي مُحَمَّدَ الْأَبْتَرِ^(۱) . فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ مَا أَنْزَلَ ، وَقَاتَلْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي جَمِيعِ الْمَشَاهِدِ . وَهَجَوْتَهُ وَأَذَيْتَهُ بِمَكَّةَ ، وَكَذَّبْتَهُ كَيْدَكَ كُلَّهُ . وَكُنْتَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ لَهُ تَكْذِيبًا وَعَدَاوَةً . ثُمَّ خَرَجْتَ تَرِيدُ النَّجَاشِيَّ مَعَ أَصْحَابِ السَّفِينَةِ لِتَأْتِيَ بِجَمْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ^(۲) . فَلَمَّا أَخْطَأَكَ مَا رَجَوْتَ ، وَرَجَعَكَ اللَّهُ خَائِبًا وَأَكْذِيبًا وَاشْتِئَابًا ، جَعَلْتَ حَسَدَكَ عَلَى صَاحِبِكَ عِمَارَةَ بْنِ الْوَلِيدِ ، فَوَشَّيْتَ بِهِ إِلَى النَّجَاشِيِّ حَسَدًا لَمَّا ارْتَكَبَ مِنْ حَالِيئِهِ^(۳) ، فَفَضَحَكَ اللَّهُ وَفَضَحَ صَاحِبَكَ . فَأَنْتَ عَدُوٌّ بَنِي هَاشِمٍ

= وأمية بن خلف الجمحي ، وهشام بن المغيرة المخزومي ، وأبوسفيان بن حرب ، والعاص بن وائل السهمي في طهر واحد ، فولدت عمرا ، فادعاه كلهم ، فحكمت أمه فيه ، فقالت هو من العاص بن وائل ، وذلك لأن العاص كان ينفق عليها كثيرا ، قالوا : وكان أشبه بأبي سفيان ، وفي ذلك يقول أبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب في عمرو بن العاص :

أبوك أبو سفيان لاشك قد بدت لنا فيك منه بينات الشمايل

ويقال إنه جعل لرجل ألف درهم على أن يسأل عمرا وهو على المنبر : من أمه ؟ فسأله فقال : أمي سلمى بنت حرملة تلقب بالنابغة من بني منزة أصابتها رماح العرب فبيعت بمكاذ ، فاشتراها الفاكه بن المغيرة ، ثم اشتراها منه عبد الله بن جدعان ، ثم صارت إلى العاص بن وائل فولدت فأنجبت ، فإن كان جعل لك شيء فخذ . (ورأي فيما روى من نسب عمرو بن العاص أن الإسلام يجب ما قبله) .

(۱) الشافعي المبغض ويسهل : وذلك أن العاص بن وائل سمي النبي صلى الله عليه وسلم أبتر عند موت ابنه القاسم ، فنزل فيه « إِنْ شَأْنِيكَ هُوَ الْأَبْتَرُ » أي المتقطع من كل خير ، الذي لا يفوز بالذكر الحسن بعد موته ، وأما أنت يا محمد فسيتق حسن ذكرك ، وآثار فضلك إلى يوم القيامة فهو الأبتر لأنك .

(۲) يشير إلى هجرة الحبشة الثانية ، وقد هاجر إليها من المسلمين نحو ثلاثة وثمانين رجلا وثمان عشرة امرأة ، وكان من الرجال جمفر بن أبي طالب ، ولما رأت قريش ذلك أرسلت في أثرهم عمرو بن العاص ، وعماره بن الوليد ، بهديا إلى النجاشي وبطارقته ، ليسلم المسلمين ، فرجعا خائين ، وأبي النجاشي أن يخفروذته .

(۳) وذلك أن عمرا وعماره ركبا البحر إلى الحبشة كما قدمنا - وكان عماره جميلا وسيما تهواه النساء ، وكان مع عمرو بن العاص امرأته - فلما صاروا في البحر ليالي أصابا من خمر معهما ، فانتشى عماره فقال لامرأة عمرو قبلي ، فقال لها عمرو قبل ابن عمك ، فقبلته ، فهويها عماره ، وجعل يراودها عن نفسها ، =

في الجاهلية والإسلام . ثم إنك تعلم ، وكل هؤلاء الرهط يعلمون أنك هجوت رسول الله صلى الله عليه وآله بسبعين بيتا من الشعر . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : اللهم إني لا أقول الشعر ولا ينبغي لي . اللهم العنه بكل حرف ألف لعنة . فعليك إذن من الله مالا يُحصَى من اللعن ، وأما ما ذكرت من أمر عثمان فانت سَعَرْت (۲) عليه الدنيا نارا ، ثم لَحِقْتَ بِفِلَسْطِينَ ، فلما أتاك قتله قلت : « أنا أبو عبد الله إذا نكأت قرحة أدميتها » ثم حبست نفسك إلى معاوية ، وبعث دينك بدنياه ، فلسنا نلومك على بغض ، ولا نعاتبك على ود ، وبالله مانصرت عثمان حيا ولا غضبت له مقتولا ، ويحك يا ابن العاص ! أنت القاتل في بني هاشم لما خرجت من مكة إلى النجاشي :

تقول ابنتي : أين هذا الرحيل ؟ وما السيرُ مني بِمُسْتَنْكَرٍ

= فاشتعت منه ، ثم إن عمرا جلس على منجاف السفينة يقول « منجاف السفينة هو مكانها الذي تعدل به » فدفعه عمارة في البحر ، فلما وقع عمرو سبح حتى أخذ بمنجاف السفينة ، ووضف عمرو عليه في نفسه ، وعلم أنه كان أراد قتله ومضيا حتى نزلوا الحبشة ، فلما اطمأنوا بها لم يلبث عمارة أن دب لامرأة النجاشي فأدخلته ، فاختلص إليها ، وجعل إذا رجع من مدخله ذلك يخبر عمرا بما كان من أمره ، فيقول عمرو : لا أصدقك أنك قدرت على هذا ، إن شأن هذه المرأة أرفع من ذلك ، فلما أكثر عليه عمارة بما كان يخبره ، ورأى عمرو من حاله وهيئته ومبيته عندها حتى يأتي إليه مع السحر ما عرف به ذلك ، قال له إن كنت صادقا فقل لها فلتدهنك بدهن النجاشي الذي لا يدهن به غيره ، فإني أعرفه وأني بشيء منه حتى أصدقك ، قال : أفعل ، فألها ذلك فدهنته منه وأعطته شيئا في قارورة ، فقال عمرو أشهد أنك قد صدقت لقد أصبت شيئا ما أصاب أحد من العرب مثله قط ، امرأة الملك ! ماسعنا بمثل هذا ، ثم سكت عنه حتى اطمأن ودخل على النجاشي فأعلمه شأن عمارة وقدم إليه الدهن ، فلما أثبت أمره دعا بعمارة ، ودعا نوبة آخر فجردوه من ثيابه ثم أمره أن يتفخن في إحليله ثم خلى سبيله فخرج هاربا .

(۱) سر النار : كنع أوقدها . وكان عمرو أول خلافة عثمان واليا على مصر - منذ خلافة عمر ابن الخطاب - ثم إن عثمان ولي عبد الله بن سعد بن أبي سرح - وهو أخو عثمان من الرضاع - خراج مصر ، وولى عمرو بن العاص على الجند فلم يتفقا ، فجمع لعبد الله الخراج والجند وعزل عمرا ، فلما قدم عمرو المدينة جعل يظن على عثمان ويؤاب عليه ، وخرج عمرو بعدئذ حتى انتهى إلى أرضه بفلسطين ، فكان يقول : أنا أبو عبد الله إذا حكمت قرحة نكأتها ، والله إن كنت لألقى الراعي فأحرضه عليه (نكأ القرحة : قشرها قبل أن تبرا فتديت) .

فقلت : ذرني فاني امرؤ أريد النجاشي في جعفر
 لا كويته عنده كية أقيم بها نخوة الأصغر^(۱)
 وشاني أحد من بينهم وأقولهم في المنكر
 وأجرى إلى عتبة جاهدا ولو كان كالذهب الأحمر^(۲)
 ولا أنثى عن بني هاشم وما أسطعت في الغيب والمخض
 فإن قبل العتب مني له وإلا لوبت له مشفري^(۳)

فهذا جوابك . هل سمعته ؟

وأما أنت يا وليد ، فوالله ما ألومك على بغض علي ، وقد جلدك ثمانين في الخمر^(۴) .
 وقتل أباك ابن يدي رسول الله صلى الله عليه وآله صبورا^(۵) ، وأنت الذي سماه الله الفاسق

(۱) الأصغر محرقة : الميل في الخد ، صغر : كفرح فهو أصغر ، وصغر خده تصغيرا : أماله من الكبر . (۲) كان من بين المهاجرين من المسلمين إلى الحبشة عتبة بن غزوان ، وهو من بني نوفل بن عبد مناف ، وعتبة بن مسعود (وهو أخو عبد الله بن مسعود) من هذيل من حلفائهم ، وأظنه يعني عتبة بن غزوان ، وقوله : ولو كان كالذهب الأحمر : أي في صعوبة الوصول إليه . (۳) المشفر للبعير : كالشفة للإنسان ، وقد يستعمل في الناس . (۴) وذلك أن عثمان رضي الله عنه بعد أن عزل سعد بن أبي وقاص من إمارة الكوفة ، ولى عليها الوايد بن عقبة - وهو أخوه لأمه - ورووا أنه شرب الخمر بالكوفة وسكر حتى دخل عليه ، وأخذ خاتمه من أصبه وهو لا يعلم وأنه تكلم في الصلاة والتفت إلى من يقتدون به فيها وهو سكران وقال لهم : أزيدكم ؟ قالوا لا قد قضينا صلواتنا ، وشهد الشهود عليه بذلك عند عثمان في وجهه فأدخله بيتا وأراد أن يحده فجمل إذا بعث إليه رجلا من قريش ليضربه ناشده الوليد ألا يقطع رحمه ، فلما رأى على ذلك أخذ السوط ودخل عليه فجلده به .

(۵) القتل صبورا : أن يجلس الرجل ويرى حتى يموت ، وكان عقبة بن أبي معيط شديد الإيذاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم الاستهزاء به . صنع مرة وليمة ودعا إليها كبراء قريش وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عليه الصلاة والسلام : والله لا آكل من طعامك حتى تؤمن بالله ، فتشهد ، فبلغ ذلك أبي ابن خلف الجمحي ، وكان صديقا له ، فقال ما شيء بلغني عنك ؟ قال لا شيء . دخل منزلي رجل شريف ، فأبى أن يأكل طعامي حتى أشهد له ، فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فتهدت له ، قال أبي : وجهي من وجهك حرام إن لقيت محمدا فلم تطأ عنقه ، وتبزق في وجهه ، وتلطم عينه ، فلما رأى عقبة رسول الله =

وسمى علياً المؤمن ، حيث تفاخرتما ، فقلت له اسكت يا علي ، فأنا أشجع منك جناناً ، وأطول منك لساناً . فقال لك علي اسكت يا وليد ، فأنا مؤمن وأنت فاسق . فأنزل الله تعالى في موافقة قوله : (أَمَّنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ) ثم أنزل فيك علي موافقة قوله أيضا (إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ^(۱)) ويحك يا وليد ؟ مهما نسبت فلا تنس قول الشاعر فيك وفيه :

أنزل الله (والكتاب عزيز) في علي وفي الوليد قرآنا ^(۲)
 فتبوا الوليد إذ ذاك فسقا وعلى مجوا إيمانا ^(۳)
 ليس من كان مؤمناً (عمرك الله) كمن كان فاسقا خوآنا
 سوف يدعى الوليد بعد قليل وعلى إلى الحساب عيانا
 فعلى يجزى بذاك جنانا ووليد يجزى بذاك هوانا
 رب جد لعقبة بن أبان لابس في بلادنا تباناً ^(۴)

= صلى الله عليه وسلم فعل به ذلك ، فأنزل الله فيه (وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا) وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يصل في حجر الكعبة فأقبل عقبة فوضع ثوبه في منق رسول الله صلى الله عليه وسلم فخنقه خنقا شديدا ، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن الرسول ، وقال : (اتَّقِلُونِ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ) فلما كانت غزوة بدر كان عقبة من أسراها وقد قتله عليه الصلاة والسلام وهو راجع .

(۱) وذلك أن النبي عليه الصلاة والسلام كان قد بعث الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق لأخذ الصدقات - وكان بينه وبينهم ترة في الجاهلية - فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم مقاتليه فرجع ، وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنهم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة ، نهم يقتلهم ، فأتره منكرين ما قاله عنهم ، فنزلت الآية : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) . (۲) سهل عن « آران » . (۳) فتبوا: سهل عن « فتبوا » .

(۴) أبان : هو والد أبيه عقبة ، فهو الوليد بن عقبة بن أبي معيط أبان بن أبي عمرو ذكوان بن أمية ابن عبد شمس ، والتبان : سراويل صغير مقدار شبر يستر العورة المخلطة فقط يكون للملاحين .

وما أنت وقريش ا ، إنما أنت عِدْجٌ من أهل صَفُورِيَّةِ^(۱) ، وأقسم بالله لأنت أكبر في الميلاد وأسن ممن تدعى إليه .

وأما أنت يا عتبة ، فوالله ما أنت بِحَصِيفٍ^(۲) فأجيبك ، ولا عاقلٍ فأحاورك وأعاتبك ، وما عندك خيرٌ يرجى ، ولا شرٌّ يُتَّقَى ، وما عقلك وعقل أمّتك إلا سواء ، وما يضر علياً لو سببته على رهوس الأَشهاد ؟ وأما وعيدك إياي بالقتل ، فهلا قتلت اللّحيانِ إذ وجدته على فراشك ؟ أما تستحي من قول نصر بن حجاج فيك :

يا لَلرَّجالِ وحادثِ الأَزمانِ وَلِسَبِّةِ تُخزِي أبا سُفْيَانَ^(۳)

نُبِّئتُ عتْبَةَ خانةِ في مِرسِيهِ جِنْسُ لَئيمِ الأَصلِ من لِحْيَانِ^(۴)

وبعد هذا ما أربأ بنفسى عن ذكره لفضله ، فكيف يخاف أحدٌ سيفك ؟ ولم تقتل فاضحك . وكيف ألومك على بغض عليّ ، وقد قتل خالك الوليدَ مبارزةً يوم بدره ومُشرك حمزة في قتل جدك عتبة ، وأوحذك من أخيك حنظلة في مقام واحد .

وأما أنت يا مغيرة ، فلم تكن بخليق أن تقع في هذا وشبهه ، وإنما مثلك مثل البموضة إذ قالت للنخلة : « استمسكي فإني طائرةٌ عنك » فقالت النخلة : وهل علمت بك واقعةً عليّ ، فأعلم بك طائرةً عنى ؟ والله ما نشعر بعداوتك إيانا ، ولا اغتمنا إذ علمنا بها ولا يشق علينا كلامك ، وإن حد الله في الزنا لثابت عليك ولقد درأ عمر عنك حقاً ، الله سأل الله عنه . ولقد سألت رسول الله صلى الله عليه وآله : هل ينظر الرجل إلى المرأة يريد أن يتزوجها ؟ فقال : لا بأس بذلك يا مغيرة ما لم ينو الزنا ، اعلمه بأنك زان . وأما

(۱) صفورية : بلد بالأردن (بضم الهمزة والdal وتشديد النون) ، والعلاج : الرجل من كفار المعجم . وذلك أن جده ذكوان كان يلقب بالصفورى . ذكر جماعة من النسابين أن ذكوان هذا كان دولى لأمية بن عبد شمس فتبناه وكناه أبا عمرو ، فبنوه موال وإيسوا من بنى أمية لصلبه (شرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۱۵۴) .

(۲) حصيف : ككرم استحكم عقاه فهو حصيف . (۳) السببة : العار . (۴) حرس الرجل : امرأته ؛ وبنو لحيان : حى من هذيل ، وهو لحيان بن هذيل بن مدركة .

نُفِرْكُمْ عَلَيْنَا بِالْإِمَارَةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا ^(۱) مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فَنَدَمْنَا مَا تَدْمِيرًا) .

ثم قام الحسن فنفذ ثوبه فانصرف ؛ فتملق عمرو بن العاص بثوبه وقال : يا أمير المؤمنين قد شهدت قوله في وقذفه أي بالزنا ، وأنا مطالب له بحمد القذف .

فقال معاوية : خل عنه ، لاجزائك الله خيرا ، فتركه ، فقال معاوية : قد أنبأتكم أنه من لا تطاق عارضته ، ونهيةكم أن تسبوه فعصيتموني ، والله ما قام حتى أظلم على البيت ، قوموا عني ؟ فلقد فضحككم الله وأخزاكم بترككم الحزم ، وعدوكم عن رأي الناصح المشفق ، والله المستعان . (شرح ابن أبي الحديد م ۲ ص ۱۰۱)

۱۹ - رثاء محمد بن الحنفية لأخيه الحسن

لما مات الحسن بن علي رضي الله عنهما ، أدخله قبره الحسين ومحمد بن الحنفية ^(۲) وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم ، ثم وقف محمد بن علي قبره ، وقد اغرورت عيناه ، وقال :

« رحمتك الله أبا محمد فأن عزت حياتك فقد هدت وفانك ، ولنعم الروح روح تضمته بدنك ، ولنعم الجسد جسد تضمته كفنك ، ولنعم الكفن كفن تضمته لحدك ، وكيف لا تكون كذلك ، وأنت سليل الهدى ، وخامس أصحاب الكساء ^(۳) ؛ وخلف

(۱) أي كثرتنا ، أمره : كمنصره ، وأمره : كثره ، (وفي قراءة : أمرنا) أو المعنى أمرناهم بالطاعة ففسقوا وعصوا ، وقد يكون من الإمارة أي جعلناهم أمراء . (۲) هو محمد بن علي بن أبي طالب والحنفية أمه ، وهي امرأة من بني حنيفة بن لجم وتسمى خولة بنت جعفر ، وتوفى سنة ۸۱ ، وقيل سنة ۸۳ ، وقيل سنة ۷۲ ، وقيل سنة ۷۳ . (۳) الكساء : هو كساء آل محمد صلى الله عليه وسلم الذي يضافون إليه ، فيقال : « آل الكساء » وهم النبي عليه الصلاة والسلام ، وعلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين رضي الله عنهم ، قال ديك الجن :

والخمس الفر أصحاب الكساء معا
خير البرية من عجم ومن عرب

أهل التقوى ، وجدك النبي المصطفى ، وأبوك علي المرتضى ، وأمك فاطمة الزهراء ،

= وقال أبو عثمان الخالدي :

أعاذل إن كساء النبي كسانيه حبي لأهل الكساء

ومن قصة هذا الكساء ما روت الرواة من أن وفدا من نصارى نجران قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم فكان ماجرى بينهم وبينه أن قالوا : يا محمد لم تعيب عيسى وتسميه عبدا ؟ فقال : أجل عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم ، قالوا : فأرنا مثله ، يحيى الموق ويبرئ الأكمة والأبرص ويخلق من الطين كهيئة الطير ، وبايعنا على أنه ابن الله ونحن نبايعك على أنك رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : معاذ الله أن يكون لله ولد أو شريك ، فما زالوا يحاجونه ويلاحونه حتى أنزل الله : (فَنَحْنُ حَاجُّكَ فِيهِ) أى فى عيسى (مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِمْ فَنَجْعَلْ لَمَنْ أَرْغَبُ مِنْكُمْ لِمَنَّا) فقال لهم : إن الله أمرني إن لم تقبلوا الحججة أن أباهلكم - والمباهلة الملاعبة - فقالوا يا أبا القاسم : بل نرجع فننظر في أمرنا ثم ذاتيك ، فلما رجعوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم « وهو أحد رؤسائهم . قال ياقوت في معجمه : ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم وفد نجران وفيهم السيد واسمه وهب ، والعاقب واسمه عبد المسيح ، والأسقف وهو أبو حارثة ، وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم مباہلتهم فامتنعوا . . الخ » يا عبد المسيح ماترى ؟ فقال « والله لقد عرفتم يامعشر النصارى أن محمدا نبي مرسل ، واقد جاءكم بالكلام الحق في أمر صاحبكم « أى عيسى » والله ما باهل قوم نبيا قط ، فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ، ولئن فعلم لكان الاستئصال ، فإن أبيتم إلا الإصرار على دينكم ، والإقامة على ما أنتم عليه ، فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وعليه مرط من شعر أسود « والمرط بالكسر كساء من صوف أو خز » وقد احتضن الحسين ، وأخذ بيد الحسن ، وفاطمة تمشى خلفه ، وعلى رضى الله عنه خلفها ، وهو يقول « إذا دعوت فأمنوا » فقال أسقف نجران : « يامعشر النصارى إنى لارى وجوها أو سأوا الله أن يزيل جيلا من مكانه لأزاله لها ، فلا تباهلوا فتهلكوا ، ولا يبق على وجه الأرض نصراى إلى يوم القيامة » ثم قالوا : يا أبا القاسم رأينا أن لا نباهلك وأن نقرك على دينك « فقال عليه الصلاة والسلام : « فإذا أبيتم المباہلة فأسلموا ، يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين » فأبوا ، فقال : فإني أنا جزم القتال ، فقالوا : ما لنا بحرب العرب طاقة ، ولكن نصالحك على أن لاتنزونا ولا تردنا عن ديننا ، على أن تؤدى إليك في كل عام أنى حلة ، أنما في صفر وألفا في رجب ، وثلاثين درهما عادية من حديد ، فصالحهم على ذلك ، وقال : « والنبي نفسى بيده ، إن الهلاك قد تدلى على أهل نجران ولو لاعتوا لمسخوا قرده وخنازير ، ولا ضطرم عليهم الوادى نارا ، ولا تأصل الله نجران وأهله ، حتى الطير على رهوس الشجر ، ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا ، وروى =

وعمك جعفر^(۱) الطيار في جنة المأوى ، وغذتك أكف الحق ، وربيت في حجر الإسلام ، ورضعت ثدي الإيمان ، قطبت حيا وميتا ، فلئن كانت الأنفس غير طيبة لفراقك ، إنها غير شاكّة أن قد خير لك^(۲) ، وإنك وأخاك لسيدا شباب أهل الجنة ، فعليك أبا محمد منا السلام .

(زهر الآداب ۱ : ۶۹ ، ومروج الذهب ۲ : ۵۱ ، والمعقد الفريد ۲ : ۷)

= أنه عليه الصلاة والسلام لما خرج في المرط الأسود جاء الحسن فأدخله ، ثم جاء الحسين فأدخله ، ثم فاطمة ، ثم هل رضى الله عنهم ، ثم قال : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) فمن ذلك الوقت سمي الخمة أصحاب الكساء (انظر كتاب ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للشعالبي ص ۴۸۳ وتفسير الفخر الرازي مفاتيح الغيب ۲ : ۶۹۹) .

(۱) هو جعفر بن أبي طالب ، وقد استشهد في غزوة مؤتة سنة ثمان للهجرة ، وكان يقول حين أخذ الراية من زيد بن حارثة الذي استشهد قبله في هذه الغزوة :

ياحبذا الجنة واقترابها طيبة وباردا شراها

ولقب بالطيار لما روى عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « دخلت الجنة البارحة ، فرأيت جعفرا يطير مع الملائكة وجناحاه مضرجان بالدم » - راجع الروض الأنف شرح السيرة النبوية لابن هشام ۲ : ۲۵۸ - . (۲) خارق لك في الأمر . : جعل لك فيه الخير .

(۳ - جمهرة خطب العرب - ثان)

مقتل الحسين بن علي

رضي الله عنه

تأليه عن بيعة يزيد وخروجه إلى مكة

لما ولى الخلافة يزيد بن معاوية (في هلال رجب سنة ٤٠ هـ) كتب إلى أمير المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان أن يأخذ الحسين ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمر بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة^(١) ، فبعث الوليد إلى الحسين رضي الله عنه ونعى له معاوية ودعاه إلى البيعة ، فقال الحسين : « إن مثلي لا يعطى بيعته سراً ، ولا أراك تجزى بها مني سراً ، دون أن تُظهرها على رؤوس الناس علانيةً ، فإذا خرجت إلى الناس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا مع الناس ، فكان أمراً واحداً » فقال له الوليد - وكان يحب العافية - « فانصرف على اسم الله حتى تأتينا مع جماعة الناس » .

فلما كان من القد بعث الرجال إلى الحسين عند المساء ، فقال : « أَصْبِحُوا ثُمَّ تَرُونِ وَتَرَى » فكفوا عنه تلك الليلة ولم يُلجئوا عليه ، فخرج الحسين من تحت ليلته (ليومين بقيام من رجب سنة ٤٠ هـ) ومعه بنوه وإخوته وبنو أخيه وجُلُّ أهل بيته إلا محمد بن الحنفية فإنه قال له :

(١) الرخصة : التسهيل .

۲۰ - نصیحة محمد بن الحنفیة للحسین رضی اللہ عنہما

« یا اخی : أنت أحبُّ الناسِ إلىّ ، وأعزُّهم علیّ ، ولست أدخر النصیحة لأحد من الخلق أحقُّ بها منك ، تدحُّ بِتَبَعَتِكَ^(۱) عن یزید بن معاویة ، وعن الأمصار ما استطعت ، ثم ابعث رُسُلَكَ إلى الناسِ فادعُهُم إلى نفسک ، فإن بايعوا لك حَمدتَ اللهَ علی ذلك ، وإن أجمع الناس علی غیرك لم یَنقُصِ اللهَ بذلك دینك ولا عقلك ، ولا یذهبُ بهِ مروءتك ولا فضلك ، إني أخاف أن تدخلَ مصرًا من هذه الأمصار ، وتأتی جماعة من الناس ، فيختلفوا بينهم ، فمنهم طائفة معك ، وأخرى علیك ، فيقتتلوا ، فتكون لأول الأسيئة ، فإذا خیرُ هذه الأمة كلها نفسًا وأبًا وأماً أضيّعها دَمًا ، وأذلها أهلاً » .

قال له الحسین : « فإني ذاهب يا اخی » . قال : « فانزل مكة ، فإن اطمانت بك الدار فسبيلٌ ذلك ، وإن نبت^(۲) بك لحقت بالرمال ، وشعف^(۳) الجبال ، وخرجت من بلد إلى بلد ، حتى تنظر إلامَ بصير أمر الناس ، وتعرف عند ذلك الرأي ، فإنك أضوبُ ما يكون رأياً ، وأحزمُهُ عملاً ، حتى تستقبل الأمور استقبالا ، ولا تكون الأمور علیك أبداً أشكلاً منها حين تستدبرها استدباراً » .

قال : « يا اخی قد نصحت فأشقت ، فأرجو أن يكون رأبك سديداً مؤثماً » . وصار إلى مكة ، فأتاه أهل الكوفة ورساهم ، إنا قد حبسنا أنفسنا علیك ، ولنا نحضر الجمعة مع الوالی فأقدم علينا^(۴) — وكان النعمان بن بشیر الأنصاري علی الكوفة —

(۱) تبعة جمع تابع . (۲) ضاقت . (۳) الشعف : جمع شعبة محرقة ، وهي رأس الجبل .
(۴) اجتمعت الشيعة بالكوفة في منزل سليمان بن سرد ، فذكروا هلاك معاوية فحمدوا الله عليه ، فقال سليمان : « إن معاوية قد هلك ، وإن حسينا قد تقبض على القوم ببيته ، وقد خرج إلى مكة ، وأنتم شيعته وشيعة أبيه ، فإن كنتم تعلمون أنكم ناصره وبجاهدوه عدوه ، فاكتبوا إليه و إن خفتهم الوهل (بالتحريك) =

بعثہ مسلم بن عقیل إلى الكوفة

فبعث الحسين إلى ابن عمه مسلم بن عقیل ، فقال له :

« سر إلى الكوفة فانظر ما كتبوا به إلىّ ، فإن كان حقاً خرجنا إليهم ، فخرج مسلم إلى الكوفة ، ونزل دار المختار بن أبي عبيد ، وأقبلت الشيعة مختلف إليه ، فقرأ عليهم كتاب الحسين فأخذوا يبكون .

= الضعف والفرع والفشل) فلا تغزوا الرجل من نفسه» قالوا « لا ، بل نقاتل عدوه ونقتل أنفسنا دونه » قال : فاكتبوا إليه ، فكتبوا إليه : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحسين بن علي من سليمان بن سرد ، والمسيب بن نجبة ، ورفاعة ابن شداد ، وحبیب بن مظاهر وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة ، سلام عليك ، فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فالحمد لله الذي قسم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى (وثب) على هذه الأمة فابتزها أمرها ، وقصبتها فيهما ، وتأمر عليها بغير رضا منها ، ثم قتل خيارها ، واستبق شرارها ، وجعل مال الله دولة بين جبارتها وأغنيائها ، فبعدا له كما بعدت ثمود ، إنه ليس علينا إمام ، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق ، والنعمان بن بشير في قصر الإمارة ، لسنا نجتمع معه في جمعة ، ولا نخرج معه إلى عيد ، ولو قد بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه ، حتى نلحقه بالشام إن شاء الله والسلام ورحمة الله عليك » وكتبوا إليه أيضا : « بسم الله الرحمن الرحيم ، الحسين بن علي من شيعته من المؤمنين والمسلمين ، أما بعد : فحيلا (أي أقبل) فإن الناس ينتظرونك ، ولا رأى لهم في غيرك ، فالعجل العجل والسلام عليك » وكتبوا : « أما بعد : فقد اخضر الجناب ، وأينعت الثمار ، وطمت الحمام ، (الحمام : بالكسر جمع جيم بالفتح ، وهو معظم الماء وطى الماء : علا ، وطم : غمر) فإذا شئت فاقدم على جندك مجند ، والسلام عليك » فكتب إليهم : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من حسين بن علي إلى الملائمة من المؤمنين والمسلمين ، أما بعد : فإن هانئا وسعيدا (وهما هانيء بن هانيء وسعيد بن عبد الله) قدما على بكتيكم ، وكانا آخر من قدم على من رسلكم ، وقد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكرتم ، ومقالة جلسكم إنه ليس علينا إمام ، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق ، وقد بعثت إليكم أخى وابن عمى وثقى من أهل بيتي ، وأمرته أن يكتب إلي بحالكم وأمركم ورأيكم ، فإن كتب إلي أنه قد أجمع رأى ملتكم وذوى الفضل والحجا منكم على مثل ما قدمت على به رسلكم وقرأت في كتبكم ، أقدم عليكم وشيكا إن شاء الله ، فلمرى ما الإمام إلا العامل بالكتاب والآخذ بالقسط والدائن بالحق والحابس نفسه على ذات الله والسلام » .

۲۱ - خطبة عابس بن أبي شبيب الشاكري

فقام عابس بن أبي شبيب الشاكري ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
« أما بعد ، فإنني لا أخبرك عن الناس ، ولا أعلم ما في أنفسهم ، وما أغرؤك منهم ،
والله أحذرك عما أنا موطنٌ نفسي عليه ، والله لأجيبنكم إذا دعوتكم ، ولأقاتلنَّ معكم
عدوكم ، ولأضربن بسيفي دونكم حتى ألقى الله ، لا أريد بذلك إلا ما عند الله .
فقام حبيب بن مظاهر الفقعسي فقال :

« رحمتك الله قد قضيت ما في نفسك بواجزٍ من قولك » ثم قال : « وأنا والله الذي
لا إله إلا هو على مثل ما هذا عليه » وقال غيرها مثل قولها .

فبلغ ذلك النعمان بن بشير ، فخرج فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

۲۲ - خطبة النعمان بن بشير

« أما بعد ، فاتقوا الله عباد الله ، ولا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة ، فإن فيهما بهيكتل
الرجال ، وتسفك الدماء ، وتغصب الأموال - وكان حابيا ناسكا يحب العافية - قال :
إني لا أقاتل من لم يقاتلني ، ولا أئيبُ على من لا يئيبُ عليَّ ، ولا أشاتمكم ، ولا أتحرشُ
بكم ، ولا آخذ بالقرعة^(۱) ولا الظنة ولا التهمة ، ولكنكم ، إن أديتم صفتكم^(۲) لي
ونسكتكم بيعتكم ، وخالفتم إمامكم ، فوالله الذي لا إله غيره لأضربنكم بسيفي ما ثبتت
قائمه في يدي ولو لم يكن لي منكم ناصر ، أما إني أرجو أن يكون من يعرف الحق
منكم أكثر من يرديه الباطل » .

فقام إليه عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمي حليف بني أمية ، فقال :

(۱) القرعة : التهمة ، وقرعه بالشئ : اتهمه . (۲) أي جاهرتموني بالعداوة .

« إنه لا يُصْلِح ما ترى إلا الغشم^(۱) ، إن هذا الذي أنت عليه فيما بينك وبين عدوك رأى المُسْتَضْعَفِينَ » فقال : « أن أكون من المُسْتَضْعَفِينَ في طاعة الله أحبُّ إلى من أن أكون من الأَعَزِّين في معصية الله » ثم نزل .

وكتب عبد الله بن مسلم وغيره إلى يزيد أن يبعث إلى الكوفة رجلاً قويا غير النعمان ، فبعث إلى عبيد الله بن زياد - وكان على البصرة - وضمَّ إليه الكوفة ، فسار إليها ، فلما نزل القصر نودي الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس فخرج إليهم .

۲۳ - خطبة عبيد الله بن زياد

فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد ، فإن أمير المؤمنين (أصلحه الله) ولأني مصرمك وثغركم^(۲) ، وأمرني بإنصاف مظلومكم ، وإعطاء محرومكم ، وبالإحسان إلى سامعكم ومطيعكم ، وبالشدّة على مُريبكم وعاصيكم ، وأنا مُتَّبِعٌ فيكم أمره ، وَمُنْفِذٌ فيكم عهده ، فأنا لحسنكم ومطيعكم كالوالد الأبرّ ، وَسَوَاطِي وسيفي على من ترك أمري ، وخالف عهدي ، فليبق امرؤ على نفسه ، الصدق يُبْذَى عنك لا الوعيد » .

ثم نزل فأخذ العرفاء^(۳) والناس أخذاً شديداً ، وبلغ ذلك مسلم بن عقيل ، فخرج من دار المختار ، حتى انتهى إلى دار هاني بن عروة المرادي لا يذأ به ، ونمى خبره إلى ابن زياد ، فبعث إلى هاني فجاءه ، فأمره أن يأتيه بمسلم ، فقال : لا والله لا أجيئك به أبداً أنا أجيئك بضيفي تقاتله وطال بينهما اللجاج في ذلك ، فضربه ابن زياد بالقضيب ، فلم يزل يضرب أنفه وجبينه وخرقه ، حتى كسر أنفه ، وسيلّ الدماء على ثيابه ، ونثر لحم خديه وجبينه على لحيته ، حتى كسر القضيب ، ثم أمر بحبسه .

(۱) الغشم : الظلم ، والمراد الشدة . (۲) الثغر : موضع المخافة من فروع البلدان .

(۳) جمع عريف ، وهو رئيس القوم سمى لأنه عرف بذلك أو النقيب وهو دون الرئيس .

۲۴ - خطبة أخرى له

ولما ضرب عبيد الله هانثاً وحبسه ، خَشِيَ أَنْ يَثِيبَ النَّاسَ بِهِ ، فَخَرَجَ فَصَعِدَ الْمَنِيرَ وَمَعَهُ أَشْرَافُ النَّاسِ وَشُرَطُهُ وَحَشَمُهُ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :
« أَمَا بَعْدَ ، أَيُّهَا النَّاسُ : فَاعْتَصِمُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ أُمَّتِكُمْ ، وَلَا تَخْتَلِفُوا ، وَلَا تَفْرَقُوا ، فَتَهْلِكُوا وَتَذَلُّوا وَتُقْتَلُوا ، وَتُجْفَوُا وَتُنْحَرَمُوا ، إِنْ أَخَاكَ مِنْ صَدَقَتِكَ ، وَقَدْ أَعَذَرَ مِنْ أَنْذَرٍ » .

وبلغ مسلم بن عقيل خبر ضرب هانث وحبسه ، فأمر أن ينادى في أصحابه وكان قد بايعه من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً ، وأقبل نحو القصر ، فتحرز فيه ابن زياد وغلق الأبواب ، وبعث إلى الأشراف فجمعهم إليه ، ثم قال : « أُمِّرُوا عَلَى النَّاسِ ، فَتَمَّوْا أَهْلَ الطَّاعَةِ الزِّيَادَةَ وَالْكَرَامَةَ ، وَخَوَّفُوا أَهْلَ الْمَعْصِيَةِ الْحِرْمَانَ وَالْمَعْقُوبَةَ ، وَأَعْلَمُوهُمْ فُصُولَ ^(۱) الْجُنُودِ مِنَ الشَّامِ إِلَيْهِمْ » .

۲۵ - خطبة كثير بن شهاب

فتكلم كثير بن شهاب أول الناس فقال :
« أَيُّهَا النَّاسُ : اتَّقُوا بِأَهَالِكُمْ ، وَلَا تَعَجَّلُوا الشَّرَّ ، وَلَا تَعَرَّضُوا أَنْفُسَكُمْ لِلْقَتْلِ ، فَإِنَّ هَذِهِ جُنُودُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدُ قَدْ أَقْبَلَتْ ، وَقَدْ أَعْطَى اللَّهُ الْأَمِيرَ عَهْدًا لَنْ تَمْتَمَ ^(۲) عَلَى حَرْبِهِ ، وَلَمْ تَنْصَرَفُوا مِنْ عَشِيَّتِكُمْ أَنْ يَحْرِمَ ذُرِّيَّتَكُمْ الْعَطَاءَ ، وَيَفْرُقَ مُقَاتِلَتَكُمْ فِي مَغَازِي أَهْلِ الشَّامِ عَلَى غَيْرِ طَمَعٍ ، وَأَنْ يَأْخُذَ الْبَرِيءَ بِالسَّقِيمِ ، وَالشَّاهِدَ بِالْغَائِبِ ، حَتَّى لَا يَبْقَى لَهُ فِيكُمْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْمَعْصِيَةِ إِلَّا أَذَاتُهَا وَبَالَ مَا جَرَّتْ ^(۳) أَيْدِيهَا » .

(۱) فصل من البلد فصولا : خرج منه . (۲) يقال : تمت على الأمر ، أى استمرت عليه .

(۳) جر جريرة : اجترم جريمة .

وتكلم الأشراف بنحو من كلام هذا ، فلما سمع الناس مقاتلهم أخذوا يتفرقون وينصرفون عن ابن عقيل ، حتى أمسى وما معه إلا ثلاثون نفساً ، فخرج متوجهاً نحو أبواب كِنْدَةَ ، فبلغ الأبواب ومعه منهم عشرة ، ثم خرج من الباب وإذا ليس معه إنسان ، فمضى على وجهه في أزقة الكوفة ، حتى انتهى إلى باب عجوز فسألها أن تؤويه فأوته في دارها .

۳۶ - خطبة عبيد الله بن زياد

ولما انقضت جموع ابن عقيل ، خرج عبيد الله بن زياد إلى المسجد ، وأمر فنودي « أَلَا بَرَّاتِ الدِّمَةِ مِنْ رَجُلٍ صَلَّى الْعَتَمَةَ ^(۱) إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ » ، فلم يكن إلا ساعة حتى امتلأ من الناس ، فصلى بهم ، ثم قام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد : فإن ابن عقيل السفية الجاهل ، قد أتى ما قد رأيتم من الخلاف والشفق ، فبرئت ذمة الله من رجل وجدناه في داره ، ومن جاء به فله ديبته ، اتقوا الله عباد الله ، والزموا طاعتكم وبيعتكم ، ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً .

يا حُصَيْنَ بْنَ نَمِيرٍ ^(۲) ، ثَكِلَتْكَ ^(۳) أُمُّكَ إِنْ صَاحَ ^(۴) بَابِ سِكَّةٍ مِنْ سَكِّكَ الْكُوفَةِ ، أَوْ خَرَجَ هَذَا الرَّجُلُ وَلَمْ تَأْتِنِي بِهِ ، وَقَدْ سَلَطَنَكَ عَلَى دُورِ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَابْعَثْ مُرَاصِدَةً عَلَى أَفْوَاهِ السِّكِّ ، وَأَصْبِحْ غَدًا وَأَسْتَبِيرِ الدُّورَ ^(۵) ، وَجُسْ خِلَالَهَا ، حَتَّى تَأْتِنِي بِهِذَا الرَّجُلِ » ثم نزل .

وأصبح ابن تلك العجوز التي آوت مسلماً ، فدل على مكانه ، فبعث ابن زياد محمد ابن الأشعث في ستين أو سبعين رجلاً فأتى به ، وأمر به ، فأصعد إلى أعلى القصر ، وضرب

(۱) العتمة : وقت صلاة المشاء . (۲) وكان على شرط ابن زياد . (۳) ثكله : فقده .

(۴) صاح به يصوحه فانصاح : أى شقه فانشق ، والمراد : فتح باب سكة وهرب .

(۵) سبر الجرح وغيره واستبره : امتحن غوره .

عنقه ، فهوى رأسه إلى الأرض ، وأتبع جسده رأسه ، ثم أمر بهانى بن عروة ، فأخرج
إلى السوق ، فضربت عنقه .

وكان مسلم حيث تحول إلى دار هانى ، كتب إلى الحسين : « إني قد بايعني من
أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً ، فَعَجَّلَ الإقبال حين يأتيك كتابي ، فإن الناس كلهم معك
ليس لهم في آل معاوية رأى ولا هوى » .

فسار الحسين من مكة (في ٨ من ذى الحجة سنة ٦٠ هـ) متوجهاً إلى الكوفة ،
وهو لا يعلم بحال مسلم .

خروج الحسين إلى الكوفة

٢٧ - نصيحة ابن عباس له

ولما أجمع الحسين بن علي رضي الله عنه المسير إلى الكوفة ، أتاه عبد الله ابن عباس ، فقال : « يَا بْنَ عَمِّمَ إِنَّكَ قَدْ أَرْجَفَ النَّاسَ أَنَّكَ سَأِرَ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَبَيِّنْ لِي مَا أَنْتَ صَانِعٌ ؟ » قال : « إِنِّي قَدْ أَجَمْتُ الْمَسِيرَ فِي أَحَدِ يَوْمَي هَذَيْنِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى » ، فقال له ابن عباس : « فَإِنِّي أَعْيذكُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ ، أَخْبِرْنِي - رَحِمَكَ اللَّهُ - أَتَسِيرُ إِلَى قَوْمٍ قَدْ قَتَلُوا أَمِيرَهُمْ ، وَضَبَطُوا بِلَادَهُمْ ، وَنَفَوْا عَدُوَّهُمْ ؟ فَإِنْ كَانُوا قَدْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَسِرْ إِلَيْهِمْ ، وَإِنْ كَانُوا إِذَا دَعَوْكَ إِلَيْهِمْ ، وَأَمِيرُهُمْ عَلَيْهِمْ ، قَاهِرٌ لَهُمْ ، وَعُمَّالُهُ تَجِبِي بِبِلَادِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ إِذَا دَعَوْكَ إِلَى الْحَرْبِ وَالْقِتَالِ ، وَلَا آمَنُ عَلَيْكَ أَنْ يَفْرُوكَ وَيَكْذِبُوكَ وَيُخَالِفُوكَ وَيَخْذُلُوكَ ، وَأَنْ يُسْتَنْفَرُوا إِلَيْكَ ، فَيَكُونُوا أَشَدَّ النَّاسِ عَلَيْكَ » فقال له حسين : « وَإِنِّي أَسْتَخِيرُ اللَّهَ وَأَنْظُرُ مَا يَكُونُ » .

فخرج ابن عباس من عنده ، وأتاه ابن الزبير ، فحدثه ساعة ثم قال :

« مَا أَدْرِي مَا تَرَى كُنَّا هَوْلَاءِ الْقَوْمِ وَكُنْنَا عَنْهُمْ ، وَنَحْنُ أَبْنَاءُ الْمُهَاجِرِينَ ، وَوَلَاةُ هَذَا الْأَمْرِ دُونَهُمْ ، خَبِّرْنِي مَا تَرِيدُ أَنْ تَصْنَعُ ؟ » فقال الحسين : والله لقد حدثت نفسي بإتيان الكوفة : ولقد كتب إلى شيعة بها وأشرف أهاوا ، وأستخير الله . فقال له ابن الزبير : « أَمَا لَوْ كَانَ لِي بِهَا مِثْلُ شِيعَتِكَ مَا عَدَّاتُ بِهَا » ثم إنه خشى أن يتهمه فقال : « أَمَا إِنَّكَ لَوَأَقَمْتَ بِالْحِجَازِ ، ثُمَّ أَرَدْتَ هَذَا الْأَمْرَ هَاهُنَا مَا خَوَافَ عَلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » ثم قام فخرج من عنده . فقال الحسين : « هَا ، إِنَّ هَذَا لَيْسَ شَيْءٌ يُؤْتَاهُ مِنَ الدُّنْيَا أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ

أخرج من الحجاز إلى العراق ، وقد علم أنه ليس له من الأمر معي شيء ، وأن الناس لم يعدلوه^(١) بي ، فَوَدَّ أني خرجت منها لَتَخْلُوَ له .

فلما كان من العشي أو من الغد ، أتى الحسينَ عبدُ الله بن العباس . فقال :

« يا بن عم ، إني أتصَبَّرُ ولا أصبر ، إني أنخوف عليك في هذه الوجه الهلاك والاستئصال ، إن أهل العراق قومٌ عُذْرٌ^(٢) ، فلا تَقْرَبَنَّهُمْ ، أفم بهذا البلد ، فإنك سيد أهل الحجاز ، فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا ، فاكتب إليهم فليَنفُوا عدوهم ، ثم اقدم عليهم ، فإن أبيتَ إلا أن تخرج ، فسيرُ إلى اليمن ، فإن بها حصونًا وشعابًا^(٣) وهي أرض عريضة طويلة ، ولأبيك بها شيعة ، وأنت عن الناس في عزلة ، فتكتب إلى الناس وترسل ، وتبثُّ دُعَاكَ ، فإني أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحبُّ في عافية .

فقال له الحسين : « يا بن عم ، إني والله لأعلم أنك ناصح مُشفق ولكني قد أزمعت وأجمعت^(٤) على المسير » فقال له ابن عباس : « فإن كنت سائرا ، فلا تسيرُ بنسائك وصبيتك ، فوالله إني لخائف أن تقتل كما قتلَ عثمان ، ونساؤه وولده ينظرون إليه » ثم قال ابن عباس : « لقد أقررت عينَ ابن الزبير بتخليتك إياه والحجاز ، والخروج منها ، وهو اليوم لا ينظر إليه أحدٌ معك^(٥) ، والله الذي لا إله إلا هو ، لو أعلم أنك إذا أخذتُ بشرك وناصرتك حتى يجتمع عليّ وعليك الناس أطعني ، أفعلتُ ذلك » ثم خرج ابن عباس من عنده ، فرَّ بعبد الله بن الزبير . فقال : قرَّت عينك يا بن الزبير ، ثم قال :

(١) أي لم يسوره . (٢) جمع غدير كصبور .

(٣) الشعب بالكسر : الطريق في الجبل ، وما انفرج بين جبلين .

(٤) يقال : أجمعت السفر ، وأجمعت عليه ، وأزمت السفر وعليه عزمته عليه وثبت عليه هي .

(٥) أي مع وجودك .

يَا لَيْلٍ مِنْ قُبْرَةٍ بِمَعْمَرٍ خَلَاكَ الْجَوْفِ بَيْضِي وَاصْفِرِي
وَأَقْرِي مَا شِئْتِ أَنْ تُنْقَرِي^(١)

هذا حسين يخرج إلى العراق ، وعليك بالحجاز .

٢٨ - نصيحة أبي بكر بن عبد الرحمن المخزومي له

ودخل أبو بكر عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام^(٢) على الحسين رضي الله
عنه . فقال :

« يَا بَنَ عَمِّ ، إِنَّ الرَّحِمَ يُظَاثِرُنِي^(٣) عَلَيْكَ . وَلَا أَدْرِي كَيْفَ أَنَا فِي النَّصِيحَةِ لَكَ ،
فَقَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ ، مَا أَنْتَ بِمَنْ يُسْتَشْفَى فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ :

« كَانَ أَبُوكَ أَشَدَّ بَأْسًا ، وَالنَّاسُ لَهُ أَرْجَى ، وَمَنْهُ أَسْمَعُ ، وَعَلَيْهِ أَجْمَعُ ، فَسَارَ إِلَى
مَعَاوِيَةَ ، وَالنَّاسُ مَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ - إِلَّا أَهْلَ الشَّامِ - وَهُوَ أَعَزُّ مِنْهُ ، فَخَذَلُوهُ وَتَنَاقَلُوا عَنْهُ
حِرْصًا عَلَى الدُّنْيَا وَضِنًا بِهَا ، فَجَرَعُوهُ الْغَيْظَ وَخَالَفُوهُ ، حَتَّى صَارَ إِلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ مِنْ كِرَامَةِ
اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ ، ثُمَّ صَنَعُوا بِأَخِيكَ بَعْدَ أَبِيكَ مَا صَنَعُوا ، وَقَدْ شَهِدْتَ ذَلِكَ كُلَّهُ وَرَأَيْتَهُ . ثُمَّ

(١) القبرة واحد القبر : ضرب من الطير ، ويقال القنبراء : بضم القاف والباء ، والجمع قنابر .
قال صاحب القاموس : ولا تقل قنبرة (كقنفذة) أو هي لغية ، وقال صاحب اللسان والصحاح : « والعامة
تقول : القنبرة وقد جاء ذلك في الرجز » ورويا شاهدا عليه أنشده أبو عبيدة . والمعمر : المنزل الكبير الماء
والكلاء ، وهو مثل . وأول من قاله طرفة بن العبد ، وذلك أنه كان مع عمه في سفر وهو صبي ، فنزلوا على
ماء ، فذهب طرفة بفخيق له ، فنصبه للقنابر وبقى عامة يومه فلم يصد شيئا ، ثم حمل فخه ورجع إلى عمه ،
وتحملوا من ذلك المكان ، فرأى القنابر يلقطن ماثرهن من الحب ، فقال ذلك ، يضرب في الحاجة يتمكن
منها صاحبها .

(٢) هو أبو بكر عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي .

(٣) الرحم : القرابة ، ويطاثرني : يعطفني . يقال : طأرتني فلان على أمر كذا ، وأطأرتني وظهرني :

أي عطفني .

أنت تريد أن تسير إلى الذين عدوا على أبيك وأخيك ، تقاوم بهم أهل الشام وأهل العراق ، ومن هو أعدو منك وأقوى ، والناس منه أخوف ، وله أرجى ، فلو بلغهم مسيرك إليهم لاستطفوا الناس بالأموال ، وهم عبيد الدنيا ، فيقاتلك من قد وعدك أن يتصرك ، ويخذلك من أنت أحب إليه ممن ينصره ، فاذا ذكر الله في نفسك .

فقال الحسين : « جزاك الله خيرا يا ابن عم ، فقد أجهدك رأيك ، ومهما يقض الله بكن » فقال : « وعند الله نحمدس أبا عبد الله » .

٢٩ - خطبة عبيد الله بن زياد

ولما نعى إلى عبيد الله بن زياد خبر الكتاب الذي كتبه الحسين رضى الله عنه إلى أشرف البصرة يستنصرهم سعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أما بعد فوالله ما تُقرن بي الصعبة ، ولا يقمق لي بالشنان^(١) ، وإني لنكحل^(٢) لمن عاداني ، وسُمّ لمن حاربني ، أنصف القارة^(٣) من رامها .

يا أهل البصرة: إن أمير المؤمنين ولاني الكوفة، وأنا غاد إليها الغداة؛ وقد استخلفت عليكم عثمان بن زياد بن أبي سفيان، وإياكم والخلاف والإرجاف، فوالذي لا إله غيره إثنى بلغنى عن رجل منكم خلاف، لأقتلنه وعريفه ووليه، ولأخذن الأذنى بالأقصى حتى تستمعوا لى، ولا يكون فيكم مخالف ولا مشاق .

أنا ابن زياد، أشبهته من بين من وطئ الحصى، ولم ينتزعنى شبه خال ولا ابن عم .

(تاريخ الطبرى ٦: ٢٠٠)

(١) القعقة : تحريك الشيء الياس الصلب مع صوت، والشنان : جمع شن بالفتح، وهو القربة البالية، وإذا قمق بالشنان لا بل نفرت. وهو مثل يضرب لمن لا يروعه مالا حقيقة له .

(٢) يقال إنه لنكحل شره: أى يتكلم به أعداؤه . (٣) القارة : قبيلة ، وهم قوم رماة .

٣٠ خطبة للحسين رضى الله عنه

ولما بلغ عبيد الله بن زياد أمير الكوفة إقبال الحسين بعث الحصين بن نمير التميمي، فأمره أن ينزل القادسية، وأن يضع المسالِح^(١)، وقدّم الحرّ بن يزيد التميمي بين يديه، في أنف فارس من القادسية، فيستقبل حسينا، وكان الحسين قد سبقه إلى ذى حُسم ونزل به، فسار إليه الحرّ حتى وقف هو وخيله مُقابله في حر الظاهرة، وحضرت صلاة الظهر؛ فخرج الحسين، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«أيها الناس: إنها معذرةٌ إلى الله عز وجل وإليكم، إني لم آتكم حتى أتتني كتبكم، وقدِمَت عَلَيَّ رُسُلُكُمْ أَنْ أَقْدَمَ عَلَيْنَا، فإنه ليس لنا إمام، لعل الله يجمعنا بك على الهدى، فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم، فإن تُعْطُونِي مَا أَطْمَأْنِنُ إِلَيْهِ مِنْ عَهْدِكُمْ وَمَوَاقِفِكُمْ أَقْدَمَ مِصْرَكُمْ، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين، انصرفت عنكم إلى المكان الذي أقبلت منه إليكم» فسكتوا عنه، ثم أقيمت الصلاة. فقال الحسين للحر: أتريد أن تصلى بأصحابك؟ قال: لا بل تصلى أنت، ونصلى بصلاتك، فصلى بهم الحسين.

٣١ - خطبة أخرى له

فلما كان وقت العصر، أمر الحسين أن يتهيئوا للرحيل، ثم إنه خرج فأمر مناديه فنادى بالمصر، وصلى ثم سلم، وانصرف إلى القوم بوجهه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«أما بعد: أيها الناس فإنكم إن تتقوا وتعرفوا الحق لأهله، يكن أرضى الله،

(١) المسالِح: جمع مسلحة بالفتح، وهي القوم ذرو السلاح.

ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم، والسائرين فيكم بالجور والمدوان، وإن أنتم كرهتمونا وجهلتم حقنا، وكان رأيكم غير ما أتتني كتبكم، وقدمت به على رسلكم انصرفت عنكم .

فقال له الحر: إنا والله ما ندرى ما هذه الكتب التي تذكر؟ فأخرج له الحسين خرّجين مملوئين صحفًا، فنشرها بين أيديهم، ثم سار الحسين في أصحابه والحر يسايره .

٣٢ - خطبة أخرى له

وقام الحسين رضي الله عنه بذي حُسم، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إنه قد نزل من الأمر ما قد ترّون، وإن الدنيا قد تغيّرت وتناكرت، وأدبر معروفيها، واستمرت^(١) جدًّا، فلم يبق منها إلا صُباة كصُباة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترّون أن الحق لا يعملُ به، وأنّ الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله مُحِقًا، فإني لا أرى الموت إلا شهادة، ولا الحياة مع الظالمين إلا برّما^(٢) .»

٣٣ - خطبة زهير بن القين البجلي

فقام زُهير بن القين البجلي، فقال لأصحابه: تكلمون أم أتكم؟ قالوا: لا، بل تكلم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

(١) في كتب اللغة: «مر الشيء يمر بضم الميم وفتحها مرارة وأمر» ولم أر فيها بناء «استمر» ولا بناء منه على أن الهمزة والسبب والتاء للصبوورة: أي صارت مرة، ونظيره استحجر الطين، واستحصن المهر (صار حصانًا) واستعرب القوم. وفي الأمثال: «إن البغاث بأرضنا يستنسر» «كان عتزا فاستنيس» «قد استنوق الجمل» . (٢) البرم: السامة والفضج، برم به كفرح .

« قد سمعنا (هداك الله) يا ابن رسول الله مقاتلك ، والله لو كانت الدنيا لنا باقية ،
وكننا فيها مُخَلَّدِينَ ، إلا أن فراقها في نصرك ومواساتك ، لآثرنا الخروج معك على الإقامة
فيها » فدعا له الحسين ، ثم قال له خيراً .

٣٤ - خطبة للحسين أيضاً

وخطب الحسين أصحابه وأصحاب الحرِّ بالبيضة ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
« أيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من رأى سلطاناً جائراً
مُستَحِلاً لِحَرَمِ اللَّهِ ، ناكثاً لعهده ، مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ، فلم يُغَيِّرْ عليه بفعل ولا قول ، كان حقاً على الله أن
يُدْخِلَهُ مَدْخَلَهُ » ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان ، وتركوا طاعة الرحمن ، وأظهروا
الفساد ، وعطلوا الحدود ، واستأثروا بالفيء ، وأحلوا حرام الله ، وحرّموا حلاله ، وأنا
أحق من غير ، وقد أتتني كتبكم ، وقدِمْتُ على رسلكم ببيعكم أنكم لا تُسَلِمُونِي^(١)
ولا تُخَذِلُونِي ، فإن تَمَمْتُمْ على بيعكم تُصِيبُوا رُشْدَكُمْ ، وأنا الحسين بن عليّ ، وابن فاطمة
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نفسى مع أنفسكم ، وأهلى مع أهليكم ، فلكم في
أُسْوَةٍ ، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم ، وخلعتم بيعتى من أعناقكم ، فلعمرى ما هى لكم
بُنُكْرٌ^(٢) ؛ لقد فعلتموها بأبى وأخى وابن عمى مسلم ، والمغرور من اغتر بكم ، فحفظكم
أخطائكم ، ونصيبكم ضيقتكم ، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه ، وسيغنى الله عنكم .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

(١) أصله : خذله .

(٢) النكر بضم وبضمتين : المنكر .

۳۵ - خطبته ليلة قتله

وسير إليه ابن زياد عمر بن سعد بن أبي وقاص في أربعة آلاف ، فعدل الحسين إلى كربة بلاء ، وكانت بينهما مقابلات غير مُجَدِيَّة (۱) . فنهض عمر إليه عشية الخميس (۹ من المحرم سنة ۶۱ هـ) فجمع الحسين أصحابه عند قرب المساء فقال :

« أثنى على الله تبارك وتعالى أحسن الثناء ، وأحمدُه كَلَى السَّراءِ والضَّرَّاءِ ، اللهم إني أحمدُك على أن أكرمتنا بالنبوة ، وعلمتنا القرآن ، وفقمتنا في الدين ، وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة ، ولم تجعلنا من المشركين .

أما بعد : فإني لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي ، ولا أهل بيتٍ أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي ، فجزاكم الله عنى جميعاً خيراً إلا وإني أظن يوماً من هؤلاء الأعداء غداً . ألا وإني قد رأيت لكم ، فانطلقوا جميعاً في حلّ ، ليس عليكم من ذمام ، هذا الليلُ قد غَشِيَكُمْ فامخذوه جَمَلاً ، ثم ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي ، ثم تفرقوا في سوادكم ومدائنكم ، حتى يفرّج الله ، فإن القوم إنما يطلبونني ، ولو قد أصابوني لَهَوًا عن طلب غيري . »

(۱) التقى عمر بن سعد والحسين مرارا ثلاثا أو أربعاً ، وكتب عمر بعدها إلى سيّد الله بن زياد : « أما بعد : فإن الله قد أطفأ النائرة ، وجمع الكلمة ، وأصلح أمر هذه الأمة ، هذا حسين قد أعطاني أن يرجع إلى المكان الذي منه أتى ، أو أن نسيره إلى أي ثغر من ثغور المسلمين شئتنا . فيكون رجلاً من المسلمين له مالهم وعليه ما عليهم ، أو أن يأتي يزيد أمير المؤمنين فيضع يده في يده فيرى فيما بينه وبينه رأيه ، وفي هذا لكم رضا وللأمة صلاح » فلما قرأ عبید الله الكتاب قال : هذا كتاب رجل ناصح لأميره مشفق على قومه نعم قد قبلت ، ولكن شمر بن ذي الجوشن ثناء عن القبول ، فكتب إلى عمر بن سعد كتاباً يقول فيه : « أما بعد ، فإني لم أبعثك إلى حسين لتكف عنه ، ولا لتطاوله . ولا لتمنيه السلامة والبقاء ، ولا لتقعد له عندي شافعا ، انظر فإن نزل حسين وأصحابه على الحكم واحتسبوا فابعث بهم إلى سلما ، وإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم ، فإنهم لذلك مستحقون ، فإن قتل حسين فأوط الحليل صدره وظهوره فإنه عاق مشاق قاطع ظلوم . »

۳۶ - رد أهل بيته عليه

فقال له أهل بيته: « لِمَ نَفَعَلُ؟ إِنَّبَقَى بَعْدَكَ؟ لَا أَرَانَا اللَّهُ ذَلِكَ أَبَدًا » فقال الحسين:
« يَا بَنِي عَقِيلِ حَسْبِكُمْ مِنَ الْقَتْلِ بِمَسْلَمٍ ، اذْهَبُوا قَدْ أَذِنْتُ لَكُمْ » قالوا: « فَمَا يَقُولُ
النَّاسُ؟ يَقُولُونَ إِنَّا تَرَكْنَا شَيْخَنَا وَسَيِّدَنَا وَبَنِي عَمومتنا خَيْرَ الْأَعْمَامِ ، وَلَمْ نَرْمِ مَعَهُمْ
بِسَهْمٍ ، وَلَمْ نَطْعَن مَعَهُمْ بِرُمْحٍ ، وَلَمْ نَضْرِبْ مَعَهُمْ بِسَيْفٍ ، وَلَا نَدْرِي مَا صَنَعُوا ، لَا وَاللَّهِ
لَا نَفْعَلُ ، وَلَا كُنْ تَفْدِيكَ أَنْفُسَنَا وَأَمْوَالَنَا وَأَهْلَانَا ، وَنَقَاتِلُ مَعَكَ حَتَّى نَرِدَّ ، وَوَرِدَكَ ،
نَقْبِحُ اللَّهَ الْعَيْشَ بَعْدَكَ . »

۳۷ رد أصحابه

وقام إليه مسلم بن عَوْسَجَةَ الْأَسَدِيُّ فقال:
« أَنَحْنُ نُخَلِّي عَنْكَ وَمَا نَعُذِرُ إِلَى اللَّهِ فِي آدَاءِ حَقِّكَ؟ أَمَا وَاللَّهِ حَتَّى أَكْبِيرَ
فِي صُدُورِهِمْ رِجْحَى ، وَأَضْرِبَهُمْ بِسِيفِي مَا ثَبَتَ قَائِمُهُ فِي يَدِي ، وَلَا أَفَارِقُكَ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ
مَعِيَ سِلَاحُ أَقَاتِلَهُمْ بِهِ ، لَقَدْ قَتَلْتُهُمْ بِالْحِجَارَةِ دُونَكَ حَتَّى أُبَوِّتَ مَعَكَ . »
وقال سعد بن عبد الله الْحَنْفِيُّ: « وَاللَّهِ لَا نُخَلِّيكَ حَتَّى يَعْلَمَ اللَّهُ أَنَّا قَدْ حَفِظْنَا غَيْبَةَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيكَ ، وَاللَّهُ لَوْ عَلِمْتُ أَنِّي أُقْتَلُ ، ثُمَّ أَحْيَا ، ثُمَّ أُحْرَقُ حَيًّا ،
ثُمَّ أُذَرَّ ، يُفَعَّلُ ذَلِكَ بِي سَبْعِينَ مَرَّةً ، مَا فَارَقْتُكَ حَتَّى آتَى رِجَامِي دُونَكَ ، فَكَيْفَ
لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا هِيَ قِتْلَةٌ وَاحِدَةٌ ، ثُمَّ هِيَ الْكِرَامَةُ الَّتِي لَا انْقِضَاءَ لَهَا أَبَدًا . »
وقال زهير بن القين: « وَاللَّهُ لَوْ دِدْتُ أَيْ قُتِلْتُ ، ثُمَّ نُشِرْتُ ^(۱) ، ثُمَّ قُتِلْتُ حَتَّى
أَقْتُلُ كَذَا أَلْفَ قِتْلَةٍ ، وَأَنْ اللَّهُ يَدْفَعُ بِذَلِكَ الْقَتْلَ عَنْ نَفْسِكَ ، وَعَنْ أَنْفُسِ هَؤُلَاءِ الْفَتِيَّةِ
مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ . »

(۱) حبيبت بعد موتي .

وتسکلم جماعة أصحابه بكلام يُشبه بعضه بعضاً في وجه واحد ، فقالوا : « والله لا نفارقك ولكن أنفسنا لك الفداء ، نعيك بنحورنا وجباهنا وأيدينا ، فإذا نحن قُتلنا كُنا وفينا ، وقضينا ما علينا » .

۳۸ - خطبته غداة يوم قتله

وخطب الحسين غداة اليوم الذي استشهد فيه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
« يا عباد الله ، اتقوا الله ، وكونوا من الدنيا على حذر ، فإن الدنيا لو بقيت على أحد ،
أر بقی علیها أحد ، لكانت الأنبياء أحقّ بالبقاء ، وأولى بالرضاء ، وأرضى بالقضاء ،
غير أن الله تعالى خلق الدنيا للفناء ، فجدیدها بال ، ونعيمها مُضمحل ، وسرورها
مُكفهر ، والمنزل تَلعة^(۱) ، والدار قُلة^(۲) ، فَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ،
وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » .

۳۹ - دعاؤه وقد صبحته الخيل

ولما صبحته الخيل رفع يديه فقال :
« اللهم أنت ثقتي في كل كرب ، ورجائي في كل شدة ، وأنت لي في كل أمر
نزل بي ثقةً وعدة ، كم من همّ يضعف فيه الفؤاد ، وتقل فيه الحيلة ، ويخذل فيه
الصدق ، ويشمت فيه العدو ، أنزله بك ، وشكوته إليك ، رغبةً مني إليك
عن سواك ، ففرجته وكشفته ، فأنت ولي كلِّ نعمة ، وصاحب كلِّ حسنة ،
ومنتهى كل رغبة » .

(۱) التلعة : مجرى الماء من أهل الوادي إلى بطون الأرض ، والنزول بالتلعة مخوف ، لأن من نزلها
فهو على خطر إن جاء السيل جرفه . (۲) الدنيا دار قلة : أي انقلاص ، وهو على قلة أي رحلة ، ومنزل
منزل قلة أي ليس بمستوطن ، أو لا تملكه أو لا تدرى متى تتحول عنه .

۴۔ خطبہ و قد دنا منه القوم

ولما دنا منه القوم دعا براحلته فركبها ، ثم نادى بأعلى صوته :

« أيها الناس : اسمعوا قولي ، ولا تُعجلوني حتى أعظكم ، بما لحق لكم علي ، وحتى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم ، فإن قبيلتم عذري ، وصدقتم قولي ، وأعطيتموني النصف ، كنتم بذلك أعمد ، ولم يكن لكم علي سبيل ، وإن لم تقبلوا مني العذر ، ولم تعطوا النصف من أنفسكم . فاجتمعوا أمركم وشر كآءكم ، ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ، ثم أفضوا إلي ولا تنظرون - إن وائي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين » .

فلما سمع أخواته كلامه هذا صحن وبكين وبكى بقاته ، فارتفعت أصواتهن ، فأرسل إليهن أخاه العباس بن علي وعليًا ابنه ، وقال لهما : أشكتاهن ، فاعمرى ليكثرن بكاهن

۴۱۔ خطبة أخرى

فلما سكتن حمد الله وأثنى عليه ، وذكر الله بما هو أهله ، وصلى على محمد صلى الله عليه وعلى ملائكته وأنبيائه ، ثم قال :

« أما بعد : فانسبوني فانظروا من أنا ؟ ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها ، فانظروا هل يحل لكم قتلي ، وانتهاك حرمتي ؟ ألسنت ابن بنت نبيكم صلى الله عليه وسلم وابن وصيه ، وابن عمي وأول المؤمنين بالله ، والمصدق لرسوله بما جاء به من عند الله ؟ أو ليس حمزة سيد الشهداء عم أبي ؟ أو ليس جعفر الشهيد الطيار ذو الجناحين عمي ؟ أو لم يبلغكم قول مستفيض فيكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي ولأخي :

هذان سیدا شبابِ اهل الجنة ؟ فإن صدقتموني بما أقول - وهو الحق - والله ما تعمّدت كذباً مذعلت أن الله يمقت عليه أهله ، وَيَضُرُّ بِهِ مِنْ اخْتِلاقِهِ ، وإن كذبتموني فإن فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم . سألوا جابر بن عبد الله الأنصاري ، أو أبا سعيد الخدري أو سهل بن سعد الساعدي ، أو زيد بن أرقم ، أو أنس بن مالك ، يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لي ولأخي ، أفما في هذا حاجزٌ لكم عن سفك دمي ؟ » .

ثم قال : « فإن كنتم في شك من هذا القول ، أفنشكون أثراً^(۱) ما أنى ابن بنت نبيكم ؟ فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري منكم ، ولا من غيركم ، أنا ابن بنت نبيكم خاصة ، أخبروني أتطلبونني بقتيل منكم قتلته ، أو مال لكم استهلكته ؟ أو بقصاص من جراحة ؟ »

فأخذوا لا يكلمونه ، فنادى يا شبت بن ربهني ، ويا حجار بن أبحر ، ويا قيس بن الأشعث ، ويا يزيد بن الحارث ، ألم تكتبوا إلي أن قد أينت النار ، واخضرت الجناب ، وطمت الجمام ، وإنما تقدم على جندك مجتد ، فأقبل ؟ قالوا لم نفعل ، فقال : سبحان الله بلى ، والله لقد فعلتم ، ثم قال : « أيها الناس : إذ كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلى مأمنى من الأرض » . فقال له قيس بن الأشعث : أولاً تنزل على حكم بني عمك ؟ فإنهم لن يرؤوك إلا ماتحِبُّ ، ولن يصل إليك منهم مكروه . فقال له الحسين : « أنت أخو أخيك ، أتريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل ؟ لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الدليل ، ولا أفرّ إقرار العبيد ، عباد الله ، إنى عذتُ برَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرُجُونِ ، أَعُوذُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُنْكَبِرٍ لَا بُولِينَ يَوْمَ الْحِسَابِ » ، فأقبلوا يزحفون نحوه .

(۱) أثراً منصوب على نزع الخافض ، أي أفنشكون في أثر ، وما زائدة ، وأن ابن بنت نبيكم

يدل من أثراً .

٤٢ - خطبة زهير بن القين

فلما زحفوا قبّله خرج إليهم زهير بن القين على فرس له ذَنُوبٌ ^(١) شاكٍ ^(٢)

في السلاح فقال :

« يا أهل الكوفة ، نذاري لكم من عذاب الله نذاري ، إن حقا على المسلم نصيحة أخيه المسلم ، ونحن حتى الآن إخوة ، وعلى دين واحد ، وملة واحدة ، ما لم يقع بيننا وبينكم السيف ، وأنتم للنصيحة منا أهل ، فإذا وقع السيف انقطعت العِصمة ^(٣) ، وكنا أمة وأنتم أمة ، إن الله قد ابتلانا وإياكم بذرية نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، لينظر ما نحن وأنتم عاملون ، إنا ندعوكم إلى نصرهم ، وخِذلان الطاغية عبّيد الله بن زياد ، فإنكم لا تُدركون منهما إلا بسوء ، عُمرَ سلطانهما كلّه ، أَيَسْمُلانِ أعينكم ^(٤) ، ويقطعان أيديكم وأرجلكم وَيُمَثِّلانِ بكم ، ويرفعانكم على جذوع النخل ، ويقتلان أمثالكم وقراءكم ؛ أمثال حُجْرِ بن عَدِيٍّ ^(٥) وأصحابه ، وهاني بن عروة وأشباهه » .

(١) الذنوب : الفرس الوافر الذنب . (٢) يقال رجل شاك السلاح وشاك في السلاح (بتشديد الكاف فيه) وهو اللابس السلاح التام ، من شك في السلاح أي دخل ، شك فيه (كرد) شكنا أي لبه تماما فلم يدع منه شيئا ، ويقال : رجل شاك السلاح ، وشاكي السلاح ، وشاك في السلاح (كراض) وهو ذو الشوكة والحد في سلاحه ، والشائك : من شك الرجل يشاك شوكا (كنام نوما) أي ظهرت شوكة وحدته - والشوكة : حدة السلاح - والشاكي مقلوب من شاك ، ويقال أيضا رجل شاك السلاح (بضم الكاف) فإن أردت معنى فاعل قلت شك (كراض) وإن أردت معنى فعل (كفرح) قلت شك (بضم الكاف) وهو مثل جرف هار (كراض) وهار (كئار) كما يقال رجل مال ونال (بالضم) من المال والنوال وإنما هو مائل ونائل . (٣) العِصمة : القلادة ، أي تفرقت وحدتنا ، وانفردت عقد جماعتنا .

(٤) سمل عينه : فقأها بحديدة بحمأة .

(٥) هو حجر بن عدى بن جبلة الكندي من كبار الشيعة بالكوفة ، وذلك أن زياد بن أبيه لما جمعت له الكوفة والبصرة بلغه أن حجرا يجتمع إليه الشيعة ويظهرون لمن معاوية والبراءة منه ، فكتب إلى معاوية في أمره فكتب إليه معاوية أن شده في الحديد ثم أحمله إلى ، فشده في الحديد وحمل إلى معاوية ، وأشهد عليه شهردا =

فسبّوه وأثنوا على عبید الله بن زیاد ، ودعّوا له ، وقالوا : والله لا نبرح حتى نقتل صاحبك ومن معه ، أو نبعث به وبأصحابه إلى الأمير عبید الله سلمياً .

فقال لهم : « عباد الله ، إن ولد قاطمة رضوان الله عليها أحق بالود والنصر من ابن سُمَيَّة ، فإن لم تنصروهم ، فأعيدكم بالله أن تقتلوهم ، فخالوا بين هذا الرجل وبين ابن عمه يزيد بن معاوية ، فلمعري إن يزيداً ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين » .

فرماه شمر بن ذى الجوشن بسهم وقال : « اسكت ، اسكت الله نأمتك ^(۱) ، أبرمتنا بكثرة كلامك » فقال له زهير : « يا ابن البوّال على عقبيه ، ما إياك أخاطب ، إنما أنت بهيمة ، والله ما أظنك تحكيم من كتاب الله آيتين ، فأبشّر بالخزى يوم القيامة والعذاب الأليم » فقال له شمر : « إن الله قاتلك وصاحبك عن ساعة » قال : « أفبالموت تخوفنى ؟ فوالله للموت مع أحبّ إلى من الخلد معكم » .

ثم أقبل على الناس رافعاً صوته فقال : « عباد الله ، لا يفرّ منكم من دينكم هذا الجلف الجاني وأشباهه ، فوالله لا تنال شفاعته محمد صلى الله عليه وسلم قوماً هراقوا دماء ذريته وأهل بيته ، وقتلوا من نصرهم ، وذوّبّ عن حرّيمهم » .

فناداه رجل فقال له : « إن أبا عبد الله يقول : « أفبيل ، فلمعري إن كان مؤمن آل فرعون نصح لقومه ، وأبلاغ في الدعاء ، لقد نصّحت لهؤلاء ، وأبلفت لو نفع النصح والإبلاغ » .

— أنه خلع الطامة ، وفارق الجماعة : ولعن الخليفة ، ودعا إلى الحرب والفتنة ، وجمع إليه الجموع يدعو إلى نكث البيعة وخلع معاوية ، وزعم أن هذا الأمر لا يصلح إلا في آل أبي طالب ، وحمل معه كبار أصحابه ، فكانوا أربعة عشر رجلاً ، فلما قدموا على معلوية شفع في بعضهم فخلّ سبيلهم ، وقال رسول معاوية للباقيين إننا قد أمرنا أن نعرض عليكم البراءة من علي واللعن له ، فإن فعلتم تركناكم ، وإن أبيتم قتلناكم ، فأبرهوا من هذا الرجل نخل سبيلكم ، فأبوا وقالوا بل نتولاه ونتبرأ من تبرأ منه ، فقتلوا وقتل حجر وستة معه ، وكان ذلك سنة ۵۱ هـ . (۱) النامة : الصوت .

۴۳ — خطبة الحر بن يزيد

ولما زحف عمر بن سعد قال له الحر بن يزيد : « أصلحك الله : مقاتل أنت هذا الرجل ؟ قال : « إي والله قتالا أيسرُهُ أن تسقط الرؤوس ، وتطيح الأيدي » قال : « أفما لكم في واحدة من الخصال التي عرض عليكم رضا ؟ » قال عمر : « أما والله لو كان الأمر إلى لفعلت ، ولكن أميرك قد أبي ذلك » .

ثم ضرب الحر فرسه ، ولحق بالحسين عليه السلام وانحاز إليه ، واستقدم أمام أصحابه ثم قال :

« أيها القوم : ألا تقبلون من حسين خصلةً من هذه الخصال التي عرض عليكم ، فيعافيتكم الله من حربته وقتاله ؟ قالوا : هذا الأمير عمر بن سعد فكلمه ، فكلمه بمثل ما كلمه به من قبل ، ويمثل ما كلم به أصحابه » فقال عمر : « قد حَصِتْ لو وجدت إلى ذلك سبيلاً فعلت » .

فقال : « يا أهل الكوفة : لِأُمَّمُكُمُ الْهَبْلَ وَالْعَبْرَ^(۱) إِذْ دَعَوْتُمُوهُ ، حَتَّى إِذَا كُمُ اسْلَعْتُمُوهُ^(۲) ، وَزَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ قَاتِلُوا أَنْفُسِكُمْ دُونَهُ ، ثُمَّ عَدَوْتُمْ عَلَيْهِ لِتَقْتُلُوهُ ، أَمْسَكْتُمْ بِنَفْسِهِ ، وَأَخَذْتُمْ بِكَظْمِهِ^(۳) ، وَأَحْطَمْتُمْ بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ . فَفَهَمْتُمُوهُ التَّوْجِعَ فِي بِلَادِ اللَّهِ الْعَرِيضَةِ ، حَتَّى يَأْمَنَ وَيَأْمَنَ أَهْلُ بَيْتِهِ ، وَأَصْبَحَ فِي أَيْدِيكُمْ كَالْأَسِيرِ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا ، وَلَا يَدْفَعُ ضَرًّا ، وَحَلَّأْتُمُوهُ^(۴) وَنَسَاءَهُ^(۵) وَأَصَيْبِيَّتَهُ^(۵) وَأَصْحَابَهُ عَنِ مَاءِ الْفِرَاتِ الْجَارِي ،

(۱) الهبل : الشكل ، هبلته أمه : كفرح شكلته وفقدته ، والعبير والعبير (كسبب وقفل) سخنة في العين

تبيها ، عبرت العين كفرح جرى دمعا ، يقال لأمه الهبل ، ولأمه العبر ، والعبير : دعاء عليه .

(۲) اسلعتموه . (۳) الكظم : مخرج النفس . (۴) حلاه عن الماء تحليتا وتحك : طرده ومنعه .

(۵) مصفر صبغة حل غير قياس .

الذى يشربه اليهودى والمجوسى والنصرانى ، وتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه ، وهام
قد صرعهم العطش ، بثما خلقتم محمداً فى ذريته ، لأسقام الله يوم الظأ إن لم تتوبوا ،
وتنزِعوا عما أنتم عليه ، من يومكم هذا ، فى ساعةكم هذه .

ثم نشب القتال بين الفريقين ، واسمات أصحاب الحسين فى القتال حتى فنوا ، وقتل
الحسين رضوان الله عليه . قتله سنان بن أنس (وكان قتله بالطف^(٦) يوم عاشوراء
سنة ٦١ هـ) وأمر ابن سعد أصحابه أن يوطنوا خيلهم الحسين ، فوطنوه بخيلهم ، ثم حمل
النساء ورأسه إلى يزيد بن معاوية بدمشق .

(تاريخ الطبرى ٦ : ١٨٨ إلى ٢٧٠ ، ومروج الذهب ٢ : ٨٦ ، وزهر الآداب ١ : ٧١) .

(٦) الطف : أرض من ضاحية الكوفة فى طريق البرية ، وقال عبد الله بن الأحمر من قصيدة :

فأضحى « حسين » للرماح دريئة
وغودر سلوباً لدى الطف ثاوريا
فصاربت عنه الشانين الأهاديا
فىاليتنى إذ ذاك كنت شهده
سقى الله قبراً ضمن المجد والتقى
بغربية الطف الغمام القواديا

طلب التوابين بدم الحسين

رضى الله عنه

وفي سنة خمس وستين تحركت الشيعة بالكوفة ، واتعدوا الاجتماع بالثخيلة للمسير إلى أهل الشام للطلب بدم الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وذلك أنهم بعد مقتله تلاقوا بالتلاوم والتندم ، ورأوا أنهم قد أخطئوا خطأ كبيراً بدعائهم إياه إلى النصره وتركهم إجابته ، ومقتله إلى جانبهم لم ينصروه ، ورأوا أنه لا يُغسل عارهم والإثم عنهم في مقتله إلا بقتل من قتله أو القتل فيه وتابوا مما فرط منهم في ذلك « فسموا التوابين » وفزعوا بالكوفة إلى خمة نفر من رموس الشيعة : إلى سليمان بن صرد الخزاعي ، وكانت له صحبة مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وإلى المسيب بن نجبة الفزاري ، وإلى عبدالله بن سعد ابن نفيل الأزدي ، وإلى عبد الله بن وال التيمي ، وإلى ربيعة بن شداد البجلي ، ثم إن هؤلاء نفر اجتمعوا في منزل سليمان بن صرد ، ومعهم أناس من الشيعة وخيارهم ورجوهم ، فبدأ المسيب بن نجبة بالكلام فتكلم :

٤٤ - خطبة المسيب بن نجبة الفزاري

حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

« أما بعد فإننا قد ابتلينا بطول العمر ، والتمرض لأنواع الفتن ، فنرغب إلى ربنا ألا يجعلنا ممن يقول له غدا : (أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ) فإن أمير المؤمنين قال : « العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة » وليس فينا رجل إلا وقد بلغه ، وقد كنا مُفْرَمِينَ بِزَكَاةِ أَنْفُسِنَا ، وتقرِيطِ شَيْعَتِنَا ، حتى

بلا الله أختيارنا ، فوجدنا كاذبين في موطين من مواطن ابن ابنة نبينا صلى الله عليه وسلم ، وقد بلغتنا قبل ذلك كتبه ، وقدمت علينا رسله ، وأعذر إلينا يسألنا نصره عودا وبدءا ، وعلانية وسرا ، فبخلنا عنه بأنفسنا ، حتى قتل إلى جانبنا ، لأنحن نصرناه بأيدينا ولا جادلنا عنه بالسنتنا ، ولا قويناه بأموالنا ، ولا طلبنا له النصره إلى عشائرتنا ؛ فما عذرتنا إلى ربنا ، وعند لقاء نبينا صلى الله عليه وسلم ؛ وقد قتل فينا ولده وحبيبه وذريته ونسله ، لا والله لا عذر دون أن تقتلوا قاتله والموالين عليه ، أو تقتلوا في طلب ذلك ؛ فمسي ربنا أن يرضى عنا عند ذلك ؛ وما أنا بعد لقائه لعقوبته بآمن ، أيها القوم ولوا عليكم رجلا منكم ، فإنه لا بد لكم من أمير تفزعون إليه ، ورأيته تحفون بها ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم .

فبدر^(۱) القوم رفاعه بن شداد بعد المسيب الكلام .

٤٥ - خطبة رفاعه بن شداد

حمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :
 « أما بعد : فإن الله قد هدك لأصوب القول ، ودهوت إلى أرشد الأمور ، بدأت بحمد الله والثناء عليه ، والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ودعوت إلى جهاد الفاسقين وإلى التوبة من الذنب العظيم ، فسموع منك ، مستجاب لك ، مقبول قولك : قلت ولوا أمركم رجلا منكم تفزعون إليه ، وتحفون برأيه ، وذلك رأيي ، قد رأينا مثل الذي رأيت ، فإن تكن أنت ذلك الرجل تكن عندنا مرضيا ، وفينا متفصحا ، وفي جماعتنا محبا ، وإن رأيت (ورأي أصحابنا ذلك) ولينا هذا الأمر شيخ الشيعة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذا السابقة والقدم سايمان بن صرد ، المحمود في بانه ودينه ، والوثوق بحزبه ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم . »

(۱) جبل واستيق .

ثم تكلم عبد الله بن والي ، وعبد الله بن سعد ، فحمدآ ربهما وأثنيا عليه ، وتكلم
بنحو من كلام رفاعة بن شداد ، فذكر المسيب بن نجبة بفضله ، وذكر سليمان
ابن سرد بسابقته ورضاهما بتوايته ، فقال المسيب بن نجبة : « أصبتم ووقتم ، وأنا أرى
مثل الذي رأيتم ، فولوا أمركم سليمان بن سرد » .

٤٦ - خطبة سليمان بن سرد

قال حميد بن مسلم : والله إني لشاهد بهذا اليوم يوم أتوا سليمان بن سرد^(١) وأنا
يومئذ لأكثر من مائة رجل من فرسان الشيعة ووجوههم في داره ، قال : فتكلم سليمان
فشد ، وما زال يردد ذلك القول في كل جمعة حتى حفظته ، بدأ فقال :
« أثنى على الله خيراً ، وأحمد آلاءه وبلائه ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً
رسول الله ، أما بعد : فإني والله لخائف ألا يكون أخرنا إلى هذا الدهر (الذي نكبت
فيه الميثة ، وعظمت فيه الرزية ، وشمل فيه الجور أولي الفضل من هذه الشيعة) لما هو
خير ، إنا كنا نمد أعناقنا إلى قدوم آل نبينا ، ونتمنئهم النصر ، ونحشهم على القدوم ؛
فلما قدموا ونيدنا وعجزنا وأدهنا وتربصنا وانتظرنا ما يكون حتى قتل فينا ولدينا
ولد نبينا وسلآته وعصآرته وبضعة^(٢) من لحمه ودمه ، إذ جعل يستمرخ ويسأل
النصف^(٣) فلا يعطاه ، انخذ الفاسقون غرضاً للنبل ، ودربة^(٤) للرماح ، حتى أقصدوه^(٥)
وعادوا عليه فسلبوه ، ألا انهضوا فقد سخط ربكم ، ولا ترجعوا إلى الحلائل^(٦) والأبناء
حتى يرضى الله ، والله ما أظنه راضياً دون أن تناجزوا من قتله أو تبيروا^(٧) ، إلا لانهابوا

(١) وقد سمي أمير التوابين . (٢) البضعة بالفتح وقد تكسر : القطعة من اللحم .

(٣) الإنصاف . (٤) مهمل عن دريثة ، والدريثة : الحلقة يتلم الطعن والرمي عليها .

(٥) أقصد السهم : أصاب فقتل مكانه ، وأقصد فلانا : طمته فلم يخطه .

(٦) جمع حليلة : وهي الزوجة . (٧) بار يبور بوارا : هلك . وأباره أهلكه ، أي تهلكتوا أنفسكم .

الموت ، فوالله ما هابه امرؤ قط إلا ذل ، كونوا كالأولى من بنى إسرائيل إذ قال لهم نبيهم « إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلك خير لكم عند بارئكم » فما فعل القوم ؟ جنوا على الركب والله ، ومدوا الأعناق ، ورضوا بالقضاء حتى حين علموا أنه لا ينجيهم من عظيم الذنب إلا الصبر على القتل ، فكيف بكم لو قد دعيتم إلى مثل ما دعى القوم إليه ؟ اشحدوا السيوف ، وركبوا الأسنة « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ^(١) » حتى تدعوا وتستنفروا .

٤٧ - خطبة خالد بن سعد بن نقييل

فقام خالد بن سعد بن نقييل فقال : « أما أنا فوالله لو أعلم أن قتلى نفسي يخرجني من ذنبي ، ويرضى عني ربي لقتلتها ، ولكن هذا أمر به قوم كانوا قبلنا ونهينا عنه ، فأشهد الله ومن حضر من المسلمين أن كل ما أصبحت أمليكه سوى سلاحى الذى أقاتل به عدوى صدقة على المسلمين أقوىهم به على قتال القاسطين ^(٢) . »

وقام أبو المعتمر حنش بن ربيعة الكنانى ، فقال : « وأنا أشهدكم على مثل ذلك » فقال سليمان بن سرد : « حسبكم ، من أراد من هذا شيئاً فليأت بالله عبد الله بن وال التيمى تيم بكر بن وائل ، فإذا اجتمع عنده كل ما تريدون إخراجه من أموالكم ، جهزنا به ذرى الخلة ^(٣) والمسكنة من أضياعكم . »

(١) اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله فعال بمعنى مفعول ، أو مصدر سمي به كالمرابطة ، أو جمع ربيط فمیل بمعنى مفعول . (٢) الجائرین ، قسط كجلس قسوطا : جار وعدل عن الحق . (٣) الخلة : الحاجة والفقير ، وفى المثل : « الخلة تدعو إلى السنة بفتح السين أى إلى الاستلال والسرقة .

٤٨ - خطبة سعد بن حذيفة بن اليمان

وكتب سليمان بن صرد إلى سعد بن حذيفة بن اليمان بالمدائن كتاباً يستنهض فيه هم إخوانه هنالك ، ويدعوهم أن يجثوا ويستعدوا ، وضرب لهم غرة ربيع الآخر سنة ٦٥ أجلا يلقونه فيه ، والنخيلة موطننا يوافونه إليه ، فبعث سعد إلى من كان بالمدائن من الشيعة ، فقرأ عليهم كتاب سليمان بن صرد ، ثم إنه حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد فإنكم قد كنتم مجتمعين مُزْمَعِينَ على نصر الحسين ، وقتالِ عدوه ، فلم يَفْجَأْكم أولُ من قتله ، والله مُثِيبُكم على حُسنِ النية ، وما أجمعتم عليه من النصر أحسنَ المشورة ، وقد بعث إليكم إخوانكم يستنجدونكم ويستمدونكم ، ويدعونكم إلى الحق وإلى ما ترجون لكم به عند الله أفضلَ الأجر والحظ ، فماذا ترون ؟ وماذا تقولون ؟ » .

فقال القوم بأجمعهم : « نجيبهم ونقاتل معهم ، ورأينا في ذلك مثل رأيهم » .

٤٩ - خطبة عبد الله بن الحنظل الطائي

فقام عبد الله بن الحنظل الطائي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« أما بعد فإننا قد أجبنا إخواننا إلى ما دعونا إليه ، وقد رأينا مثل الذي قد رأوا ، فسرَّحني إليهم في الخيل » .

فقال له : « رويدا لاتعجل ، استعدوا للعدو ، وأعدوا له الحرب ، ثم نسروا ونسيرون » وكتب سعد إلى ابن صرد بإجابة دعوته ، وأنهم في انتظار أمره .

٥٠ - خطبة عبید اللہ بن عبد اللہ المری

وحدث رجل من مُزبنة قال : « ما رأيت من هذه الأمة أحداً كان أبغ من عبید اللہ بن عبد اللہ المری في منطق ولا عِظة ، وكان من دُعاة أهل المصر زمان سليمان ابن صرد ، وكان إذا اجتمعت إليه جماعة من الناس فوعظهم ، بدأ بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يقول :

أما بعد : فإن الله اصطفى محمداً صلى الله عليه وسلم على خلقه بنبوته ، وخصه بالفضل كله ، وأعزكم باتباعه ، وأكرمكم بالإيمان به ، فحقن به دماءكم المسفوكة ، وآمن به سبلكم المخوفة : « وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا^(١) حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ ، فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » فهل خلق ربكم في الأولين والآخرين أعظم حقاً على هذه الأمة من نبيها ؟ وهل ذرية أحد من النبيين والرسامين أو غيرهم أعظم حقاً على هذه الأمة من ذرية رسولها ؟ لا والله ما كان ولا يكون ، فله أنتم أأم ترؤوا ويبلغكم ما أجترم^(٢) إلى ابن بنت نبيكم ؟ أما رأيتم إلى انتهاك القوم حرمة ، واستضعافهم وخذتته ، وترميلهم^(٣) إياه بالدم ، وتجرارهم^(٤) على الأرض ؟ لم يراقبوا فيه ربهم ولا قرابته من الرسول صلى الله عليه وسلم اتخذوه للنبل غرضاً ، وغادروه للضباع جزراً^(٥) ، فله عينا من رأى مثله والله حسين بن علي ماذا غادروا به ؟ ذا صدق وصبر ، وذا أمانة ونجدة وحزم ، ابن أول المسلمين إسلاماً ، وابن بنت رسول رب العالمين ، قلتُ حنائه ، وكثرتُ عداته^(٥) حوله ، ققتله عدوه وخذله وليه ، فويل للقاتل ، وملامة للغافل ، إن الله لم يجعل لقاتله حجة ، ولا لخاذله معذرة ، إلا أن يُناصح لله في التوبة ، فيجاهد القاتلين ، وينابذ القاسطين ، فعسى الله عند ذلك أن يقبل التوبة ويُقبل العثرة

(١) الشفا : حرف كل شيء . (٢) ارتكب واقترف . (٣) رماه : لطمه بالدم .

(٤) قطما . (٥) العداة : جمع عاد ، وهو العدو .

إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه والطلب بدماء أهل بيته ، وإلى جهاد المُجَلِّين
والمارقين ، فَإِنْ قُتِلْنَا فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ، وَإِنْ ظَهَرْنَا رَدَدْنَا هَذَا الْأَمْرَ إِلَى أَهْلِ
بَيْتِ نَبِيِّنَا » .

قال : « وكان يعيد هذا الكلام علينا في كل يوم حتى حفظه عامتنا » .

* * *

وكان الشيعة بالكوفة منذ قتل الحسين رضي الله عنه (سنة ٦١ هـ) يَجِدُّونَ فِي جَمْعِ
آلَةِ الْحَرْبِ وَالِاسْتِعْدَادِ لِلْقِتَالِ وَدَعَاءِ النَّاسِ فِي السَّرِّ مِنَ الشَّيْعَةِ وَغَيْرِهَا إِلَى الْطَلْبِ بِدَمِهِ
حَتَّى كَثُرَ تَبِعَهُمْ ، وَكَانَ النَّاسُ إِلَى اتِّبَاعِهِمْ بَعْدَ هَلَاكِ يَزِيدَ بْنِ مَعَارِيَةَ (فِي ١٤ ربيع الأول
سنة ٦٤ هـ) أَسْرَعَ مِنْهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ .

وقدم المختار بن أبي عبيد الثقفي الكوفي في النصف من رمضان سنة ٦٤ ، وقد
اجتمعت رؤوس الشيعة ووجوهها مع سليمان بن سرد ، فليس يعدلونه به ، فكان
المختار إذا دعاهم إلى نفسه وإلى الطلب بدم الحسين ، قالت له الشيعة : « هذا سليمان
ابن سرد شيخ الشيعة قد انقادوا له واجتمعوا عليه » فأخذ يقول للشيعة : « إني قد
جئتكم من قبل المهدي محمد بن علي (ابن الحنفية) مؤمناً بأمرنا ، مُنْتَجِباً^(١)
ووزيراً » فزال بهم حتى انشعبت إليه طائفة تُعْظِمُهُ وَتُجِيبُهُ وَتَنْتَظِرُ أَمْرَهُ ، وَعُظْمُ
الشيعة مع سليمان بن سرد .

وقدم عبد الله بن يزيد الأنصاري من قبل عبد الله بن الزبير أميراً على الكوفة على
حربها وتفرها ، وقدم معه إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله التيمي أميراً على خراجها
(وذلك بعد مقدم المختار بثمانية أيام) وكان سليمان بن سرد وأصحابه يريدون أن يذبوا
بالكوفة ، ونمى إلى عبد الله بن يزيد اعتزام الشيعة الخروج ، فخرج حتى صعد المنبر ثم
قام في الناس .

(١) المتجب : المختار .

٥١ - خطبة عبد الله بن يزيد الأنصاري

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد ، فقد بلغني أن طائفة من أهل هذا المصر أرادوا أن يخرجوا علينا ، فسألت عن الذي دعاهم إلى ذلك ما هو ؟ فقيل لي زعموا أنهم يطلبون بدم الحسين بن علي ، فرحم الله هؤلاء القوم ، قد والله دُلِّتُ على أماكنهم ، وأمرت بأخذهم ، وقيل ابدأهم قبل أن يبدؤوك ، فأبيت ذلك ، فقلت إن قاتلوني قاتلتهم ، وإن تركوني لم أطلبهم ، وعظام يقاتلوني ؟ فوالله ما أنا قتلت حيناً ولا أنا من قاتله ، واقد أصبتُ بمقتله رحمة الله عليه ، فإن هؤلاء القوم آمنون ، فليخرجوا ولينتشروا ظاهرين ، ليَسِيرُوا إلى من قاتل الحسين فقد أقبل إليهم ، وأنا لهم على قاتله ظهير^(١) ، هذا ابن زياد قاتلُ الحسين وقَاتِلُ خياركم وأمائلكم ، قد توجه إليكم عهدُ العاهد به^(٢) على مسيرة ليلةٍ من جسر منبج^(٣) ، فقتاله والاستعداد له أولى وأرشد من أن تجعلوا بأسكم بينكم ، فيقتل بعضكم بعضاً ، وبسيفك بعضكم دماء بعض ، فيأقاكم ذلك العدو غداً وقد رَقَّعْتُمْ^(٤) ، وتلك والله أمنيةٌ عدوكم ، وإنه قد أقبل إليكم أعدى خلقِ الله لكم ، مَنْ وُلِيَ عليكم هو وأبوه سبع سنين ، لا يُقِيمَان عن قتل أهل العفاف والدين ، هو الذي قتلكم ، وَمِنْ قَبْلِهِ أُنْتُمْ ، والذي

(١) معين . (٢) وذلك أن عبيد الله بن زياد لما حاجت الفتنة بالبصرة بعد وفاة معاوية الثاني (سنة ٦٤ هـ) لحق بالشام ، وكان مروان بن الحكم قد أراد أن يبائع ابن الزبير لما رأى من إطباق الناس على مبايعته وإجابته له ، وبلغ ابن زياد ذلك ، فقال له : استحييتك عما تريد ، أنت كبير قريش وسيدها تصنع ماتصنعه أو شد من عزيمته حتى نهض في طلب الخلافة وتمت له فبويج بها ، فلما استوثقت له الشام بالطاعة بمش جيشاً إلى العراق عليه ابن زياد ، وجعل له حين وجهه إلى العراق ماغلب عليه ، وأمره أن ينهب للكوكة إذا هو ظفر بأهلها ثلاثاً . (٣) بين حلب والفرات . (٤) ضعفت .

قتل من تشأرون بدمه قد جاءكم ، فاستقبلوه بمدكم وشوكتكم ، واجملوها به ولا تجملوها بأنفسكم ، إني لم آلكم نصحا^(۱) ، جمع الله لنا كلمتنا ، وأصلح لنا أمتنا .

۵۲ - خطبة إبراهيم بن محمد بن طلحة^(۲)

فقال إبراهيم بن محمد بن طلحة :

« أيها الناس : لا يفرّزكم من السيف والفسم^(۳) مقالة هذا المداهن الموادع ؛ والله لئن خرج علينا خارج لقتلنه ، ولئن استيقنا أن قوما يريدون الخروج علينا ، لناخذن الوالد بولده ، والمولود بوالده ، ولناخذن الحميم^(۴) بالحميم ، والعريف^(۵) بما في عرافته ، حتى يدينوا للحق ، ويذأوا للطاعة . »

۵۳ - رد المسيب بن نجبة

فوثب إليه المسيب بن نجبة فقطع عليه منطقه ، ثم قال :

« يا بن الناكثين^(۶) : أنت تهددنا بسيفك وغشمك ؟ أنت والله أذل من ذلك ، إنا لا نلومك على بغضنا وقد قتلنا أباك^(۷) وجدك ، والله إني لأرجو أن لا يخرجك الله من بين ظهراني أهل المصر حتى يملثوا بك جدك وأباك ، وأما أنت أيها الأمير ، فقد

(۱) أي لم أنصركم . (۲) مات سنة عشر ومائة عن أربع وسبعين سنة ، وكان يسمى أسد قريش .

(۳) الظلم ، والمراد هنا القوة والأخذ بالشدة . (۴) حميمك : قريبك الذي تهتم لأمره .

(۵) العريف : رئيس القوم ، سمي لأنه عرف بذلك ، أو النقيب ، وهو دون الرئيس ، عرف

ككرم وضرب عرافة صار عريفا . (۶) يشير إلى ما كان من جده طلحة بن عبيد الله إذ بايع الإمام

علياً ثم فكث بيعته ، وقد اعتذر عن ذلك بأنه بايع والسيف على عنقه . (۷) قتل محمد بن طلحة يوم

الجمل مع أبيه ومعه علي ، فقال هذا رجل قتله بره بأبيه وطاعته .

قلت قولا حديدا ، إني والله لأظن من يريد هذا الأمر^(١) ، مستنصحا لك ،
وقابلا قولك .

فقال إبراهيم بن محمد بن طلحة : « إني والله ليقتنن وقد أذهن ثم أعلن » .

٥٤ - رد عبد الله بن وال التيمي

فقام إليه عبد الله بن وال التيمي ، فقال :

« ما اعتراضك يا أخا بني تميم بن مرة فيما بيننا وبين أميرنا؟ فوالله ما أنت علينا بأمير ،
ولا لك علينا سلطان وإنما أنت أمير الجزية ، فأقبل على خراجك ، فلعمر الله لئن كنت
مفسدا ، ما أفسد أمر هذه الأمة إلا والدك وجدك الناكثان ، فكانت بهما اليدان^(٢)
وكانت عليهما دائرة السوء » .

ثم أقبل المسيب بن نجبة ، وعبد الله بن وال على عبد الله بن يزيد فقالا :

« أما رأيك أيها الأمير فوالله إنا نرجو أن تكون به عند العامة محمودا ، وأن تكون
عند الذي عنيت واعتريت مقبولا » .

ثم نزل عبد الله بن يزيد ودخل .

فلما استهل هلال ربيع الآخر سنة ٦٥ شخص سليمان بن صرد في وجوه أصحابه ،
وقد كان واعد أصحابه عامة للخروج في تلك الليلة للمسكر بالنخيلة ، وأقام بها ثلاثا يبعث
ثقافته من أصحابه إلى من تخلف عنه يذكرهم الله وما أعطوه من أنفسهم ، فقام إليه المسيب
ابن نجبة ، فقال : « رحك الله إنه لا ينفعك الكاره ، ولا يقايل معك إلا من أخرجته

(١) أي الطلب بدم الحسين رضي الله عنه . (٢) تقول العرب : كانت به اليدان ، أي فعل الله به
ما يقوله لي ، ومرقوم من الخوارج يقوم من أصحاب علي وهم يدعون عليهم ، فقالوا : بكم اليدان أي حاق
بكم ما تدعون به وتبسطون أيديكم .

النية ، فلا تنظرون أحدا ، واكش^(١) في أمرك « قال : « فإنك والله لنعمياً رأيت » فقام سليمان بن سرد في الناس متوكئاً على قوس له عربية فقال :

٥٥ - خطبة سليمان بن سرد

« أيها الناس : من كان إنما أخرجته إرادة وجه الله وثواب الآخرة ، فذلك منا ونحن منه ، فرحة الله عليه حيا وميتاً . ومن كان إنما يريد الدنيا وحزنها^(٢) ، فوالله ما أتاني فيئماً نستقيئُهُ ، ولا غنيمة نغنمها ، ما خلا رضوان الله رب العالمين ، وما معنا من ذهب ولا فضة ، ولا خز ولا حرير ، وما هو إلا سيوفنا في عواتقنا ، ورماحنا في أكفنا ، وزاد قدر البلغة^(٣) إلى لقاء عدونا ، فمن كان غير هذا ينوي فلا يصحبنا » .

٥٦ - خطبة صخير بن حذيفة بن هلال

فقام صخير بن حذيفة بن هلال بن مالك المزني فقال :

« آتاك الله رشداً ، ولقائك حجتك ، والله الذي لا إله غيره مالنا خير في حجة من الدنيا همته ونيتة . أيها الناس : إنما أخرجتنا التوبة من ذنوبنا والطلب بدم ابن ابنة نبينا صلى الله عليه وسلم ، ليس معنا دينار ولا درهم ، إنما تقدم على حد السيوف وأطراف الرماح » فتنادى الناس من كل جانب : « إنا لانطلب الدنيا وليس لها خرجنا » .

٥٧ - ما أشار به عبد الله بن سعد

وكان الرأي بادي الأمر أن يسيروا إلى عبيد الله بن زياد ، فقال له عبد الله بن سعد ، وعنده رءوس أصحابه جلوس حوله :

(١) أسرع ، كشر ككرم كاشة فهو كشر (كشهم) وكيش ، أي سريع .

(٢) أي كسبها ومتاعها . (٣) ما يبلغ به .

« إني قد رأيت رأياً ، إن يكن صواباً فاقه وفق ، وإن يكن ليس بصواب فمن قبلي ، فإني ما آلوكم ونفسي نصحاء ، خطأً كان أم صواباً ، إنما خرجنا نطلب بدم الحسين وقتلته الحسين كلهم بالكوفة ، منهم عمر بن سعد بن أبي وقاص ، ودهوس الأرباع^(١) وأشراف القبائل ، فإني نذهب هاهنا وندع الأقتال والأوتار^(٢) ؟ » .

فقال سليمان بن سرد : فاذا ترون ؟ فقالوا : « والله لقد جاء برأى ، وإن ما ذكر لكما ذكر ، والله ما نلتق من قتلة الحسين - إن نحن مضينا نحو الشام - غير ابن زياد ، وما طلبتنا إلا هاهنا بالمصر » .

٥٨ - رأى ابن سرد

فقال سليمان بن سرد : « لكن أنا ما أرى ذلك لكم ، إن الذي قتل صاحبكم ، وعبي الجنود إليه ، وقال لا أمان له عندي دون أن يستسلم فأمضي فيه حكى ، هذا الفاسق ابن الفاسق ، ابن مَرَجَانة ، عبید الله بن زياد ، فسيروا إلى عدوكم على اسم الله ، فإن يظهركم الله عليه ، رجونا أن يكون من بعده أهون شوكة منه ، ورجونا أن يدين لكم من وراءكم من أهل مصركم في عافية ، فتنتظرون إلى كل من شريك في دم الحسين فتقاتلونه ولا تفشيروا^(٣) ، وإن تَشْتَهَدُوا فإنما قاتلم المُجَانين ، وما عند الله خيرٌ للأبرار والصدّيقين ، إني لأحب أن تجعلوا حدكم وشوكتكم بأول المُجِلين القاسطين ، والله

(١) كانت الكوفة مقسمة أربعة أقسام لكل ربع رئيس : ربع تميم وهدان ، وربع ربيعة وكندة ، وربع مذحج وأسد ، وربع أهل المدينة ، (وتقسيم المدينة أرباعاً لا يزال إلى اليوم في بعض بلاد القطر المصري ، وقد كانت مدينة القاهرة قبل اليوم مقسمة ثمانية أقسام كل قسم ثمن ، وصحفتها العامة فقالوا « تمن » ، وأطلق عليه بالتركية قره قول (كراكون) ويحتمل أن يستعمل له كلمة مخفر « ككتب »

(٢) الأقتال : جمع قتل بالكسر ، وهو العدو والمقاتل ، والأوتار : جمع وتر ، الجنابة والثأر ، أي وندع

أعداءنا وذوى ثاراتنا . (٣) غشمه : كضرب ظلمه .

لو قاتلتم غداً أهل مصركم ، ما عدتم رجل أن يرى رجلاً قد قتل أخاه وأباه وحميمه ،
أو رجلاً لم يكن يريد قتله ، فاستخبروا الله وسيروا ۞ فنهياً الناس للشخص .

وبلغ عبد الله بن يزيد ، وإبراهيم بن محمد بن طلحة خروج ابن سرد وأصحابه
فراياً أن يأتياهم ، فخرجا إليهم في جماعة من أصحابهما ، فلما انتهيا إلى ابن سرد دخلا عليه .

۵۹ — خطبة عبد الله بن يزيد

حمد الله عبدُ الله بن يزيد ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« إن المسلم أخو المسلم ، لا يخنونه ولا يَفْشُهُ ، وأنتم إخواننا وأهل بلدنا ، وأحبُّ أهل
مصر خلقه الله إلينا ، فلا تَفْجَمُونَا بأنفسكم ، ولا تستبدوا علينا برأيكم ، ولا تنقصوا عددنا
بمُخْرُوجِكُمْ من جماعتنا ، أقيموا معنا حتى تقيسروا ونهياً ، فإذا علمنا أن عدونا قد شارف
بلدنا ، خرجنا إليهم بجماعتنا فقاتلناهم ۞ .

وتكلم إبراهيم بن محمد بنحو من هذا الكلام .

۶۰ — خطبة سليمان بن سرد

حمد الله سليمان بن سرد وأثنى عليه ، ثم قال لها :

« إني قد علمت أنك قد تحضتاً^(۱) في النصيحة ، واجتهدت في المشورة ، فنحن بالله
وله ، وقد خرجنا لأمر ، ونحن نسأل الله العزيمة على الرشد ، والتسديد لأصوبه ، ولا ترانا
إلا شاخصين ، إن شاء الله ذلك ۞ .

فقال عبد الله بن يزيد : « فأقيموا حتى ننبئ معكم جيشاً كثيراً فتلقوا عدوكم

(۱) محضه الورد وأعضه : أخلصه .

بِكَتْفٍ^(١) ، وَجَمَعَ وَحَدَّثَ « فقال له سليمان : « تنصرفون ونرى فيما بيدنا ، وسيأتكم إن شاء الله رأي » .

وانصرف عبد الله بن يزيد ، وإبراهيم بن محمد إلى الكوفة ، وأجمع القوم على الشخصوس ، واستقبال ابن زياد .

٦١ - خطبة أخرى له

ثم إن سليمان بن مرد قام في للناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أما بعد أيها الناس ، فإن الله قد علم ما تفرون ، وما خرجتم تطالبون ، وإن للدنيا تجاراً ، وللآخرة تجاراً ؛ فأما تاجر الآخرة فساع إلى بها متنصب^(٢) بتطالابها ، لا يشتري بها نمتاً ، لا يرعى إلا قائماً وقاعداً ، وراكعاً وساجداً ، لا يطالب ذهباً ولا فضة ، ولا ديناً ولا لذة ؛ وأما تاجر الدنيا ، فكيب عليها ، رايغ فيها ، لا يبتغي بها بدلاً ، فعليكم (برحمة الله) في وجهكم هذا بطول الصلاة في جوف الليل ، وبذكر الله كثيراً على كل حال ، وتقرّبوا إلى الله جل ذكره بكل خير قدرتم عليه ، حتى تلقوا هذا العدو ، والمحل القاسط فتجاهدوه ، فإنكم لن تتوسلوا إلى ربكم بشيء هو أعظم عنده ثواباً من الجهاد والصلاة ، فإن الجهاد سنام العمل ، جعلنا الله وإياكم من العباد الصالحين المجاهدين الصابرين على الأواء^(٣) وإنا مُدْجِلُونَ^(٤) الآية من منزلنا هذا إن شاء الله فأذبلوا »

فأدلى عشية الجمعة لخمس ماضين من ربيع الآخر سنة ٦٥ للهجرة ، وما زال يسير حتى انتهى إلى عين الورد^(٥) فنزل في غر بيها .

(١) الكتف : الجماعة . (٢) أي قد نصب نفسه طالباً لها ، نصب الشيء : رفته فانتصب وتنصب .

(٣) الشدة . (٤) أدلىج : سار من أول الليل ، فإن سار من آخره فادلىج بالتشديد .

(٥) هي رأس العين : بلدة في وسط الجزيرة .

۶۲ - خطبة أخرى

وأقبل أهل الشام في عساكرهم ، حتى كانوا منها على مسيرة يوم وليلة . قال عبد الله ابن غزيرة ، فقام فينا سليمان فحمد الله فأطال ، وأثنى عليه فأطنب ، ثم ذكر السماء والأرض ، والجبال والبحار وما فيهن من الآيات ، وذكر آلاء الله ونعمه ، وذكر الدنيا فزهد فيها ، وذكر الآخرة فرغب فيها ، فذكر من هذا ما لم أحصيه ، ولم أقدر على حفظه ، ثم قال :

« أما بعد فقد أتاكم الله بعدوكم الذي دأبتم في المسير إليه آباء^(۱) الليل والنهار ، تريدون فيما تظهرون التوبة النصوح ، ولقاء الله مُعذرين ، فقد جاءوكم بل جثموم أنتم في دارهم وحيزهم ، فإذا لقيتموهم فاصدقوهم ، واصبروا إن الله مع الصابرين ، ولا يوليهم امرؤ دبره إلا منحرراً^(۲) لِقِتَالٍ أَوْ مُّحَيِّزًا^(۳) إِلَى فِئَةٍ ، لَا تَقْتُلُوا مُدْبِرًا ، وَلَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ ، وَلَا تَقْتُلُوا أَسِيرًا مِنْ أَهْلِ دَعْوَتِكُمْ^(۴) إِلَّا أَنْ يقاتلكم بعد أن تأسروه ، أَوْ يَكُونَ مِنْ قَتْلِهِ إِخْوَانًا بِالطَّفِّ رَحْمَةً اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، فَإِنْ هَذِهِ كَانَتْ سِيرَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي أَهْلِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ . »

ودارت رحى الحرب بينهم وبين جيوش عبید الله بن زیاد واستشهد في المعركة سليمان بن صرد ، بعد أن قتل من القوم مقتلة عظيمة ، وقتل أيضاً من رهوس أصحابه : المسيب بن نجبة ، وعبد الله بن سعد بن نفيل ، وعبد الله بن والٍ ، فلما رأى من بقي

(۱) آباء الليل : ساعاته واحدها إلى (كباب) أو إلى (كحمل) أو إنو كذلك .

(۲) أي منعطفاً يريد الكر بعد الفر وتغيير العدو ، فإنه من مكابدة الحرب .

(۳) أي منحازاً إلى جماعة على القرب ليستنجد بهم .

(۴) ملتصكم .

من التوابع أن لا طاقة لهم بمن يزايرهم من أهل الشام انمازوا عنهم وارتحلوا ، وعليهم
رفاعة بن شداد البجلي .

(وكان ذلك في ربيع الآخر سنة ٦٥ هـ)^(١) .

٦٣ - خطبة عبد الملك بن مروان

وأنى عبد الملك بن مروان ببشارة الفتح ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
« أما بعد : فإن الله قد أهلك من رهوس أهل العراق مُلقح^(٢) فتنة ، ورأس
ضلالة ، سليمان بن مُرد ، إلا وإن السيوف تركت رأس المسيب بن نجبة خذاريق^(٣) ،
ألا وقد قتل من رهوسهم رأسين عظيمين ضالين مُضايين : عبد الله بن سعد أخا الأزدي ،
وعبد الله بن والٍ أخا بكر بن وائل ، فلم يبق بعد هؤلاء أحدٌ عنده دفاعٌ ولا امتناع » .
(تاريخ الطبري ٧ : ٤٧ - ٤٣ ، ومروج الذهب ٢ : ١١٠)

(١) وقال المسعودي في مروج الذهب : « وقيل إن وقعة الورد كانت في سنة ٦٦ هـ . »

(٢) أصله : من ألقح النخلة ، وألقح الفحل الناقة ، والريح الشجر . (٣) تركت لسيوف رأسه
خذاريق : أي قطع كل قطعة كالخردوف ، والخردوف : كمصفور شيء يدوره الصبي بخيط في يديه فيسمع
له دوى (النحلة) .

طلب المختار بن أبي عبيد الثقفي

بدم الحسين رضى الله عنه

٦٤ - خطبته حين قدم الكوفة

وقدم المختار بن أبي عبيد الثقفي^(١) الكوفة في النصف من رمضان سنة ٦٤ هـ ،
فأتاه بعض الشيعة ليلاً ، فسأله عن أمر الناس ، وعن حال الشيعة ، فقالوا له : إن الشيعة
قد اجتمعت لسليمان بن صرد الخزاعي ، وإنه إن يلبث إلا يسيراً حتى يخرج .
فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

(١) هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي ، وقد قدمنا في الجزء الأول أن أول ما عمل به عمر بن الخطاب
رضي الله عنه حين ولي الخلافة أن ندب الناس مع المشي بن حارثة الشيباني لقتال أهل فارس ، وجعل ينتدبهم
ثلاثة أيام ، فلا ينتدب أحد إلى فارس ، فلما كان اليوم الرابع عاد فندب الناس ، فكان أول منتدب أبو عبيد
ابن مسعود والد المختار ، ولم يكن المختار في تشييعه لآل علي بالمخلص ، وكانت الشيعة تنقم عليه ما كان منه
في أمر الحسن بن علي رضي الله عنه يوم طعن في مظلم ساباط وحمل إلى المدائن - وكان عم المختار ، وهو سعد
ابن مسعود عاملاً على المدائن - فقال له المختار : هل لك في الغنى والشرف ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : توثق
الحسن وتستأمن به إلى معاوية ، فقال له سعد : عليك لعنة الله ، أثب على ابن بنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأوثقه ! بنس الرجل أنت ، ولما قدم مسلم بن عقيل الكوفة من قبل الحسين رضي الله تعالى عنه نزل دار
المختار فبايعه المختار فيمن بايعه من أهل الكوفة ، وناصحه ودعا إليه ، ثم ظفر ابن زياد بمسلم وقتله ، وأمر
بالمختار فسجن ، وبعث المختار إلى عبد الله بن عمر بالمدينة ، يسأله أن يشفع له عند يزيد بن معاوية - وكانت
صفية أخت المختار تحت عبد الله بن عمر - فكتب ابن عمر إلى يزيد يسأله أن يخلى سبيله ، فشقه فيه ، وخذل
ابن زياد سبيله وأخرجه من الكوفة ، فقدم الحجاز وبايع ابن الزبير ، وقال : حين حاصر مكة جيش
يزيد - وكان تحت إمرة الحسين بن نمير السكوني - وأقام مع ابن الزبير بمد مهلك يزيد حتى قدم الكوفة
في منتصف رمضان سنة ٦٤ هـ .

« أما بعد : فإن المهدي بن الوصي ، محمد بن علي ، بعثني إليكم أميناً ووزيراً ،
وَمُنْتَجِباً وأميراً ، وأمرني بقتال الملحدين ، والطلب بدماء أهل بيته ، والدفع
عن الضعفاء . »

وأقبل يبعث إلى الشيعة ، فيقول لهم : « إني قد جئتكم من قِبَلِ وَلِيِّ الْأَمْرِ ،
وَمَعْدِنِ الْفَضْلِ ، وَوَصِيِّ الْوَصِيِّ ، وَالْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ ، بِأَمْرِ فِيهِ الشِّفَاءُ ، وَكُشْفُ الْغِطَاءِ ،
وَقَتْلُ الْأَعْدَاءِ ، وَتَمَامُ النِّعْمَاءِ . إن سليمان بن صرد يرحمنا الله وإياه ، إنما هو عَشْمَةٌ^(۱)
من العشم ، وَحِفْشٌ^(۲) بَالٍ ، ليس بذي تجربة الأمور ، ولا له علمٌ بالحروب ، إنما
يريد أن يخرجكم فيقتل نفسه ويقتلكم ، إني إنما أعملُ على مِثَالِ قَدَمِ مِثَلِي ، وأمر
قد بُيِّنَ لِي ، فيه عزٌّ وليكم ، وَقَتْلُ عَدُوِّكُمْ ، وَشِفَاءُ صُدُورِكُمْ ، فاسمعوا مني قولي ،
وأطيعوا أمري ، ثم أبشروا وتباشروا ، فإني لكم بكل ما تأملون خيرٌ زعيم . »

فما زال بهذا القول ونحوه ، حتى استمال طائفة من الشيعة ، وَعُظْمُهُمْ يَوْمَئِذٍ مَعَ
سليمان بن صرد ، فلما خرج ابن صرد نحو الجزيرة ، خاف عبد الله بن يزيد الأنصاري
— أمير الكوفة من قبل ابن الزبير — أن يثب المختار عليه ، فزجَّه في السجن .

(تاريخ الطبري ۷ : ۶۴)

٦٥ — ما كان يردده على زائريه في سجنه

وكان يردُّ على زائريه في سجنه هذا القول :

« أَمَا وَرَبِّ الْبِحَارِ ، وَالْدَخِيلِ وَالْأَشْجَارِ ، وَالْمَهَامَةِ^(۳) وَالْقِفَارِ ، وَالْمَلَائِكَةِ الْأَبْرَارِ ،

(۱) العشمة : الشيخ الفاني للذكر والأنثى أو المتقارب الخطو المنحنى الظهر ، وكان عمر بن صرد حين
قتل ٩٣ سنة . (۲) الحفش : الشيء البالي ، والجوايق العظيم البالي ، وما كان من أسقاط الآنية كالقوارير
وغيرها ، وأحفاش البيت : وذال متاعه .

(۳) المهامة : جمع مهمه كجعفر ، وهو البلد المقفر ، والمفازة البعيدة .

والمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ ، لِأَقْتَانٍ كُلِّ جَبَّارٍ ، بِكُلِّ لَدْنٍ خَطَّارٍ^(١) ، وَمُهَنْدٍ بَبَّارٍ^(٢) ،
 فِي جُوعٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ، لَيْسُوا بِمَيْلٍ أُنْغَمَارٍ^(٣) ، وَلَا بِعُزْلِ^(٤) أَشْرَارٍ ، حَتَّى إِذَا أَقْتُ
 عَمُودَ الدِّينِ ، وَرَأَبْتُ شَعْبَ^(٥) صَدْعِ الْمُسْلِمِينَ ، وَشَفَيْتُ غَلِيلَ صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ ،
 وَأَدْرَكْتَ بَثَارَ النَّبِيِّينَ ، لَمْ يَكْبُرْ عَلَيَّ زَوَالُ الدُّنْيَا ، وَلَمْ أَحْفَلِ بِأَمُوتِ إِذَا آتَى .

ثم خلى عبد الله بن يزيد سبيله ، بشفاعته عبد الله بن عمر فيه ، واختلفت إليه
 الشيعة بعد خروجه من السجن ، واجتمعت عليه ، واتفق رأيها على الرضا به ، ولم يزل
 أصحابه يكثرون ، وأمره يقوى ويشدد ، حتى عزل ابن الزبير عبد الله بن يزيد عن الكوفة
 وولى عليها عبد الله بن مطيع العدوي . (تاريخ الطبري ٧ : ٦٥)

٦٦ - خطبة عبد الله بن مطيع العدوي حين قدم الكوفة

وقدم عبد الله بن مطيع العدوي الكوفة (لخمس بقين من رمضان سنة ٦٥) فصعد
 المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال :

« أما بعد : فإن أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير بعثني على مِصْرِكُمْ وَتُغُورِكُمْ ،
 وَأَمَرَنِي بِجَبَابَةِ فَيْئِكُمْ ، وَأَنْ لَا أُحْمِلَ فَضْلَ^(٦) فَيْئِكُمْ عَنْكُمْ إِلَّا بِرِضَا مِنْكُمْ ، وَوَصِيَّةَ
 عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ الَّتِي أَرَصَى بِهَا عِنْدَ وَفَاتِهِ^(٧) ، وَبَسِيرَةَ عُمَانَ بْنِ عِفَانَ الَّتِي سَارَ بِهَا
 فِي الْمُسْلِمِينَ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْتَقِيمُوا وَلَا تَخْتَلَفُوا ، وَخَذُوا عَلَى أَيْدِي سَفَهَائِكُمْ ، وَإِلَّا تَفَعَلُوا

(١) الرمح اللدن : اللين ؛ وذلك صفة جودة فيه لأن اللدن لا يقصف ، وقد لدن ككرم لدانة ولدونة ،
 والرمح الخطار : أي المهتز ، خطر كضرب خطرانا . (٢) المهند : السيف المطبوع من حديد الهند ،
 والبتر : القطاع . (٣) ميل : جمع أميل ، وهو الجبان ، ومن يميل على السرج في جانب ، ومن
 لا ترس معه أولا سيف أو لارمح ، والأغمار : جمع غمر (مثلت ويحرك) من لم يجرب الأمور .
 (٤) العزل : جمع أعزل ، وهو من لا سلاح معه . (٥) الشعب : الصدع أي الشق ، ومن
 معانيه الإفساد ، وهو المراد هنا ، ورأب الصدع : أصلحه . (٦) الفضل : الزيادة .
 (٧) انظر وصيته للخليفة من بعده . ج ١ : ص ٢٦٣ .

فَلَمَّوْا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَلْمِزُوْنِي ، فَوَاللَّهِ لَأُوقِعَنَّ بِالسَّقِيمِ الْعَاصِي ، وَلَأُقِيمَنَّ دَرَأًا^(۱)
الْأَصْعَرَ^(۲) الْمُرْتَاب .

۶۷ - رد السائب بن مالك الأشعري عليه

فقام إليه السائب بن مالك الأشعري - وهو من رموس أصحاب المختار -

فقال :

« أما أمرُ ابن الزبير إياك ألاّ تحملَ فضلَ فيئنا عنا إلا برضانا ، فإننا نُشهدك
أنا لا نرضى أن تحملَ فضلَ فيئنا عنا ، وأن لا يُقسَمَ إلا فينا ، وأن لا يُسارَ فينا إلا بسيرة
عليّ بن أبي طالب ، التي سار بها في بلادنا هذه ، حتى هلكَ رحمةُ الله عليه ، ولا حاجة
لنا في سيرة عثمان في فيئنا ولا في أنفسنا ، فإنها إنما كانت أثرَةً وَهَوَى ، ولا في سيرة
عمر بن الخطاب في فيئنا ، وإن كانت أهونَ السيرتين علينا ضرّاً ، وقد كان لا يألو
الناسَ خيراً » .

فقال يزيد بن أنس الأسدی : صدق السائب بن مالك وَبَرٌّ ، رأينا مثلُ رأيه ،
وَقَوْلُنَا مثلُ قوله ، فقال ابن مطيع : نسير فيكم بكل سيرة أحببتموها وَهَوَيْتُمُوهَا ،
ثم نزل . فقال يزيد بن أنس : ذهبتَ بفضلها يا سائب ، لا يَعمَدُكَ المسلمون !

(تاريخ الطبري ۷ : ۹۵)

(۱) الدرا : الميل والموج في القناة ونحوها . (۲) الصعر محرّكة : ميل في العنق وانقلاب
في الوجه إلى أحد الشقين ، صعر كفرح فهو أصعر ، وربما كان الإنسان أصعر خلقة ، وصعر خده بالتشديد :
أماله عن الناس إهراضاً وتكبّراً .

۶۸ - خطبة عبد الرحمن بن شريح

وبعث المختار إلى أصحابه ، فأخذ يجمعهم في الدور حوله ، وأراد أن يثب بالكوفة في المحرم ، فجاء رجل منهم يقال له عبد الرحمن بن شريح ، فلقى جماعة من إخوانه ، واجتمعوا في منزل أحدهم ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد ، فإن المختار يريد أن يخرج بنا ، وقد بايعناه ، ولا تدري أرسله إلينا ابن الحنفية أم لا ؟ فانهضوا بنا إلى ابن الحنفية فلنخبره بما قدم علينا به ، وبما دعانا إليه ، فإن رخص لنا في اتباعه اتبعناه ، وإن نهانا عنه اجتنبناه ، فوالله ما ينبغي أن يكون شيء من أمر الدنيا آثر عندنا من سلامة ديننا » .

فقالوا له : أرشدك الله ، فقد أصبت ووفقت ، اخرج بنا إذا شئت ، فأجمع رأيهم على أن يخرجوا إليه ، فلما قدموا عليه بدأ عبد الرحمن بن شريح ، فتكلم :

(تاريخ الطبري ۷ : ۹۶)

۶۹ - خطبة أخرى له

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد : فإنكم أهل بيت خصكم الله بالفضيلة ، وشرّفكم بالنبوة ، وعظّم حقكم على هذه الأمة ، فلا يجهل حقكم إلا مغبون الرأي ، محسوس النصيب ، قد أصبتم بحسين رحمة الله عليه ، عظمت مصيبة ما قد خصكم بها ، فقد عمّ بها المسلمون ، وقد قدم علينا المختار بن أبي عبيد ، يزعم لنا أنه قد جاءنا من تلقائكم ، وقد دعانا إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، والطلب بدماء أهل البيت ، والدفع عن الضعفاء فبايعناه على ذلك ، ثم إننا رأينا أن نأتيك فنذكر لك ما دعانا إليه ، ونندبنا له ، فإن أمرتنا باتباعه اتبعناه ، وإن نهيتنا عنه اجتنبناه » .

ثم تكلموا واحداً واحداً بنحو مما تكلم به صاحبهم وهو يسمع حتى إذا فرغوا .
(تاريخ الطبری ۷ : ۹۶)

۷۰ - خطبة محمد بن الحنفية

حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :
« أما بعد : فأما ما ذكرتم مما خصصنا الله به من فضل ، فإن الله يؤتية من يشاء ،
والله ذو الفضل العظيم ، فله الحمد ، وأما ما ذكرتم من مصيبتنا بحسين ، فإن ذلك كان
في الذكر الحكيم^(۱) ، وهي ملحمة^(۲) كتبت عليه ، وكرامة أهداها الله له ، رفع
بما كان منها درجات قوم عنده ، ووضع بها آخرين ، وكان أمر الله مفعولاً ،
وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، وأما ما ذكرتم من دعاء من دعاكم إلى الطلب بدمائنا ،
فوالله لو ددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه ، أقول قولي هذا وأستغفر الله
لكم . »

فخرجوا من عنده ، وهم يقولون : قد أذن لنا ، قد قال : « لوددت أن الله انتصر لنا
من عدونا بمن شاء من خلقه » ولو كره لقال : « لاتفعلوا » .

(تاريخ الطبری ۷ : ۹۷)

۷۱ - خطبة المختار

وبلغ المختار مخرجهم فشق ذلك عليه ، وخشى أن ياتوه بأمر يُخذل الشيعة عنه ،
فكان يقول :

« إن نفيراً منكم ارتابوا ، وتميئروا وخابوا ، فإن هم أصابوا ، أقبِلوا وأنابوا ، وإن هم

(۱) يريد أنه سبق به قضاء الله تعالى . (۲) الملحمة : الرقعة العظيمة القتل .

كَبَرُوا وَهَابُوا ، وَاَعْتَرَضُوا وَانْجَابُوا^(۱) ، فَقَد تَّبَرُّوا^(۲) وَحَابُوا^(۳) ، وَأَقْبَلَ الْقَوْمَ فَدَخَلُوا
طَى الْمَخْتَارِ ، فَقَالَ لَهُمْ : مَا وَرَاءَكُمْ ؟ قَدْ فُتِنْتُمْ وَارْتَبْتُمْ ، فَقَالُوا لَهُ : قَدْ أَمَرْنَا بِنَصْرَتِكَ ،
فَقَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ! أَنَا أَبُو إِسْحَاقَ ! اجْمَعُوا إِلَى الشَّيْعَةِ ، فَجَمَعَ لَهُ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ مِنْهُ قَرِيبًا
فَقَالَ :

« يَا مَعْشَرَ الشَّيْعَةِ : إِنْ نَفَرًا مِنْكُمْ أَحْبَبُوا أَنْ يَعْلَمُوا مِصْدَاقَ مَا جِئْتُ بِهِ ، فَارْحَلُوا
إِلَى إِمَامِ الْهُدَى ، وَالنَّجِيبِ الْمُرْتَضَى ، ابْنِ خَيْرٍ مِنْ طَشَى^(۴) وَمَشَى ، حَاشَا لِلنَّبِيِّ الْمُجْتَبَى^(۵) ،
فَسَأَلُوهُ عَمَّا قَدِمْتُ بِهِ عَلَيْكُمْ ، فَنَبَّأَهُمْ أَنِّي وَزِيرُهُ وَظَهِيرُهُ ، وَرَسُولُهُ وَخَلِيلُهُ ، وَأَمْرُكُمْ بِانْبِئَانِي
وَطَاعَتِي فِيمَا دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ ، مِنْ قِتَالِ الْمُجَلِّينَ ، وَالطَّلَبِ بِدِمَاءِ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ الْمُصْطَفَيْنَ . »
(تاريخ الطبري ۷ : ۹۷)

۷۳ - خطبة عبد الرحمن بن شريح

فقام عبد الرحمن بن شريح فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أَمَا بَعْدُ : يَا مَعْشَرَ الشَّيْعَةِ فَإِنَّا قَدْ كُنَّا أَحِبِّينَا أَنْ نَسْتَثْبِتَ لَأَنْفُسِنَا خَاصَّةً ، وَجَمِيعِ
إِخْوَانِنَا عَامَّةً ، فَقَدِمْنَا طَى الْمُهْدَى بْنِ طَى ، فَسَأَلْنَا عَنْ حَرْبِنَا هَذِهِ ، وَعَمَّا دَعَانَا إِلَيْهِ
الْمَخْتَارِ مِنْهَا ، فَأَمَرْنَا بِمُظَاهَرَتِهِ وَمَوَازَرَتِهِ ، وَإِجَابَتِهِ إِلَى مَا دَعَانَا إِلَيْهِ ، فَأَقْبَلْنَا طَيِّبَةً أَنْفُسُنَا

(۱) انجابت السحابة : انكشفت ، والمعنى : وإن هم انسلخوا منا وانشقوا علينا .

(۲) تبر ، كقعد ثورا : هلك . (۳) حاب : أثم ، والحبوب بالفتح والضم : الإثم ، وفي الأصل

خابوا ، وأرى أن تكون بالحاء لتقدم كلمة خابوا في أول قوله .

(۴) هكذا في الأصل ، ولم أجد كلمة « طشى » في كتب اللغة ، وفي لسان العرب « تعشى المريض برى »

ولست مناسبة هنا ، وأرى أن العبارة « ابن خير من مشى وطشى » بتأخير طشى ، وأنه إتباع للفعل قبله

انتقوته وثوكيده ، وهو كثير في كلام العرب ، كقولهم : حسن بسن ، وهفريت نفريت ، وعطشان نطشان

وشحج بحج ، وكثير بشير ، وحيك الله وبياك - وإن قيل إن الإتياع لا يكاد يكون بالواو - اقرأ باب

الإتياع في الزهر للسيوطي (۱ : ۲۴۴) وفي الأمل (۲ : ۲۱۱) . (۵) المختار .

منسرحاً صدرنا ، قد أذهب الله منها الشك وَالغِلَّ وَالرَّيْبَ ، واستقامت لنا بصيرتنا
في قتالنا عدونا ، فليبلغ ذلك شاهدكم غائبكم ، واستعدوا وتأهبوا ، ثم جلس .
وقاموا رجلاً فرجلاً فتكلموا بنحو من كلامه ، فاستجملت له الشيعة وحديث^(۱) عليه .
(تاريخ الطبري ۷ : ۹۷)

۷۳ - خطبة المختار في دار إبراهيم بن الأشتر

ومضى المختار في بضعة عشر رجلاً من وجوه أصحابه إلى دار إبراهيم بن الأشتر^(۲)
يدعوه أن ينصره ، فاستأذن عليه فأذن له ، وألقى لأصحابه وسائداً فجلسوا عليها ،
وجلس المختار معه على فراشه ، فقال المختار :
« الحمد لله ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وصلى الله على محمد والسلام عليه ، أما بعد :
فإن هذا كتاب إليك من المهدي محمد بن أمير المؤمنين الوصي ، وهو خير أهل الأرض
اليوم ، وابن خير أهل الأرض كلها قبل اليوم ، بعد أنبياء الله ورسوله ، وهو يسألك أن
تنصرنا وتوازرنا ، فإن فعلت اغتبطت ، وإن لم تفعل فهذا الكتاب حجة عليك ،
وسيفنى الله المهدي محمداً وأولياءه عنك^(۳) ، فبايعه إبراهيم .

(۱) عطفت . (۲) وكان أصحاب المختار قد دعوه أن ينضم إلى زميرتهم فقال : إني قد أجبتكم
إلى ما دعوتوني إليه على أن تولوني الأمر ، فقالوا هذا المختار قد جاءنا من قبل المهدي ، وهو الرسول والمأمور
بالقتال وقد أمرنا بطاعته ، فسكت عنهم ابن الأشتر ، وانصرفوا إلى المختار فأخبروه بما رد عليهم .
(۳) ثم دفع إليه الكتاب ففرض خاتمه وقراه ، فإذا هو « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد المهدي إلى
إبراهيم بن مالك الأشتر ، سلام عليك ، إني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : إني قد بعثت
إليك بوزيري ، وأميني ، ونجيبتي الذي ارتضيت له نفسي ، وقد أمرته بقتال عدوي ، والطلب بدماء أهل بيتي ،
فانضم معي بنفسك وشيرتك ومن أطاعك ، فإنك إن نصرته وأجبت دعوتي ، وساعدت وزيرتي كانت لك
عندي بذلك فضيلة ، ولك بذلك أمانة الخيل ، وكل جيش غاز ، وكل مصر ومنبر وثغر ظهرت عليه فيما بين
الكوفة وأقصى بلاد أهل الشام ، على الوفاء بذلك على عهد الله ، فإن فعلت ذلك فلت به عند الله أفضل ، -
(۶ - جمهرة خطب العرب - ثان)

وجعل المختار وأصحابه يدبرون أمورهم حتى اجتمع رأيهم على أن يخرجوا ليلة الخميس لأربع عشرة من ربيع الأول سنة ۶۶ ، فثاروا بالكوفة ، ونشِبَ القتال بينهم وبين جند ابن مطيع . (تاريخ الطبري ۷ : ۹۸)

۷۴ - خطبة يزيد بن أنس الأسدي

ولما حلت خيل ابن مطيع على أصحاب المختار خطبهم يزيد بن أنس الأسدي محرّضاً، فقال :
« يا معشر الشيعة : قد كنتم تقتلون وتقطع أيديكم وأرجلكم ، وتَسْمَلُ أعينكم ، وترفمون على جذوع النخل ، في حُبِّ أهل بيت نبيكم ، وأنتم مقبضون في بيوتكم وطاعة عدركم ، فما ظنكم بهؤلاء القوم إن ظهرُوا عليكم اليوم ؟ إذن والله لا يدعون منكم عيناً تطرف^(۱) ، وليقتلنكم صبراً^(۲) ، وآتروُنَّ منهم في أولادكم وأزواجكم وأموالكم ما الموت خيرٌ منه ، والله لا ينجيكم منه إلا الصدق والصبر والطمع الصائب في أعينهم ، والضرب الدّراك على هامهم ، فقيسروا للشدة ، وتهيئوا للحملة ، فإذا حركت رابتي مرتين فاحلوا » . (تاريخ الطبري ۷ : ۱۰۴)

۷۵ - خطبة عبد الله بن مطيع

وحل أصحاب المختار على جند ابن مطيع فكشفوهم وهزموهم ، فخرج ابن مطيع فقام في الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

الكرامة ، وإن أبيت هلكت هلاكاً لا تستقبله أبداً ، والسلام عليك ، فلما قضى إبراهيم قراءة الكتاب ، قال : قد كتب إلى ابن الحنفية وقد كتبت إليه قبل اليوم ، فا كان يكتب إلى إلاباسم واسم أبيه ، قال له المختار : إن ذلك زمان وهذا زمان ، قال إبراهيم : فن يعلم أن هذا كتاب ابن الحنفية إلى ؟ فشهد من معه بأنه كتاب ابن الحنفية إليه ، فقال إبراهيم : ابسط يدك أبايعك قبسط المختار يده فبايعه إبراهيم .

(۱) طرف البصر (كضرب) تحرك ، وطرف بصره (كضرب أيضاً) أطبق أحد جفنيه على الآخر .

(۲) قتل صبراً : هو أن يحمس ويرى حتى يموت .

« أيها الناس : إن من أعجب العجب عَجَزَكم عن عصبية منكم ، قليل عددها ،
خبيث دينها ، ضالَّةٌ مُضِلَّةٌ ، اخرجوا إليهم ، فامنعوا منهم حرِّكم ، وقاتلوه عن مصركم ،
وامنعوا منهم فيكم ، وإلا ليشارككم في فيكم من لا حق له فيه ، والله لقد بلغني
أن فيهم خمسمائة رجل من محرِّركم عليهم أمير منهم ، وإنا ذهابُ عزِّكم وسلطانكم ،
وتغيُّرُ دينكم حين يكثرون » . ثم نزل . (تاريخ الطبری ۷ : ۱۰۶)

۷۶ - تحريض ابن الأشتر أصحابه

واستنفر ابن مطيع الناس لقتال المختار وصدَّه ، وأقبل إبراهيم بن الأشتر في أصحابه
فقال لهم :

« قَرَّبُوا خيواكم بعضها إلى بعض ، ثم امشوا إليهم مُضِلِّين^(۱) السيوف ،
ولأيهولنكم أن يقال : جاءكم شَبَثُ بن رَبِيعٍ ، وآلُ عُتَيْبَةَ بن النَّهَّاسِ ، وآلُ الْأَشْعَثِ ،
وآلُ يَزِيدِ بن الْحَارِثِ ، وآلُ فُلانٍ - فسَمِّ بِيوتاتٍ من بيوتات أهل الكوفة - ثم قال :
إن هؤلاء لو قد وجدوا بهم حر السيوف قد انصفوا^(۲) عن ابن مطيع انصفاقاً المِعْزَى
عن الذئب » ثم قال لأصحابه شُدُّوا عليهم ، فِدَا لِكُمْ عَمِي وَخَالِي .

فما لبثهم أن هزموهم ، فركب بعضهم بعضاً ، ومضى بأصحابه في آثارهم حتى دخلوا
السوق والمسجد ، وحصروا ابن مطيع ثلاثاً . (تاريخ الطبری ۷ : ۱۰۷)

۷۷ - خطبة ابن مطيع وهو محصور

فلما اشتد الحصار على ابن مطيع وأصحابه ، أشار عليه شَبَثُ بن رَبِيعٍ أن يخرج
من القصر لا يشعر به أحد ، حتى ينزل منزلاً بالكوفة عند من يستنصحه ، ويثق به ،
ولا يُعْلَمُ بمكانه إلى أن يخرج فيلحق بصاحبه (ابن الزبير) .

(۱) أصلت السيوف : جرده من غده . (۲) انصفق : انصرف .

وفي مساء اليوم الثالث دعا ابن مطيع أصحابه فذكر الله بما هو أهله ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم وقال :

« أما بعد : فقد علمت الذين صنعوا هذا منكم من هم ، وقد علمت إنما هم أراذلكم وسفهاؤكم وطغأكم وأخسأؤكم ، ما عدا الرجل أو الرجلين ، وأن أشرافكم ، وأهل الفضل منكم لم يزالوا سامعين مطيعين مناصحين ، وأنا مبلغ ذلك صاحبى ، ومعلمه طاعتكم وجهادكم عدوه ، حتى كان الله الغالب على أمره ، وقد كان من رأيكم وما أشرتكم به على ما قد علمتم ، وقد رأيت أن أخرج الساعة » .

فقال له شيبث : « جزاك الله من أمير خيراً ، فقد والله عفتت عن أموالنا ، وأكرمت أشرافنا ، ونصحت لصاحبك ، وقضيت الذى عليك ، والله ما كنا لنفارقك أبداً ، إلا ونحن منك فى إذن » فقال : جزاك الله خيراً ، ثم خرج ، وخطى القصر ، وفتح أصحابه الباب ، فقالوا : يا بن الأشر ، آمنون نحن ؟ قال : أنتم آمنون ، فخرجوا فبايعوا المختار .

(تاريخ الطبرى ۷ : ۱۰۸)

۷۸ - خطبة المختار بعد هرب ابن مطيع

وجاء المختار حتى دخل القصر فبات به ، وأصبح أشراف الناس فى المسجد وعلى باب القصر ، وخرج المختار ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، فقال :

« الحمد لله الذى وعد وليه النصر ، وعدوه الخسر ، وجعله فيه إلى آخر الدهر ، وعداً مفعولاً ، وقضاء مقضياً ، وقد خاب من انترى ، أيها الناس : إنه رفعت لنا راية ، ومدت لنا غاية ، فقيل لنا فى الراية أن ارفعوها ولا تَضَوْوها ، وفى الغاية أن أجرؤا إليها ولا تَعْدَوْها ، فسمنا دعوة الداعى ، ومقالة الواعى ، فكم من ناعٍ وناعيةٍ ، لِقَتلى

فی الوَاعِيَةِ^(۱) وَبُعْدًا لِمَنْ طَعَى ، وَأَدْبَرَ وَعَصَى ، وَكَذَّبَ وَتَوَلَّى ، أَلَا فَادْخُلُوا أَيُّهَا النَّاسُ فَبَايَعُوا بَيْعَةَ هَدَى ، فَلَا وَالَّذِي جَعَلَ السَّمَاءَ سَقْفًا مَكْفُورًا^(۲) ، وَالْأَرْضَ فِجَاجًا^(۳) سُبُلًا ، مَا بَايَعْتُمْ بَعْدَ بَيْعَةِ عَلِيٍّ بِنِ ابْنِ طَالِبٍ وَآلِ عَلِيٍّ أَهْدَى مِنْهَا .

ثم نزل ، ودخل عليه أشرف الناس ، فبسط يده وابتدره الناس فبايعوه ، وجعل يقول : تبايعونني على كتاب الله وسنة نبيه ، والطلب بدماء أهل البيت ، وجهاد المعجّين ، والدفع عن الضعفاء ، وقتال من قاتلنا ، وصِلْم من سلمنا ، والوفاء ببيعتنا ، لا نُقياكم ولا نستقبلكم ، فإذا قال الرجل نعم : بايعه .

ثم وثب المختار بمن كان بالكوفة من قتلة الحسين رضي الله عنه والمشايعين على قتله ، فقتل من قدر عليه منهم ، وهرب من الكوفة بعضهم فلم يقدر عليه ، وكان ممن قتلهم عمر بن سعد بن أبي وقاص وابنه ، وبعث برأسيهما إلى محمد بن الحنفية .

(تاريخ الطبرى ۷ : ۱۰۸)

۷۹ - خطبة المختار وقد استنصره ابن الحنفية

ولما كتب محمد بن الحنفية رضي الله عنه إلى المختار يعلمه بما ناله هو ومن معه من ابن الزبير من سجنهم وتوعدهم بالقتل والتحريق بالنار إن لم يبايعوا له^(۴) نادى المختار فى الناس ، وقرأ عليهم الكتاب وقال :

(۱) الواعية : الصراخ على الميت ونعيه (ولا فعل له) والمعنى : كم من ناع وناعية لأناس قتلوا بسبب نعيمهم وصراخهم على من قتل من الحسين وأصحابه ، فهو يستثيرهم لطلب النار من أعدائهم الذين لم يكفهم ما اقترفوه من قتل الحسين وشيعته ، بل ضموا إلى جرمهم أن قتلوا من نعى هؤلاء الشهداء وبكاهم .

(۲) الكفة بالكسر ويضم : حباله الصائد ، وكل مستدر . (۳) الفجاج : جمع فج ، وهو للطريق الواضح الواسع . (۴) وذلك أن محمد بن الحنفية كان قد أبى أن يبايع ابن الزبير إذ كره البيعة لمن لم تجتمع عليه الأمة - وكان ابن الزبير يبغيه ويحمده على أيده وقوته - فحبسه مع أربعة عشر رجلاً من

« هذا كتاب مَهْدِيَّتِكُمْ ، وصريح^(۱) أهل بيت نبيكم ، وقد تُرِكُوا مَحْظُورًا^(۲) عليهم كما يُحْظَرُ على الغنم ، ينتظرون القتل والتحريق بالنار ، في آناء الليل وتارات^(۳) النهار ، واست أبا إسحاق إن لم أنصرهم نصرًا مُؤَزَّرًا^(۴) ، وإن لم أسرِّب إليهم الخليل في إثر الخليل ، كالسَّيْلِ يَتَلَوهُ السَّيْلِ ، حتى يَحْمَلَ بَابِن الكاهلية^(۵) الويلُ » .
(تاريخ الطبري ۷ : ۱۳۶)

بني هاشم في سجن عارم وقال : لتبايعن أو لأحرقنكم ، وأعطى الله عهدا إن لم يبايعوا أن ينفذ فيهم مائة منهم به ، وضرب لهم في ذلك أجلا . فكتب ابن الحنفية إلى المختار مستصرخا ، فوجه إليه جماعة من أصحابه ، وكانوا يسبرون الليل ويكنون النهار ، حتى انتهوا إلى مكة ، وقد أعد ابن الزبير الحطب ليحرقهم ، وكان قد بقي من الأجل يومان . فكسروا سجن عارم واستخرجوا منه ابن الحنفية ومن معه ، وقالوا له : دخل بيننا وبين عدو الله ابن الزبير ، فقال لهم : إني لا أستعمل القتال في حرم الله ، وخرج هو وأصحابه إلى شعب علي .

(۱) الصريح : الخالص من كل شيء . (۲) حظر الشيء وعليه (كقتل) منعه وحجر ، ويقال لما حظر به على الغنم وغيرها لينمها ويحفظها حظيرة . (۳) جمع تارة ، وهي هنا الحين .
(۴) نصر مؤزر : أي بالغ شديد من التأزير وهو التقوية .

(۵) ابن الكاهلية ، هو عبد الله بن الزبير ، والكاهلية أم أبي جده ، فهو عبد الله بن الزبير بن العوام ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب ، والكاهلية أم خويلد بن أسد ، واسمها زهرة بنت عمرو ابن خنثر بن ربيعة بن هلال من بني كاهل بن أسد بن خزيمية ، وروى أن عبد الله بن فضالة بن شريك الوالبي الأسدي - من بني أسد بن خزيمية - أتى ابن الزبير فقال له : « نفدت نفقتي ، ونقبت راحلتي (نقب الحف كفروح : رق) قال : أحضرها فأحضرها ، فقال : أقبِلْ بِهَا أدبر بها ففعل ، فقال : « أرقمها بسبت ، واخصفها بهاب ، وأجد بها يبرد خفها ، وسر البردين تصح » (والسبت كحمل كل جلد مذبوغ . والهاب كقفل : الشعر أو ماغلظ منه أو شعر اللذب أو شعر الخنزير الذي يخرز به ، والبردان بفتح الباء وسكون الراء ، والأبردان : الغداة والعشى) فقال ابن فضالة : إني أتيتك مستحملا ، ولم آتتك مستوصفا ، فلمن الله ناقة حملتني إليك (مستحملا أي طالبا أن تحملي علي ناقة أخرى تمطينها) قال ابن الزبير : « إن وراكها » (وإن هنا حرف جواب بمعنى نعم كأنه إقرار بما قال ، ومثله قول ابن قيس الرقيات :

ويقلن شيب قد ملاك وقد كبرت فقلت إنه)

فانصرف منه ابن فضالة ، وقال فيه شعرا منه قوله :

۸۰ - خطبته وقد شیع ابن الأشتر لقتال عید الله بن زیاد^(۱)

وخرج یشیع^(۲) ابراهیم بن الأشتر حين شخص لقتال عید الله بن زیاد^(۳) فقال للناس:

أقول لفلتی شدوا ركابی
فالی حين أقطع ذات هرق
أجاوز بطن مكة فی سواد
إلی ابن السكاهلیة من معاد

فقال ابن الزبير لما بلغه هذا الشعر : « علم أنها شر أمهات فميرني بها وهي خير عماته » - انظر الأغاني ۱ : ۸ « وشرح ابن أبي الحديد ۴ م : ۴ ص ۴۹۵ » وجمع الأمثال للميداني (۱ : ۷۵) وفيه « فلما بلغ الشعر ابن الزبير قال : لو علم لي أما الأم من عمته لسبني بها » وهذه المناسبة نقول : إن ابن الزبير كان شديد البخل وكان ذلك من أعظم أسباب إخفاقه وانفضاض الناس من حوله ، رووا أنه كان يطعم جنده تمرًا ويأمرهم بالحرب فإذا فروا من وقع السيوف لامهم وقال لهم : أكلمتم تمرى ، وعصيتم أمرى ، فقال بعضهم : ألم تر عهد الله والله غالب على أمره يفي الخلاقة بالتمر

وكسر بعض جنده خمسة أرماع في صدور أصحاب الحجاج ، وكلما كسر رجلاً أعطاه رجلاً ، فشق عليه ذلك ، وقال : خمسة أرماع ! لا يحتمل بيت مال المسلمين هذا . وجاءه أعرابي سائل فرده ، فقال له : لقد أحرقت الرمضاء قديمي ، فقال : بل عليهما يبردا ، (ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۴۸۷) وقدم عليه معن بن أوس بمكة ، فأنزله دار الضيفان - وكان ينزلها الغرباء وأبناء السبيل والضيفان - فأقام يومه لم يطعم شيئاً ، حتى إذا كان الليل جاءهم ابن الزبير بتيس هرم هزيل ، فقال : كلوا من هذا وهم نيف وسبعون رجلاً ، فغضب معن وخرج من عنده ، فأق ابن عباس فقراه وحمله وكساه ، ثم أقى عید الله بن جعفر فأعطاه حتى أرضاه ، وأقام عنده ثلاثاً حتى رحل ، فقال معن في ذلك :

رمانا أبو بكر (وقد طال يومنا)
وقال : اطعموا منه « ونحن ثلاثة
فقلنا له : لا تقربا ، فأمانا
وكن آمننا وارفق بتيسك إنه
بتيس من الشاه الحجازي أعفر
وسبعون إنساناً في اليوم مخبراً
جفان ابن عباس الملا وابن جعفر
له أعنز ينزو عليها ، وأبشر

« الأغاني ج ۱ : ص ۱۵۷ » .

وقال عبد الملك بن مروان : « ما أعلم مكان أحد أقوى على هذا الأمر مني ، وإن ابن الزبير لطويل الصلاة كثير الصيام ، ولكن ابخله لا يصلح أن يكون سائناً » تاريخ الطبري ج ۸ : ص ۵۸ .

(۱) قدمنا لك أن مروان بن الحكم لما تمت له البيعة بعث إلى العراق جيشاً عليه عید الله بن زياد ، وعلمت ما كان من أمره وأمر التوابين من الشيعة بعين الوردية من أرض الجزيرة ثم التقى به ابن الأشتر على شاطئ نهر خازر من أرض الموصل . (۲) وقد خرج بشيعة ماشياً ، فقال له إبراهيم : اركب يا أبا إسحاق ، فقال : إن أحب أن تغبر قدمي في نصرة آل محمد صلى الله عليه وسلم فشيء فرسخين .

(۳) وكان قد دفع إلى قوم من خاصته حماماً بيضاً ضخماً ، وقال : إن رأيتم الأمر لنا فدعواها ، وإن -

« إن استقمتم فبصر الله ، وإن حصتم حيصة^(۱) فإني أجد في مُحْكَم الكتاب ،
وفي اليقين والصواب ، أن الله مؤيدكم بملائكة غضاب ، تأتي في صور الحمام دُورين^(۲)
السحاب . » (الكامل للمبرد ۲ : ۱۶۹)

۸۱ - خطبته وقد سار إليه مصعب بن الزبير

ولما بلغ المختار مسير مُصْعَب بن الزبير إليه من البصرة^(۳) ، قام في أصحابه فحمد الله
وأثنى عليه ، ثم قال :

« يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ، يَا أَهْلَ الدِّينِ ، وَأَعْوَانَ الْحَقِّ ، وَأَنْصَارَ الضَّعِيفِ ، وَشِيعَةَ
الرَّسُولِ ، وَآلَ الرَّسُولِ ، إِنْ فَرَّارَكُمْ الَّذِينَ بَغَوْا عَلَيْكُمْ أَتَوْا أَشْبَاهَهُمْ مِنَ الْفَاسِقِينَ
فَاسْتَفَوْهُمْ عَلَيْكُمْ ، لِيَمْضَحَ^(۴) الْحَقُّ ، وَيَنْتَعَشَ الْبَاطِلُ ، وَيُقْتَلَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ ، وَاللَّهُ
لَوْ تَهْلِكُونَ مَا عُبِدَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ إِلَّا بِالْقَرْمِيِّ^(۵) هَلَى اللَّهُ ، وَاللَّعْنُ لِأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ ،

= رأيت الأمر علينا فأرسلوها ، فلما التقوا كانت على أصحاب إبراهيم الدائرة في أول النهار ، فأرسل أصحاب
المختار الطير ، فصايح الناس : الملائكة ! فتراجعوا واقتتل الناس حتى اختلط الغلام ، وأسرع القتل في
أصحاب ابن زياد ثم انكشفوا ، ووضع السيف فيهم حتى أفنوا ، وقال ابن الأثير : لقد ضربت رجلا على
شاطئ هذا النهر ، فرجع إلى سبني فوجدت منه رائحة المسك ، ورأيت إقداما وجراة فصرعت ، فذهبت يدها
قبل المشرق ورجلاه قبل المغرب : فانظروه فالتسوه فإذا هو عبيد الله بن زياد ، وكان مقتله سنة ۵۶۷ .

(۱) حاص يحيص حيصا : عدل وهرب . (۲) مصغر دون : أي قريبا منه .

(۳) وكان أخوه عبد الله بن الزبير بعثه عليها (سنة ۵۶۷ هـ) بعد عزل القباع منها (والقباع كشجاع
هو الحرث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي أخو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الشاعر) فقدم على مصعب
شيث بن ربيع ، وجاءه أشراف الناس من أهل الكوفة ، وأخبروه بما اجتمعوا له وبما أصيبوا به ، ووثوب
هبيدهم ومواليهم ، وشكوا إليه وسألوه النصر لهم ، والسير إلى المختار معهم .

(۴) مصح كنع : ذهب وانقطع ، والثوب أخلق ، والنبات ولي لون زهره : والغال قصر .

(۵) فرى الكذب كرمي : اختلقه كافتراه .

أنتدبوا^(۱) مع أحر بن شميظ : فإنكم لو قد لقيتموهم لقد قتلتموهم إن شاء الله قتل عاد^(۲) وإرم .

وتزاحف الجندان ، واهزم أصحاب المختار ، وقتل (في رمضان سنة ۶۷)^(۳) .

(تاريخ الطبري ۷ : ۱۴۸)

(۱) انتدب إليه : أسرع . (۲) أي أبدتموهم كما باد هؤلاء .

(۳) قال أبو العباس المبرد في الكامل (۲ : ۱۶۷) وكان المختار لا يوقف له على مذهب كان خارجيا ، ثم صار زبيريا ، ثم صار رافضيا في ظاهره ، وكان يدعى أنه يلهم ضربا من السجاعة لأمر تكون ثم يحتال فيوقمها ، فيقول للناس : هذا من عند الله عز وجل ، فن ذلك قوله ذات يوم : « لَعَنَ أَنْ مَنْ السَّمَاءِ نَارَ دَهْمَاءِ ، فَلْتَحْرِقَنَّ دَارَ أَسْمَاءِ » فذكر ذلك لأسماء بن خارجة ، فقال : أو قد سجع أبو إسحق ؟ هو والله محرق داري ، فتركه والدار وهرب من الكوفة ، وقال في بعض سجمه : « أَمَا وَالَّذِي شَرَعَ الْأَدْيَانَ ، وَجَنَّبَ الْأَوْثَانَ ، وَكَرَّهَ الْعَصِيَانَ ، لِأَنْتَلْنَ أَرْضَ عَمَّانَ ، وَجُلَّ قَيْسِ قَيْلَانَ ، وَنَمِيَا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ، حَاشَا النَّجِيبِ خَلْبِيَانَ » فكان ظبيان النجيب يقول : « لم أزل في عمر المختار أنقلب آتانا » .

وقال ابن هديره في العقد الفريد (۲ : ۲۶۵) : « ثم إن المختار لما قتل ابن مرجانة ، وعمر ابن سعد جعل يتبع قتلة الحسين بن علي ومن خذله فقتلهم أجمعين ، فلما أفناهم دانت له العراق ، ولم يكن صادق النية ، ولا صحيح المذهب ، وإنما أراد أن يتأصل الناس ، فلما أدرك بغيته أظهر للناس قبح نيته ، فادعى أن جبريل ينزل عليه ، ويأتيه بالوحي من الله ، وكتب إلى أهل البصرة « بلغني أنكم تكذبونني وتكذبون رسل ، وقد كذبت الأنبياء من قبل ، ولست بخير من كثير منهم » فلما انتشر ذلك عنه كتب أهل الكوفة إلى ابن الزبير (يعني مصعبا) وهو بالبصرة فخرج إليه ، وبرز إليه المختار فأسلمه إبراهيم بن الأشتر ووجوه أهل الكوفة ، فقتله مصعب وقتل أصحابه » .

وقال الشهرستاني في الملل والنحل (۱ : ۱۵۳) : « ومن مذهب المختار أنه يجوز البده على الله تعالى ، والبده له معان ، البده في العلم وهو أن يظهر له خلاف ما علم ، والبده في الإرادة وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم ، والبده في الأمر وهو أن يأمر بشئ ثم يأمر بعده بخلاف ذلك ، وإنما صار المختار إلى اختيار القول بالبده ، لأنه كان يدعى سلم ما يحدث من الأحوال ، إما بوحى يوحى إليه ، وزما برسالة من قبل الإمام (ابن الحنفية) ، فكان إذا وعد أصحابه بكون شيء وحدث حادثة ، فإن وافق كونه قوله جعله »

۸۲ - خطبة محمد بن الحنفية

يرد على عبد الله بن الزبير وقد تنقص الإمام

خطب ابن الزبير فقال من الإمام على كرم الله وجهه ، فباغ ذلك ابنة محمد ابن الحنفية رضى الله عنه ، فأقبل حتى وضع له كرسى قدامة ، فعلاه وقال :

« يا معشر قريش ، شامت الوجوه ^(۱) ، أبتتقص على وأنتم حضور؟ إن علياً كان سهماً صادقاً ، أحداً مرأى الله على أعدائه ، يقتلهم لكفرهم ، ويهونهم ^(۲) ما كلبهم ، فنقل عليهم ، فرموا بصيرفة الأباطيل ^(۳) ، وأنا معشر له على نهج ^(۴) من أمره بنو الحنيفة ^(۵) من الأنصار ، فإن تكن لنا الأيام دولة نثر عظامهم ، ونحسر ^(۶)

دايلاً على صلتى دعواه ، وإن لم يوافق قال قد بدا نربكم ، وقد تبرأ ابن الحنفية منه حين وصل إليه أنه قد لبس على الناس بأنه من دعائه ورجاله ، وتبرأ من الضلالات التي ابتدعها من التأويلات الفاسدة ، والمخاريق الموهبة ، فن مخاريقه أنه كان عنده كرسى قديم قد غشاه بالديباج وزينه بأنواع الزينة وقال : هذا من ذخائر أمير المؤمنين على عليه السلام ، وهو عندنا بمنزلة التابوت لبني إسرائيل ، فكان إذا حارب خصومه يفضه في براح الصف ، ويقول : قاتلوا ولكم الظفر والنصرة ، وهذا الكرسى محله فيكم محل التابوت في بني إسرائيل وفيه السكينة والبقية ، والملائكة من فوقكم ينزلون مدداً لكم أخذنا من قوله تعالى : « وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُدْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ » ، إن في ذلك لآيةً لكم إن كنتم مؤمنين » ويقال إنه اشتراه بدرهمين من نجار - انظر قصته في تاريخ الطبري (۷ : ۱۴۰) .

(۱) شاه وجهه : قبح . (۲) هوعه ما أكل : قياه إياه . (۳) مؤنث صرف ، والصرف : الخالص من كل شيء ، وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف ، والأباطيل : جمع أبطولة بضم الهمزة أو إبطالة بكسرهما أو هو جمع باطل على غير قياس . (۴) النهج : الطريق الواضح . (۵) الحسبة : الاحتساب (طلب الأجر) في الأعمال الصالحات ، وعند المكروهات هو البدار إلى طلب الأجر وتحميله بالتعلم والصبر ، أو باستعمال أنواع البر والقيام بها على الوجه المرصوم فيها طلباً للثواب المرجو بها . (۶) حسره كنصر وضرب : كشفه .

عن أجسادهم ، والأبدان يومئذ بالية : وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ .
 فعاد ابن الزبير إلى خطبته وقال : « عذرت بني الفواطم يتكلمون ، فما بال
 بني الحنفية ؟ » فقال محمد : « يا ابن أم رومان^(۱) ، ومالي لا أتكلم ؟ أليست فاطمة
 بنت محمد حليّة^(۲) أبي وأمّ إخوتي ؟ أليست فاطمة^(۳) بنت أسد بن هاشم جدّتي ؟
 أليست فاطمة^(۴) بنت عمرو بن عائذ جدة أبي ؟ أما والله لولا خديجة بنت خويلد^(۵)
 ما تركت في بني أسد عظماً إلا هشمته ، وإن نالتني فيه المصائب صبرت . »

(مروج الذهب ۲ : ۱۰۲)

۸۳ - عبد الله بن عباس و معاوية

ودخل عبد الله بن عباس على معاوية وعنده وجوه قريش ، فلما سلم وجلس ،
 قال له معاوية : « إني أريد أن أسألك عن مسائل » قال : « سل عما بدالك » قال :
 « ما تقول في أبي بكر ؟ » قال : « رحم الله أبا بكر ، كان والله للقرآن تالياً ، وعن
 المنكر ناهياً ، وبذنبه عارفاً ، ومن الله خائفاً ، وعن الشبهات زاجراً ، وبالمعروف آمراً ،
 وبالليل قائماً ، وبالنهار صائماً ، فاق أصحابه ورعاً وكفافاً^(۶) ، وسادهم زهداً وعفافاً ،
 فنضب الله على من أبغضه وطمع عليه » قال معاوية : « إيهما^(۷) يا ابن عباس ، فما تقول
 في عمر بن الخطاب ؟ » قال : « رحم الله أبا حفص عمر ، كان والله حليف الإسلام ،

(۱) أم رومان بنت عامر هي زوج أبي بكر رضي الله عنه وأم السيدة عائشة . (۲) زوجته .
 (۳) هي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف أم الإمام علي كرم الله وجهه ، وقد أسلمت بعد هجر
 من المسلمين فكانت الحادي عشر ، وهي أول امرأة بايعت رسول الله صل الله عليه وسلم من النساء .
 (۴) هي فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم أم أبي طالب ، وهي أم عبد الله والد سيدنا محمد
 صل الله عليه وسلم . (۵) هي زوج النبي صل الله عليه وسلم وعمّة الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد .
 (۶) أي رضا بالكفاف ، والكفاف من الرزق : ما كف عن الناس وأغنى . (۷) أمر بالسكوت
 أي حبك .

وماوی الأیتام ، ومنتهی الإحسان ، ومحلّ الإيمان ، وَكَهْفٌ^(۱) الضمفاء ، وَمَعْقِلُ
 الحنفاء^(۲) ، قام بحق الله عز وجل صابراً مُخْتَدِباً^(۳) ، حتى أوضح الدين ، وفتح البلاد
 وَأَمَّنَ العبادَ ، فأعقب الله على من يَنْقُصُهُ اللعنة إلى يوم الدين . قال : « فما تقول
 في عثمان ؟ » قال : « رحم الله أبا عمرو كان والله أكرم الجعدة^(۴) ، وأفضل البررة ،
 هَجَادًا^(۵) بالأسحار ، كثير الدموع عند ذكر النار ، نهأضاً عند كل مكرمة ، سَبَاقًا
 إلى كل منحة ، حَمِيماً أَيْباً وَفِيّاً ، صاحب جيش المُسْرَةِ^(۶) ، وَخَنَّ^(۷) رسول الله
 صلى الله عليه وآله ، فأعقب الله على من يلعنه لعنة اللاعنين ، إلى يوم الدين » قال :
 « فما تقول في علي ؟ » قال : « رضی الله عن أبي الحسن ، كان والله علم الهدى ، وَكَهْفٌ
 التقي ، وَتَحْمِيلُ الْحِجَابِ^(۸) ، وَبِحْرِ النَّدى ، وَطَوْدِ النَّهْيِ^(۹) ، وَكَهْفِ العلاء ، لِلوَرَى داعياً
 إلى المَحَجَّةِ^(۱۰) ، متمسكاً بالعُرْوَةِ الوُثْقِي ، خير من آمن واتقى ، وأفضل من تقمّص
 وارتندي ، وَأَبْرَ من اتعمل وَسَمَى^(۱۱) ، وأفصح من تنفّس وقرا ، وَأَكْثَر من شهيد
 النَّجْوَى - سوى الأنبياء والنبي المصطفى - صاحب القبلتين ، فهل يوازيه أحد ؟
 وأبو السَّبْطَيْنِ^(۱۲) فهل يقارنه بشر ، وزوج خير النّسوان^(۱۳) ، فهل يفوقه قاطن بلد ؟
 لِلأَسُودِ قَتَالَ ، وفي الحروب خَتَالَ^(۱۴) ، لم تر عيني مثله ولن ترى ، فعلى من انتقصه

(۱) الكهف: الملجأ، وكذا المعقل. (۲) جمع حنيف، وهو الصحيح الميل إلى الإسلام الثابت عليه .
 (۳) احتسب بكذا أجرا عند الله : اعتد ينوي به وجه الله . (۴) الكرام ، يقال للكرم :
 جعد يفتح فسكون ، فأما إذا قيل فلان جعد اليدين أو جعد الأنازل فهو البخيل ، وربما لم يذكروا معه اليد .
 (۵) الهجاء والمجود : يفتح الهاء ، والمتجدد : المصل بالليل . (۶) تقدم شرحه في خطبة ذي
 الكلاع الحميري . راجع الجزء الأول ص ۳۴۰ . (۷) أي صهره وقد تزوج السيدة رقية والسيدة
 أم كلثوم ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم . (۸) الحمل في الأصل : شقان على البعير يحمل فيهما
 العديلان ، والحجا : العقل والفظنة . (۹) الطود : الجبل ، والنهى العقل . (۱۰) الطريق الواضح .
 (۱۱) في الأصل «واسما» وهو تحريف . (۱۲) الحسن والحسين رضی الله عنهما، وهما سبطا رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ، (والسبط ولد الولد) . (۱۳) السيدة فاطمة رضی الله عنها .
 (۱۴) خداع ، من الختل : وهو الخداع ، والمراد أنه ذو بصير بالحروب .

لعنة الله والعباد ، إلى يوم التَّناد (۱) » قال : « إيها ابن عباس ، لقد أكرت في ابن عمك » قال : « فما تقول في أبيك العباس ؟ » قال : « رحم الله العباسَ أبا الفضل ، كان صنو (۲) نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وقرّة عين صفيّ الله ، سيد الأعمام ، له أخلاق آباؤه الأجواد ، وأحلام أجداده الأجداد ، تباعدت الأسباب في فضيلته ، صاحب البيت والسقاية والمشاعر (۳) والتلاوة ، ولم لا يكون كذلك ، وقد ساسه أكرم من دب (۴) » فقال معاوية : « ابن عباس ، أنا أعلم أنك كذمانى (۵) أهل بيتك » قال : « ولم لا أكون كذلك ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم فقّههُ في الدين ، وعلمهُ التأويل . » ثم قال ابن عباس بعد هذا الكلام : « يا معاوية ، إن الله جل ثناؤه ، وتقدّست أسماؤه ، خصّ محمداً صلى الله عليه وسلم بصحابة آتروه على الأنفس والأموال ، وبذلوا النفوس دونه في كل حال ، ووصفهم الله في كتابه فقال : (رَحِمَاءٌ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّامًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ، سِيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) ، قاموا بمعالم الدين ، وناصروا الاجتهاد للمسلمين ، حتى نهذبت طرقة ، وقويت أسبابه ، وظهرت آلاء (۶) الله ، واستقرّ دينه ، ووضّحت أعلامه ، وأذل الله بهم الشرك ، وأزال رُوحه ، ومحا دعامه ، وصارت كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، فصلوات الله ورحمته وبركاته على تلك النفوس الزاكية ، والأرواح الطاهرة العالية ، فقد كانوا في الحياة لله أولياء ، وكانوا بعد الموت أحياء أسماء ، رحلوا إلى الآخرة قبل أن يصلوا إليها ، وخرجوا من الدنيا وهم بعد فيها ، فقطع عليه معاوية الكلام ، وقال : إيها ابن عباس ، حديثاً في غير هذا .

(مروج الذهب ۲ : ۸۴)

(۱) يوم القيامة . (۲) الأصل فيه أنه إذا خرج نخلتان أو ثلاث من أصل واحد ، فكل واحدة منهن صنو والاثنان صنوان والجمع صنوان برفع النون . (۳) شعار الحج بالكسر : مناسكه وعلاماته ، والشعيرة والشعارة بالفتح ، والشعر : موضعها ، والشعر الحرام بالمزدلفة . (۴) في الأصل : « من دب » أي مشى والمعنى عليه صحيح ، واسكني أرجح أنه « من أدب » لقوله « وقد ساسه » . (۵) رجل كلماني بسكون اللام وفتحها وكلماني بكسرتين مشددة اللام ، وبكسرتين مشددة الميم وتكلام وتكلامه بكسر فسكون وتشده لهما : جيد الكلام فصيح . (۶) الآلاء : النعم جمع إل (بفتح أوله وكسره) وألو (بفتح أوله) وآل (بفتح ثانيه وفتح أوله أو كسره) .

عبد الله بن عباس ومعاوية أيضا

اجتمعت قريش الشام والحجاز عند معاوية ، وفيهم عبد الله بن عباس ، وكان جريئاً على معاوية حَقَّاراً له^(١) ، فبلغه عنه بعض ما غمّه ، فقال معاوية :

٨٤ - مقال معاوية

رحم الله أبا سفيان والعباس ، كأننا صَفِيَّينِ^(٢) دون الناس ، فَحَفِظْتُ المَيْتَ فِي الحَيِّ ، والحَيِّ فِي المَيْتِ ، اسْتَعْمَلْتُ عَلِيَّ بْنَ عَبَّاسٍ هَلِي البَصْرَةَ ، واسْتَعْمَلْتُ عُبَيْدَ اللَّهِ أَخَاكَ هَلِي المَيْمَنِ ، واسْتَعْمَلْتُ أَخَاكَ^(٣) هَلِي المَدِينَةَ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الأَمْرِ مَا كَانَ ، هَنَأْتِكُمْ^(٤) مَا فِي أَيْدِيكُمْ ، وَلَمْ أَكْشِفْكُمْ عَمَّا وَعَتَ غَرَائِرُكُمْ^(٥) ، وَقَلْتُ آخِذِ اليَوْمَ وَأَعْطِي غَدًا مِثْلَهُ ، وَعَلِمْتُ أَنَّ بَدْءَ اللُّؤْمِ يَضُرُّ بِعَاقِبَةِ الكَرَمِ ، وَلَوْ شِئْتُ لَأَخَذْتُ بِحَلَاقِيمِكُمْ وَقِيَّاتِكُمْ مَا أَكَلْتُمْ ، لَا يَزَالُ يَبْلَغُنِي عَنْكُمْ مَا تَبَرُّكُ لَهُ الإِبِلُ ، وَذُنُوبِكُمْ إِلَيْنَا أَكْثَرَ مِنْ ذُنُوبِنَا إِلَيْكُمْ ، خَذَلْتُمْ عُثْمَانَ بِالمَدِينَةِ ، وَقَتَلْتُمْ أَنْصَارَهُ يَوْمَ الجَلِّ ، وَحَارَبْتُمُونِي بِصِفِّينَ ، وَلَعَصَرِي لَبَنُوتَيْمٍ وَعَدِي^(٦) أَعْظَمُ ذُنُوبًا مَنَّا إِلَيْكُمْ ، إِذْ صَرَفُوا عَنْكُمْ هَذَا الأَمْرَ ، وَسَنُّوا فِيكُمْ هَذِهِ السَّنَّةَ ، فَخُتِي مَتَى أَغْضَى الجَنُودُ هَلِي القَدَى^(٧) ، وَأَسْحَبَ الذَّبُولُ عَلَي الأَذَى ، وَأَقُولُ لَعَلَّ اللَّهَ وَعَسَى ! مَا تَقُولُ يَا بَنَ عَبَّاسٍ ؟

(١) أى كثر التحقير له . (٢) الصق : الحبيب المصافى . (٣) لما جاء عليا الخبير من طلحة والزبير وعائشة أمر على المدينة تمام بن العباس ، وبعث إلى مكة قثم بن العباس (قثم كعمر) وخرج إليهم . (٤) هنأه كنع وضرب : أطعمه وأعطاه . (٥) جمع غرارة بالكسر وهى الجوالق (الشوال) . (٦) يعنى ببني تيم أبا بكر الصديق (وهو من تيم بن مرة بن كعب بن لؤى) ويعنى ببني علي عمر ابن الخطاب (وهو من هدي بن كعب بن لؤى) . (٧) القلى : ما يقع فى العين والشراب .

٨٥ - مقال ابن عباس

فكلم ابن عباس فقال :

رحم الله أبانا وأباك ، كانا صفيين متفاوضين^(١) ، لم يكن لأبي من مال إلا ما فضلَ لأبيك ، وكان أبوك كذلك لأبي ، ولكن من هنا أباك بإخاء أبي أكثر من هنا أبي بإخاء أبيك ، نصر أبي أباك في الجاهلية ، وحقنَ دمه في الإسلام^(٢) ، وأما استعمال عليّ إيانا فلنفسه دون هواه ، وقد استعملت أنت رجلاً لهواك لالنفسك ، منهم ابن الحضرميّ على البصرة فقتلَ ، وبُسر بن أرطاة على اليمن فخان ، وحبيب بن صرة على الحجاز فرُدَّ ، والضحاك بن قيس الفهري على الكوفة فخصبَ ، ولو طلبت ما عندنا وقينا أعراضنا ، وليس الذي يبلغك عنا بأعظم من الذي يبلغنا عنك ، ولو وضع أصغر ذنوبكم إلينا على مائة حسنة لمحقها ، ولو وضع أدنى عذرنا إليكم على مائة سيئة لحسبها ، وأما خذانا عثمان فلو لمنا نصره لنصرناه ، وأما قتلنا أنصاره يوم الجمل ، فعلى خروجهم مما دخلوا فيه ، وأما حربنا إياك بصفين ، فعلى تركك الحق وادعائك الباطل ، وإما إغراؤك إيانا بتيم وعدى فلو أردناها ما غلبونا عليها ، وسكت . (المقد الفريد ٢ : ١١٠)

عبد الله بن عباس ومعاوية أيضا

٨٦ - مقال معاوية لابن عباس

أقبل معاوية يوماً على ابن عباس ، فقال :

« لو وليتمونا ما أنتم إلينا ما أتينا إليكم من الترحيب والتقريب وإعطائكم الجزيل ، وإكرامكم على القليل ، وصبري على ما صبرت عليه منكم ، إني لا أريد أمراً إلا أظنم

(١) التفاوض : الاشتراك في كل شيء والمساواة .
(٢) يشير إلى ما كان من العباس إذ شفع عند النبي عليه الصلاة والسلام في أبي سفيان يوم فتح مكة .

صَدْرَهُ^(۱) ، ولا آتی معروفًا إلا صغرت تم خطرَه^(۲) ، وأعطیکم العطیة فیها قضاء حقوقکم ، فتأخذونها متکارهین علیها ، تقولون قد نقصَ الحقّ دون الأمل ، فأی أمل بعد ألف ألف أعطیها الرجل منکم ، ثم أكون أمرًا بإعطائها منه بأخذها؟ والله ائن انخدعت لکم فی مالی ، وذَلَّتْ لکم فی مرضی ، أری انخداعی کرما ، وذلی حلامًا ، ولو وليتمونا رضینا منکم بالانتصاف ، ولا نسألکم أسوالکم لعلنا بحالکم وحالنا ، ويكون أبغضها إلینا أحبَّها إليکم أن نُعْفِیکم .

۸۷ - مقال ابن عباس

فَقَالَ ابن عباس :

« لو وَلِينَا أَحْسَنًا المَوَاسَاةَ ، وَامْتَنَنَّا بِالْأَثَرَةِ^(۳) ، ثُمَّ لَمْ نَفْشِمِ^(۴) الْحَى ، وَلَمْ نَشْتَمِ المِيتَ^(۵) ، فَلَسْتُمْ بِأَجْوَدَ مِنَّا كُفَاً ، وَلَا أَكْرَمَ أَنفُسًا ، وَلَا أَصَوْنَ لِأَعْرَاضِ المَرُوَّةِ ، وَنَحْنُ وَاللَّهِ أَعْطَى لِلاَآخِرَةِ مِنْكُمْ لِلدُّنْيَا ، وَأَعْطَى فِي الْحَقِّ مِنْكُمْ فِي البَاطِلِ ، وَأَعْطَى عَلَى التَّقْوَى مِنْكُمْ عَلَى المَهْوَى ، وَالْقَسَمُ بِالسُّوْبَةِ وَالْعَدْلِ فِي الرِّعِيَةِ يَأْتِيَانِ عَلَى المَنَى وَالْأَمَلِ ، مَا أَرْضَاكُمْ مِنَّا بِالكِفَافِ ، فَلَوْ رَضِيْتُمْ مِنَّا لَمْ تَرْضَ بِأَنفُسِنَا بِهِ لَكُمْ ، وَالْكَفَافُ رِضَا مَنْ لَاحِقَ لَهُ ، فَلَا تُبَخِّلُونَا^(۶) حَتَّى نَسْأَلُونَا ، وَلَا تَلْفِظُونَا حَتَّى تَذُوقُونَا . »

(المقد الفريد ۲ : ۱۱۱)

(۱) يقال ورد الماء ليستق ثم صدر عنه : أى رجع صدرا « بسكون الدال » وصدورا والاسم منه الصدر « بفتح التين » أى أصدرتم ورددتم واردة ظمان لاريان ، يريد أنهم دائبون على مخالفته في كل أمر ، يرون ضد رأيه . (۲) قدره وشأنه . (۳) استأثر على أصحابه : اختار لنفسه أشياء حسنة والاسم الأثرة ، والمعنى وامتننا أى وتفضلنا وأنعمنا بما استأثر به . (۴) فشمة غشما : ظلمه . (۵) يمرض به في سبه عليا على المنابر . (۶) لا نرمونا بالبخل (بخله بالتحديد : رماه بالبخل ، وأبخله : وجده بخيلا) .

عبد الله بن عباس ومعاوية أيضا

٨٨ - مقال معاوية لبني هاشم

اجتمع بنو هاشم عند معاوية فأقبل عليهم فقال :

« يا بني هاشم : والله إن خيري لكم لمنوح ، وإن بابي لكم لمفتوح ، فلا يقطع خيري عنكم علةً ، ولا يُوَصِّدُ^(١) بابي دونكم مسألةً ، ولما نظرت في أمري وأمركم رأيت أمرا مختلفا ، إنكم لترون أنكم أحق بما في يدي مني ، وإذا أعطيتكم عطية فيها قضاء حقكم قلم أعطانا دون حقنا ، وقصّر بنا عن قدرنا ، فصرتُ كالمسلوب ، والمسلوب لا حمد له ، وهذا مع إنصاف قائلكم ، وإسفاف سائلكم . »

٨٩ - مقال ابن عباس

فأقبل عليه ابن عباس فقال :

« والله ما منحتنا شيئا حتى سألتنا ، ولا فتحت لنا بابا حتى قرعنا ، ولئن قطعت عنا خيرك ، لله أوسع منك ، ولئن أغلقت دوننا بابك لنكفن أنفسنا عنك ، وأما هذا المال فليس لك منه إلا ما رجع من المسلمين ، ولنا في كتاب الله حقان : حق في الفريضة وحق في الفداء . قال الفريضة : ما غلبنا عليه . والفداء : ما اجتبيناه ، ولولا حقنا في هذا المال لم يأتك منا زائر ، يحمه خوف ولا حافر ، أ كفاك أم أزيدك ؟ قال : كفاني فإنك لا تُعزُّ^(٢) ، ولا تُشجُّ^(٣) . » (المقد الفريد ٢ : ١١١)

(١) أي ولا يخلق وفي الأصل « ولا يوجد » وهو تحريف .

(٢) لا تعز أي لا تقلب ، عزه يعزه (كصره) عزا (بالفتح) غلبه وفي الأصل « لا تعز » وهو مصحف .

(٣) شج رأسه : جرحه ، والمراد لا تقلب ولا تهزم .

عبد الله بن عباس ومعاوية أيضا

۹ - مقال معاوية

وقال يوماً معاوية وعنده ابن عباس : « إذا جاءت بنو هاشم ^(۱) بقديها وحديثها ، وجاءت بنو أمية ^(۲) بأحلامها وسياستها ، وبنو أسد ^(۳) بن عبد العزى بوافدها وديانتها ، وبنو عبد الدار ^(۴) بحجابتها ولوائها ، وبنو مخزوم ^(۵) بأموالها وأفعالها ، وبنو تميم ^(۶) بصديقتها وجوادها ، وبنو عدى ^(۷) بفاروقها ومتفكرها ، وبنو سهم ^(۸) بأرائها ودهانها ، وبنو جمع ^(۹) بشرفها وأنوفها ^(۱۰) ، وبنو عامر بن لؤى بفارسها وقريبتها ^(۱۱) ، فن ذا يُجمل مضمارها ، ويجرى إلى غايتها ، ماتقول يا ابن عباس ؟ » .

- (۱) بنو هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة الخ . (۲) بنو أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف . (۳) بنو أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب . (۴) بنو عبد الدار بن قصي ، والحجابه : سدانة البيت الشريف ؛ أى تولى مفاتيحه وخدمته ، واللواء راية يلوونها على ربح وينصبونها علامة للمسكر إذا توجهوا إلى محاربة عدو فيجتمعون تحتها ويقاتلون عندها ، وكان قصي بن كلاب قد ولى البيت الحرام وأمر مكة والحكم بها ، وابتنى دارا بها وهى دار الندوة : وكانت قريش لا تقضى أمرا إلا فيها ، وقد ولد له عبد الدار ، وعبد مناف ، وعبد العزى ، وعبد ، فلما كبر قصي ورق ، قال لابنه عبد الدار - وهو أكبر ولده ، وكان فيما يزعمون ضعيفا ، وكان عبد مناف قد شرف في زمان أبيه ، وذهب كل مذهب وعبد العزى ، وعبد - « أما والله لألحقنك بالقوم وإن كانوا قد شرفوا عليك ، لا يدخل رجل منهم للكعبة حتى تكون أنت تفتحها ، ولا يعقد لقريش لواء الحربم إلا أنت بيدك ، ولا يشرب رجل بمكة ماء إلا من سقايتك ، ولا يأكل أحد من أهل الموسم طعاما إلا من طعامك ، ولا تقطع قريش أمورها إلا فى دارك ، فأعطاه داره دار الندوة ، وأعطاه الحجابه واللواء والندوة والسقاية والرفادة ، (وكانت الرفادة خرجا تخرجه قريش فى كل موسم من أموالها إلى قصي به ، فيصنع طعاما للحاج يأكله من لم يكن له سعة ولا زاد من يحضر الموسم) . (۵) بنو مخزوم بن يقظة (بالتحريك) بن مرة بن كعب بن لؤى . (۶) بنو تميم بن مرة بن كعب بن لؤى . (۷) بنو عدى بن كعب بن لؤى . (۸) بنو سهم ابن هصيص (كزبير) بن كعب بن لؤى ، ومنهم عمرو بن العاص السهمى . (۹) بنو جمع بن هصيص ابن كعب . (۱۰) جمع أنف : وهو السيد . (۱۱) القريع : المقارع .

۹۱ - مقال ابن عباس

قال : « أقول ليس حتى يَفْخَرُونَ بأمرٍ إلا وإلى جنبهم من يشرّكهم إلا قُرَيْشًا ، فإنهم يَفخَرُونَ بالنبوة التي لا يشاركون فيها ، ولا يُساوَوْنَ بها ، ولا يُدْفَعُونَ عنها ، وأشهد أن الله لم يجعل محمداً من قريش إلا وقريش خير البرية ، ولم يجعله في بني عبد المطلب إلا وهم خير بني هاشم ، يريد أن يفخر عليكم إلا بما تفخرون به ، إن بنا فُتِحَ الأمرُ وبنا يُحْتَمَى ، ولك مُلْكٌ مُعَجَّلٌ ، ولنا ملكٌ مُوَجَّلٌ ، فإن يكن ملككم قبل ملكنا ، فليس بعد ملكنا ملك ، لأننا أهل العاقبة ، والعاقبة للمتقين » .

(المقد الفريد ۲ : ۱۱۲)

۹۲ - عبد الله بن عباس ومعاوية أيضا

لما بلغ معاوية نعتي الحسن بن علي رضي الله عنه أظهر الفرح والسرور ، حتى سجد وسجد من كان معه ، فبلغ ذلك عبد الله بن عباس ، وكان بالشام يومئذ ، فدخل على معاوية ، فلما جلس قال معاوية : يا بن عباس هلك الحسن بن علي ، ولم يظهر حزنا ؛ فقال ابن عباس :

« نعم هلك ، إن الله وإنا إليه راجعون ، ترجيماً مُكْرَرًا ، وقد بلغني الذي أظهرت من الفرح والسرور لوفاته ، أما والله ما سدَّ جده حفرتك ، ولا زاد نقصان أجله في عمرك ، ولقد مات وهو خير منك ، ولئن أُصِيبْنَا به لقد أصبنا بمن كان خيراً منه ، جده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخير الله مصيبتك ، وخاف علينا من بعده أحسن الخلافة .

فقال له معاوية : كم كانت سنه ؟ قال : مولده أشهر من أن تُعرَفَ سنه ا قال : أحسبه ترك أولادا صفارا ؟ قال : كلنا كان صغيراً فكبر . ولئن اختار الله لأبي محمد

ما عنده وقبضه إلى رحمة ، لقد أبقى الله أبا عبد الله (يعني الحسين) ، وفي مثله الخلف الصالح ، ثم شهق وبكى ، وبكى من حضر في المجلس ، وبكى معاوية .

(الإمامة والسياسة ۱ : ۱۲۷ ، ومروج الذهب ۲ : ۲ ، والبيان والتبيين ۳ : ۲۲۱)

۹۳ — عبد الله بن عباس وعتبة بن أبي سفيان

قال عتبة بن أبي سفيان لابن عباس : « ما منع أمير المؤمنين أن يبعثك مكان أبي موسى يوم الحكمين ؟ » قال : « منعهُ والله من ذلك حاجز القدر ، وقصر المدة ، ومحنة الابتلاء ، أما والله لو بعثني مكانه لاعترضت له في مدارج نفسه ، ناقضاً لما أبرم ، ومبرماً لما نقض ، أسف^(۱) إذا طار ، وأطير إذا أسف ، ولكن مضى قدر ، وبقى أسف ومع يومنا غد ، والآخرة خير لأمر المؤمنين من الأولى . »

(إعجاز القرآن ۱۲۲ ، وشرح ابن أبي الحديد ۱ : ص ۱۹۵ ، وأمال المرتضى ۱ : ۲۰۷) .

(۱) أسف للطائر : دفا من الأرض في طيرانه .

مخاصمة

بين عبد الله بن عباس وبين معاوية وأصحابه

قال ابن أبي الحديد : « روى المدائني قال : وقد عبد الله بن عباس على معاوية مرة ، فقال معاوية لابنه يزيد . ولزيد بن سميّة . وعُتْبَةَ بن أبي سفيان . ومرّوان بن الحكم . وهرو بن العاص . والمغيرة بن شعبة . وسعيد بن العاص . وعبد الرحمن بن أم الحكم : إنه قد طال العهد بعبد الله بن عباس . وما كان شَجَرَ^(١) بيننا وبينه وبين ابن عمه ، ولقد كان نصّبه للتحكيم فدُفِعَ عنه^(٢) ، فخرّ كوه على الكلام انبلغ حقيقة صفته ، ونقّفَ على كنه معرفته ، ونعرف ما صرف عنا من شَبَا^(٣) حدّه . وووري عنا من دهاء رأيه ، فربما وُصِفَ المرء بغير ما هو فيه . وأعطى من النعت والاسم ما لا يستحقّه . ثم أرسل إلى عبد الله بن عباس . فلما دخل واستقر به المجلس . ابتداء ابن أبي سفيان فقال : يا بن عباس مامن عليا أن يوجّه بك حكما ؟

٩٤ - جواب ابن عباس

فقال : « أما والله لو فعل لقرن عمرًا بصعبًا من الإبل ، يوجع كتفيه مرأسها^(٤) ولأذهلت عقله ، وأجرضته^(٥) بريقه ، وقدحّت في سويداء قلبه ، فلم يُغرم أمرًا ،

(١) شجر بينهم الأمر : تنازعا فيه . (٢) لما رأى على إصرار من قبلوا التحكيم من قومه وتشبههم بقبوله أشار عليهم أن يختاروا ابن عباس أو الأشتر النخعي حكما من قبلهم فأبوا إلا أبا موسى الأشعري . (٣) الشبا : جمع شباة ، وهي حد كل شيء . (٤) أي علاجها وقيادتها . (٥) جرح بريقه كفجر ابتلعه بالجهد على هم ، وأجرضه بريقه : أفضه .

ولم ينفذ تراباً إلا كنت منه برأى ومسمع ، فإن نكته أرمت^(۱) قواه ، وإن أرمه فصمت^(۲) عراه ، بغرب^(۳) مقول لا يفلح حده ، وأصالة رأى كمتاح^(۴) الأجل لاوزر منه ، أضدع^(۵) به أديمه ، وأفلح به شبا حده ، وأشخذ به عزائم المعتز^(۶) ، وأزيح به شبه الشاكين .

۹۵ - مقال عمرو بن العاص

فقال عمرو بن العاص : « هذا والله يا أمير المؤمنين نجوم^(۷) أول الشر ، وأقول آخر الخير ، وفي حسمه قطع مادته ، فبادرته بالحملة ، وانتهز منه الفرصة ، واردع^(۸) بالتفكيك به غيره ، وشرّد به من خلفه . »

۹۶ - جواب ابن عباس

فقال ابن عباس : « يابن النابغة ، ضلّ والله عقلك ، وسفه حلمك ، ونطق الشيطان على لسانك ، هلاً توليت ذلك بنفسك يوم صيفين حين دُعيت نزال^(۸) وتكافح الأبطال ، وكثرت الجراح ، وتقصفت الرماح ، وبرزت إلى أمير المؤمنين مصاولاً ، فأنكفأ نحوك بالسيف حاملاً ، فلما رأيت الكواثر^(۹) من الموت ، أعددت حيلة السلامة

(۱) أرم الحبل : قتله شديداً . (۲) حلت . (۳) الغرب : حد كل شيء ، والمقول : اللسان .
 (۴) من إضافة الصفة للموصوف أي كالأجل المتاح : أي المقدر . والوزر : الملجأ . (۵) أشق ، والأديم : الجلد ، وهو كناية عن غلبته إياه وانتصاره عليه . (۶) في الأصل : المعتز « وقد بحث في كتب اللغة عن مادة « قيز » فلم أجد هذه المادة ، فقلبت الكلمة على الأوجه التي يظن أنها معرفة عنها ، ورجع لدى أنها معرفة من « المعتز » من اعتز : أي تمنى وانفرد ، يريد الذين تنحوا عن الفتنة والنزاع بين علي ومعاوية وكانوا محايدين . (۷) ظهور (مصدر نجم) . (۸) نزال : اسم فعل بمعنى انزل . أي حين قال الأبطال بعضهم لبعض نزال . (۹) جمع كوتر ، وهو الكثير من كل شيء والنهر .

قبل لقائه ، والانكفاء عنه بعد إجابة دعائه ، ففتحته رجاء النجاة عورتك ، وكشفت له خوفَ بأسه سوءتكَ ، حذراً أن يصطلمك^(۱) بسطوته ، أو يذمك بحملته ، ثم أشرت على معاوية كالناصح له بمبارزته ، وحسنت له التعرض لمكافحته ، رجاء أن تكفي مثوته ، وتعدّم صورته ، فلم غلّ صدرك ، وما انحنت عليه من الفئاق أضلّك ، وعرف مقرّ سهمك في غرضك ، فاكفّف غرّب لسانك ، واقمّع عوّراء^(۲) لفظك ، فإنك بين أسد خادر^(۳) ، وبحر زاخر ، إن تبرزت للأسد افترسك ، وإن عُمت في البحر قَمَسَكَ^(۴) .

۹۷ - مقال مروان بن الحكم^(۵)

فقال مروان بن الحكم : « يا بن عباس إنك لتصريف^(۶) بنا بك ، وتُورى نارك ، كأنك ترجو الغلبة ، وتؤمّل العاقبة ، ولولا حلم أمير المؤمنين عنكم ، لتناولكم بأقصر أنامله ، فأوردكم منمّلاً بعيداً صدره^(۷) ، ولعمري لئن سطا بكم لياخذن بعض حقه منكم ، واثن عفا عن جرائمكم لقديم ما نُسب إلى ذلك » .

(۱) اصطلمه : استأصله . (۲) العوراء : الكلمة أو الفعل الفبيحة . (۳) الحدر : أجمة الأسد ومنه قيل أسد خادر . (۴) غمسك وأغرقتك . (۵) هو مروان بن الحكم بن أبي العاص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، ولد بمكة سنة اثنين للهجرة ، واستعمله معاوية على المدينة ومكة والطائف ، وولى الخلافة بعد موت معاوية الثاني سنة ۵۶۴ ومات بالشام في ۳ رمضان سنة ۶۵ ، وكانت ولايته تسعة أشهر وثمانية عشر يوماً . (۶) صرفت البكرة تصرف كضرب صريفاً : صوتت عند الاستقاء ، وهو أيضاً صرير الباب وناب البعير . (۷) الصدر : الرجوع .

۹۸ - جواب ابن عباس

فقال ابن عباس : « وإنك لتقول ذلك يا عدو الله ، وطريد رسول الله ^(۱) صلى الله عليه وسلم ، والمباح دمه ^(۲) ، والداخل بين عثمان ورعيته بما حماه على قطع أوداجه ^(۳) ، وركوب أئباجه ^(۴) ، أما والله لو طلب معاوية ثأره لأخذك به ، ولو نظر في أمر عثمان لوجدك أوله وآخره ، وأما قولك لي : إنك لتصرف بنابك ، وتورى نارك ، فسل معاوية

(۱) يريد « وياطريد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبيك » أو « ويا بن طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم » فإن المحقق أن طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أبوه الحكم بن أبي العاص ، وذلك أنه قدم المدينة بعد الفتح - وكان قد أسلم يوم الفتح - فأخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، وقال : « لاتساكني في بلد أبدا » أوقيته فيه ، قيل : كان يتسمع سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويطلع عليه من باب بيته ، وإنه هو الذي أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفتق عينه بمدري في يده لما أطلع عليه من الباب ، وقيل كان يحكي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيته وبعض حرركاته - وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتكفأ في مشيته - فالتفت يوما فرآه وهو يتخلج في مشيته ، فقال « كن كذلك » فلم يزل يرتدش في مشيته من يومئذ ، وطرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعنه وأبعده حتى صار مشهورا بأنه طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يزل متفيا حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما ولي أبو بكر الخلافة قيل له في الحكم ليرده إلى المدينة ، فقال : « ما كنت لأحل عقده عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم » وكذلك عمر ، فلما ولي عثمان الخلافة - والحكم عمه - رده ، وقال : « كنت قد شفعت فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعدني برده » وقد توفي في خلافة عثمان . أما مروان فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم ، لأنه خرج إلى الطائف طفلا لا يعقل لما نفي النبي أباه - وقد ولد بمكة سنة اثنتين للهجرة - وقيل إنه ولد بالطائف إبان نفي أبيه بها . (۲) أي في فتنه عثمان ، وذلك أن الثوار بعد أن ودا الإمام صل ثأرتهم خرجوا عن المدينة ، ولسكنهم في أثناء رجوعهم ضبطوا غلام عثمان ، ومعه كتاب إلى عامل مصر يأمره فيه بقتلهم ، فعادوا إلى المدينة ثانية وكانوا يعتقدون أن مروان هو الذي كتب ذلك للكتاب ، وقد سألوا عثمان أن يسلم إليهم مروان فأبى أن يسلمه وخشى عليه القتل . (۳) جمع ودج (محرقة) وهو هرق الأضدع الذي يقطعه الذابح ، فلا يبقى معه حياة . (۴) جمع ثبيج (محرقة) وهو ما بين السكاهل إلى الظهر .

وعمرًا يخبرك ليلة الهرب^(۱) كيف ثباتنا للمثلات^(۲) ، واستغفاننا بالمعضلات ، وصدق
جلا دنا عند المصاولة ، وصبرنا على اللأواء^(۳) والمطاولة ، ومصاحفتنا بجباهنا السيوف
المرهفة^(۴) ، ومباشرتنا بنحورنا حدّ الأسنة ، هل خنتنا^(۵) عن كرائم تلك المواقف ؟
أم لم نبذل مهجنا^(۶) للقتال ؟ وليس لك إذ ذاك فيها مقام محمود ، ولا يوم مشهود ،
ولا أثر معدود ، وإنهما شهدا ما لو شهدت لأقلتك ، فازبع على ظلمك^(۷) ، ولا تتعرض
لما ليس لك ، فإنك كالمفروز في صفد^(۸) ، لا يهبط برجل ، ولا يرقا^(۹) بيد .

۹۹ - مقال زياد

فقال زياد : « يا بن عباس : إني لأعلم ، ما منع حسنًا وحسينًا من الوفود معك على
أمير المؤمنين إلا ما سوت لها أنفسهما ، وغرهما به من هو عند البأساء يسليهما^(۱۰) ، وإيم الله
لو وليتهما لأدأبا^(۱۱) في الرحلة إلى أمير المؤمنين أنفسهما ، ولقل بمكانهما كبثهما . »

۱۰۰ - جواب ابن عباس

فقال ابن عباس : « إذن والله يقصر دونهما بأعك ، ويضيق بهما ذراعك ،
ولو رمت ذلك لوجدت من دونهما فئة صدقا صبرا^(۱۲) على البلاء ، لا يخيمون عن اللقاء ،

- (۱) هي ليلة العاشر من صفر سنة ۳۷ ، وفيها حمل جيش عليّ على جيش معاوية في وقعة صفين
حملة هنيئة ، واقتلوا تلك الليلة كلها حتى الصباح ، وأوشك جيش عليّ أن تكون له الغلبة .
(۲) جمع مثلة (كفرقة) من مثلت بالقتيل : إذا نكلت به . (۳) اللأواء : الشدة .
(۴) المرهفة . (۵) خام عنه يخيم : جبن ونكس . (۶) جمع مهجة ، وهي الدم أو الروح .
(۷) ربيع كنع : وقف وانتظر وتحبس ، وتطلع ظلما كنع : غمز في مشيه ، واربع على ظلمك أي أنك ضعيف
فأنت عمالا تطيقه واسكت على ما نيك من عيب . (۸) الصفد : القيد ، وفي الأصل « كالمفروز في صفده »
وأراه « كالمفروز في صفده » . (۹) أي يصعد ويعلو : رقا في الدرجة صعد : يقال رقات ورقيت
(كرضيت) وترك الهمة أكثر . (۱۰) أسله : خذله . (۱۱) أجهدا وأتمبا .
(۱۲) أي ذات صدق وصبر على البلاء أو هو « صدقا صبرا » بضمين جمع صدوق وصبور .

فَلَمَرَ كُوكَ بِكَلَاكِلِهِمْ^(۱) وَوَطِئُوكَ بِمَنَاسِمِهِمْ^(۲) وَأَوْجَرُوكَ^(۳) مَشَقَّ رِمَاحِهِمْ ، وَشِفَارَ^(۴) سِيوفِهِمْ ، وَوَخَزَ أَسِنَّتِهِمْ ، حَتَّى تَشْهَدَ بِسُوءِ مَا أَتَيْتَ ، وَتَتَّبِعِينَ ضِيَاعَ الْحَزْمِ فِيمَا جَنِبْتَ ، فَحَذَارِ حَذَارٍ مِنْ سُوءِ النِّيَّةِ ، فَإِنَّهَا تَرُدُّ الْأُمْنِيَّةَ ، وَتَكُونُ سَبَبًا لِفَسَادِ هَذَيْنِ الْحَيِّينَ بَعْدَ صَلَاحِهِمَا ، وَسَعِيًّا فِي اخْتِلَافِهِمَا بَعْدَ ائْتِلَافِهِمَا ، حَيْثُ لَا يَبْضُرُهَا إِبْسَاسُكَ^(۵) ، وَلَا يُفْنِي عَنْهُمَا إِبْسَاسُكَ .

۱۰۱ - مقال عبد الرحمن بن أم الحكم

فقال عبد الرحمن بن أم الحكم :
« اللَّهُ دَرُّ ابْنِ مُلْجَمٍ^(۶) ، فَقَدْ بَلَغَ الْأَمَلَ ، وَأَمَّنَ الْوَجِلَ ، وَأَحَدُ الشَّفَرَةِ ، وَالْأَنْ الْمُهْرَةَ ، وَأَدْرَكَ الثَّارَ ، وَتَنَى الْعَارَ ، وَفَازَ بِالْمَنْزِلَةِ الْعَلِيَا ، وَرَقِيَ الدَّرَجَةَ الْقُصْوَى . »

۱۰۲ - جواب ابن عباس

فقال ابن عباس :
« أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كَرَّعَ^(۷) كَأْسَ حَتْفِهِ بِيَدِهِ ، وَعَجَّلَ اللَّهُ إِلَى النَّارِ بَرُوحَهُ وَلَوْ أَبَدَى لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ صَفْحَتَهُ ، نَخَالَطُهُ الْفَحْلُ الْقَطِيمُ^(۸) ، وَالسَّيْفُ الْخَلِيمُ ، وَالْأَلْفَقَةُ صَابَا^(۹) ، وَسَقَاهُ سِمَامًا^(۱۰) ، وَأَلْحَقَهُ بِالْوَلِيدِ وَعُتْبَةَ وَحَنْظَلَةَ^(۱۱) ، فَكَلِمَهُمْ كَانَ أَشَدَّ مِنْهُ شَكِيمَةً^(۱۲) ،

(۱) جمع كلل وهو الصدر . (۲) جمع منم (كجلس) وهو خف البحر .

(۳) أوجره الرمح : طعنه به في فيه ، والمشق : سرعة في الطعن والضرب أو هو بمعنى مفعول ، قضيب

مشوق : أي طويل دقيق . (۴) جمع شفرة : وهي حد السيف . (۵) الإبساس : التلطف بالناقاة

وقت حلبها ، بأن يقال لها بس بس (بفتح فسكون) تسكيناً لها . (۶) هو عبد الرحمن بن ملجم المرادى

أمنه الله قاتل الإمام علي . (۷) كرع في الماء : تناوله بفيه من موضعه . (۸) قطم الفحل كفرح

فهو قطم : اشبهى الضراب . (۹) عصارة شجر مر . (۱۰) جمع سم مثلث السبن .

(۱۱) الوليد بن عتبة : خال معاوية ، وعتبة بن ربيعة : جده لأمه ، وحنظلة بن أبي سفيان أخوه ،

وقد قتلهم علي يوم بدر . (۱۲) الشكيمة : الأنفة ، وهو شديد الشكيمة : أي أنف أبي لا ينقاد .

وأَمْضَى عَزِيمَةً ، فَفَرَّى بِالسِّيفِ هَامَمٌ^(١) ، وَرَمَلَهُمْ^(٢) بِدِمَائِهِمْ ، وَقَرَّى الذَّنَابَ
أَشْلَامٌ^(٣) ، وَفَرَّقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَحْبَابِهِمْ ، أَوْلَئِكَ حَصَّبَ^(٤) جَهَنَّمَ لَهَا وَارْدُونَ ، فَهَلْ
تُحْسِثُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا^(٥) ؟ وَلَا غَرْوًا إِنْ خُتِلَ ، وَلَا وَصْمَةً إِنْ قُتِلَ ،
فَإِنَّا لَكَمَا قَالَ دُرَيْدُ بْنُ الصَّعَّةِ :

فَإِنَّا لِلْحَمِّ السِّيفِ غَيْرَ مُكْرَمٍ وَنَلَجِمُهُ طَوْرًا وَلَيْسَ بِنَدَى نُكْرٍ^(٦)
يُنَارُ عَلَيْنَا وَاتْرِينَ قَيْشَتَيْنِي بِنَا إِنْ أَصَبْنَا أَوْ تُغَيِّرُ عَلِيَّ وَتُرٍ^(٧)

١٠٣ - مقال المغيرة بن شعبة

فقال المغيرة بن شعبة :

« أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ أَشْرْتُ عَلَى عَلِيٍّ بِالنَّصِيحَةِ ، فَأَثَّرَ رَأْيَهُ ، وَمَضَى عَلِيٌّ غُلَّوَاهُ^(٨) ،
فَكَانَتِ الْعَاقِبَةُ عَلَيْهِ لِأَهْلِهِ ، وَإِنِّي لِأَحْسِبُ أَنْ خَلْفَهُ يَفْتَدُونَ بِمَنْهَجِهِ . »

١٠٤ - جواب ابن عباس

فقال ابن عباس :

« كَانَ وَاللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَعْلَمَ بِوَجْهِ الرَّأْيِ ، وَمَعَاقِدِ الْحَزْمِ ، وَتَصْرِيْفِ
الْأُمُورِ ، مِنْ أَنْ يَقْبَلَ مَشُورَتَكَ فِيمَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ ، وَعَنْفَ عَلَيْهِ ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :

(١) هام : جمع هامة ، وهي الرأس . (٢) رمل الثوب : لطخه بالدم ، ويجوز أن يكون وزملهم
أي لغهم بدمائهم (على المجاز) . (٣) أشلاء : جمع شلو ، وهو العضو ، وقرى الضيف قرى
(بالكسر) : أضاقه . (٤) الحطب ، وما يرمى به في النار . (٥) الصوت الخنق .
(٦) الحمة : أطمعه اللحم . (٧) الوتر : الثار ، وقد وزره يتره . (٨) الغلواء : الغلوا ،
وذلك أن المغيرة جاء عليا بعد مقتل عثمان ، وقال له : إن النصح رخيص وأنت بقية الناس وأنا لك ناصح ،
وأنا أشير عليك أن ترد عمال عثمان عامك هذا ، فاكتب إليهم بانياتهم على أعمالهم ، فإذا بايعواك ، واطمأن -

« لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ (١) اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ » ولقد وقفك على ذكر مبین وآية متلوّة ، قوله تعالى : « وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضَالِمِينَ عَصَدًا » . وهل كان يسوغ له أن يُحَكِّمَ في دماء المسلمين ، وفيء المؤمنين ، من ليس بآمون عنده ، ولا مونتوق به في نفسه ؟ هيئات هيئات ، هو أعلم بفرض الله وسنة رسوله أن يبطن خلاف ما يظهر إلا للتقية (٢) ، ولات حين تقيّة ، مع وضوح الحق ، وثبوت الجنان ، وكثرة الأنصار ، بمضى كالسيف المصت (٣) في أمر الله ، مؤثراً لاطاعة ربه والتقوى ، على آراء أهل الدنيا .

١٠٥ - مقال يزيد بن معاوية

فقال يزيد بن معاوية :

« يا بن عباس ، إنك لتنطق بلسان طالق (٤) ، ينبي عن مكنون قلب حرق (٥) ، فاطور على ما أنت عليه كشحاً (٦) ، فقد محاضوه حقنا ظلمة باطلكم » .

— أمرك عزلت من أحببت ، وأقررت من أحببت ، فقال له : والله لا أدامن في ديني ، ولا أعلى الرياء في أمري ، قال : فإن أبيت فإزع من شئت وأترك معاوية فإن له جراءة وهو في أهل الشام مسموع منه ، ولك حجة في إثباته فقد كان عمر ولاء الشام كلها ، فقال له : لا والله لا أستعمل معاوية يومين أبداً . (وقد كان ابن عباس يرى إثبات معاوية حتى يبايع ، وقال لعلي : فإن بايع لك فعل أن أقلعه من منزله ، فقال على : لا والله لا أعطيه إلا السيف) . (١) حاده : غاضبه وعاداه وخالفه . (٢) التقية : المحافظة على النفس أو العرض أو المال من شر الأعداء إذا كانت العداوة بسبب الدين . (٣) المسلول .

(٤) لسان طلق : (يسكون اللام وكسرهما) ذلق . (٥) الحرق : المحروق وفي الحديث « الحرق شهيد » وفي رواية « الحريق » أي الذي يقع في حرق النار (بفتحين) فيلتهب ، والحرق محرقة : النار وطبها ، وفي الحديث « الحرق والفرق والشرق شهادة » وحرق شعره كفرح : تقطع ونسل . (٦) الكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف ، وطوى كشمه على الأمر أضمره وستره .

۱۰۶ - جواب ابن عباس

فقال ابن عباس :

« مهلا يزيدُ ، فوافه ما صفت القلوب لكم ، منذ تكدرت بالعداوة عليكم ، ولا دنت بالحببة إليكم ، مذ نأت بالبغضاء عنكم ، ولا رضيت اليوم منكم ، ما سخطت بالأمس من أعمالكم ، وإن تدل^(۱) الأيامُ نستقضِ ما شذَّ عنا ، ونسترجع ما ابتزَّ^(۲) منا ، كيلاً بكيل ، ووزناً بوزن ، وإن تكن الأخرى ، فكفى بالله ولياً لنا ، ووكيلاً على المعتدين علينا . »

۱۰۷ - مقال معاوية

فقال معاوية :

« إن في نفسي منكم لحزازاتٍ يابني هاشم ، وإني خلّيق أن أدرك فيكم الثار ، وأنفي العار ، فإن دماءنا قبلكم ، وظلامتنا فيكم . »

۱۰۸ - جواب ابن عباس

فقال ابن عباس :

« والله إن رمت ذلك يامعاوية كتثيرن عليك أسداً مُخْدِرَةً^(۳) ، وأفاعى مُطْرِقَةً ، لَا يَفْشُوها^(۴) كثرة السلاح ، وَلَا تَعْضُها نكايه الجراح ، يضعون أسيافهم على عواتقهم ،

(۱) أدله الله من عدوه : نصره عليه . (۲) ما سلب . (۳) أخدر الأسد : لزم الأجمة ، وأخدر للبرن الأسد : ستره فهو مخدر (بكسر اللام وفتحها) . (۴) فأن الغضب كنع : سكته وكمره ، وللقدر سكتن غلباتها .

يضربون قُدُمًا قُدُمًا من ناوأم^(۱) ، يهون عليهم نُباح الكلاب ، وعُواء الذئاب ، لا يُفَاتون بوترٍ ، ولا يُسْبِقون إلى كريم ذكر ، قد وطنوا على الموت أنفسهم ، وسمت بهم إلى العلياء همهم ، كما قالت الأزدية :

قومٌ إذا شَهِدُوا الهِياجَ فلا ضربٌ يُنْهِنُهُمْ وَلَا زَجْرٌ^(۲)
وكانهم آسادٌ غَيْبَةٌ قد غَرَّتْ وَبَلَّ مُتُونَهَا القَطْرُ^(۳)

فلتكوننَّ منهم بحيث أعددت ليلة الهرب لفرسك ، وكان أكبر همك سلامة حُشاشة^(۴) نفسك ، ولولا طعام^(۵) من أهل الشام وقوك بأنفسهم ، وبذلوا دونك مُهَجهم ، حتى إذا ذاقوا وخز الشفَار ، وأيقنوا بحلول الدمار ، رفعوا المصاحف مستجبرين بها ، وعائدين بعصمتها ، لكنت شلوا مطروحا بالعراء^(۶) ، تسقى عليك رياحا^(۷) ، وبمتورك ذئابها ، وما أقول هذا أريد صرفك عن عزيمتك ، ولا إزالتك عن معقود نيتك ، لكن الرِّحِم التي تعطف عليك ، والأواصر^(۸) التي توجب صرف النصيحة إليك .
فقال معاوية : « لله درك يابن عباس ، ما تكشف الأيام منك إلا عن سيف صقيل ، ورأى أصيل ! وباللَّه لو لم يلد هاشم غيرك ، لما نقص عددهم ، ولو لم يكن لأهلك سواك لكان الله قد كثَّرم » ا ثم نهض فقام ابن عباس وانصرف .

(شرح ابن أبي الحديد ۲ : ص ۱۰۵)

(۱) القدم : الشجاع والمضى أمام أمام ، وناوأم : عا دام . (۲) نهته عن الأمر : كفه وزجره .
(۳) الغيبة : بالكسر الأجمة ، والغيبة بالفتح : الأشجار الملتفة في الجبال وفي السهل بلا ماء ، فإذا كانت بماء فهي غيبة ، وغرت : كفرح : كجرح : بقاء الروح في المريض والجريح .
(۴) الحشاشة : بقية الروح في المريض والجريح .
(۵) الطعام : أوغاد الناس . (۶) العراء : الفضاء لا يستتر فيه شيء . (۷) سفت الريح : التراب تسفيه : ذرته ، أو حملته .
(۸) في الأصل « والأوامر » وهو تحريف .

عبد الله بن عباس وعمر بن العاص

قام عمرو بن العاص في موسم من مواسم العرب ، فأطرى معاوية بن أبي سفيان وبنى أمية ، وتناول بني هاشم ، وذكر مشاهدته بصيفين ، واجتمعت قريش فأقبل عبد الله ابن عباس على عمرو فقال :

١٠٩ - مقال ابن عباس

« يا عمرو إنك بعث دينك من معاوية ، وأعطيته ما بيدك ، ومَنَّاكَ ما بيد غيره ، فكان الذي أخذ منك أكثر من الذي أعطاك ، والذي أخذت منه دون الذي أعطيته ، وكلُّ راضٍ بما أخذ وأعطى^(١) ، فلما صارت مصر في يدك كدَّرها عليك بالعزل والتنقيص^(٢) ، حتى لو كانت نفسك في يدك ألقيتها إليه ، وذكرت يومك مع أبي موسى ،

(١) وذلك أن عمرا لما لحق بمعاوية بعد أن بلغه مقتل عثمان سأله معاوية أن يتبعه ، قال عمرو فاكتب لي مصر وكورها طعمة فكتب له ، وقال عمرو في ذلك :

معاوي لا أعطيك ديني ولم أنل به منك دنيا فانظرن كيف تصنع

فإن تعطني مصر فأربح صفقة أخذت بها شيئا يضر وينفع

ثم إنه بعث سنة ٣٨ في جيش لغزو مصر، وكان عليها محمد بن أبي بكر من قبل الإمام علي فهزمه وقتله ، وصارت مصر في حوزة معاوية فولاه عليها أميرا . (٢) روى ابن سعد في كتاب الطبقات الكبير (ج ٤ : ص ٥) قال :

« لما صار الأمر في يدي معاوية استكثر طعمة مصر امدرو معاوي ، ورأى عمرو أن الأمر كله قد صلح به وببغيره وعناه وسعيه فيه ، وظن أن معاوية سيزيده الشام مع مصر ، فلم يفعل معاوية ، فشكر عمرو لمعاوية فأغلفا وتغالفا . وتميز الناس ، وظنوا أنه لا يجتمع أمرهما ، فدخل بينهما معاوية بن حديج وأصلح أمرهما ،

فلا أراك فخرت إلا بالقدر ، ولا مَنَنْتُ إلا بالفجور والنفس ، وذكرت مشاهدك بصيفين ،
فوالله ما ثقلت علينا يومئذ وطأتك ، ولا نَكَتْنَا^(۱) فيها حربك ، ولقد كَشَفْتَ فيها
عورتك ، وإن كنتَ فيها لَطَوِيلَ اللسان ، قصير السَّنَان ، آخر الخيل إذا أقبلت ، وأولها
إذا أدبرت ، لك يدان : يد لا تَبْسُطُهَا إلى خير ، وأخرى لا تَقْبِضُهَا عن شر ، ولسان غرور
ووجهان : وجه مُوحِش ، ووجه مُوئِس ، ولعمري إن من باع دينه بدنيا غيره لحرى أن
يطول حزنه على ما باع واشترى ، لك بيان وفيك خَطَل ، ولك رأى وفيك نكد ، ولك
قدر وفيك حسد ، وأصغر عيب فيك أعظم عيب في غيرك .

۱۱۰ - رد ابن العاص

فأجابه عمرو بن العاص : والله ما في قريش أثقلُ على مسألة ، ولا أمرٌ جواباً منك ،
ولو استطعتُ ألا أجيبك لفعلت ، غير أني لم أبع ديني من معاوية ، ولكن بعث الله
نفسى ، ولم أنس نصيبي من الدنيا ، وأما ما أخذت من معاوية وأعطيته فإنه لا تعلمُ العوانُ
أَلِحْمَرَةَ^(۲) . وأما ما أتى إلى معاوية في مصر فإن ذلك لم يغبّرني له ، وأما خفة وطأني
عليكم بصيفين ، فلما استنقذتم حياتي واستبطنتم وفاتي . وأما الجبن فقد علمتُ قريش أني
أول من يبارز ، وآخر من ينازل . وأما طول لساني ، فإنى كما قال هشام بن الوليد لعثمان
ابن عفان رضى الله عنه :

« وكتب بينهما كتابا ، وشرط فيه شروطا لمعاوية ، وعمرو خاصة ، وللناس عليه ، وأن لعمر وولاية مصر
سبع سنين ، وعلى أن هل عمرو السمع والطاعة لمعاوية ، وتوائفا وتماهدا على ذلك ، وأشهدا عليهما به شهودا ،
ثم مضى عمرو بن العاص على مصر واليا عليها ، وذلك في آخر سنة ثمان وثلاثين ، فواقه مامكث بها إلا سنتين
أو ثلاثا حتى مات » . (۱) لى العدو نكية : قتل وجرح . (۲) فى المثل « إن العوان لا تعلم الحمرة »
والعوان من النساء التى كان لها زوج ، والحمرة اسم من الاختيار ، واختمرت المرأة ، لبست الحمار بكسر الحاء
(الطرحة) يضرب للرجل المجرب .

لسانى طويل فاحترس من شدّاته عليك ، وسيفى من لسانى أطول^(۱)
 وأما وجهى ولسانى ، فإنى ألقى كلّ ذى قدر بقدره ، وأرمى كلّ نابح بحجره ،
 فمن عرف قدره كفى نفسه ، ومن جهل قدره كفىته نفسه ، ولعمري ما لأحدٍ من
 قريش مثل قدرك ما خلا معاوية ، فما يتفنى ذلك عندك ، وأنشأ عمرو يقول :

بنى هاشمٍ مالى أراكم كأنكم بى اليوم جهالٌ ؟ وليس بكم جهل
 ألم تعلموا أنى جسور على الوغى سريعٌ إلى الداعى إذا كثر القتل
 وأول من يدعو « نزالٍ » طبيعةٌ جبلتُ عليها ، والطبّاع هو الجبل^(۲)
 وأنى فصلتُ الأمر بعد اشتباهه بدومة إذ أعيأ على الحكمِ الفصل^(۳)
 وأنى لا أعيأ بأمر أريده وأنى إذا عجت بكاركم فحل^(۴)

(العقد الفريد ۲ : ۱۱۲ ، وشرح بن أبي الحديد ۱ : ص ۱۹۶ والبيان والتبيين ۲ : ۱۵۹)

۱۱۱ - عبد الله بن عباس وعمرو بن العاص أيضاً

حج عمرو بن العاص قرّاً بعبد الله بن عباس ، فحسده مكانه وما رأى من هية
 الناس له ، وموقعه من قلوبهم ، فقال له يابن عباس : « مالك إذا رأيتنى وليتنى
 القصرة^(۵) ، وكان بين عينيك دبرة^(۶) ، وإذا كنت فى ملاء من الناس كنت

(۱) الشذاة : الحدة ، والشذا والشذا بالذال والذال : حد كل شىء . (۲) أى نازلون أيها الأقران ،
 والطبّاع : الطبيعة والسجبة جبل عليها الإنسان ، والجبل : مصدر جبل . (۳) هى دومة الجندل التى اجتمع
 فيها الحكمان عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري . (۴) البكار : جمع بكرة (بالفتح) وهى الناقة
 الفتية ، وعجت : أى صاحت ورفعت صوتها . (۵) القصرة : أصل العنق فى مركبه فى السكاهل ، ويقال
 لعنق الإنسان كله قصره ، والمعنى وليتنى عنقك إمراضاً عنى . (۶) الدبرة : يسكون الباء وفتحها المزجبة
 فى القتال : وهو اسم من الإديبار والمراد بها هنا الإفضاء وعدم الإقبال .

(۸ - بجمرة خطب العرب - ثان)

الهُوَاهَا^(۱) الْهُمَزَةَ ؟ فقال ابن عباس : « لأنك من اللثام الفَجْرَةَ ، وقريش الكرام
الْبَرَّة ، لا ينطقون بباطل جهلوه ، ولا يكتُمون حَقاً علموه ، وهم أعظم الناس أعلاماً ،
وأرفع الناس أعلاماً . دخلت في قريش ولست منها ، فأنت الساقط بين فراشين ،
لا في بني هاشم رَحْلِكَ ، ولا في بني عبد شمس راحاتك ، فأنت الأثيم الزَّئِيم^(۲) الضالُّ
المُضِلُّ ، حملك معاوية على رقاب الناس ، فأنت تسطو بحلمه ، وتسمو بكرمه » فقال عمرو :
أما والله إني لسرور بك ، فهل ينفعني عندك ؟ قال ابن عباس : حيث مال الحق ملنا ،
وحيث سلك قصدنا .

(العقد للفريد ۲ : ۱۱۲)

۱۱۲ - عمرو بن العاص وابن عباس

قال عمرو بن العاص لعبد الله بن عباس :

« إن هذا الأمر الذي نحن وأنتم فيه ليس بأول أمر قاده البلاء ، وقد بلغ الأمر
منا ومنكم ما ترى ، وما أبقت لنا هذه الحرب حياء ولا صبرا ، ولسنا نقول : آيت الحرب
عادت ، ولكننا نقول : آيتها لم تكن كانت ، فانظر فيما بقي بغير ما مضى ، فإنك رأس
هذا الأمر بعد علي ، وإنما هو أمير مطاع ، وأمور مطيع ، ومشاوَر مأمون ، وأنت هو .»

(البيان والتبيين ۲ : ۱۵۸)

۱۱۳ - مفاخرة عبد الله بن الزبير وعبد الله بن عباس

تزوج عبد الله بن الزبير أم عمرو بنت منظور بن زبَّان الفزَّارية ، فلما دخل بها قال
لها تلك الاليلة : أتدريين من معك في حجَّلتِك^(۳) ؟ قالت : نعم ، عبد الله بن الزبير بن

(۱) قال صاحب اللسان : وفي حديث عمرو بن العاص : « كنت الهوَاهَا الْهُمَزَةَ ، الهوَاهَا : الأحمق ،
وقال أيضا : « رجل هوَاهٌ وهوَاهَةٌ وهوَاهَةٌ بفتح الأول ضعيف الفؤاد جبان ، ورجل هوَاهَةٌ بضم الأول
جبان أيضا . (۲) الزئيم : المستلحق في قوم ليس منهم والدعى . (۳) الحجلة : كالثياب ، وموضع يزين
بالثياب والستور للعروس .

العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى . قال : ليس غير هذا ؟ قالت : فما الذى تريد ؟ قال : معك من أصبح فى قريش بمنزلة الرأس من الجسد ، لا بل بمنزلة العينين من الرأس . قالت : أما والله لو أن بعض بنى عبد مناف حضرَكَ ، لقال لك خلاف قولك ، فنضب وقال : الطعام والشراب على حرام حتى أحضرَكَ الهاشميين وغيرهم من بنى عبد مناف ، فلا يستطيعون لذلك إنكاراً ، قالت : إن أطعتهنى لم تفعل ، وأنت أعلم وشأنك ، فخرج إلى المسجد فرأى حلقة فيها قوم من قريش ، منهم : عبد الله بن العباس ، وعبد الله ابن الحصين بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف ، فقال لهم ابن الزبير : أحبُّ أن تنطلقوا معى إلى منزلى ، فقام القوم بأجمعهم ، حتى وقفوا على باب بيته ، فقال ابن الزبير : يا هذه اطرّحى عليك سترَكَ ، فلما أخذوا مجالسهم دعا بالمائدة فبغدى^(۱) القوم ، فلما فرغوا قال لهم : إنما جمعتكم لحديثٍ رُدته على صاحبةِ الستر ، وزعمتُ أنه لو كان بعض بنى عبد مناف حضرنى لما أقرُّ لى بما قلت ، وقد حضرتم جميعاً ، وأنت يا بن عباس ماتقول ؟ إني أخبرتها أن معها فى خدرها من أصبح فى قريش بمنزلة الرأس من الجسد ، لا بل بمنزلة العينين من الرأس ، فردت على مقالتي .

فقال ابن عباس : أراك قصدت قصدى ، فإن شئت أن أقول قلت ، وإن شئت أن أكفت كفت . قال : بل قل وما عسى أن تقول ؟ أأست تعلم أن أبى الزبير حوارى^(۲) رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وأن أمى أسماء بنت أبى بكر الصديق ذات النطاقين^(۳) ؟

(۱) تذى : أكل أول النهار ، والغداء : الطعام الذى يؤكل أول النهار ضد العشاء ، (وسمى السحور غداء ، لأنه للصائم بمنزلة الغداء للمفطر) . (۲) الحوارى : الناصر أو ناصر الأنبياء . قال عليه الصلاة والسلام : « الزبير بن العوام ابن عمى ، وحوارى من أمى » . (۳) كان يقال لأسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها ذات النطاقين ، قيل : لأنها كانت تطارق نطاقاً على نطاق (طارق بين ثوبين : مطابق) وقيل : إنه كان لها نطاقان تلبس أحدهما ، وتحمل فى الآخر الزاد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر رضى الله عنه وهما فى النار . قال الأزهري : وهذا أصح القولين ، وقيل : إنها شقت نطاقها نصفين ، فاستعملت أحدهما وجعلت الآخر شداداً لزيدهما . وجاء فى المقد الفريد (ج ۲ ص ۲۷۰) أن الحجاج لما حصر ابن الزبير =

وَأَنْ عَمِّي خَدِيجَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ؟ وَأَنْ صَفِيَّةُ عَمَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَدَّتِي ^(۱) ؟ وَأَنْ عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ خَالَتِي ، فَهَلْ تَسْتَطِيعُ لِهَذَا إِنْكَارًا ؟

قال ابن عباس : لا ، ولقد ذكرتَ شرفاً شريفاً ، وفخراً فاخراً ، غيرَ أنك تفاخر من يفخره فخرتَ ، وبفضله سموت . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنك لم تذكر فخراً إلا برسول الله صلى الله عليه وآله ، وأنا أولي بالفخر به منك . قال ابن الزبير : لو شئتُ لفخرتُ عليك بما كان قبل النبوة . قال ابن عباس : قد أنصف القارة من راماها ^(۲) ، نشدتكم الله أيها الحاضرون ، أعبدُ المطلبَ أشرفُ أم خويلد في قريش ؟ قالوا : عبد المطلب . قال : أفهاشم كان أشرف فيها أم أسد؟ قالوا : بل هاشم . قال : أفعبد مناف أشرف أم عبد العزى ؟ قالوا : عبد مناف ، فقال ابن عباس :

تُنَافِرُنِي يَا بَنَ الزَّبِيرِ ! وَقَدْ قَضَى عَلَيْكَ رَسُولُ اللَّهِ لِقَوْلِ هَازِلٍ

= بمكة ناداه ويك يا بن ذات النطاقين ، اقبل الأمان ، وادخل في طاعة أمير المؤمنين ، فدخل على أمه أسماء ، فقال لها : سمعت رحك الله ما يقول للقوم ، وما يدعونني إليه من الأمان؟ قالت : سمعتم لعنهم الله افا أجهلهم ! وأعجب منهم إذ يعيرونك بذات النطاقين ، ولو علموا ذلك لكان ذلك أعظم فخر عندهم ، قال : وما ذلك يا أمه ؟ قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره مع أبي بكر (وروى عن عائشة رضي الله عنها أنه خرج معه مهاجرين كما جاء في لسان العرب) فهيات لها سفرة ، فطلبها شيئاً بربطاتها به فا وجداه ، فقطعت من متزرى لذلك ما احتاجا إليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما إن لك به نطاقين في الجنة ، وفي القاموس المحيط : لأنها شقت نطاقها ليلة خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار ، فجعلت واحدة لسفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأخرى مصاماً لقربته . (۱) هي جدته لأبيه .

(۲) القارة : قبيلة ، وهم قوم رماة . ويزعمون أن رجلين التقيا ، أحدهما قارى ، فقال القارى : إن شئت صارعتك ، وإن شئت سابقتك ، وإن شئت راميتك ، فقال الآخر : قد اخترت المرامة ، فقال القارى : قد أنصفتي ، وأنشأ يقول :

قد أنصف القارة من راماها إنا إذا مائة تلقاها
زرد أولاهم اعل أخراها

ثم انتزع له بسهم ، فشك به فزاده .

ولو غيرنا يا بن الزبير فخرته ^(۱) ولسكنما ساميت شمس الأصائل ^(۱)
 قضى لنا رسول الله صلى الله عليه وآله بالفضل في قوله : « ما افتردت فرقتان إلا
 كنت في خيرهما » فقد فارقناك من بعد قصي ^(۲) بن كلاب ، أفنحن في فرقة الخير أم لا ؟
 إن قلت نعم خصمت ، وإن قلت لا كفرت ، فضحك بعض القوم ، فقال ابن الزبير :
 أما والله لولا نحرّمك ^(۳) بطعامنا يا بن عباس لأعرت ^(۴) جبينك قبل أن تقوم من
 مجلسك . قال ابن عباس : ولم أباطل ؟ فالباطل لا يغلب الحق ، أم بحق ؟ فالحق
 لا يخشى من الباطل .

فقلت المرأة من وراء الستر : إني والله لقد نهيتك عن هذا المجلس فأبي إلا ما ترّون ،
 فقال ابن عباس : مه أيتها المرأة ، أفنعي ببعثك ، فما أعظم الخطر ، وما أكرم الخبر ،
 فأخذ القوم بيد ابن عباس وكان قد عمي ، فقالوا : انهض أيها الرجل فقد أفحمتك غير
 مرة ، فهض وقال :

ألا يا قومنا ارتحلوا وسيروا فلو ترك القطا لغفا وناما ^(۵)

فقال ابن الزبير : يا صاحب القطا أقبل هلي ، فما كنت لتدعني حتى أقول :
 وأيم الله لقد عرف الأقوام أني سابق غير مسبوق ، وابن حواري وصديق ، متبجح ^(۶)
 في الشرف الأنيق ، خير من طليق ^(۷) وابن طليق ، فقال ابن عباس : رُسِفْتَ

(۱) الأصائل : جمع أصيل ، وهو العشي « ما بعد صلاة العصر إلى الغروب » . (۲) كان من أولاده
 عبد العزيز بن قصي (ومن سلالة ابن الزبير) وعبد مناف بن قصي (ومن سلالة بنو هاشم) . (۳) تحرم منه
 بجرمة : تمنع وتحمي بلمة . (۴) أي لاكرت لك من المساوي ما يهرق له جبينك ويندى خجلا .

(۵) فغا وأغى : نام نومة خفيفة . (۶) من تبجح به : إذا انتخروا معظم ، وأرجح أنه «تبجح»
 من تبجح : أي تمكن في المقام والحلول . (۷) يعرض بأبيه العباس بن عبد المطلب ، وكان خرج مع
 المشركين في غزوة بدر الكبرى ووقع أسيرا ، وقد أطلقه عليه الصلاة والسلام بعد أن أخذ منه الفدية « وروى
 أنه لما طلب منه الفداء قال : هلام يؤخذ من الفداء ، وكنت مسلما ؟ ولكن القوم استكروهوني ، فقال له صلى الله
 عليه وسلم : الله أعلم بما تقول إن يك حقا ، فإن الله يجزيك ، ولكن ظاهر أمرك أنك كنت علينا .

بِحُرَّتِكَ^(۱) فلم تُبْقِ شيئاً ، هذا الكلام مردود ، من امرئ حَسُودٍ ، فإن كنت سابقاً فألى من سبقت ؟ وإن كنت فاحراً فبمن فخرت ، وإن كنت أدركت هذا الفخر بأمرتك دون أسرتنا ، فالفخر لك علينا . وإن كنت إنما أدركته بأمرتنا فالفخر لنا عليك ، وَالكَشْكُ^(۲) في فك ويديك ، وأما ما ذكرت من الطليق ، فوالله لقد ابْتُلِيَ فَصَبَرَ ، وَأُنْعِمَ عَلَيْهِ فَشَكَرَ ، وإن كان والله لوفياً كريماً ، غيرَ نَاقِضٍ بَيْعَةً بعد توكيدها ، ولا مُسْلِمٍ كَتِيبَةً بعد التأمُرِ عليها^(۳) ، فقال ابن الزبير : أنعير الزبير بالجبين ؟ والله إنك لتعلم منه خِلافَ ذلك ، قال ابن عباس : والله إنى لا أعلم إلا أنه فرّ وما كره ، وحارب فما صَبَرَ ، وباع فما تَمَّ ، وقطع الرَّحِمَ ، وأنكر الفضلَ ، ورام ما ليس له بأهل^(۴) :

وأدرك منها بعض ما كان يرتجى وقصر عن جرئ الكرام وبتلداً

وما كان إلا كالهجين أمانه عتاق ، فجراه العتاق فأجهداً^(۵)

فقال ابن الزبير : لم يبق يابني هاشم غير المشائمة والمضاربة ، فقال عبد الله بن الحصين

(۱) الجرة بالضم والفتح : مصا تربط إلى حباله ، تغيب في التراب للظبي يصطاد بها ، فيها وتر ، فإذا دخلت يده في الحباله انمقدت الأوتار في يده ، فإذا وثب ليفلت فده ، ضرب بتلك العصا يده الأخرى ورجله فكسرها ، ورسغ البعير : شد رسغ يديه بخيط . والمعنى وقعت في حبالتك ، وعاد ما فخرت به حجة عليك لا لك ، وفي الأصل « رسعت » بالعين ، ولا يستقيم المعنى بذلك (يقال : رسع العصبى كنع : شد في يده أو رجله خرزا لدفع العين ، ورسعت أعضاؤه : فسدت واسترخت) وربما كان الأصل « رسعت بجزتك » من رسعه بالرمح إذا طعنه طعنا شديداً غيب السنان كله فيه ، أى طعنت بسهمك وارتدت إليك حجتك ، ومعناه كالأول . (۲) الكشك (بفتح الكافين وكسرهما) : التراب وفتات الحجارة . (۳) يعرض بالزبير وقد بايع الإمام ثم فكث بيعته ، وخرج لقتاله مع أصحاب الجمل ثم اعتزلهم . (۴) أى رام الخلافة ، وقد قال للإمام حين حاوره قبل نشوب وقعة الجمل : « لا أراك لهذا الأمر أهلاً ولا أولى به منا » . (۵) فرس هجين : إذا لم يكن عتيقاً ، وفرس عتيق : أى كريم والجمع عتاق ، وفي الأصل « عتاق » بالنون ، وهو تصحيف .

ابن الحرث : أقناه عنك يا ابن الزبير ، وتأبى إلا منازعته ؟ والله لو نازعته من ساعتك إلى انقضاء عمرك ، ما كنت إلا كالسَّيبِ (۱) الظمآن ، يفتح فاه يستزيد من الرِّيح ، فلا يشبع من سَّيبِ (۲) ، ولا يروى من عطش ، فقل إن شئت أو فدع ، وانصرف القوم .
(شرح ابن أبي الحديد م ۲ : ۵۰۱)

ابن عباس وابن الزبير في مجلس مروان بن الحكم

وكان يوضع إلى جانب سرير مروان بن الحكم - وهو يومئذ أمير المدينة - سرير آخر أصغر من سريره ، فيجلس عليه عبد الله بن عباس إذا دخل ، وتوضع الوسائد فيما سوى ذلك ، فأذن مروان يوماً للناس ، وإذا سرير آخر قد أُخِذَتْ نِجَاهَ (۳) سرير مروان ، فأقبل ابن عباس فجلس على سريره ، وجاء عبد الله بن الزبير فجلس على السرير المُخِذِ ، وسكت مروان والقوم ، فإذا يد ابن الزبير تتحرك ، فعلم أنه يريد أن ينطق ، ثم نطق فقال :

۱۱۴ - مقال ابن الزبير

« إن ناماً يزعمون أن بيعة أبي بكر كانت غلطاً وقلّةً ومُغَالَبَةً ، ألا إن شئت أبي بكر أعظم من أن يقال فيه هذا ، يزعمون أنه لولا ما وقع لكان الأمر لهم وفيهم ، والله ما كان من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أحدٌ أثبت إيماناً ، ولا أعظم سابقاً من أبي بكر ، فمن قال غير ذلك فعليه لعنة الله ، فأين هم حين عمّد أبو بكر لعمر فلم يكن إلا ما قال ، ثم ألقى عمر حظهم في حظوظ ، وجدّم في جدود ، فقسمت تلك الحظوظ ،

(۱) الجماع . (۲) جوع . (۳) نجاه ووجاه مثلين : تلقاء وجهه .

فأخبر الله ستمتهم ، وأدحض جدّهم ، ووَلِيّ الأمر عليهم من كان أحقّ به (۱) منهم ، فخرجوا عليه خروج اللصوص على التاجر خارجاً من القرية ، فأصابوا منه غرّة (۲) فقتلوه ، ثم قتلهم الله به كل قِتلة ، وصاروا مطرودين تحت بطون الكواكب .

۱۱۵ - مقال ابن عباس

فقال ابن عباس : « على رسيلك (۳) أيها القائل في أبي بكر وعمر والخلافة ، أما والله ما نالا ولا نال أحد منهما شيئاً ، إلا وصاحبنا خيرٌ ممن نالا ، وما أنكرنا تقدم من تقدّم لعيب عينا عليه ، ولو تقدم صاحبنا لكان أهلاً وفوق الأهل ، ولولا أنك إنما تذكر حظّ غيرك ، وشرف امرئ سواك لكلمتك ، ولكن ما أنت وما لاحظ لك فيه ؟ اقتصر على حظك ، ودع تينا لتيّم ، وعدياً لعدي (۴) وأمّية لأمية ، ولو كلني تينى أو عدوى أو أموى ، لكلمته وأخبرته خبر حاضر عن حاضر ، لا خبر غائب عن غائب ، ولكن ما أنت وما ليس عليك ، فإن يكن في أسد بن عبد العزى شيء فهو لك ، أما والله لنحن أقرب بك عهداً ، وأبيض بك بدأ ، وأوفر عندك نعمة ، ممن أمسيت تظن أنك تصل به علينا ، وما أخلق ثوب صفيّة بمد ، والله المستعان على ما تصفون . »

(شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ٤٩٠)

۱۱۶ - خطبة عبد الله بن عباس

يردّ على عبد الله بن الزبير وقد عاب بنى هاشم

لما كاشف عبد الله بن الزبير بنى هاشم ، وأظهر بغضهم وعآبهم ، وهم بما همّ به في أمرهم ، ولم يذكر رسول الله صلى الله عليه وآله في خطبه ، لا يوم الجمعة ولا غيرها ،

(۱) يشير إلى اختيار عمر رضى الله عنه أصحاب الشورى الستة ، وفيهم الإمام على كرم الله وجهه ، وما كان من مبايعة عثمان رضى الله عنه بالخلافة . (۲) غفلة . (۳) الرسل : الرفق والتؤدة . (۴) تيم وهط أبى بكر الصديق ، وعدي وهط عمر الفاروق .

عابہ علی ذلك قوم من خاصته ، وتشاءموا بذلك منه ، وخافوا عاقبته ، فقال : « والله ما تركت ذلك علانيةً إلا وأنا أقوله سرًّا وأكثر منه ، لكنني رأيت بني هاشم إذا سمعوا ذكره ، أشراً أبوا^(۱) وانحزرت ألوانهم ، وطالت رقابهم ، والله ما كنت لآتي لهم سرورًا وأنا أقدر عليه ، والله لقد هممت أن أحظر لهم حظيرةً ، ثم أضرمها عليهم نارا ، فإني لا أقتل منهم إلا آثما كفارًا سحارًا ، لا أنمام الله ، ولا بارك عليهم ا بيتُ سوء لا أول لهم ولا آخر ، والله ما ترك نبي الله فيهم خيرًا ، استفرغ^(۲) نبي الله صدقهم ، فهم أكذب الناس ، فقام إليه محمد بن سعد بن أبي وقاص فقال : « وَقَفَّكَ اللهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! أَنَا أَوْلَ مِنْ أَعَانِكَ فِي أَمْرِهِ » . فقام عبد الله بن صفوان بن أمية الجُمَحِيُّ فقال : والله ما قلت صوابًا ، ولا هممت برُشد ، أرهط رسول الله صلى الله عليه وآله تَعِيْبُ ، وإيَّام تَقْتُلُ ، والعربُ حولك ؟ والله لو قتلت عدتهم أهل بيت من الترك مسلمين ، ما سوَّغهُ اللهُ لك ، والله لو لم ينصرهم الناس منك لنصرهم الله بنصره ، فقال : اجلس أبا صفوان فليست بناموس^(۳) ، فبلغ الخبر عبد الله بن العباس ، فخرج مُغْضَبًا ومعه ابنه ، حتى أتى المسجد ، فقصد قصد المنبر .

فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم قال :

« أبها الناس : إن ابن الزبير يزعم أن لا أولَ لرسول الله صلى الله عليه وآله ولا آخر ! فيأعجبا كلَّ العجب ، لافترائه وتكذيبه^(۴) ! والله إن أول من أخذ الإيلاف^(۵)

(۱) اشرب إليه : مد عنقه لينظر أو ارتفع . (۲) في الأصل « استفرغ » وهو تحريف . يقال استفرغ فلان بجهوده : إذا لم يبق من جهده وطاقته شيئًا ، والمراد أنه حوى ما فيهم من صدق فلم يبق لهم منه شيء ، فهم أكذب الناس (كذا) . (۳) الناموس : الحاذق ، وهو أيضا صاحب السر المطلع على باطن أمرك . (۴) تكذب : تكلف الكذب . (۵) روى أبو علي القائل في أماليه قال :

« كانت قريش تجارًا ، وكانت تجاراتهم لا تعدو مكة ، إنما تقدم عليهم الأعاجم بالساح ، فيشترونها منهم ، ثم يتبايعونها بينهم ويبيعونها على من حولهم من العرب ، فكانوا =

وَحَى عِيْرَاتٍ^(۱) قَرِيْشَ هَاشِمٍ ، وَإِنْ أَوْلَ مِنْ سَقَى بِمَكَّةَ عَذْبًا ، وَجَمَلُ بَابِ الْكَعْبَةِ

= كذلك، حتى ركب هاشم بن عبد مناف إلى الشام، فنزل بقيصر، فكان يذبح كل يوم شاة، ويصنع جَمَنة ثريد، ويجمع من حوله فيأكلون، وكان هاشم من أجمل الناس وأتمهم، فذكر ذلك لقيصر، فقبل له: ها هنا رجل من قريش يهشم الخبز ثم يصب عليه المرق ويفرغ عليه اللحم - وإنما كانت العجم تصب المرق في الصِّحاف ثم تأتدم بالخبز - فدعا به قيصر، فلما رآه وكلمه أعجيب به، فكان يبعث إليه في كل يوم، فيدخل عليه ويحادثه، فلما رأى نفسه تمكن عنده، قال له: وأيها الملك إن قومي تجار العرب، فإن رأيت أن تكتب لي كتابا تؤمن تجارتهم فيقدموا عليك بما يستطرون من آدم الحجاز وثيابه فتباع عندهم فهو أرخص عليكم» فكتب له كتاب أمان لمن يقدم منهم، فأقبل هاشم بذلك الكتاب، فجعل كلما مر بحي من العرب بطريق الشام أخذ من أشرافهم إيلافا - والإيلاف أن يأمنوا عندهم في أرضهم بغير حلف، إنما هو أمان الطريق - وعلى أن قريشا تحمل إليهم بضائع، فيكفونهم حتملانها، ويؤدون إليهم رءوس أموالهم وربحهم، فأصلح هاشم ذلك الإيلاف بينهم وبين أهل الشام حتى قدم مكة، فأتاهم بأعظم شيء أتوا به بركة، فخرجوا بتجارة عظيمة، وخرج هاشم معهم يوزهم؛ يتوفيهم إيلافهم الذي أخذ لهم من العرب، حتى أوردتهم الشام، وأحلهم قراها، ومات في ذلك السفر بغيره، وخرج المطلب بن عبد مناف إلى اليمن، فأخذ من ملوكهم عهدا لمن تجر إليهم من قريش، وأخذ الإيلاف كفعل هاشم، وكان المطلب أكبر ولد عبد مناف، وكان يسمى الفَيْض، وهلك برَدْمَان من اليمن، وخرج عبد شمس بن عبد مناف إلى الحبشة فأخذ إيلافاً كفعل هاشم والمطلب، وهلك عبد شمس بمكة فقبره بالحجّون، وخرج نوفل بن عبد مناف، وكان أصغر ولد أبيه، فأخذ عهدا من كسرى لتجار قريش، وإيلافاً ممن مر به من العرب، ثم قدم مكة ورجع إلى العراق فمات بسلمان، واتسعت قريش في التجارة في الجاهلية وكثرت أموالها، فبنو عبد مناف أعظم قريش على قريش

منة في الجاهلية والإسلام» - ذيل الأمالي ص ۲۰۴ .

(۱) العير بالكسر الإبل تحمل الميرة: بلا واحد من لفظها، أو كل ما امتير عليه إبلا كانت أو حيرا أو

بفلا وجمه كعنيات ويسكن .

ذَهَبًا ، لَعَبْدُ الْمَطْلَبِ^(۱) والله لقد نشأت ناشئنا مع ناشئة قريش ، وَإِنْ كُنَّا لَقَاءَ لَتِهِمْ^(۲) إذا قالوا ، وخطباءهم إذا خطبوا ، وما عدُّ مجدُّ كجدِّ أولنا ، ولا كان في قريش مجدُّ لغيرنا ، لأنها في كفر ماحقٍ ، ودين فاسقٍ ، وَضِلَّةٌ وَضَلَالَةٌ^(۳) في عَشَوَاءَ^(۴) عَمِيَاءَ ، حتى اختار الله تعالى لها نورًا ، وبعث لها سراجًا ، فانتجبه^(۵) طيبًا من طيبين ، لا يُسَبُّ بِمَسَبَّةٍ ، ولا يُبْنَى عليه غائلةٌ ، فكان أحدنا وولدنا وعمنا وابن عمنا ، ثم إنَّ أسبقَ السابقين إليه ، مَنَّا وابنُ عمنا^(۶) ، ثم تلاه في السَّبِقِ أَهْلُنَا وَلَحْمَتُنَا^(۷) واحدًا بعد واحدٍ ، ثم إنَّ خيرَ الناس بعده أكرمهم أدبًا ، وأشرفهم حسابًا ، وأقربهم منه رَحِمًا .

واعتجبا كلَّ العجب لابن الزبير! يعيب بنى هاشم ، وإنما شرف هو وأبوه وجدُّه بمصاهرتهم ، أما والله إنه لمصلوب قريش ، ومتى كان العوام بن خويلد يطعم في صفية بنت عبد المطلب ؟ قيل للبغل : من أبوك يا بغل ؟ فقال : خالي الفرس . ثم نزل .

(شرح ابن أبي الحديد ۳ : ص ۴۸۹)

۱۱۷ — خطبة ابن الزبير يتنقص ابن عباس

وخطب ابن الزبير بمكة على المنبر ، وابن عباس جالس مع الناس تحت المنبر ، فقال : « إنَّ هاهنا رجلاً قد أعمى الله قلبه كما أعمى بصره ، يزعم أنَّ مُتَمَّةَ النساءِ حلالٌ من

(۱) قال الطبري : « وعبد المطلب هو الذي كشف عن زمزم بنو إسماعيل بن إبراهيم ، واستخرج ما كان فيها مدفوناً ، وذلك غزالان من ذهب كانت جرهم دفنتهما فيما ذكر حين أخرجت من مكة وأسياف قلعية و مرج القلعة بحركة : موضع بالبادية إليه تنسب السيوف » وأدراع ، فجعل الأسياف باباً للكعبة ، وضرب في الباب الغزاليين صفائح من ذهب ، فكان أول ذهب حليته فيما قيل الكعبة » تاريخ الطبري ۳ : ۱۷۹ .
(۲) القائة جمع قائل . (۳) الضلة والضلالة : ضد الهدى . (۴) أي في جهالة وثنته عشواء ، من المشى (كصا) وهو سوء البصر بالليل والنهار ، وقيل ذهب البصر . عشى يعشى (كفرح) فهو اعشى وهي عشواء (والمشواء أيضا الناقة التي لا تبصر أمامها فهي تحبط بيدها كل شيء ، لأنها ترفع رأسها فلا تنعده مواقع أعفانها) . (۵) انتجبه : اختاره . (۶) يعني الإمام علياً كرم الله وجهه .
(۷) لحمته : القرابة .

الله ورسوله ، وَ يُفْتِي فِي الْقَمَلَةِ وَالنَّمْلَةِ ، وقد احتمل بيت مال البصرة^(۱) بالأمس ، وترك المسلمين بها يرتضخون^(۲) النوى ، وكيف ألومه في ذلك : وقد قاتل أم المؤمنين وَحَوَارِيَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَنْ وَقَاهُ بِيَدِهِ^(۳) .

(۱) ذكر بعض المؤرخين أن ابن عباس كان من أحب الناس إلى عمر ، وكان يقدمه على أكابر الصحابة ولم يستعمله قط ، فقال له يوماً : كذبت أستعملك ، ولكن أخشى أن تستحل النوى على التأويل ، فلما صار الأمر إلى علي استعمله على البصرة ، فاستحل النوى على تأويل قوله تعالى « وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ » ، واستحله لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : ومر ابن عباس على أبي الأسود الدؤلي فقال : لو كنت من البهائم لكنت بحلاً ، ولو كنت راعياً ما بلغت من المرعى ولا أحسنت مهنته في المشي ، فكتب أبو الأسود إلى علي كتاباً يقول فيه : « إن ابن عمك قد أكل ماتحت يديه بغير علمك ، فلم يسعني كتمانك ذلك ، فانظر رحمك الله فيما هنالك » فكتب علي إلى ابن عباس « أن ارفع إلى حسايك » فرد عليه ابن عباس : « إن كل الذي بلغك باطل » . فكتب إليه علي : « إنه لا يسعني تركك ، حتى تعلمني ما أخذت من الجزية ، من أين أخذته ، وما وضعت منها ، أين وضعت » فلما رأى أن علياً غير مقلع عنه كتب إليه « ابعث إلى عمك من أحببت ، فإني ظاعن عنه » ورحل عن البصرة ، وقد حمل ما كان في بيت مالها حتى قدم الحجاز فنزل مكة ، وتبودلت الكتب بين علي وبينه ثانية ، وكانت خاتمتها أن كتب إليه ابن عباس : « والله لئن لم تدعني من أساطيرك لأحملنه إلى معاوية يقاتلك به » فكف عنه علي ، - انظر العقد الفريد ج ۲ : ص ۲۴۲ ، وتاريخ الطبري ۶ : ۸۱ ، ونهج البلاغة ج ۲ : ۴۶ - .

وقال آخرون : إن ابن عباس ما فارق علياً ولا باينه ، ولم يزل أميراً على البصرة إلى أن قتل على وبعد مقتل علي حتى صالح الحسن معاوية ، ثم خرج حينئذ إلى مكة ، وليس هذا موضع بحث تلك المسألة - انظر كلمة عنها في شرح ابن أبي الحديد ج ۱۶ ص ۶۴ ، وأمال السيد المرتضى ج ۱ ص ۱۲۳ . (۲) رضح النوى (كنع وضرب) كمره ، وفي لسان العرب : « فظلوا يرتضخون أي يكسرون الخبز فيأكلونه ويتناولونه » ولم أجد في كتب اللغة « يرتضخ » بهذا المعنى ، وإنما الذي جاء « وهو يرتضخ لسكنة عجمية إذا نشأ معهم ثم صار إلى العرب ، فهو ينزع إلى المعجم في ألفاظه ولو اجتهد » وقول ابن الزبير كناية عن شدة القحط والفاقة . (۳) كان طلحة بن عبيد الله ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وحامى عنه في وقعة أحد وقد انهزم المسلمون ، ووقاه بيده من سيوف المشركين ، وقد رمى بهم في يده فبيست ، وقال عليه الصلاة والسلام يومئذ « اليوم أوجب طلحة الجنة » .

۱۱۸ - رد ابن عباس عليه

فقال ابن عباس لقائده سعيد بن جبیر مولى بنى أسد بن خزيمه - وكان ابن عباس قد كُفَّ بصره - استقبل بي وجه ابن الزبير وارفع من صدرى ، فاستقبل به قائده وجه ابن الزبير وأقام قامته ، فحسرت عن ذراعيه ، ثم قال : « يا ابن الزبير :

قد أنصف القارة من رامها إنا إذا مافئة نلقاها
نردُّ أولها طي أخراها حتى تصير حرضا دعوها^(۱)

يا ابن الزبير : أما العى ، فإن الله تعالى يقول : « فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ » ، وأما فتياى فى القملة والنملة ، فإن فيها حُكْمَيْنِ لا تعلمهما أنت ولا أصحابك . وأما حلى المال ، فإنه كان مالا جبيناه ، فأعطينا كل ذى حق حقه ، وبقيت بقية^۲ هى دون حقتنا فى كتاب الله ، فأخذناها بحقنا ، وأما المتعة فقل أمك أسماء إذ نزلت عن بردى عوسجة ، وأما قتالنا أم المؤمنين ، فبنا سُمِّيت أم المؤمنين ، لا بك ولا بأبيك ، فانطلق أبوك وخالك^(۲) إلى حجاب مده الله عليها ، فهتكاه عنها ، ثم اتخذناها فتنة يقاتلان دونها ، وصانا حلائلها فى بيوتها ، فما أنصفا الله ولا محمداً من أنفسهما أن أبرزا زوجة نبيه وصانا حلائلها ، وأما قتالنا إياكم ، فإننا لقيناكم زحفاً ، فإن كنا كفاراً فقد كفرتم بفراركم منا ، وإن كنا مؤمنين فقد كفرتم بقتالكم إيانا ، وإيم الله لولا مكان صفة فيكم ، ومكان خديجة فينا ، لما تركت لبني أسد بن عبد العزى عظما إلا كثرته .

(۱) المرض : الفساد فى المذهب والمقل والبدن . (۲) يعنى طلحة وهو ابن عم جده أبى بكر الصديق ، فهو طلحة بن حبيد بن عثمان بن عبد الله بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب ابن لؤى ، وأبو بكر هو عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب . . الخ ، وإنما جعله خاله باعتبار القرابة النسوية .

فلما عاد ابن الزبير إلى أمه سألتها عن بُرْدَى عَوْسَجَةَ ، فقالت : ألم أنك عن ابن عباس ، وعن بنى هاشم ؟ فإنهم كُفُّمٌ ^(۱) الجواب إذا بُدِّهوا ^(۲) ، فقال : بلى وعصيتك ، فقالت : يا بني احذر هذا الأعمى الذي ما أطاقتَه الإنس والجن ، واعلم أن عنده فضائح قریش ومغازيها بأسرها ، فإياك وإياه آخر الدهر .
ورواية صاحب العقد : « أن ابن عباس قال لِعِكْرِمَةَ : أقم وجهي نحوه يا عكرمة ، ثم قال :

إِن يَأْخُذَ اللَّهُ مِنْ عَيْنِي نَوْرَهَا فِي فُؤَادِي وَعَقْلِي مِنْهَا نَوْرٌ

وأما قولك يا ابن الزبير : إني قاتلت أم المؤمنين ، فأنت أخرجتها وأبوك وخالك ، وبنا سميت أم المؤمنين ، فكنا لها خير بنين ، فتجاوز الله عنها ، وقاتلت أنت وأبوك علياً ، فإن كان علي مؤمناً فقد ضللتكم بقتالكم المؤمنين ، وإن كان كافراً فقد بؤتكم بسخط من الله بفراركم من الزحف . وأما المتعة فإنني سمعت علي بن أبي طالب يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص فيها فأفتيت بها ، ثم سمعته ينهى عنها فنهيت عنها ^(۳) .

(۱) كعم البعير كنع : شد فاه لئلا يعض أو يأكل ، والكمام ككتاب : ما يجعل على فاه ، والجمع كعم ككعب . والمعنى أنهم ذروا أجوبة مكتة مخرصة تلجم أفواه مناظرهم .
(۲) بدده بأمر كنعته : استقبله به أو بداه به . (۳) جاء في المصباح المنير : « المتعة اسم الفتح ، ومنه متعة الحج ، ومتعة النكاح ، ومتعة الطلاق ، ونكاح المتعة هو المؤقت في العقد ، وقال في العباب : كان الرجل يشارط المرأة شرطاً على شيء إلى أجل معلوم ، ويعطيها ذلك فيستحل بذلك فرجها ، ثم ينخل سبيلها من غير تزويج ولا طلاق ، وقيل في قوله تعالى « فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ » المراد نكاح المتعة ، والجمهور على تحريم نكاح المتعة ، وقالوا معنى قوله : « فاستمتعتم » فأنكحتم على الشريطة التي في قوله تعالى : « أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ » أي عاقدين النكاح ، واستمتعتم بكذا وتمتعتم : انتفعت ، ومنه تمتع بالعمرة إلى الحج : إذا أحرم بالعمرة في أشهر الحج وبدد تماماً يحرم بالحج فإنه بالفراغ من أعمالها يحل له ما كان حرم عليه ، فن ثم يسمى متمتعاً . اهـ .

وأول حجّرة^(۱) سَطَعَ في المَتَمَّةِ حِجْرَ آلِ الزَّيْبِرِ^(۲) .

(شرح ابن أبي الحديد ۴م : ۴۸۹ ، والعقد الفريد ۲ : ۲۶۹ - ۱۱۳ ، ومروج الذهب ۲ : ۱۰۳)

۱۱۹ - عبد الله بن جعفر (المتوفى سنة ۸۰ هـ) وعمرو بن العاص

قال ابن أبي الحديد : روى المدائني قال :

« بينا معاوية يوماً جالساً وعندہ عمرو بن العاصِ إذ قال الآذن : قد جاء عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب . فقال عمرو : والله لأُسْوَأَنَّه اليوم ، فقال معاوية : لا تفعل يا أبا عبد الله ، فإنك لا تنتصف منه ، ولعلك أن تُظْهَر لَنَا من مَنَقَبَتِهِ^(۳) ما هو خفي عنا ، ومالا نحب أن نعلمه منه ، وَغَشِبَهُمْ عبد الله بن جعفر ، فأدناه معاوية وقرَّبه ، فقال عمرو إلى بعض جلساء معاوية ، فقال من هلَى عليه السلام جهاراً غير سائرٍ له وَثَلَبَهُ ثَلَباً^(۴) قبيحاً ، فامْتَقِع^(۵) لُون عبد الله ، واعتراه أفكَل^(۶) ، حتى أُرْعِدَت خصائله^(۷) ثم نزل من السرير كالفنيق^(۸) ، فقال عمرو : مه يا أبا جعفر ، فقال له عبد الله : مه لا أم لك ، ثم قال :

أظن الحلمَ دلَّ على قومي وقد يتجهل الرجل الحليم

= وجاء في التفسير : « وقيل نزلت الآية في المتعة التي كانت ثلاثة أيام حين فتحت مكة ثم نسخت : لما روى أنه عليه الصلاة والسلام أباحها ، ثم أصبح يقول : يا أيها الناس إني كنت أمرتكم بالاستمتاع من هذه النساء ، ألا إن الله حرم ذلك إلى يوم القيامة » وهي النكاح الموقت بوقت معلوم سمى بها ، إذ الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمرأة وتمتعها بما تعلى ، وجوزها ابن عباس رضي الله عنهما ثم رجع عنه .

(۱) الحجير : العود ، واستحجر بالحجر : تبحر بالعود . (۲) قال المسعودي في مروج الذهب : « وقد تنازع الناس في ذلك ، فمنهم من رأى أنه عنى متعة النساء ، ومنهم من رأى أنه أراد متعة الحج ، لأن الزبير تزوج أسماء بكراً في الإسلام ، وزوجه أبو بكر معلناً ، فكيف تكون متعة النساء ؟ » .

(۳) المنقبة : المفخرة . (۴) ثلبه : عابه . (۵) تغير لونه . (۶) الأفكل : الرعدة .

(۷) جمع خصيلة : وهي لحم الفخذين والعضدين والذراعين ، أو كل عصبه فيها لحم غليظ .

(۸) الفنيق : الفحل المكرم لا يؤذى لكراته على أهله ولا يركب .

ثم حَسَرَ عن ذراعيه ، وقال :

« يامعاوية حَتَّامٌ تَجْرَعُ غِيظَكَ ، وإلى كم الصبر على مكروه قولك ، وسي أدبك ،
وذميم أخلاقك ، هَبْلَتِكَ الْهَبُولُ (۱) ، أما يزجرك ذِمَامُ (۲) المِجَالِسةِ عن القَذَعِ (۳) لجليسك
إذا لم تكن لك حُرْمَةٌ من دينك تنهاك عما لا يجوز لك ، والله لو عطفتك أو اصيرُ (۴)
الأرحام ، أو حاميت على سهمتك من الإسلام ، ما أرعيتَ بنى الإمامِ الْمُتَكِّ (۵) ، والعبيدِ
السُّكِّ (۶) أعراضَ قومك ، وما يجهل موضعَ الصَّفْوَةِ (۷) إلا أهلُ الجفوة ، وإنك لتعرف
وشائج (۸) قريش ، وصفوة غرائزها ، فلا يدعُونَكَ تصويبَ ما فرطَ من خطئك في سفك
دماء المسلمين ، ومحاربة أمير المؤمنين ، إلى التماذي فيما قد وضع لك الصواب في خلافه ،
فاقصدِ لمنهج الحق فقد طال عمهك (۹) عن سبيل الرشد ، وخبطك في دَبْجُورِ (۱۰) ظلمة
الغى ، فإن آيت أن لاتتابعنا في قبح اختيارك لنفسك ، فأعفينا عن سوء القالة (۱۱) فينا ،
إذا ضمنا وإياك الندى (۱۲) ، وشأنك وما تريد إذا خلوت ، والله حسيبك ، فوالله لولا
ما جعل الله لنا في يديك لما أتيناك ، ثم قال : إن كلفتنى ما لم أطق ، ساءك ما ستر منى
من خلق . »

(۱) هبلته أمه : ثكلته ، والهبول : المرأة لا يعيش لها ولد . (۲) الذمام : الحرمة . (۳) قذعه ، وأقذعه :
رماه بالفحش وسوء القول . (۴) جمع آصرة ، وهي القرابة وحبل صغير يشد به أسفل الحباء . (۵) المتك : جمع
متكاه (كحمراء) وهي البغراء والمفضضة والتي لاتمسك البول . (۶) السك جمع أسك من السكك (محركة) ،
وهو صفر الأذن وإزوقها بالرأس ، أو صفر فوق الأذن وضيق الصباغ . (۷) أى صفوة القوم وسادتهم .
(۸) فى الأصل « وشائك » وقد بحث فى مادة « وشك » فوجدت فيها « والوشيك السريع والقريب ،
وامرأة وشيك : أى سريعة » فلو جعلنا وشائك جمع وشيكة « أو وشيك على التانيث » لم يستقم معنى العبارة ،
وأراه محرفا عن « وشائج » بالجم . جمع وشيعة ، وهى عرق الشجرة ، فعنى وشائج قريش أصولها وعروقها
« والعرق أصل كل شئ » أى وإنك يامعاوية لتعرف أصول قريش للكريمة الزاكية التى تأبى الضيم ولا تحمل
الثلب والإهانة « والوشيج أيضا شجر الرماح » ونظير هذا للتعبير قول الفرزدق « مشتقة من رسول الله
ذبيته » - والنبع : شجر تتخذ منه القسي والسهام . (۹) العمه محركة : التردد فى الضلال .
(۱۰) الدبجور : الظلام . (۱۱) القول فى الخبير ، والقيل والقيل والقالة فى الشر . (۱۲) النادى .

فقال معاوية : يا أبا جعفر نغیر الخطأ ، أقسمت عليك لتَجلسن ، لعن الله من أخرج
خَبَّ صدرك من وِجَارِهِ^(۱) ، عمول لك ما قلت ، ولك عندنا ما أملت ، فلو لم يكن
مَحْتِدُكَ^(۲) ومنصِبِكَ لكان خُلُقُكَ وَخُلُقُكَ شافعين لك إلينا ، وأنت ابن ذى الجناحين
وسيد بنى هاشم ، فقال عبد الله : كلا بل سيد بنى هاشم حسن وحسين لا ينازعهما
في ذلك أحد ، فقال : أبا جعفر أقسمت عليك لما ذكرت حاجة لك إلا قضيتها كأنه
ما كانت ، ولو ذهبت بجميع ما أملك ، فقال : أما في هذا في المجلس فلا ، ثم انصرف ،
فأتبعه معاوية بصره فقال : والله لكانه رسول الله صلى الله عليه وآله مشيه وخُلُقُه وخُلُقُه ،
وإنه لمن مِشْكاته^(۳) ، لو دِدت أنه أخى بنفيس ما أملك .

ثم التفت إلى عمرو فقال : أبا عبد الله ما تراء منعه من الكلام معك ؟ قال : ما لا
خفاء به عنك . قال : أظنك تقول : إنه هاب جوابك ؟ لا والله وإنه ازدراك واستحقرك
ولم يرك للكلام أهلا ، أما رأيت إقباله على دونك ، ذاهبا بنفسه عنك ؟ فقال عمرو :
فهل لك أن تسمع ما أعددت له جوابه ؟ قال معاوية : أرغب إليك أبا عبد الله ، فلات حين
جواب فيما يرى اليوم ؛ ونهض معاوية وتفرق الناس .

(شرح ابن أبي الحديد م ۲ : ص ۱۰۴)

۱۲۰ - الحسن بن عليّ وعمرو بن العاص

وَوَفَدَ الحسن بن عليّ رضي الله عنه على معاوية ، فقال عمرو بن العاص لمعاوية :
يا أمير المؤمنين إن الحسن رجل أفه^(۱) ، فلو حملته على المنبر فتكلم وسمع الناس كلامه
عابوه وسقط من عيونهم ففعل ، فصعد على المنبر وتكلم فأحسن ، ثم قال : أيها الناس لو

(۱) جمره . (۲) أصلك . (۳) المشكاة : الكوة التي ليست بناقلة .

(۴) أفه : وصف من الفهامة ، وهي العمى ، وفهله فهو كفرج ، وقياس الوصف منه أفه على أفهل لأنه

يبدل على خلقه « عيب » كعمور وعمى وعرج ، والسكن الذي في كتب اللغة : فه كعطب وفهيه وفهغه .

(۹ - جهره خطب للعرب - ثان)

طلبتم ابنا لنبيكم ما بين جابر من إلى جابلق^(۱) لم تجدوه غيري وغير أخى : (وإن أذرى
 آقله فتنه آكم ومتماع إلى حين) فساء ذلك عمرا ، وأراد أن يقطع كلامه ، فقال له :
 أبا محمد ، هل تنمت الرطب^(۲) ؟ فقال : « أجل تُنقىه الشمال ، وتخرجهُ الجنوب ،
 ويُنضجه برؤد الليل ، بحرّ النهار^(۳) » قال : أبا محمد ، هل تنمت الخراة^(۴) ؟ قال :
 « نعم ، تُبعد الممشى فى الأرض الصصح^(۵) ، حتى تتوارى من القوم ، ولا تستقبل
 القبلة ، ولا تستدبرها ، ولا تستنج بالروثة ، ولا المعظم ، ولا تبلى فى الماء الراكد »
 وأخذ فى كلامه .

(العقد الفريد ۲ : ۱۱۵ ، وعيون الأخبار م ۲ : ۱۷۲ ، ومعجم البلدان ۳ : ۲۲)

۱۲۱ — الحسن بن على و مروان بن الحكم

بينما معاوية بن أبى سفيان جالس فى أصحابه إذ قيل له : الحسنُ بالباب ، فقال
 معاوية : إن دخل أفسد علينا ما نحن فيه ، فقال له مروان بن الحكم : ائذن له ، فإني أسأله
 ما ليس عنده فيه جَوَاب ، قال معاوية : لا تفعل ، فإنهم قوم قد ألهموا الكلام وأذن له ،
 فلما دخل وجلس ، قال له مروان : أسرع الشيب إلى شاربك يا حسن ، ويقال إن ذلك
 من الخرق^(۶) ، فقال الحسن : ليس كما بانك ، ولكننا معشر بني هاشم ، أفواهنا عذبة

(۱) جابر : مدينة بأقصى المشرق ، وجابلق : مدينة بأقصى المغرب ، وضبطها ياقوت فى معجمه
 بـكون اللام ، وفى القاموس ولسان العرب بفتحها ، قال ياقوت : « وفى رواية : جابلص » وضبطها
 صاحب اللسان بفتح اللام . وفى القاموس بفتح اللام أو سكونها : بلد بالمغرب ليس وراءه أنى ، وفى العقد
 الفريد : « لو طلبتم أبناء أبيكم ما بين لابتيها » ولا يتا المدينة : حرقان تكتشفانها . (۲) يسأله هذا
 وما بعده تعجيزا له . (۳) وفى العقد : « وتنضجه الشمس ، ويصبغه القمر » . (۴) خرى كسمع
 خراة بفتح الخاء وكسرهما : سلاح . (۵) الصصح : ما استوى من الأرض . وفى العقد الفريد
 « للصحيح » وهو تحريف . (۶) الخرق كسبب : الحق ، وألا يحسن الرجل العمل والتصرف فى الأمور
 والاسم الخرق كقفل .

شِفَاهُهَا ، فَتَسَاوُنَا يُقْبِلُنَ عَلَيْنَا بِأَنْفَاسِهِنَّ وَقُبَلِهِنَّ ، وَأَنْتُمْ مَعَشَرَةُ بَنِي أُمَيَّةَ فِيكُمْ بِحَرِّهِ (۱) شَدِيدٍ ، فَتَسَاوُرْكُمْ يَعْصِرُ فَنَ أَفْوَاهَهُنَّ وَأَنْفَاسَهُنَّ عَنْكُمْ إِلَى أَصْدَاغِكُمْ ، فَإِنَّمَا يَشِيبُ مِنْكُمْ مَوْضِعَ الْعِدَارِ (۲) مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ . قَالَ مَرْوَانَ : إِنْ فِيكُمْ يَا بَنِي هَاشِمٍ خَصَلَةٌ سَوَاءٌ . قَالَ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : الْعُلْمَةُ (۳) . قَالَ : أَجَلٌ ، نَزَعْتَ الْعُلْمَةَ مِنْ نِسَائِنَا ، وَوَضَعْتَ فِي رِجَالِنَا وَنَزَعْتَ الْعُلْمَةَ مِنْ رِجَالِكُمْ ، وَوَضَعْتَ فِي نِسَائِكُمْ ، فَمَا قَامَ لِأَهْوِيَّةٍ إِلَّا هَاشِمِيٌّ ؛ فَفَضِبْ مَعَاوِيَةَ وَقَالَ : قَدْ كُنْتُ أَخْبَرْتُكُمْ ، فَأَبَيْتُمْ حَتَّى سَمِعْتُمْ مَا أَظْلَمَ عَلَيْكُمْ بَيْتَكُمْ ، وَأَفْسَدَ عَلَيْكُمْ مَجْلِسَكُمْ . (المقد الفريد ۲ : ۱۱۵)

۱۲۲ - عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَمَعَاوِيَةُ

وَكَانَ عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ قَدْ خَرَجَ إِلَى مَعَاوِيَةَ مُغَاضِبًا لِأَخِيهِ الْإِمَامِ عَلِيِّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ (۴) ، فَأَكْرَمَهُ مَعَاوِيَةُ ، وَقَرَّبَهُ إِلَيْهِ ، وَقَضَى حَوَائِجَهُ ، وَقَضَى عَنْهُ دِينَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ : « وَاللَّهِ إِنْ عَلِيًّا غَيْرُ حَافِظٍ لَكَ ، قَطَعَ قَرَابَتَكَ ، وَمَا وَصَلَكَ ، وَلَا اصْطَنَعَكَ » قَالَ لَهُ عَقِيلُ : « وَاللَّهِ لَقَدْ أَجْزَلَ الْعَطِيَّةَ وَأَعْظَمَهَا ، وَوَصَلَ الْقَرَابَةَ وَحَفِظَهَا ، وَحَسَّنَ ظَنَّهُ بِاللَّهِ إِذَا سَاءَ بِهِ ظَنُّكَ ، وَحَفِظَ أَمَانَتَهُ ، وَأَصْلَحَ رَعِيَّتَهُ ، إِذْ خُنِمَ وَأَفْسَدَتْمْ وَجُرْتُمْ ، فَا كَفَفَ لِأَبَائِكَ فَإِنَّهُ عَمَّا تَقُولُ بِمَعْرُورٍ » .

وَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ يَوْمًا : « أَبَا يَزِيدَ ، أَنَا لَكَ خَيْرٌ مِنْ أَخِيكَ عَلِيٌّ » قَالَ « صَدَقْتَ ، إِنْ

(۱) البخر : التبن في الغنم وغيره . (۲) العذار : جانب اللحية .

(۳) الغلعة : شدة الشهوة كالشبق بالتحريك . (۴) وكان قد قدم عليه بالكوفة ، فأنه أن

يقضى عنه دينه ، قال : وم دينك ؟ قال : أربعمون ألفا ، قال : ما هي عندي ، ولكن اصبر حتى يخرج عطائي فإنه أربعة آلاف فأدفعه إليك ، قال : بيوت المال بيدك وأنت تسوقني بمطانتك ؟ قال : أنا أمرني أن أدفع إليك أموال المسلمين وقد اتتموني عليها ؟ قال : فإن آت معاوية ، فأذن له فقدم عليه . انظر أسد الغابة ۳ :

۴۲۳ والفخرى ص ۷۶ . اقرأ أيضا كلمة في هذا الصدد في شرح ابن أبي الحديد م ۳ : ۸۲ وفي ترجمة هل

ابن أبي طالب للمؤلف ص ۸۳ .

أخى آثرَ دينه على دنياه ، وأنت آثرت دنياك على دينك ، فأنت خير لي من أخى ، وأخى خير لنفسه منك^(۱) .

وقال له مرة : « أنت معنا يا أبا يزيد » قال : « ويوم بدر قد كنت معكم ا » .
وقال له يوماً : إن علياً قد قطعك ووصلتكَ ، ولا يُرضيني منك إلا أن تلغنه على علي المنبر . قال : أفعُلُ ، فأصعِدُ فصعِد ، ثم قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : « أيها الناس إن أمير المؤمنين معاوية أمرني أن ألعنَ عليَ بنَ أبي طالب قلعنوه ، فعليه لعنةُ الله والملائكةِ والناسِ أجمعين » ثم نزل ، فقال له معاوية : إنك لم تبين - أبا يزيد - من لعنتَ بيني وبينه . قال : والله لا زدتُ حرفاً ولا نقصتُ آخر ، والكلام إلى نية المتكلم .

ودخل عقيل على معاوية وقد كف بصره ، فأجلسه على سريرهِ ، ثم قال له : « أنتم معشرَ بني هاشم تُصابون في أبصاركم » قال : « وأنتم معشرَ بني أمية تصابون في بصائركم » .

وقال له يوماً : ما أبينَ الشَّبَقَ في رجالكم يا بني هاشم ا قال : لكنه في نساءكم أبينُ يا بني أمية .

وقال معاوية يوماً : « يا أهل الشام ، هل سمعتم قول الله تبارك وتعالى في كتابه : (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ^(۲) وَتَبَّ) ؟ قالوا : نعم ، قال : فإن أبا لهب عمه ، فقال عقيل : فهل سمعتم قول الله عز وجل : (وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ^(۳)) قالوا : نعم ، قال : فإنها عمته ، ثم

(۱) وفي البيان والتبيين أن معاوية قال : هذا أبو يزيد ، أولاً أنه علم أن خير له من أخيه لما أقام عندنا وتركه ، فقال له عقيل : « أخى خير لي في ديني ، وأنت خير لي في دنياي » . (۲) هو أبو لهب

ابن عبد المطلب عم الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكان شديد الإيذاء له ، يرى القدر على يابه .
(۳) هي أم جميل بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان ، وقيل لها حمالة الحطاب ، لأنها كانت تحمل الشوك والسعدان وتلقيه في طريق النبي عليه الصلاة والسلام إيذاء له وكانت جارته ، أو هو النخيلة إذ كانت تسمى عليه بالنامم وتوقد بذلك نار الحصومة ، أو حطب جهنم ، فإنها كانت تحمل الأوزار بمعاداته ، وتحمل زوجها على إيذائه .

قال « يا معاوية ، إذا دخلت النار ، فاعدل ذات اليسار ، فإنك ستجد عمي أبا لخب ، مفترشا
عمتك حمالة الخطب ، فانظر أيهما خير ؟ »

وقال له معاوية يوما : والله إن فيكم لخصلة ما تمجيني يا بني هاشم . قال : وما هي ؟
قال : لين فيكم . قال : لين ماذا ؟ قال : هو ذاك . قال إيانا تعبير يا معاوية ؟ أجل والله
إن فينا لئينا من غير ضعف ، وعزا من غير جبروت ، وأما أنتم يا بني أمية ، فإن لينكم
غدر ، وعزكم كفر . قال معاوية : ما كل هذا أردنا يا أبا يزيد .

وقال معاوية لعقيل : لم جفوتنا يا أبا يزيد ؟ فأنشأ يقول :

إني امرؤ مني التكرم شيمة إذا صاحبي يوما على الهون أضيرا

ثم قال « وايم الله يا معاوية ، لئن كانت الدنيا مهديتكم مهادها ، وأظلتكم
بحدافير^(۱) أهلها ، ومدت عليكم أطناب سلطانها ، ما ذاك بالذي يزيدك مني رغبة ،
ولا تخشعا رهبة » قال معاوية : « لقد نعمت بها أبا يزيد نعمتا هسن لها قابي ، وإني لأرجو أن
أن يكون الله تبارك وتعالى مآرداني برداء ملكها ، وحباني بفضيلة عيشها ، إلا لكرامة
ادخرها لي ، وقد كان داود خليفة ، وسالمان ملكا ، وإسماعيل هو المثل يحتذى عليه ،
والأمور أشباه ، وايم الله يا أبا يزيد ، لقد أصبحت علينا كريما ، وإلينا حبيبا ،
وما أصبحت أضير لك إساة » .

(العقد الفريد ۲ : ۱۱۰ - ۱۱۹ ، البيان والتبيين ۲ : ۱۷۴)

(۱) الحدافير : جمع حدفور أو حدفار (كعصفور وقرطاس) وهو الجانب .

۱۳۳ - خطبة السيدة أم كلثوم بنت علي في أهل الكوفة

بعد مقتل الحسين عليهم السلام

لما قُتل الحسين بن عليّ عليهما السلام ، وأدخِلَ النَّسوةَ من كَرَبِ بِلَاءٍ إلى الكوفة جعلت نساؤها يَلْتَدِمْنَ^(۱) ، وَيَهْتِكْنَ الجيوبَ عليه ، فرجع عليّ بن الحسين عليهما السلام رأسه ، وقال بصوت ضئيل - وقد نَحَلَّ^(۲) من المرض - بأهل الكوفة إنكم تبكون علينا ، فن قتلنا غيركم ؟ وأومات أم كلثوم بنت عليّ عليهما السلام إلى الفاس أن اسكتوا ، فلما سكنت الأنفاس ، وهَدَّأتِ الأجراس^(۳) ، قالت .

« أبدأ بحمد الله ، والصلاة والسلام على أبيه^(۴) ، أما بعد : يا أهل الكوفة يا أهل الخِزْرِ^(۵) والخِذْل ، لا ، فلا رَقَاتٍ^(۶) العبرة ، ولا هَدَّأتِ الرِّنة^(۷) ، إنما مَثَلُكُمْ كَمَثَلِ التي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا^(۸) ، تَتَخَذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا^(۹) بَيْنَكُمْ ، أَلَا وَهَلْ فِيكُمْ إِلَّا الصَّافِ^(۱۰) وَالشَّنْفُ^(۱۱) ، وَمَلَقُ^(۱۲) الإماء ، وَغَزْزُ الأعداء ، وَهَلْ أَنْتُمْ

- (۱) لدمت المرأة (كضرب) ، والتدمت : لطمت وضربت صدرها في النياحة ، ويهتكن : يمزقن ، والجيوب جمع جيب : وهو طوق القميص . (۲) كنع وعلم ونصر وكرم . (۳) الأجراس جمع جرس كشمس : وهو الصوت . (۴) تربد جدّها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي رواية : « وللصلاة على جدى سيد المرسلين » . (۵) الغدر والخديعة ، أو أفبح الغدر . (۶) رقاً الدمع : جف وسكن ، والعبرة : الدمة قبل أن تفيض . (۷) الرنة : الصوت . (۸) أنكاثا : جمع نكت كحمل ، وهو مانقض ليفزل ثانية - حال من غزها ، أو مفعول ثان لنقضت لأنه بمعنى صيرت - وقيل هي ربيعة بنت سعد بن تيم القرشية ، وكانت خرقاء تغزل طول يومها ثم تنقضه . (۹) الدخل : ما يدخل في الشيء وليس منه ، وما داخل من فساد في عقل أو جسم ، والغدر والمكر والخديعة . (۱۰) الصلف : التمدح بما ليس عندك ، أو مجاوزة قدر الظرف والادعاء فوق ذلك تكبرا . (۱۱) الشنف : النظار بمؤخر العين ، أو النظار إلى الشيء كالمعترض عليه ، أو كالمتمجب منه ، أو كالسكاره له ، وشنف له كفرح فرحا : أبغضه وتنكره . (۱۲) ملق الجارية : مجامعتها ، أو هو ملق بالتحريك ، والملق : التلق .

إلا كمرّعى على دمنة (۱) ، وكفيسة على ملحودة (۲) ، إلا ساء ما قدمت أنفسكم أن سخط الله عليكم ، وفي العذاب أنتم خالدون ، أتبكون ؟ إى والله فابكوا ، وإياكم والله أخرياء (۳) بالبكاء ، فابكوا كثيرا ، واضحكوا قليلا ، فلقد فرتم بما رها وشنارها (۴) ولن ترخصوها (۵) بغسل بعدها أبدا ، وأنى ترخصون قتل سليل خاتم النبوة ، ومعدن الرسالة ، وسيد شبان أهل الجنة ، ومفار محجّتم ، ومذره (۶) حجّتم ، ومفرخ (۷) نازلتكم ، فتعسا ونكسا (۸) ، لقد خاب السعى ، وخسرت الصفة (۹) ، وبؤتم (۱۰) بغضب من الله ، وضربت عايكم الدلة والمسكنة . لقد حجّتم شيئا إذا (۱۱) ، تكاد السموات يتفطرن منه ، وتنفق الأرض ، وتخرّ الجبال هدا (۱۲) ؛ أتدرون أى كيد لرسول الله فرينتم ، وأى كريمة له أبرزتم ، وأى دم له سفّكتم ؟ لقد حجّتم بها شوها خرقاء (۱۳) ، شرها طلاع (۱۴) الأرض والسماء ؛ أفعجبتهم أن قطرت السماء دما ، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون ؛ فلا ستخفتمكم المهل ، فإنه لا تحفزه المبادرة (۱۵) ، ولا يحاف عليه فوت النار ، كلا ، إن ربك لنا بهم المرصاد (۱۶) ، ثم

- (۱) الدمنة : آثار الدار بعد الرحيل عنها من البعر والرماد وغيرها ، أخذت هذا القول من قول جدها عليه الصلاة والسلام : « إياكم وخضراء الدمن » وهى المرأة الحسناء فى منبت السوء .
(۲) ملحودة : مدفونة فى لحدها ، تريد أنهم لا ينتفع بهم . (۳) جذبرون .
(۴) الشنار : أقيح العيب . (۵) رخصه كنع ، وأرخصه : غلاه . (۶) دره عن القوم كنع : إذا تكلم عنه ودفع فهو مدره . (۷) أى مذهب ومزيل ، يقال : « أفرخ روعك » - على الأمر وبضم الراء من روعك - أى اسكن وأمن ، والروع : القلب . (۸) التمس : افلاك ، وتكس نكسا : قلبه على رأسه ، والتكس بالضم هو المرض بعد النقه ، ويقال : تعاله ونكسا ، بضم النون وقد يفتح ازدواجاً . (۹) البيعة . (۱۰) رجعتهم . (۱۱) أى فشيئا منكرا . (۱۲) يتشققن ، وتخر : تسقط ، هدا : أى نهد هدا . (۱۳) بها أى بفعلتكم هذه ، وخرقاء من الحرق : وهو الأيمن الرجل العمل والتصرف فى الأمور . (۱۴) طلاع الشيء : ملأه . (۱۵) أى لا تدفعه إلى العقوبة المبادرة إلى الذنب ، والضمير لله تعالى . (۱۶) المرصاد : الطريق والمكان يرصد فيه العدو ، ورصده : رقبه ، أى يرصد أعمال العباد فلا يفوته منها شيء .

ولت عنهم ، فظلّ الناس حيارى ، وقد ردّوا أيديهم إلى أفواههم . وقال شيخ كبير من بنى جُمَيْفِيٍّ - وقد اخضلت (۱) لحيته من دموع عينيه .

كُؤَاهُمُ خَيْرُ السُّكُولِ وَنَسْلُهُمْ إِذَا عُدَّ ، نَسْلُ لَا يَبُورُ وَلَا يَخْزَى

(بلاغات النساء ص ۲۷)

۱۳۴ - خطبة السيدة زينب بنت عليّ عليهما السلام

بين يدي يزيد

ولما وجه عبّيد الله بن زياد آل الحسين عليه السلام إلى يزيد بدمشق ، ومثّلوا بين يديه أمر برأس الحسين فأبرز في طئت ، فجعل يفتك ثناياه بقضيب في يده ، وهو يقول من أبيات (۲) :

ليت أشياخي ببدرٍ شهيدوا جزع الخزرج من وقع الأسل (۳)
لأهلوا وأشتهلوا فرحاً ثم قالوا : يا يزيد لا تشل (۴)
فجزيتاهم ببدرٍ مثلها وأقنا مئيل بدرٍ فامتل (۵)

فقلت زينب بنت عليّ عليهما السلام : صدق الله ورسوله يا يزيد ا (ثم كان عاقبة الذين أساءوا الشؤى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون) أظننت يا يزيد أنه حين أخذ علينا بأطراف الأرض وأكذاف السماء فأصبحنا نساك كما يساق

(۱) ابتلت . (۲) تمثل يزيد بهذه الأبيات وهو لعبد الله بن الزبير ، قالها في غزوة أحد ، وهو يومئذ مشرك ، وكان يهجو المسلمين ، ويحرض عليهم كفار قريش في شعره ، ثم أسلم بعد فتح مكة .

(۳) كانت الغابة يوم بدر للمسلمين ويوم أحد للمشركين ، والأسل : الرماح والتبل ، والخزرج : قبيلة من الأنصار . (۴) كل من رفع صوته فقد أهل لإهلا واستهل استهلالا ، وشلت يده تشل كتعب يتعب ،

وأشلت وشلت مبنين للمجهول : يبست وهي جملة دعائية ، يقال في الدعاء : « لا تشل يدك ولا تكلل » - والبيت من قول يزيد - . (۵) لاتنس ما قدمناه لك من أن عليا كرم الله وجهه كان قد وتر آل أبي سفيان

ببدر ، فقتل حنظلة بن أبي سفيان أخا معاوية ، والوليد بن عتبة خاله ، وعتبة بن ربيعة جده لأمه .

الأسارى ، أن بناهوانا على الله ، وبك عليه كرامة ؟ وأن هذا لعظيم خطرك ؟
فشمخت بأنفك ، ونظرت في عطفيك^(۱) ، جذلان فرحاً ، حين رأيت الدنيا مستويةً
لك ، والأمور منسقة^(۲) عليك ، وقد أمهلت ونفست^(۳) ، وهو قول الله تبارك وتعالى :
(وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِلُّهُمُ (۴) لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ، إِنَّمَا نُمِلُّ لَهُمْ
لِيَزِدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) أمين العدل ، يابن الطلقاء تحذيرك^(۵) نساءك وإماءك
وسوقك بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم قد هتكت ستورهن ، وأصححت^(۶)
صوتهن ، مكثبات تحدى^(۷) بن الأباعر ، ويحذو^(۸) بهن الأعادي ، من بلد إلى
بلد ، لا يراقبن ولا يؤوين ، يتشوقهن^(۹) القريب والبعيد ، لبس مهن ولي^(۱۰) من
رجالهن . وكيف يستبطن في يفضتنا من نظر إلينا بالشفن^(۱۱) والشنان ، والإحن
والأضغان ؟ أتقول « ليت أشيخي يدر شهدوا » غير متأثم ولا مستعظم ؟ وأنت تنكت
ثنايا أبى عبد الله بمخصرتك^(۱۲) ، ولم لانكون كذلك وقد نكأت^(۱۳) القرحة ،
واستأصلت الشافة^(۱۴) ، يهراقك دماء ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونجوم

- (۱) أى جانبيك ، وهو كناية من إعجابه بنفسه . (۲) من استوسقت الإبل : أى اجتمعت ،
ومتسقة : منتظمة . (۳) أى فسخ لك فى أمرك ، من نفس الله كربته : فرجها . (۴) نمهل .
(۵) صوتهن فى خدورهن . (۶) أصححت ، جعل صوته كفرح : يح .
(۷) خدى البعير والفرس كجرى : أسرع وزج بقوائمه ، أو هو ضرب من سيرهما .
(۸) يسوق . (۹) يتطارول وينظر إليهن ويذرف عليهن . (۱۰) قريب أو نصير .
(۱۱) سبق تفسيره ، وفى الأصل « بالشنق » وهو تحريف (والشنق : أن تكف البعير بزمامه حتى
تلزق ذفراه بقادة الرجل ، واللفرى بكسر الذاى : العظم الشاخص خلف الأذن) ، والشنان : الكراهية ،
والإحن : الأحقاد . (۱۲) المخصرة : ما يأخذها الملك يشير به إذا خاطب . (۱۳) نكأ القرحة
كنع : قشرها قبل أن تبرأ فنديت ، كناية من نبشه مما كاد ينسى من العداوة بين بنى هاشم وبنى أمية .
(۱۴) الشافة : قرحة تخرج فى أسفل القدم فتكوى فتذهب ، واستأصل الله شافته : أذهب كما تذهب
تلك القرحة .

الأرض من آل عبد المطلب ، ولتردّن على الله وشيكا (۱) مؤردهم ، ولتودنّ أنك
 عميت وبكمت وأنت لم تقل : « فاستهلوا وأهلوا فرحا » اللهم خذ بحقنا ، وانتقم لنا
 من ظلمنا . والله ما فريت إلا في جلدك . ولا حزرت إلا في لحك ، وستردّ على رسول الله
 صلى الله عليه وسلم برغمك (۲) . وعترته وأجمته في حظيرة القدس (۳) يوم يجمع الله
 شملهم مملومين من الشعب (۴) . وهو قول الله تبارك وتعالى : (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) وسيعلم من بواك (۵) ومكّنك من
 رقاب المؤمنين - إذا كان الحكم الله ، والنخص محمد صلى الله عليه وسلم ، وجوارحك
 شاهدة عليك فيئس للظالمين بدلا - أبكم شرّا مكانا وأضعف جندا ، مع أنى والله
 ياعدو الله وابن عدوه ، أستصغر قدرك ، وأستمظم تقر يعك (۶) ، غير أن العميون عبرى
 والصدور حرى (۷) ، وما يجزى ذلك أو يغنى عنا ؛ وقد قتل الحسين عليه السلام ، وحزب
 الشيطان (۸) يقرّبنا إلى حزب السفهاء (۹) ، ليعطوهم أموال الله على انتهاك محارم الله ،
 فهذه الأيدي تنطف (۱۰) من دماثنا ، وهذه الأفواه تتحاب (۱۱) من لحومنا ، وتلك الجثث
 الزواكى يمتامها عسلان الفلوات (۱۲) ، فلئن اتخذنا مغنما لتتخذن مفرما ، حين لا تجد
 إلا ما قدمت يداك ، تستصرخ (۱۳) : يا ابن صرjana ، ويستصرخ بك ، وتتماوى وأتباءك

(۱) صريعا . (۲) الرغم : اللذل . (۳) العترة : رطل الرجل ومشيرته الأذنون ،
 واللحمة : القرابة ، والقدس : الطهر ، - أى فى الجنة - . (۴) التفرق .
 (۵) أى أحلك فى كرمى الخلافة وهو معاوية . (۶) التقرّيع : التأنيب . (۷) عين عبرى : جرت
 عبرتها ، والصدور حرى : شديدة الحرارة ، كناية عن شدة الحزن . (۸) تريد عبيد الله بن زياد ورجاله .
 (۹) أى إلى يزيد وشيعته . (۱۰) نطف الماء كنصر وضرب : سال ، ونطف كفرح ، وعنى :
 تلتطخ بعبيب . (۱۱) تحلب العرق : سال وتحلب بدنه عرقا : سال عرقه . (۱۲) الزواكى : جمع
 زاكية من زكا إذا صلح وتنعم ، واعتام : أخذ العيمة بالسكمر وهى خيار المال ، وعسل الذئب عدلانا
 كجبرى جريانا : أعنى وأسرع ، والعاسل : الذئب وجمعه كركع وفوارس ، والمراد هنا معنى الجمع لا المصدر :
 أى ذوبان الفلوات ، ولم أجد فى كتب اللغة لعاسل جمعا غير هذين ، إلا أن يراد بالمصدر الوصف .
 (۱۳) تستغيث .

عند الميزان ؛ وقد وجدت أفضل زادٍ زودك معاوية فتلك ذرية محمد صلى الله عليه وسلم ،
فوالله ما اتقيت^(۱) غير الله ، ولا شكواى إلا إلى الله ، فكيد كيدك ، واسع سعيتك ،
وناصب جهدك^(۲) . فوالله لا يرخص عنك عار ما أتيت إلينا أبدا ، والحمد لله الذى ختم
بالسعادة والمغفرة اسادات شجران الجنان ، فأوجب لهم الجنة . أسأل الله أن يرفع لهم
الدرجات ، وأن يوجب لهم المزيد من فضله ، فإنه ولى قدير .

(بلاغات النساء ص ۲۵)

۱۲۵ - رثاء الحسين لأخيه الحسن عليهما السلام

وقال الحسين بن على عند قبر أخيه الحسن عليهما السلام :
« رَحِمَكَ اللهُ أبا محمد ، إن كنت لتناصر الحق مظانته^(۳) ، وتؤثر الله عند
تداحض^(۴) الباطل فى مواطن التقيّة بحسن الروية ، وتستشف^(۵) جليل معاظم الدنيا
بعين لها حاقرة ، وتفيض عليها بدا طاهرة الأطراف ، نقيّة الأسيرة^(۶) ، وتردع بادرة
غريب أعدائك بأيسر المئونة عليك . ولا غرور وأنت ابن سلالة النبوة ، ورضيع إبان
الحكمة . فإلى روح وربحمان وجنّة نعيم . أعظم الله لنا ولكم الأجر عليه ، ووهب
لنا ولكم السلوة وحسن الأسمى^(۷) عنه » (عيون الأخبار م ۲ : ص ۳۱۴)

- (۱) أى لا أخاف إلا الله . (۲) ناصبه العداوة : أظهرها له .
(۳) فى الأصل « لتناصر » بالياء وأراه بالنون ، وقوله « مظانته » أى فى مظانه ، أو هو بدل .
(۴) هى تفاعل من الدحض ، دحض برجله كنع : فحصى بها ، ودحضت رجله : زلقت ، والمعنى :
عند تلاحن الباطل ومغالبة بعضه بعضا . (۵) استشفه : نظر ماوراءه . (۶) الأسيرة جمع مرار
وككتاب : الخطوط التى تبدو فى ظاهر اليد والجبهة . (۷) الأسمى بضم الهمزة وكسرها جمع أسوة بالضم
والكسر أيضا : ما يمتزى به .

۱۲۶ — عبد الله بن هاشم بن عتبة وعمر بن العاص

في مجاس معاوية

روى المسعودي في مروج الذهب قال :

« لما قُتِلَ عليّ - كرم الله وجهه - ، كان في نفس معاوية من يوم صَفِينِ طَلَى هاشم ابن عْتَبَةَ بنِ أُمَيِّ وَقَاصِ المِرْتَقَالِ وولديه عبد الله بن هاشم - أَحَنُّ - ؛ فلما استعمل معاوية زياداً على العراق ، كتب إليه : « أما بعد : فانظر عبد الله بن هاشم بن عْتَبَةَ فشُدَّ يده إلى عنقه ، ثم ابعث به إلى » فحمله زياد من البصرة مُقَيِّدًا مَغْلُولًا إلى دِمَشْقِ ، وقد كان زياد طَرَقَهُ بالليل في منزله بالبصرة ، فدخل إلى معاوية ، وعند عمر بن العاص ، فقال معاوية لعمر بن العاص : هل تعرف هذا ؟ قال : لا . قال : هذا الذي يقول أبوه يوم صَفِينِ ^(۱) :

إِنِّي شَرَيْتُ النَفْسَ لَمَّا اعْتَلَا ^(۲) وَأَكْثَرَ اللُّؤْمَ وَمَا أَقْلَا ^(۳)

أَعُورُ يَبْنِي أَهْلَهُ مَحَلًّا ^(۴) قَدْ عَالَجَ الحَيَاةَ حَتَّى تَلَا ^(۵)

لَا بَدَّ أَنْ يَفْلَ أَوْ يُفَلَّا ^(۶) يَتَلَّهُمْ بَدَى الكُمُوبِ تَلًّا ^(۷)

لاخير عندي في كريم وتي

(۱) وذلك أن عمار بن ياسر جاء إلى هاشم بن عتبة (وكان هاشم أمور فقتت عينه يوم اليرموك بالشام) فقال : يا هاشم ، أعورا وجينا ! لاخير في أعور لا يغشى البأس ، اركب يا هاشم ، فركب ومضى معه وهو يرتجز : إني شريت النفس . . الخ وعمار يقول : تقدم يا هاشم ، الجنة تحت ظلال السيوف ، والموت تحت أطراف الأسل ، وقد فتحت أبواب السماء ، وتزينت الحور العين ، اليوم ألقى الأحبة محمدا وحزبه .

(۲) شريت النفس : أي بعثتها في سبيل الله ، واعتله : تجنى عليه (أي ادعى ذنبا لم يفعله) ، وقامله ضمير عمار بن ياسر ، فعنى لما اعتل أي لما رماني عمار بالجبن .

(۳) يبني أهله محلا : أي يبني محل أهله أي يطلب مصير أهله الذين استشهدوا في سبيل الله فسكنوا جنات الخلد ، فهو يبني لقاءهم والاجتماع بهم هناك .

(۴) يفل : يهزم ويغلب ، وتله حمره ، أو ألقاه على عنقه وخده (وفي الأصل : أسلمهم بدى الكموب سلا وهو تحريف ، إذ رواية الطبري ، وابن الأثير يتلهم بالثناء ، أو هو صحيح على معنى : أسل أرواحهم وانزعمها) ، وذو الكموب : الرمح ، وكموب الرمح : النواشر في أطراف الأنايب .

فقال عمرو متمثلاً :

وقد يَنْبُتُ المَرْعَى عَلَى دِمَنِ الثَّرَى وَتَبَقَى حِرَازَاتُ النُّفُوسِ كَمَا هِيَ^(۱) ،
« دُونَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الضَّبَّ الضَّبَّ »^(۲) ، فَاشْخَبْ أَوْدَاجَهُ^(۳) عَلَى أَسْبَاجِهِ^(۴) ،
وَلَا تَرُدَّهُ إِلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ ، فَإِنَّهُ لَا يَصْبِرُ عَلَى النِّفَاقِ ، وَهَمَّ أَهْلُ غَدْرِ وَشَقَاقِ ، وَحِزْبِ
إِبْلِيسَ لِيَوْمِ هَيْبَجَانِهِ ، وَإِنْ لَهُ هَوًى سَيُودِيهِ^(۵) ، وَرَأْيَا سَيُطْفِئِيهِ^(۶) ، وَبِطَانَةَ سَتُقُوبِيهِ ،
« وَجَزَاهُ سَيِّئَةٌ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا » .

(۱) الدمن : جمع دمنة ، وهى ما اسود من آثار الدار بالبحر والرماد وغيرهما ، وهذا البيت
لزفر بن الحارث السكلابي من قصيدة قالها ، وقد قتل ابنه يوم وقعة مرج راهط ، التي نشبت بعد
موت معاوية الثاني بين مروان بن الحكم وبين من خالف على الأموية ودعا إلى الزبيرية من الضحاك بن قيس
الفهري وأتباعه ، ومنهم زفر السكلابي ، وقد دارت عليهم الدائرة ، وقتل الضحاك « انظر تاريخ الطبري ،
ومروج الذهب ، والعقد الفريد » . (۲) الضب : حيوان برى يشبه الورل ، وهو يتلون ألوانا بحر
الشمس كما تتلون الحرباء ، وقد ضرب به المثل فقالوا : « أُخِذَ مِنْ ضَبِّ » ، وذلك أنهم كانوا يصيدونه ،
فيأتي الحارث (حرش الضب واحترشه : صاده) ويحرك يده على باب جحره ليظنه حية فيخرج ذنبه ليضربها
فيأخذه ، ولكن الضب شديد الحذر فإنه يمد بلذبه باب جحره ليضرب به حية أو شيئا آخر إن جاءه ،
فيجىء المحترش ، فإن كان الضب مجربا أخرج ذنبه إلى نصف الجحر ، فإن دخل عليه شيء ضربه وإلا بقى في
جحره ، فهذا هو خدعه - يعنون به شدة حذره - وقيل إن معناه أن جحره قلما يخلو من عقرب ، لما بينها
من الألفة والاستعانة بها على المحترش ، فإذا أدخل المحترش يديه لدغته وأنشدوا :

وَأُخِذَ مِنْ ضَبِّ إِذَا جَاءَ حَارِشٌ أَعْدَ لَهُ عِنْدَ الذَّنَابَةِ عَقْرَبًا

ويقولون : « فلان خب ضب » (والخب بالفتح وبكسر المخادع) فيشبهون الحقد الكامن في قلبه
الذي يسرى ضرره ، بخدع الضب في جحره (ومن أمثالهم فيه أيضا) « أعق من ضب » - يريدون الأنثى ،
وعقوتها أنها تأكل أولادها ، وذلك أن الضبة إذا باضت حرست بيضها من كل ما قدرت عليه من ورل وحية
 وغير ذلك ، فإذا نعت أولادها ، وخرجت من البيض . ظننا شيئا يريد بيضها ، فوثبت عليها نقتلها ،
فلا ينجو منها إلا الشريد - وقالوا : « أعقد من ذنب الضب » ذكروا أن فيه إحدى وعشرين عقدة
- « وأجبن من ضب » ، « وأبلد من ضب » ، « وأحيا من ضب » - أى أطول عمرا .

(۳) الأوداج جمع ودج بالتحريك : عرق في المنق ، وشخبت أوداج القتل دما من بابي قتل ونفع :
جرت ، وشخب اللبن وكل مائع : در وسال ، وشخبتة أفا يتعدى ولا يتعدى . (۴) الأسباج جمع
سبجة « كفرصة » وسبجة القميص : لبنته - بنيقته . (۵) أى وإن له ميلا إلى آل علي مهلكه .
(۶) طفى : جاوز القدر وارتفع وغلا في الكفر وأسرف في المعاصي والظلم .

فقال عبد الله : « يا عمرو إن أقتل فرجلاً أسلمته^(۱) قومته ، وأدرکه يومه ، أفلا كان هذا منك إذ تحميد عن القتال ، ونحن ندعوك إلى التزال ، وأنت تلوذ بِبِمَالِ النَّطَافِ^(۲) ، وعقائق الرِّصَافِ^(۳) ، كالأمّة السوداء ، والنعجة القوداء^(۴) لا تدفع يدَ لَامِسٍ . »

فقال عمرو : « أما والله لقد وقعت في لهاذِم^(۵) شدقم الأقران ذي إبيد ، ولا أحسبك مُنْقَلَبًا من مخاليب أمير المؤمنين . »

فقال عبد الله : « أما والله يا ابن العاص ، إنك لبَطِرٌ في الرِّخَاءِ ، جبان عند اللقاء ، غَشُومٌ^(۶) إذا ولّيت ، هَيَّابٌ إذا لقيت ، تَهْدِيرٌ^(۷) كما يهدر العود المنكوس ، المقيد بين بحري الشول ، لا يُسْتَعَجَلُ في المدة ، ولا يُرْتَجَى في الشدة ، أفلا كان هذا منك ، إذ غمرك أقوام لم يُعَنَّفُوا صفاراً ، ولم يُزَقُّوا كباراً . لهم أبيد شداد ، وألسنة حداد ،

(۱) خذله . (۲) النطاف جمع نطفة (كفرصة) وهي الماء الصافي ، قل أو أكثر ، وفي الحديث « قطعنا إليهم هذه النطفة » أي البحر وماءه ، وفي حديث علي : « ونهلهما عند النطاف والأعشاب » يعني الإبل والماشية . يريد أنها إذا وردت على المياه والعشب يدهها لترد وترعى . (۳) الرصفة بالتحريك الحجارة التي يرصف بعضها إلى بعض في مسيل فيجتمع فيها ماء المطر ، والعقائق : الغدران . يقال لكل مسيل شقه ماء السيل فأنهره ووسعه عقيق ، والجمع أعقة وعقائق ، وقيل العقائق هي الرمال الحمر .

(۴) مؤنث الأقود : وهو الذاول المنقاد . (۵) جمع لهزم كجمفر : وهو القاطع من الأسته ، والشدقم : الأسد ، والواسع الشدق ، وشدقم للأقران أي أسد مبتلع للأقران ، واللبد جمع لبدة بالكسر ، ولبدة الأسد : ماتلبد من شعره على منكبيه ، وكنيته « ذو لبدة » ويكنى أيضا أبا الأبطال ، وأبا شبل ، وأبا العباس ، وأبا الحارث ، وأبا حفص ، وأبا الزعفران . (۶) ظلوم ، غشمه كفر به غشما ظلمه .

(۷) هدر البهير وهدر بالتشديد : صوت ، وفي المثل « كالمهدر في العنة » والعنة بضم العين وتشديد النون : الحظيرة . يضرب لمن يصيح ويحلب ولا ينفذ قواه ولا فعله ، كالبهير يحبس في الحظيرة ممنوعاً من الضراب وهو يهدر ، والعود : المسن من الإبل ، والمنكوس : الذي عاوده المرض بعد النقه ، والشول جمع شائلة ، وهي من الإبل ما أتى عليها من حملها أو وضمها سبعة أشهر فجف لبنها .

يَدْعَمُونَ الْعَوْجَ^(۱) ، وَيُذْهِبُونَ الْحَرْجَ^(۲) ، يُكْثِرُونَ الْقَلِيلَ ، وَيَشْفُونَ الْغَلِيلَ ،
وَيُعِزُّونَ الذَّلِيلَ ؟

فقال عمرو : « أما والله لقد رأيت أباك يومئذ تحفق^(۳) أحشاؤه ، وتبوق^(۴) أمعاؤه
وتضطرب أصلاؤه^(۵) ، كأنما انطبق عليه ضمد^(۶) . »

فقال عبد الله : « يا عمرو ، إنا قد بلونناك ومقاتلك ، فوجدنا لسانك كذوباً غادراً ،
حلوت بأقوام لا يعرفونك ، وجند لابسامونك ، ولو رمت المنطق في غير أهل الشام ،
لجحظ^(۷) إليه عقلاك ، ولقلجاج لسانك ، ولاضطرب فخذاك اضطراب القعود^(۸) الذي
أنقله جملة . »

فقال معاوية : « إيهأ^(۹) عنكما ، وأمر بإطلاق عبد الله ، فقال عمرو لمعاوية :

أمرتك أمراً حازماً فمصيتني	وكان من التوفيق قتل ابن هاشم
أليس أبوه (يامعاوية) الذي	أعان علياً يوم حز الغلام ^(۱۰)
فلم ينثنى حتى جرت من دمانا	بصفين أمثال البحور الخضارم ^(۱۱)
وهذا ابنه ، والمره يشبه سنخه	ويوشك أن تفرع به سن نادم ^(۱۲)

(۱) العوج : بالفتح ، في كل ما كان متصباً مثل الإنسان والمصا والعود وشبهه ، والعوج :
بالكسر ، ما كان في بساط أو أرض أو معاش أو دين ، وقيل بالفتح مصدر وبالكسر اسم منه ، ودعمه
(كنه) مال فأقامه . (۲) حرج صدره كفرح حرجا : ضاق . (۳) تضطرب .

(۴) تبوق ، بقى النبت بقوقا : طلع . (۵) جمع صلا بالفتح : وهو وسط الظهر من الإنسان ومن
كل ذي أربع ، وقيل هو ما انحدر من الوركين . (۶) ضمد جرحه : شدة بالضاد والضامة (بالكسر)
أي المصابة ، والجمع ضمد ككتب . (۷) من جحظت العين جحوظا : إذا برزت مقلتها ، والمراد
اضطرب عقلك وشرد ولم يسل لك قياد التفكير . (۸) القعود من الإبل : الذي يقتحمه الراعي في كل حاجة .
(۹) أمر بالسكوت . (۱۰) الغلام : جمع غلصمة بفتح الغين والصاد ، وهي رأس الخلفوم
- الموضع الناق في الحلق - أو أصل اللسان . (۱۱) الخضارم جمع خضرم بكسر الخاء والراء : البحر
العظيم . وإثبات الياء في ينثنى مع الجازم لغة أو للضرورة أو إشباع والحرف الأصلي محذوف للجازم .
(۱۲) قرع فلان سته : حرقه ندما (حرق نابه - كنصر وضرب - سحقه حتى سمع له صريف)
وسكن الفعل للضرورة ، والسنخ : الأصل من كل ثوب ، (وي الأصل شيخه وهو تصحيف) .

فقال عبد الله بحبيبه :

مُعَاوِيَ : إِنَّ الْمَرْءَ عَمْرًا أَبَتْ لَهُ ضَغِينَةُ صَدْرٍ غَشِيَتْهَا غَيْرُ نَائِمٍ
 يَرَى لَكَ قَتْلِي (يَا بَنَ هِنْدِ) وَإِنَّمَا يَرَى مَا يَرَى عَمْرٌ وَمُلُوكُ الْأَعَاجِمِ
 عَلَى أَنَّهُمْ لَا يَقْتُلُونَ أَسِيرَهُمْ إِذَا مُنِعَتْ مِنْهُ عَهْدُ الْمَسَالِمِ
 وَفَدَّ كَانَ مِنَّا يَوْمَ صِفِّينَ نَعْرَةً عَلَيْكَ جَنَاهَا هَاشِمٌ وَابْنُ هَاشِمٍ (۱)
 قَضَى مَا انْقَضَى مِنْهَا ، وَإِسِ الَّذِي مَضَى وَلَا مَا جَرَى إِلَّا كَأَضْغَاثِ حَالِمٍ (۲)
 فَإِنْ تَعَفُّ عَنِّي تَعَفُّ عَنِ ذِي قُرَابَةِ وَإِنْ تَرَ قَتْلِي تَسْتَحِلُّ مَحَارِمِي (۳)

فقال معاوية :

أَرَى الْعَفْوَ عَنْ عَلِيًّا قَرِيشَ وَسَيْلَةَ إِلَى اللَّهِ فِي الْيَوْمِ الْعَصِيبِ الْقُمَاطِرِ (۴)
 وَلَسْتُ أَرَى قَتْلَ الْعُدَاةِ ابْنِ هَاشِمٍ بِإِدْرَاكِ نَأْرِي فِي لَوْئِي وَعَامِرِ (۵)
 بَلِ الْعَفْوَ عَنْهُ بَعْدَ مَا بَانَ جُرْمُهُ وَزَاتُ بِهِ إِحْدَى الْجُدُودِ الْعَوَائِرِ
 فَكَانَ أَبُوهُ يَوْمَ صِفِّينَ جَمْرَةَ عَلَيْنَا فَأَرَدْتَهُ رِمَاحُ نَهَابِيرِ (۶)

(۱) نمر القوم كنع : هاجوا واجتمعوا في الحرب ، ونمر الرجل خائف ، وفي الأصل « نقرة » وهو تصحيف . (۲) قضى : مات وذهب ، واضغاث حالم : رؤيا لا يصح تأويلها لاختلافها .
 (۳) كان عبد الله بن هاشم من أقرباء معاوية ، إذ هو ابن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص مالك بن وهيب ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، ومعاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ، فهو يجتمع مع معاوية في جده كلاب . (۴) يوم عصيب : شديد ، ويوم قاطر وقطيرير : شديد أيضا . (۵) العداة جمع عاد : وهو العدو ، ولؤي هو الجد التاسع لمعاوية وعبد الله بن هاشم (والجد الثامن لقبني عليه الصلاة والسلام) وعامر : هو عامر بن لؤي .
 (۶) النهابر : المهالك جمع نهبرة بضم النون والباء وكذا النهابر جمع نهبورة .

۱۲۷ — عبد الله بن هاشم في مجلس معاوية

وحضر عبد الله بن هاشم ذات يوم مجلس معاوية ، فقال معاوية :
« مَنْ يُخْبِرُنِي عَنِ الْجُودِ وَالنَّجْدَةِ وَالْمُرُوءَةِ ؟ » فقال عبد الله : يا أمير المؤمنين ،
أما الجود : فابتدالُ المال ، والعطيَةُ قبل السؤال : وأما النجدة : فالجراءة على الإقدام ،
والصبر عند ازورار الأقدام^(۱) . وأما المروءة فالصلاح في الدين ، والإصلاح للحال ،
والحماية عن الجار .
(مروج الذهب ۲ : ۵۷)

قيس بن سعد بن عبادة ومعاوية

ودخل قيس بن سعد بن عبادة بعد وفاة عليّ ووقوع الصلح ، في جماعة من الأنصار
على معاوية ، فقال لهم معاوية :

۱۲۸ — مقال معاوية

« يا معشر الأنصار ، بِمَ تَطْلُبُونَ مَا قَبِلِي ؟ فوالله لقد كنتم قليلا معي ، كثيراً
مع عليّ ، ولقد قَلَّتُمْ حَدِّي يَوْمَ صِفِين ، حَتَّى رَأَيْتَ الْمَنَابِيا تَلْظِي^(۲) فِي أَسِنَّتِكُمْ ،
وَهَجَوْتُمُونِي فِي أَسْلَافِي بِأَشَدِّ مِنْ وَقَعِ الْأَسِنَّةِ ، حَتَّى إِذَا أَقَامَ اللهُ مِنَّا مَا حَاوَلْتُمْ مَيْلَهُ ،
قَلَّمِ ارْزَعَ فِينَا وَصِيَّةَ رَسُولِ اللهِ^(۳) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، هَيْهَاتَ بِأَبِي الْحَقِيرِ الْغَدْرَةَ . »

(۱) أي عند انحرافها وتزلزلها . (۲) تنلظي : أي تنهب . (۳) وقد وصي عليه الصلاة
والسلام بأن يحسن إلى محسنهم ، ويتجاوز عن مسيئهم .

(۱۰ - جهره خطب العرب - ثان)

١٢٩ - رد قيس بن سعد

فقال قيس : « نطلب ما قبلك بالإسلام الكافي به الله ، لا بما نمتُّ به إليك من الأحزاب . وأما عداوتنا لك فلو شئت كففناها عنك . وأما هجاؤنا إياك فقول يزول باطله ، ويثبت حقه . وأما استقامة الأمر فعلى كرهه كان منا . وأما قلنا حدك يوم صفين فإننا كنا مع رجل نرى طاعته لله طاعة ، وأما وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بنا ، فمن آمن به رعاها بعده . وأما قولك يابى الحقيير القدرة ، فليس دون الله يد تحجزك منا يا معاوية . »

فقال معاوية يومه : « ارفعوا حواججكم »

(مروج الذهب ٢ : ٦٣ ، والعقد الفريد ٢ : ١٢١)

١٣٠ - معاوية وصعصعة بن صوحان وعبد الله بن الكواء

روى المسعودى فى مروج الذهب قال :

حبس معاوية صعصعة بن صوحان العبدي ، وعبد الله بن الكواء اليشكري ورجالاً من أصحاب علي ، مع رجال من قريش ، فدخل عليهم معاوية يوماً ، فقال : « نشدتكم بالله إلا ما قلم حقاً وصدقا ، أى الخلفاء رأيتموني » ؟ فقال ابن الكواء : « لولا أنك عزممت علينا ما قلنا ، لأنك جبار عنيد ، لا تراقب الله فى قتل الأخيار ، ولكننا نقول : إنك - ما علمنا - واسع الدنيا ضيق الآخرة^(١) ، قريب الثرى بعيد المرعى^(٢) ، تجعل الظلمات نوراً ، والنور ظلمات . » فقال معاوية : « إن الله أكرم هذا الأمر

(١) أى إنك ذو حظ وافر فى الدنيا وليس لك من ثواب الآخرة من نصيب .

(٢) قريب الثرى : قريب الحلول فى الثرى : أى قريب الأجل ، وبعيد المرعى : كناية عن أنه بعيد

الأمل . والمعنى أنك واسع الآمال بعيد مرعى الأمانى ، مع يقينك أن الارتحال عن هذه الدار وشيك .

بأهل الشام ، الذابین عن بیضته ، التارکین لحارمه ، ولم یكونوا كأمثال أهل العراق ، المنهکین لحارم الله ، والمُحِلِّین ما حرّم الله ، والمُحَرِّمِین ما أحل الله . فقال عبد الله ابن الکواء : « یابن أبی سفیان ، إن لكل کلام جوابا ، ونحن نخاف جبروتک ، فإن کنت تُطلق السنننا ذببنا عن أهل العراق ، بالسنة حداد ، لا يأخذها فی الله لومة لائم وإلا فإننا صابرون حتی یحکم الله ویضعنا علی فرجه » . قال : « والله لا یطاقُ لك لسان » .

ثم تکلم صعصعة فقال : « تکلمت یابن أبی سفیان فأبلفنت ، ولم تقصّر عما أردت ، ولیس الأمر علی ما ذكرت ، أئی یكون الخلیفة من ملأک الناس قهراً ، ودانهم ^(۱) کبیراً ، واستولی بأسباب الباطل کذبا ومکراً ؟ أما والله مالک فی يوم بدر مَضْرَب ولا مرّی ^(۲) ، وما کنت فیهِ إلا كما قال القائل : « لآحی ولا سیری » ، ولقد کنت أنت وأبوك فی العیر والنّفیر ^(۳) من أجلب علی رسول الله صلی الله علیه وسلم وإنما أنت طلیق ابن طلیق ^(۴) ، أطلقکما رسول الله صلی الله علیه وسلم ، فأئی تصلح الاخلافة لطلیق ؟ » ، فقال معاویة : « لولا أنى أرجع إلى قول أبی طالب حیث یقول :

(۱) دانه : ملکه وأذله واستعبده . (۲) أى مالک ضرب ولا رمى . (۳) العیر : الإبل تحمل المیره ، والمراد بها هنا عبر قریش الی کان یقودها أبو سفیان بن حرب - وكان رسول الله صلی الله علیه وسلم قد تحین انصرافها من الشام - فلما دنا أبو سفیان من المدینة ، وعرف أن میون رسول الله صلی الله علیه وسلم ترصده ساحل بعیره (أنى بها الساحل) وترك بدرا یسارا ، وقد کان بعث إلى قریش حین فصل من الشام یخبرهم بما یخافه من محمد ، فأقبلت قریش من مکة ، فأرسل إليهم أبو سفیان یخبرهم أنه قد أحرز العیر (أى حصنها) وبأمرهم بالرجوع ، فأبت قریش أن ترجع ، ورجعت بنو زهرة وعدلوا إلى الساحل منصرفین إلى مکة فصادفهم أبو سفیان فقال : یابنی زهرة لانی العیر ولانی النّفیر (فلهبت مثلاً) قالوا أنت أرسلت إلى قریش أن ترجع ، ومضت قریش إلى بدر فقاتلهم النبی وأظفره الله بهم ، والنّفیر : القوم یتنّفرون للحرب وهم هنا مشرکوا مکة الذین خرجوا یتنقلون العیر ، وكان رئیسهم عتبة بن ربیعة بن عبد شمس جد معاویة لأمه . (۴) الطلقاء : هم الذین عفا عنهم النبی صلی الله علیه وسلم بعد فتح مکة ، فقال لهم اذهبوا فأنتم الطلقاء .

قَابَلْتُ جَهْلَهُمْ حِلْمًا وَمَغْفِرَةً وَالْعَفْوُ عَن قَدْرَةٍ ضَرْبٌ مِنَ الْكَرَمِ .
لَقَتَلْتُمْ ۝ (مروج الذهب ٢ : ٧٨)

١٣١ - صعصعة بن صوحان ومعاوية

ودخل صعصعة بن صوحان على معاوية ، فقال له :

« يا بن صوحان ، أنت ذو معرفة بالعرب وبجبالها ، فأخبرني عن أهل البصرة ، وإياك والحل على قوم لقوم ۝ قال : « البصرة واسطة^(١) العرب ، وَمُنْتَهَى الشرف والسودد ، وهم أهل الخِطَط^(٢) في أول الدهر وآخره ، وقد دارت بهم سرّوات^(٣) العرب كدوران الرّيح على قُطْبِهَا ۝ ، قال : فأخبرني عن أهل الكوفة ، قال : « قُبَّةُ الْإِسْلَامِ ، وَذِرْوَةُ الْكَلَامِ ، وَمَصَانُ ذَوِي الْأَعْلَامِ - إِلَّا أَنْ يَهِيَ أَجْلَافًا^(٤) تَمْنَعُ ذَوِي الْأَمْرِ الطَّاعَةَ ، وَتُخْرِجُهُمْ عَنِ الْجَمَاعَةِ - وَتَلِكُ أَخْلَاقُ ذَوِي الْهَيْئَةِ وَالْقِنَاعَةِ ۝ . قال : فأخبرني عن أهل الحجاز ، قال : « أَسْرَعُ النَّاسِ إِلَى فِتْنَةٍ ، وَأَضْعَفُهُمْ ضَمًّا ، وَأَقْلَهُمْ فَنَاءً^(٥) فِيهَا ، غَيْرَ أَنْ لَهُمْ ثَبَاتًا فِي الدِّينِ ، وَتَمَسُّكَ بِمَرْوَةِ الْيَقِينِ ، يَتَّبِعُونَ الْأَيْمَةَ الْأَبْرَارَ ، وَيَخْلَعُونَ الْفَسَقَةَ الْفُجَّارَ ۝ فقال معاوية : مَنْ الْبَرَّةُ وَالْفَسَقَةُ ؟ فقال : « يَا بَنِي سُفْيَانَ ، تَرَكَ الْخِلْدَاعَ ، مَنْ كَشَفَ الْقِنَاعَ ، عَلَى وَأَصْحَابِهِ مِنَ الْأَيْمَةِ الْأَبْرَارِ ، وَأَنْتَ وَأَصْحَابُكَ مِنْ أَوْلَادِكَ ۝ ثم أحب معاوية أن يمضي صعصعة في كلامه ، بعد أن بان فيه الغضب ، فقال : أخبرني عن القُبَّةِ الْحَمْرَاءِ فِي دِيَارِ مَضَرَ^(٦) ، قال :

(١) هو على التشبيه بواسطة العقد : وهي الجوهرة الفاخرة التي تجعل وسطه . (٢) الخِطَط جمع خِطَة بالكسر : وهي الأرض تنزل من غير أن ينزلها نازل قبل ذلك ، ومنه خِطَط الكوفة والبصرة . وقد خِطَطها لنفسه واخْتِطَها : وهو أن يعلم عليها علامة بالخط ليعلم أنه قد احتازها . (٣) السُّرُوت بالفتح : المروة في شرف ، سرور فهو سرور وجمعه أسرياء وسروراه كفضلاء والمرأة بالفتح اسم جمع وجمعه سرورات . (٤) جمع جلف بالكسر : وهو الرجل الجاني . (٥) غناء : كفاية . (٦) ذكروا أن نزار ابن معد لما حضرته الوفاة جمع بنيه : مضر وإبادة ، وربيعة ، وأنمارا ، فقال : يا بني ، هذه القبة الحمراء =

« أُسْدٌ مُضَرٌّ بَسْلَاءَ بَيْنِ غَيْلَيْنِ ^(۱) ، إِذَا أُرْسَلْتُمْ أَفْتَرَسَتْ ، وَإِذَا تَرَكَتْهَا احْتَرَسَتْ » .
 فقال معاوية: « هنالك يابن صوحان ، العز الراسي ، فهل في قومك مثل هذا ؟ قال :
 هذا لأهله دونك يابن أبي سفيان ، ومن أحب قومًا حُشِرَ معهم » قال : فأخبرني عن ديار ربيعة ،
 وَلَا يَسْتَحْفِنُكَ الْجَهْلُ ، وَسَابِقَةُ الْحِمِيَّةِ بِالْتَعَصُّبِ لِقَوْمِكَ ^(۲) ، قال : « والله ما أنا عنهم براض ،
 ولكني أقول فيهم وعليهم ، هم والله أعلام الليل ، وأذئاب في الدين والميل ، لن تُغْلَبَ
 رأيها إذا رُشِّحَتْ ، خوارج الدين ، برازخ اليقين ، من نصره فَلَجَّ ^(۳) ، ومن خذلوه
 زَايَجٌ ^(۴) » . قال : فأخبرني عن مضر ، قال : « كِنَانَةٌ ^(۵) العرب ، وَمَعْدِنُ الْعِزِّ وَالْحَسَبِ ،
 يَقْدَفُ الْبَحْرَ بِهَا آذِيَةٌ ^(۶) ، وَالْبَرْءُ رَدِيَةٌ » ثم أمسك معاوية ، فقال له صعصعة : سَلْ
 يامعاوية ، وإلا أخبرتك بما تحيد عنه ، قال : وما ذاك يابن صوحان ؟ قال : « أهل
 الشام » قال : « فأخبرني عنهم » ، قال : « أطوع الناس لخلق ، وأعصاهم لخالق ، عَصَاةُ
 الْجِبَّارِ ، وَخَلْفَةٌ ^(۷) الْأَشْرَارِ ، فَعَلِيهِمُ الدَّمَارُ ، وَلَهُمْ سَوْدُ الدَّارِ » . فقال معاوية : « والله

= - وكانت من آدم - لمضر - وهذا الفرس الأدهم والحياء الأسود لربيعة ، وهذه الخادم - وكانت شمطاء
 - لإياد ، وهذه البدره (بالفتح : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار) والمجلس
 لأنمار يجلس فيه ، فإن أشكل عليكم كيف تقسمون ، فأتوا الأفعى الجرهمي ، ومنزله بنجران ، فتشاجروا
 في ميراثه ، فاختصموا إلى الأفعى الجرهمي ، وهو حكم العرب ، فقصوا عليه قصتهم ، وأخبروه بما أوصى
 به أبوه فقال : ما أشبه القبة الحمراء من مال فهو لمضر ، فذهب بالدنانير والإبل الحمر ، فسمى مضر الحمراء
 لذلك ، وقال : وأما صاحب الفرس الأدهم والحياء الأسود ، فله كل شيء أسود ، فصارت لربيعة الخليل
 الدهم ، فقيل ربيعة الفرس ، وما أشبه الخادم للشمطاء فهو لإياد ، فصارت له الماشية للبلق من الحلق والنقد
 (الحلق : بفتح الحاء والياء وتشديد اللام : غنم صفار لا تكبر ، أو قصار المعز ودماها ، والنقد كسب :
 جنس من الغنم قبيح الشكل) فسمى إياد الشمطاء ، وقضى لأنمار بالدرهم وبما فضل : فسمى أنمار الفضل
 فصدروا من عنده على ذلك . - مجمع الأمثال ۱ : ۱۰ . (۱) بسلاء جمع باسل : وهو الأسد والشجاع
 والغيل بالكسر ويفتح : الشجر الكثير الملتف والأجمة . (۲) وكان صعصعة من بني عبد القيس
 ابن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار . (۳) فلج على خصمه : ظفر وفاز . (۴) زلق وزل .
 (۵) الكنانة في الأصل : جمعة السهام . (۶) الآذى : الموج . (۷) الخلفة في الأصل :
 معلق خلف الراكب ، والمراد بها هنا أتباع .

یا بن صوحان ، إنك لحامل مُذيتك منذ أزمان (۱) « إلا أن حلم ابن أبي سفيان يردُّ عنك .
فقال صعصعة : « بل أمر الله وقدرته ، إن أمر الله كان قَدَرًا مقدورًا » .

(مروج الذهب ۲ : ۷۸)

۱۳۲ — صعصعة بن صوحان وعبد الله بن عباس

وروى المسعودى فى مروج الذهب أيضاً ، قال :

« عن مصقلة بن هُبيرة الشَّيباني قال : سمعت صعصعة بن صوحان وقد سأله ابنُ
عباس : ما السُّوددُ (۲) فيكم ؟ فقال : إطعامُ الطعام ، ولينُ الكلام ، وبَذلُ النِّوال ،
وكفُّ المرءِ نفسه عن السؤال ، والتودُّدُ للصغير والكبير ، وأن يكون الناس عندك
شَرعاً (۳) . قال : فما المرُوءة ؟ قال : « أخوان اجتمعا ، فإن لقياً قهراً ، (وإن كان) (۴)
حارسهما قليل ، وصاحبهما جليل ، محتاجان (۵) إلى صيانة ، مع نزاهةٍ وديانة » . قال : فهل
تحفظُ فى ذلك شعراً ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول مُرَّة بن ذهل بن شيبان حيث يقول :
إن السِّيادةَ والمرُوءةَ عُلُقاً حيثُ السماء من العَمَّكِ الأعزَلِ (۶)
وإذا تقابل مُجربانِ لِفأيةٍ عَثَرَ الهَجِينُ وأسلمته الأرجلُ (۷)
ويجى الصَّريحُ معَ العِتاقِ مُعوذاً قربَ الجيادِ فلم يجِته الأفكلُ (۸)

(۱) كناية من مجاهرته بالعداوة . (۲) السودد بفتح الدال غير مهموز ، والسودد بضم الدال
مهموزا والسيادة والسودد . (۳) شرعاً بسكون الراء وفتحها أى سواء . (۴) أى أنهما قوتان
عظيمنتان لصاحبهما ، تقهران مايلقاه من الشدائد والصعاب . وقوله « وإن كان » أى وإن كان مالقياء عظيماً
ولعله زيادة من خطأ النساخ أو الطباع . (۵) فى الأصل « لحاجان » وهو تحريف .
(۶) السماء كان الأعزل والرامي : نجمان نيران ، وسمى أعزل لأنه لا شيء بين يديه من السكواكب
كالأعزل الذى لا سلاح معه كما كان مع الرامح . (۷) فرس هجين : إذا لم يكن عتيقاً كريماً ، وأسلمته : خذلته .
(۸) لم يجته الأفكل : أى لم تصبه الرعدة « ويلاحظ أن فى هذا الشعر هيبا من عيوب القافية وهو الإقواء ،
لأن حركة الروى فى البيت الأول كسر ، وفى الثانى والثالث ضم ، وقد وقع فى شعر النابغة الذبياني ، وحسان
ابن ثابت ، وبشر بن أبى خازم . . . » .

فی آیات . فقال له ابن عباس : لو أن رجلاً ضرب آباطاً^(۱) إبله ، مُنْزَرَفًا وَمُغْرَبًا
ثِقَانْدَةً هذه الأبيات ما عَنَّفْتُهُ ، إنا منك يا ابن صُوحان لَعَلَى عِلْمٍ وَحِلْمٍ واستنباط ما قد عَفَا^(۲)
من أخبار العرب ، فمن الحلِيمُ فيكم ؟ قال : « مَنْ مَلَكَ غَضَبَهُ فَلَمْ يَفْعَلْ ، وَسُئِيَ إِلَيْهِ بِحَقِّ
أَوْ بَاطِلٍ فَلَمْ يَقْبَلْ ، وَوَجَدَ قَاتِلَ أَبِيهِ وَأَخِيهِ ، فَصَفَحَ وَلَمْ يَقْتُلْ ، ذَلِكَ الْحَلِيمُ يَا بَن
عَبَّاسِ » . قال : فهل تجد ذلك فيكم كثيراً ؟ قال : « وَلَا قَلِيلًا ، وَإِنَّمَا وَصَفْتَ لَكَ أَقْوَامًا
لَا تَجِدُهُمْ إِلَّا خَاشِعِينَ رَاهِبِينَ ، لِلَّهِ مُرِيدِينَ ، يُبْنِيُونَ وَلَا يَنْالُونَ ، فَأَمَّا الْآخَرُونَ فَأِنَّهُمْ
سَبَقَ جَهْلُهُمْ حِلْمَهُمْ ، وَلَا يَبَالِي أَحَدُهُمْ (إِذَا ظَفَرَ بِبُغْيَتِهِ) حِينَ الْحَفِيظَةِ^(۳) مَنْ كَانَ ،
بَعْدَ أَنْ يُدْرِكَ زَعْمَهُ ، وَيَقْضَى بُغْيَتَهُ ، وَلَوْ وَتَرَءَهُ أَبُوهُ لَقَتَلَ أَبَاهُ ، أَوْ أَخُوهُ لَقَتَلَ أَخَاهُ ،
أَمَا سَمِعْتَ إِلَى قَوْلِ رَيَّانِ بْنِ عَمْرِ بْنِ رَيَّانِ ، وَذَلِكَ أَنَّ عَمْرًا أَبَاهُ قَتَلَهُ مَالِكُ بْنُ كُومَةَ ،
فَأَقَامَ رَيَّانُ زَمَانًا ثُمَّ غَزَا مَالِكًا ، فَأَتَاهُ فِي مَائَتِي فَارِسٍ صَبَاحًا ، وَهُوَ فِي أَرْبَعِينَ بَيْتًا ،
فَقَتَلَهُ وَقَتَلَ أَصْحَابَهُ وَقَتَلَ عَمَّهُ فِيمَنْ قَتَلَ ، — وَيُقَالُ بَلْ كَانَ أَخَاهُ — وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ جَاوَرَهُمْ ،
فَقَتَلَ لَرِيَّانَ فِي ذَلِكَ : قَتَلْتُ صَاحِبَنَا ، فَقَالَ :

فَلَوْ أُمِّي ثَقِفْتُ بِحَيْثُ كَانُوا لَبَلَّ ثِيَابَهَا عَاقٌ صَبِيبٌ^(۴)
وَلَوْ كَانَتْ أُمِّيَّةٌ أُخْتُ عَمْرٍو بِهَذَا الْمَاءِ ، ظَلَّهَا نَحِيبٌ
شَهَرْتُ السِّيفَ فِي الْأَذْنَيْنِ مِنِّي وَلَمْ تَعْطِفِ أَوْاصِرَنَا قُلُوبٌ^(۵)

فقال ابن عباس : فمن الفارس فيكم ؟ حَدُّ لِي حَدًّا أَسْمَعُهُ مِنْكَ ، فَإِنَّكَ تَضَعُ الْأَشْيَاءَ
مَوَاضِعَهَا يَا بَنَ صُوحَانَ ، قَالَ : « الْفَارِسُ مَنْ قَصُرَ أَجَلُهُ فِي نَفْسِهِ ، وَضَعَمَ^(۶) عَلَى أَمَلِهِ
بِضِرِّسِهِ ، وَكَانَتْ الْحَرْبُ أَهْوَنَ عَلَيْهِ مِنْ أُمِّيهِ ، ذَلِكَ الْفَارِسُ إِذَا وَقَدَتْ^(۷) الْحُرُوبُ ،

(۱) آباط جمع لبط كحمل وإبل : باطن النكب . (۲) درس واحى . (۳) الحمية والغضب .
(۴) ثقفه كسمه : صادفه ، والعلق : الدم ، أو الشديد الحمرة ، وصبيب : أى مصبوب .
(۵) أواصر جمع أصرة : وهى القرابة ، وحبل صغير يثد به أسفل الجباه . (۶) ضغفه كنع : عقه .
(۷) وقدت النار (كوهد) توقدت .

واشتدت بالأَنْفَسِ السُّكْرُوبِ ، وتَدَاعَوْا لِلنِّزَالِ ، وَتَزَاحَفُوا لِلْمُقْتَالِ ، وَتَخَالَسُوا الْمُهَاجِ (۱) ،
 واقْتَحَمُوا بِالسُّيُوفِ اللُّجَجِ ، قال : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ يَا بَنَ صُوحَانَ ، إِنَّكَ أَسَلِيلُ أَقْوَامِ
 كِرَامٍ ، خُطْبَاءُ فَصَحَاءِ ، مَا وَرِثْتَ هَذَا عَنِ كَلَالَةَ (۲) ، زِدْتَنِي ، قال : نعم ، الفارسي
 كثير الحَذَرِ ، مُدِيرِ النَّظَرِ ، يَلْتَفِتُ بِقَلْبِهِ ، وَلَا يَدِيرُ خَرَزَاتِ صُلْبِهِ (۳) . قال : أَحْسَنْتَ
 وَاللَّهِ يَا بَنَ صُوحَانَ الوَصْفَ ، فَهَلْ فِي مِثْلِ هَذِهِ الصِّفَةِ مِنْ شَعْرٍ ؟ قال : نعم ، لزهير بن
 جَبَّابِ السُّكَّابِيِّ (۴) يَرِثِي ابْنَهُ عَمْرًا حَيْثُ يَقُولُ :

فَارِسٌ تُكَلَّلُ الصَّحَابَةُ مِنْهُ بِحُسَامٍ يَمُرُّ مَرَّةَ الْحَرِيقِ (۵)
 لَا تَرَاهُ لَدَى الْوَعْنَى فِي تَجَالٍ يُغْفَلُ الصَّرْبَ لَا ، وَلَا فِي مَضِيْقٍ
 مَنْ يَرَاهُ يَخَلُّهُ فِي الْحَرْبِ يَوْمًا أَنَّهُ أَخْرَقَ مُضَلُّ الطَّرِيقِ (۶)

فِي أَيْبَاتِ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَأَيْنَ أَخْوَاكَ مِنْكَ يَا بَنَ صُوحَانَ ؟ صِفْهُمَا لِأَعْرِفَ
 وَرِثَكُمْ ، قَالَ : أَمَا زَيْدٌ فَكَمَا قَالَ أَخُو غَنِي (۷) :

(۱) المهج جمع مهجة : وهي الروح ، وتخالسوها تبادلوا اختلاصها واستلابها .
 (۲) تقول العرب : لم يرثه كلاله أي لم يرثه من عرض بل عن قرب واستحقاق ، قال الفرزدق :
 ورثتم فناة الملك غير كلاله عن ابني مناف عبيد شمس وهاتم
 والكلالة : ما لم يكن من النسب حتمًا ، وبنو العم الأباعد ، وحكى عن أمراء أنه قال : مالي كثير ويرثني
 كلاله متراخ نسبهم ، وكل وارث ليس بوالد للميت ولا ولد له فهو كلاله موروثه . (۳) أي فقرات
 ظهره . (۴) شاعر جاهلي ، وهو أحد المعمرين . (۵) كلاله : حفظه وحرسه .
 (۶) الأخرق : الأحمق ، أما قوله في أول البيت « من يراه » فهو مثل : « ألم يأتيك والأنبياء تنبي »
 ومثل : « لأن لم ترى قبلي أسيرا يمانيا » . الخ ، وقد قال النحويون في ذلك إن إثبات حرف العلة مع
 الجازم لغة ، وقيل ضرورة ، وقيل هو حرف إشباع ، والحرف الأصلي محذوف للجازم . وعندى أنه ربما
 كان الأصل « من رآه » وعليه فلا محذور ، مع استقامة وزن البيت . (۷) هو كعب بن سعد الغنوي
 (شاعر جاهلي) والأبيات المذكورة من قصيدة له يرثي بها أخاه أبا المغوار وأولها :
 نقول سلمي ما لجسمك شاحبا كأنك يحميك الطعام طيب
 (انظرها في الأمل ۲ : ۱۵۰ ، والمعقد الفريد ۲ : ۱۹) .

فَتَى لَا يُبْنِي أَنْ يَكُونَ بُوْجُه (إذا نالَ خَلَاتِ الْكِرَامِ) شُحُوبٌ (۱)
 إذا ما تَرَاهُ الرِّجَالُ تَحَفَّظُوا فلم ينطقوا العوراء وهو قريب (۲)
 حَلِيفُ النَّدَى ، يَدْعُو النَّدَى فَيُجِيبُه قَرِيبًا ، وَيَدْعُوهُ النَّدَى فَيُجِيبُ (۳)
 يَبِيْتُ النَّدَى (يَا أُمَّ عَمْرٍو) ضَجِيْعَه إذا لم يكن في المنقيات حلوب (۴)
 كَانَ بِيُوْتِ الْحَيِّ (مالم يكن بها) بَسَابِسُ مَا يُنْفَى بِهِنَّ غَرِيبٌ (۵)

في أبيات ، كان والله يابن عباس ، عظيم المرؤة (۶) ، شريف الأخوة ، جليل
 الخطر ، بعيد الأثر ، كعيش (۷) المرؤة ، أليف الندوة (۸) ، سالم جوامح الصدر ، قليل
 وسوس الدهر ، ذا كرام الله طرفي النهار وزلفاً (۹) من الليل ، الجوع والشبع عنده
 سيان ، لا ينافس في الدنيا ، وأقل أصحابه من ينافس فيها ، يطيل السكوت ، ويحفظ الكلام ،
 وإن نطق نطق بعقام (۱۰) يهزب منه الدعار (۱۱) الأشرار ، ويألفه الأحرار الأخيار .
 قال ابن عباس : « ما ظنك برجل من أهل الجنة ، رحم الله زيدا ، فأين كان عبد الله
 منه ؟ » ، قال : كان عبد الله سيداً شجاعاً ، وأولفاً (۱۲) مطاعاً ، خيره وساع (۱۳) ، وشره

- (۱) خللات جمع خلة بالفتح : وهي الخصلة ، وشحب لونه كجمع ونصر وكرم وعنى شحوبا: تغير من هزال أو جرع أو سفر . (۲) العوراء : الكلمة القبيحة . (۳) الندى : الجود .
 (۴) المنقيات : ذوات النقي (بالسكر) وهو الشحم ، نانة منقية أي صينة .
 (۵) بسابس جمع بسبس كجعفر : وهو للقفر الخالي (وفي الأصل بسانس وهو تصحيف) .
 (۶) مسهل عن المرؤة . (۷) يقال رجل كعيش الإزار : أي مشر جاد ، ورجل كعيش : عزوم
 ماض سريع في أموره . (۸) الندوة والنادى والمنتدى والندى : مجلس القوم ومنحدثهم ، وفي الأصل
 « البيرة » وأراه مصحفاً ، أو هو فقلة من البدو وهو الظهور ، أي ذو مناهر حسن يؤاف ولا يبع .
 (۹) جمع زلفة بالضم : وهي الطائفة من الليل . (۱۰) داء عقام : لا يبرأ ، أي نطق بقوارص من
 الكلم جارحة مؤلمة لادواء لها . (۱۱) جمع دامر وصف من الدعارة بفتح الدال وكسرهما : وهي الخبث
 والفسق . (۱۲) ألفت وآفته : أتت به فهو مألوف ومؤلف . (۱۳) هل التشبيه بالفرس
 الوساع : وهو الجواد الواسع الخطو والذرع ، والدفاع : السيل العظيم ، والشئ العظيم يدفع به .
 « وفرس دفاع كشاد . إذا تدافع جريه » .

دُفَاع ، قَلْبِي النَّحِيْزَةَ ^(۱) ، أَحُوْدِي ^(۲) الْغَرِيْزَةَ ، لَا يُنْهِنِي ^(۳) مِنْهُنَّ عَمَّا أَرَادَهُ ،
وَلَا يَرْكَبُ مِنَ الْأَمْرِ إِلَّا عِتَادَهُ ^(۴) ، سِمَامُ عِدَا ^(۵) ، وَبَاذِلُ قَرِي ^(۶) ، صَعْبُ الْمَقَادَةِ ،
جَزَلُ الرَّفَادَةِ ^(۷) ، أَخُو إِخْوَانٍ ، وَفَتَى فِتْيَانٍ ، وَهُوَ كَمَا قَالَ الْبُرْجِيُّ عَاسِرُ بْنُ سَنَانٍ :
سِمَامُ عِدَا ، بِالزَّبِيلِ يَبْقَتُلُ مَنْ رَمَى وَبِالسَّيْفِ وَالرُّمْحِ الرَّذِيْبِيُّ يَشْعَبُ ^(۸)
مَهِيْبٌ مُفِيْدٌ لِلنُّوَالِ مُعَوِّدٌ بِفِعْلِ النَّدَى وَالْمَكْرُمَاتِ مُجْرَبٌ
فِي أَبِيَات ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَنْتَ يَا بَنَ صُوحَانَ بَاقِرٌ ^(۹) « عِلْمُ الْعَرَبِ » .

(مروج الذهب ۲ : ۸۰)

۱۳۳ - صعصعة بن صوحان ورجل من بني فزارة

ووقف رجل من بني فزارة على صعصعة ، فأسمه ، كلاماً (منه) :

« بَسَطْتَ لِسَانَكَ يَا بَنَ صُوحَانَ عَلَى النَّاسِ فَتَهَيَّبُوكَ ، أَمَا إِنَّ شِئْتَ لِأَكُونَ لَكَ
إِصَاقًا ^(۱۰) ، فَلَا تَنْطِقْ إِلَّا جَدَدْتُ ^(۱۱) لِسَانَكَ بِأَذْرَبٍ ^(۱۲) مِنْ خُطْبَةِ السَّيْفِ ، بَعْضُ قَوِيٍّ ،
وَلِسَانِ عَالِيٍّ ، نَمَّ لَا يَكُونُ لَكَ فِي ذَلِكَ حَلٌّ وَلَا تَرْحَالُ » فَقَالَ صَعْصَعَةُ : « لَوْ أَجِدُ

- (۱) القلب : محض كل شيء ، والنحيزة : الطبيعة ، أي خالص الطبيعة صافياً . (۲) الأحوذى :
التفيع الحاذق ، والمشمور للأمر القاهر لها لا يشذ عليه شيء . (۳) نهته : كفه وزجره .
(۴) العتاد : العدة . (۵) سمام جمع مم مثلث السين ، والعدا بالكسر والضم اسم جمع عدو أي
هولاء عداء سم قاتل . (۶) قري الضيف (كرى) قري : أضافه ، والقري أيضاً : ما قري به الضيف .
(۷) رفده (كضربه) أعطاه ووصله ، والرفادة في الأصل خرج كانت تخرجه قريش في كل موسم من
أموالها فيصنع به طعام للحجاج ، والمراد بها هنا العطية . (۸) الرديني نسبة إلى ردينة امرأة سمير ،
وكانا يقومان الرماح بخط هجر ، ويشعب : أي يمزق ويصدع . (۹) أصل البقر : أنفتح والشق
والتوسعة ، وكان يقال لمحمد بن علي زين العابدين بن الحسين رضي الله عنهم محمد الباقر ؛ لأنه بقى العلم وحرف
أصله واستنبط فرعه . (۱۰) الإصاق : ما ياصق به . والمعنى لأكون لك ملاصقاً ملازماً .
(۱۱) جد الشيء من باب رد : قطعه . (۱۲) أذرب : أحد ، من ذرب كفرح صار حديداً ماضياً ،
والظبة : حد السيف .

غَرَضًا^(۱) منك لميت ، بل أرى شَبَعًا ، ولا إخال مِثَالًا إلا كَمَرَابٍ^(۲) بَقِيعةٍ ،
يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ ماءً ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ، أَمَا لَوْ كُنْتَ كَفْئًا لَمِيتُ
حَصَائِكَ^(۳) بأذرب من ذَاقِ^(۴) السنانِ ، ولرَشَقْتُكَ بِنِبالٍ ، تَرَدُّعُكَ عن النَّضالِ ،
وَنَخَطَمْتُكَ بِخِطَامِ^(۵) ، يَخْزِمُ مِنْكَ مَوْضِعَ الزَّمَامِ^(۶) . فاتصل الكلام بابن عباس ،
فاستضحك^(۷) من الفزاري ، وقال : « أَمَا لَوْ كَفَّ أَخُو فِزَارَةَ نَفْسَهُ نَقَلَ الصَّخْرَ مِنْ
جَبَلِ شَمَامٍ^(۸) إِلَى الْمَضَابِ ، لَكَانَ أَهْوَنَ عَلَيْهِ مِنْ مَفَارِغَةِ أَخِي عَبْدِ الْقَيْسِ ، خَابَ
أَبُوهُ ، مَا أَجْهَلَهُ ! يَسْتَجْهَلُ أَخَا عَبْدِ الْقَيْسِ وَقُوَاهُ الْمَرِيرَةَ^(۹) ! نَمَّ تَمَثَّلُ :
صَبَّيْتُ عَلَيْهِ وَلَمْ تَنْصَبْ مِنْ أُمَّمٍ إِنْ الشَّقَاءُ عَلَى الْأَشْقِيَيْنِ مَصْبُوبٌ^(۱۰)

(مروج الذهب ۲ : ۸۲)

۱۳۴ - رجل من آل صوحان يمجّبه^(۱۱) عبد الملك بن مروان

وهو يخطب

وخطب عبد الملك بن مروان ، فلما بلغ الغليظة^(۱۲) ، قام إليه رجل من آل صوحان ،
فقال : « مهلا مهلا يا بني مروان ، تأمرون ولا تأتمرن ، وتنهون ولا تنهون ، وتعظون

(۱) الغرض : الهدف . (۲) المراب : ما يرى نصف النهار كأنه ماء ، والقيعة جمع قاع : وهو أرض
سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام ، ويجمع أيضا على قيع (بالسكمر) وثيمان وأقواع وأنوع .

(۳) الحصائل جمع حصيلة ، يقال حصل الشيء تحصيلًا والامم الحصيللة ، قال لبيد :

وكل امرئ يومًا سيملم غيبه إذا حصلت عند الإله الحصائل

والمعنى : أرميت ما حصلت من العلم والمعرفة . (۴) ذلق السنان واللسان كفرح : ذرب فهو ذلق
وأذلق ، وذلق السنان من إضافة الصفة إلى الموصوف . (۵) الخطام : كل ما وضع في أنف البعير ليقناده

به ، وخطمه بالخطام جملة على أنفه ، أو جرت أنفه ليضع عليه الخطام ، وخطمه بالكلام قهره ومنعه حتى لا يبتلع .

(۶) خزم البعير : جعل في جانب منخره الخزامة (ككتابة) والزمام : ما يزوم به . (۷) استضحك

الرجل وتضحك بمعنى . (۸) جبل بالعالية . (۹) أي القوية ، يقال رجل مربر أي قوى

ذو قوة « والمرة بالسكسر القوة » . (۱۰) الأمام : القرب . (۱۱) جبهه كتقطعه : لقيه بما يكره .

(۱۲) وربما كان صوابها « العظة » أي مقام العظة والنصح بدليل قوله « وتعظون ولا تنهون » .

ولا تعظون . أفنتدى بسيرتكم في أنفسكم ، أم نطيع أمركم بالسنتكم ؟ فإن قلم اقتدوا بسيرتنا ، فأنى وكيف ؟ وما الحجة ؟ وما المصير من الله ؟ أفنتدى بسيرة الظلمة الفسقة ، الجورة الخونة ، الذين اتخذوا مال الله دولا^(۱) ، وعبيده خولا^(۲) ؟ وإن قلم اسمعوا نصيحتنا ، وأطيعوا أمرنا ، فكيف ينصح لغيره من يفسد نفسه ؟ أم كيف تجب الطاعة لمن لم تثبت عند الله عدالته ؟ وإن قلم خذوا الحكمة من حيث وجدتموها ، واقبلوا العظة ممن سمعتموها . فعلام ولينا كم أمرنا ، وحكمنا كم في دماننا وأموالنا ؟ أما علمتم أن فينا من هو أنطق منكم باللغات ، وأفصح بالمعاني ؟ فتخلوا عنها^(۳) ، وأطلقوا عقابها ، وخلوا سبيلها ، ينتدب^(۴) إليها آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين شرذتموه في البلاد ، ومزقتموه في كل واد ، بل تثبت في أيديكم لانهضاء المدة ، وبلوغ المهلة ، وعظم المحنة ، إن لكل قائم قدرا لا يعدوه ، ويوما لا يخطوه ، وكتابا بعده يتلوه : (لا يُفَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا) (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) ثم التمس الرجل فلم يوجد (نهاية الأرب ۷ : ۲۴۹)

۱۳۵ - وصف عقيل بن أبي طالب

آل صوحان

قال معاوية لعقيل بن أبي طالب : « مَيِّزْ لِي أَصْحَابَ عَلِيٍّ وَابْدَأْ بِأَكْ صُوحَانَ ، فَإِنَّهُمْ مَخَارِقُ الْكَلَامِ^(۵) » . قال :

(۱) جمع دولة بالضم : أى جملة متداول بينهم . (۲) الخول : ما أعطاك الله تعالى من النعم (محركة) والعبيد والإماء وغيرهم من الخاشية للواحد والجميع والذكر والأنثى ، ويقال للواحد خائل . (۳) أى من الخلافة . (۴) انتدب إليه : أسرع . (۵) مخاريق جمع مخراق بالكسر : وهو السيف ، والصيد والمتصرف فى الأمور الذى لا يقع فى أمر إلا خرج منه (والثور البرى يسمى مخراقا لأن الكلاب تطلبه فيقتل منها ، وفلان مخراق حربى أى صاحب حروب يخف فيها) .

«أَمَّا حَمَصَةٌ فَعَظِيمُ الشَّانِ ، عَضْبُ اللِّسَانِ^(۱) ، قَائِدُ فُرْسَانَ ، قَانِلُ أَقْرَانَ ،
يَرْتُقُ^(۲) مَا فَتَقَ ، وَبَفْتُقَ مَارْتُقَ ، قَلِيلُ النَّظِيرِ . وَأَمَّا زَيْدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ فَإِنَّهُمَا نَهْرَانِ جَارِيَانِ
يَصْبُ فِيهِمَا الْخَلِجَانِ^(۳) ، وَيُنْفَاثُ بِهِمَا الْبُلْدَانَ ، رَجُلًا جِدًّا لَأَعِيبَ مَعَهُ ، وَأَمَّا بَنُو صُوحَانَ
فَكَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا نَزَلَ الْعَدُوُّ فَإِنِ عِنْدِي أَسُودًا تَخْلِسُ الْأَسَدَ الْنَفُوسَا^(۴)

(مروج الذهب ۲ : ۷۵)

۱۳۶ - وصية محمد الباقر^(۵) لعمر بن عبد العزيز

دخل أبو جعفر محمد الباقر ، بن عليّ زين العابدين ، بن الحسين عليهم السلام ، علي
عمر بن عبد العزيز رضی الله عنه فقال : يا أبا جعفر أوصني ، قال :

«أوصيك أن تتخذ صغير المسلمين ولدًا ، وأوسطهم أخًا ، وكبيرهم آبا ، فارحم
ولدك ، ورحم أخاك ، وبرّ أباك ، وإذا صنعت معروفًا فرّبّه^(۶) .»

(الأمال ۲ : ۳۱۲)

(۱) العضب : القاطع . (۲) للرتق : ضد الفتق . (۳) الخليج : نهر فشق من النور الأعظم .
(۴) خلس النوى كضرب خلسا : استلبه . (۵) توفي سنة ۱۱۳ هـ . (۶) أي أدبه ، يقال
رب بالمسكان وأرب : أقام به ودام .

خطب الزبير بين وما يتصل بها^(١)

خطب عبد الله بن الزبير (قتل سنة ٧٣ هـ)

عبد الله بن الزبير ومعاوية

دخل الحسين بن علي رضي الله عنه يوماً على معاوية ، ومعه مولى له يقال له ذكوان وعند معاوية جماعة من قريش ، فيهم ابن الزبير ، فرحب معاوية بالحسين ، وأجلسه على سريره وقال : ترى هذا القاعد (يعني ابن الزبير) فإنه ليذكره الحسد لبني عبد مناف^(٢) فقال ابن الزبير لمعاوية : قد عرفنا فضل الحسين وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكن إن شئت أعلمتك فضل الزبير على أبيك أبي سفيان فعلت ، فتكلم ذكوان مولى الحسين بن علي ، فقال :

(١) تقدم لك في باب خطب بني هاشم وشيعتهم ، خطب أمراء الكوفة من قبل ابن الزبير - انظر خطب عبد الله بن يزيد ، وإبراهيم بن محمد بن طلحة ، وعبد الله بن مطيع في ص ٦٥ - ٧٠ - ٧٦ - ٨٢ - ٦٦ - ٨٣ . (٢) عبد مناف جد يجمع بني هاشم وبني أمية ، فالرسول عليه الصلاة والسلام هو محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، ومعاوية هو معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وأما عبد الله بن الزبير ، فن بن أسد أبوه الزبير بن العوام بن خلود بن أسد بن عبد المطلب ابن قصي .

۱۳۷ - مقال ذکوان

« یابن الزبیر : إن مولای ما یمنعہ من الکلام إلا أن یکون طلق اللسان ، رابط الجنان ، فإن نطق نطق بعلم ، وإن صمت صمت بحلم ، غیر أنه کیف الکلام ، وسبق إلى السنام ، فأقرت بفضلہ الکرام ، وأنا الذی أقول :

فیم الکلام لیسابق فی غایة ^(۱) والناس بین مقصر ومبطل
إن الذی یجری لیدرک شأوه ^(۲) یعنی لغير مسود ومسدد
هل کیف یدرک نور بدر ساطع ^(۳) خیر الأنام وفرع آل محمد

فقال معاویة : صدق قولک یا ذکوان ، أکثر الله فی موالی الکرام مثلاً ، فقال ابن الزبیر : إن أبا عبد الله ^(۴) سکت وتکلم مولاه ، ولو تکلم لأجیناه ، أو اکففنا عن جوابه إجلالاً له . ولا جواب لهذا العبد . قال ذکوان : هذا العبد خیر منك . قال رسول الله صلی الله علیه وسلم : « موالی القوم منهم » ، فأنا مولى رسول الله صلی الله علیه وسلم ، وأنت ابن العوام بن خویرلده ، فنحن أکرم ولآء ، وأحسن فعلاً . قال ابن الزبیر : إنی است أجیب هذا ، فهات ما عندک .

۱۳۸ - مقال معاویة

فقال معاویة :

« قاتلک الله یابن الزبیر ! ما أعیاک ^(۴) وأبغاک ! أتفخر بین یدی أمير المؤمنین وأبی عبد الله ! إنک أنت المتعدی لطورک ، الذی لاتعرف قدرک ، فقس شبرک بفترک ^(۵) »

(۱) بلد تليدا : لم يتجه لشيء ، والفرس : لم يسبق ، والسحابة لم تمطر .

(۲) الشأو : الغاية ، وينمى : ينسب . (۳) كنية الحسين . (۴) ما أعجزك .

(۵) الفتر : ما بين الإهام وطرف السبابة .

ثم تعرّف كيف تقع بين عرّانين^(۱) بنى عبد مناف ، أما والله إنّ دَفَعْتَ في بحور
بنى هاشم وبنى عبد شمس ، لتقطعَنَّك بأواجها ، ثم لتوهين^(۲) بك في أجاجها ، فابقاؤك
في البحور إذا غمرتك ، وفي الأمواج إذا بهرتك^(۳) ؟ هنالك تعرّف نفسك ، وتندم على
ما كان من جرأتك ، وتسمى^(۴) ما أصبحت إليه من أمان ، وقد حيل بين العير
والنزوان^(۵) . فأطرق ابن الزبير ملياً ، ثم رفع رأسه ، فالتفت إلى من حوله ، ثم قال :

۱۳۹ - مقال ابن الزبير

« أسألکم بالله : أتعلمون أن أبي حواری رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن أباه
أبا سفيان حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وأن أمی أسماء بنت أبي بكر الصديق ،

(۱) جمع عرنين بكسر العين : وهو السيد الشريف (وفي الأصل : الأنف أو ماصلب من عظمه) .

(۲) أرهاه : أسقطه ، والأجاج : الملح المر . (۳) بهره بهرا (بالفتح) : غلبه .

(۴) صاه تسمية : قال له كيف أصبحت أو صاكَ الله بخير ، والمراد : وتودع ماكنت فيه من أمان

نادما أسفا عليه ، وربما كان الأصل « وتمنى » بحذف إحدى التاءين أي وتمنى ، أو الأصل « ويتمنى » من

تمنى : إذا تقطع أي يمحى ويندثر ما كنت فيه من أمان . (۵) العير : الحمار وغلب على الوحشي ،

والنزوان : الوثوب . وهو مثل يضرب للقوى تخور قواد ، وأول من قاله صخر بن عمرو أخو الخنساء ،

وذلك أنه غزا بني أسد ، فاكتسح إبلهم ، فجاهم الصريخ فركبوا ، فالتقوا ، فظعن أبو ثور الأسدى صخر

طعنة في جنبه ، وجوى منها فرض حولاً حتى مله أهله ، فسمع امرأة تقول لامرأته سلمى : كيف بملك ؟

ف قالت : لاسى فيرجو ، ولا ميت فينسى ، لقد لقينا منه الأمرين ، وفي رواية أخرى : فرض زمانا حتى ملته

امرأته ، وكان يكرمها فر بها رجل وهي قائمة ، وكانت جميلة ، فقال لها : يباع الكنل ؟ فقالت : نعم عما

قليل ، وكان ذلك بسمعه صخر ، فقال : أما والله إنّ قدرت لأقدمك قبلي ، ثم قال لها : تاويلني السيف

أنظر إليه ، هل تقله يدي ؟ فتأولته ، فإذا هو لا يقله ، فقال :

أرى أم صخر لا تمل عيادتي	وملت سليمان مضجعي ومكاني
فأى امرئ ساوى بأم حليمة	فلا عاش إلا في شقا وهوان
أهم بأمر الحزم لو أستطيعه	وقد حيل بين العير والنزوان

فلما طال به البلاء ، وقد نثأت قطعة من جنبه في موضع الطعنة ، قيل له لو قطعها لرجونا أن تبرأ ، فقال

شأنكم ، وأشفق عليه قوم فهو فأي ، فأخذوا شفرة فقطعوها فأت .

وأمة هند آكلة الأكباد؟ وجدِّي الصديق، وجدته المشدوخ^(۱) بيدر، ورأس الكفر وعمتي خديجة ذات الخطر^(۲) والحسب، وعمته أم جميل حاملة الخطب؟ وجدتي صفية^(۳) وجدته حمّامة^(۴)؟ وزوج عمتي خير ولد آدم محمد صلى الله عليه وسلم، وزوج عمته شر ولد آدم أبو لهب، سيصلي نارا ذات لهب؟ وخالتي عائشة أم المؤمنين، وخالته أشقى الأشقيين؟ وأنا عبد الله، وهو معاوية .

(۱) هو جد معاوية لأمه عتبة بن ربيعة قتله على يوم بدر، والمشدوخ: المسكور: أي المقنول .
 (۲) القدر، أو المنزلة وهي السيدة خديجة بنت خويلد الأسدية عمه أبيه، وزوج الرسول عليه الصلاة والسلام .
 (۳) هي صفية بنت عبد المطلب أم الزبير وعمه الرسول عليه الصلاة والسلام .
 (۴) روى ابن أبي الحديد (م ۱ : ص ۱۵۷) قال :
 « لما ارتحل عقيل بن أبي طالب عن علي عليه السلام أتى معاوية ، فكان في مجلسه يوما وجلسا معاوية حوله ، فقال : يا أبا يزيد : أخبرني عن عسكري وعسكر أخيك ، فقد وردت عليهما ، قال : « أخبرك : مررت والله بعسكر أخى ، فإذا ليل قليل رسول الله صلى الله عليه وآله ونهار كنهار رسول الله صلى الله عليه وآله ، إلا أن رسول الله صلى الله عليه وآله ليس في القوم ، مارأيت إلامصليا ، ولا سمعت إلا قارئا ، ومررت بعسكرك فاستقبلني قوم من المنافقين من نفر برسول الله صلى الله عليه وآله آية العقبة » ثم قال : من هذا عن يمينك يا معاوية ؟ قال : هذا عمرو بن العاص ، قال : هذا الذي اختصم فيه ستة نفر ، فغلب عليه جزار قريش ، فن الآخر ؟ قال الضحاك بن قيس الفهري : قال : أما والله لقد كان أبوه جيد الأخذ لعصب التيوس « وكان يبيع عصب الفحول في الجاهلية ، والعصب كعذب : الكراء الذي يؤخذ على ضرباب الفعل ، أو ضرباه ، أو ماؤه ، وعصب الرجل كضرب : أعطاه الكراء على الضراب ، وفي الحديث : نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن عصب العجل فإن إهارة الفحل مندوب إليها » فن هذا الآخر ؟ قال أبو موسى الأشعري ، قال : هذا ابن السراقة ، فلما رأى معاوية أنه قد أغضب جلساءه ، علم أنه إن استخبره من نفسه قال فيه سوءا ، فأحب أن يسأله ليقول فيه ما يهمله من سوء ، فيذهب بذلك غضب جلسائه ، قال : يا أبا يزيد فما تقول في ؟ قال : دعني من هذا ، قال لتقوان ، قال أتعرف حمّامة ؟ قال : ومن حمّامة يا أبا يزيد ؟ قال : قد أخبرتك ، ثم قام فضى ، فأرسل معاوية إلى النسابة فدعاء ، فقال : من حمّامة ؟ قال : ولى الأمان ؟ قال نعم ، قال حمّامة جدتك أم أبي سفيان كانت بنيا في الجاهلية صاحبة راية ، فقال معاوية لجلسائه : قد ساويتكم وزدت عليكم . فلا تغضبوا .

۱۴۰ - مقال معاوية

فقال له معاوية :

« وَيَحْكُ يَا بَنَ الزَّبِيرِ ! كَيْفَ تَصِفُ نَفْسَكَ بِمَا وَصَفْتَهَا ، وَاللَّهِ مَا لَكَ فِي الْقَدِيمِ مِنْ رِيَاةٍ ، وَلَا فِي الْحَدِيثِ مِنْ سِيَاسَةٍ ، وَلَقَدْ قَدْنَاكَ وَسُدْنَاكَ : قَدِيمًا وَحَدِيثًا ، لَا نَسْتَطِيعُ لَذَلِكَ إِنْكَارًا ، وَلَا عَنْهُ فِرَارًا ، وَإِنْ هُوَ لَا أُحْضِرُ كَيْفَ لَمَوْعُونَ أَنْ قَرِيشًا قَدْ اجْتَمَعَتْ يَوْمَ الْفِجَارِ^(۱) عَلَى رِيَاةِ حَرْبِ بَنِ أُمَيَّةٍ ، وَأَنْ أَبَاكَ وَأَسْرَتَكَ نَحْتُ رَابِتَهُ ، رَاضُونَ بِإِمَارَتِهِ ، غَيْرَ مُنْكَرِينَ لِفَضْلِهِ ، وَلَا طَامِعِينَ فِي عِزِّهِ ، إِنْ أَمَرَ أَطَاعُوا ، وَإِنْ قَالَ أَنْصَتُوا ، فَأَنْزَلْ فِينَا الْقِيَادَةَ ، وَعِزَّ الْوَلَايَةِ ، حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ عِزًّا وَجَلَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

(۱) حرب الفجار : هي حرب هاجت بين قريش وكنانة ، وبين هوازن (من قيس عيلان) وسببها أن النعمان بن المنذر ملك الخيرة كان يبعث إلى سوق صكاظ في كل عام لطيمة (واللطيمة كصحيفة : العير التي تحمل الطيب والبز للتجارة) لتباع له هناك ، ويشترى له بضمن ذلك آدم من آدم الطائف ، وكان يرسل تلك اللطيمة في جوار رجل من أشرف العرب ، فلما جهز اللطيمة كان عنده جماعة من العرب فيهم لبراء بن قيس - وهو من بني كنانة ، والبراء كشداد - وعروة الرحال بن عتبة - وهو من بني هوازن والرحال كشداد أيضا - فقال ، من يجيرها ؟ قال البراء : أنا أجيرها على بني كنانة يعني قومه ، فقال له النعمان : ما أريد إلا من يجيرها على أهل نجد وتهامة ، فقال له عروة الرحال : أنا أجيرها لك على أهل الشيخ والقيصوم من أهل نجد وتهامة ، فقال البراء : أعل بني كنانة نجيرها يا عروة ؟ قال : وعلى الناس كلهم ، فدفعا النعمان إلى عروة ، فخرج بها ، وتبعه البراء ، وتربص به وقتاه ، فهاجت الحرب بين كنانة وهوازن ، وعاونت قريش كنانة ، وكان على كل قبيلة من قريش وكنانة سيدها ، والقائد العام للجميع حرب بن أمية والد أبي سفيان ، وقد قتل في هذه الحرب العوام بن خويلد والد الزبير ، وقد حضرها النبي صلى الله عليه وسلم وله من العمر أربع عشرة سنة ، وقيل خمس عشرة ، وقيل عشرون ، والفجار بمعنى المفاجرة كانقتال بمعنى المقاتلة ، سميت قريش هذه الحرب فجارا ، لأنها كانت في الأشهر الحرم فقاتلوا : قد فجزنا إذ قاتلنا فيها أي فسقنا ، وقيل إنها لم تكن في الشهر الحرام وإنما سببها كان في الشهر الحرام ، وهو قتل البراء لعروة الرحال ، هذا هو الفجار الرابع وهو الأكبر ، وكان قبله ثلاثة أفجرة أخرى - انظر للخيرة الحلبية ۱ : ۱۲۲ ، والعقد الفريد ۳ : ۹۱ ، وسيرة ابن هشام ۱ : ۱۱۶ ، ومجمع الأمثال ۲ : ۲۶۰ - .

فانتخبه من خير خلقه ، من أسرتي لا أسرتك ، وبنى أبى لا بنى أبيك ، فجحدته قريش أشد الجحود ، وأنكرته أشد الإنكار ، وجاهدته أشد الجهاد ، إلا من عصم الله من قريش ، فما ساد قريشاً وقادم إلا أبو سفيان بن حرب ، فكانت الفئتان تلتقيان ، ورئيس الهدى منا ، ورئيس الضلالة منا ، فهديتكم تحت راية مدينا ، وضالكم تحت راية ضالنا ، فنحن الأرباب ، وأنتم الأذئاب ، حتى خالص الله أبا سفيان بن حرب بفضلته من عظيم شركه ، وعصمه بالإسلام ، من عبادة الأصنام ، فكان في الجاهلية عظيماً شأنه ، وفي الإسلام معروفاً مكانه ، ولقد أعطى يوم الفتح مالم يعط أحد من آبائك ، وإن منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى : من دخل المسجد فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، وكانت داره حرماً ، لا دارك ولا دار أبيك ؛ وأما هند فكانت امرأة من قريش ، في الجاهلية عظيمة الخطر ، وفي الإسلام كريمة الخير ، وأما جدك الصديق فتصديق عبد مناف سمي صديقاً ، لا بتصديق عبد العزى ، وأما ما ذكرت من جدى المشدوخ بيدى ، فلعمري لقد دعا إلى البراز هو وأخوه وابنه ، فلو كنت إليه أنت وأبوك ما بارزوك ، ولا رأوك لهم أكفاء ، كما قد طلب ذلك غيركم ، فلم يقبلوهم ، حتى برز إليهم أكفاؤهم من بنى أبيهم ، ففضى الله مناياهم بأيديهم ، فنحن قتلنا ، ونحن قتلنا ، وما أنت وذاك ؟ وأما عمك أم المؤمنين فبنا شرفت ، وسميت أم المؤمنين ، وخالتك عائشة مثل ذلك ، وأما صفية فهي أذنتك من الظل ، ولولا هي لكنت ضاحياً^(۱) ، وأما ما ذكرت من ابن عمك وخال أبيك^(۲) سيد الشهداء ، فكذلك كانوا رحمهم الله ، وفخرهم وإرثهم لى دونك ، ولا فخر لك فيهم ولا إرث بينك وبينهم .

(۱) ضحاً كسى ورضى : أصابته الشمس ، والظل : العز والمنعة ، أى أن شرفهم جاء من مصاهرة العوام لبني هاشم ، وزواجه بصفية بنت عبد المطلب . (۲) ابن عمه : هو عداة بن عبد الرحمن ابن العوام ، وقد قتل يوم الدار ، وخال أبيه هو حمزة بن عبد المطلب ، وقتل يوم أحد .

وأما قولك أنا عبد الله وهو معاوية ، فقد علمت قريش أيثنا أجود في الإزم^(۱) ، وأحزم في القدم ، وأمنع لأحرم ، لا والله ما أراك منتهياً حتى تروم من بني عبد مناف ما رام أبوك ، فقد طالعهم الذحول^(۲) ، وقدم إليهم الخيول ، وخذعتم أم المؤمنين ، ولم تراقبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ مددتم على نساءكم الشجوف^(۳) ، وأبرزتم زوجته للحتوف ، ومقارعة السيوف ، فلما التقى الجمعان نكص أبوك هارباً ، فلم ينجبه ذلك أن طحنه أبو الحسين بكلكله طحن الحصيد^(۴) ، بأيدي المبيد ، وأما أنت فأفلت بعد أن خمشيك^(۵) برأئيدنه ، ونالتك مخاليبه ، وإيم الله ليقومنك بنو عبد مناف بثقافها^(۶) أو لتصبحن منها صباح أبيك بوادي السباع^(۷) ، وما كان أبوك المدهن حده^(۸) ، ولكنه كما قال الشاعر :

تغارل سرحان فريسة ضيفم فقضضه بالكف منه وحطما^(۹)
(العقد الفريد ۲ : ۱۱۴)

۱۶۱ — عبد الله بن الزبير ومعاوية أيضاً

دخل عبد الله بن الزبير على معاوية فقال :

« يا أمير المؤمنين ، لا تدعن مروان يرمى جاهير قريش بمشاقصه^(۱۰) ، ويضرب صفاتهم بمعوله ، أما والله لولا مكانك ، لكان أخف على رقابنا من فراشة ، وأقل

(۱) الأزمة (بالفتح ويحرك) لكثرة ، وجمعها إزم (كشمس وعنب) . (۲) جمع ذحل (بالفتح) وهو الثار ، والعداوة ، والحقد : أي كاشفهم بذلك . (۳) جمع سجع (بالفتح ويكسر) الستر . (۴) الحصيد : الزرع المحصود . (۵) خشه : خدشه . (۶) الثقاف : ما تسوى به الرماح . (۷) مقتل أبيه الزبير . (۸) حده : بأسه ، والمدهن : المغشوش ، من أدهن أي غش ، والمعنى أنه كان شديد البأس لم تشب بسالته شائبة خور واسكنه . . الخ « وفي الأصل « المدهن حده » بالخاء وأراء مصحفاً . (۹) السرحان : الذئب ، والضيفم : الأسد ، وقضضه فتقضض : كسره ودقه ، والنقضضة : صوت كسر العظام . وفي الأصل ففضضه بالفاء ، وهو تصحيف . (۱۰) المشاقص : جمع مشقص كبير ، وهو النصل الطويل ، أو سهم فيه ذلك يرمى به الوحش .

في أنفسنا من خشاشة^(۱) ، وإيمُ الله لئن مَلَكَ أَعْيَنَةُ خَيْلٍ تَفْقَادُهُ ، لَتَرَ كَبِينَ مِنْهُ طَبَقًا^(۲) تخافه . فقال معاوية : « إن يطلب مروان هذا الأمر ، فقد طَمِعَ فِيهِ مِنْ هُو دُونَهُ ، وَإِنْ يَتْرَكَ يَتْرَكَ لِمَنْ فَوْقَهُ ، وَمَا أَرَأَاكُمْ بِمُنْتَمِهِنَ حَتَّى يَبْعَثَ اللهُ عَلَيْكُمْ مِنْ لَا يَمُطِفُ عَلَيْكُمْ بِقِرَابَةٍ ، وَلَا يَذْكَرُكُمْ عِنْدَ مُلْكَةٍ ، يَسُومُكُمْ خَسْفًا^(۳) ، وَيَسُوقُكُمْ عَسْفًا^(۴) . »
 فقال ابن الزبير : « إِذَنْ وَاقِفٌ يُطَلَّقُ عِقَالُ الْحَرْبِ بِكُتَائِبِ تَمُورٍ^(۵) كَرَّجِلِ الْجِرَادِ ، حَافَاتُهَا الْأَسْلُ ، لَهَا دَوَى كَدَوَى الرِّيحِ ، تَتَّبِعُ غِطْرِيْفًا^(۶) مِنْ قَرِيْشٍ ، لَمْ تَكُنْ أُمَّهُ رَاعِيَةً ثَلَاثَةَ^(۷) . » فقال معاوية : « أَنَا ابْنُ هِنْدٍ ، أَطْلَقْتُ عِقَالَ الْحَرْبِ ، فَأَكَلْتُ ذِرْوَةَ السَّنَامِ ، وَشَرِبْتُ عُنْفُوَانَ الْمَكْرَعِ^(۸) ، وَلَيْسَ إِلَّا كُلُّ بَعْدَى إِلَّا الْفَلْدَةَ^(۹) ، وَلَا لِلشَّارِبِ إِلَّا الرَّنْقُ^(۱۰) . » فسكت ابن الزبير .

(شرح ابن أبي الحديد م ۴ : ص ۴۹۳ ، والمعقد الفريد ۲ : ۱۱۵ ، والبيان والتبيين ۲ : ۴۴)

۱۴۲ — عبد الله بن الزبير ومعاوية وعمرو بن العاص

قَدِمَ عَبْدُ اللهِ بْنِ الزَّبِيرِ عَلَى مَعَاوِيَةَ وَافِدًا ، فَرَحَّبَ بِهِ وَأَدْنَاهُ ، حَتَّى أَجْلَسَهُ عَلَى مَسِيرِهِ ، ثُمَّ قَالَ : حَاجَتُكَ أَبَا خَبِيْبٍ (۱۱) ؟ فَسَأَلَهُ أَشْيَاءَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : سَلْ غَيْرَ مَا سَأَلْتَ قَالَ :

« نَعَمْ ، الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ تَرُدُّ عَلَيْهِمْ فَيُتْمِنُونَ ، وَتَحْفَظُ وَصِيَّةَ نَبِيِّ اللهِ فِيهِمْ ، تَقْبَلُ

(۱) الخشاشة : واحدة الخشاش بتثنية الخاش ، وهي حشرات الأرض والمسافرين ونحوها (وفي الأصل خشاشة وهو تصحيف) . (۲) الطبق : الحال ومنه قوله تعالى : « لَتَرَ كَبِينَ مِنْهُ طَبَقًا هَنْ طَبَقًا » (۳) أي يوليكم ذلاً . (۴) العسف : الظلم ، وسلوك الطريق على غير هداية . (۵) تمور : تضطرب . (۶) الغطريف : السيد الشريف . (۷) الثلثة : جماعة الغنم أو الكباش منها . (۸) عنفوان الشيء : أوله أو أول بهجته ، والمكراع : المورد ، مفعول من كرع في الماء أو في الإناة . (۹) الفلدة : القطعة من اللحم . (۱۰) ماء رنق كمدل وكتف وجبل : كدر . (۱۱) هي كنية ابن الزبير كني بابنه خبيب ، وكان أسن ولده ، ويكنى أيضا أبا بكر .

من مُحْسِنِهِمْ ، وتجاوز عن مُسِيئِهِمْ » فقال معاوية : « هيهات هيهات ؟ لا والله ما تأمن
 النعجة الذئب وقد أكل أليتها (۱) » . فقال ابن الزبير : « مهلا يا معاوية ، فإن الشاة
 لتَدِرُّ (۲) للحالب ، وإن المذبة في يده ، وإن الرجل الأريب ليصانع ولده الذي خرج من
 صلبه ، وما تدور الرحاء إلا بقطبها (۳) ، ولا تصلح القوس إلا بمجيبها (۴) » فقال : « يا أبا
 خبيب ، لقد أجزرت الطرؤفة قبل هباب الفحل (۵) ، هيهات ! وهي لا تصطك لحياها
 اصطكاك القروم السوامي (۶) » . فقال ابن الزبير : « العطن بعـد العـل ، والعل بعد
 النهل (۷) ولا بد للرحاء من الثفال (۸) ثم نهض ابن الزبير ، فلما كان العشاء أخذت قریش
 مجالسها ، وخرج معاوية على بني أمية ، فوجد عمرو بن العاص فيهم ، فقال : ويحكم
 يا بني أمية أفيكم من يكفيني ابن الزبير ؟ فقال عمرو : أنا أكيفك يا أمير المؤمنين قال :
 ما أظنك تفعل ، قال : « بلى ، والله لأربدن (۹) وجهه ، ولأخرسن لسانه ، ولأردنه
 ألين من خميلة (۱۰) » . فقال : دونك فاعرض له إذا دخل ، فدخل ابن الزبير - وكان قد
 بلغه كلام معاوية وعمرو - فجلس نضب عيني عمرو ، فتحدثوا ساعة ، ثم قال عمرو :

وإني لنار ما يطاق اصطلاؤها لدى كلام مفضل متفاقم (۱۱)

فأطرق ابن الزبير ساعة ينكت في الأرض ، ثم رفع رأسه وقال :

(۱) الألية : ماركب العجز من شحم ولحم . (۲) در اللبن وغيره من بابي ضرب وقتل ، ودرت
 الناقة بلبها أدرت . (۳) قطب الرحاء : ما تدور عليه ، والرحاء بمدود الرحاء . (۴) العجب : مؤخر
 كل شيء . (۵) زافة طرؤفة الفحل : بلغت أن يضرها الفحل ، وأجره رسته : جعله يجره ، وهب
 الفحل من الإبل وغيرها هبابا وهيبا : أراد السفاد . (۶) تصطك : تضطرب . والقروم : جمع قرم
 بالفتح وهو الفحل ، والسوامي جمع سام : وصف من سما الفحل سماوة : تطاول على شوله « والشول كركم
 جمع شائل وهي الناقة تشول بذنبها للقاح » . (۷) العطن : مبرك الإبل حول الخوض ، والعل والعلل :
 الشرب الثاني ، والنهل : الشرب الأول . (۸) الثفال : جلد أو نحوه يبسط تحت الرحي ليقع عليه الطحين .
 (۹) أي لأصبرنه أربد ، من الربدة بالضم : وهي لون إلى القبرة . (۱۰) الخميلة : القطيفة ،
 وفي الأصل : « ولأوردنه » وهو تحريف . (۱۱) تفاقم الأمر : عظم .

وإني لبحرٌ ما يُسَامَى عُبَابُهُ متى يَلْقَى بحرى حرّاً نارك تَحْمُدُ

فقال عمرو: والله يا ابن الزبير إنك ما علمت أمّ جَبَلِيبَ جَلَابِيبَ الفتنّة، مُتَأَزَّرٌ بَوْصَائِلَ (۱) التّيّه، تتعاطى الذُّرَى الشاهقة، والمعالى الباسقة، وما أنت من قريش في لباب جَوهرها ولا مُؤَنِقٌ (۲) حَسْبِهَا. فقال ابن الزبير: «أما ما ذكرت من تعاطى الذرى. فإنه طال بي إليها وسما ما لا يطول بك مثله، أنف حَمِيٍّ، وقلب ذِكِيٍّ، وصارم مَشْرِفِيٍّ، في تَلِيدِ فارغ (۳)، وطريفٍ مانع، إذ قعد بك انتفاخ سَحْرِكِ (۴)، وَوَجِيبِ (۵) قلبك، وأما ما ذكرت من أنى لست من قريش في لباب جواهرها، ومؤنق حَسْبِهَا، فقد حضرتني وإياك الأَكْفَاءُ، العالمون بي وبك، فأجعلهم بيني وبينك. فقال القوم: قد أنصفك يا عمرو. قال: فد فعلت. فقال ابن الزبير: «أما إذ أمكنني الله منك فلأرْبِدَنَّ وجهك. ولأخرِسَنَّ لسانك، ولترجِمَنَّ في هذه الليلة، وكان الذي بين منْكِبَيْك مشدود إلى عروق أخذ عَيْكِ (۶)، ثم قال: أقسمتُ عليكم يا معاشر قريش، أنا أفضلُ في دين الإسلام أم عمرو؟ فقالوا: اللهم أنت، قال: فأبى أفضل أم أبوه؟ قالوا: أبوك حواريُّ رسول الله صلى الله عليه وآله وابن عمته، قال: فأبى أفضل أم أمه؟ قالوا: أمك أسماء بنت أبي بكر الصديق، وذات النطاقين، قال: فعمتي أفضل أم عمته؟ قالوا: عمتك سلمى بنته العوام صاحبة رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل من عمته، قال: فخالتي أفضل أم خالته؟ قالوا: خالتك عائشة أم المؤمنين، قال: فخجدي أفضل أم جدته؟ قالوا: جدتك صفية بنت عبد المطلب عمه رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: فخجدي أفضل أم جده؟ قالوا: جدك أبو بكر الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال:

قَضَتِ النَّظَارِفُ مِنْ قَرِيْشٍ بَيْنَنَا فَاصْبِرْ لِفَضْلِ خِصَامِهَا وَقَضَائِهَا

(۱) الوصائل: جمع وصيلة، وهي ثوب مخطط يمان. (۲) آتغنى الشيء إيناقا: أعجبني، فهو مؤنق وأنيق: أي حسن معجب. (۳) فارغ عال. (۴) السحر ويحرك ويضم: الرثة، وانتفخ سحره: حدا طوره وجاوز قدره. (۵) خفقان واضطراب. (۶) الأخدعان: عرقان في موضع الحجامة.

وَإِذَا جَرَيْتِ فَلَا تُجَارِ مُبْرَزًا ^(۱) بَدَأَ الْجِيَادَ عَلَى احْتِفَالِ جِرَائِهَا
 أما والله يا بن العاص . لو أن الذي أمرك بهذا واجهني بمثله لقصرتُ إليه من سامي
 بصره ، ولتركته يتلجج لسانه ، وتضطرم النار في جوفه ، ولقد استعان منك بغير وافي ،
 ولجأ إلى غير كافٍ ، ثم قام فخرج .

(شرح ابن أبي الحديد م ۴ : ص ۴۹۳)

۱۴۳ - خطبة ابن الزبير لما قتل الحسين عليه السلام

لَمَّا قَتَلَ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ فِي أَهْلِ مَكَّةَ ، وَعَظَّمَ مَقْتَلَهُ ،
 وَعَابَ عَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ خَاصَّةً ، وَوَلَّامَ أَهْلَ الْعِرَاقِ عَامَّةً ، فَقَالَ بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى
 عَلَيْهِ ، وَصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« إِنْ أَهْلَ الْعِرَاقِ غَدُرُوا فَجُرُّوا قَلِيلًا ، وَإِنْ أَهْلَ الْكُوفَةِ شَرَّارَ أَهْلِ الْعِرَاقِ ،
 وَإِنَّهُمْ دَعَوْا حُسَيْنًا لِيَنْصُرُوهُ وَيُؤْتُوهُ عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِمْ ثَارُوا إِلَيْهِ ، فَقَالُوا لَهُ : إِمَّا
 أَنْ تَضَعَ يَدَكَ فِي أَيْدِينَا ، فَتَبْعَتْ بِكَ إِلَى ابْنِ زِيَادِ بْنِ سُمَيَّةَ سِلْمًا ، فَيَمُضِيَ فِيكَ حَكْمُهُ ،
 وَإِمَّا أَنْ تَحَارِبَ ، فَرَأَى وَاللَّهِ أَنَّهُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ قَلِيلٌ فِي كَثِيرٍ - وَإِنْ كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ
 يَطْلِعْ عَلَى الْغَيْبِ أَحَدًا - أَنَّهُ مَقْتُولٌ ، وَكَفَهُ اخْتِارَ الْمَيْتَةِ الْكَرِيمَةَ عَلَى الْحَيَاةِ الذَّمِيمَةَ ،
 فَرَحِمَ اللَّهُ حُسَيْنًا ، وَأَخْرَجَ قَاتِلَ حُسَيْنٍ . لَعَمْرِي لَقَدْ كَانَ مِنْ خِلَافِهِمْ إِيَّاهُ وَعِصْيَانِهِمْ
 مَا كَانَ فِي مِثْلِهِ وَاعْظُ وَنَاهِ عَنْهُمْ ، وَلَكِنَّهُ مَا حَمَمَ ^(۲) نَازِلٌ ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَمْرًا
 لَنْ يُدْفَعَ .

أَفْبَعِدَ الْحُسَيْنَ نَظْمُنُ إِلَى هَوْلَاءِ الْقَوْمِ ، وَنَصَدَّقَ قَوْلَهُمْ ، وَنَقَبِلَ لَهُمْ عَهْدًا ؟
 لَا ، وَلَا نَرَاهُمْ لِذَلِكَ أَهْلًا ، أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ قَتَلُوهُ ، طَوِيلًا بِاللَّيْلِ قِيَامُهُ ، كَثِيرًا فِي النَّهَارِ

(۱) برز تبريزا : فاق أصحابه . وبد : فاق وغلب ، واحتفل القوم : اجتمعوا ، والجراء والمجاراة :

(۲) ما قدر .

مصدر جارى .

صيامه ، أحقّ بما هم فيه منهم ، وأولى به في الدين والفضل ، أما والله ما كان يبدّل بالقرآن الغنّاء ، ولا بالبكاء من خشية الله الخدّاء ، ولا بالصيام شرب الحرام ، ولا بالجلّاس في حلق الذكر الرخص في تطالّب الصيد (يعرض يزيد) فسوف يلتقون غياً^(۱) .

فتار إليه أصحابه ، فقالوا له : أيها الرجل أظهر بيعتك ، فإنه لم يبق أحد ، إذ هلك حسين ينازعك هذا الأمر ، وقد كان يبايع الناس سرا ، ويظهر أنه عائد بالبيت .

(تاريخ الطبری ۶ : ۲۷۳)

۱۴۴ - مناظرة ابن الزبير للخوارج

اجتمعت الخوارج حين ثار عبد الله بن الزبير بمكة (سنة ۶۴) وسار إليه مسلم ابن عقبة المرّي في جيش من أهل الشام ، بعد أن غزا المدينة ، وكان منه في وقعة الحرّة ما كان ، فقال لهم نافع بن الأزرق : اخرجوا بنا نأت البيت ، ونلق هذا الرجل ، فإن يكن على رأينا جاهدنا معه العدو ، وإن يكن على غير رأينا دافعنا عن البيت ما استطعنا ، ونظرنا بعد ذلك في أمورنا ، فخرجوا حتى قدموا على عبد الله بن الزبير ، فسراً بمقدمهم ونبأهم أنه على رأيهم ، وأعطاهم الرضا من غير توقف ولا تفتيش ، فقاتلوا معه حتى مات يزيد بن معاوية ، وانصرف أهل الشام عن مكة .

ثم إن القوم آتوا بعضهم بعضاً فقالوا : إن هذا الذي صنعتم أمس بغير رأى ولا صواب من الأمر ، تقاتلون مع رجل لاتدرون لهه ليس على رأيكم ، إنما كان أميس يقاتلكم هو وأبوه ، ينادى بالثارات عثمان ، ندخل إليه فننظر ما عنده ، فإن قدم أبنا بكر

(۱) أي شرا وخسرانا ، وكل من عند العرب غي ، وكل خير رشاد ، وقيل هو على حذف مضاف أي جزاء غي كقوله تعالى : « وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا » ، والأثام : الإثم ، أي يلقي جزاء إثمه (والأثام أيضا جزاء الإثم) .

وعمر، وبری من عثمان وعلی، وكفر أباه وطلحة بايعناه، وإن تكن الأخرى،
ظهر لنا ما عنده، فتشاغلنا بما يجدي علينا.

فدخلوا على ابن الزبير وهو مُبتذل^(۱)، وأصحابه متفرقون عنه، فقالوا: إنا جئناك
لتخبرنا رأيك، فإن كنت على الصواب بايعناك، وإن كنت على غيره دعوناك إلى
الحق، ما تقول في الشيخين؟ قال: خيراً. قالوا: فما تقول في عثمان الذي أحى^(۲) الحمى،
وآوى الطريد^(۳)، وأظهر لأهل مصر شيئاً وكتب بخلافه، وأوطأ آل أبي معيط^(۴)
رقاب الناس، وآثرهم بنى المسلمين، وفي الذي بعده، الذي حَكَمَ في دين الله الرجال،
وأقام على ذلك غير تائب ولا نادم، وفي أبيك وصاحبه، وقد بايعاً علياً وهو إمام عادل
مرضى لم يظهر منه كفر، ثم نكثنا بمرَض من أعراض الدنيا، وأخرجنا عائشة تقاتل،
وقد أمرها الله وصواحبها أن يقرن^(۵) في بيوتهن، وكان لك في ذلك ما يدعوك إلى التوبة
فإن أنت قلت كما نقول فلك الزاني^(۶) عند الله والنصر على أيدنا، ونسأل الله لك التوفيق
وإن أبيت إلا نصر رأيك الأول، وتصويب أبيك وصاحبه، والتحقيق بعثمان والتولي
في السنين الست التي أحلت دمه، ونقضت أحكامه، وأفسدت إمامته، خذلك الله

(۱) المبتذل: لابس البذلة (بالسكر) أو المبتذلة: وهي الثوب الخلق ومالا يصاب من الثياب.

(۲) أحى المكان: جعله حي لا يقرب، وكان من المطاعن التي وجهت إلى عثمان رضي الله عنه أنه حي
الحمى عن المسلمين مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلهم سواء في الماء والكلأ، ولما سئل في ذلك قال
إنما فعلت ذلك لإبيل الصدقة، وقد أطلقت الآن، وأنا أستغفر الله. وروى الواقدي أن عثمان كان يحيى
الربذة والشرف والبيع. فكان لا يدخل الحمى بعير له ولا فرس ولا لبني أمية حتى كان آخر الزمان، فكان
يحيى الشرف لإبله وكانت ألف بعير وإبيل الحكم بن أبي العاص، ويحيى الربذة لإبيل الصدقة. ويحيى البيع
لحليل المسلمين وخيله وشبل بني أمية. شرح ابن أبي الحديد م ۱: ص ۲۳۵

(۳) هو الحكم بن أبي العاص - انظر ص ۱۰۴. (۴) من ولاءهم عثمان الوليد بن عقبة بن أبي معيط
ولاه الكوفة، وهو أخو عثمان لأمه. (۵) من قر بالمكان يقر (بالسكر والفتح) قراراً أي استقر.
أصله يقررن حذفت الأول من الرايين ونقلت حركتها إلى القاف. (۶) الزانف والزاني: القربة والمنزلة.

وانتصر منك بأيدينا ، فقال ابن الزبير : « إن الله أمر (وله العزة والقدرة) في مخاطبة
 أ كفر الكافرين ، وأعتى العتاة ، بأراف من هذا القول ، فقال لموسى ولأخيه صلى الله
 عليهما : « أذهباً إلى فرعون إنه طغى ، فقولا له قولا آيينا لعله يتذكر
 أو يخشى » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تؤذوا الأحياء بسب الموتى » .
 فعنى عن سب أبي جهل من أجل عكرمة ابنه ، وأبوجهل عدو الله وعدو الرسول ،
 والمقيم على الشرك ، والجاد في المحاربة ، والمتبعض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل
 الهجرة ، والمحارب له بعدها ، وكفى بالشرك ذنباً ! وقد كان يُغنيكم عن هذا القول
 الذى سميت فيه طلحة وأبي أن تقولوا : أتبرأ من الظالمين ؟ « فإن كانا منهم دخلا
 في غمار (۱) المسلمين ، وإن لم يكونا منهم لم تحفظوني (۲) بسب أبي وصاحبه ، وأنتم تعلمون
 أن الله جل وعز قال للمؤمن فى أبويه : « وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا آتَىكَ
 بِهِ عِلْمٌ ، فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا » ، وقال جل ثناؤه : « وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا »
 وهذا الذى دعوتم إليه أمر له ما بعده ، وليس يقنعكم إلا التوقيف والتصريح (۳) ،
 ولعمري إن ذلك لأخرى بقطع الحجج ، وأوضح لمنهاج الحق ، وأولى أن يعرف كل
 صاحبه من عدوه ، فرؤحووا (۴) إلى من عشيتكم هذه ، أكشفت لكم ما أنا عليه
 إن شاء الله تعالى .

فلما كان العشي راحوا إليه ، فخرج إليهم وقد لبس سلاحه ، فلما رأى ذلك نجدة (۵)
 قال : هذا خروج منايد (۶) لكم ، فجلس على رفيع من الأرض ، الحمد لله ، وأثنى عليه ،
 وصلى على نبيه ، ثم ذكر أبا بكر وعمر أحسن ذكر ، ثم ذكر عثمان فى السنين الأوائل
 من خلافته ، ثم وصلن بالسنين التى أنكروا سيرته فيها ، فجعلها كالماضية ، وخبر أنه

(۱) بالضم ويفتح جماعتهم . (۲) تغضبوني . (۳) تبين الأمر .

(۴) الرواح : العشى ، وراح إلى القوم : ذهب إليهم رواحاً . (۵) هو نجدة بن عامر الحنق من

كبار زعمائهم . (۶) نايده : كاشفه بالعداوة .

آرى الحکم بن أبى العاص بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر الحِجَى وما كان فيه من الصلاح ، وأن القوم استعتبوه من أمور ، وكان له أن يفعلها أولاً مُصيباً ، ثم أعتبهم بعد ذلك محسنًا ، وأن أهل مصر لما أتوه بكتاب ذكروا أنه منه ، بعد أن ضمن لهم العُتْبَى (۱) ثم كَتَبَ لهم ذلك الكتاب بقتلهم ، فدفنوا الكتاب إليه ، حلف بالله أنه لم يكتبه ، ولم يأمر به ، وقد أمر الله عزَّ وجلَّ بقبول اليمين ممن ليس له مثل سابقته ، مع ما اجتمع له من صهر رسول الله ، ومكانه من الإمامة ، وأن بيعة الرضوان تحت الشجرة إنما كانت بسببه (۲) ، وعثمان الرجل الذى لزمته يمين ، لو حلف عليها لحلف على حق ، فافتداها بمائة ألف ولم يحلف ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حلف بالله فليصدق ، ومن حلف له بالله فليرض » . فعثمان أمير المؤمنين كصاحبه ، وأنا ولى وليه ، وعدوُّ عدوه ، وأبى وصاحبه صاحب رسول الله ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عن الله عزَّ وجلَّ يوم أحد ، لما قُطعت إصبع طلحة : « سَبَقْتُهُ إِلَى الْجَنَّةِ » ، وقال : « أوجب طلحة (۳) » ، وكان الصديق إذا ذكر يومَ أحد قال : « ذاك يومٌ كُله أو جُلُّه لطلحة » . والزبير حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفوته ، وقد ذكر أنهما فى الجنة ، فقال جلَّ وعزَّ : « لَمَّا رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ » . وما أخبرنا بعدُ أنه سَخِطَ عليهم ، فإن يكن ما سَعَوْا فيه حقًا ، فأهل ذلك هم ، وإن يكن زلة فى عفو الله تمحيصها ، وفيما وفقهم له من السابقة مع نبيهم صلى الله عليه وسلم ، ومهما ذكرتموها فقد بدأتُم بأمر عائشة رضى الله عنها ، فإن أبى

(۱) العتبي : الرضا . (۲) وذلك أن الرسول عليه الصلاة والسلام فى غزوة الحديبية اختار عثمان ابن عفان رسولاً من قبله إلى قريش ، يعلمهم بمقصده ، وأنه أتى مكة معتمراً ، فقالوا : إن محمداً لا يدخلها علينا عنوة أبداً ، ثم إنهم حبسوه . فشاع عند المسلمين أنه قتل . فقال عليه الصلاة والسلام حينما سمع بذلك : لا نبرح حتى نناجزهم الحرب . ودعا المسلمين إلى البيعة على القتال فبايعوه هناك تحت شجرة سميت بصل شجرة الرضوان . (۳) الموجبة من الحسنات التى توجب الجنة . وأوجب : أتى بها .

أن تكون له أمّا نبذ اسم الإيمان عنه ، وقد قال الله جلّ ذكره ، وقوله الحق :
« النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ » . فنظر بعضهم إلى بعض ،
ثم انصرفوا عنه .

(الكامل للبرد ۲ : ۱۷۳ ، والعقد الفريد ۱ : ۲۱۲ ، وتاريخ الطبري ۷ : ۵۵)

۱۴۵ - أبو صخر الهذلي وعبد الله بن الزبير

وروى أبو الفرج الأصبهاني قال :

لما ظهر ابن الزبير بالحجاز ، وغلب عليها بعد موت يزيد بن معاوية ، وتشاغل
بنو أمية بالحرب بينهم ، في مَرَجٍ راهط وغيره ، دخل عليه أبو صخر الهذلي في هَذِيلٍ ،
وقد جاءوه ليقبضوا عطاءهم ، وكان عارفاً بهوَاهِ في بني أمية ، فمنعه عطاءه ، فقال : عَلَامَ
تمنعني حقالي ؟ وأنا امرؤ مسلم ما أحدثت في الإسلام حَدَثًا ، ولا أخرجت من طاعة يداً .
قال : عليك بني أمية ، فاطلب عندهم عَطَاءَكَ . قال :

« إِنْ أَجَدَمَ مِبَاطًا (۱) أَكْفَهُمْ ، سَمَحَةً أَنفُسَهُمْ ، بُذْلًا لِأَمْوَالِهِمْ ، وَهَابِينَ
لِمُجْتَدِيهِمْ (۲) كَرِيمَةً أَعْرَاقُهُمْ ، شَرِيفَةً أَصُولَهُمْ ، زَاكِيَةً فِرْعَوْنَهُمْ ، قَرِيبًا مِنْ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَسَبُهُمْ وَسَبَبُهُمْ ، لَيْسُوا إِذَا نُسِبُوا بِأَذْنَابٍ وَلَا وَشَائِظٍ (۳)
وَلَا أَتْبَاعٍ ، وَلَا مِمْسِقِينَ فِي قَرِيشٍ كَفِيقَةِ الْقَاعِ (۴) ، لَمْ يَسُودِدْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَالْمَلَكُ فِي الْإِسْلَامِ
لَا كُنْ لَا يُعَدُّ فِي عَيْرِهَا وَلَا نَقِيرِهَا (۵) ، وَلَا حَكَمَ آبَاؤُهُ فِي نَقِيرِهَا وَلَا قَطْمِيرِهَا (۶) أَيْسَ

(۱) رجل سبط اليمين : سخي (وسط كشمس) . (۲) المجتدي : طالب الجدوى ، وهي العطفية .

(۳) وشائظ جمع وشيظة ، يقال : هم وشيظة في قومهم أي حشو فيهم ، وفي الأصل : « وسائظ »
وهو تصحيف . (۴) الفقع (بالفتح والسكر) البيضاء الرخوة من الكفاة وجمعه فقع كعنبه ، والقاع :
أرض سهلة مطمئنة ، قد انفرجت عنها الجبال والآكام . ويضرب المثل بالفقع في الدال ، لأنه لا يمنع على
من اجتناه ، أو لأنه يوطأ بالأرجل . (۵) أخذنا من المثل وهو لا في العير ولا في النقيير . وأول من

قاله أبو صفيان بن حرب ، يضرب للرجل : يحط أمره ، ويصغر قدره . وقد تقدم شرحه .

(۶) النقيير : النكتة في ظهر النواة ، والقطير : القشرة الرقيقة بين النواة والنورة .

من أحلافها (۱) المطيبين ، ولا من ساداتها المطعمين ، ولا من جودائها (۲) الوهابين ، ولا من هاشمها المنتخبين ، ولا عبد شمسها المسودين ، وكيف نقاتل الرعوس بالأذنان ، وأين النصل من الجفن (۳) والسنان من الزنج (۴) ، واللذ نابي (۵) من القدامى (۶) وكيف يُفضل الشحيح على الجواد ، والسوقة على الملك ؛ والجامع بخلا على المطعم فضلا ؟ .

فغضب ابن الزبير حتى ارتعدت فرائصه (۷) ، وعرق جبينه ، واهتز من قرنه إلى قدمه ، وامتعق لونه ، ثم قال له : يا بن البوالة هل عقيبها ، ويا جلف (۸) ، يا جاهل . أما والله لولا الحرمات الثلاث : حرمة الإسلام ، وحرمة الحرم ، وحرمة الشهر الحرام . لأخذت الذي فيه عيناك ، ثم أمر به إلى سجن « عارم » فحبس به مدة ، ثم استوهبته هذيل ، ومن له من قريش خثولة في هذيل ، فأطلقه بعد سنة . وأقسم ألا يعطيه عطاء مع المسلمين أبدا .

فلما ولي عبد الملك ، أمر له بما فاته من العطاء ، ومثله صيلة من ماله وكساء وحمله .

(الأغاني ۲۱ : ۹۴)

۱۴۶ — خطبته وقد قدم عليه وفد العراق

قدم وفد من العراق على عبد الله بن الزبير ، فأتوه في المسجد الحرام في يوم جمعة ، فسألوا عليه . فسألهم عن مصعب أخيه ، وعن سيرته فيهم . فقالوا : أحسن الناس سيرة ،

(۱) الأحلاف في قريش ست قبائل : عبد الدار ، وكعب ، وجمع ، وسهم ، ومخزوم ، وعدي ، لأنهم لما أراد بنو عبد مناف أخذ ماني أيدي عبد الدار من الحجابة والسقاية ، وأبت عبد الدار ، فقد كل قوم على أمرهم حلفا مؤكدا على أن لا يتخاذلوا ، فأخرجت عبد مناف جفنة مملوءة طيبا ، فوضعها لأحلافهم وهم أسد ، وزهرة ، وتيم عند الكعبة ، فغمسوا أيديهم فيها وتعاقدوا ، وتعاقدت بنو عبد الدار وحلفاؤها حلفا آخر مؤكدا فسموا الأحلاف ، وقوله المطيبين : لغمس أيديهم في الطيب . (۲) جوداء : جمع جواد ، وهو السخي ، ويجمع أيضا على أجواد وأجاود . (۳) غمد السيف . (۴) الحديد في أسفل الريح . (۵) الذنب . (۶) أربع أو عشر ريشات في مقدم الجناح . (۷) جمع فريضة ، وهي اللحم بين الجنب والسكرتف . (۸) الجلف : الرجل الجاني .

وأفضاه بحق ، وأعدله في حكم ، فصلى عبد الله بالناس الجمعة ، ثم صعد المنبر ، فحمد الله ،
وأثنى عليه . ثم قال :

قد جرّبوني ثم جرّبوني من غلّوتين ومن المئين (۱)

حتى إذا شابوا وشيبوني خلّوا عنّاني ثم سيّبوني (۲)

أيها الناس : « إني قد سألت هذا الوفد من أهل العراق ، عن عاملهم مصعب بن
الزبير ، فأحسنوا الثناء عليه ، وذكروا عنه ما أحب . ألا إن مصعباً أطبى (۳) القلوب ،
حتى مات عدل به ، والأهواء حتى مات تحول عنه ، واستمال الألسن بثنائها ؛ والقلوب بنصحتها .
والنفوس بمحبتها . فهو المحبوب في خاصته . المحمود في عامته . بما أطلق الله به لسانه من
الخير . وبسط يده من البذل » . ثم نزل .

(شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ٤٩٢ ، والأمال ١ : ٢٨٦)

١٤٧ - خطبته لما بلغه قتل مصعب

لما قتل عبد الملك بن مروان مُصعب بن الزبير (سنة ٥٧١ هـ) وانتهى خبر مقتله
إلى عبد الله بن الزبير ، أضرب عن ذكره أياماً ، حتى تحدّث به إمام مكة في الطريق ،
ثم صعد المنبر فجلس عليه ملياً لا يتكلم ، والكأبة على وجهه ، وجبينه يرشح عرقاً . فقال
رجل من قريش لرجل إلى جانبه : ماله لا يتكلم ، أتراه يهاب المنطق ؟ فوالله إنه للبيب
الخطباء . قال : لعله يريد أن يذكر مقتل مصعب سيد العرب ، فيشتد ذلك عليه ، وغير
ملوم ، ثم تكلم فقال :

« الحمد لله الذي له الخلق والأمر ، ومُلك الدنيا والآخرة ، يُؤني الملك من يشاء ،
ويُنزع الملك ممن يشاء ، ويعزّ من يشاء ، ويُذلّ من يشاء . أما بعد : فإنه لم يعزّ الله

(١) الغلوة : الغاية ، وهي رمية سهم أبعد ما يقدر عليه ، ويقال هي قدر ثلثائة ذراع إلى أربعمائة .

(٢) تركوني . (٣) أطبى : استمال .

مَنْ كَانَ الْبَاطِلُ مَعَهُ ، وَإِنْ كَانَ مَعَهُ الْأَنْفَامُ طُرًا^(۱) ، وَلَمْ يُذِلَّ مَنْ كَانَ الْحَقُّ مَعَهُ وَإِنْ كَانَ مُفْرَدًا ضَعِيفًا ؛ أَلَا وَإِنَّهُ قَدْ أَتَانَا خَيْرٌ مِنَ الْعِرَاقِ ، بِلَدِّ الْغَدْرِ وَالشَّقَاقِ ، فَسَاءَنَا وَسَرَّانَا ، أَتَانَا أَنْ مَصْعَبًا قَتَلَ رَحْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَمَغْفِرَتُهُ ؛ فَأَمَّا الَّذِي أَحْزَنَنَا مِنْ ذَلِكَ ، فَإِنْ لِفِرَاقِ الْحَمِيمِ لَذَّةً وَلَوْعَةً يَجِدُهَا حَمِيمُهُ عِنْدَ الْمَصِيبَةِ ، ثُمَّ يَرْعَوِي مِنْ بَعْدِ ذَوَالرَّأْيِ وَاللَّيْنِ إِلَى جَمِيلِ الصَّبْرِ ، وَكَرِيمِ الْعَزَاءِ . وَأَمَّا الَّذِي سَرَّانَا مِنْهُ فَإِنَّا قَدْ عَلِمْنَا أَنْ قَتَلَهُ شَهَادَةٌ لَهُ ، وَأَنَّهُ عَزٌّ وَجَلٌّ جَاعِلٌ لَنَا وَلَهُ فِي ذَلِكَ الْخَيْرَةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

أَسْلَمَهُ الطَّغَامُ^(۲) ، الصَّمَّ الْآذَانَ ، أَهْلَ الْعِرَاقِ ، إِسْلَامَ النِّعَمِ الْمُنْخَطَمَةِ^(۳) ، وَبَاعُوهُ بِأَقْلٍ مِنَ الثَّمَنِ الَّذِي كَانُوا يَأْخُذُونَ مِنْهُ ، فَإِنْ يُقْتَلُ فَقَدْ قُتِلَ أَبُوهُ وَعَمُّهُ وَأَخُوهُ^(۴) ، وَكَانُوا الْخِيَارَ الصَّالِحِينَ ، إِنَّا وَاللَّهِ لَأَمُوتُ حَتْفَ آ نَافِنَا^(۵) ، وَلَكِنْ قَعَصًا^(۶) بِالرَّمَاحِ ،

(۱) جميعا . (۲) الأوغاد . (۳) خطم البعير بالخطام : جملة على أنفه ، والخطام ككتاب : ما وضع في أنف البعير ليقتاد به . (۴) بعد أن اعتزل الزبير بن العوام أصحاب الجمل ، انصرف إلى وادي السباع ، وقد تبعه عمرو بن جرموز فقتله في الصلاة ، ويعني يمهه عبدالرحمن بن العوام بن خويلد ، وقد استشهد يوم اليرموك ، وفي رواية « وابن عمه » ويعني به عبد الله بن عبد الرحمن بن العوام ، وقد قتل يوم الدار « انظر أسد الغابة ۳ : ۲۱۳ » .

وأما أخوه فهو المنذر بن الزبير ، وذلك أن جيش يزيد بعد أن أوقع بأهل المدينة في وقعة الحرة كاقدمنا ، سار إلى مكة لغزو ابن الزبير ، فقال لأخيه المنذر : ما لهذا الأمر ولدفع هؤلاء القوم غيري وغيرك — وكان أخوه المنذر من شهد الحرة . ثم لحق به — فجرد إليهم أخاه في الناس ، فقاتلهم ساعة قتالا شديدا ، ثم إن رجلا من أهل الشام دعا المنذر إلى المبارزة ، فخرج إليه ، فضرب كل واحد منهما صاحبه ضربة خرس صاحبه لها ميثا . وكان مقتله سنة ۶۴ هـ — تاريخ الطبري ۷ : ۱۴ — . (۵) الحتف : الموت ، ويقال مات حتف أنفه : أي على فراشه من غير قتل ، ولا ضرب ، ولا غرق ، ولا حرق ، وخص الأنف لأنه أراد أن روحه تخرج من أنفه بتتابع نفسه ، أو لأنهم كانوا يتخيلون أن المريض تخرج روحه من أنفه ، والجريح من جراحته . (۶) القمص : الموت الوحي (أي السريع كفتى) ومات قصا : أصابته ضربة ، أو رمية فمات مكانه ، وفي الكامل ، وعيون الأخبار : « إنا والله ماموت حبيبا » وزاد الكامل « كهيئة آل أبي العاص » والحبيج محرقة : انفاخ بطن البعير من أكل لحاء العرفج (كجعفر) ، وربما قتله ذلك ، يعرض ببني مروان لسكرة أكلهم وإسرافهم في ملاذ الدنيا ، وأنهم يموتون بالتحمة .

وموتاً تحت ظلال السيوف ، وليس كما يموت بنو مروان ، والله ما قُتل منهم رجل في زحف في جاهلية ولا إسلام قط ؛ إلا وإنما الدنيا عارية من الملك القهار الذي لا يزول سلطانه ، ولا يبديد ملكه ، فإن تقبل الدنيا على لم آخذها أخذ الأشر البطر^(١) ، وإن تُدبر عنى لم أبك عليها بكاء الخرق المهين^(٢) . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .
ثم نزل .

(الأغانى ١٧ : ١٦٦ ، شرح ابن أبي الحديد م ١ ص ٣٢٠ - م ٤ ص ٤٩٢ ، والعقد الفريد ٢ : ص ١٥٠ و ٢٦٨ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ١٩٠ ، وعيون الأخبار م ٢ : ص ٢٤٠ ، وتهذيب الكامل ١ : ١٨ ، ومروج الذهب ٢ : ١٢٣)

١٤٨ - خطبة أخرى له

وقال الجاحظ : لما جاءه قتل أخيه مصعب ، قام خطيباً بعد خطبته الأولى ، فقال : « إن مصعباً قدّم أثره ، وأخر خيرته ، وتشاغل بنسكاح فلانة وفلانة^(٣) ، وترك حلبة^(٤) أهل الشام ؛ حتى غشيتته في داره ، وأثن هلك مُصمب إن فى آل الزبير خلفاً منه . »
(البيان والتبيين ٢ : ٤٧)

١٤٩ - خطبته وقد بلغه قتل عمرو الأشدق

وروى الجاحظ أيضاً أنه لما بلغه قتل عبد الملك بن مروان عمرو بن سعيد الأشدق ، قام خطيباً فقال :

(١) الأشر : البطر . (٢) من الخرق بحركة وهو الدهش من خوف أو حياء ، أو أن يهت فاتحاً عينيه ينظر ، والمهين : الحقير ، ويروى : « بكاء الحرف المهتر » والخرف : من فسد عقله من السكر ، والمهتر : من ذهب عقله من كبر ، أو مرض ، أو حزن ، من الهتر بالضم ، وقد أهر فهو مهتر (بضم الميم وفتح التاء) : شاذ وقد قيل أهر بالبناء للمجهول (٣) كان تحت عقيان قريش عاذة بنت طلحة ، وسكينة بنت الحسين . (٤) الحلبة : خيل تجتمع للسباق من كل أوب للنصرة .

(١٢ - جمهرة خطب العرب - ثامن)

« إن أبا ذبيان^(۱) ، قَتَلَ لَطِيمَ الشَّيْطَانِ^(۲) ، كَذَلِكَ نُوِّىَ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا
بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » .
(البیان والتبيين ۲ : ۴۷)

۱۵۰ - عبد الله بن الزبير وأمه أسماء بنت أبي بكر

دخل ابن الزبير على أمه أسماء بنت أبي بكر ، في اليوم الذي قتل فيه ، وقد رأى من
الناس ما رأى من خذلانهم ، فقال :

يا أمّهُ : خَذَلَنِي النَّاسَ حَتَّى وَلِدِي^(۳) وَأَهْلِي ، فَلَمْ يَبْقَ مَعِيَ إِلَّا الْيَسِيرُ مِنْ لَيْسَ عِنْدَهُ
مِنَ الدَّفْعِ أَكْثَرُ مِنْ صَبْرِ سَاعَةٍ ، وَالْقَوْمُ يُعْطُونَنِي مَا أَرَدْتُ مِنَ الدُّنْيَا ، فَمَا رَأَيْتُكَ ؟
فَقَالَتْ : أَنْتَ وَاللَّهِ يَا بَنِي أَعْلَمُ بِنَفْسِكَ ، إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ عَلَى حَقٍّ وَإِلَيْهِ تَدْعُو فَامضْ لَهُ ،
فَقَدْ قُتِلَ عَلَيْهِ أَحْبَابُكَ ، وَلَا تَمَكِّنْ مِنْ رَقَبَتِكَ يَتَلَعَّبُ بِهَا غِلْمَانُ بَنِي أُمِيَّةَ ، وَإِنْ كُنْتَ
إِنَّمَا أَرَدْتَ الدُّنْيَا ، فَبئسَ العَبْدُ أَنْتَ ، أَهْلَكَتَ نَفْسَكَ ، وَأَهْلَكَتَ مَنْ قُتِلَ مَعَكَ ،
وَإِنْ قُلْتَ كُنْتُ عَلَى حَقٍّ ، فَلِمَا وَهَنَ أَحْبَابِي ضَعُفْتُ ، فَهَذَا لَيْسَ فِعْلُ الْأَحْرَارِ وَلَا أَهْلِ
الدِّينِ ، وَكَمْ خُلُوذُكَ فِي الدُّنْيَا ؟ الْقَتْلُ أَحْسَنُ ، وَاللَّهُ لَضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ فِي عِزٍّ ، أَحَبُّ إِلَيَّ
مِنْ ضَرْبَةٍ بِسَوْطٍ فِي ذَلٍّ ، قَالَ : إِنْ أَخَافُ إِنْ قَتَلُونِي أَنْ يُمَثِّلُوا بِي ، قَالَتْ : يَا بَنِي إِنْ
الشَّاةُ لَا يَضُرُّهَا سَلْخُهَا بَعْدَ ذَبْحِهَا .

فَدَنَا مِنْهَا وَقَبِلَ رَأْسَهَا ، وَقَالَ : هَذَا وَاللَّهِ رَأْيِي ، وَالَّذِي قَتَلَ بِهِ دَاعِيًا إِلَى يَوْمِي هَذَا ،

(۱) الذبان : الذباب ، والعرب تكنو الأبخر « أبا ذباب » وبعضهم يكتبه « أبا ذبان » وقد غلب ذلك

على عبد الملك بن مروان ، لفساد كان في فمه ، وقيل لأن الله كانت تدمي فيقع عليها الذباب .

(۲) هو عمرو بن سعيد الأشدق ، سمي بذلك لميل كان في فمه ، فقيل له من أجله : « لطيّم الشيطان »

قال الوزير الكاتب ابن هيدون في مراثيته المشهورة لدولة بني الأفتس بالأندلس التي مطلعها :

« الدهر يفضج بعد العين بالأثر فا البكاء على الأشباح والصور »

ولم تدع لأبي الذبان قاضيّه ليس اللطيم لها عمرو بمتصر

(۳) وكان قد خرج إلى الججاج ابنه حمزة وخبيب فأخذ منه لأنفسهما أماناً .

ما ركنتُ إلى الدنيا ، ولا أحببتُ الحياة فيها ، وما دعاني إلى الخروج إلا الغضبُ اللهُ
 أن تستحل حرْمُهُ ، ولكنني أحببتُ أن أعلم رأيك ، فزدتني بصيرةً مع بصيرتي ،
 فانظري يا أمه ، فإني مقتول من يومى هذا ، فلا يشتد حزنك ، وسألى لأمر الله ، فإن
 ابنك لم يتعمد إتيان مُنكر ، ولا عملاً بفاحشة ، ولم يجرُ في حكم الله ، ولم يفتدِر في أمان ،
 ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد ، ولم يبلغنى ظلم عن عمالي فرضيت به ، بل أنكرته ،
 ولم يكن شيء آثرَ عندي من رضاربي ، اللهم إني لا أقول هذا تزكيةً مني لنفسي
 - أنت أعلم بي - ولكن أقوله تعزيةً لأمي لتسألوا عني ، فقالت أمه : إني لأرجو من الله
 أن يكون عزائي فيك حسناً إن تقدمتني ، وإن تقدمتك ففي نفسي حرجٌ حتى أنظر إلامَ
 يصير أمرك . قال : يا أمه جزاك الله خيراً ا فلا تدعى الدعاء لي قبلُ وبعْدُ ، فقالت :
 لا أدعه أبداً ، فمن قُتل على باطل فقد قُتلتَ على حق ، ثم قالت : « اللهم ارحم طول
 ذلك القيام في الليل الطويل ، وذلك النجيب والظالم في هواجر المدينة ومكة ، وبرء بأبيه
 وبي ، اللهم قد سلمته لأمرك فيه ، ورضيت بما قضيت ، فأثبني في عبد الله نواب الصابرين
 الشاكرين » . ثم ودَّعها وخرج .

(تاريخ الطبري ۷ : ۲۰۲ ، والفخرى ۱۱۱ ، والعقد الفريد ۲ : ۲۷۱ ، وبلاغات النساء ص ۱۴۰)

۱۵۱ - خطبته يوم قتله

وخرج من عندها فصعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :
 « أيها الناس ، إن الموت قد تنفَّسكم صحابه ، وأحدق بكم ربابهُ^(۱) ، واجتمع بعد
 تفرُّق ، وارجحن^(۲) بعد تمشُّق^(۳) ، ورجس^(۴) نحوكم رعدُهُ ، وهو مُفرِّغ عليكم ودقهُ^(۵)

(۱) الرباب : السحاب الأبيض . (۲) ارجعن : مال من ثقله واهتز ، وتمشُّق ثوبه : تمزق .

(۳) رجس : رجس السماء : رعدت شديداً وتمخضت . (۴) الودق : المطر .

وقائِدِ إِلَيْكُمْ الْبَلَايَا ، تَتَّبِعُهَا الْمَنَايَا ، فَاجْعَلُوا السُّيُوفَ لَهَا غَرَضًا ، وَاسْتَعِينُوا عَلَيْهَا بِالصَّبْرِ .
وَتَمَثَلُ بِأَبْيَاتٍ ، ثُمَّ انْفَتَحَ يِقَاتِلُ وَهُوَ يَقُولُ :

قَدْ جَدَّ أَصْحَابُكَ ضَرْبَ الْأَعْنَاقِ وَقَامَتِ الْحَرْبُ لَهَا عَلَى سَاقٍ^(۱)
(العقد الفريد ۲ : ۲۷۱)

۱۵۲ - خطبة أخرى

وروى الطبري قال :

لَمَّا كَانَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ صَبِيحَةَ سَبْعِ عَشْرَةَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ ۷۳ هـ وَقَدْ أَخَذَ
الْحِجَابَ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ بِالْأَبْوَابِ ، صَلَّى بِأَصْحَابِهِ الْفَجْرَ ، ثُمَّ قَامَ فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ،
ثُمَّ قَالَ :

« يَا آلَ الزُّبَيْرِ : لَوْ طَبَّعْتُمْ لِي نَفْسًا عَنْ أَنْفُسِكُمْ ، كُنَّا أَهْلَ بَيْتٍ مِنَ الْعَرَبِ
اصْطَلَمْنَا^(۲) فِي اللَّهِ ، لَمْ تُصَبِّبْنَا زَبَاءً بَيْتَهُ^(۳) ، أَمَا بَعْدُ يَا آلَ الزُّبَيْرِ : فَلَا يَرُغْمُكُمْ وَقَعِ
السُّيُوفِ ، فَإِنِّي لَمْ أَحْضُرْ مَوْطِنًا قَطُّ إِلَّا أُرْتُلْتُ^(۴) فِيهِ مِنَ الْقَتْلِ ، وَمَا أَجِدُ مِنْ دَوَاءٍ
جِرَاحِهَا أَشَدُّ مِمَّا أَجِدُ مِنَ أَلْمِ وَقَعِهَا ، صُونُوا سِيُوفَكُمْ كَمَا تَصُونُونَ وُجُوهَكُمْ ؛ لَا أَعْلَمُ امْرَأً
كَسَرَ سَيْفَهُ ، وَاسْتَبَقَى نَفْسَهُ ، فَإِنِ الرَّجُلُ إِذَا ذَهَبَ سِلَاحُهُ فَهُوَ كَالْمَرْأَةِ أَعْزَلُ ، غَضُّوا
أَبْصَارَكُمْ عَنِ الْبَارِقَةِ^(۵) ، وَابْتَسِمُوا كُلَّ امْرَأَةٍ قَرِنتَهُ ، وَلَا يُلْمِئَنَّكُمْ السُّؤَالُ عَنِّي ، وَلَا
تَقُولُنَّ : أَيْنَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، أَلَا مَنْ كَانَ سَائِلًا عَنِّي فَإِنِّي فِي الرَّعِيلِ^(۶) الْأَوَّلِ :

أَبِي لَابْنِ سَلْمَى أَنَّهُ غَيْرُ خَالِدٍ مُلَاقِي الْمَنَايَا أَيُّ صَرَفٍ تَيَّمَمًا

(۱) هو من مشطور السريع الموقوف . (۲) أي استوصلنا . (۳) الزبباء من الدواهي :
الشديدة ، ويقال لا أفعله ألبتة ؛ وبتة ، لاسكل أمر لارجدة فيه . (۴) ارتث (مبنيا للمجهول) حمل
من المعركة رثيما أي جريحا وبه رمق . (۵) البارقة : السيوف . (۶) الرعيل : القطعة من الخيل
القليلة ، أو مقدمتها .

فلستُ بمبتاعِ الحياةِ بسبِّةٍ ولا مرْتقىٍ من خشيةِ الموتِ سلماً
احلوا على بركةِ الله ، ثم قاتل حتى اُتخِنَ بالجراحاتِ وقتل .

(تاريخ الطبرى ۲ : ۲۰۴)

۱۵۳ — خطبة مصعب بن الزبير

بعت عبد الله بن الزبير أخاه مُصعباً والياً على البصرة سنة ۶۷ هـ ، فصعد المنبر ،
فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« بسم الله الرحمن الرحيم طسم . تلك آياتُ الكتابِ المبينِ . نتلو عليك من
نبيِّ موسى وفرعونَ بالحقِّ لقومٍ يؤمنون . إن فرعونَ علا في الأرضِ ، وجعل
أهلها شيعاً يستضعف طائفةً منهم ، يذبحُ أبناءهم ، ويستخفي نساءهم ، إنه
كان من المفسدين » وأشار بيده نحو الشام « ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا
في الأرضِ ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين » وأشار بيده نحو الحجاز « ونمكن لهم
في الأرضِ ونرى فرعونَ وهامانَ وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون » وأشار بيده
نحو العراق .

(البيان والتبيين ۲ : ۱۵۹ ، والمعقد الفريد ۲ : ۱۵۸ ، وتاريخ الطبرى ۷ : ۱۴۶)

خطب الأمويين

خطباء البيت الأموي .

خطب معاوية (توفي سنة ٦٠ هـ)

١٥٤ - خطبته بالمدينة عام الجماعة

قدم معاوية المدينة عام الجماعة (سنة ٤١ هـ) فتلقاه رجال قريش ، فقالوا : الحمد لله الذي أعز نصرك ، وأعلى كعبتك ، فما رد عليهم شيئاً حتى صعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد فإني والله ما وُلِّيتُها بمحبةٍ علمتها منكم ، ولا مسرةٍ بولائتي ، ولكني جالدتكم بسيفي هذا مجالدةً ، ولقد رُضتُ^(١) لكم نفسي على عمل ابن أبي قحافة ، وأردتها على عمل عمر ، فنفرت من ذلك نفاراً شديداً ، وأردتها على سُنَيَاتِ^(٢) عثمان ، فأبت عليّ ، فسلكت بها طريقاً لي وإلـم فيه منفعة : مؤاكلة حسنة ومشاركة جميلة ، فإن لم تجدونني خيركم ، فإني خير لكم ولايةً ، والله لا أحمل السيف على من لا سيف له ، وإن لم يكن منكم إلا ما يستشفي به القائلُ بلسانه ، فقد جعلت ذلك له دبراً^(٣) أذني ،

(١) من راض المهر: إذا ذلّه . (٢) سنية مصغر سنة ، والمراد حكم عثمان .

(٣) جعل كلامك دبراً أذنه : لم يصنع إليه ، ولم يعرج عليه .

وتحت قدمي ، وإن لم تجدونني أقوم بحمكم كله ، فاقبلوا مني بعضه ، فإن أنا كم مني خير فاقبلوه ، فإن السيل إذا جاد يُتري ، وإذا قل أغنى ، وإياكم والفتنة ، فإنها تُفسد المعيشة وتكدر النعمة ، ثم نزل .
(المقد للفريد ۲ : ۱۳۹)

۱۵۵ - خطبة أخرى له بالمدينة

وخطب فحمد الله وأثنى عليه ، ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :
« أما بعد ، أيها الناس ، إنا قدمنا عليكم ، وإنما قدمنا على صديق مستبشر .
أو على عدو مستتر ، وناس بين ذلك ينظرون وينتظرون . فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يُعطوا منها إذا هم يسخطون ، ولست واسعاً كل الناس ، فإن كانت محمداً ، فلا بد من مذمة ، فلو ما هوننا إذا ذكر غفر ، وإياكم والتي إن أخفيت أو بقت ، وإن ذكرت أو ثقت ، ثم نزل .
(المقد للفريد ۲ : ۱۴۰)

۱۵۶ - خطبة له بالمدينة

وصعد منبر المدينة فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
« يا أهل المدينة ، إني لست أحب أن تكونوا خلقاً كخلق العراق ، يعيبون الشيء وهم فيه ، كل امرئ منهم شيعته نفسه ، فاقبلونا بما فينا ، فإن ما وراءنا شر لكم ، وإن معروف زماننا هذا مُنكر زمان قد مضى ، ومنكر زماننا معروف زمان لم يأت ، ولو قد أتى فالرثق خير من الفتق ، وفي كلِّ بلاغٍ ، ولا مقام على الرزية .
(المقد للفريد ۲ : ۱۴۰)

۱۵۷ — خطبته حين ولي المغيرة بن شعبة الكوفة

ولما ولي معاوية المغيرة بن شعبة الكوفة في جمادى سنة ۶ هـ دعاه ، فحمد الله ،
وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد : فإن لذي الحلم قبل اليوم ما تُقرَع العصا^(۱) ، وسد فان المتلمس :

لذي الحلم قبل اليوم ما تُقرَع العصا وما علم الإنسان إلا ليعلم

وقد يُجزى^(۲) الحكيم بغير التعليم ، وقد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة ، فأنا
تاركها اعتماداً على بصرِكَ بما يرضيني ، ويُسد سلطاني ، وتصلح به رعيتي ، ولست تاركاً
إيصاءك بمصلحة : لا تتحَم^(۳) عن شتم علي وذمه ، والترحم على عثمان ، والاستغفار له ،
والعيب على أصحاب علي ، والإفصاء لهم ، وترك الاستماع منهم ، وبإطراء شيعة عثمان
رضوان الله عليه ، والإدناء لهم ، والاستماع منهم . »

فقال المغيرة : « قد جرّبتُ وجرّبتُ ، وعملت قبلك لغيرك ، فلم يُذمّ بي دَفْعٌ
ولا رَفْعٌ ، ولا وَضْعٌ ، فسَدَّ بِلُو^(۴) فمحمّد ، أو تَدَمُّمٌ » قال : « بل نحمد إن شاء الله . »

(تاريخ الطبري ۶ : ۱۴۱)

(۱) من أمثال العرب المشهورة : « إن العصا قرعت لذي الحلم » وهو مثل يضرب لمن إذا نبه انتبه ،
وأول من قرعت له العصا عامر بن الظرب العدواني ، وقيل هو قيس بن خالد ، وقيل ربيعة بن مخاشن ،
وقيل عمرو بن حمزة الدوسي ، وقيل عمرو بن مالك . ذكروا أن عامر بن الظرب كان أحد حكام العرب
الجاهليين : لا تمدك بفهمه فهما ، ولا يحككه حكماً ، فلما طعن في السن أنكر من عقله شيئاً ، فقال لبيته :
إنه قد كبرت سنّي ، وعرض لي سهو ، فإذا رأيتموني خرجت من كلابي ، وأخذت في غيره ، فاقروا لي
المجن بالعصا ، وقال المتلمس يريده :

لذي الحلم قبل اليوم ما تُقرَع العصا . . . البيت .

(۲) يجزى سهل عن يجزى أي يفتى ، يقال : أجزأت منك مجزاً فلان : أي أغنيت عنك مغناه .

(۳) احتنى ونحى : امتنع . (۴) أي نخبر .

۱۵۸ - خطبة له في يوم صائف

وخطب الجمعة في يوم صائف شديد الحر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

« إن الله عز وجل خلقكم فلم ينسكم ، ووعظكم فلم يهملكم ، فقال : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ». قوموا إلى صلاتكم (العقد الفريد ۲ : ۱۴۰)

۱۵۹ - آخر خطبة له

صعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قبض على لحيته ، وقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنِّي مِنْ زَرْعٍ قَدْ اسْتَحْصَدَ^(۱) ، وَقَدْ طَالَتْ عَلَيْكُمْ أَمْرَتِي ، حَتَّى مَلَائِكَتِكُمْ وَمَلَائِمُونِي ، وَتَمَنَيْتُ فِرَاقَكُمْ وَتَمَنَيْتُمْ فِرَاقِي ، وَإِنَّهُ لَا يَأْتِيكُمْ بَعْدِي إِلَّا مَنْ هُوَ شَرُّ مِنِّي ، كَمَا لَمْ يَأْتِكُمْ قَبْلِي إِلَّا مَنْ كَانَ خَيْرًا مِنِّي ، وَإِنَّهُ مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ أَحْبَبْتُ لِقَاءَكَ ، فَأَحْبِبْ لِقَائِي » ثم نزل ، فاصعد المنبر حتى مات^(۲). (الأمال ۲ : ۳۱۵ ، وتهذيب الكامل ۱ : ۱۶)

۱۶۰ - خطبته وقد حضرته الوفاة

ولما حضرت معاوية الوفاة قال لمولى له : من بالباب ؟ قال : نفر من قريش يتباشرون بموتك ، قال : ويحك ؟ ولم ؟ قال : لا أدري . قال فوالله ما لهم بعدى إلا الذي يسوءهم وأذن للناس فدخلوا ، فحمد الله وأثنى عليه ، وأوجز ثم قال :

(۱) استحصد للزرع وأحصد : حان أن يحصد . (۲) سيرد عليك بقية خطبه بعد في موضعها .

« أيها الناس : إنا قد أصبحنا في دهر عنود^(۱) ، وزمن شديد^(۲) يُعدّ فيه المحسن مسيئاً ، ويزداد فيه الظالم عُتُوًّا ، لا ننتفع بما علمناه ، ولا نسأل عما جهلناه ، ولا نتخوف قارعة^(۳) حتى تحلّ بنا؛ فالناس على أربعة أصناف : منهم من لا يمنعه من الفساد في الأرض إلا مهانة نفسه ، وكلال حدّه ، ونضيض وفره^(۴) ومنهم المصلّات^(۵) أسيفه ، المُجَابِ بِخَيْلِهِ وَرَجَلِهِ ، المعلن بشرته ، قد أشراط نفسه ، وأوبق دينه ، الحطام ينهزه^(۶) ، أو مقنّب^(۷) يقوده ، أو منبر يقرّعه^(۸) ، ولبئس المتجر أن تراها لنفسك ثمنًا ، وممالك عند الله عوضًا ، ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة ، ولا يطالب الآخرة بعمل الدنيا ، قد طامن من شخصه ، وقارب من خطّوه ، وشمر من ثوبه ، وزخرف نفسه للأمانة ، واتخذ ستر الله ذريعة للمعصية . ومنهم من قد أقعده عن طلب الملك ضئولة نفسه ، وانقطاع سببه ، فقصرت به الحال عن أمه . فتحلى باسم القناعة . وتزين بلباس الزهاد . وليس من ذلك في مراح ولا مغدّى ، وبقى رجال غَضَّ أبصارهم ذكرُ المرجم ، وأراق دموعهم خوفُ المتحسّر ، فهم بين شريد نافر ، وخائف منقمع^(۹) ، وساكت مكعوم^(۱۰) ، وداع مخلص ، وموجع تَبْكَلَان ، قد أخلتهم التَّقِيَّةُ^(۱۱) ، وشملتهم الذلّة ، فهم بحر أجاج^(۱۲) ، أفواههم ضامرة^(۱۳) ، وقلوبهم قرحة ، قد وَعَظُوا حَتَّى مَلَّوْا ، وَقَهَرُوا حَتَّى ذَاوْا ، وَقَتَلُوا

(۱) جائر . من عند عن الطريق كنعصر وسمع وكرم عنودا : إذا مال . (۲) وفي نهج البلاغة :
وزمن عنود وهو الكفور . (۳) الداهية التي تفرع أي تصيب . (۴) أي قلة مال .
(۵) أصلت السيف : سلّه . (۶) حيأها وأعدّها (من الشرط (بمركبة) وهو العلامة) أي حيأها
للفساد في الأرض . وأوبق : أهلكه . والحطام : المال . وأصله ما تكسر من البيس . (۷) المقنّب من
الخليل : بين الثلاثين إلى الأربعين أو زهاء ثلاثمائة . (۸) يملوه . (۹) مقهور .
(۱۰) من كعم البعير كنع : شدّ فاه لئلا يعض أو يأكل ، وفي البيان والتبيين معكوم ، من عكم المتاع
يمكّه : شدّه بثوب . (۱۱) التقية : الإدارة . (۱۲) الأجاج : الملح . (۱۳) ساكتة من ضمز
كنصر وضرب : سكت ولم يتكلم . والبعير أمك جرتة في فيه ولم يجتر .

حتى قتلوا ، فلتكن الدنيا في أعينكم أصغر من حُمالة القَرَظ^(۱) وقُرَاضة الجَلَمين ،
واتعظوا بمن كان قبلكم ، قبل أن يتعظ بكم من بعدكم ، فارفضوها ذميمةً فإنها قد رفضت
من كان أشغف بها منكم .

(البيان والتبيين ۲ : ۲۸ ، والمعقد الفريد ۲ : ۱۴۱ : ونهج البلاغة ۱ : ۴۰ وإعجاز القرآن ۲۱۳)

۱۶۱ - وصيته لابنه يزيد

لما حضرت معاويةَ الوفاةُ ، ويزيدُ غائبٌ ، دعا معاويةَ مُسلمَ بنَ عُقبةَ المرِّيَّ ،
والضُّحَّاكَ بنَ قيسَ الفِهْرِيَّ ، فقال : أبلغا عني يزيدَ وقولا له :

« يا بني ، إني قد كفيتك الشَّدَّ والترَّحالَ ، ووطَّأت لك الأمورَ ، وذَلَّلت لك الأعداءَ
وأخضعت لك رِقابَ العربَ ، وجمعت لك ما لم يجمعه أحدٌ ، فانظر أهلَ الحِجَازِ ، فإنهم
أصلك وَعِترَتُكَ^(۲) ، فمن أتاك منهم فأكرِّمه ، ومن قعد عنك فتعهَّده ، وانظر أهلَ العراقِ ،
فإن سألوكَ أن تعزلَ عنهم كلَّ يومٍ عاملاً فافعل ، فإنَّ عَزَلَ عامِلٍ أهونُ عليك من سلِّ
مائة ألفِ سيفٍ ، ثم لا تدرى علامَ أنت عليه منهم ؟ ثم انظر أهلَ الشَّامِ ، فاجعلهم
الشُّعَارَ^(۳) دونَ الدُّنَّارِ ، فإن رَأيتَ من عدوك رَبِّبٌ ، فارمهم^(۴) بهم ، فإن

(۱) القَرَظُ : ورق السلم أو تمر السنط يدبغ به ، والجلم : مقراض يجزبه الصوف . والقراضة :
ما يسقط منه عند الجز .

قال الجاحظ : « وفي هذه الخطبة أبقاك الله ضروب من العجب . منها أن هذا الكلام لا يشبه السبب
الذي من أجله دعاهم معاوية . ومنها أن هذا المذهب - في تصنيف الناس ، وفي الأخبار عنهم ، وعما هم عليه
من القهر والإذلال ، ومن التقية والخوف - أشبه بكلام علي وبمعانيه ، وبجمله من بحال معاوية . ومنها أن لم
يجد معاوية في حال من الحالات يسلك في كلامه مسلك الزهاد ، ولا يذهب مذاهب العباد ، وإنما نكتب لكم
ونخبر بما سمعناه ، والله أعلم بأصحاب الأخبار وبكثير منهم » .

ونسبها الشريف الرضي إلى الإمام علي ، وقال هي من كلامه الذي لا يشك فيه .

(۲) عترة الرجل : عشيرته الأذنون . (۳) الشعار : الثوب يليق على شعر الجسد ، والدنار :

الذي يابس فوق الشعار . (؟) الضمير للعدو ، وهو الواحد والجمع ، والذكر والأنثى ، وقد يشي
ويجمع ويؤنث .

أظفرك الله بهم ، فاردد أهل الشام إلى بلادهم ، ولا يُقيموا في غير بلادهم ، فيتأدبوا
بغير أدبهم .

وإني لست أخاف عليك أن يفازعك هذا الأمر إلا أربعة نفر من قريش :
الحسين بن عليّ ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن أبي بكر .
فأما عبد الله بن عمر فرجل قد وَقَدَه (١) الورع ، وإذا لم يبق أحدٌ غيره بايعك ؛
وأما الحسين بن عليّ فإنه رجل خفيف ، وأرجو أن يكفَيْكَ الله بمن قَتَلَ أباه وخذَل
أخاه ، ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يُخرجوه فإن خرج وظفرت به ، فاصفح عنه ،
فإن له رَحِمًا (٢) مائة ، وحقًا عظيمًا ، وقرابة من محمد صلوات الله عليه وسلامه ؛ وأما
ابن أبي بكر ، فإن رأى أصحابه صنعوا شيئاً صنع مثلهم ، ليست له همةٌ إلا في النساء
واللهو ؛ وأما ابن الزبير ، فإنه خَبَّ ضَبَّ (٣) ، فإن ظفرت به فقطعه إِرْبًا (٤) .
« أو قال » وأما الذي يَجْنِمُ لك جُنُومُ الأسد ، ويراوغك مراوغة الثعلب ، فإن أمكنته
فُرصة وثب ، فذاك ابن الزبير ، فإن هو وثب عليك ، فظفرت به فقطعه إِرْبًا ،
واحقن دماء قومك ما استطعت .

(البيان والتبيين ٢ : ٦٦ وتاريخ الطبري ٦ : ١٧٩ ، العقد الفريد ٢ : ١٤١ - ٢٤٩ الفخرى ص ١٠٢)

(١) وقده : صرعه وغلبه ، وتركه عليلاً كأوقلاه .
في صفحة ١٤١ . (٤) أي عضواً عضواً .
(٢) قرابة . (٣) انظر تفسيرها

خطب يزيد بن معاوية (توفي سنة ٦٤ هـ)

١٦٢ - خطبته بعد موت معاوية

« الحمد لله الذي ما شاء صنع : من شاء أعطى ، ومن شاء منع ، ومن شاء خفض ومن شاء رفع . إن أمير المؤمنين كان حبلاً من حبال الله ، مدّه ما شاء أن يمدّه . ثم قطعه حين أراد أن يقطعه ، وكان دون من قبله ، وخيراً ممن يأتي بعده . ولا أزكّيه عند ربه وقد صار إليه . فإن يعفُ فبرحمته . وإن يعاقبه فبذنبه . وقد وليت بعده الأمر . واستعتذر من جهل ، ولا أشتغل^(١) بطلب علم ، وعلى رسلكم ، إذا كره الله شيئاً غيره ، وإذا أحب شيئاً يسره . »

(العقد الفريد ٢ : ١٤٢ - ٢٥٠ ، ومروج الذهب ٢ : ٩٣ ، عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٣٨)

١٦٣ - خطبة أخرى له

« الحمد لله أحده وأستعينه ، وأؤمن به ، وأتوكل عليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضللّ فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله اصطفاً لوحياً ، واختاره لرسالته ، بكتاب فضله وفضله ، وأعزه وأكرمه ، ونصره وحفظه ، ضرب فيه الأمثال ، وحلل فيه الحلال ، وحرّم فيه الحرام ، وشرع فيه الدين إعاداراً وإنذاراً ، أثلاً يكون

(١) في العقد الفريد : ولا أمتى على طلب علم ، ولا أتى عن طلب علم .

للناس على الله حجة بعد الرسل ، ويصكون بلاغاً لقوم عابدين^(۱) . أوصيكم عباد الله بتقوى الله العظيم الذي ابتدأ الأمور بعلمه ، وإليه يصير معادها ، وانقطاع مدتها ، وتصرف دارها ، ثم إنى أحذركم الدنيا ، فإنها حلوة خضرة^(۲) ، حُفَّت بالشهوات ، وراقت بالقليل ، وأينعت بالفانى ، ونحيت بالعاجل ، لا يدوم نعيمها ، ولا تؤمن فجيعتها ، أكلة غواية غيرة ، لا تبقى على حال ، ولا يبقى لها حال . إن تعدوا الدنيا إذا تنهت إلى أمنيّة أهل الرغبة فيها والرضا بها أن تكون كما قال الله عز وجل : (وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا هِيَ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا) نسأل الله ربنا وإلهنا وخالقنا ومولانا أن يجعلنا وإياكم من فزيع يومئذ آمنين ، إن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله ، يقول الله : (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم : (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ^(۳) ، حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ، فَإِنْ تَوَّأَوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) . (المقد الفريد ۲ : ۱۴۲)

۱۶۴ - خطبة معاوية بن يزيد^(۴) (توفى سنة ۶۴)

أمر معاوية بن يزيد بن معاوية بعد ولايته ، فنودي بالشام : الصلاة جامعة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
أما بعد : فإنى قد نظرت فى أمركم فضعت عنه ، فابتغيت لكم رجلاً مثل عمر ابن الخطاب رحمة الله عليه حين فزع إليه أبو بكر فلم أجده ، فابتغيت لكم ستة فى الشورى

(۱) أى مهمم العبادة . (۲) ناضرة . (۳) أى عنتكم (مشقتكم) .

(۴) استخلف فى شهر ربيع الأول سنة ۵۶۴ ، ولم يلبث فى الخلافة إلا ثلاثة أشهر وقيل أربعين يوماً .

مثل ستة عمر فلم أجد لها ، فأنتم أولى بأمركم ، فاختراروا له من أحببتهم ، فما كنت لأتزوّدَها
ميتاً ، وما استتممت بها حياً .

ثم دخل منزله ولم يخرج إلى الناس ، وتغيّب حتى مات (۱) .

(تاريخ الطبري ۷ : ۳۴ ، والفخرى ص ۱۰۷ ، ومروج الذهب ۲ : ۹۷)

۱۶۵ - وصية مروان بن الحكم لابنه عبد العزيز

ولما انصرف مروان بن الحكم من مصر إلى الشام استعمل عبد العزيز ابنه على
مصر ، وقال له حين ودعه :

« أرسل حكيمًا ولا توصه ، أي بني انظر إلى عمالك فإن كان لهم عندك حق غدوة
فلا تؤخره إلى عشية ، وإن كان لهم عشية فلا تؤخره إلى غدوة ، وأعطهم حقوقهم عند
محلها ، تستوجب بذلك الطاعة منهم . وإياك أن يظهر لرعيّتك منك كذب ، فإنهم إن
ظهر لهم منك كذب لم يصدقوك في الحق ، واستشر جلساءك وأهل العلم ، فإن لم يستين
لك فاكتب إلى يأتك رأي فيه إن شاء الله تعالى ، وإن كان بك غضب على أحد من
رعيّتك فلا تؤاخذ به عند سورة الغضب ، واحبس عنه عقوبتك حتى يسكن غضبك ،
ثم يكون منك ما يكون وأنت ما كن الغضب منطفيّ الجرة ، فإن أول من جعل السجن
كان حايماً ذا أناة ، ثم انظر إلى أهل الحسب والدين والمروءة فليكونوا أصحابك وجلساءك ،
ثم اعرف منازلهم منك على غيرهم ، على غير استرسال ولا انقباض ، أقول هذا وأستخلف
الله عليك . » (قمقمة التريدي ۱ : ۴۹)

(۱) قيل دس إليه فسق منها ، وقال بعضهم طعن ، وتوفى وهو ابن ثلاث عشرة سنة وثمانية عشر يوماً :
وقيل ابن إحدى وعشرين سنة .

خطب عبد الملك بن مروان (توفي سنة ٥٨٦هـ)

١٦٦ - خطبته بمكة

خطب بمكة فقال في خطبته :

« أيها الناس : إني والله ما أنا بالخليفة المستضعف (يريد عثمان بن عفان) ولا بالخليفة المدهين (يريد معاوية بن أبي سفيان) ولا بالخليفة المأفون^(١) (يريد يزيد بن معاوية) فن قال برأسه كذا ، قلنا له بسيفنا كذا » . ثم نزل^(٢) .

(المقدم الفريد ٢ : ١٤٢ و ٢٦٣ والبيان والتبيين ٢ : ٨٥)

١٦٧ - خطبة له موجزة

وخطب على المنبر فقال :

« أيها الناس إن الله حدّ حدوداً ، وفرض فروضاً ، فإزّتم تزادون في الذنب ، ونزداد في العقوبة ، حتى اجتمعنا نحن وأنتم عند السيف » . (المقدم الفريد ٢ : ٢٦٣)

(١) المأفون : الضعيف الرأي والعقل . (٢) قال أبو إسحق النظام : « أما والله لولا نسبك من هذا المستضعف وسببك من هذا المدهين لكانت منها أبعد من العيوق (يفتح العين وتشديد الياء نجم أحمر مضيء يتلو الثريا) والله ما أخذتها بوراثة ، ولا سابقة ، ولا قرابة ، ولا بدعوى شوري ، ولا بوصية » .

۱۶۸ - خطبته حين قتل عمرا الأشدق بن سعيد بن العاص^(۱)

۵ ارموا بأبصاركم نحو أهل العصية ، واجعلوا سلفكم لمن شبر منكم عظة ، ولا تكونوا أغفالا^(۲) من حسن الاعتبار ، فتزل بكم جائحة^(۳) السطوات ، ونجوس خلالكم بوادرُ الفقمات ، وتطأ رقابكم بشفاها العقوبة ، فتجعلكم همدارقاتا^(۴) ، وتشتمل عليكم بطون الأرض أمواتا ، فإياي من قول قائل ، ورشقة جاهل ، وإنما بيني وبينكم أن أسمع النفوة^(۵) ، فأصم تصميم الحسام المطرور^(۶) ، وأصول صيال الخنق الموتور^(۷) ، وإنما هي المصاحفة والمكاحفة ، بظبات السيوف وأسنة الرماح ، والمعاودة لكم بسوء الصباح ، فتاب تائب ، وهديل خائب^(۸) ، والتوب مقبول ، والإحسان مبذول ،

(۱) وذلك أنه لما كانت الفتنة بعد موت معاوية الثاني ، وانحاز الضحاك بن قيس الفهري عن مروان ابن الحكم ، واستمال النار ودعا إلى ابن الزبير ، اتقى مروان وعمرو بن سعيد الأشدق (وهو عمرو بن سعيد ابن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف) فتال الأشدق لمروان : هل لك فيما أقوله لك ؟ فهو خير لي ولك ، فتال مروان : وما هو ؟ قال : أدعو الناس إليك وأخذها لك على أن تكون لي من بعدك . فقال مروان : لا بل بعد خالد بن يزيد بن معاوية ، فرضى الأشدق بذلك ودعا الناس إلى بيعة مروان فأجابوا ، وبايع مروان بعده لخالد بن يزيد ، وبعث عمرو بن سعيد بعد خالد ، ثم مات مروان وخلفه ابنه عبد الملك ، ولما اعتزم عبد الملك أن يخرج إلى العراق امتثال مصعب بن الزبير بنفسه . قال له عمرو : إنك تخرج إلى العراق ، وقد كان أبوك وعدني هذا الأمر من بعده ، وعلى ذلك جاهدت معه ، وقد كان من بلائي معه ما لم يخف عليك ، فاجعل لي هذا الأمر من بعدك ، فلم يجبه عبد الملك إلى شيء ، فلما كان من دمشق حل ثلاث مراحل أغلق عمرو بن سعيد دمشق وخالف عليه ، فرجع إلى دمشق وحاصرها حتى صالح عمرو ابن سعيد على أنه الخليفة بعده ففتح له ، ثم إن عبد الملك احتال له حتى قتل سنة ۶۹ .

(۲) غبر : بقي ، وأغفال جمع غفل كقفل . (۳) الجوح والاجتياح : الإهلاك والامتنعاض .

(۴) الهامد : البالي من كل شيء ، والرفات : الخطام . (۵) النفوة والنفمة : أول الخبر قبل

أن تستثبته . (۶) المشحود ، من الطر : وهو تحديد السكين وغيرها . (۷) صاحب الوتر :

وهو الثار . (۸) هدله يهداه كضربه : أرشاه ، وهديل المشفر كفرح : استرخى أي ضعف الخائب

وخار ، ولعله حائب من الحوب بفتح الحاء وضها وهو الإثم . حاب بكذا أثم حوبا أي ضعف الأثم اللاتب .

(۱۳ - جمهرة خطب العرب - ثان)

لمن عرف رُشدہ ، وأبصر حفظہ ، فانظروا لأنفسکم ، وأقبلوا علی حفاظکم ، وإیکن أهل الطاعة بدأ علی أهل الجهل من سفهائکم ، واستدیعوا النعمة التي ابتدأتکم برغید عیشها ، ونفیس زینتها ، فإنکم من ذلك بین فضیلتین : عاجل الخفض والذعة ، وآجل الجزاء والمثوبة ، عصمکم الله من الشيطان وفتنته ونزغہ^(۱) ، وأمدکم بحسن معونته وحفظه ، انهمضوا رحمکم الله إلى قبض أعطیاتکم ، غیر مقطوعة عنکم ، ولا مکذرة علیکم .
(صبح الأعشى ۱ : ۲۱۸)

۱۶۹ - خطبته لما دخل الكوفة بعد قتل مصعب بن الزبير^(۲)

لما قتل عبد الملك مُصعب بن الزبير سنة ۷۱ هـ دخل الكوفة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :
« أيها الناس إن الحرب صعبة مُرة ، وإن السلم أمنٌ ومسرّة ، وقد زبنتنا الحرب وزبنتناها^(۳) فمرفناها وألفناها ، فنحن بنوها وهي أمنا . أيها الناس فاستقيموا على سبيل الهدى ، ودعوا الأهواء المرذية ، وتجنبوا فراق جماعات المسلمين ، ولا تكافونا أعمال المهاجرين الأولين وأنتم لاتعملون أعمالهم ، ولا أظنکم تزدادون بعد الموعدة إلا شراً ، وإن زداد بعد الإعذار إليکم والحجة علیکم إلا عقوبةً ، فن شاء منکم أن يعود بعدُ لمثلها فليعد ، فإنما مثلى ومثلکم كما قال قيس بن رفاعة الأنصاري :

من يَصَل ناري بلا ذنب ولا تریة يَصَل بنار كَرِيمٍ غير غدار^(۴)
أنا النذير لكم مني مجاهرةً كي لا ألام على نهى وإنذار

(۱) نزغ بينهم : أفند وأفرى . (۲) نسب القلقشندي هذه الخطبة إلى معاوية وذكر أنه خطبها بصيفين (صبح الأعشى ۱ : ۲۱۵) ومزأها القالي في الأمانى إلى عبد الملك بن مروان وهو ما ترجمه لما يدل عليه سياق الخطبة . (۳) أي دفتنا ودفمنها ، والزبن : الدفع ، ومنه اشتقاق الزبانية (جمع زبانية أو زبني بكسر الزاي وسكون الباء) لأنهم يدفعون أهل النار إلى النار ومنه أيضا حرب زبون بفتح الزاي . (۴) الترة والوتر : النار .

فإن عصيتم مقالى اليوم فاعترفوا
لترجيئنا أحاديثنا مُلَعَّنَةً
من كان في نفسه حوجاه يطلبها
أقيم عوجته إن كان ذا عوج
وصاحب الوتر ليس الدهر مدركه
أن سوف تلقون خزيًا ظاهر العار
هو المقيم وهو المدج السارى^(۱)
عندى فإني له رهف بإسحار^(۲)
كما يقوم قدح النبغة البارى^(۳)
عندى ، وإني لدراك بأوتار
(الأمالي ۱ : ۱۲)

۱۷۰ - خطبته عام حجه

وحج عبد الملك في بعض أعوامه ، فأمر للناس بالعطاء ، فخرجت بدرة^(۴) مكتوب عليها من الصدقة ، فأبى أهل المدينة قبولها ، وقالوا : إنما كان عطاؤنا من الفىء ، فقال عبد الملك وهو على المنبر :

« يا معشر قريش ، مثلنا ومثلكم أن أخوين في الجاهلية خرجا مسافرين ، نزلوا في ظل شجرة تحت صفاة^(۵) ، فلما دنا الرواح خرجت إليهما من تحت الصفاة حية تحمل دينارًا ، فألقته إليهما ، فقالا : إن هذا لمن كنز ، فأقاما عليها ثلاثة أيام ، كل يوم تخرج إليهما دينارًا ، فقال أحدهما لصاحبه : إلى متى ننتظر هذه الحية ؟ ألا نقتلها ونحفر هذا الكنز فنأخذه ، فهناه أخوه ، وقال : ما تدرى لملك تعطب ولا تدرك المال ، فأبى عليه

(۱) أدبج : سار من أول الليل ، فان سار من آخره فقد ادبج بالتشديد ، والسارى : الذى يسير بالليل .
(۲) الحوجاه : الحاجة . وقوله بإسحار : أى لا أستتر عنه ، ولا أمتنع في الأماكن الحصينة ، من أسحر القوم : برزوا إلى الصحراء . (۳) العوج بالفتح في كل ما كان منتصبًا مثل الإنسان والعصا والعود وشبهه ، والعوج بالكسر : ما كان في بساط أو أرض أو معاش أو دين ، قيل بالفتح مصدر وبالكسر اسم منه ، والقدح : السهم قبل أن يراش ويتصل جمعه قداح ، والنبغة واحدة النبع وهو شجر القسي والسهام .
(۴) البدر : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار . (۵) الصفاة : الحجر الصلد الضخم .

وأخذ فأساما معه ، ورصد الحية حتى خرجت ، فضربها ضربة جرحت رأسها ولم تقتلها .
فثارت الحية فقتلته . ورجعت إلى جحرها . فقام أخوه فدفنه وأقام حتى إذا كان من الغد
خرجت الحية معصوبا رأسها ، ليس معها شيء . فقال لها : يا هذه إني والله ما رضيت
ما أصابك ، ولقد نهبت أخى عن ذلك ، فهل لك أن نجعل الله بيننا أن لا تضربني
ولا أضرك وترجعين إلى ما كنت عليه ؟ قالت الحية : لا ، قال : ولم ذلك ؟ قالت :
إني لأعلم أن نفسك لا تطيب لي أبداً وأنت ترى قبر أخيك ، ونفسي لا تطيب لك أبداً
وأنا أذكر هذه الشجيرة^(۱) ، وأنشدهم شعر النابغة :

فقلت أرى قبراً تراه مُقابلي وضربة فأس فوق رأسي فاغره

فيامعشر قريش وليكم عمر بن الخطاب ، فكان فظاً غليظاً مضيقاً عليكم ، فسمعتم
له وأطعتم ، ثم وليكم عمان فكان سهلاً ، فعَدَّوتم عليه فقتلتموه ، وبهثنا عليكم
« مسلماً »^(۲) يوم الحرّة فقتلناكم ، فنحن نعلم يامعشر قريش أنكم لا تحبوننا أبداً ، وأنتم
تدكرون يوم الحرّة ، ونحن لا نحبيكم أبداً ونحن نذكر قتل عمان .

(مروج الذهب ۲ : ۱۲۹)

۱۷۱ - خطبته وقد علم بخروج ابن الأشعث

ولما ورد إليه كتاب الحجاج يذبه بخروج ابن الأشعث خرج إلى الناس فقام فيهم
فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

(۱) راجع مجمع الأمثال للميداني ۲ : ۶۱ في المثل : « كيف أعاردك وهذا أثر فاسك » .
(۲) هو مسلم بن عقبة المري صاحب وقعة الحرّة . وذلك أن أهل المدينة كانوا كرهوا خلافة يزيد
ابن معاوية وخلموه وحصروا من كان بها من بني أمية وأخافوهم ، فوجه إليها مسلم بن عقبة فحاصرها من
جهة الحرّة ، « موضع بظاهر المدينة » ودخلها ، ودعا الناس للبيعة على أنهم خول يزيد يحكم في دماهم وأموالهم
وأهلهم ماشاء ، وقد أباح المدينة ثلاثاً : فقتل ، ونهب ، وسبى قيل إن الرجل من أهل المدينة بعد ذلك كان
إذا زوج ابنته لا يضمن بكاريتها ، ويقول لعلها انتضت في وقعة الحرّة . « وكانت في ذي الحجة من سنة ۶۳ هـ » .

« إن أهل العراق طال عليهم عمري ، فاستمعوا قَدْرِي ، اللهم سلط عليهم سيوف
أهل الشام حتى يبلغوا رضاك ، فإذا بلغوا رضاك لم يجاوزوا إلى سخطك » ثم نزل .
(تاريخ الطبری ۸ : ۱۰)

۱۷۲ - وصيته لبعض أمرائه

وأوصى عبد الملك أميرًا سيّره إلى أرض الروم ، فقال :
« أنت تاجر الله لعباده ، فكن كالمضارب الكيس الذي إن وجد ربحًا اتجر ،
وإلا تحفظ برأس المال ، ولا تطلب الغنيمة حتى تُحرز السلامة ، وكن من احتيالك
على عدوك أشدَّ حذرًا من احتيالك عدوك عليك » .
(العقد الفريد ۱ : ۴۱)

۱۷۳ - وصيته للشعبي

وروى المسمودي في مروج الذهب قال :
ولما أفضى الأمر إلى عبد الملك بن مروان ، تافت نفسه إلى محادثة الرجال والأشراف
في أخبار الناس ، فلم يجد من يصلح لمنادمتهم غير الشعبي ، فلما حبل إليه ونادمه ،
قال له :

« يا شعبي ، لا تساعِدني على ما قبّح ، ولا ترُدُّ عليَّ الخطأ في مجلسي ، ولا تكلفني
جوابَ التسميت^(۱) والتهنئة ، ولا جوابَ السؤال والتعزية ، ودع عنك (كيف أصبح
الأمير ، وكيف أمسى) . وكلني بقدر ما استطعمك ، واجعل بدل المدح لي صوابَ
الاستماع مني ، واعلم أن صوابَ الاستماع أكثر من صواب القول ، وإذا سمعني أتحدث
فلا يفوتك منه شيء ، وأرني فهمك من طرفك وسمعك ، ولا تُجهد نفسك في نظر^(۲) »

(۱) التسميت: الدعاء للماتس . (۲) في الأصل « في نظرية صوابي » وأراه محرفاً، والنظر: الانتظار.

صوابی . ولا تستدع بذلك الزيادة في كلامي ، فإن أسوأ الناس حالا من استكد^١ الملوك بالباطل ، وإن أسوأ الناس حالا منهم من استخف بحقهم ، واعلم يا شعبي أن أقل من هذا يذهب بسالف الإحسان ، ويُسقط حق الحرمة . فإن الصمت في موضعه ربما كان أبلغ من النطق في موضعه وعند إصااته وفرصته .

(مروج الذهب ٢ : ١٠٩)

١٧٤ — وصيته لأخيه عبد العزيز بن مروان

وأوصى عبد الملك بن مروان أخاه عبد العزيز حين ولاه مصر فقال :
« ابسط بِشْرَكَ ، وَأَلِنْ كَتْفَكَ . وآثر الرفق في الأمور ، فإنه أبلغ بك . وانظر حاجبك ، فليكن من خير أهلِكَ ، فإنه وجهك ولسانك ، ولا يَقِفَنَّ أَحَدٌ بِيَابِكَ إِلَّا أَعْلَمَكَ مَكَانَهُ ، لتكون أنت الذي تَأْذَنُ لَهُ أَوْ تَرُدُّهُ ، وإذا خرجت إلى مجلسك فابدأ بالسلام ، يأنسوا بك ، وتثبت في قلوبهم محبتك ، وإذا انتهى إليك مُشْكِلٌ ، فاستظهر عليه بالمشاورة ، فإنها تفتح مغاليق^(١) الأمور ، وإذا سخِطت على أحد فأخّر عقوبته ، فإنك على العقوبة بعد التوقف عنه أقدرُ منك على ردها بعد إمضائها . »
(الفخرى : ١١٣)

١٧٥ — وصيته لولده عند وفاته

نظر عبد الملك إلى ابنه الوليد وهو يبكي عليه عند رأسه ، فقال :
« يا هذا أحزنين الحمامة ؟ إذا أنا ميتٌ فشمّر واتزر ، والبس جلد نمر ، وضع سيفك على عاتقك ، فن أبدى ذات نفسه لك ، فاضرب عنقه ، ومن سكت مات بدائه ،

(١) جمع مغلاق بكسر الميم : وهو ما يعلق به الباب .

ثم أقبل عبد الملك يذم الدنيا ، فقال : « إن طوباكِ لقصير ، وإن كثيرك لقليل ، وإن كنا منك لفي غرور » . ثم أقبل على جميع ولده فقال : « أوصيكم بتقوى الله ، فإنها عصمة باقية ، وجنة واقية ، فالتقوى خير زاد ، وأفضل في المماد ، وهي أحسن كهف ، ولتيمطف الكبير منكم على الصغير ، ويعرف الصغير حق الكبير ، مع سلامة الصدور ، والأخذ بجميل الأمور . وإياكم والبغى والتحاسد ، فيهما هلك الملوك الماضون ، وذوو العز المكين يا بني : أخوكم مسألة ناهكم الذي تفرؤن^(۱) عنه ، ومجتكم^(۲) الذي تستجئون به ، اصدروا عن رأيه ، وأكرموا الحججاج فإنه الذي وطأكم هذا الأمر ، كونوا أولادا أبراراً ، وفي الحروب أحراراً ، وللمعروف مناراً ، وعليكم السلام » .

(مروج الذهب ۲ : ۱۵۴)

۱۷۶ — خطبة للوليد بن عبد الملك بعد دفن أبيه (توفي سنة ۹۶ هـ)

لما رجع الوليد من دفن عبد الملك لم يدخل منزله حتى دخل المسجد ، ونادى في الناس الصلاة جامعة ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
« أيها الناس إنه لا مؤخر لما قدم الله ، ولا مقدم لما أخر الله ، وقد كان من قضاء الله وسابق علمه ، وما كتب على أنبيائه ، وحملة عرشه من الموت موتاً ولى هذه الأمة ، ونحن نرجو أن يصير إلى منازل الأبرار ، الذي كان عليه من الشدة على المرئيب ، واللين على أهل الفضل والدين ، مع ما أقام من منار الإسلام وأعلامه ، وحجج هذا البيت ، وغزو هذه الثغور ، وشن الغارات على أعداء الله فلم يكن فيها عاجزاً . ولا وانياً ، ولا مفرطاً ، فعليكم أيها الناس بالطاعة ، ولزوم الجماعة ، فإن الشيطان مع الفد ، وهو من الجماعة أبعد ، واعلموا أنه من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذي فيه عيناه ، ومن سكت مات بدائه » . ثم نزل .

(المقدنفر يد ۲ : ۱۴۲ ، وتاريخ الطبري ۸ : ۵۹)

(۱) فرّ الدابة : كشف عن أمانيها لينظر ما فيها . (۲) المجن : الترس .

۱۷۷ - خطبة لسليمان بن عبد الملك (توفي سنة ۹۹ هـ)

« الحمد لله . ألا إن الدنيا دار غُرُور ، ومنزلٌ باطل ، تُضحكُ باكيًا ، وتُبكي
ضاحكًا ، وتخيفُ آمنًا ، وتؤمنُ خائفًا ، وتُفقرُ مثرىً ، وتُثريُّ مُقترا^(۱) مَيَّالَةً غَرَّارَةً ،
كعبابَةً بأهلها . عباد الله ، فاتخذوا كتاب الله إمامًا ، وارتضوا به حَكَمًا ، واجعلوه لكم
قائدًا ، فإنه ناسخ لما كان قبله ، ولم يَأَسَخْه كتاب بعده . واعلموا عباد الله أن هذا
القرآن يجلو كيد الشيطان ، كما يجلو ضوء الصبح إذا تنفس ظلام الليل إذا
عَسَسَ^(۲) . »

(العقه الفريد ۲ : ۱۴۳ ، وعيون الأخبار م ۲ : ص ۲۴۷ ، والبيان والتبيين ۱ : ۱۶۶)

(۱) من أقر ، أى افتقر . (۲) تنفس الصبح : أسفر ، وعسس الليل : أقبل ظلامه (أراد بقر) .

خطب عمر بن عبد العزيز (توفي سنة ٥١٠ هـ)

١٧٨ - أولى خطبه

قال العُتبيّ : أول خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز رحمه الله قوله :
« أيها الناس ، أصابحوا سرائركم ، تصأبح لكم علائبتكم ، وأصاحبوا آخرتكم ،
تصلح دنياكم ، وإن أصراً ليس بينه وبين آدم أب حتى يُعرق في الموت » .
(العقد الفريد ٢ : ١٤٣ ، وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ٢١٧)

١٧٩ - خطبة له بالمدينة

وفي سنة ٨٧ هـ ولي الوايد عمر بن عبد العزيز المدينة فلما قدمها صلى الظهر ودعا عشرة
من فقهاءها ، فدخلوا عليه فجلسوا فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال :
« إني إنما دعوتكم لأمر تؤجرون عليه ، وتكونون فيه أعوانا على الحق ، ما أريد
أن أقطع أمراً إلا برأيكم أو برأي من حضر منكم ، فإن رأيتم أحدا يتعدى أو يلفظكم
عن عامل لي ظلّامة فأحرّج^(١) الله على من بلغه ذلك إلا بلفظي » .
فخرجوا يمجزون خيرا .

(تاريخ الطبري ٨ : ٦١)

(١) التحريج . التصديق ، أي فأشدد عليه بالله .

۱۸۰ - خطبة أخرى

وروى المسمودي في مروج الذهب ، أنه لما أفضى إليه الأمر ، كان أول خطبة
خطب الناس بها أن قال :

« أيها الناس ، إنما نحن من أصول قد مضت فروعها ، فما بقاء فرع بعد أصله ؟
وإنما الناس في هذه الدنيا أغراض تنقض^(۱) فيهم المنايا ، وهم فيها نُصَب المصائب ، مع
كل جرعة شَرَق^(۲) ، وفي كل أكلة غَصَص ، لا ينالون نعمة إلا بفراق أخرى ،
ولا يُعَمَّر مُعَمَّرٌ منكم يوماً من عمره إلا يهدم آخر من أجله » .

وأورد القالي في الأمالي هذه الخطبة بصورة أطول ، وهي :

« ما الجزع مما لا بُدَّ منه ، وما الطمع فيما لا يُرَجَى ، وما الحيلة فيما سيزول ؟ وإنما
الشيء من أصله ، فقد مضت قبلنا أصول نحن فروعها ، فما بقاء فرع بعد أصله ؟ إنما الناس
في الدنيا أغراض تنقض فيهم المنايا ، وهم فيها نُصَب المصائب ، مع كل جرعة شَرَق ،
وفي كل أكلة غَصَص ، لا ينالون نعمة إلا بفراق أخرى ، ولا يعمر مُعَمَّرٌ يوماً من عمره
إلا يهدم آخر من أجله ، وأنتم أعوان الختوف على أنفسكم ، فأين المهزَّب مما هو كائن ؟
وإنما نتقلب في قدرة الطالب ، فما أصغر المصيبة اليوم ، مع عظيم الفائدة غداً ، وأكبر
خيبة الخائب فيه ، والسلام » .

(مروج الذهب ۲ : ۱۶۸ ، والأمال ۲ : ۱۰۲ ، وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ۲۱۳)

(۱) جمع غرض : وهو الهدف ، وانتضلت : تناضلت وتبارت في الرمي .

(۲) شَرَق بريقة : فحس .

۱۸۱ - خطبة أخرى

وروى أنه لما دَفَنَ سليمان بن عبد الملك ، وخرج من قبره ، سمع للأرض رجّة ، فقال : ما هذه ؟ فقيل : هذه مرّاً كبُ الخِلافة يا أمير المؤمنين ، قُرِّبت إليك لتركبها ، فقال : مَالِي وَهَلْهَا ؟ مَحْوَهَا عَنِّي ، قَرَّبُوا إِلَيَّ بِغَاتِي ، فَقَرَّبْتَ إِلَيْهِ فَرَكَبَهَا . وجاءه صاحب الشُّرطة يسير بين يديه بالحربة ، فقال : تنحّ عني ، مالي ولك ؟ إنما أنا رجل من المسلمين ، فسار وسار معه الناس ، حتى دخل المسجد ، فصعد المنبر ، واجتمع إليه الناس ، فقال :

« أيها الناس : إني قد ابْتَلَيْتُ بِهَذَا الْأَمْرِ عَنْ غَيْرِ رَأْيٍ كَانَ مِنِّي فِيهِ ، وَلَا طَلِبَةَ لَهُ ، وَلَا مَشُورَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِنِّي قَدْ خَلَعْتُ مَا فِي أَعْنَاقِكُمْ مِنْ بَيْتِي ، فَاخْتَارُوا لِأَنْفُسِكُمْ » .

فصاح الناس صيحة واحدة : قد اخترناك يا أمير المؤمنين ، ورضينا بك ، قل أمرنا باليمن والبركة ، فلما رأى الأصوات قد هدأت ، ورضى به الناس جميعاً ، حمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال :

« أوصيكم بتقوى الله ، فإن تقوى الله خَافَ من كل شيء . ، وليس من تقوى الله عزَّ وجلَّ خَلْفٌ ، واعملوا لآخرتكم ، فإنه من عملٍ لآخرته كَفَاهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَمْرَ دُنْيَاهُ وَأَصْلِحُوا سِرَائِرَكُمْ ، يُصْلِحِ اللهُ الْكَرِيمِ عَلَانِيَتَكُمْ ، وَأَكْثَرُوا ذِكْرَ الْمَوْتِ وَأَحْسِنُوا الْإِسْتِعْدَادَ قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ بِكُمْ ، فَإِنَّهُ هَادِمُ اللَّذَاتِ ، وَإِنْ مِنْ لَائِدِكُمْ مَنْ آبَاهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَبَا حَيًّا لَمُعْرِقٍ فِي الْمَوْتِ ، وَإِنْ هَذِهِ الْأُمَّةُ لَمْ تَخْتَلَفْ فِي رَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَا فِي نَبِيِّهَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا فِي كِتَابِهَا ، وَإِنَّمَا اخْتَلَفُوا فِي الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أُعْطَى أَحَدًا بَاطِلًا ، وَلَا أَمْنَعُ أَحَدًا حَقًّا ، إِنْ لَسْتُ

بخازن ، ولكنى أضع حيث أمرت . أيها الناس : إنه قد كان قبلى ولاية تجتزون^(۱) مودتهم ، بأن تدفعوا بذلك ظلمهم عنكم ، ألا لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، من أطاع الله وجبت طاعته ، ومن عصى الله فلا طاعة له ، أطيعونى ما أطلعت الله فيكم ، فإذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم . أقول قولى هذا ، وأستغفر الله العظيم لى ولكم »

(سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ص ۵۲ - ۲۰۱ ، ولابن عبد الحكم ص ۲۹)

۱۸۲ - خطبة أخرى

وروى أنه لما ولى الخلافة صعد المنبر ، وكان أول خطبة خطبها : حمد الله وأثنى عليه
ثم قال :

« يا أيها الناس من صحبنا فليصحبنا بخمس ، وإلا فلا يقربنا : يرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها ، ويعيننا على الخير بجهده ، ويدلنا من الخير على ما لا تهتدى إليه ، ولا يغتابنا عندنا الرعية ، ولا يعترض فيما لا يعنيه » .

فانقش عنه الشعراء والخطباء ، وثبت الفقهاء والزهاد ، وقالوا : ما بسعنا أن نفارق هذا الرجل ، حتى يخالف قوله فنهه .

(سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ص ۱۹۶)

۱۸۳ - خطبة أخرى

وصعد المنبر : حمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد ، أيها الناس ، إنه ليس بعد نبيكم صلى الله عليه وسلم نبي ، وليس بعد الكتاب الذى أنزل عليه كتاب ، فما أحل الله على لسان نبيه فهو حلال إلى يوم القيامة

(۱) تجتزون .

وما حرم الله على لسان نبيه فهو حرام إلى يوم القيامة ، إلا إنى لست بقاضٍ ، ولكنى منفذٌ لله ، ولست بمتبّعٍ ، ولكنى متبّيعٌ ، ألا إنه ليس لأحد أن يطاعَ في معصية الله عز وجل ، إلا إنى لست بخيركم ، وإنما أنا رجل منكم ، غير أن الله جعلنى أثقلكم حجلاً . يا أيها الناس : إن أفضل العبادة أداء الفرائض ، واجتناب المحارم . أقول قولى هذا ، وأستغفر الله العظيم لى ولكم .

(سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ص ۵۶ ، وص ۱۹۸ ، ولابن عبد الحكم ص ۳۸ ، ومروج الذهب ۲ : ۱۶۸)

۱۸۴ - خطبة أخرى

وخطب فقال :

« أيها الناس ، إنكم ميتون ، ثم إنكم مبعوثون ، ثم إنكم محاسبون ، فلعمرى لئن كنتم صادقين لقد قصرتم ، وإن كنتم كاذبين لقد هلكتم . يا أيها الناس ، إنه من يقدر له رزق برأس جبل ، أو بحضيب أرض يأنه ، فأجملوا فى الطلب » :
(إعجاز القرآن ص ۱۲۴ ، وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ص ۱۹۸)

۱۸۵ - خطبة أخرى

وخطب فقال :

« إن الدنيا ليست بدار قرار ، دارٌ كتبت الله عليها الفناء ، وكتب على أهلها منها الظن ، فكم عامرٍ مؤثّقٍ عما قليلٍ يخرب ، وكم مُقيمٍ مُغتبطٍ عما قليلٍ يظان ، فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة ، بأحسن ما يحضركم من النقلة : وتزوّدوا فإن خير الزاد التقوى . إنما الدنيا كفىءٌ ظلّالٍ قلص^(۱) فذهب ، بينا ابن آدم فى الدنيا منافس ، وبها قرير عين ،

(۱) النوء : ما كان شمساً فينسخه الظل ، وقلص الظل كضرب : انقبض .

إذ دعاه الله بقدره ورماه بيوم حَتْفِهِ ، فسَلَبَهُ آثَارَهُ وديارَهُ ودنياهُ ، وصيّر لِقَوْمِ آخِرِينَ
مَصَانِعَهُ وَمَغْنَاهُ^(۱) ، إن الدنيا لا تسرّ بقدر ما تُضُرُّ ، إنها تسرّ قليلاً ، وتجرّ حزناً طويلاً .

(سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ۱۹۷ و ص ۲۲۱)

۱۸۶ - خطبة له يوم عيد

وخطب يوم عيد ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم تلا ثلاث آيات من كتاب الله عز وجل
ثم قال :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي وَجَدْتُ هَذَا الْقَلْبَ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ إِلَّا اللِّسَانُ ، وَلَعَمْرِي
- وَإِنْ لِعَمْرِي مَنِي لِحَقًّا^(۲) - لَوَدِدْتُ أَنَّهُ ابْنُ مَنْ مِنَ النَّاسِ عَبْدُ ابْتِغَالِي بِسَعَةٍ ، إِلَّا نَظَرَ
قَطِيعًا مِنْ مَالِهِ ، يَجْعَلُهُ فِي الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ، وَالْيَتَامَى وَالْأَرَامِلِ ، بَدَأْتُ أَنَا بِنَفْسِي
وَأَهْلِي بَيْتِي ، ثُمَّ كَانَ النَّاسُ بَعْدُ » .

ثم كان آخر كلمة تكلم بها حين نزل : « لَوْلَا سُنَّةُ أَحِبِّبَتِهَا ، أَوْ بَدِيعَةُ أُمَّتِهَا ،
لَمْ أَبَالِ أَنْ لَا أَبْقَى فِي الدُّنْيَا إِلَّا فُوقًا^(۳) » . (سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ۲۰۱)

۱۸۷ - خطبة له

وخطب فقال :

« أَمَا بَعْدُ : أَيُّهَا النَّاسُ ، فَلَا يَطْوَأَنَّ عَلَيْكُمْ الْأَمَدُ ، وَلَا يَبْعُدَنَّ عَنْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ،
فَإِنْ مِنْ زَافَتٍ^(۴) بِهِ مَنِيَّتُهُ ، فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ ، لَا يَسْتَفْتَبُ مِنْ سَيِّئٍ ، وَلَا يَزِيدُ فِي حَسَنٍ ،

(۱) المصانع : المباني من القصور والحصون ، والمعنى : المنزل . (۲) العمر بالفتح والضم :

الحياة ، والتزموا المفتوح في القم خاصة تخفيفاً ، لكثرة استعماله فيه . (۳) الفواق كفراب ويفتح :

ما بين الخلبتين من الوقت ، أو ما بين فتح يدك وقبضها على الصرع . (۴) من زافت الحماسة : إذا نشرت

حنانها وذنبها وسحبها على الأرض ، وفي رواية : « واقت » .

الا لاسلامه لامرى في خلاف السنة ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الله ، الا وانكم
تعدون الهارب من ظلم امامه عاصياً ، الا وان اولاهما بالمعصية الإمام الظالم ، الا واني
اعالج امراً لا يعين عليه الا الله ، قد فني عليه الكبير ، وكبر عليه الصغير ، ونصح عليه
الاعجمي ، وهاجر عليه الأعرابي ، حتى حسبوه ديناً ، لا يرون الحق غيره . ثم قال :
« انه لحبيب الى ان اوفر اموالكم واعراضكم الا بحقها ، ولا قوة الا بالله » .

(سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص ۴۰ ، ولابن الجوزي ص ۲۰۴)

۱۸۸ - خطبة أخرى

وصعد ذات يوم المقبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :
« ايها الناس ، انما يراد الطيب للوجع الشديد ، الا فلا وجع أشد من الجهل ،
ولا داء أخص من الذنوب ، ولا خوف أخوف من الموت » . ثم نزل .

(سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ۲۰۷)

۱۸۹ - خطبة أخرى

وصعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :
« أما بعد : فإن هؤلاء القوم قد كانوا أعطونا عطايا^(۱) ، والله ما كان لهم أن
يعطوناها ، وما كان لنا أن نقبلها ، وإن ذلك قد صار إلى ، ليس على فيه
دون الله محاسب ، الا واني قد ردّتها ، وبدأت بنفسي وأهل بيتي » اقرأ يا مزاحم
- وكان مولاه -

وقد جرى قبل ذلك بسقط فيه تلك الكتب ، فقرأ مزاحم كتاباً منها ، ثم ناوله

(۱) يريد آباءه وما ورثوه إياه .

عمر ، وهو قاعد على المنبر وفي يده جَمَّ (۱) ، فجعل يقصه ، واستأنف مزاحم كتاباً آخر فقرأه ، ثم دفعه إلى عمر فقصه ، فما زال حتى نُودي بصلاة الظهر .

(سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ۱۹۸)

۱۹۰ - خطبة له

وكان يخطب فيقول :

« أيها الناس : من ألم بذنوب فليستغفر الله عز وجل وليتب ، فإن عاد فليستغفر وليتب ، فإن عاد فليستغفر وليتب ، فإنما هي خطايا مطوَّقة في أعناق الرجال ، وإن الهلاك كل الهلاك الإصرارُ عليها » .

(سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ۱۹۸)

۱۹۱ - خطبة له

وخطب الناس بعد أن جمعهم فقال :

« إني لم أجمعكم لأمرٍ أحدثته ، ولكنني نظرت في أمر معادكم ، وما أنتم إليه صائرُونَ ، فوجدت المصدِّقَ به أحقُّ (۲) ، والمكذِّبَ به هالكاً » ثم نزل .

(سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الحكم ص ۲۹)

۱۹۲ - خطبة له

وخطب فقال :

« أيها الناس ، لاتستصغروا الذنوب ، واتمسوا تمحيصاً ما سَأَفَ منها بالتوبة منها ، إنَّ الحَسَنَاتِ بُدْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ، ذَلِكَ ذِكْرِي لِذَا كَرِيْنٍ . وقال عز وجل : « وَالَّذِينَ

(۱) مقص . (۲) أي أحق بثواب الله ونعيم جنته .

إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ دَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ
الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَمْ يُعْرِثُوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝

(العقد الفريد ۲ : ۲۷۹)

۱۹۳ - خطبہ له

وخطب فقال :

« إن لكل سفر زاداً لا محالة ، فتزودوا لسفرکم من الدنيا إلى الآخرة ، وكونوا
کن عاين ما أعد الله له من ثوابه وعقابه ، فرغبوا ورهبوا ، ولا يطولنَّ عليكم الأمد ،
فتفسؤ قلوبکم ، وتفقدوا امدوکم ، فإنه والله ما بسط أمل من لا يدري لعله لا يصبح
بعد إمسائه ، ولا يُتمى بعد إصباحه ، وربما كانت بين ذلك خَطَفَاتُ المفايا ، فكم رأينا
ورأيتم من كان بالدنيا مغترّاً ، فأصبح في حبال خطوبها ومناياها أسيراً ، وإنما تقرُّ عين^(۱)
من وثق بالنجاة من عذاب الله ، وإنما يفرح من أمن من أهوال يوم القيامة ، فأما من لا يبرأ
من كَلْمٍ إلا أصابه جارح من ناحية أخرى ، فكيف يفرح ؟ أعوذ بالله أن أمرکم
بما أنهى عنه نفسه ، فتخسرَ صفقتي ، وتظهر عورتی ، وتبدو مشكنتی ، في يوم يبدو
فيه الغني والفقير ، والموازن منصوبه ، والجوارح ناطقة ، فلقد عُذِّبتم بأمر لو عُذِّبَتْ به
النجوم لانكدرت ، ولو عُذِّبَتْ به الجبال لذابت ، أو الأرض لانفطرت ، أما تعلمون
أنه ليس بين الجنة والنار منزلة ، وأنکم صائرُونَ إلى إحداهما ؟ »

(شرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۴۷۰ ، والعقد الفريد ۲ : ۱۴۳ ،

وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ۱۹۶)

(۱) قوت عينه : بردت وانقطع بكاؤها ، أو رأت ما كانت متشوفة إليه .

(۱۴ - جوهرة خطب العرب - ثان)

۱۹۴ - خطبہ له

وروی أنه قال :

« من وصل أخاه بنصيحة له في دينه ، ونظر له في صلاح دنياه ، فقد أحسن صلته ، وأدى واجب حقه ، فاتقوا الله فإنها نصيحة لكم في دينكم ، فاقبلوها ، وموعظة مُنْجِيَّة في العواقب ، فالزموها ، الرزق مقسوم ، فلن يعدو^(۱) المؤمن ما قيس له ، فأقبلوا في الطلب ، فإن في القنوع^(۲) سعةً وُبلغةً ، وكفافةً ، إن أجل الدنيا في أعناقكم ، وجهنم أمامكم ، وما ترون ذاهب ، وما مضى فكان لم يكن وكلُّ أمواتٍ عن قريب ، وقد رأيتم حالات الميت وهو يسوق^(۳) ، وبعد فراغه وقد ذاق الموت ، والقوم حوله يقولون قد فرغ رحمه الله ، وعايتم تعجيل إخراجهم ، وقِسْمَةَ تراثه ، ووجهه مفقود ، وذكره مَسِيءٌ ، وبابه مهجور كأن لم يخالط إخوان الحفاظ^(۴) ، ولم يعمُر الديار ، فاتقوا هول يوم لا يُحقر فيه مثقال ذرة في الموازين . »

(تاريخ الطبري ۸ : ۱۴۰ ، وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ۲۰۵)

۱۹۵ - خطبہ له

وقال : « من عمل على غير علم كان ما يُفسد أكثر مما يُصلح ، ومن لم يمدَّ كلامه من عمله كثرت ذنوبه ، والرضا قليل ، ومُؤمَل المؤمن الصبر ، وما أنعم الله على عبد نعمة ثم انتزعهما منه ، فأعاضه مما انتزع منه الصبر ، إلا كان ما أعاضه خيراً مما انتزع منه ، ثم قرأ هذه الآية : « إِنَّمَا يُؤْتِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ » . »

(تاريخ الطبري ۸ : ۱۴۱ ، وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ۲۱۳)

(۱) وفي رواية : « فلن يعدر » ، أغدره وغادره : تركه . (۲) القنوع : الرضا بالقسم .

(وهو أيضا السؤال والتذلل) . (۳) ساق المريض : شرع في نزاع الروح .

(۴) أى المحافظة على وده .

۱۹۶ - خطبة له

وحدث شبيب بن شيبه ، عن أبي عبد الملك قال : كنت من حرس الخلفاء قبل عمر ، فكنا نقوم لهم ، ونبدوهم بالسلام ، فخرج علينا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في يوم عيد ، وعليه قميص كتان ، وعمامة على قانسوة لاطئة^(۱) ، فمثلنا بين يديه ، وسلمنا عليه ، فقال : مه أنتم جماعة وأنا واحد ، السلام على ، والرد عليكم ، وسلم فرددنا ، وقربت له دابته فأعرض عنها ، ومشى ومشينا ، حتى صعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

« وددت أن أغنياء الناس اجتمعوا ، فردوا على فقراهم ، حتى نستوى نحن بهم ، وأكون أنا أولهم » ، ثم قال : « مالي وللدنيا ؟ أم مالي ولها ؟ وتكلم فأرق : حتى بكى الناس جميعاً ، يميناً وشمالاً » ، ثم قطع كلامه ونزل ، فدنا منه رجاء بن حيوة ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، كلمت الناس بما أرق قلوبهم وأبكاهم ، ثم قطعت أحوج ما كانوا إليه ، فقال : يا رجاء إني أكره المباهاة .
(المقدر الفريد ۲ : ۱۴۳)

۱۹۷ - آخر خطبة له

وخطب بخصاصة^(۲) خطبة لم يخطب بعدها حتى مات ارحمه الله تعالى ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : إنكم لم تُخلَقوا عَبَثًا ، ولم تُتركوا سُدَى ، وإن لكم معاداً يحكم الله فيه بينكم ، فغاب وخير من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء ، وحُرِّم الجنة التي عرضها السموات والأرض ، واعلموا أن الأمان غداً لمن خاف ربه ، وباع قليلاً بكثير

(۱) لاطئة : لازقة . (۲) خصاصة : بلد بالشام من عمل حلب .

وفانياً بياق ، ألا ترؤن أنکم فی أسلاب^(۱) الهالکین ، وسيخلفها من بعدکم الباقون ، كذلك حتی تُردُّوا إلى خیر الوارثین ، ثم أنتم فی کل یوم تشیعون غادياً ورائحاً إلى الله ، قد قضی نَحْبُهُ^(۲) وبلغ أجله ، ثم تغیبونه فی صدع^(۳) من الأرض ، ثم تدعونه غیر مؤسد ولا مُمهد ، قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وواجه الحساب ، مرتبها بعمله ، غنيا عما ترک ، فقيراً إلى ما قدّم ، وإیمُ الله إني لأقول لکم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منکم من الذنوب أكثر مما عندی ، فأستغفر الله لی ولکم ، وما تبلغنا عن أحد منکم حاجة يتسع لها ما عندنا إلا سدّذناها ، ولا أحد منکم إلا وددت أن یده مع یدی ، ولحُتِي^(۴) الدين لآلوني ، حتی يستوی عیشنا وعیشکم ، وإیم الله إني لو أردت غیر هذا من عیش أو غصارة^(۵) لکان اللسان منی ناطقاً ذلولاً ، عالماً بأسبابه ، لکنه مضى من الله کتاب ناطق وسنة عادلة ، دل فيها علی طاعته ، ونهى فيها عن معصيته ، ثم بکی ، فقلتی دموع عینیه بطرف ردائه ، ثم نزل ، فلم یرَ علی تلك الأعواد حتی قبضه الله .

(البيان والتبيين ۲ : ۶۰ ، والقد الفرید ۲ : ۱۴۴ ، وتاریخ الطبری ۸ : ۱۴۰ ، وشرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۷۰ ؛ والأغانی ۸ : ۱۵۲ ، وعیون الأخبار م ۲ : ص ۲۴۶ ، وسیرة عمر بن عبد العزیز لابن الجوزی ص ۲۲۲ ، ولابن عبد الحكم ص ۴۱ و ۱۳۶)

۱۹۸ - خطبة أخرى

وروی أن آخر خطبة خطبها رحمه الله : حمد الله ، وأثنى علیه ، ثم قال :
« أيها الناس . أَلْحَقُوا ببلادکم ، فإني أنسا کم عندی ، وأذکرکم ببلادکم ، ألا وإني قد استعملت علیکم رجالا ، لا أقول لهم خيارُ کم ، ولکنهم خیر ممن هم شرٌّ منهم ، ألا فمن ظلمه عامِلُهُ بِمَظَالِمِهِ فلا إذن له علی^(۶) ، ألا وإني منعتُ نفسي وأهل بيتی هذا

(۱) جمع سلب بالتحريك : وهو مايلب . (۲) لنحب : الأجل ، والحاجة ، والنذر .
(۳) شق . (۴) اللحمة : القرابة . (۵) الغصارة : النعمة ، والسعة ، والحصب .
(۶) أي یدخل علی بلا إذن ، لا یحول بينی وبينه حاجب .

المال ، فإن ضمنت به عليكم إني إذن لضمنين ، والله لولا أن أنمّش^(۱) سُنّة ، أو أسير بحق ، ما أحببت أن أعيش فوقاً .

(سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ۲۱۰ ، ولابن عبد الحكم ص ۳۹)

۱۹۹ - كلامه في مرصه الذي مات فيه

ودخل عليه مسألة بن عبد الملك في المرصّة التي مات فيها ، فقال له : يا أمير المؤمنين « إنك قطعت أفواه ولدك عن هذا المال ، وتركتهم عائلة^(۲) ، ولا بد من شيء يصلحهم ، فلو أوصيت بهم إلى أو إلى نظرائك من أهل بيتك ، لكفيتك مئوتهم إن شاء الله » فقال عمر : أجلسوني . فأجلسوه ، فقال :

« الحمد لله ، أبالله نخوفني يا مسألة ! أما ما ذكرت من أي قطعت أفواه ولدي عن هذا المال ، وتركتهم عائلة ، فإني لم أمنهم حقاً هو لهم ، ولم أعطهم حقاً هو لغيرهم ؛ وأما ما سألت من الوصاية إليك ، أو إلى نظرائك من أهل بيتي ، فإن وصيتي بهم إلى الله الذي نزل الكتاب ، وهو يتولى الصالحين ، وإنما بنو عمر أحد رجائين : رجل اتقى الله ، فجعل الله له من أمره يسراً ، ورزقه من حيث لا يحتسب . ورجل غير وفجر ، فلا يكون عمر أول من أعانه على ارتكابه ، ادعوا لي بني ، فدعوم ، وهم يومئذ اثنا عشر غلاماً ، فجعل يصعد بصره فيهم ويصوبه ، حتى اغرورقت عيناه بالدمع ، ثم قال : « بنفسى فتية تركتهم ولا مال لهم ! يا بني : إني قد تركتكم من الله بخير ، إنكم لا تمرون على مسلم ولا معاهد إلا ولكم عليه حق واجب إن شاء الله ، يا بني مهلت^(۳) رأي بين أن تفتقروا في الدنيا ، وبين أن يدخل أبوك النار ، فكان

(۱) نمّش كنع وأنمّش : رفعه . (۲) فقراء جمع هائل من عال يعيل عيلة (بفتح العين) أي افتقر .

(۳) التميل بين الشينين كالترجيح بينهما ، تقول العرب : إني لأميل بين ذينك الأمرين ، وأمايل بينهما

أهما آف .

أن تفتقروا إلى آخر الأبد خيراً من دخول أبيكم يوماً واحداً في النار ، قوموا يا بنيَّ
عَصَمَكُمُ اللهُ ورزقكم . قالوا : فما احتاج أحد من أولاد عمر ولا افتقر .

(العقد الفريد ۲ : ۲۸۰ ، سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ۲۸۰)

۲۰۰ - مناظرة عمر بن عبد العزيز للخوارج

خرج سنة مائة بالجزيرة شوذب الخارجي - واسمه بسطام من بني يشكر -
فكتب إليه عمر بن عبد العزيز : بلغني أنك خرجت غضباً لله ولرسوله ، ولست أولى بذلك
منى فهلم إلى أناظرك ، فإن كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس ، وإن كان
في يدك ، نظرنا في أمرك ، فكتب بسطام إلى عمر : قد أنصفت ، وقد بعثت إليك
رجلين يدارسانك ويناظرانك ، وأرسل إلى عمر مولى لبني شيبان حبشياً اسمه عاصم ،
ورجلاً من بني يشكر ، فقدموا على عمر بمخاضرة ، فأخبر بمكانهما ، فقال : فتشوها
لا يكن معهما حديد وأدخلوها ، فلما دخلا قالا : السلام عليك ثم جلسا ، فقال لهما عمر :
أخبراني ما الذي أخرجكم من جركم هذا ؟ وما نعتهم علينا ؟ فقال عاصم : ما نعتنا سيرتك ،
إنك انتحرتي العدل والإحسان ، فأخبرنا عن قيامك بهذا الأمر ، أعن رضا من الناس
ومشورة ، أم ابتزتم أمرهم ؟ فقال عمر : ما سألتهم الولاية عليهم ، ولا غلبتهم عليها ،
وعهد إلى رجل كان قبلي ، فممت ولم ينسكروه على أحد ، ولم يكرهه غيركم ، وأنتم ترون
الرضا بكل من عدل وأنصف ، من كان من الناس ، فأتركوني ذلك الرجل ، فإن خالفت
الحق ورغبت عنه فلا طاعة لي عليكم ، فقالا : بيننا وبينك أمر ، إن أنت أعطيتنا
فنحن منك وأنت منا ، وإن منعتنا فليست منا ولسنا منك ، فقال عمر : وما هو ؟
قالا : رأيناك خالفت أعمال أهل بيتك ، وصميتها مظالم ، وسلكت غير سبيلهم ، فإن
زعمت أنك على هدى وهم على ضلال ، فآلئهم وتبرأ منهم ، فهذا الذي يجمع بيننا وبينك
أو يفرق ، فتكلم عمر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« إني قد علمت أنكم لم تخرجوا تخرجكم هذا لطلب دنيا ومتاعها ، واسكنكم
 أردتم الآخرة ، فأخطأتم سبيلها ، إن الله عز وجل لم يبعث رسوله صلى الله عليه وسلم لعانا
 وقال إبراهيم : « فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » وقال الله
 عز وجل : « أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ » : وقد سميت أعمالهم ظلماً ،
 وكفى بذلك ذماً ونقصاً ، وليس لعن أهل الذنوب فريضة لا بد منها ، فإن قلم إنها فريضة
 فأخبرني متى لعنت فرعون ؟ قال : ما أذكر متى لعنته . قال : أفيسعك أن لا تلعن
 فرعون وهو أخبث الخلق وشراً ، ولا يسعني أن لا ألعن أهل بيتي وهم مصلون صائمون ؟
 قال : أما هم كفار بظلمهم ؟ قال : لا ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس إلى
 الإيمان ، فكان من أقر به وبشرائعه قبل منه ، فإن أحدث حدثاً أقیم عليه الحد ،
 فقال الخارجي : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس إلى توحيد الله والإقرار
 بما نزل من عنده . قال عمر : فليس أحد منهم يقول لا أعمل بسنة رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ، ولكن القوم أسرفوا على أنفسهم ، على علم منهم أنه محرم عليهم ، ولكن
 غلب عليهم الشقاء . قال عاصم : فأبرأ ممن خالف عملك ، ورد أحكامهم ، قال عمر :
 أخبرني عن أبي بكر وعمر : أليسا من أسلافكما ومن تقوايان ، وتشهدان لها بالنجاة ؟
 قال : اللهم نعم . قال : فهل علمتا أن أبا بكر حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فارتدت العرب ، قاتلهم فسفك الدماء ، وأخذ الأموال ، وسب الدراري ؟ قال : نعم .
 قال : فهل علمت أن عمر قام بعد أبي بكر ، فرد تلك السبايا إلى عشائرها بفدية ؟ قال : نعم ،
 قال : فهل برى عمر من أبي بكر ، أو تبرءون أنتم من أحد منهما ؟ قال : لا . قال :
 فأخبرني من أهل النهروان ألبسوا من صالح أسلافكم ومن تشهدون لهم بالنجاة ؟
 قال : بلى . قال : فهل تعلمون أن أهل الكوفة حين خرجوا كفوا أيديهم فلم يفسكوا
 دماً ، ولم يُخيفوا آمناً ، ولم يأخذوا مالا ؟ قال : نعم . قال : فهل علمت أن أهل البصرة
 حين خرجوا مع مسعر بن قديك ، استعرضوا الناس يقتلونهم ، ولقوا عبد الله بن خباب

ابن الأرت : صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقتلوه وقتلوا جاريته ؟ ثم صبّحوا
حيّاً من أحياء العرب فاستعرضوهم ، فقتلوا الرجال والنساء والأطفال حتى جعلوا يلقون
الصبيان في قدور الأقط^(۱) وهي تفور ؟ قالوا : قد كان ذلك . قال : فهل يرى
أهل البصرة من أهل الكوفة ، وأهل الكوفة من أهل البصرة ؟ قالوا : لا . قال : فهل
تبرهون أنتم من إحدى الطائفتين ؟ قالوا : لا . قال : أرايتم الدين واحداً أم اثنين ؟ قالوا
بل واحداً . قال : فهل يسمّى فيه شيء يمجّز عنى ؟ قال : لا . قال : فكيف يسمّى أن
توايتم أبا بكر وعمر ، وتولى أحدهما صاحبه ، وتوايتم أهل البصرة وأهل الكوفة ، وتولى
بعضهم بعضاً ، وقد اختلفوا في أعظم الأشياء ، في الدماء والفروج والأموال ، ولا يسعى
فيما زعمتم إلا أمن أهل بيتي والتبرؤ منهم ؟ وَيَحْكُمُ إِنْكُمْ قَوْمٌ جَهَالٌ ، أردتم أمراً
فأخطأتموه ، فأنتم ترُدُّون على الناس ما قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويأمن
عندكم من خاف عنده ، ويخاف عندكم من أمن عنده . قالوا : ما نحن كذلك . قال عمر :
بل سوف تُقِرُّون بذلك الآن . هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى
الناس وهم عبدة أوثان ، فدعاهم إلى خلع الأوثان ، وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً
رسول الله ، فمن فعل ذلك حقن دمه ، وأحرز ماله ، ووجبت حرمة ، وكانت له أسوة
المسلمين ؟ قالوا : نعم . قال : أفلمستم أنتم تلتقون من يخلع الأوثان ، ويشهد أن لا إله
إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فتستحلون دمه وماله ، وتلقون من ترك ذلك وأباه من
اليهود والنصارى وسائر الأديان فيأمن عندكم وتحرّمون دمه ؟ فقال الإشكري : أرايت
رجلاً وليّ قوماً وأمواهم فمدل فيها ، ثم صيرها بدمه إلى رجل غير مأمون ، أترأه أدى
الحق الذي يلزمه الله عزّ وجلّ ؟ أوترأه قد سلم ؟ قال عمر : لا . قال : أفلمستم هذا الأمر
إلى يزيد^(۲) من بعدك وأنت تعرف أنه لا يقوم فيه بالحق ؟ قال : إنما ولاء غيري ،

(۱) الأقط بفتح الهمزة وكسرهما : شيء يتخذ من المخيض الغنمي .

(۲) هو يزيد بن عبد الملك ، وقد ولي الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز (سنة ۱۰۱ - سنة ۱۰۵ هـ) .

والمسلمون أولى بما يكون منهم فيه بعدى . قال : أفترى ذلك من صُفَعِ مَنْ وِلاَهُ حَقًّا ؟
فبكى عمر وقال : أَنْظِرْ أُنِي (۱) ثَلَاثًا فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ ثُمَّ عَادَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ عَاصِمٌ : أَشْهَدُ
أَنْكَ عَلَى حَقٍّ ، فَقَالَ عُمَرُ لِلشُّكْرِيِّ : مَا تَقُولُ أَنْتَ ؟ قَالَ : مَا أَحْسَنَ مَا وَصَفْتَ ،
وَلَكِنْ لَا أَفْتَاتُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِأَمْرٍ ، أَعْرِضُ عَلَيْهِمْ مَا قَلْتُ وَأَعْلَمُ حُجَّتَهُمْ . فَأَمَّا عَاصِمٌ
فَأَقَامَ عِنْدَ عُمَرَ ، فَأَمَرَ لَهُ عُمَرُ بِالْعَطَاءِ ، فَتَوَفَّى بَعْدَ خَمْسَةِ عَشَرَ يَوْمًا ، فَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ :
أَهْلَكُنِي أَمْرُ يَزِيدَ وَخُصِمْتُ فِيهِ ، فَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، فَخَافَ بَنُو أُمَيَّةَ أَنْ يُخْرِجُوا مَا بِيَدِهِمْ
مِنَ الْأَمْوَالِ ، وَأَنْ يَخْلَعُوا يَزِيدَ مِنْ وِلايَةِ الْعَهْدِ ، فَوَضَعُوا عَلَى عُمَرَ مِنْ سِقَاهِ سَمًّا ، فَلَمْ يَلْبِثْ
بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا ثَلَاثًا ، حَتَّى مَرَضَ وَمَاتَ ۞ .

(الكامل لابن الأثير ۵ : ۱۷ ، ومروج الذهب ۲ : ۱۷۱ ، والمعقد الفريد ۱ : ۲۱۶ ، وتاريخ
الطبري ۸ : ۱۳۱ ، سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص ۱۳۰ ، ولابن الخوزي ۷۷)

۲۰۱ - تَأْيِينُهُ ابْنَهُ عَبْدَ الْمَلِكِ

ولما دفن عمر بن عبد العزيز ابنه عبد الملك ، وسوى عليه قبره بالأرض ، وجعلوا
على قبره خشبتين من زيتون ، إحداهما عند رأسه ، والأخرى عند رجليه ، استوى عمر
قائمًا ، وأحاط به الناس ، فقال .

« رَحِمَكَ اللَّهُ يَا بُنَيَّ ، فَقَدْ كُنْتُ بَرًّا بِأَبِيكَ ، وَاللَّهِ مَا زِلْتُ مَذْهُوبًا بِكَ اللَّهُ لِي بِكَ
مَسْرورًا ، وَلَا وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَشَدَّ سُرورًا بِكَ ، وَلَا أَرْجَى لِحَظِّي مِنَ اللَّهِ فِيكَ ،
مَنْذُ وَضَعْتِكَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي صَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَيْهِ ، فَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ ذَنْبَكَ ، وَجَازَاكَ بِأَحْسَنِ
عَمَلِكَ ، وَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِكَ ، وَرَحِمَ اللَّهُ كُلَّ شَافِعٍ بِشَفَعِكَ بِخَيْرٍ ، مِنْ شَاهِدٍ أَوْ غَائِبٍ ،
رَضِينَا بِقَضَاءِ اللَّهِ ، وَسَلَّمْنَا لِأَمْرِهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ .

(البيان والتبيين ۲ : ۱۸۲ ، وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ۲۶۴)

(۱) أهلاً .

۲۰۲ - خطبة يزيد بن الوليد حين قتل الوليد بن يزيد^(۱)

حمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : والله ما خرجت أثراً ولا بَطْراً ، ولا حرصاً على الدنيا ، ولا رغبة في الملك ، وما لي إطراء نفسي ، وإني لظالم لها إن لم يرحمني الله ، ولكن خرجت غضبا لله ودينه ، داعياً إلى الله ، وإلى سنة نبيه ، لما هُديت معاً لمُهدى ، وأطفي نور أهل التقوى ، وظهر الجَبَّار العنيد^(۲) ، المستجِلُّ لكل حرمة ، والراكب لكل بدعة ، الكافر بيوم الحساب ، وإنه لابن عمي في النسب ، وكفبي^(۳) في الحسب ، فلما رأيت ذلك استخرت الله في أمره ، وسألته ألا يكرهني إلى نفسي ، ودعوت إلى ذلك من أجنبي من أهل ولايتي ، حتى أراح الله منه العباد ، وطهر منه البلاد ، بحوله وقوته ، لا بحولي وقوتي .

أيها الناس : إن لكم على ألا أضع حجراً على حجر ، ولا لبينة على لبنة ، ولا أكرى^(۴) نهراً ، ولا أكنز مالا ، ولا أعطيهِ زوجاً ، ولا ولداً ، ولا أنقله من بلد إلى

(۱) قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ۱۲۶ هـ ، وكان قبل الخلافة منهمكاً في اللهو ، وشرب الخمر ، وانتهاك حرمت الله ، فلما أفضت إليه الخلافة ، لم يزد إلا انغماساً في اللذات ، واستهتاراً بالمعاصي ، ذلك إلى ما ارتكبه من إغصاب أكابر أهله ، والإساءة إليهم ، وتغفيرهم ، فاجتمعوا عليه مع أعيان رعيته ، وهجموا عليه وقتلوه ، وكان المتولى لذلك يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، وقد ولي الخلافة بعده ، وتولى هلال ذي الحجة سنة ۱۲۶ . (۲) يشير إلى ما حدث من الوليد بن يزيد من أنه استفتح قالاً في المصحف فخرج « وَأَسْتَفْتِحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ » ، فنصبه غرضاً للشباب وأقبل يرميه حتى مزقه ، وهو يقول :

أنوعد كل جبار عنيد فهأنذاك جبار عنيد

إذا لا قيت ربك يوم حشر فقل يارب مزقني الوليد

(۳) كفيه وكفزه بضم الكاف وكفاؤه بكسرهما : مثله . (۴) كرى النهر : استحدث حفره .

بلد ، حتى أسدّ فقر ذلك البلد وخصاصة^(۱) أهله ، فإن فضلَ فضلٌ ، نقلته إلى البلد الذي يليه ، ولا أُجرّم^(۲) في بعوثكم ، فأهتبنكم وأهتبن أهليكم ، ولا أغلق بابي دونكم ، فإيا كل فوئبكم ضعيفكم ، ولا أحمل على أهل جزيتكم ما اجلبهم به عن بلادهم ، وأقطع به نسلهم ، ولسم على إذرارُ العطاء في كل سنة ، والرزق في كل شهر ، حتى يستوى بكم الحال ، فيكون أفضلكم كأدناكم ، فإن أنا وفيت لسم ، فعليكم السمع والطاعة ، وحسن المؤازرة والمكافئة^(۳) ، وإن لم أف لسم ، فعليكم أن تخاموني إلا أن تستديبوني ، فإن أنا تبت قبلكم مني ، وإن عرفتم أحداً يقوم مقامى ، ممن يُعرف بالصلاح ، يُعطيكُم من نفسه مثل الذى أعطيتكم ، فأردتم أن تبايعوه ، فأنا أول من بايعه ، ودخل في طاعته .

أبها الناس : إنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، ولا وفاء له بنقض عهد ، إنما الطاعة طاعة الله فأطيعوه بطاعة الله ما أطاع ، فإذا عصى الله ودعا إلى المعصية فهو أهل أن يعصى ويقتل ، أقول قولى هذا ، وأستغفر الله العظيم لى ولسم .

(عيون الأخبار م ۲ : ص ۲۴۸ ، والعقد الفريد ۲ : ۱۴۴ - ۲۹۱ ، البيان والتبيين ۲ : ۶۹ ،
الفخرى ص ۱۲۰ وتاريخ الطبرى ۹ : ۲۶)

۲۰۳ وصية يزيد بن معاوية لسلم بن زياد حين ولاه

لما ولى يزيد بن معاوية سلم بن زياد بن أبيه على خراسان قال له :
« إن أباك كنى أخاه (يعنى معاوية) عظيماً ، وقد استكفيتك صغيراً ، فلا تتكلمن على عذر منى لك ، فقد اتكلت على كفاية منك ، وإياك منى قبل أن أقول إياى منك ، فإن الظن إذا أخلف منك أخلف منى فيك ، وأنت فى أدنى حظك فاطلب أقصاه ، وقد أتعبك أبوك ، فلا تُريحن نفسك ، وكن لنفسك تكن لك ، واذكر فى يومك أحاديث غدك تسعد إن شاء الله تعالى . »
(البيان والتبيين ۲ : ۷۶)

(۱) الفقر والحاجة . (۲) جمر الجيش : حبسهم فى أرض العدو ولم يقفاهم . (۳) المعاونة .

خطب عتبة بن أبي سفيان^(١) (توفي سنة ٤٤ هـ)

٢٠٤ - خطبة له في تهدد أهل مصر

بلغ عتبة بن أبي سفيان عن أهل مصر شيء فأغضبه ، فقام فيهم ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« يا أهل مصر ، إياكم أن تكونوا لل سيف حصيداً^(٢) ، فإن الله فيكم ديبحاً لعلمان ، أرجو أن يولياني نُسكته ، إن الله جمعكم بأمر المؤمنين بعد الفرقة ، فأعطى كل ذي حق حقه ، وكان والله أذكركم إذا ذكر بخطئة ، وأصفتحكم بعد المقدرة عن حقه ، نعمة من الله فيكم ، ونعمة^(٣) منه عليكم ، وقد بلغنا عنكم نَجْم^(٤) قول ، أظهره تقدم عفو منا ، فلا تصيروا إلى وحشة الباطل بعد أنس الحق ، بإحياء الفتنة وإماتة السنن ، فأطأكم الله وطأة ، لا رَمَق^(٥) معها ، حتى تُنكروا مني ما كنتم تعرفون ، وتستخشفوا ما كنتم تستلينون ، وأنا أشهد عليكم الذي يعلمُ خائنة الأعين^(٦) ، وما تخفي الصدور . »
(المقد الفريد ٢ : ١٥٨)

(١) ولاة أخوه معاوية مصر بعد وفاة عمرو بن العاص (وقد مات عمرو في شوال سنة ٤٣) وأقام عتبة والياً على مصر سنة واحدة وشهراً واحداً ، وتوفي في ذي الحجة سنة ٤٤ (هكذا في كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة) وفي أسد الغابة في معرفة الصحابة : « أنه توفي سنة ٤٤ وقيل سنة ٤٣ » ، ولكني قرأت في تاريخ الطبري أن عتبة حج بالناس سنة ٤٦ ، وقال أيضاً في حوادث سنة ٤٧ « واختلفوا فيمن حج بالناس في هذه السنة ، فقال الواقدي : أقام الحج في هذه السنة عتبة بن أبي سفيان . وقال غيره : بل الذي حج في هذه السنة عتبة بن أبي سفيان . » (٢) أصله الزرع المحصود . (٣) هكذا في الأصل وقد يكون « ومنه » . (٤) من نجم النوى : إذا ظهر وطاع . (٥) الرمق : بقية الحياة . (٦) بمسارقتها النظر إلى المحرم .

۲۰۵ - خطبة له في تقرير عهدهم وتهديدهم

وخطب أيضاً وقد بلغه عن أهل مصر أمور فقال :

« يا حاملِ الأمرِ أنوفِ رُكبت بين أعين ، إنما قَلمت أظفاري عنكم ، لِإِيلينَ مَسى إياكم ، وسألتكم صلاحكم لكم ، إذ كان فسادُكم راجعاً عليكم ، فأما إذا أُبئتم إلا الطعن على الأُمراء ، والعتب على السلف والخلفاء ، فوالله لأقطعن بطون السَّياط على ظهوركم ، فإن حَسَمت مُسْتَشْرِي^(۱) دائسكم ، وإلا فالسيفُ من ورائكم ، فكم من عظة لنا قد صَمَّت عنها آذانكم ، وزجرَةٌ منا قد مَجَّتْها قلوبكم ، ولست أبخل عليكم بالعقوبة إذا جدتم علينا بالمعصية ، ولا مؤابساً لكم من المراجعة إلى الحسنی ، إن صرتم إلى التي هي أبر وأتقى » . (صبح الأضنى ۱ : ۲۱۶ ؛ والعقد للفريد ۲ : ۱۵۹ ، والأمال ۱ : ۲۴۵)

۲۰۶ - خطبة له فيهم وقد أرجفوا بموت معاوية

واحتبست كتب معاوية حتى أرجف أهل مصر بموته ، ثم ورد كتابه بسلامته ، فصعد عتبة المنبر ، والكتاب في يده فقال :

« يا أهل مصر : قد طالت معانقتنا إياكم بأطراف الرماح وظببات السيوف ، حتى صرنا شجى في لهوانكم ، ما نسيقنا^(۲) حلوكم ، وأفداء في أعينكم ، ما تطرف^(۳) عليها جفونكم ، ألحين أشدت عرى الحق عليكم عقداً ، واسترخت عقَد الباطل منكم حلاً ، أرجفتم بالخليفة ، وأردتم توهين^(۴) السلطان ، وخضتم الحق إلى الباطل ، وأقدم عهدكم به

(۱) استشرى الداء : عظم وتفاقم . (۲) هو ما اعترض في الخلق من عظم أو نحوه ، واللاهوات جمع لهأة : وهي اللحم المشرقة على الخلق ، وأساغ : ابتلع . (۳) جمع قذى : وهو ما يقع في العين والشراب ، وطرف بصره : أطبق أحد جفنيه على الآخر ، وطرف بعينه : حرك جفنيها . (۴) إضعاف .

حدیث؟ فَاَرْبَحُوا اَنْفُسَكُمْ اِذْ خَسِرْتُمْ دِيْنَكُمْ ، فهذا كتاب أمير المؤمنين بالخبر السار عنه ،
والعهد القريب منه ، واعلموا أن سلطاننا على أبدانكم دون قلوبكم ، فأصلحوا لنا ما ظهر ،
نكلكم إلى الله فيما بطن ، وأظهروا خيراً ، وإن أسررتكم شراً ، فإنكم حاصدون ما أنتم
زارعون ، وعلى الله نتوكل وبه نستعين .

(ميون الأخبار م ۲ : ص ۲۳۹ ، والعقد الفريد ۲ : ۱۵۹)

۲۰۷ - خطبته فيهم وقد منعوا الخراج

وخطبهم وكانوا قد منعوا الخراج فقال :

« يا أهل مصر ، قد كنتم تعتذرون لبعض المنع منكم ، ببعض الجور عليكم ، فقد
وَأَيَّتَكُمْ مِنْ يَقُولُ وَيَفْعَلُ ، وَيَفْعَلُ وَيَقُولُ ، فإن رددتم ترادكم^(۱) بيده ، وإن استصعبتم
ترادكم بسيفه ، ثم رجا في الآخرة ما أمّل في الأولى ، إن البيعة متتابعة ، فلنا عليكم السمع
والطاعة ، ولكم علينا العدل ، فأئنا نغدر فلا ذمة له عند صاحبه ، والله ما انطلقت بها
السنتنا حتى عُقدت عليها قلوبنا ، ولا طلبناها منكم حتى بذلناها لكم فاجزاً بناجز^(۲) ،
ومن حذر كمن بشر ، فتادوه سمعاً وطاعة ، فناداهم عدلاً عدلاً . (العقد الفريد ۲ : ۱۵۹)

۲۰۸ - خطبته فيهم إذ طعنوا على الولاية

وقدم كتاب معاوية إلى عتبة بمصر أن قبلك قوماً يطعنون على الولاية ويعيبون
السلف ، فخطبهم فقال :

« يا أهل مصر : خفّ على ألسنتكم مدحُ الحق ولا تفعلونه ، وذم الباطل وأنتم

(۱) يقال : ترادا البيع : من الرد والفسخ ، ومراده : ردكم . (۲) الناجز والنجيز : الحاضر ،
ومن أمثاله : ناجزا بناجز ، أي حاضرًا بحاضر ، كقولك يدا بيد ، وعاجلا بعاجل ، وقالوا أيمكة
الساعة ناجزا بناجز : أي معجلا .

تأتونه ، كالحجار يحمل أسفارا ، أثقله حمایا ، ولم ينفعه علمها ، وإيمُ الله لا أداوى أدواءكم بالسيف ما صلحتم على السوط ، ولا أبلغ السوط ما كفتني الدرّة ، ولا أبطى عن الأروى ما لم تسرعوا إلى الأخرى ، فالزموا ما أمركم الله به تستوجبوا ما فرض الله لكم عايضا ، وإياكم وقال ويقول ، قبل أن يقال فعل ويفعل ، وكونوا خير قوس مهتماً بهذا اليوم الذي ما قبله عقاب ، ولا بعده عتاب

(المقد الفريد ۲ : ۱۶۰ ، وعيون الأخبار م ۲ : ص ۲۳۹ ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة ۳ : ۳۶۱)

۲۰۹ - خطبته بمكة

وحج عتبة سنة إحدى وأربعين ، والناس قريبٌ عهدم بالفتنة ، فصلى بمكة الجمعة ، ثم قال :

« أيها الناس ، إنا قد ولينا هذا المقام الذي يضاعف فيه للمحسن الأجر ، وعلى المسيء فيه الوزر ، ونحن على طريق ما قصدنا له ، فلا تمدوا الأعناق إلى غيرنا ، فإنها تنقطع من دوننا ، ورب متمن حقه في أميته ، فاقبلونا ما قبلنا العافية فيكم ، وقبلناها منكم ، وإياكم ولوآ ، فإن لوآ قد أتت من كان قبلكم ، ولن تريح من بعدكم ، وأنا أسأل الله أن يعين كلاً على كل » .

فصاح به أعرابي : أيها الخليفة ، فقال : لستُ به ولم تُبعيد ، فقال : يا أخاه ، فقال : سمعتُ فقل ، فقال : « تالله لأن تُحسِنوا وقد أسأنا خير من أن نسيئوا وقد أحسننا ، فإن كان الإحسان لكم دوننا ، فما أحقكم باستمامه ، وإن كان منا فما أولاكم بمكافأتنا ، رجل من بني عاصم بن صعصعة يلقاكم بالعمومة ، ويقرب إليكم بالخشولة ، وقد كثر عياله^(۱) ، ووطئه زمانه ، وبه فقر ، وفيه أجر ، وعنده شكر » فقال عتبة : « أستغفر الله

(۱) العيال جمع عيل كعبيد : وهو من يلزم الإنفاق عليه .

منكم ، وأستعينه عليكم ، وقد أمرنا لك بغناك ، فإيت إمرأنا إليك يقوم بإطائنا عنك .

(الأماى ۱ : ۲۴۰ ، والمعقد الفريد ۲ : ۱۵۹ - ۸۱ . والبيان والتبيين ۳ : ۲۳۰)

۲۱۰ - خطبته فى علمته التى مات فيها

ولما اشكى شكاته التى مات فيها تحامل إلى المنبر فقال :

« يا أهل مصر لا غى عن الرب ، ولا مهزب من ذنب ، إنه قد تقدمت منى إليكم عقوبات كنت أرجو يومئذ الأجر فيها ، وأنا أخاف اليوم الوزر منها ، فإيتنى لا أكون اخترت دنياى على معادى ، فأصلحتكم بفسادى ، وأنا أستغفر الله منكم ، وأنوب إليه فيكم ، فقد خفت ما كنت أرجو نفعاً عليه ، ورجوت ما كنت أخاف اغتيالاً به ، وقد شقنى من هلك بين رحمة الله وعفوه ، والسلام عليكم سلام من لا ترؤنه عائداً إليكم » ، فلم يعد .

(المعقد الفريد ۲ : ۱۵۹)

۲۱۱ وصيته لمؤدب ولده

وقال لعبد الصمد مؤدب ولده :

« ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بنى إصلاح نفسك ، فإن أعينهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما استحسن ، والقبيح عندهم ما استقبح ، وعلمهم كتاب الله ، ولا تسكرهم عليه فيملوه ، ولا تتركهم منه فيهجروه ، ثم روهم من الشعر أعف ، ومن الحديث أشرف ، ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يحكموه ، فإن ازدحام الكلام فى السمع مضلة للفهم ، ونهدد بهم بى ، وأدبهم دونى ، وكن لهم كالطبيب الذى لا يعجل بالدواء قبل معرفة الداء ، وجنبهم محادثة النساء ، وروهم سير الحكاء ، واستزدنى

جزیادتک ایام اُزدک ، وایاک آن تکل طی عذر منی لک ، فقد اتکلت طی کفایة
حنک ، وزد فی تأدیبهم اُزدک فی بری ان شاء الله تعالی .

(البیان والتبیین ۲ : ۳۵ ، والنجوم الزاهرة فی ملوک مصر والقاهرة ۱ : ۱۳۹)

۲۱۲ - وصیة سعید بن العاص^(۱) لبنیه

لما وُلِدَ لسعید بن العاص ابنه عمرو وترعرع^(۲) ، تفرّس فیہ النجابة ، کان یفضله
علی ولده ، فجمع بنیه ، وكانوا یومئذ أكثر من خمسة عشر رجلاً ، ولم یدع عمراً
معهم ، وقال :

« یا بنی ، قد عرفتم خبرة الوالد بولده ، وإن أخاصکم عمراً ، لذو همة واعدة^(۳) ،
یسمجده ، ویبعد صیته^(۴) ، وتشقد شکیمته^(۵) ، وإنی آمرکم إن نزل بی من الموت
ملا تحییس عنه ، أن تظاهروه وتوازره وتعزروه . فإنکم إن فعاتم ذلك یتألف بکم
الکرام ، ویخسأ^(۶) عنکم اللثام ، ویلبسکم عزا لاتتمیجه^(۷) الايام . »

فقالوا جمیعاً : « إنک توثره علینا ، ونحابیہ دوننا » فقال : « سأریکم ما ستره

(۱) هو سعید بن العاص بن سعید بن العاص بن أمیة بن عبد شمس بن عبد مناف ، وقد تقدم لک أن عثمان
استعمله علی السکوفة بعد الولید بن عقبه بن أبی معیط ، وولاه معاویة المدينة ، فكان یولیه إذا عزل مروان
ابن الحکم عن المدينة ویولی مروان إذا عزل ، ومات سنة ۵۷ وقیل سنة ۵۸ وقیل سنة ۵۹ .

(۲) شب وانتقل عن حد الصفر . (۳) من قولهم شجرة واعدة : إذا ظهر لرائها أن قلعها إن ثمارها ،
وأرض واعدة : إذا رجبی خیرها من النبات ، وظهر لرائها أن قد قرب إمكان المرهی بها ، وفرس واعد :
یعنی جریا یعد جری ، وسحاب واعد كأنه وعد بالمطر ، ویوم واعد یعد بالحر أو بالبرد أوله .

(۴) الصیت (بالکسر) والصات والصوت (بالفتح) : الذکر الحسن . (۵) الشکیمه : الأنفة ،
وفی الجوام : الحدیة المعترضة فی فم الفرس . وهو مثل یضرب للصرامة فی الأمور والمضاه فیها .

(۶) أى یعدو یطرد . من خسأ الکلب کنع : طرده ، وخسأ هو بنفسه : بعد . (۷) أى لا تبلیه .
لأنهج الثوب ونجه (کنه) : أخلقه وأبلاه ، ونهج الثوب مثلثة الماء ، وأنهج : یل .

البنی عنکم ، وصرفہم ، ثم أمہلہم حتی ظن أن قد ذہلوا عما کان ، وراہق^(۱) عمرو البلوغ ، واستدعاهم دون عمرو ، فلما حضروا قال : « یا بنی ، ألم ترّوا إلى أخیکم عمرو ؟ فإنه لا يزال یُلجِف^(۲) فی مآلتی مالی ، فأحش^(۳) عیله^(۴) لصغره ، وأحسبه^(۵) بالشیء ، دون الشیء من مالی ، إلى أن استثبتت أن أمہ بأغیثته^(۶) علی ذلك ، فزجرتها فلم تکف . وهذا تخرّجه الآن من عندی . جاء بسألنی الصمصامة^(۷) . كأن لا ولد لی غیره ، وقد عزمت علی أن أقسم مالی فیکم دونہ ، لتعلم أمہ من یکید ، فقالوا کلہم : یا أبانا هذا عملاک ، ایشارك له علینا . واختصاصک إیاء دوننا ، فقال : « یا بنی ، والله ما آثرته دونکم بشیء من مالی قط ، ولا کان ما قلته لکم إلا اختلاقا تساهلت فیہ . لما أمّلتہ من صلاح أمرکم » ، ثم قال لهم : ادخلوا المخذع^(۷) ، فدخلوا المخدع ، ثم أرسل إلى عمرو فأحضره . فلما حضر قال :

(۱) راقق الغلام : قارب الخلم (بضمین) . (۲) يلج . (۳) الیل والعیلة : الافتقار والفاقة ، وأحش : ای أقطع وأحمر ، من حش الحشیش (کرد) : قطعه ، وحش فلانا : أصلح من حاله ، (وفي الأصل فأحسن بالتون أي أجعل فقره حسنا وأزیرل قبحه بمطانی إیاء والأول أحسن) .
(۴) حسبه (بالتشدید) وأحسبه : أطعمه وسقاه حتی شیخ وروی . (۵) بغاه الشیء : أعانه علی طلبه (ولا مانع أن یکون الأصل « أن أمہ باعثته علی ذلك ») . (۶) الصمصامة : سیف عمرو بن معد یکر بن الزبیدی ، وكان قد صار إلى سعید بن العاص . وذلك أن خالد بن الولید لما غزا بنی زبید حین ارتدوا ، وكان خالد بن سعید بن العاص « عم سعید المذكور » من جملة أمرائه ، أوقع بهم وأسر ریحانة أخت عمرو ابن معد یکر بن ، فقداها خالد وأثابه عمرو الصمصامة ، ولم یزل ذلك السیف عند آل سعید بن العاص حتی اشتراه منهم الخلیفة المهدي العباسی بخمسين ألف درهم ، ووهبه المهدي لابنه الهادي فدعا به بعد ما ولی الخليفة فوضعه بین یدیه وأذن للشراء ، فلما دخلوا أمرهم أن یقولوا فی السیف شعرا ، فبذهم ابن یامین البصری ، فأعطاه الهادي السیف والجائزة ، ففرقها علی الشراء ، وقال : دخلتم معی ، وحرمت من أجلی ، وفي السیف هوض ، ثم بعث إليه الهادي ، فاشترى منه السیف بخمسين ألفا ، ثم وصل إلى المتوکل فدفعه إلى غلامه باغزا التركي ، فقتله به ، ومن عند باغزا انقطع خبره . « اقرأ خبر الصمصامة فی شرح العيون ، ص ۳۱۲ ، والأغانی ۱۲ : ۲۶ ، وأنباء نجباء الأبناء ص ۱۰۳ ومروج الذهب ۲ : ۲۶۲ . (۷) المخدع بضم الميم وكسرهما : الخزانة - بیت صغير یحرز فیہ الشیء - .

« يا بني : إني عليك حَدِبٌ ^(۱) مشفق ، لصغر سنك ، وَنَفَاسَةٌ ^(۲) إخوتك على مكانك مني ، وإني لا آمَنُ بِنَفْتَةِ الأجل ، ولي كنز ادّخرته لك دون إخوتك ، وهأنا مُطْلَعٌ عليه ، فاكنم أمره . »

فقال : « يا أبت ، طال عُمرُك ، وَعَلَا أَمْرُك ، إني لأرجو أن يُحْسِنَ اللهُ عنك الدَّفْعَ ، وَيُطِيلَ بِكَ الإِمْتَاعَ . فأما ما ذكرته من شأن الكنز ، فما يُعْجِبُنِي أن أقطع دون إخوتي أمرا ، وأزرع في صدورهم غمرا ^(۳) . »

فقال : « انصرف يا بني ، فإدراك أبوك ، فوالله مالي من كنز ، ولكنني أردت أن أبلو رأيك في إخوتك وبنی أبيك » فانطلق عمرو ، وخرج إخوته من المخدع ، فاعتذروا إلى أبيهم ، وأعطوه مَوْتِقَهُمْ على اتباع مشورته . (أنباء نجباء الأبناء ص ۱۰۰)

(۱) متعطف شفيق . (۲) نفس عليه بخير (كفرح) حسد ، ونفس عليه الشيء نفاسة :

لم يره أهلا له . (۳) الفمر محرّكة والفمر بكسر الفم : الحقد والضغن .

خطب عمرو بن سعيد الأشدق^(١)

(قتل سنة ٥٦٩ هـ)

٢١٣ - خطبة له بالمدينة

قدم عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق المدينة أميراً ، فخرج إلى منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحمد عليه وَغَمَّضَ عَيْنَيْهِ وَعَلِيهِ جُبَّةٌ خَزَقْرَمِزٍ^(٢) ، وَمُطْرَفٌ^(٣) خَزَقْرَمِزٍ ، وعمامة خزقرمز ، فجعل أهل المدينة ينظرون إلى ثيابه إعجاباً بها ، ففتح عينيه ، فإذا الناس ينظرون إليه ، فقال :

« ما بالكم يا أهل المدينة ترفعون إليّ أبصاركم ، كأنكم تريدون أن تضربونا بسيوفكم ؟ أغرّكم أنكم فعلتم ما فعلتم فمفونا عنكم ، أما إنه لو أُثْبِتُمْ^(٤) بالأولى ما كانت الثانية ، أغرّكم أنكم قتلتم عثمان ، فوافقتم ثأرنا^(٥) منارفيقاً ، قد فني غضبه وبقي حله ، اغتبنوا أنفسكم ، فقد والله ملكناكم بالشباب المقبل البعيد الأمل ، الطويل

(١) لقب بالأشدق لفصاحته ، والأشدق في الأصل : من عظمت أشداقه (جمع شدق بالكسر ويفتح وهو جازب الفم) مشتق من الشدق (بفتحين وهو سعة الشدق) وكانوا يتشادقون في الكلام ويمتدحون في الخطيب سعة الفم والشدين ، وقالوا خطيب أشدق : أي بليغ ، وقال شاعرهم في عمرو بن سعيد هذا :
تشادق حتى مال بالقول شدقه وكل خطيب لا أبالك أشدق

وقال آخرون : بل كان أقدم مائل الذقن « والفقم بالتحريك : تقدم الثنايا العليا فلا تقع على السفلى »
وقد ولي معاوية مكة ولايته يزيد مكة والمدينة ، وكان له الفضل في نيل مروان بن الحكم الخلافة ، وقد قدمنا لك خبر مقتله . (٢) القرمز : صبغ أحمر . (٣) المطرف : رداء من خز مربع ذو أعلام .
(٤) الثواب : الجزاء . (٥) الثائر : الآخذ بالثار ، ووافقتم : أي وجدتم .

الأجل ، حين فرغ من الصفر ، ودخل في الكبر ، حلیم حديد^(۱) ، لئن شديد ، رقيق
كثيف ، رقيق عفيف ، حين اشتد عظمه ، واعتدل جسمه ، ورعى الدهر ببصره ،
واستقبله بأشربه ، فهو إن عَضَّ نَهَس^(۲) ، وإن سطا فَرَس^(۳) ، لا يُقَلِّقُ له الحصى ،
ولا تُقَرِّعُ له العصا^(۴) ، ولا يمشي السَّمَّي^(۵) ، فما قى بعد ذلك إلا ثلاث سنين
وثمانية أشهر حتى قصمه الله .
(المقد للفريد ۲ : ۱۵۷)

۲۱۴ - خطبة له بمكة

واستعمل سعيد بن العاص - وهو وال على المدينة - ابنه عمرو بن سعيد والياً على
مكة ، فلما قدم لم يلقه قرشي ولا أموي إلا أن يكون الحارث بن نوفل ، فلما لقيه قال له :
يا حار ، ما الذي منع قومك أن يلقوني كما لقيتني ؟ قال : ما منهم من ذلك إلا ما استقبلتني
به ، والله ما كنتيتني ، ولا أتمت اسمي ، وإنما أنكهاك عن التشذُر^(۶) على أكفائك ،
فإن ذلك لا يرفعك عليهم ، ولا يضعهم لك ، قال : والله ما أسأت الموعظة ، ولا أتهمك
على النصيحة ، وإن الذي رأيت مني تَلَخَّق^(۷) ، فلما دخل مكة قام على المنبر ، فحمد الله ،
وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد ، معشر أهل مكة ، فإننا سكتناها غبطة ، وخرجنا عنها رغبة ، ولذلك
كنا إذ ارفعت لنا اللهم^(۸) بعد الهوة أخذنا أسنانها ، ونزلنا أعلاها ، ثم شَرَّج^(۹) أمر

(۱) رجل حديد يكون في السن والفهم والغضب ، وحده عليه : غضب . (۲) نهس اللحم : أخذه
بمقدم أسنانه ونثفه . (۳) فرس فريسته : دق عنقها . (۴) يشير إلى المثل المشهور « إن العصا
قرعت الذي الحلم » وقد سبق شرحه في ص ۱۸۴ . (۵) السهمي والسهمي : الباطل والكذب ،
يقال : ذهب في السهمي أي في الباطل : وجري فلان السهمي : أي جرى إلى غير أمر يعرفه .
(۶) تشذُر : توعد وتهدد وتغضب وتسرع إلى الأمر والمراد هنا التكبر . (۷) الخلق : البالي :
والمراد أنه لا يمود إليه . (۸) الهوة بالضم والفتح : العطية أو أفضل العطايا وأجزؤها .
(۹) من الشرج بالتحريك : وهو انشقاق القوس . قوس شريج : فيها شق ، والمراد حدث ونجم .

بين امرين ، فقتلنا وقتلنا ، فوالله ما نزعنا ولا نزع عنا ، حتى شرب الدم دماً ، وأكل اللحم لحماً ، وقرع العظم عظماً ، فوالى رسول الله صلى الله عليه وسلم برسالة الله إياه ، واختياره له ، ثم ولى أبو بكر إيسابته وفضله ، ثم ولى عمر ، ثم أجيلت قِدَاحُ نَزْعِنَ من شِعَابِ^(۱) جَوْلَةَ سَمَةٍ ، ففاز بِمَحْظِيهِمْ^(۲) أصلها وأعتقها ، فكفنا بعض قِدَاحِهَا ، ثم شرج امرين امرين فقتلنا وقتلنا ، فوالله ما نزعنا ولا نزع عنا ، حتى شرب الدم دماً ، وأكل اللحم لحماً ، وقرع العظم عظماً ، وعاد الحرام حلالاً ، وَأُنكِتَ كُلُّ ذِي حِسٍّ عن ضربٍ مُهْتَدٍ، عَرَّ كَأَ عَرَّ كَأَ ، وَعَسْفًا عَسْفًا ، وَخَزًا وَنَهْسًا ، حتى طابوا عن حقنا نفساً ، والله ما أعطوه عن هَوَادَةٍ ، ولا رضوا فيه بالقضاء ، أصبحوا يقولون : حَقُّنَا غُلْبِنَا عَلَيْهِ ، فجزينا هذا بهذا ، وهذا في هذا . يَأْهَلُ مَكَّةَ : أَنْفَسَكُمْ أَنْفَسَكُمْ ، وَسُفَهَاءَكُمْ سُفَهَاءَكُمْ ، فَإِنْ مَعِيَ سَوَاطِنٌ نَكَالًا ، وَسَيْفًا وَبَالًا^(۳) ، وَكُلُّ مَنْصُوبٍ عَلَى أَهْلِهِ ، ثم نزل .

(العقد الفريد ۲ : ۱۵۷)

۲۱۵ — ملاحاة الوليد بن عقبة معه في مجلس معاوية

تلاحي^(۴) الوليد بن عقبة ، وعمرو بن سعيد بن العاص في مجلس معاوية ، فتكلم الوليد فقال له عمرو : كَذَبْتَ أَوْ كَذِبْتَ^(۵) ، فقال له الوليد : اسكت يا طليق اللسان ، منزوع الحياء ، ويا أم أهل بيته ، فلعمري لقد بلغ بك البخل الغاية الشائفة المذلة لأهلها ، فسأت خلافتك لبخلك ، فَمَنْعَتَ الْحَقُوقَ ، وَلَزِمْتَ الْعُقُوقَ ، فأنت غير مشيد البنيان ، ولا رفيع المكان ، فقال له عمرو : والله إن قريشاً لتعلم أنى غير حلو المذاقة ، ولا لذيذ

(۱) الشعاب جمع شعبة بالضم : وهي ما بين الفصنين وطرف اللصن . يشير إلى أصحاب الشورى السعة .

(۲) الحظى : ذو الخطوة أى المكانة . (۳) أى سوخا ذا نكال . وسيفا ذا وبال .

(۴) تنازع . (۵) كذب الرجل : أخبر بالكذب .

الْمَلَائِكَةِ^(۱) ، وَإِنِّي لَكَ اشْجَبًا^(۲) فِي الْخَلْقِ ، وَأَقْدَعَلْتَنِي مَا كُنَ اللَّيْلُ ، دَاهِيَةً
النَّهَارَ ، لَا أَتَّبِعُ الْأَفْيَاءَ ، وَلَا أَنْتَمِي إِلَى غَيْرِ أَبِي ، وَلَا يُجْهَلُ حَسْبِي ، حَامٍ لِحَقَائِقِ
الذَّمَّارِ^(۳) ، غَيْرِ هَيُوبٍ عِنْدَ الْوَعِيدِ ، وَلَا خَائِفٍ رِعْدِيدِ^(۴) ، فَلِمَ تُعَبِّرُ بِالْبَخْلِ وَقَدْ جُبِلْتَ
عَلَيْهِ ، فَلَعَمْرِي لَقَدْ أَوْرَثْتِكَ الضَّرُورَةَ لَوْثًا ، وَالْبَخْلَ فُحْشًا ، فَقَطَعْتَ رَحِمَكَ ، وَجُرُوتَ
فِي قَضِيَّتِكَ ، وَأَضَعْتَ حَقَّ مَنْ وُلِّيتَ أَمْرَهُ ، فَلَسْتَ تُرْجَى لِلْعِظَامِ ، وَلَا تَعْرِفُ بِالْمَكَارِمِ ، وَلَا
تَسْتَعِينُ عَنِ الْمَحَارِمِ ، لَمْ تَقْدِرْ عَلَى التَّوْقِيرِ ، وَلَمْ يُحْكَمْ مِنْكَ التَّدْبِيرُ ، فَأُفْحِمَ الْوَالِيدُ؛ فَقَالَ مَعَاوِيَةَ:
— وَسَاءَ ذَلِكَ — كُفَّا لِأَبَا لَكَا ، لَا يَرْتَفِعُ بِكَ الْقَوْلُ إِلَى مَا لَا تَرِيدُ ، ثُمَّ أَنْشَأَ
عَمْرُو يَقُولُ :

وَلِيدُ إِذَا مَا كُنْتُ فِي الْقَوْمِ جَالِسًا فَكُنْ مَا كُنَّا مِنْكَ الْوَقَارُ عَلَى بَالٍ
وَلَا يَبْدُرُنَ الدَّهْرَ مِنْ فَيْكَ مَنْطِقٌ بَلَا نَظَرَ قَدْ كَانَ مِنْكَ وَإِغْفَالٌ^(۵)
(الأمالي ۲ : ۴۰)

۲۱۶ - خطبته حين غلب على دمشق

ولما غلب على دِمَشْقَ ، صَعِدَ الْمَنْبِرَ ، فَحَمْدَ اللَّهِ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :
« أَيْهَا النَّاسُ : إِنَّهُ لَمْ يَقُمْ أَحَدٌ مِنْ قَرِيشٍ قَبْلِي عَلَى هَذَا الْمَنْبِرِ ، إِلَّا زَعَمَ أَنْ لَهُ جَنَّةٌ
وَنَارًا ، يُدْخِلُ الْجَنَّةَ مَنْ أَطَاعَهُ ، وَالنَّارَ مَنْ عَصَاهُ ، وَإِنِّي أَخْبِرُكُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ
بِيَدِ اللَّهِ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ إِلَهٌ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ . غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ عَلَيَّ حُسْنَ الْمُوَاسَاةِ وَالْعَطِيَّةِ . »
(تاريخ الطبري ۷ : ۱۷۶)

(۱) اللوك: أعراف الضغ أو مضغ صلب . (۲) ما اعتراض في الخلق من عظم ونحوه .

(۳) مانجب حمايه . (۴) جبان . (۵) يبدر : يفرط ويسبق .

۲۱۷ - خالد بن يزيد وعبد الملك بن مروان

روى أن عبد الله بن يزيد بن معاوية جاء إلى أخيه خالد بن يزيد في أيام عبد الملك فقال : لقد هممتُ اليوم يا أخى أن أفتك بالوليد بن عبد الملك ، فقال له خالد : بئس والله ما هممتَ به في ابن أمير المؤمنين ، وولى عهد المسلمين ، فما ذاك ؟ قال : إن خيلي مرّت به فعبثَ بها وأصغرتني ، فقال له خالد : أنا أكفيك ، فدخل على عبد الملك ، والوليدُ عنده ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الوليد ابن أمير المؤمنين ، وولى عهد المسلمين ، مرت به خيلُ ابن عمه عبد الله بن يزيد فعبثَ بها وأصغره ، وكان عبد الملك مُطرقاً فرجع رأسه وقال :

(إِنْ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ، وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ، وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) فقال خالد : (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ، فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ ، فدمرناها تدميراً) . فقال عبد الملك : أفي عبد الله تكلمني ؟ والله لقد دخل أمس عليّ فما أقام لسانه لحنًا ، فقال خالد : أفعلى الوليد تعول يا أمير المؤمنين ؟ قال عبد الملك : إن كان الوليد يلحن ، فإن أخاه سليمانُ ، فقال خالد : وإن كان عبد الله يلحن ، فإن أخاه خالد ، فالتفت الوليد إلى خالد ، وقال له : اسكت ويحك يا خالد ! فوالله ما تمعدتُ في العير ولا في النفير ، فقال خالد : اسمع يا أمير المؤمنين : ثم التفت إلى الوليد فقال له : ويحك : فمن صاحب العير والنفير غيرُ جدّي أبي سفيان صاحب العير ، وجدّي عتبة صاحب النفير^(۱) ؟ ولكن لو قلت : غنيمات وحبيبات والطائف ، ورحم الله عثمان لقلنا صدقت^(۲) .

(شرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۱۱۱ ، وتهذيب الكامل ۱ : ۳۰۲ ومجمع الأمثال ۲ : ۱۱۵)

(۱) انظر ص ۱۴۷ . (۲) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما طرد الحكم بن أبي العاص وجد عبد الملك إلى الطائف - انظر ص ۱۰۴ - أقام بها ، فكان يرعى غنيمات اتخذها يشرب من لبنها ، ويأوى إلى حبيلة « مصغر حيلة كفرصة : وهى الكرمة » وقوله رحم الله عثمان : أى لرده إياه ، وقد أبى أبو بكر وعمر أن يرداه .

۲۱۸ - خالد بن عبد الله بن أسيد^(۱) وعبد الملك بن مروان

جلس يوماً عبد الملك بن مروان ، وعند رأسه خالدُ بن عبد الله بن أسيد ، وعند رجله أمية بن عبد الله بن أسيد ، وأدخات عايه الأموال التي جاءت من قبيل الحجاج ، حتى وضعت بين يديه فقال :

« هذا والله التوفير ، وهذه الأمانة ، لا ما فعل هذا ، (وأشار إلى خالد) استعملته على العراق ، فاستعمل كل مُلِطٍ^(۲) فاسق ، فأدوا إليهِ العشرة واحداً ، وأدى إلى من العشرة واحداً ، واستعملت هذا على خراسان (وأشار إلى أمية^(۳)) فأهدى إلى برذونين حطمين^(۴) . فإن استعملتكم ضيعتكم ، وإن عزلتكم قلم استخف بنا ، وقطع أرحامنا . »

فقال خالد بن عبد الله : « استعملتني على العراق . وأهله رجلان : سامع مطيع مُناصح ، وعدو مُبغض مُكاشح^(۵) ، فأما السامع المطيع المناصح فإننا جزيناه ، ابزاد ودنا إلى وده ؛ وأما المبغض المكاشح ، فإننا داريناه ضيفه ، وسألنا حقه ، وكثرنا لك المودة في صدور رعيتك ، وإن هذا جبي الأموال ، وزرع لك البغضاء في قلوب الرجال ، فيوشك أن تنبت البغضاء فلا أموال ولا رجال . »

فلما خرج ابن الأشعث قال عبد الملك : « هذا والله ما قال خالد . »

(العقد الفريد ۲ : ۱۱۷)

(۱) هو خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمر بن عبد مناف ، وولد ولاء عبد الملك بن مروان بعد قتل مصعب بن الزبير على البصرة وأعمالها سنة ۷۱ هـ ، وعزله عنها سنة ۷۴ وولاه أخاه بشر بن مروان ، وكان على ولاية الكوفة ، فصارت ولايتها وولاية الكوفة إليه . (۲) لوط حقه وألوه : جعله . (۳) هو أمية بن عبد الله أخو خالد هذا ، ولاء عبد الملك على خراسان ، حتى كانت سنة ۷۸ فنزله ، وجمع سلطانه للحجاج ، فبعث المهلب بن أبي صفرة إليها . (۴) فرس حطم ككثف : إذا هزل وأسن قصف وتهدم . (۵) الكاشح : الذي يضمرك العداوة ، كشح له بالعداوة وكاشحه بمعنى .

۲۱۹ — نصيحة لعمر بن عتبة بن أبي سفيان

ورأى عمرو بن عتبة بن أبي سفيان رجلاً يشتم رجلاً ، وآخر يسمع منه ، فقال للمستمع :

« نَزَّهَ سَمْعُكَ عَنِ اسْتِمَاعِ الْخَلَا ، كَمَا تَنَزَّهَ لِسَانُكَ عَنِ الْكَلَامِ بِهِ ، فَإِنَّ السَّمْعَ شَرِيكَ الْقَائِلِ ، وَإِنَّمَا نَظَرَ إِلَى شَرِّ مَا فِي وَعَائِهِ فَأَفْرَغَهُ فِي وَعَائِكَ ، وَلَوْ رُدَّتْ كَلِمَةُ جَاهِلٍ فِي فِيهِ ، لَسَعِدَ رَأْدُهَا ، كَمَا شَقِيَ قَائِلُهَا » . (البيان والتبيين ۲ : ۱۶۰)

۲۲۰ — تأديب معاوية لجلسائه

أَذِنَ مَعَاوِيَةَ لِلْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ — وَقَدْ وَافَى مَعَاوِيَةَ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ — فَقَدَّمَهُ عَلَيْهِ ، فَوَجَدَ^(۱) مِنْ ذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ ، وَأَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ فَجَلَسَ بَيْنَ مَعَاوِيَةَ وَالْأَحْنَفِ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةَ :

« إِنَّا وَاللَّهِ مَا أَدْرَيْنَا لَكَ قَبْلَكَ ، إِلَّا لِيَجْلِسَ إِلَيْنَا دُونَكَ ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَرْفَعُ نَفْسَهُ فَوْقَ قَدْرِهَا ، إِلَّا مِنْ ذِلَّةٍ يَجِدُهَا ، وَقَدْ فَعَلْتَ فِعْلَ مَنْ أَحْسَنَ مِنْ نَفْسِهِ ذِلَّةً وَضَعَةً ، وَإِنَّا كَمَا تَمَلَّكَ أُمُورُكُمْ ، تَمَلَّكَ تَأْدِيبُكُمْ ، فَأُرِيدُوا مِنَّا مَا نُرِيدُ مِنْكُمْ ، فَإِنَّهُ أَبْتَقَى لَكُمْ ، وَإِلَّا قَصَرَ نَاكِمُ كُرْهًا ، فَكَانَ أَشَدَّ عَلَيْكُمْ وَأَعْنَفَ بِكُمْ » . (البيان والتبيين ۳ : ۲۲۰)

۲۲۱ — كلام معاوية وقد سقطت ثناياه

وَمَا سَقَطَتْ ثَنِيَّتَا مَعَاوِيَةَ لَفَّ وَجْهَهُ بِعِمَامَةٍ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ ، فَقَالَ :

« إِنَّ ابْتَلَيْتُ لَقَدْ ابْتَلَى الصَّالِحُونَ قَبْلِي ، وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مِنْهُمْ . وَلَئِنْ

(۱) وجد : غضب .

عُوقِبْتُ لَقَدْ عَوقِبَ الخَاطِئُونَ قَبْلِي ، وَمَا آمَنَ أَنْ أَكُونَ مِنْهُمْ . وَلَئِنْ سَقَطَ عُضْوَانُ مِنِّي ، لَمَا بَقِيَ أَكْثَرُ . وَلَوْ أَتَى عَلَيَّ نَفْسِي لَمَا كَانَ لِي عَلَيْهِ خِيَارٌ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، فَرَحِمَ اللهُ عَبْدًا دَعَا بِالْعَافِيَةِ ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ عَمَّ بَعِيَّ عَلِيٌّ بِعَظْمِ خَاصَّتِكُمْ ، لَقَدْ كُنْتُ حَدِيثًا^(۱) عَلَى عَامَّتِكُمْ .

(البیان والتبیین ۳ : ۲۲۱)

۲۲۲ - تقریر عبد الملک بن مروان لأحد عماله

وروی الجاحظ قال :

« قال أبو الحسن : كان عبد الملك بن مروان شديد اليقظة ، كثير التماهد لولائه ، فبلغه أن عاملاً من عماله قبل هدية ، فأمر بإشخاصه إليه ، فلما دخل عليه قال : « أقبلت هدية منذ ولّيتك ؟ » قال : « يا أمير المؤمنين ، بلادك عامرة ، وخراجك موفور ، ورعيّتك على أفضل حال » قال : « أجيب فيما سألتك عنه » ، أقبلت هدية منذ ولّيتك ؟ قال : نعم ، قال : لئن كنت قبلت ولم تعوض إنك لآثم ، ولئن أنلت مهديك لآمن مالك ، أو استكففته ما لم يكن بستكفاه ، إنك لجائر خائن ، ولئن كان مذهبك أن تعوض المهدي إليك من مالك ، وقبّلت ما آثمك به عند من استكفأك ، وبسط لسان عائبك ، وأطمع فيك أهل عمالك لجاهل ، وما فيمن أنى أمرًا لم يخل فيه من دناءة ، أو خيانة ، أو جهل ، مضطجع ، نحمّاه عن عمله . »

(البیان والتبیین ۳ : ۲۳۰)

(۱) ای صلوات .

طلب معاوية البيعة ليزيد

لما كانت سنة ثلاث وخمسين ، أظهر معاوية عهداً مُفْتَعِلاً ، فقرأه على الناس فيه عقد الولاية ليزيد بعده ، فلم يزل يَرُوضُ الناس لبيعته سبع سنين ، ويشاور ، ويعطى الأقارب ، ويدانى الأبعاد ، حتى استوثق له من أكثر الناس .

فقال لعبد الله بن الزبير : « ماترى في بيعة يزيد ؟ » قال : « يا أمير المؤمنين ، إني أناديك ولا أناجيك^(١) ، إن أخاك من صدقك ، فانظر قبل أن تتقدم ، وتفكر قبل أن تندم ، فإن النظر قبل التقدم ، والتفكر قبل التندم » فضحك معاوية وقال : « ثعلب رَوَّاعٍ تعلمت السجاعة^(٢) عند الكبر ، في دون ما سَجَّمت به علي ابن أخيك ما يكفيك » .
ثم التفت إلى الأحنف بن قيس ، فقال : « ماترى في بيعة يزيد ؟ » . قال : « نخافكم إن صدقناكم ، ونخافُ الله إن كذبنا » .

فلما كانت سنة خمس وخمسين كتب معاوية إلى سائر الأمصار أن يَفِدُوا عليه ، فوفد عليه من كل مصر قوم^(٣) ، وكان فيمن وفد عليه من المدينة محمد بن عمرو بن حزم ، فخلا به معاوية ، وقال له : « ماترى في بيعة يزيد ؟ » ، فقال : « يا أمير المؤمنين ما أصبح اليوم على الأرض أحدٌ هو أحبُّ إلىَّ رشداً من نفسك سوى نفسي ، وإن يزيد أصبح غنياً في المال ، وَسَطاً في الحَسَب ، وإن الله سائلٌ كلَّ راجعٍ عن رعيته ، فأتق الله ،

(١) ناجيته : ساررتة . (٢) وفي العقد « السجاعة » وهو تصحيف ، ولم أجده « سجاعة » في كتب اللغة ، وإنما الذي فيها هو « سجع » كشمس مصدر سجع كقطع ، وأرى أنها سجاعة ككتابة ، وقد ورد في كلام المبرد : « فإن المختار كان يدهى أنه يلهم خربا من السجاعة لأمور تكون . . . الخ » .
(٣) هكذا ورد في العقد الفريد ، وفي مروج الذهب : أن وفود تلك الوفود كان سنة تسع وخمسين ، والمفهوم مما ورد في الإمامة والسياسة أن وفودها كان قبل سنة ٥٠ ، وفي حياة الحسن بن علي رضي الله عنه كما يتبين لك مما سيرد بعد (وقد توفي الحسن سنة ٤٩ ، أو سنة ٥٠ أو سنة ٥١) .

وانظر من تولى امرأة محمد ، فأخذ معاوية بهزود^(۱) حتى تنفس الصعداء^(۲) ، وذلك في يوم شاتٍ ، ثم قال : « يا محمد : إنك امرؤ ناصح ، قلت برأيك ، ولم يكن عليك إلا ذاك . قال معاوية : إنه لم يبق إلا ابني وأبناؤهم ، فابني أحبُّ إلى من أبناهم ، اخرج عنى » .

ثم دعا الضحاک بن قیس الفهري ، فقال له : إذا جلستُ على المنبر . وفرغت من بعض موعظتي وكلامي ، فاستأذني للقيام ، فإذا أذنت لك فاحمد الله تعالى . واذكر يزيد . وقل فيه الذي يحق له من حسن الثناء عليه . ثم ادعني إلى توليته من بعدى . فإني قد رأيت وأتجمعتُ على توليته . فاسأل الله في ذلك وفي غيره الخيرة^(۳) وحسن القضاء . ثم دعا عبد الرحمن بن عثمان التميمي ، وعبد الله بن مسعدة القزاري ، وثور بن معن السلمی ، وعبد الله بن عصام الأشعري ، فأمرهم أن يقوموا إذا فرغ الضحاک ، وأن يصدقوا قوله ، ويدعوه إلى يزيد .

وجلس معاوية في أصحابه ، وأذن للوفود فدخلوا عليه ، فخطبهم ، فلما فرغ من بعض موعظته ، وهؤلاء الخفر في المجلس قد قعدوا للكلام - قام الضحاک بن قیس فاستأذن فأذن له .

۲۲۳ - خطبة الضحاک بن قیس الفهري

حمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :
« أصلح الله أمير المؤمنين وأمتع به ، إننا قد بلونا^(۴) الجماعة والألفة ، فوجدناها أحقن للدماء ، وآمن للسُّبُل ، وخيراً في العاقبة والآجلة ، ولا خير لنا أن نترك سُدَى ،

(۱) البهر بالفتح : العجب (۲) تنفس طويلاً . (۳) أى أسأله أن يختار لنا الأفضل ، بخاره على غيره خيرة بكسر الخاء مع سكون الياء وفتحها : فضله وخاراقه له في الأمر : جعل له فيه الخير . (۴) خبرنا .

والأيام عَوَّجٌ^(۱) رواجع ، وَالْأَنْفُسُ يُغْذَى عَلَيْهَا وَيُرَاحُ ، وَاللَّهُ يَقُولُ : (كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ » . ولسنا ندري ما يختلف به الْعَصْرَانُ^(۲) ، وأنت يا أمير المؤمنين ميت ، كما مات من كان قبلك من أنبياء الله وخلفائه ؛ نسأل الله تعالى بك المتاع ، وقد رأينا من دَعَا يَزِيدَ ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَحُسْنَ مَذْهَبِهِ ، وَقَصْدَ^(۳) سِيرَتِهِ ، وَبِمَنْ تَقِيَّبَتَهُ^(۴) ، مع ما قسم الله له من المحبة في المسلمين ، والشَّيْبَةَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، في عقله وسياسة وشيمته المرَضِيَّةِ ، مادعانا إلى الرضا به في أمورنا ، والقُنُوعَ بِهِ فِي الْوَلَايَةِ عَلَيْنَا ، فَلْيُؤَوِّلَهُ أمير المؤمنين - أكرمه الله - عهدَه ، وليجعلنا لنا ملجأً وَمَفْزَعًا بعده ، نأوي إليه إن كان كَوْنٌ^(۵) ، فإنه ليس أحد أحق بها منه ، فاعزم على ذلك ، عزم الله لك في رشدك ، ووفقك في أمورنا .

۲۳۴ - خطبة عبد الرحمن بن عثمان الثقفي

ثم قام عبد الرحمن بن عثمان الثقفي . فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أصلح الله أمير المؤمنين ، إنا قد أصبحنا في زمانٍ مختلفةٍ أهواؤه ، قد أخذت ودبت علينا سِيسَاؤُهُ^(۶) ، واقطوطبت^(۷) علينا أدواؤه ، وأناخت علينا أنباؤه ، ونحن نُشِيرُ

(۱) بمعنى رواجع عاتجة امم فاعل من عاج إذا رجع : أي أن الأيام تعوج على الإنسان فتسلبه ما أعطى من الحياة وتمتع العيش . (۲) العصر : اليوم والليله والعشى إلى احمرار الشمس والغداة . (۳) القصد : استقامة الطريق . (۴) النقيبة : النفس ، وهي أيضا العقل ، والمشورة ، ونفاذ الرأي ، والطبيعة . (۵) أي إن حدث حدث . (۶) السيساء : منتظم فقار الظهر ، وحمله على سيساء الحق أي على حده ، والعرب تضربه مثلا لشدة الأمر ، قال الشاعر :

لقد حملت قيس بن عيلان حربنا
على يابن السيساء محدودب الظهر

يقول : حملناهم على مركب صعب كسيساء الحمار ، أي حملناهم على ما لا يثبت على مثله .

(۷) اقطوطب : انموجع من قطب ، وقب القوم : اجتمعوا ، وقطب بين عينيه : جمع ، والمراد : اجتمعت وتراكمت علينا أدواؤه ، ولم أجد كلمة « اقطوطب » في كتب اللغة ، وإنما الذي فيها « اقطوطى » أي قارب في مشيه إمراعا .

عليك بالرشاد ، وندعوك إلى السداد ، وأنت يا أمير المؤمنين أحسننا نظراً ، وأثبتنا^(۱) بصراً ، ويزيد ابن أمير المؤمنين قد عرفنا سيرته ، وبلوونا علانيدته ، ورضينا ولايته ، وزادنا بذلك انبساطاً ، وبه اغتباطاً^(۲) . مع ما منحه الله من الشبه بأمر المؤمنين ، والمحبة في المسلمين ، فاهزم على ذلك ، ولا تضيق به ذرئاً^(۳) ، فالله تعالى يُقيم به الأود^(۴) ، ويردع به الألد^(۵) ، ويؤمن به السبل ، ويجمع به الشمل . ويعظم به الأجر . ويحسن به الذخر . ثم جلس .

۲۲۵ - خطبة ثور بن معن السلمي

فقام ثور بن معن السلمي ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :
 « أصلح الله أمير المؤمنين ، إنا قد أصبحنا في زمان ، صاحبه مشاغب^(۶) ، وظله ذاهب^(۷) ، مكتوب علينا فيه الشقاء والسعادة ، وأنت يا أمير المؤمنين ميت ، نسأل الله بك المتاع ، ويزيد ابن أمير المؤمنين أقدمنا شرفاً ، وأبدلنا عرفاً^(۸) ، وقد دعانا إلى الرضا به ، والقنوع بولايته ، والحرص عليه ، والاختيار له ، ما قد عرفنا من صدق لسانه ووفائه ، وحسن بلائه . فاجعله لنا بعدك خلفاً ، فإنه أوسعنا كنفاً^(۹) ، وأقدمنا سلفاً ، وهو رقيق لما فتيق ، وزمام لما شعث^(۱۰) ، ونكال لمن فارق وناق ، وسلم لمن واظب . وحافظ للحق . أسأل الله لأمر المؤمنين أفضل البقاء والسعادة ، والخيرة فيما أراد ، والتوطن في البلاد ، وصلاح أمر جميع العباد .
 ثم جلس .

(۱) لعله وأثبتناه . (۲) بسط فلانا فانبسط : سره والافتياط : المسرة . (۳) ضاق بالأمر ذرماً : ضعفت طاقته ولم يجد من المكروه فيه مخلصاً . (۴) الاعوجاج . (۵) الالاد : الخضم الشحيح الذي لا يربغ إلى الحق . (۶) صاحبه يعني به معاوية ، أي يشاغبه المشاغبون ، اسم معول من الشغب : وهو تهيج الشر . (۷) كناية عن دنو أجله . (۸) المعروف . (۹) الكنف : الظل والجانب . (۱۰) شعث الأمر ، كفرح شعثاً : انتشر وتفرق .

۲۲۶ - خطبة عبد الله بن عصام الأشعري

فقام عبد الله بن عصام ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أصلح الله أمير المؤمنين ، وأمتع به ، إنا قد أصبحنا في دنيا منقضية ، وأهواء منجذمة^(۱) ، نحاف حدها ، وننظر جدها ، شديد منجدرها ، كثير وعثرها ، شائخة مراقيها^(۲) ، ثابتة مراتبها ، صعبة مراكبها ، فالوت يا أمير المؤمنين وراءك ووراء العباد لا يخلد في الدنيا أحد ، ولا يبقى لنا أمد^(۳) ، وأنت يا أمير المؤمنين مسئول عن رعيتك ، وماخوذ بولايتك ، وأنت أنظر الجماعة ، وأعلى عيناً بحسن الرأي لأهل الطاعة ، وقد هديت يزيد في أكل الأمور ، وأفضلها رأياً ، وأجمعها رِضاً ، فاقطع يزيد قالة^(۴) الكلام ، ونخوة^(۵) المبطل ، وشمت المفاق ، واكبت^(۶) به الباذخ^(۷) المعادي ، فإت ذلك ألم للشمت ، وأسهل الوعث^(۸) ، فاعزم على ذلك ، ولا تترامى بك الظنون . »

۲۲۷ - خطبة عبد الله بن مسعدة الفزاري

ثم قام عبد الله بن مسعدة الفزاري ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أصلح الله أمير المؤمنين ، وأمتع به ، إن الله قد آثرك بخلافته ، واختصك بكرامته ، وجعلك عِصمة لأوليائه ، وذا نكايه لأعدائه ، فأصبحت بأنعمه جديلاً ،

(۱) جلده فانجدم : قطعه . (۲) المراقب : جمع مرقب (كجهمر) المكان المشرف ، يقف عليه الرقيب . (۳) الأمد : الغاية والمنتهى . (۴) قالة : جمع قائل ، أو مصدر قال كالقول ، والقال ، والقييل . (۵) الكبر والمظنة . (۶) كبت : صرعه وأخزاه ، ورد العدو بنينه ، وأذله . (۷) بلخ كفرج ونصر : تكبر وعلا ، وشرف باذخ : عال . (۸) وعت الطريق من بابي تعب وقرب : إذا شق على السالك ، فهو وعت (يسكون العين وكسرها) .

وَلَمَّا حَمَلَكَ مُحْتَمِلًا ، يَكْشِفُ اللهُ تَعَالَى بِكَ الْعَمَى ^(١) ، وَيَهْدِي بِكَ الْعِدَا ، وَيَزِيدُ
ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَحْسَنُ لِلنَّاسِ بِرِعِيَّتِكَ رَأْفَةً ، وَأَحَقَّهُمْ بِالْخِلَافَةِ بِعَدْلِكَ ، قَدْ سَاسَ الْأُمُورَ
وَأَحْكَمَتِ الدَّهْرَ ، لَيْسَ بِالصَّغِيرِ الْفَهِيمِ ^(٢) ، وَلَا بِالْكَبِيرِ السَّفِيهِ ، قَدْ احْتَجَجْنَا ^(٣) الْمَكَارِمَ
وَارْتَجَبْنَا لِحُلِّ الْعِظَائِمِ ، وَأَشَدَّ النَّاسِ فِي الْعَدُوِّ نَكَايَةً ، وَأَحْسَنَهُمْ صُنْعًا فِي الْوِلَايَةِ ،
وَأَنْتَ أَغْنَى بِأَمْرِكَ ، وَأَحْفَظَ لَوْصِيَّتِكَ ، وَأَحْرَزَ لِنَفْسِكَ ، أَسْأَلُ اللهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْعَافِيَةَ
فِي غَيْرِ جَهْدٍ ^(٤) ، وَالنِّعْمَةَ فِي غَيْرِ تَغْيِيرٍ .

٢٢٨ - خطبة عمرو بن سعيد الأشدق

فَقَالَ مَعَاوِيَةَ لِعَمْرُو بْنِ سَعِيدِ الْأَشْدَقِ : قُمْ يَا أَبَا أُمِيَّةَ ، فَقَامَ فَحَمْدَ اللهُ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ،
ثُمَّ قَالَ :

« أَمَا بَعْدَ : فَإِنَّ يَزِيدَ بْنَ مَعَاوِيَةَ أَهْلٌ تَأْمَلُونَهُ ، وَأَجَلٌ تَأْمَنُونَهُ ، طَوِيلُ الْبَاعِ ،
رَحْبُ الدَّرَاعِ ، إِنْ اسْتَضَفْتُمْ إِلَى حِلْمِهِ وَسِعِمِكُمْ ، وَإِنْ أَحْتَجَجْتُمْ إِلَى رَأْيِهِ أَرْشَدَكُمْ ، وَإِنْ
افْتَقَرْتُمْ إِلَى ذَاتِ يَدِهِ أَغْنَاكُمْ ، جَدَعٌ ^(٥) قَارِحٌ ^(٦) ، سُوْبِقٌ فَسَبَقَ ، وَمَوْجِدٌ فَجَدَّ ،
وَقُورِعٌ فَفَازَ سَهْمَهُ ، فَهُوَ خَلْفُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا خَلْفَ مِنْهُ . » فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ :
« اجْلِسْ أَبَا أُمِيَّةَ . فَلَقَدْ أَوْسَعْتَ وَأَحْسَنْتَ . »

قَالَ مَعَاوِيَةُ : « أَوْ كَلِّمَكُمْ قَدْ أَجْمَعُ عَلَى هَذَا رَأْيِهِ ؟ » فَقَالُوا : « كَلْنَا قَدْ أَجْمَعُ »

(١) العمى هنا : ذهب بصر القلب . (٢) الفهيم والفه : البسي ، فهو كفرح فهامة .
(٣) احتججنا المال : ضمه واحتواء . (٤) المشقة . (٥) الجذع : الشاب الحدث .
(٦) أي شديد يجرب ، وهو في الأصل وصف للقوس ، قرح الفرس قروحا : إذا ألقى أقصى أسنانه
(وله أربع أسنان يتحول من بعضها إلى بعض ، يكون جذها - وذلك إذا كان في السنة الثانية -
ثم ثنياً و يفتح فكسر مع تشديد الياء - في السنة الثالثة - ثم رباعياً و يفتح أوله وثانيه وتخفيف الياء - إذا
سقطت رباعيته ، ونبت مكانها سن وذلك إذا استم الرابعة - ثم قارحاً - إذا سقطت السن التي تلي رباعيته
ونبت مكانها ثابته ، وهو قارحه الذي صار به قارحاً ، وليس بعد القروح سقوط سن ، ولانبات سن ، وذلك
إذا استم الخامسة ودخل في السادسة) .

رأيه على ما ذكرنا . قال : « فأين الأحنف ؟ » فأجابه ، قال : « ألا تتكلم ؟ »
فقام الأحنف .

۲۲۹ - خطبة الأحنف بن قيس

فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أصلح الله أمير المؤمنين ، إن الناس قد أمسوا في مُنْكَرٍ زمانٍ قد سَلَفَ ،
ومعروفٍ زمانٍ مُؤْتَنَفٍ ^(۱) ، ويزيد ابن أمير المؤمنين نِعَمَ الخَلَفِ ، فإن تُوَلَّهَ عهدك ،
فمن غير كبير مُفْنٍ ، أو مَرَضٍ مُضْنٍ ، وقد حَكَبَتِ الدهور ^(۲) ، وجُرَّبتِ الأمور ،
فأعرف من تُسْنِدُ إليه عهدك ، ومن تَوَايه الأمر من بعدك ، واءص رأى من يأمرك ،
ولا يقدر لك ، ويشير عليك ولا ينظر لك ، وأنت أنظر للجماة ، وأعلم باستقامة الطاعة ،
مع أن أهل الحجاز وأهل العراق لا يرضون بهذا ، ولا يبايعون يزيد ما كان
الحسن ^(۳) حيا . »

۲۳۰ - خطبة الضحاک بن قيس

فغضب الضحاک بن قيس ، فقام الثانية ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أصلح الله أمير المؤمنين ، إن أهل النفاق من أهل العراق ، مَرُوءَتُهُمْ في أنفسهم
الشقاق ، وَأَلْفَتُهُمْ في دينهم الفِرَاقُ ، يَرَوْنَ الحق على أهوائِهِمْ ^(۴) ، كأنما ينظرون

(۱) مستأنف . (۲) هكذا في مروج الذهب . وفي الإمامة والسياسة : « وقد حلبت الدهر أشطره »
وأصله من حلب شطرى الناقة (يفتح الشين) ولها شطران : قادمان وآخران (بكسر الخاء) والشطركل
خلفين من أخلافها ، والخلف (بكسر الخاء) لها كما الضرع للبقرة ، وهو مثل يضرب للمجرب ، وأشطره بدل
من الدهر منصوب . (۳) هذا وما ورد في كلام الضحاک والأحنف بعد ، يدل على أن تلك الخطب كانت
في حياة الحسن بن علي كما أشرنا إليه قبل . (۴) أي على أغراضهم وميولهم .

بأفْقَائِهِمْ . اختالوا جهلاً وبَطْرًا . لا يرقُبون من الله راقبةً ، ولا يخافون وِبال عاقبةً ،
اتخذوا إبليسَ لهم رَبًّا ، واتَّخَذَ إبليسُ حِزْبًا . فمن يُقَارِبُوهُ لا يَسْرُوهُ ، ومن يَفَارِقُوهُ
لا يَضُرُّوهُ . فادْفَع رَأْيَهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي نَحْوَرِهِمْ ، وَكَلَامَهُمْ فِي صُدُورِهِمْ ، مَا لِلْحَسَنِ
وَذَوِي الْحَسَنِ فِي سُلْطَانِ اللَّهِ الَّذِي اسْتَخَافَ بِهِ مَعَاوِيَةَ فِي أَرْضِهِ ؟ هَيْهَاتَ لِاتُّورَثَ
الْخِلَافَةَ عَنِ كَلَالَةِ . وَلا يَحِبُّ غَيْرُ الذِّكْرِ الْعَصَبَةَ . فوطِنُوا أَنْفُسَكُمْ بِأَهْلِ الْعِرَاقِ
عَلَى الْمَنَاصِحَةِ لِإِمَامِكُمْ . وَكَانِبِ نَبِيِّكُمْ^(۱) وَصَهْرِهِ^(۲) ، بِسَلْمِ اسْمِ الْعَاجِلِ ، وَتَرْجُوهُ
مِنَ الْآجِلِ .

۲۳۱ - خطبة الأحنف بن قيس

ثم قام الأحنف بن قيس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إنا قد فررنا^(۳) عنك قريباً ، فوجدناك أكرمَماً زندياً ،
وأشدَّها عقداً ، وأوقاها عهداً ، وقد علمت أنك لم تفتح العراقَ عنوةً^(۴) . ولم تظهر عليها
قصاصاً^(۵) ، ولكنك أعطيت الحسن بن عليٍّ من عهد الله ما قد علمت ، ليكون له الأمر
من بعدك ، فإن تَفِ فأنت أهلُ الوفاء ، وإن تغدير^(۶) تعلم والله أن وراء الحسن خيولاً
جِياداً ، وأذرُعاً شِدَاداً ، وسيوفاً حِدَاداً ، إن تَدُنْ لَهُ شِبْرًا مِنْ غَدْرٍ ، تَجِدْ وَرَاءَهُ بَاعًا
مِنْ نَصْرٍ ، وإنك تعلم أن أهل العراق ما أحبوك منذ أبغضوك ، ولا أبغضوا علينا وحسناً
منذ أحبوا ، وما نزل عليهم في ذلك خَبْرٌ مِنَ السَّمَاءِ ، وإن السيوف التي شمرُّوها عليك
مع عليٍّ يوم صفين آتتْهُمُ عَوَاتِقُهُمْ ، والقلوب التي أبغضوك بها ، لبين جوائِحِهِمْ ، وإيم الله
إن الحسن لأحبُّ إلى أهل العراق من عليٍّ . »

(۱) وكان معاوية من كتاب الوحي . (۲) وكانت أخته أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج
النبي عليه الصلاة والسلام . (۳) فر الدابة : كشف عن أسنانها لينظر ما فيها ، وفر عن الأمر : بحث عنه .
(۴) فتح البلد عنوة : أي قهراً . (۵) مات قعصا : أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه .
(۶) غدره وغدر به كضرب وضرب وسمع .

۲۳۲ - خطبة عبد الرحمن بن عثمان الثقفي

ثم قام عبد الرحمن بن عثمان الثقفي ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
 « أصلح الله أمير المؤمنين ، إن رأى الناس مختلفين ، وكثير منهم منحرف ،
 لا يدعون أحداً إلى رشاد ، ولا يجيبون داعياً إلى سداد ، بجانبون لرأى الخلقاء ، مخالفون
 لهم في السنة والقضاء ، وقد وقفت ليزيد في أحسن القضية ، وأرضاهما ليحمل الرعية ،
 فإذا خار الله لك فاهزيم ، ثم اقطع قالة الكلام ، فإن يزيد أعظمنا حِلماً وعلماً ، وأوسعنا
 كنفاً ، وخيرنا سلفاً ، قد أحكمته التجارب ، وقصدت به سُبُل المذاهب ، فلا يصرفنك
 عن بيعته صارف ، ولا يَقْفَن بك دونها واقف ، ممن هو شامع^(۱) عاصٍ ، يَنُوصُ^(۲)
 للفتنة كل مناص ، لسانه ملتوي ، وفي صدره داء دوي ، إن قال فشرُّ قائل ، وإن
 سكت فداء غائل^(۳) ، قد عرفنا مَنْ هم أولئك ، وما هم عليه لك ، من المجانبة للتوفيق ،
 والتكلف للتفريق ، فاجلُ بيعته عنا الفُتنة ، واجمع به شمل الأمة ، ولا تحيد عنه
 إذ هُديت له ، ولا تنبش عنه إذ وُفِّت له ، فإن ذلك الرأي لنا ولك ، والحق علينا
 وعليك . أسأل الله العون وحسن العاقبة لنا ولك بمنه . »

۲۳۳ - خطبة معاوية

فقام معاوية ، فقال :

« أيها الناس : إن لإبليس من الناس إخواناً وخُلَائناً ، بهم يستعدُّ ، وإياهم يستعين
 وعلى ألسنتهم ينطق ، إن رجوا طامعاً أو جَفَوا^(۴) ، وإن استغنى عنهم أَرَجَفُوا^(۵) ،

(۱) من شمع المنزل كنع : بعد . (۲) ناص مناصا : تحرك . (۳) من غاله : أى أهلكه .

(۴) أسرعوا ، وجف البمبر والفرس وجيفا : عدا ، وأوجفته : إذا أهديته ، قال تعالى :

« فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ، أَيْ مَا أَعْلَمْتُمْ . »

(۵) أَرَجَفَ القوم : غاضوا في أخبار الفتن ونحوها ، قال تعالى : « وَالْمُرْجَفُونَ فِي الْمَدِينَةِ » .

ثم يُلْقِحُونَ^(۱) الفتن بالفجور ، ويشققون لها حطب النفاق ، عَيَّابُونَ مرتابون ، إن لَوَّأَ عُرُوةَ أمرٍ حَنَفُوا ، وَإِنْ دُعُوا إِلَى غِيٍّ أَسْرَفُوا ، وَابَسُوا أَوْلِيَّكَ بِمُنْتَهَبِينَ وَلَا بِمُقْلَعِينَ وَلَا مَتَمِّظِينَ ، حَتَّى تُصِيبَهُمْ صَوَاعِقُ^(۲) خَزْيٍ وَبَيْلٍ ، وَتَحُلَّ بِهِمْ قَوَارِعُ^(۳) أَمْرِ جَلِيلٍ ، تَبْحَثُ^(۴) أَصُولَهُمْ كَأَجْتِنَاثِ أَصُولِ الْفَقْعِ ، فَأَوْلَى لِأَوْلِيِّكَ ثُمَّ أَوْلَى ، فَإِنَّا قَدْ قَدَّمْنَا وَانذَرْنَا ، إِنْ أَغْنَى التَّقَدُّمُ شَيْئًا أَوْ نَفَعُ الْقُدْرُ^(۵) .

۲۳۴ — خطبة يزيد بن المقنع

ثم قام يزيد بن المقنع ، فقال :

« أمير المؤمنين هذا — وأشار إلى معاوية — ، فإن هلك فهذا — وأشار إلى يزيد — ، فمن أبي فهذا — وأشار إلى سيفه » ، فقال معاوية : اجاس فإنك سيد الخطباء .

۲۳۵ — خطبة الأحنف

ثم تكلم الأحنف بن قيس ، فقال :

« يا أمير المؤمنين : أنت أعلنا بيزيد في ليله ونهاره ، وسره وعلا نيته ، ومدخله ونخرجه ، فإن كنت تعلمه لله رضا ولهذه الأمة ، فلا تشاور الناس فيه ، وإن كنت تعلم

(۱) في الأصل « يلحقون » وهو تحريف ، وصوابه : « يلحقون » من ألحق الناقة والنخلة .

(۲) جمع صاعقة : وهي الموت وكل عذاب مهلك . وأرض وبيلة : وخيمة المرتع .

(۳) جمع قارعة ، وهي الداهية الفاجئة . قال تعالى : « وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ

بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً » . (۴) تقطع ، والفقع بالفتح ويكسر : البيضاء الرخوة من السكأة .

(۵) النذر : الإنذار . قال تعالى : « فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي » أي إنذارى . وفي الإمامة

والسياسة عقب هذه الخطبة : « فدعا معاوية للضحاك فولاه للكوفة ، ودعا عبد الرحمن فولاه الجزيرة » .

منه غير ذلك ، فلا تزوّدہ الدنيا وَأنت صائر إلى الآخرة ، فإنه ليس لك من الآخرة إلا ما طاب ، واعلم أنه لا حجة لك عند الله إن قدمت يزيد على الحسن والحسين ، وأنت تعلم مَنْ هُما ، وإلى ما هُما ، وإنما علينا أن نقول : « سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ، غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ » .

قال صاحب العقد : فتفرق الناس ، ولم يذكروا إلا كلام الأحنف ، ثم بايع الناس ايزيد بن معاوية ، فقال رجل وقد دُعِيَ إلى البيعة « اللهم إني أعوذ بك من شرّ معاوية » فقال له معاوية : « تعوذ من شر نفسك ، فإنه أشد عليك وبايع » فقال : « إني أبايع وأنا كاره للبيعة » ، فقال له معاوية : بايع أيها الرجل فإن الله يقول : « فَمَسَىٰ أَنْ تَكَرَّهُوا شِدْثًا وَيَجْمَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا » .

أما ابن قتبية فيقول :

قالوا : فاستخار الله معاوية ، وأعرض عن ذكر البيعة ، حتى قدم المدينة سنة خمسين ، فتلقاء الناس ، فلما استقرّ في منزله أرسل إلى عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وأمر حاجبه ألا يأذن لأحد من الناس حتى يخرج هؤلاء النفر ، فلما جلسوا تكلم معاوية فقال :

۲۳۶ - خطبة معاوية

« الحمد لله الذي أمرنا بحمده ، ووعدنا عليه ثوابه ، ونحمدُه كثيراً ، كما أنعم علينا كثيراً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد : فإني قد كبر سنِّي ، وَوَهَنَ عَظْمِي ، وَقَرُبَ أَجْلِي ، وَأَوْشَكَتُ أَنْ أُدْعَى فَأُجِيبُ ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَسْتَخْلَفَ عَلَيْكُمْ بَعْدِي يَزِيدُ ، وَرَأَيْتُهُ لَكُمْ رِضًا ، وَأَنْتُمْ عِبَادَةٌ لِقُرَيْشٍ وَخِيَارُهَا وَأَبْنَاءُ خِيَارِهَا ، وَلَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أُحْضِرَ حَسَنًا وَحُسَيْنًا إِلَّا أَنْهَمَا أَوْلَادَ أَبِيهِمَا ، عَلَى حُسْنِ رَأْيِي فِيهِمَا ، وَشَدِيدِ مَحَبَّتِي لَهَا ، فَرُدُّوا عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ خَيْرًا ، بِرَحْمَتِ اللَّهِ » .

۲۳۷ - خطبة عبد الله بن عباس

فتكلم عبد الله بن عباس فقال :

« الحمد لله الذي أَلْهَمَنَا أَنْ نَحْمَدَهُ ، وَاسْتَوْجِبَ عَلَيْنَا الشُّكْرَ عَلَى آلَائِهِ ، وَحُسْنَ بَلَائِهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ . أَمَا بَعْدُ : فَإِنَّكَ قَدْ تَكَلَّمْتَ فَأَنْصِتْنَا . وَقَاتَ فَسَمِعْنَا ، وَإِنْ اللَّهُ جَل ثناؤُهُ ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ ، اخْتَارَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرِسَالَتِهِ ، وَاخْتَارَهُ لَوْحِيهِ ، وَشَرَّفَهُ عَلَى خَلْقِهِ ، فَأَشْرَفُ النَّاسِ مَنْ تَشَرَّفَ بِهِ ، وَأَوْلَاهُمْ بِالْأَمْرِ أَخْصَهُمْ بِهِ ، وَإِنَّمَا عَلَى الْأُمَّةِ التَّسْلِيمُ لِنَبِيِّهَا إِذْ اخْتَارَهُ اللَّهُ لَهَا ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا اخْتَارَ مُحَمَّدًا بِعِلْمِهِ ، وَهُوَ الْعَالِمُ الْخَبِيرُ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ . »

۲۳۸ - خطبة عبد الله بن جعفر

فقام عبد الله بن جعفر فقال :

« الحمد لله أهل الحمد ومُنْتَهَاهُ ، نَحْمَدُهُ عَلَى إِلهَامِنَا حَمْدَهُ ، وَنَرْغِبُ إِلَيْهِ فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاحِدًا صَمَدًا^(۱) ، لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . أَمَا بَعْدُ : فَإِنَّ هَذِهِ الْخِلَافَةَ إِنْ أَخَذَ فِيهَا بِالْقُرْآنِ : فَ« أُولُو الْأَرْحَامِ بِمَعْزُمِهِمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ » وَإِنْ أَخَذَ فِيهَا بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ، فَأُولُو رَسُولِ اللَّهِ ، وَإِنْ أَخَذَ بِسُنَّةِ الشَّيْخَيْنِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، فَأَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ وَأَكْلُ وَأَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ آلِ الرَّسُولِ ؟ وَإِمُّ اللَّهِ لَوْ وَلَّوْهُ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ ، لَوَضَعُوا الْأَمْرَ مَوْضِعَهُ ، لِحَقِّهِ وَصِدْقِهِ ، وَلَا تُطِيعُ اللَّهُ ، وَعُصِيَ الشَّيْطَانُ ، وَمَا اخْتَلَفَ فِي الْأُمَّةِ سَيْفَانُ ، فَاتَّقِ اللَّهَ يَا مَعَاوِيَةَ ، فَإِنَّكَ قَدْ صَرْتَ رَاعِيًا وَنَحْنُ رَعِيَةٌ ، فَانظُرْ لِرَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّكَ مَسْمُومٌ عَنْهَا غَدًا ،

(۱) الصمد : السيد لأنه يصمد إليه في الحوائج : أي يقصد ، صمده من باب نصر : قصده .

وأما ما ذكرت من ابني عمي ، وتركك أن تُحْضِرَهما ، فوالله ما أصبت الحق ، ولا يجوز لك ذلك إلا بهما ، وإنك لتعلم أنهما معدت العلم والكرم ، فقل أودع ، واستغفر الله لي ولكم .

۲۳۹ - خطبة عبد الله بن الزبير

فتكلم عبد الله بن الزبير فقال :

« الحمد لله الذي عرفنا دينه ، وأكرمنا برسوله ، أحمدته على ما أبلى وأولى ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ؛ أما بعد : فإن هذه الخلافة لقريش خاصة ، تناولها بماثرها السنية ، وأفعالها المرضية ، مع شرف الآباء ، وكرم الأبناء ، فأتق الله يا معاوية ، وأنصف من نفسك ، فإن هذا عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا عبد الله بن جعفر ذي الجناحين ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا عبد الله بن الزبير ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلي خلف حسناً وحسيناً ، وأنت تعلم من هما ، وما هما ، فأتق الله يا معاوية ، وأنت الحاكم بيننا وبين نفسك . »

۲۴۰ - خطبة عبد الله بن عمر (المتوفى سنة ۷۴ هـ)

فتكلم عبد الله بن عمر فقال :

الحمد لله الذي أكرمنا بدينه ، وشرّفنا بنبيه صلى الله عليه وسلم ؛ أما بعد : فإن هذه الخلافة ليست بهرقلية ، ولا قيصرية ، ولا كسروية ، يتوارثها الأبناء عن الآباء ، ولو كان كذلك كنت القائم بها بعد أبي ، فوالله ما أدخلني مع الستة من أصحاب الشورى ، إلا على أن الخلافة ليست شرطاً مشروطاً ، وإنما هي في قريش خاصة ، لمن كان لها أهلاً ، ممن ارتضاه المسلمون لأنفسهم ، من كان أتقى وأرضى ، فإن كنت تريد الفتيان من قريش ، فاعمرى إن يزيد من فتيانها ، واعلم أنه لا يُغني عنك من الله شيئاً .

۲۴۱ - خطبة معاوية

فتكلم معاوية فقال :

« قد قلتُ وقلمُ ، وإِنَّه قد ذهبت الآباءُ وبقيت الأبناء ، فابني أحبُّ إليَّ من أبنائهم ، مع أن ابني إن قارلتموه ^(۱) وجد مقالا ، وإِنما كَانَ هذا الأمرُ لبني عبد مَناف ، لأنهم أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلى الناسُ أبا بكر وعمر ، من غير معدن الملك ولا الخلافة ، غير أنهما سارا بسيرة جميلة ، ثم رجع الملك إلى بني عبد مَناف ، فلا يزال فيهم إلى يوم القيامة ، وقد أخرجك الله يا بن الزبير وأنت يا بن عمر منها . فأما ابنا عمي هذان فليسا بخارجين من الرأي إن شاء الله ، ثم أمر بالرحلة وأعرض عن ذكر البيعة ليزيد ، ولم يقطع عنهم شيئا من صلواتهم وأعطياتهم ^(۲) ، ثم انصرف راجعا إلى الشام ، وسكت عن البيعة ، فلم يعرض لها إلى سنة إحدى وخمسين .

* * *

قال ابن قتيبة : ثم لم يلبث معاوية بعد وفاة الحسن رحمه الله (سنة ۵۱) إلا يسيرا حتى بايع ليزيد بالشام ، وكتب ببيعته إلى الآفاق ، وكان عامله على المدينة مروان بن الحكم فكتب إليه بذلك ، وأمره أن يجمع من قبله من قريش وغيرهم من أهل المدينة ، ثم يبايعوا ليزيد ، فلما قرأ كتاب معاوية أبي من ذلك وأبته قريش ، وكتب إلى معاوية : إن قومك قد أبوا إجابتك إلى بيعتك ابنتك ، فأرني رأيك ، فكتب إليه بأمره أن يعتزل عمله ، ويخبره أنه قد وتى المدينة سعيد بن العاص ، فخرج مروان مغاضبا في أهل بيته وأخواله من بني كنانة حتى أتى دمشق ، ودخل على معاوية ، فلم عليه بالخلافة ، ثم قال :

(۱) قاول : فاهل من القول ، كجاءت وخطاب وكالم . (۲) أعطيات : جمع أعطية ، وهو جمع عطاء .

۲۴۲ - خطبة مروان بن الحكم

« إن الله عظيمٌ خطَرُهُ ، لا يُقَدِرُ ^(۱) قَادِرٌ قَدْرَهُ ، خَلَقَ مِنْ خَلْقِهِ عِبَادًا ، جَعَلَهُمْ لِدَعَائِهِمْ دِينَهُ أَوْ تَادًا . هُمْ رُقَبَاؤُهُ عَلَى الْبِلَادِ ، وَخَلَفَاؤُهُ عَلَى الْعِبَادِ ، أَسْفَرَ ^(۲) بِهِمُ الظُّلْمَ ، وَأَلْفَ بِهِمُ الدِّينَ ، وَشَدَّدَ بِهِمُ الْيَقِينَ ، وَمَنَحَ بِهِمُ الظُّفَرَ ، وَوَضَعَ بِهِمُ مِنْ اسْتِكْبَارِهِ ، فَكَانَ مَنْ قَبْلَكَ مِنْ خَلَفَائِنَا ، يَعْرِفُونَ ذَلِكَ فِي سَالِفِ زَمَانِنَا ، وَكَانُوا نَكُونُ لَهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ إِخْوَانًا ، وَعَلَى مَنْ خَالَفَ عَنْهَا أَعْوَانًا ، بُشِدُّ بِنَا الْعَمُودُ ، وَيُقَامُ بِنَا الْأَوْدُ ، وَنُسْتَشَارُ فِي الْقَضِيَّةِ ، وَنُسْتَأْمَرُ ^(۳) فِي أَمْرِ الرِّعْيَةِ ، وَقَدْ أَصْبَحْنَا الْيَوْمَ فِي أُمُورٍ مُسْتَحِيرَةٍ ^(۴) ، ذَاتَ وَجْوهٍ مُسْتَدِيرَةٍ ، تَفْتَحُ بِأَزْمَةِ الضَّلَالِ ، وَتُحْلِسُ ^(۵) بِأَسْوَأِ الرِّجَالِ ، بُوَيْكَلُ جَزُورِهَا ^(۶) ، وَتَمْتَقُ ^(۷) أَحْلَابُهَا ، فَمَالْنَا لَانِسْتَأْمَرَ فِي رِضَائِهَا ، وَنَحْنُ فِطَامُهَا وَأَوْلَادُ فِطَامِهَا ، وَأَيْمُ اللهُ لَوْلَا هَهُودٌ مُوَكَّدَةٌ ، وَمَوَاتِيقٌ مُعَقَّدَةٌ ^(۸) ، لَأَقَمْتُ أَوْدَ وَآيَهَا ، فَأَقَمَ الْأَمْرَ بَيْنَ أَبِي سَفْيَانَ ، وَاعْدَلَ عَنِ تَأْمِيرِ الصَّبِيَّانِ ، وَأَعْلَمَ أَنَّ لَكَ فِي قَوْمِكَ نُظْرَاءَ ، وَأَنَّ لَهُمْ عَلَى مَنَاوَأَتِكَ وَزَرَءَ . »

فغضب معاوية من كلامه غضباً شديداً ، ثم كظم غيظه بحلمه ، وأخذ بيد مروان ،

ثم قال :

- (۱) قدره من باي نصر وضرب وقدره تقديراً : عظمه ، قال تعالى : « وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ »
 أي ما عظموه حق تعظيمه . (۲) سفر الصبح وأسفر : أضاء وأشرق ، أو هو متعد من سفرت الحرب أي وات ، وسفرت المرأة كشفت عن وجهها ، فالمعنى كشف بهم الظلم . (۳) الاستئثار : المشاورة .
 (۴) في الأصل « مستخيرة » أي مستخير صاحبها ، من استخار الله في أمره : طلب أن يجعل له فيه الخير ، وأرى أنها « مستحيرة » بالحاء : أي مستحير صاحبها أي متحير ، من استحار : إذا نظر إلى الشيء ، فغشى عليه ولم يهتد لسبيله ، ويؤيد هذا قوله بعد « ذات وجوه مستديرة » أي مستفلقة مبهمة ايست مستقيمة .
 (۵) جلس البعير كضربه : فشاء بجلس (بكسر الحاء) وهو كسأه على ظهر البعير تحت البرذعة « وفي الأصل » وتجلس بأسوأ الرجال « بيمين وهو تصحيف » . (۶) الجزور : البعير ، أو خاص بالناقة المجزورة . (۷) امتق الفصيل ما في الضرع شربه كله ، والأحلاب جمع حلب (بفتح التين) وهو اللبن المحلوب .
 (۸) اسم مفعول من عقد بالتشديد مضعف عقد الحبل والبيع والمهد : إذا شده .

٢٤٣ - خطبة معاوية

« إن الله قد جعل لكل نبي أضلاً ، وجعل لكل خير أهلاً ، ثم جعلك في الكرم مني محتجداً^(١) ، والعز بزمي والدأ ، اختيرت من قرؤم^(٢) قادة ، ثم استقلت سيّد سادة ، فأنت ابن يبايع الكرم ، فمرّ حباً بك وأهلاً من ابن عم ، ذكرت خلفاء مفقودين ، شهداء صديقين ، كانوا كما نعت ، وكنت لهم كما ذكرت ، وقد أصبحنا في أمور مستحيرة ، ذات وجوه مستديرة ، وبك والله يا ابن العم نرجو استقامة أودها ، وذلولة^(٣) صعوبتها ، وسفور ظلمتها ، حتى يتطأطأ^(٤) جسيمها ، وبركبك عظيماً ، فأنت نظير أمير المؤمنين ، وعدته في كل شديدة وعضده ، والثاني بعد ولي عهده ، فقد وليتكم قومك ، وأعظمت في الخراج سهمك ، وأنا مجيز وفدك ، ومحسن رfidك^(٥) ، وعلى أمير المؤمنين غناك ، والنزول عند رضاك^(٦) . »

٢٤٤ - مروان وعبد الرحمن بن أبي بكر

وروى أن مروان لما ورد عليه كتاب معاوية ، قرأه على أهل المدينة وقال :
« إن أمير المؤمنين قد كبر سنه ، وذق عظمه ، وقد خاف أن يأتيه أمر الله تعالى ، فيدع الناس كالنعم لاراعى لها ، وقد أحب أن يُعَلِّمَ علماً ، ويقيم إماماً ، فقالوا : وفق الله أمير المؤمنين وسدده ، ليفعل ، فكتب بذلك إلى معاوية ، فكتب إليه أن سمّ يزيد ،

(١) المحتد: الأصل . (٢) جمع قرم بالفتح : وهو السيد . (٣) هكذا في الأصل ، وفي كتب اللغة : « الذل بالكسر والضم اللين وهو ضد الصعوبة ، ذل فهو ذلول ، يسكون في الإنسان والداية . »
(٤) طأطأ رأسه : خفضه فتطأطأ . (٥) الرقد : العطاء والصلة . (٦) قال المسعودي :
« وجعله ولي عهد يزيد : وردّه إلى المدينة ، ثم إنه عزله عنها ، وولاه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، ولم يف لمروان بما جعل له من ولاية عهد يزيد ، وقال ابن قتيبة : « فكان أول مارزق ألف دينار في كل هلال ، وفرض له في أهل بيته مائة مائة . »

فقرأ الكتاب عليهم وسمى يزيد ، وخطبهم فخصمهم على الطاعة ، وحذرهم الفتنة ، ودعاهم إلى بيعة يزيد وقال : سنة أبي بكر الهادية المهدية ، فقام عبد الرحمن بن أبي بكر ، فقال : « كذبت والله يا مروان ، وكذب معاوية معك ، إن أبا بكر ترك الأهل والعشيرة ، وبايع لرجل من بني عدي رضي دينه وأمانته ، واختاره لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، لا يكون ذلك ، لا تحدثوا علينا سنة الروم ، كما مات هرقل قام مكانه هرقل ، فقال مروان : « أيها الناس : إن هذا المتكلم هو الذي أنزل الله فيه : « وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَفِ لَسَمَا أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي ^(۱) » ، فقال له عبد الرحمن :

(۱) أخرج : أبعث ، قال صاحب الأمالي : « فسمعت ذلك عائشة رضي الله عنها فقالت : ألا ين الصديق يقول هذا ؟ استروني فستروها ، فقالت : كذبت والله يا مروان إن ذلك لرجل معروف نسبه » ، وقال المفسرون في هذه الآية : « والمراد (بالذي قال) الجنس القائل ذلك القول ، وعن الحسن : هو في الكافر العاق لوالديه ، المكذب بالبعث ، وعن قتادة : نعت عبد سوء : عاق لوالديه ، فاجر لربه ، وقيل نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه ، وقد دعاه أبوه أبو بكر وأمه أم رومان إلى الإسلام ، فأفف بها ، وقال : ابعثوا إلى جدعان بن عمرو ، وعثمان بن عمرو - وهما من أجداده - حتى أسألها عما يقول محمد ، ويشهد ببطلانه أن المراد بالذي قال جنس القائلين ذلك ، وأن قوله : « الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ » هم أصحاب النار ، وعبد الرحمن كان من أفاضل المسلمين وسرواتهم . وعن عائشة رضي الله عنها إنكار نزولها فيه ، وحين كتب معاوية إلى مروان أن يبايع الناس ليزيد ، قال عبد الرحمن : لقد جئتم بها هرطقة ، أتبايعون لأبنائكم ؟ فقال مروان : يا أيها الناس هو الذي قال الله فيه « والذي قال لوالديه . . . الآية » فسمعت عائشة فغضبت ، وقالت : « والله ما هو به ، ولو شئت أن أسميه لسميته ، أما أنت يا مروان ، فأشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أبائك وأنت في صلبه ، فأنت فضض من لعنة الله » .
(وقولها فضض كجيل ويروي كعق وخراب أي قطعة منها) .

وجاء في السيرة الحلبية (۱ : ۲ : ۳) : « من الواقدي ، استأذن الحكم بن أبي العاص على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرف صوته ، فقال : « انذروا له لعنة الله ومن يخرج من صلبه إلا المؤمنين منهم - وقليل منهم - ذور مكر وخديعة ، يعطون الدنيا ، وما لهم في الآخرة من خلاق » ، وكان لا يواد لأحد واد بالمدينة إلا أتى به النبي صلى الله عليه وسلم ، فأتى إليه بمروان لما ولد ، فقال : « هو الوزغ بن الوزغ ، الملعون بن الملعون » وعن جبير بن مطعم : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فر الحكم بن أبي العاص ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ويل لأمتي بما في صلب هذا » .

« یابن الزرقاء ^(۱) ، أفینا تتأول القرآن ؟ » وتکلم الحسین بن علی وعبد الله بن الزبیر ،
وعبد الله بن عمر ، وأنکروا بیعة یزید ، وتفرق الناس ، فکتب مروان إلى معاویة بذلك .
قال ابن قتیبة : فقدم معاویة المدينة حاجاً ، ثم أرسل إلى الحسین بن علی وعبد الله
ابن عباس فحضرا ، وابتدأ معاویة فقال :

۲۴۵ - خطبة معاویة

« أما بعد : فالحمد لله ولیّ النعم ، ومُنزل النقم ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، المتعالی عما
يقول الملحدون علواً كبيراً ، وأن محمداً عبده المختص المبعوث إلى الجن والإنس كافة ،
لینذرهم بقرآن : « لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ » ،
فأدى عن الله ، وَصَدَعَ ^(۲) بأمره ، وصبر على الأذى في جنبه ، حتى أوضح دين الله ،
وأعزّ أولياءه ، وقمع المشركين ، وظهر أمر الله وهم كارهون ، ففضى صلوات الله عليه ،
وقد ترك من الدنيا ما بذل له ، واختار منها الترك لما سُخِّرَ له ، زهادة واختياراً لله ، وأنفة
واقتراراً على الصبر ، وبغياً لما يدوم ويبقى ، وهذه صفة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم
خلفه رجالان محفوظان ، وثالث مشكوك ، وبين ذلك خووض طالما عالجناه ، مشاهدة

وجاء في أسد الغابة في ترجمته : « ذكره عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، في هجائه لعبد الرحمن
ابن الحكم ، فقال :

إن اللعين أبوك فارم عظامه إن ترم ترم مخلجاً مجنوناً

وقد روى في لعنة ونفيه أحاديث كثيرة لاجابة إلى ذكرها ، إلا أن الأمر المقطوع به أن النبي صلى الله
عليه وسلم ، مع حلمه وإفضائه على ما يكره ، ما فعل به ذلك إلا لأمر عظيم ، وجاء في الفخرى ص ۱۰۸
« ورويت أحاديث وأخبار في لعنة الحكم بن أبي العاص ، ولعنة من في صلبه ، وضدها قوم » .

(۱) في الفخرى ص ۱۰۸ « وكان من أراد دم مروان وعبيه يقول له يابن الزرقاء « قالوا : وكانت
الزرقاء جدتهم من ذوات الرايات التي يستدل بها على بيوت البغايا في الجاهلية ، فلذلك كانوا يدمون بها » .

(۲) قوله تعالى : « فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ » أي شق جماعاتهم ، بالتوحيد أو اجهر بالقرآن ، أو أظهر
أو احكم بالحق وانصل بالأمر ، أو اتصد بما تؤمر ، أو افرق به بين الحق والباطل .

وَمَكَافَهَةً ، وَمَعَايِنَةً وَسَمَاعًا ، وَمَا أَعْلَمُ مِنْهُ فَوْقَ مَا تَعْلَمَانِ ، وَقَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِ يَزِيدَ مَا سَبَقْتُمْ
إِلَيْهِ وَإِلَى نَجْوِيزِهِ ، وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ مَا أَحْوَلُ بِهِ مِنْ أَمْرِ الرَّعِيَّةِ ، مِنْ سَدِّ الْخَلَلِ ، وَلَمْ يَصْدَعْ
بِوَلَايَةِ يَزِيدَ ، بِمَا أَيْقَظَ الْعَيْنَ ، وَأُحْمَدَ الْفِعْلَ ، هَذَا مَعْنَايَ فِي يَزِيدَ ، وَفِيكَافَاةٍ الْقَرَابَةِ ،
وَحِظْوَةِ الْعِلْمِ ، وَكَالِ الْمُرُوءَةِ ، وَقَدْ أَصَبْتُ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَ يَزِيدَ عَلَى الْمَنَظَرَةِ وَالْمَقَابَلَةِ ،
مَا أَعْيَانِي مِثْلَهُ عِنْدَكَ ، وَعِنْدَ غَيْرِكَ ، مَعَ عَلَيْهِ بِالسَّنَةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، وَالْحِلْمِ الَّذِي يَرْجَحُ
بِالصَّمِّ ^(۱) الصَّلَابِ ، وَقَدْ عَلِمْتُمَا أَنَّ الرَّسُولَ الْمَحْفُوظَ بِمِصْرَةِ الرِّسَالَةِ ، قَدَّمَ عَلَى الصَّدِيقِ
وَالْفَارُوقِ ، وَمَنْ دُونَهُمَا مِنْ أَكْبَرِ الصَّحَابَةِ ، وَأَوَائِلِ الْمُهَاجِرِينَ ، يَوْمَ غَزْوَةِ ذَاتِ
السَّلَاسِلِ ^(۲) ، مَنْ لَمْ يَقَارِبِ الْقَوْمَ ، وَلَمْ يَمَانِدْهُمْ ^(۳) ، بِرَتْبَةٍ فِي قَرَابَةِ مَوْصُولَةٍ ، وَلَا سُنَّةِ
مَدْكُورَةٍ ، فَقَادَهُمُ الرَّجُلُ بِأَمْرِهِ ، وَجَمَعَ بِهِمْ صَلَاتَهُمْ ، وَحَفِظَ عَلَيْهِمْ فَيْئَهُمْ ، وَقَالَ وَلَمْ
يُقَلِّمْ مَعَهُ ، وَفِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ، فَمَهْلًا بَنِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، فَإِنَا
وَأَنْتُمْ شَعْبًا نَفَعٌ وَجِدٌّ ، وَمَا زِلْتُمْ أَرْجُو الْإِنصَافَ فِي اجْتِمَاعِكُمْ ، فَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ إِلَّا
بِفَضْلِ قَوْلِكُمْ ، فَرُدُّوا عَلَيَّ ذِي رَحِمٍ مُسْتَعْتَبٍ ، مَا يَحْمَدُ بِهِ الْبَصِيرَةَ فِي عِتَابِكُمْ ، وَأَسْتَغْفِرُ
اللَّهَ لِي وَاسْكَا .

فَتَيْسَّرُ ابْنُ عَبَّاسٍ لِلْكَلَامِ ، وَتَنْصِبُ يَدَهُ لِلْمَخَاطَبَةِ ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ الْحُسَيْنُ وَقَالَ : عَلَى
رِسَالَتِكَ ، فَأَنَا الْمُرَادُ ، وَنَصِيبِي فِي النَّهْمَةِ أَوْفَرُ ، فَأَمْسَكَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، فَقَامَ الْحُسَيْنُ :

(۱) الصم جمع أصم : وهو الحجر الصلب المصمت . (۲) غزوة ذات السلاسل ، وهي وراة وادي
القرى من أرض بني عذرة ؛ غزاها سرية عمرو بن العاص سنة ثمان للهجرة ، وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعثه يستنفر العرب إلى الشام ، فلما كان على ماء بأرض جذام ، يقال له السلسل - وبذلك سميت تلك الغزوة
غزوة ذات السلاسل - خاف فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده ، فبعث إليه رسول الله أبا عبيدة
ابن الجراح في المهاجرين الأولين ، فيهم أبو بكر وعمر ، وقال لأبي عبيدة حين وجهه : لا تختلفا ، فخرج
أبو عبيدة ، حتى إذا قدم عليه ، قال له عمرو : إنما جئت مددًا لي ، قال أبو عبيدة : لا ، ولست أرى على ما أنا
عليه ، وأنت على ما أنت عليه - وكان أبو عبيدة رجلاً ليناً سهلاً ، هينا عليه أمر الدنيا - فقال له عمرو : بل
أنت مدد لي ، فقال له أبو عبيدة : يا عمرو ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي : لا تختلفا ، وإنك إن
مصيبتني أظعتك ، قال : فإني الأمير عليك ، وأنت مدد لي ، قال : فدرفك . فصل عمرو بالناس .
(۳) المعاندة : المفارقة ، أي ولم يمتاز عليهم برتبة .

۲۴۶ - خطبة الحسين

فحمد الله ، وصلى على الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

« أما بعد يا معاوية ، فلن يُؤدِّيَ القاتلُ - وإن أطنَبَ - في صفة الرسول صلى الله عليه وسلم من جميعِ جزءها ، قد فهمتُ ما ألبستُ^(۱) به الخلفَ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من إيجاز الصفة ، والقنكب عن استبلاغ البيعة ، وهيهات هيهات يا معاوية ! فضح الصبحُ فحمة الدُحى ، وَهَرَّتْ^(۲) الشمسُ أنوارَ الشُّرُجِ ، ولقد فضلتَ حتى أفرطتَ ، واستأثرتَ حتى أجبحتَ ، ومنعتَ حتى بنحتَ ، وَجَرَّتْ حتى جاوزتَ ، ما بذاتَ لذي حقٍّ من أتمَّ حقه بنصيبٍ ، حتى أخذَ الشيطانُ حظَّهُ الأوفرَ ، ونصيبه الأكلَ ، وفهمتَ ما ذكرته عن يزيد ، من اكتماله وسياسة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، تريد أن توم الناسَ في يزيد ، كأنك تصف محجوباً ، أو تنعت غائباً ، أو تُخبر عما كان مما احتويتهُ بعلم خاصٍّ ، وقد دلَّ يزيدُ من نفسه على موقع رأيه ، فخذ يزيدَ فيما أخذَ به من استقرائه^(۳) الكلابَ المهارشة^(۴) عند التمحارش ، والحمامَ الشَّبَقَ لأتراسين^(۵) ، وَالْقَيْنَاتِ ذواتِ المعازفِ ، وضروبِ الملاهي ، تجذوه ناصراً ، ودع عنك ما تحاول ، فما أغناكَ أن تلقى الله بوزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقيه ، فوالله ما برحتَ تقدِّم باطلاً في جورٍ ، وَحَنَقاً في ظلمٍ ، حتى ملأتَ الأستقييةَ ، وما بينك وبين الموتِ إلا غمضةٌ ، فتقدِّم على عمل محفوظٍ . في يوم مشهود ، ولات حين مناصٍ ، ورأيتُكَ عَرَّضتَ بنا بعد هذا الأمر ، وَمَنَعْتَنَا عن آباءنا تراثاً ، ولقد - امرُ الله - أورثنا الرسول عليه الصلاة والسلام

(۱) ألبس : غطاء . (۲) يقال بهر القمر كنع : غلب ضوءه ضوء الكواكب ، والمرج جمع سراج : وهو المصباح . (۳) استقرأه الأشياء : تتبع أفرادها . (۴) المهارشة : تحريش بعضها على بعض . (۵) جمع قينة : وهي الجارية المغنية أو أعم ، والمعازف : الآلات التي يضرب بها كالعود ، جمع معزف كقنبر .

ولادة ، وجئت لنا بما حَجَجْتُمْ به القائمَ عند موت الرسول عليه الصلاة والسلام ، فأذعن للحجة بذلك ، وردّه الإيمان إلى النصف ، فركبتم الأغاليلَ ، وفعلتم الأفاعيلَ ، وقتلتم كان ويكون ، حتى أتاك الأمر يا معاويةُ ، من طريقٍ كان قصدها لغيرك ، فوَنَاكَ^(۱) ، فاعتبروا يا أولى الأبصار ، وذكّرتَ قِيَادَةَ الرجلِ القَوْمَ بهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتأميره له ، وقد كان ذلك ، ولعمرو بن العاص يومئذ فضيلةٌ ، بِصُحْبَةِ الرسول وبيعته له وما صار لعمرٍ ويومئذٍ حتى أنفَ القومِ إمرته ، وكرهوا تقديمه وَعَدُّوا عليه أفعاله ، فقال صلى الله عليه وسلم : « لا جَرَمَ^(۲) معشر المهاجرين ، لا يعمل عليكم بعد اليوم غيري » . فكيف يُحْتَجَجُ بالنسوخ من فعل الرسول ، في أؤكد الأحوال ، وأرلاها بالجمتمع عليه من الصواب ؟ أم كيف صاحبت بصاحبٍ تابعاً ، وحولك من لا يؤمن في صحبته ، ولا يعتمد في دينه وقرابته ، وتمخطام إلى مُسْرِفٍ مَفْتُونٍ ؟ تريد أن تلبس الناس شبهةً ، يَسْعُدُ بها الباقي في دنياه ، وتَشْقَى بها في آخرتك ، إن هذا هو الخسران المبين ، وأستغفر الله لي ولكم .

فنظر معاوية إلى ابن عباس ، فقال : ما هذا يا ابن عباس ، ولما عندك أذهى وأمر ! فقال ابن عباس : لعمرُ الله ، إنها لذرية الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأحد أصحاب الكساء^(۳) ، ومن البيت المطهر ، قاله عما تريد ، فإن لك في الناس مَقْنَعًا ، حتى يحكم الله بأمره ، وهو خير الحاكمين ، فقال معاوية : أَعُوذُ^(۴) الحليم التحلم ، وخيرُه التحلم عن الأهل . انصرفا في حفظ الله .

ثم أرسل معاوية إلى عبد الرحمن بن أبي بكر ، وإلى عبد الله بن عمر ، وإلى عبد الله ابن الزبير ، فجلسوا .

(۱) مسهل من هنا ، يقال هنا الطعام : إذا ساغ ولد ، أي فهينا لك ماثلت من الخلافة .

(۲) لا جرم : قال الفراء « هي كلمة كانت في الأصل بمنزلة لا بد ولا محالة ، فجرت على ذلك وكثرت حتى تحولت إلى معنى القسم ، وصارت بمنزلة حقا ، فلذلك يجاب عنها باللام كما يجاب بها عن القسم ، ألا تراهم يقولون : « لا جرم لأتيناك » .

(۳) انظر ص ۳۲ . (۴) أعوذ : أنفع ، والعائدة : المنفعة .

۲۴۷ - خطبة معاوية

حمد الله ، وأثنى عليه معاوية ، ثم قال :

« يا عبد الله بن عمر : قد كنت تحذرننا أنك لا تحب أن تبيت ليلة وليس في عنقك بيعة جماعة ، وأن لك الدنيا وما فيها . وإني أحذرك أن تشق عصا المسلمين ، وتسعى في تفریق مملكتهم^(۱) ، وأن تسفك دماءهم ، وإن أمر يزيد قد كان قضاء من القضاء ، وليس لعباد خيرة من أمرهم ، وقد وكّد الناس بيعتهم في أعناقهم . وأعطوا على ذلك عهدهم موثيقهم » . ثم سكت .

۲۴۸ - خطبة عبد الله بن عمر

فتكلم عبد الله بن عمر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد : يا معاوية ، لقد كان قبلك خلفاء ، وكان لهم بنون ، ليس ابنك بخير من أبنائهم ، فلم يرؤا في أبنائهم ما رأيت في ابنك ، فلم يحبوا في هذا الأمر أحدا ، ولكن اختاروا لهذه الأمة حيث علموم ، وأنت تحذرنني أن أشق عصا المسلمين ، وأفرق ملام ، وأسفك دماءهم ، ولم أكن لأفعل ذلك إن شاء الله ، ولكن إن استقام الناس ، فسأدخل في صالح ما تدخل فيه أمة محمد » .

فقال معاوية : برحمتك الله ، ليس عندك خلاف ، ثم قال معاوية لعبد الرحمن ابن أبي بكر نحو ما قاله لعبد الله بن عمر ، فقال له عبد الرحمن : إنك والله لو ددنا أن نكلك إلى الله فيما جئرت عليه من أمر يزيد ، والذي نفسي بيده لتجعلننا شورى ، أو لأعيدننا جذعة ، ثم قام ليخرج ، فتعلق معاوية بطرف رداءه ، ثم قال : هل رسلتك

(۱) اللأ : الجماعة .

(۱۷ - جمهرة خطب العرب - ثامن)

اللهم اكفنيه بما شئت ، لا تظهرن لأهل الشام ، فإني أخشى عليك منهم ، ثم قال لابن الزبير نحو ما قاله لابن عمر ، ثم قال له : أنت ثعلب رَوَّاع ، كلما خرجت من جُحْر ابجَحَرْت^(۱) في آخر ، أنت ألَبْت^(۲) هذين الرجلين ، وأخرجتهما إلى ما خرجا إليه . فقال ابن الزبير : أتريد أن تباع ليزيد ؟ أرأيت إن بايعناه أبكما نطيع ؟ أنطيعك أم نطيعه ، إن كنت ملأت الخلافة فأخرج منها ، وباع ليزيد ، ففحن نبيعه ، فكثرت كلامه وكلام ابن الزبير ، حتى قال له معاوية في بعض كلامه : والله ما أراك إلا قاتلاً نفسك ، وآكأى بك قد تخبطت في الحباله . ثم أمرهم بالانصراف ، واحتجب عن الناس ثلاثة أيام لا يخرج ، ثم خرج فأمر المنادي أن ينادي في الناس ، أن يجتمعوا لأمر جامع فاجتمع الناس في المسجد ، وقعد هؤلاء حول المنبر .

۲۴۹ — خطبة معاوية

فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم ذكر يزيدَ وفضله وقراءته للقرآن ، ثم قال : « يا أهل المدينة ، لقد هممتُ ببيعة يزيد ، وما تركتُ قرية ولا مدرة^(۳) إلا بعثتُ إليها ببيعته ، فباع الناس جميعاً وسلموا ، وأخرتُ المدينة ببيعته ، وقلتُ : بِيَضْتُهُ^(۴) ، وأصله ومن لا أخافهم عليه ، وكان الذين أبوا البيعة ، منهم من كان أجدر أن يعاله . ووالله لو علمتُ مكان أحد هو خير للمسلمين من يزيد لبايعت له » .

فقام الحسين فقال : « والله لقد تركتُ مَنْ هو خيرٌ منه أباً وأماً ونفساً ! فقال معاوية « كأنك تريد نفسك ؟ » فقال الحسين : « نعم . أصلحك الله » ! فقال معاوية : « إذن أخبرك ، أما قولك : خيرٌ منه أما ، فلعمرى أمك خيرٌ من أمه ، ولو لم يكن إلا أنها امرأة من قريش ، لكان نساء قريش أفضلهن . فكيف وهي ابنة رسول الله صلى

(۱) أي دخلت ، جحر الضب كنع : دخل الجحر ، وجحر فلان الضب : أدخله فيه ، فانجحر .

(۲) التأيب : التحريض والإفساد . (۳) المدرة : المدينة . (۴) جماعته وأصله .

الله عليه وسلم ثم قاطمة في دينها وسابقتها ؟ فأملك لعمر الله خير من أمه^(۱) . وأما أبوك فقد حاكم أباه إلى الله ، ففضى لأبيه على أبيك » . فقال الحسين : « حَسْبُكَ جَهَنَّمُكَ . آثَرَتِ العَاجِلَ عَلَى الآجِلِ » . فقال معاوية : « وأما ما ذكرت من أنك خير من يزيد نفساً ، فيزيدُ والله خير لأمة محمد منك » . فقال الحسين : « هذا هو الإفك والزور ! يزيدُ شاربُ الخمر . ومشتريُ الله وخيرٌ مني ! » فقال معاوية : « مهلاً عن شتم ابن عمك . فإنك لو ذكرت عنده بسوء لم يَشْتُمَكَ » ، ثم التفت معاوية إلى الناس . وقال : « أيها الناس : قد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَبِيضٌ ولم يستخلف أحداً ، فرأى المسلمون أن يستخلفوا أبا بكر ، وكانت بيعته بيعةً هُدًى ، فعمل بكتاب الله وسنة نبيه ، فلما حضرته الوفاة رأى أن يستخلف عمر ، فعمل عمر بكتاب الله وسنة نبيه ، فلما حضرته الوفاة رأى أن يجعلها شورى بين ستة نفر اختارهم من المسلمين ، فصنع أبو بكر ما لم يصنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصنع عمر ما لم يصنعه أبو بكر ، كل ذلك يصنعونه نظراً للمسلمين ، فلذلك رأيت أن أبايع ليزيد ، لما وقع الناس فيه من الاختلاف . ونظراً لهم بعين الإنصاف » .

* * *

وروى من طريق آخر : أن معاوية لما خرج إلى المدينة ودنا منها ، استقبله أهلها ، فيهم : عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، والحسين بن علي ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ؛ فأقبل على عبد الرحمن بن أبي بكر ، فسبّه وقال : « لا مرحباً بك ولا أهلاً » ؛ فلما دخل الحسين عليه قال : « لا مرحباً بك ولا أهلاً ، بَدَنَةٌ^(۲) يترفرق دَمُها والله مُهَرِّيقُه » ؛ فلما دخل ابن الزبير قال : « لا مرحباً بك ولا أهلاً ، ضَبُّ تَلَعَةٍ^(۳) ، مُدْخَلُ رَأْسِهِ تَحْتَ ذَنَبِهِ » ؛ فلما دخل عبد الله بن عمر قال : « لا مرحباً بك ولا أهلاً ، وسبّه » ، فقال :

(۱) وأم يزيد هي ميسون بنت بحدل الكلبية . (۲) البدنة : من الإبل والبقر كالأضحية من الفم تهدي إلى مكة ، للذكر والأنثى . (۳) التلعة : ما ارتفع من الأرض وما انهبط منها .

« إني لست بأهل لهذه المقالة » قال : « بلى ، ولما هو شرّ منها » فدخل معاوية المدينة وأقام بها ، وخرج هؤلاء الرّهط معتمرين ، فلما كان وقت الحجّ خرج معاوية حاجًا ، فأقبل بعضهم على بعض ، فقالوا : لعله قد ندم ، فأقبلوا يستقبلونه ، فلما دخل ابن عمر ، قال : « مرحبًا بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن الفاروق ، هاتوا لأبي عبد الرحمن دابة » ، وقال لابن أبي بكر : « مرحبًا بشيخ قریش وسيدها وابن الصديق ، هاتوا له دابة » ، وقال لابن الزبير : « مرحبًا يا ابن حوّارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته ، هاتوا له دابة » ، وقال للحسين : « مرحبًا يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسيد شباب المسلمين ، قرّبوا لأبي عبد الله دابة ، وجعلت أطفافه^(۱) تدخل عليهم ظاهرة يراها الناس ، وَيُحْسِنُ إِذْنَهُمْ وَشَفَاعَتَهُمْ وَحَمَلَهُمْ عَلَى الدَّوَابِّ ، وَخَرَجَ حَتَّى آتَى مَكَّةَ ، فَقَضَى حُجَّجَهُ ، وَلَمَّا أَرَادَ الشَّخْوَصُ أَمْرًا بِأَثْقَالِهِ فَقُدِّمَتْ ، وَأَمْرًا بِالْمِنْبَرِ فَقُرِّبَ مِنَ الْكُعْبَةِ ، ثُمَّ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ، فَاجْتَمَعُوا ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : مَنْ يَكَلِّمُهُ ؟ فَأَقْبَلُوا عَلَى الْحُسَيْنِ فَأَبَى ، فَقَالُوا لابن الزبير : هات ، فأنت صاحبنا . قال : على أن تعطوني عهد الله أن لا أقول شيئًا إلا تابعتوني عليه . قالوا : لك ذلك ، فأخذ عهودهم رجالا رجالا ، فدخلوا عليه ، فرحّب بهم ، وقال : قد علمت نظري لكم ، وتعاطى عليكم ، وصيّت أرحامكم ، ويزيد أخوكم وابن عمكم ، وإنما أردت أن أقدمه باسم الخلافة ، وتكونوا أنتم تأمرون وتنهون ، فسكتوا ، فقال : أجيّبوني ، فسكتوا ، فقال : أجيّبوني ، فسكتوا ، فقال : لابن الزبير : هات فأنت صاحبهم قال :

۲۵۰ — خطبة عبد الله بن الزبير

« نَحْيَرُكَ بَيْنَ إِحْدَى ثَلَاثٍ ، أَيُّهَا أَخَذْتَ فِيهِ لَكَ رَغْبَةٌ ، وَفِيهَا خِيَارٌ ؛ إِنْ شِئْتَ فَاصْنَعْ فِيمَا مَا صَنَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَبْضَهُ اللَّهُ وَلَمْ يَسْتَخْلَفْ أَحَدًا ، فَرَأَى

(۱) الأطفاف : جمع لطفة بالتحريك ، وهي الهدية .

المسلمون أن يستخلفوا أبا بكر ، فدع هذا الأمر حتى يختار الناس لأنفسهم ، وإن شئت فما صنع أبو بكر ، عهد إلى رجل من قاصية قريش وترك من ولده ومن رَهْطه الأذنين من كان لها أهلا ، وإن شئت ، فما صنع عمر ، جعلها سُورِي في ستة نفر من قريش يختارون رجلا منهم ، وترك ولده وأهل بيته ، وفيهم من لو وليها لكان لها أهلا .

فقال معاوية : هل غير هذا ؟ قال : لا ، ثم قال للآخرين : ما عندكم ؟ قالوا : نحن على ما قال ابن الزبير ، فقال معاوية : « إني أتقدم إليكم ، وقد أعذر من أنذر ، إني قائم فقائل مقالة ، فأياكم أن تعترضوا عليّ حتى أنتمها ، فإن صدقت فعليّ صدق ، وإن كذبت فعليّ كذبي ، وأقسم بالله لئن ردّ عليّ رجل منكم كلمة في مقامى هذا ، لا ترجع إليه كلمته ، حتى يضرب رأسه ، فلا ينظر امرؤ منكم إلا إلى نفسه ، ولا يُبقي إلا عليها ، وأمر أن يقوم على رأس كل رجل منهم رجلان بسيفيهما ، فإن تكلم بكلمة يردّ بها عليه قوله قتلاه ، وخرج وأخرجهم معه ، حتى ربي المنبر ، وحف به أهل الشام ، واجتمع الناس ، فقام خطيباً فقال :

۲۵۱ - خطبة معاوية

قال بعد حمد الله ، والثناء عليه : إنا وجدنا أحاديث الناس ذات عوار^(۱) ، قالوا إن حسيناً ، وابن أبي بكر ، وابن عمر ، وابن الزبير لم يبايعوا ليزيد ، وهؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم ، لا نُبرِمُ أمراً دونهم ، ولا نقضى أمراً إلا عن مشورتهم ، وإني دعوتهم فوجدتهم سامعين مطيعين ، فبايعوا وسلموا وأطاعوا .

فقال أهل الشام : وما يعظم من أمر هؤلاء ؟ أيذن لنا فنضرب أعناقهم ، لا نرضى حتى يبايعوا علانية ، فقال معاوية : سبحان الله ! ما أسرع الناس إلى قريش بالشر ،

(۱) العوار : مثلكة : الميب .

وأحلى دماءهم عندهم ، أنصتوا فلا أسمع هذه المقالة من أحد ، ودعا الناس إلى البيعة فبايعوا
ثم قرّبت رواحله ، فركب ومضى ، فقال الناس للحسين وأصحابه : قلم لا نبايع ، فلما
دُعيتهم وأرضيتهم بايعتم . قالوا : لم نفعل . قالوا : بلى قد فعلتم وبايعتم ، أفلا أنكرتم ؟
قالوا : خِفْنَا القتل وكادكم بنا وكادنا بكم .

(العقد الفريد ۲ : ۲۴۷ - ۱۵۷ ، الإمامة والسياسة ۱ : ۱۲۱ ، ومروج الذهب ۲ : ۶۹ ،
والأمالي ۲ : ۷۳ ، وذيل الأمالي ص ۱۷۷ ، وعيون الأخبار م ۲ ص ۲۱۰ ، ۱ : ۹۵ ،
والبيان والتبيين ۱ : ۱۶۳ - ۱۶۴) •

تهنئة وتعزية

٢٥٢ - خطبة عبد الله بن همام السلولى

لما توفى معاوية واستخلف يزيد ابنه (سنة ٦٠) اجتمع الناس على بابه ، ولم يقدرُوا على الجمع بين تهنئة وتعزية ، حتى أتى عبد الله بن همام السلولى فدخل عليه فقال :
 « يا أمير المؤمنين ، آجرك الله على الرزية ، وبارك لك في العطية ، وأعانك على الرعية ،
 فاقد رزئت عظيماً ، وأعطيت جسيماً ، فاشكر الله على ما أعطيت ، واصبر له على ما رزيت
 فقد فقدت خليفة الله ، ومُنحت حلافة الله ، ففارقت جليلاً ، ووُهِبت جزيلاً ، إذ قضى
 معاوية نَحْبَهُ ، فغفر الله ذنبه ، ووُلِّيت الرياسة ، فأعطيت السيادة ، فأوردك الله موارد
 السرور ، ورفقك اصالح الأمور ، وأشد :

فاصبر يزيدُ فقد فارقت ذائقةً واشكر حِباء الذي بالملك أصفاً^(١)
 لا رزء أصبح في الأقوام نعلمه كما رزيت ، ولا عُقْبَى كعقبا كما
 أصبحت وإلى أمر الناس كلهم فانت ترعاهمُ والله يرعاه كما
 وفي معاوية الباقي اذا خلفُ إذا نُعِيت ، ولا نسمع بمنعاً كما^(٢)
 « وعبد الله بن همام هو أول من فتح الباب في الجمع بين تهنئة وتعزية ، فوجه
 الناس ، كما روى من غير وجه » .

(زهر الآداب ١ : ٦١ ، ونهاية الأرب ٥ : ٢١٥ ، وتهذيب الكامل ١ : ١٦ ، والعقد الفريد

٢ : ١٤١ - ٣٥ - ٢٥٠ ، ومروج الذهب ٢ : ٩٣ ، والبيان والتبيين ٢ : ٦٦) .

(١) اصفاء : آثره . (٢) هو أبو ايل معاوية بن يزيد .

۲۵۳ - خطبة عطاء بن أبي صيفي الثقفي

وروي المسعودي أن يزيد بعد موت أبيه أذن للناس ، فدخلوا عليه لا يدرون أيهنثونه أم يعزونه ، فقام عطاء بن أبي صيفي ، فقال :

« السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، أصبحت وقد رُزئت خليفة الله وأعطيت خلافة الله ، ومُنحت هبة الله ، وقد قضي معاوية نجبته ، فغفر الله له ذنبه ، وأعطيت بعده الرياسة ، ووليت السيادة ، فأحتسب^(۱) عند الله أعظم الرزية ، واتخذته علي أفضل العطية » .

(مروج الذهب ۲ : ۹۳ ، والبيان والتبيين ۲ : ۱۰۲ ، تهذيب الكامل ۱ : ۱۶ ،

وصيح الأعشى ۹ : ۲۷۸ ، (والعقد الفريد ۲ : ۳۵)

۲۵۴ - خطبة عبد الله بن مازن

ثم قام عبد الله بن مازن ، فقال :

« السلام عليك يا أمير المؤمنين ، رُزئت خير الآباء وُسُميت خير الأسماء ، ومُنحت أفضل الأشياء ، فهناك الله بالعطية ، وأعانك على الرعية ، فقد أصبحت قر يش مفجوعة يبيد مساسها ، مسرورة بما أحسن الله إليها من الخلافة بك ، والعقبى من بعده ، ثم أنشأ يقول :

الله أعطاك التي لا فوقها وقد أراد المُلحدون عوقها

عنك فيأبى الله إلا سؤفها إليك ، حتى قلدوك طوقها

ثم قام عبد الله بن همام فخطب خطبته السالفة . (مروج الذهب ۲ : ۹۳)

(۱) احتسب به أجرا عند الله : امتنه ينوي به وجه الله (واحتسب ابنه إذا مات كبيرا ، فإن مات

صغيرا قيل انترطه) .

۲۵۵ - خطبة غيلان بن مسلمة الثقفي

وروى الجاحظ : أنه لما توفي عبد الملك ، وجلس ابنه الوليد دخل عليه الناس وهم لا يدرون أيهنثونه أم يهزونه ، فأقبل غيلان بن مسلمة الثقفي ، فلم عليه ، ثم قال :

« يا أمير المؤمنين ، أصبحت قد رزئت خير الآباء ، وسميت خير الأسماء ، وأعطيت أفضل الأشياء ، فمظم الله لك على الرزية الصبر ، وأعطاك في ذلك نوافل^(۱) الأجر ، وأعانك على حسن الولاية والشكر ، ثم قضى عبد الملك^(۲) بخير القضية ، وأنزله بأشرف المنازل المرضية ، وأعانك من بعده على الرعية هـ . (البيان والتبيين ۲ : ۱۰۳)

(۱) النافلة في الصلاة وغيرها : الزيادة . (۲) أي قضى على عبد الملك باسقاط الجار .

خطب ولاية الأمويين وقوادهم

خطب زياد بن أبيه المتوفى سنة ٥٣هـ

٢٥٦ - خطبته بفارس وقد كتب إليه معاوية يتهدده

كان الإمام عليّ عليه السلام ولّى زياداً فارس - أو بعض أعمال فارس - فضبطها
ضبطاً صالحاً ، وَجَبَى خراجها وَحَمَّاهَا ، فلما قتل الإمام بقي زياد في عمله ، وخاف معاوية
جانبه ، وعلم صعوبة ناحيته ، وأشفق من مملأته الحسن بن عليّ ، عليه السلام ، فكتب
إليه يتهدده ^(١) ، فغضب زياد غضباً شديداً ، وجمع الناس ، وصعد المنبر ، فحمد الله ،
ثم قال :

« المعجبُ من ابنِ آ كِلَّةِ الأ كِبَادِ ^(٢) ، وقَاتِلَةِ أُسْدِ اللهِ ، وَمُظْهِرِ الخِلافِ ، وَمُسْرِّ
النِّفاقِ ، وَرئيسِ الأَحْزابِ ، وَمَنْ أنْفَقَ ماله في إطفاءِ نورِ اللهِ ، كتبَ إلى يَرْعِدُ وَيُبْرِقُ ^(٣) »

(١) وما ورد في كتابه إليه قوله : « أس عبيد ، واليوم أمير ! خطة ما ارتقاها مثلك يا بن سمية ، وإذا
لتأكل كتابي هذا ، فخذ الناس بالطاعة والبيعة ، وأمرع الإجابة ، فإنك إن تفعل فدمك حقت ، ونفسك
تداركت ، وإلا اختطفتك بأضعف ريش ، ونلتك بأهون سمي ، وأقسم قسماً مبروراً أن لا أوق بك إلا في
زمارة ، تمشي حافياً من أرض فارس إلى الشام ، حتى أقيمك في السرق ، وأبيعك عبداً ، وأردك إلى حيث
كنت فيه وخرجت منه . » (٢) هي هند أم معاوية ، وذلك أنها بعد انتهاء غزوة أحد بقرت بطن حمزة
ابن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم ، وأخذت كبده لتأكلها ، فلا كتبها ثم أرسلتها ، وكان قد قتله
وحشي مولى جبير بن مطعم ، دعاه سيده وقال له اخرج مع الناس ، فإن أنت قتلت حمزة بمعنى طعيمة فأنت حر .
(٣) رعد الرجل وبرق (كنصر) وأرعد وأبرق : تهدد وتوعده .

عن سحابة جفَل^(۱) لا ماء فيها ، وعمّا قليل تصيرها الرياح قزَعاً^(۲) ، والذي يدلني على ضعفه تهذّده قبل القدرة ، أفن إشفاق على تُنذِر وتُعذِر ؟ كلا ، ولكن ذهب إلى غير مذهب ، وقَعَقَ^(۳) لمن روى بين صواعق نِهَامَةٍ^(۴) ، كلف أرقبه وبينه وبينه ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأبْنُ أبنِ عمه في مائة ألف من المهاجرين والأنصار؟ والله لو أذن لي فيه أو ندبني إليه ، لأرَيْنَهُ الكواكب نهاراً ، ولأُسْعِطَنَهُ^(۵) ماء الخردل دونه ، الكلام اليوم ، والجمع غداً ، والمشورة بعد ذلك إن شاء الله ، ثم نزل .

(شرح ابن أبي الحديد م ۴ ص ۶۸ ، وتاريخ الطبري ۶ : ۹۷)

۲۵۷ - خطبته وقد بعث معاوية إليه المغيرة بن شعبه يستقدمه

وكتب إلى معاوية يردّ عليه ردّاً شديداً للهجة^(۶) ، فغمّ ذلك معاوية وأحزنه ، وأوفد إليه المغيرة بن شعبه بكتاب يتلطّف به فيه ويستدنيه منه ، ويستلحقه بنسب أبيه

(۱) الجفل : السحاب هراق ماءه ومضى . (۲) القزَع : قطع من السحاب رقيقة .

(۳) القعقة : صوت الرعد ، وتحريك الشيء اليابس الصلب مع صوت ، ومنه « مايقمع له بالشان » وصياني تفسيره في خطبة الحجاج . (۴) روى : ارتوى ، والمراد نشأ وترعرع بينها ، وامله (رب) وذكروا أنه لما نصب الحجاج المجانيق لقتال عبد الله بن الزبير ، أظلمت سحابة فأرعدت وأبرقت وأرسلت للصواعق ، ففرح الناس وأمسكوا عن القتال ، فقام فيهم الحجاج ، فقال : « أما الناس لا يهولنكم هذا فإني أنا الحجاج بن يوسف ، وقد أصحرت لربي ، فلو ركبنا عظيماً لحال بيتنا وبينه ، ولكنها جبال تهامة لم تزل الصواعق تنزل بها » . (۵) سعطه الدواء كمنه ونصره وأسعطه إياه : أدخله في أفقه .

(۶) ونص كتابه إليه : « أما بعد ، فقد وصل إلى كتابك يا معاوية ، وفهمت ما فيه ، فوجدتك كالغريق يخطيه الموج فيتشبث بالطحلب ، ويتملق بأرجل الضفادع طمعا في الحياة ، إنما يكفر للنعم ويستدعي النعم من حاد الله ورسوله ، وسمى في الأرض فسادا . فأما سبك لي فلولا حلم يمانى عنك ، وخوف أن أدعى سفيها لأثرت لك مخازي لا يفسلها الماء . وأما تعبيرك لي بصمية ، فإن كنت ابن صمية فأنت ابن حماتة . وأما زعمك أنك تخطفني بأضعف رهش وتتناولني بأهون سمي ، فهل رأيت بازيا يفزعه صغير القنابر؟ أم هل سمعت بذئب أكله خروف ؟ فامض الآن لطيتك ، واجهد جهدك ، فلت أزل إلا بحيث تكره ، ولا أجتهد إلا فيما يسوءك ، وتصلم أينا الخاضع لصاحبه ، الظالم إليه والسلام » .

أبي سفيان^(۱) ، وجعل المغيرة يتفرق به ، وينصح له أن يصل حبله بحبله ، ولا يقطع رَحْمَه ، فتريث زياد يومين أو ثلاثة يروى في أمره ، ثم جمع الناس ، فصعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : ادفعوا البلاء ما اندفع عنكم ، وارغبوا إلى الله في دوام العافية لكم ، فقد نظرتُ في أمور الناس منذُ قتل عثمان ، وفكَّرتُ فيهم فوجدتهم كالأضاحي . في كل عيدٍ يذبحون ، واقد أفنى هذان اليومان : يوم الجمل وصيفين ما يُذيف على مائة ألف ، كلُّهم يزعمُ أنه طالبُ حقٍّ ، وتابعُ إمامٍ ، وعلى بصيرةٍ من أمره ، فإن كان الأمر هكذا ، فالقاتلُ والمقتولُ في الجنة ، كلاً : ليس كذلك ولكن أشكل الأمر ، والتبسَ على القوم ، وإني لخائفٌ أن يرجع الأمر كما بدأ ، فكيف لامرئٍ بسلامة دينه ، وقد نظرتُ في أمر الناس ، فوجدتُ أحمدَ العاقبتين العافية ، وسأعملُ في أموركم ما تحمدون عاقبته ومَنْجَبته ، فقد حَمدت طاعتكم إن شاء الله » ثم نزل .

وكتب إلى معاوية يستوثق منه^(۲) ، فأعطاها معاوية جميع ما سأله ، وكتب إليه بخط يده ما وثق به ، فدخل إليه الشام ، فقر به وأدناه ، وأقره على ولايته ، ثم استعمله على العراق .
(شرح ابن أبي الحديد ۴ : ۶۹)

(۱) وكانت ديباجة كتابه إليه : « من أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان إلى زياد بن أبي سفيان » وفيه يقول : « وحملك سوء ظنك بي ، وبفضك لي هل أن عقتت قرابتي ، وقطعت رحمتي ، وبتت نسبي وحرمتي ، كأنك لست أخي ، وليس صخر بن حرب أباك وأبي ! » وفي آخره يقول : « فإن أحببت جانبي ووثقت لي ، فأمره بإمرة ، وإن كرهت جانبي ، ولم تثق بقولي ، ففعل جميل ، لاهل ولالي والسلام » .
(۲) وفي كتابه يقول : « إن كنت كتبت كتابك هذا عن عقد صحيح ، ونية حسنة ، وأردت بذلك براً ، فبزرع في قلبي مودة وقبولاً ، وإن كنت إنما أردت مكيدة ومكراً وفساد نية ، فإن النفس تأبى ما فيه العطب ، ولقد قت يوم قرأت كتابك مقاما يعيا به الخطيب المدره ، فتركت من حضر ، لأهل ورد ، ولا صدر ، كأنه جبرين بمهمه ضل بهم الدليل ، وأنا هل أمثال ذلك قدير » .

۲۵۸ - خطبته وقد استلحقه معاوية

ولما أراد معاوية استلحاق زياد ، وقد قدم عليه الشام ، جمع الناس وصعد المنبر ، وأصعد زيادا معه ، فأجلسه بين يديه على المرقاة^(۱) التي تحت مرقاته ، وحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : إني قد عرفت نسبنا أهل البيت في زياد ، فمن كان عنده شهادة فليقم بها » ، فقام ناس ، فشهدوا أنه ابن أبي سفيان ، وأنهم سمعوا ما أقر به قبل موته^(۲) ، فلما انقضى كلام معاوية ومناشدته ، قام زياد وأنصت الناس ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

(۱) المرقاة بفتح الميم وتكسر : الدرجة . (۲) فقام أبو مريم السلولى - وكان خازنا في الجاهلية فقال : أشهد يا أمة المؤمنين أن أبا سفيان : قدم علينا بالطائف ، فأذاني ، فاشتريت له لحما ونخرا وطعاما ، فلما أكل قال : يا أبا مريم ، أصبى بغيا ، فخرجت فأتيت سمية ، فقلت لها : إن أبا سفيان من قد عرفت شرفه وجوده وقد أمرني أن أصيب له بغيا ، فهل لك ؟ فقالت : نعم يجيء الآن عبيد بغنمه - وكان راعيا - فإذا تمشى ووضع رأسه أثيته ، فرجعت إلى أبي سفيان فقلت لم أجد إلا جارية الحرث بن كلدة سمية ، فقال : ائني بها على ذفرها وقذرها ، فقال له زياد : مهلا يا أبا مريم ، إنما بعثت شاهدا ، ولم تبعث شاهدا ، فقال أبو مريم : لو كنتم أعفيتوني لكان أحب إلي ، وإنما شهدت بما عاينت ورأيت ، والله لقد أخذ بكم درعها ، وأغلقت الباب عليهما ، فلم ألبث أن خرج على يمسح جبينه ، فقلت : مه يا أبا سفيان ، فقال : ما أصبت مثلها يا أبا مريم لولا استرخاء من ثديها ، وذفر في إبطها - والذفر بالتحريك ويسكن : النتن ، والذفر بالتحريك : كل ريش ذكية من طيب أو نتن أو يخص برائحة الإبط المنتنة - وكانت أمه سمية قد وهبها أبو الخير بن عمرو الكندي للعارث بن كلدة - وكان طبيبا يعالجه - فولدت له على فراشه نافعا ، ثم ولدت أبا بكره ، فأنسكر لونه ، وقيل له إن جاريتك بغى ، فانتفى من أبي بكره ومن نافع ، وزوجها عبيدا وكان عبدا لابنته ، فولدت على فراشه زيادا .

وذكروا أن عمر بن الخطاب كان قد بعث زيادا في إصلاح فساد واقع باليمن ، فلما رجع من وجهه خطب عند عمر خطبة لم يسمع بمثلها ، وهو غلام حدث ، وأبو سفيان حاضر ، وعلى عليه السلام ، وعمرو ابن العاص ، فقال عمرو : لله أبو هذا الغلام أو كان قرشيا لساق العرب بمصاه ، فقال أبو سفيان : أما واقه -

« أيها الناس : هذا أمرٌ لم أشهدْ أوله ، ولا علمَ لي بآخِره ، وقد قال أمير المؤمنين ما بلغكم ، وشهدت الشهود بما سمعتم ، فالحمد لله الذي رفع مِنَّا ما وضع الناس ، وحفظ مِنَّا ما ضيَّعوا ، فأما عبِيدٌ فإنما هو والد مَبْرُور ، أو رَبِيبٌ^(۱) مشكور » ثم نزل .

(شرح ابن أبي الحديد ۴ : ص ۷۰ ، والعقد الفريد ۲ : ۱۵۱ ، ۳ : ۳ ،

ومروج الذهب ۲ : ۵۶ ، وذيل الأمل ۱۸۹ ص)

۲۵۹ - خطبته حين ولي البصرة (وهي البتراء)

وقدم زياد البصرة « غرة جمادى الأولى سنة ۴۵ هـ » والياً لمعاوية بن أبي سفيان ، وضم إليه خراسان وسجستان ، والفِئق بالبصرة كثير فاش ظاهر ، فخطب خطبةً بتراء لمحمد الله فيها ، وقيل بل قال :

« الحمد لله على إفضاله وإحسانه ، ونسأله المزيد من نِعَمه وإكرامه . اللهم كما زِدْتَنَا نِعَمًا فَأَلْهِمْنَا شُكْرًا » أما بعدُ : فإن الجهالة الجُهْلَاءُ^(۲) ، والضلالة العَمِيَاءُ ، والفتى الموقى بأهله على النار ، ما فيه سفهاؤكم ، ويشتمل عليه حُلْمَاؤُكُمْ^(۳) ، من الأمور العظام ، يَنْبُت فيها الصغير ، ولا يتحاشى عنها الكبير ، كأنكم لم تقرأوا كتاب الله ، ولم تسموا

= إنه امرئى ، ولو عرفته لعرفت أنه خير من أهلك ، فقال : ومن أبوه ؟ قال : أنا والله وضعت في رحم أمه ، قال : فهلا تستلحقه ، قال : أخاف هذا المير الجالس أن يخرق على إهابي .

ومن كتاب لعل عليه السلام إلى زياد ، وقد بلغه أن معاوية كتب إليه يريد خديته باستلحاقه : « وقد كان من أبي سفيان في زمن عمر بن الخطاب فلتة من حديث النفس ، ونزغة من نزغات الشيطان لا يثبت بها نسب ، ولا يستحق بها إرث » فلما قرأ زياد الكتاب قال : شهد بها ورب الكعبة ، ولم تنزل في نفسه حتى ادماه معاوية ، وكان يقال له : زياد بن عبيد ، وزياد بن أبيه ، وزياد بن سمية ، وزياد بن أمه ، ولما استلحق قال له أكثر الناس : زياد بن أبي سفيان ، قال الطبري : « وفي سنة ۴۴ استلحق معاوية نسب زياد بن سمية بأبيه أبي سفيان فيما قيل » . (۱) الربيب هنا : زوج الأم . (۲) هذا الوصف توكيد للمبالغة ، ومثله : وتد واتد ، وحمج هامج ، وليلة ليلاء ، ويوم أيوم (أي شديد ، أو آخر يوم في الشهر) . (۳) عقلاؤكم .

ما أعدَّ اللهُ من الثواب الكريم لأهل طاعته ، والعذاب الأليم لأهل معصيته ، في الزمن
 السَّرْمَدِيِّ^(۱) الذي لا يزول ، أنكونون كمن طَرَفَتْ^(۲) عينيه الدنيا ، وَسَدَّتْ مَسَامِعَهُ
 الشهوات ، واختار الفانية على الباقية ، ولاتذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي
 لم تُسبِّقُوا إليه ، مِن تَرَ كَم الضعيف يُقَهَّر ويؤخذ ماله ، هذه المواخير^(۳) المنصوبة ،
 والضعيفة المسلوقة في النهار المبصر ، والعدد غير قليل ، ألم يكن منكم نُهَاءٌ ، تمنع الغوَاة^(۴)
 عن دَاجِج^(۵) الليل ، وغارة النهار ؟ قرَّتم القَرَابَةَ ، وباعدتم الدين ! تعذرون بغير العذر ،
 وتُفَضُّون عَلَى الختلس ، كلُّ امرئٍ منكم يَذِبُ^(۶) عن صفبه ، صَنِيعَ من لا يخاف
 عاقبةً ولا يرجو معادًا ، ما أنتم بالخُلَمَاءِ ، ولقد اتبعتم السفهاء ، فلم يزل بكم ما تَرَوْنَ
 من قيامكم دونهم ، حتى انتهكوا حُرْمَ^(۷) الإسلام ، ثم أطرقوا وراءكم ، كُنُوسًا
 في مكائسِ الرِّيبِ^(۸) ، حرامٌ على الطعام والشراب ، حتى أُسْوِيَهَا بالأرض هَدْمًا وإحراقًا .
 إني رأيت آخرَ هذا الأمر لا يصلح إلا بما صَاحَ به أوله ، إين في غير ضَعْفٍ ،

(۱) الدائم . (۲) طرف عينه : أصابها بشئ فدمعت ، وطرف بصره : أطبق أحد جفنيه
 حل الآخر ، وطرفه عنه كضربه : صرفه ورده . (۳) جمع ماخور : وهو بيت الريبة معرب
 أو عربي من مخرت السفينة لتردد الناس إليه . (۴) جمع ناه ، وغوَاة جمع غار .
 (۵) السير من أول الليل ، وقد أدجلوا ، فإن ساروا من آخره فادجلوا بالتشديد .
 (۶) يدنع . (۷) جمع حرمة ، وهي مالا يحل انتهاكه . روى الشعبي قال : « لما خطب زياد
 خطبته البتراء بالبصرة ونزل ، سمع تلك الليلة أصوات الناس يتحارسون ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : إن البلد
 مفتون ، وإن المرأة من أهل المصر لتأخذها الفتيان الفساق ، فيقال لها : نادى ثلاثة أصوات ، فإن أجابك
 أحد ، وإلا فلا لوم علينا فيما نصنع ! » . (۸) كنوس جمع كانس : أي مستتر كنعود وجلوس جمع قاعد
 وجالس ، وأصله من كفس اللطبي كضرب : دخل في كذابه (ككتاب) وهو مستتره من للشجر ، ويجمع
 كانس أيضا على كفس (كركع) ومنه الجوارى الكفس (وهي الخنس) وهي الكواكب السيارة ، أو النجوم
 الخمسة : زحل ، والمشتري ، والمريخ ، والزهرة ، وعطارد . لأنها تكفس في المنيب كالظباء في الكفس
 (ككتب) ، أو هي كل النجوم لأنها تبدو ليلا وتختفي نهارا (وخنوسها أنها غيب كما يخفى الشيطان إذا ذكر
 اقه عز وجل) ومكائس الريب : مكائنها المسترة جمع مكفس كجلس .

وشدة في غير عنف ، وإني أقسم بالله لأخذنَّ الوليَّ^(۱) بالموتى ، والمقيم بالظاعن ، والمقبل بالمُدبر ، والمطيع بالعامى ، والصحيح منكم في نفسه بالسقيم ، حتى يلقى الرجلُ منكم أخاه ، فيقول : « أبحُّ سعدُ فقد هلك سعيد^(۲) » أو نستقيم لى قناتكم^(۳) ، إن كذبة المنبر بِلِقائه^(۴) مشهورة ، فإذا تعلقتم على بكذبة فقد حلت لكم مصيبتى^(۵) ، فإذا سمعتموها منى فاغتمزوها^(۶) فى ، واعلموا أن عندى أمثالها ، من نُقب منكم عليه فأنا ضامن لما ذهب منه^(۷) فأبأى وذليج الليل ، فإنى لا أوتى بمذليج إلا سَفَكْتُ دمه ، وقد أجلتكم فى ذلك مقدار ما يأتى الخبرُ الكوفةَ ويرجع إليكم^(۸) ، وإبأى ودَعْوَى الجاهلية^(۹) ، فإنى لا أجد أحداً دعا بها إلا قطعْتُ لسانه ، وقد أحدثتم أحداً لم تكن ، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبةً ، فمن غرَّق قومًا غرقناه . ومن أحرق قومًا أحرقناه ، ومن نُقب

(۱) الولي : السيد ، والمولى هنا : العبد . (۲) سعد وسعيد هما ابنا ضبة بن أد خرجا فى طلب إبل لأبيهما ، فوجدها سعد فردها وقتل سعيد ، فكان ضبة إذا رأى سوادا تحت الليل قال : سعد أم سعيد ؟ . (۳) من البلق بالتحريك : وهو ارتفاع التحجيل فى الفرس إلى الفخذين (والتحجيل : بياض فى قوائم الفرس) ، والفرس البلقاء مشهورة لتمييزها عما سواها ببلقها . (۴) فى الطبرى « قال الشعبى : فواقه ماتعلقنا عليه بكذبة ، ولا وعدنا خيرا ولا شرا إلا أنفذه » . (۵) عدوها من عيوى ، واغتمزه : طعن عليه . (۶) فى الطبرى : « وكان زياد أول من شد أمر السلطان ، وأكد الملك لمعاوية ، وألزم الناس الطاعة ، وتقدم فى العقوبة ، وجرد السيف ، وأخذ بالظنة ، وعاقب على الشجة ، وخافه الناس فى سلطانه خوفا شديدا ، حتى أمن الناس بعضهم بعضا ، حتى كان الشيء يسقط من الرجل أو المرأة ، فلا يعرض له أحد ، حتى يأتيه صاحبه ، فيأخذه ، وتبيت المرأة فلا تغلق عليها بابها ، وصام الناس سياسة لم ير مثلها ، وهابه الناس هبة لم يهابوها أحدا قبله ، وكان يقول : « لو ضاع جبل بينى وبين خراسان علمت من أخذه » . (۷) فى الطبرى : « استعمل زياد على شرطته عبد الله بن حصن ، فأهل الناس حتى بلغ الخبر الكوفة وعاد إليه وصول الخبر إلى الكوفة ، وكان يؤخر العشاء حتى يكون آخر من يصل ، ثم يصل ، يأمر رجلا يقرأ سورة البقرة ومثلها ، يرتل القرآن ، فإذا فرغ أهل بقدر ما يرى أن إنسانا يبلغ الخريبة (كجنيته موضع بالبصرة يسمى البصرة الصغرى) ثم يأمر صاحب شرطته بالخروج فيخرج ، ولا يرى إنسانا إلا قتله فأخذ ليلة أعرابيا ، فأتى به زيادا ، فقال : هل سمعت النداء ؟ قال : لا والله ، قدمت بحلوبة لى ، وغشيتى الليل فاضطررتها إلى موضع ، فأنت لأصبح ، ولا علم لى بما كان من الأمير ، قال : أظنك والله صادقا ، ولكن فى ذلك صلاح هذه الأمة ، ثم أمر به فضربت عنقه » . (۸) قولهم : يالفلان ، والغرض مناصرة العصبية .

بیتاً نَقَبْنَا عَنْ قَلْبِهِ ، وَمَنْ نَبَشَ قَبْرًا دَفَنَاهُ حَيًّا فِيهِ ، فَكَفُوا عَنِّي أَيْدِيَكُمْ وَالسِّنِّكُمْ ،
أَكْفَفْتُ عَنْكُمْ يَدِي وَلِسَانِي ، وَلَا تَظْهَرُ مِنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ رِيْبَةٌ بِخِلَافٍ^(۱) مَا عَلَيْهِ عَامَّتُكُمْ
إِلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَهُ ، وَقَدْ كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَقْوَامٍ إِحْنٌ^(۲) ، فَجَعَلْتُ ذَلِكَ دَبْرًا أَدْنَى^(۳)
وَتَحْتِ قَدَمِي ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُحْسِنًا فَلْيَزِدْ إِحْسَانًا ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُسِيئًا فَلْيَنْزِعْ
عَنْ إِسَاءَتِهِ ، إِنْ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدَكُمْ قَدْ قَتَلَ السِّلَّ مِنْ بُغْضِي لَمْ أَكْشِفْ لَهُ قِنَاعًا ، وَلَمْ
أُهَيِّكْ لَهُ سِتْرًا ، حَتَّى يُبْذَى لِي صَفْحَتَهُ^(۴) ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ أَنْظُرْهُ ، فَاسْتَأْنَفُوا أُمُورَكُمْ ،
وَأَعِينُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، فَرُبَّ مُبْتَلِئٍ سَيُدْرِكُهُ الْمَوْتُ بِقَدْرِهِ بِقَدْرِهِمَا سَيَبْتَلِيهِ .

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّا أَصْبَحْنَا لَكُمْ سَاءَةً ، وَعَنْكُمْ ذَادَةٌ ، نَسُوسُكُمْ بِسُلْطَانِ اللَّهِ الَّذِي
أَعْطَانَا ، وَنَذُودُ عَنْكُمْ بِنِيِّهِ اللَّهُ الَّذِي خَوَّلَنَا^(۵) ، فَلَنَا عَلَيْكُمْ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحْبَبْنَا ،
وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَدْلُ فِيمَا وَابَيْنَا ، فَاسْتَوْجِبُوا عَدْلَنَا وَفِيئَنَا بِمَنَاصِحَتِكُمْ لَنَا ، وَاعْلَمُوا أَنِّي مَهْمَا
قَصَّرْتُ عَنْهُ ، فَلَنْ أَقْصُرَ عَنْ ثَلَاثٍ : لَسْتُ مُحْتَجِّبًا عَنْ طَالِبِ حَاجَةٍ مِنْكُمْ وَلَوْ أَنَّنِي طَارِقًا
بَلِيلًا ، وَلَا حَابِسًا عَطَاءٍ وَلَا رِزْقًا عَنْ إِبَائِنِهِ^(۶) ، وَلَا مُجَمَّرًا^(۷) لَكُمْ بَعَثْنَا ، فَادْعُوا اللَّهَ
بِالصَّلَاحِ لِأُمَّتِكُمْ ، فَإِنَّهُمْ سَأَسْتَكُمُ الْوُدَّ بُونَكُمْ ، وَكَهْفُكُمْ الَّذِي إِلَيْهِ تَأْرُونَ ، وَمَتَى
يَصْلَحُوا تَصْلَحُوا ، وَلَا تُشْرِبُوا قُلُوبَكُمْ بِبُغْضِهِمْ ، فَيَشْتَدُّ لَذَلِكَ غَيْظُكُمْ ، وَيَطْوِلَ لَهُ
حَزْنُكُمْ ، وَلَا تُذْرِكُوا لَهُ حَاجَتَكُمْ ، مَعَ أَنَّهُ لَوْ اسْتُجِيبَ لَكُمْ فِيهِمْ لَكَانَ شَرًّا
لَكُمْ . أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَعْينَ كَلَاءً عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، وَإِذَا رَأَيْتُمُونِي أَنْفِذْ فِيكُمْ الْأَمْرَ ، فَأَنْفِذُوهُ عَلَى

(۱) أي تخالف ما اجتمع عليه عامة القوم . (۲) جمع إحنة : وهي الحقد والفضينة .

(۳) أي خلف أذني ، وقد اقتبسها من كلام معاوية كما مر بك . (۴) أي يجاهرني بالعداوة .

(۵) ملكنا . والقوة : ما كان شمساً فيفسخه الظل ، والحراج ، أي تدفع عنكم بظل الله ونعمته التي

وهيئنا ، أو تدفع عنكم بما صار في أيدينا من أموال الحراج . (۶) وقته وموعده . (۷) جمر الجند :

حبسهم في أرض العدو ولم يقفلهم .

أذلاله^(۱) ، وإيّمُ اللهُ إن لي فيكم لصرّفتي كثيرة ، فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرّعتي .»

فقام إليه عبد الله بن الأهمم فقال : « أشهدُ أيها الأمير لقد أوتيت الحكمة وفصل الخطاب ، فقال له : « كذبت ذاك نبيُّ الله داود صلوات الله عليه ، فقام الأحنف ابن قيس ، فقال : « إنما الثناء بعد البلاء ، والحمد بعد العطاء ، وإنا لن نُثني حتى نبتلي » فقال له زياد : صدقت ، فقام أبو بلال مرّداس^(۲) ابن أدية وهو يهوس ويقول : أنبأنا الله بغير ما قلت . قال الله تعالى : « وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ، أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى » وأنت تزعم أنك تأخذ البريء بالسقيم ، والمطيع بالعاصي والمقبل بالمدبر ، فسمها زياد ، فقال : « إنا لا نباغ ما نريد فيك وفي أصحابك حتى نخوض إليكم الباطل خوفاً » .

(البيان والتبيين ۲ : ۲۹ ، والعقد الفريد ۲ : ۱۵۰ ، وصبح الأعشى ۱ : ۲۱۶ ،

وتاريخ الطبري ۶ : ۱۲۴ ، والكامل لابن الأثير ۳ : ۲۲۶ ، وشرح ابن أبي الحديد

م ۴ : ص ۵۷ ، وصيون الأخبار م ۲ : ص ۲۴۱ ، وذيل الأمالي ۱۸۸)

۲۶۰ - خطبته بالكوفة وقد ضمت إليه

ولما مات المغيرة بن شعبه أمير الكوفة سنة ۵۰ هـ ، ضم معاوية الكوفة إلى زياد ، فكان أول من جُمع له الكوفة والبصرة^(۳) ، فاستخلف على البصرة ، وشخص إلى الكوفة فأتاها ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« إن هذا الأمر أتاني وأنا بالبصرة ، فأردت أن أشخص إليكم في ألفين من شرطة

(۱) أي وجوهه وطرقه جمع ذل بالكسر . وذل الطريق : محبته ، وأمور الله جارية على أذلالها

أي مجاريها .

(۲) وهو من رؤساء الخوارج . (۳) وكان يقيم ستة أشهر بالكوفة ، وستة أشهر بالبصرة .

البصرة ، ثم ذكرتُ أنكم أهل حق ، وأن حقكم طالما دَفَع الباطل ، فأتيتكم في أهل بيتي ، فالحمد لله الذي رَفَع مني ما وضع الناس ، وحَفِظ مني ما ضيَعُوا ، حتى فرغ من الخطبة^(۱) .

(تاريخ الطبري ۶ : ۱۲۱)

۲۶۱ - خطبة أخرى له بالكوفة

وروى الطبري أيضا قال :

« فَجِئْتِ الكوفة والبصرة لزيد بن أبي سفيان ، فأقبل حتى دخل القصر بالكوفة ثم صعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد : فإننا قد جُرِّبنا وجرَّبنا ، وسُنَّنا وسانَّنا السائسون ، فوجدنا هذا الأمر لا يصلحُ آخره إلا بما صلح أوله ، بالطاعة اللينة المشبهة ميرثها بعلانيتها ، وغيب أهلها بشاهدهم ، وقلوبهم بالسنتهم ، ووجدنا الناس لا يصلحهم إلا ابن في غير ضعف ، وشدة في غير عنف ، وإني والله لا أقوم فيكم بأمر إلا أمضيته على أذلاله ، وليس من كذبة الشاهد عليها من الله والناس أكبر من كذبة إمام على المنبر ، ثم ذكر عثمان وأصحابه فقرَّظهم ، وذكر قبيلته ولعنهم » .

(تاريخ الطبري ۶ : ۱۴۲)

۲۶۲ - خطبته بالكوفة يتهدد الشيعة

وكان زيد قد ولى الكوفة عمرو بن الحريث ، ورجع إلى البصرة ، فبلغه أن حُجْر بن عديّ يجتمع إليه شيعة عليّ ، ويظهرون لمن معارفة والبراءة منه ، وأنهم

(۱) قال الطبري : فحصب على المنبر ، (أي رمى بالحصيا وهي الحصى) فجلس حتى أمسكوا ، ثم دعا قوما من خاصته ، وأمرهم فأخذوا أبواب المسجد ، ثم قال : ليأخذ كل رجل منكم جليسه ، ولا يقوان لأدري من جليسي ، ثم أمر بكرسي فوضع له على باب المسجد ، فدعاهم أربعة أربعة ، يخلفون بالله مامنا من حصبك ، فن حلف غلاه ، ومن لم يخلف حبسه وعزله ، حتى صار إلى ثلاثين ، ويقال بل كانوا ثمانين فقطع أيديهم على المكان .

حَصَبُوا عمرو بن الحرِيث ، فَشَخَّصَ إِلَى الكُوفَةِ ، حَتَّى دَخَلَهَا ، فَأَتَى القَصْرَ ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَعِدَ المنبرَ ، وَعَلَيْهِ قَبَاءٌ سُفْدُسٌ ، وَمُطْرَفٌ خَزٌّ أَخْضَرٌ ، قَدْ فَرَّقَ شَعْرَهُ ، وَحَجَرَ جَالِسٍ فِي المَسْجِدِ حَوْلَهُ أَصْحَابُهُ أَكْثَرَ مَا كَانُوا ، فَحَمِدَ اللهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

« أَمَا بَعْدَ : فَإِنَّ غَيْبَ البَغِيِّ وَالنُّفَى وَخَيْمٌ ، إِنَّ هَؤُلَاءِ جَمُّوا^(۱) فَأَشْرُوا ، وَأَمِنُونِي فَاجْتَرُوا عَلَيَّ ، وَإِيْمُ اللهُ لَنْ لَمْ تَسْتَقِيمُوا لِأَدَاوِينِكُمْ بِدَوَائِكُمْ ، وَقَالَ : مَا أَنَا بِشَيْءٍ إِنْ لَمْ أَمْنَعُ بِأَحَاةٍ^(۲) الكُوفَةَ مِنْ حُجْرٍ ، وَأَدْعُهُ نِكَالًا لِيَنْ بَعْدَهُ ، وَبَيْلُ أُمَّكَ يَا حَجْرَ ، مَقَطَ العِشَاءِ بِكَ عَلَى سِرِّحَانٍ^(۳) . »

(تاريخ الطبري ۶ : ۱۴۲)

۲۶۳ - خطبة أخرى له

وخطب زياد فقال :

« استوصوا بثلاثة منكم خيراً : الشريف والعالم والشيخ ، فوالله لا يأتيني شيخ بشاب قد استخف به إلا أوجمته ، ولا يأتيني عالم بجاهل استخف به إلا نكلت به ، ولا يأتيني شريف بوضيع استخف به إلا انتقمت له منه . »

(البيان والتبيين ۲ : ۷۳ ، والمقد الفريد ۲ : ۱۵۱ : شرح ابن أبي الحديد ۴ ص ۷۴)

۲۶۴ - خطبة أخرى

وخطب على المنبر فقال :

« أيها الناس : لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا أن تنتفعوا بأحسن ما تسمعون منا ، فإن الشاعر يقول :

(۱) من جم الماء جموما : كثير واجتمع . (۲) الباحة : الساحة . (۳) هو مثل : وأصله أن رجلاً خرج يلتمس العشاء ، فوقع على ذئب فأكله . يضرب في طلب الحاجة يؤدي بصاحبها إلى التلف .

اعمل بقولی وان قصرتُ فی عملی ینفکک قولى ولا بضرک تقصیری

۲۶۵ - وصیة لزیاد

وروی الجاحظ عن عمرو بن عبید أنه قال : کتب عبد الملك بن مروان وصیة زیاد بیده ، وأمر الناس بحفظها وتدبر معانیها وهی :

« إن الله عز وجل جعل لعباده عقولا ، عاقبهم بها على معصيته ، وأثابهم بها على طاعته ، فالناس بين مُحْسِنِ بنعمة الله عليه ، ومُسِيءٍ بخذلان الله إياه ، والله النعمة على المحسن ، والحجة على المسوء ، فما أولى مَنْ تَمَّتْ عليه النعمة في نفسه ورأى العبرة في غيره بأن يضع الدنيا بحيث وضعها الله ، فيعطى ما عليه منها ، ولا يتكثر بما ليس له منها ، فإن الدنيا دار فناء ، ولا سبيل إلى بقائها ، ولا بد من لقاء الله ، فأحذركم الله الذي حذركم نفسه ، وأوصيكم بتعجيل ما أخرته العجزة ، قبل أن تصيروا إلى الدار التي صاروا إليها ، فلا تقدرون على توبة ، وليس لكم منها أوبة ، وأنا أستهلف الله عليكم ، وأستهلفه منكم . »

قال الجاحظ : وقد روى هذا الكلام عن الحجاج ، وزياد أحق به منه .

(البيان والتبيين ۱ : ۲۰۶)

۲۶۶ - ما كان يقوله لمن ولاه عملا

وكان زياد إذا ولى رجلا عملا قال له :

« خذ عهدك ، وسير إلى عملك ، واعلم أنك مصروف رأس سننك ، وأنتك تصير إلى أربع خلال ، فاختر لنفسك . إنا إن وجدناك أمينا ضعيفا ، استبدانا بك لضعفك ، وسلمناك من ممرتنا أمانتك ، وإن وجدناك قويا خائنا استهنا بقوتك ، وأوجعنا ظهرك

وَتَقَلْنَا غُرْمَكَ ، وَإِنْ جَمَعْتَ عَلَيْنَا الْجُرْمَيْنِ ، جَمَعْنَا عَلَيْكَ الْمَضْرَبَيْنِ ، وَإِنْ وَجَدْنَاكَ أَمِينًا قَوِيًّا ، زِدْنَا فِي عَمَلِكَ ، وَرَفَعْنَا ذِكْرَكَ ، وَكَثَّرْنَا مَالَكَ ، وَأَوْطَأْنَا عَقَبَكَ ۝ .

(الأمالي : ۲ : ۸۲)

۲۶۷ - خطبة الضحاک بن قیس الفهری بالكوفة^(۱)

(قتل سنة ۶۴ هـ)

وخطب الضحاک بن قیس الفهری علی منبر الکوفة - وقد کان بلغه أن قوماً من أهلها يشتمون عثمان ويبرءون منه ، فقال :

« بلغني أن رجلاً منكم ضالاً يشتمون أئمة الهدى ، ويعيبون أسلافنا الصالحين ، أما والذي ليس له نذ ولا شريك ، إن لم تنتهوا عما يبلغني عنكم ، لأضعن فيكم سيف زياد ، ثم لا تجدوني ضعيف السورة^(۲) ، ولا كليل الشفرة^(۳) ، أما إني لصاحبكم الذي أغرت على بلادكم^(۴) ، فكنت أول من غزاها في الإسلام ، وشرب من ماء الثعلبية

(۱) ولاء معاوية الكوفة سنة ۵۵ إلى سنة ۵۸ ثم جعله على شرطته ، ولما مات معاوية الثاني بايمه أهل دمشق على أن يصل بهم ، ويقم لهم أمرهم ، حتى يجتمع أمر الأمة ، وكان يهوى هوى ابن الزبير ، ويمنعه من إظهار ذلك أن بني أمية كانوا يحضروه ، وكان يعمل في ذلك سرا ، ثم نشبت الحرب بينه وبين مروان بن الحكم في مرج راهط ، ودارت الدائرة على جيش الضحاک وقتل منتصف ذي الحجة سنة ۶۴ هـ .

(۲) سورة السلطان : سطوته واعتدائه . (۳) الشفرة : حد السيف ، وكليل : غير قاطع .

(۴) وكان ذلك سنة ۳۹ هـ ، دعاه معاوية ، وقال : سر حتى تمر بناحية الكوفة ، وترتفع عنها ما استطعت ، فن وجدته من الأعراب في طاعة على فأغر عليه ، وإن وجدت له مسلحة أو خيلاً فأغر عليها ، فسرحه فيما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف ، فأقبل الضحاک فهب الأموال ، وقتل من أتى من الأعراب ومر بالكعلبية فأغار على مسالح على وأخذ أمتهم ، ومضى حتى انتهى إلى القطقطانة ، فأتى عمرو ابن عميس بن مسعود - وهو ابن أخي عبد الله بن مسعود - وكان في خيل لعل ، وأمامه أهله ، وهو يريد الحج ، فقتله وقتل ناساً من أصحابه ، فلما بلغ ذلك علياً سرح حجر بن عدى الكندي في أربعة آلاف ، فلم يزل مغذاً في أثر الضحاک حتى لقيه بناحية تدمر فواقعه ، فاقتتلوا ساعة ، فقتل من أصحاب الضحاک تسعة عشر رجلاً ، وقتل من أصحاب حجر رجلاً ، وحجز الليل بينهم ، فهرب الضحاک وأصحابه . فلما أصبحوا لم يجدوا لهم أثراً - شرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۱۵۴ ، وتاريخ الطبري ۶ : ۷۸ - .

ومن شاطىء الفرات ، أعاقب من شئت ، وأعفو عن شئت ، لقد ذعرت المخدرات
في خدورهن ، وإن كانت المرأة ليبيكي ابنها فلا ترهبه ولا تُشكته إلا بذكر اسمي ،
فاتقوا الله يا أهل العراق ، أنا الضحاک بن قيس ، أنا أبو أنيس ، أنا قاتل عمرو
ابن عمیس .

فقام إليه عبد الرحمن بن عبيد ، فقال : « صدق الأمير ، وأحسن القول ! ما أعرفنا
والله بما ذكرت ! ولقد لقيناك بغربي تدمر فوجدناك شجاعاً مجرباً صبوراً^(۱) ! »
ثم جلس ، وقال : أيفخر علينا بما صنع ببلادنا أول ما قدم ؟ وإيم الله لأذكرته أبغض
مواطنه إليه ، فسكت الضحاک قليلاً ، وكأنه خزي واستحيا ، ثم قال : نعم ، كان
ذلك اليوم بأخرة^(۲) - بكلام ثقيل - ثم نزل . (شرح ابن أبي الحديد ۱ : ۱۵۵)

۲۶۸ - خطبته عند موت معاوية

ولمات معاوية (سنة ۶۰ هـ) خرج الضحاک بن قيس الفهري - وكان صاحب
شروطه - حتى صعد المذبر ، وأكفان معاوية على يديه تلوح ، فحمد الله ، وأثنى
عليه ، ثم قال :

« إن معاوية كان عمود العرب ، وخذ العرب ، قطع الله عز وجل به الفتنة ،
وملكه على العباد ، وفتح به البلاد ، ألا إنه قدم مات ، فهذه أكفانه ، فنحن
مُدْرِجوه فيها ومُدْخِلوه قبره ، ونُحَلِّون بينه وبين عمله ، ثم هو في البرزخ^(۳) إلى
يوم القيامة ، فمن كان منكم يريد أن يشهده فليحضره عند الأولى^(۴) . »

(تاريخ الطبري ۶ : ۱۸۲ ، والعقد الفريد ۲ : ۲۵۰)

(۱) هذا القول تهكم به كما ترى . (۲) يقال : جاء أخرة وبأخرة بالتحريك : أي آخر كل شيء .

(۳) البرزخ : ما بين الدنيا والآخرة ، من وقت الموت إلى البعث ، فن مات فقد دخل البرزخ .

(۴) وفي العقد « فن أراد حضوره صلاة الظهر فليحضره . »

٢٦٩ — خطبة النعمان بن بشير بالكوفة^(١)

(قتل سنة ٦٤ هـ)

خطب النعمان بن بشير على منبر الكوفة ، فقال :

« يا أهل الكوفة : إني والله ما وجدت مثلي ومثلكم إلا الضبَّعَ والشعابَ ، أتيا

الضبَّعَ في جُجْرِهِ ، فقالا : أبا الحِسلِ^(٢) . قال : أجبتمكما . قال : جئناك نختم . قال :

في بيته يُؤنِّي الحِكمَ . قالت الضبَّعُ : فتحت عيني . قال : ففعلَ الذَّساءُ فعلت . قالت :

فلقطتُ نَمْرَةَ . قال : حلوا اجتنبتِ . قالت : فاخططنها ثُمالة^(٣) . قال : لنفسه بَنَى الخَيْرَ .

قالت : فلطمته لَطْمَةً . قال : حَقًّا قضيتِ . قالت : فلطمني أخرى . قال : كان حرًّا

فانتصر . قالت : فاقض الآن بيننا . قال : حدِّثْ حديثين امرأةً ، فإن لم تفهم

فأربعة^(٤) . (المقدم الفريد ١ : ٢٦٩ — ٢ : ١٥٨ ، ومجمع الأمثال للميداني ٢ : ١٣)

(١) ولي الكوفة وحصن معاوية ويزيد ، وكان هواد معهما ، وميله إليهما ، فلما مات معاوية بن

يزيد دعا الناس إلى بيعة عبدالله بن الزبير بالشام ، وكان أول من خالف من أمراء الأجناد — وكان واليا على حصن

— وانضم إلى الضحاك بن قيس الفهري ، أمده بجيش من أهل حصن عليه شرحبيل بن ذي الكلاع ونشبت الحرب

بين الضحاك وبين مروان بن الحكم في مرج راهط ، ودارت الدائرة على جيش الضحاك وقتل كما قدما ، فلما

بلغ الخبر النعمان بن بشير خرج عن حصن هاربا ليلا ومعه امرأته وولده وثقله ، فسار ليلته جدها متحيرا

لا يدري أين يأخذ ، فأتبعه خالد بن عدى الكلاعي فيمن خف معه من أهل حصن ، فلحقه وقتله ويمث

برأسه إلى مروان ، وكان قتله في ذي الحجة سنة ٥٦٤ . (٢) أبو حسل وأبو حميل : كنية الضب ،

وفي مجمع الأمثال أن المتخاصمين : الأوب والشعاب . (٣) ثعالة : أمم الشعب الذكر والأنثى .

(٤) وقد ذهبت أقوال الضب كلها أمثالا . قال الميداني في شرح المثل الأخير (١ : ١٣٠) : « أي زده

وأراد بالحديثين حديثا واحدا تكرر مرتين ، فكأنك حدثتها بحديثين . والمعنى كرر لها الحديث لأنها أضعف

فيها ، فإن لم تفهم فاجعلها أربعة ، وقال أبو سعيد : فإن لم تفهم بعد الأربعة فالاربعة (والمربعة ككنسة :

المعصا) ويروى ، فأربع « أمر من ربيع كفتح » أي كف ، تضرب في سوء الصنع والإجابة » .

۲۷۰ - خطبة عبید اللہ بن زیاد بن اُیہ بین یدی معاویة

(قتل سنة ۶۷ ھ)

قدم عبید اللہ بن زیاد علی معاویة بعد هلاك زياد ، فجعل يتصدى منه بخلوة ،
ليسبر من رايه ما كره ان يشرك في علمه ، فاستأذن عليه بعد انصداع الطلّاب ، واشتغال
الخاصة ، وافترق العامة ، وهو يوم معاوية الذي كان يخلّو فيه بنفسه ، ففتن معاوية
لما أراد: فبعث إلى ابنه يزيد وإلى مروان بن الحكم وإلى سعيد بن العاص ، وعبد الرحمن
ابن الحكم، وعمرو بن العاص . فلما أخذوا مجالسهم أذن له ، فلم يوقف واجها يتصفح
وجوه القوم . ثم قال :

« صريح العقوق مكالمة الأذنين . لا خير في اختصاص وإن وفر ، أحمد الله
إليكم على الآلاء^(۱) . وأستعينه على الآلاء^(۲) . وأشهد به من عمى مجهد . وأستعينه
على عدو مرصد^(۳) ، وأشهد أن لا إله إلا الله المنقذ بالأمين الصادق من شفا جرف
هاري^(۴) ، ومن بد غار^(۵) ، وصلوات الله على الزكي نبي الرحمة ، ونذير الأمة ، وقائد
الهدى ، أما بقديا أمير المؤمنين : فقد عسف بنا ظن فرع^(۶) ، وقذع^(۷) صدع ، حتى
طمع السحيق^(۸) ، وبئس الرفيق ، ودب الوشاة بموت زياد ، فكلمهم مستحقر^(۹)

(۱) النعم . (۲) الشدة . (۳) أرصدت له : أعددت .

(۴) الشفا : حرف كل شيء ، والجرف كعتق وقفل : ما تجرفته السيول وأكلته من الأرض ، وهار
الجرف : انصدع ولم يسقط فهو هار كقناص ، وهو مقلوب من هائر ، فإذا سقط فقد انهار ونهور .

(۵) البد : التعب ، والغاري : الملازم الشامل ، من غرا السمن قلبه لزق به وغطاه .

(۶) فرع بين القوم وفرق بمعنى واحد : أي أن هذا الظن فرق بيننا وبينك فجافيتنا .

(۷) هي في الأصل « فرع » وأراها محرفة عن قذع وهي التي تناسب المقام . قذعه قذعا (بالسكون)
رماء بالفحش وسوء القول كأقذعه ، والقذع محرّكة : الخنا والفحش والقذر ، وصدع : شقق وفرق : أي أن مارمانا
به الوشاة لديك من سوء القول فرق بيننا وبينك . (۸) البعيد . (۹) في الأصل هكذا بمعنى عتقر ،
أي عتقرنا لمعاداته إيانا ، أو أنه لا يبالي بمعادتنا لما نابنا من الضعف بموت زياد ، وربما كان « متحفظا للعداوة »
أي متوثب مستوفز أو « مسحوقا للعداوة » من اسحقفر : إذا مضى مسرعا .

للمداوة . وقد قاص الآزره^(۱) ، وشمر عن عطافه^(۲) ايقول : مضي زياد بما استلحق
به ، ودل على الأناة^(۳) من مستلحقه ، فليت أمير المؤمنين سلم في دعته^(۴) ، وأسلم^(۵)
زيادا في ضيعة ، فكان ترب^(۶) عامته ، وأحد رعيتيه ، فلا تشخص^(۷) إليه عين ناظر ،
ولا إصبع مشير ، ولا تندلق^(۸) عليه السن كلمته حيا ، ونبسته ميتا ؛ فإن تكن
يا أمير المؤمنين حايت زيادا بأول رفات ، ودعوة أموات ، فقد حاباك زياد بجد هصور ،
وعزم جسر ، حتى لانت شكائم الشرس ، وذات صعبة الأشوس^(۹) ، وبذل لك
يا أمير المؤمنين يمينه ويساره ، تأخذ بهما المبيع ، وتقه بهما البديع ، حتى مضى والله
يفقر له ، فإن يكن أخذ بحق أنزله منازل الأقربين ، فإن لنا بعده ما كان له ، بدالة
الرحم وقراة الحليم ، فما لنا يا أمير المؤمنين نمشي الضراء^(۱۰) ، ونشرف النصار^(۱۱) ؟
ولك من خيرنا أكله ، وعليك من حوبنا^(۱۲) أنقله ، وقد شهد القوم ، وما ساءني قريهم
ليقروا حقا ، ويردوا باطلا ، فإن للحق منارا واضحا . وسبيلا قصدا^(۱۳) . فقل يا أمير

- (۱) الآزره والأزر بضمين : جمع إزار ، وهو الملحفة . (۲) العطايف : الرداء ، وجمعه عطف
بضمين ، وأعطفه ، وكذا المعطف بالكسر ، وهو مثل إزار ، ومئزر ، ولحاف ، وملحف .
(۳) في الأصل « الأنية » وأراد محرفا عن « الأناة » وهي الحلم . (۴) الدعوة : الحفص .
(۵) أسلمه : خذله ، أي قايته ترك زيادا ضائع النسب مغفورا ولم يستلحقه .
(۶) الترب : من ولد معك : أي فكان تربا لأحد عامة الناس ، ولم يكن تربا لك فلا يقدر له قدر .
(۷) أي فلا ترتفع . (۸) اندلق السيل : اندفع ، والسيف انسل بلا سل ، أو شق جفنه فخرج منه ،
وكلمته : جرحته وأذته . (۹) وصف من الشوس بالتحريك ، وهو النظر بمؤخر العين تكبرا ، أو تغيظا .
(۱۰) الضراء : الشجر الملتف في الوادي ، يقال تواري الصيد منه في ضراء ، وفلان يمشي الضراء : إذا
مشى مستخفيا فيما يوارى من الشجر . (۱۱) اشرف ما في الإناء : شربه كله ، والنصار : الذهب
أو الفضة ، والمراد : نمنع منه ، ولا نمكن من أخذه ، أي بحال بيننا وبين الولاية .
(۱۲) الحوب بضم الحاء وفتحها : الإثم ، أي وطيلك من آثامنا التي ارتكبتها في سبيل تأييد
سلطانك أنقلها . وفي بعض النسخ : « من جوابنا » أي من جوابنا حين يسألنا المولى عما أتينا من أخذ الناس
بالعسف والإرهاق لتمكين مالك (۱۳) المقصد : استقامة الطريق .

المؤمنين بأى أمر يك شئت ، فما نازر^(۱) إلى غير جحرنا ، ولا نستكثر بغير حقتنا ،
وأستغفر الله لى ولكم .

۲۷۱ - رد معاوية على ابن زياد

فنظر معاوية فى وجوه القوم كالمتعجب ، فتصفحهم بِلَحْظِهِ رجلا رجلا وهو مبتسم ،
ثم أتجه تِلْقَاءَهُ ، وعقد حُبُوتَهُ^(۲) . وحسّر عن يده ، وجعل يَوْمِيُّ بِهَا ، ثم قال معاوية :
« الحمد لله على ما نحن فيه . فكل خير منه . وأشهد أن لا إله إلا الله . فكل
شئ خاضع له . وأن محمدا عبده ورسوله . دَلَّ على نفسه بما كان من عجز الخلق أن
يأتوا بمثله ؛ فهو خاتم النبیین ، وَمُصَدِّقُ المرسلين ، وحجة رب العالمين ، صلوات الله
عليه وبركاته ؛ أما بعد : فرُبُّ خير مستور ، وشرٌّ مذکور ، وما هو إلا السهم الأخببُ
لمن طار به ، والحظُّ المرغِبُ لمن فاز به ، فيهما التفاضلُ وفيهما التفاضلُ ، وقد صَفَقَتْ^(۳)
يداي فى أبيك صَفَقَةً ذى الخلة من روضح الفضلان ، عامِلَ اصطناعى^(۴) له بالكفر
لما أوليته ، فامرئ به إلا اتصل^(۵) ، ولا انتضيت^(۶) إلا غلق جفنه ، ولزت^(۷)
لسعته ، ولا قلتُ إلا عاند ، ولا قتتُ إلا قعد ، حتى اخترمه^(۸) الموت ، وقد أوقع
بِحتره^(۹) ، ودلَّ على حقه ، وقد كنت رأيتُ فى أبيك رأيا حضره الخطل ، والتبس
به الزلل ، فأخذ منى بحظ الغفلة ، وما أبرئى نَفْسِي ، إنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بالسوء ،

(۱) من أرزت الحية : أى لاذت بجحرها ورجعت إليه . (۲) احتبى بالثوب : اشتمل ، أو جمع
بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها ، والاسم : الحبوة ، وحسر : كشف . (۳) صفق له بالبيع ،
وصفق يده ، وهى يده صفقا وصفقة : ضرب يده على يده ، وذلك عند وجوب البيع . والفصلان جمع فصيل :
وهو ولد الناقة إذا فصل عن أمه ، والخلة : الحاجة . (۴) اصطنعه لنفسه : اختاره لخاصة أمر استكفاء إياه .

(۵) انتصل السهم : سقط نصله . (۶) انتضى السيف : استله ، والجفن : غمد السيف .

(۷) لزت : طمنه . (۸) أهلكه . (۹) الحتر : الغدر والحديمة ، أو أتبع الغدر ، وأوقع به : أهلكه .

فَا بَرِحَتْ هَنَاتٌ^(۱) أَيْبِكْ تَحْطَبُ فِي حَبْلِ الْقَطِيعَةِ ، حَتَّى انْتَكَتْ^(۲) الْمُبْرَمَ ، وَانْحَلَّ عَقْدُ الْوَدَادِ . فَيَا لَهَا تَوْبَةٌ تُؤْتِنَفُ^(۳) مِنْ حَوْبَةٍ أَوْرَثَتْ نَدْمًا ، أَسْمَعَ بِهَا الْهَاتِفُ ، وَشَاعَتْ لِشَامَتِ ، فَلْيَهْنَأْ^(۴) الْوَائِمَ مَا بِهِ احْتَمَرَ ، وَأَرَاكَ تَحْمَدُ مِنْ أَيْبِكْ جِدًّا وَجُسُورًا^(۵) هَاهُوَ فَيَا بِهِ عَلَى شَرَفِ التَّقَعُّمِ^(۶) ، وَغَبَطِ النِّعْمَةَ ، فَدَعَمَا فَقَدْ أَذْكَرْتَنَا مِنْهُ مَا زَهَدْنَا فِيكَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَبِهِمَا مَشِيَتْ الضَّرَاءُ ، وَاسْتَنْفَتِ النَّضَارُ ، فَاهْبِ ، إِيَّاكَ ، فَأَنْتَ بَجَلُ الدَّغَلِ^(۷) ، وَنَثْرُ النَّغَلِ^(۸) ، وَالْأَجْرُ شَرٌّ .

۲۷۲ - مقال يزيد بن معاوية

فَقَالَ يَزِيدُ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ لِلشَّاهِدِ غَيْرَ حُكْمِ الْغَائِبِ ، وَقَدْ حَضَرَكَ زِيَادٌ ، وَلَهُ مَوَاطِنٌ مَعْدُودَةٌ بِخَيْرٍ ، لَا يُفْسِدُهَا التَّظَنِّيُّ^(۹) ، وَلَا تَغْيِيرُهَا التُّهْمُ ، وَأَهْلُوهُ أَهْلُوكَ التَّحْقُوقَ بِكَ ، وَتَوَسَّطُوا شَأْنَكَ ، فَسَافَرْتُ بِهِ الرُّكْبَانَ ، وَتَسَمَّيْتُ بِهِ أَهْلَ الْبُلْدَانِ ، حَتَّى اعْتَقَدَهُ الْجَاهِلُ ، وَشَكَّ فِيهِ الْعَالِمُ ، فَلَا تَتَحَجَّرَ^(۱۰) يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا قَدْ اتَّسَعَ ، وَكَثُرَتْ فِيهِ السَّهَادَاتُ ، وَأَعَانِكَ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ . »

فَانْحَرَفَ مَعَاوِيَةَ إِلَى مَنْ مَعَهُ ، فَقَالَ : هَذَا وَقَدْ^(۱۱) نَفْسُهُ بِيَعْتَهُ ، وَطَعْنُ فِي أَمْرَتِهِ ، يَعْلَمُ ذَلِكَ كَمَا عَلِمَهُ ، يَا لَلرَّجَالِ مِنْ آلِ أَبِي سَفِيَانَ ! لَقَدْ حَاكَمُوا وَبَدَّوْا^(۱۲) يَزِيدُ وَحَدَّهُ ،

(۱) أَعْمَانُهُ وَسَيَاتُهُ جَمْعُ هِنَةٍ . (۲) انْحَلَّ وَانْتَقَضَ . (۳) تُؤْتِنَفُ : تَسْتَأْنِفُ ، وَالْحَوْبَةُ : الْإِثْمُ وَالذَّنْبُ . (۴) مِنْ هِنَاءِ الطَّعَامِ : أَيْ سَاغَ وَوَلَدَ ، وَالْوَائِمُ فَاعِلٌ مِنَ الْوَيْثَمِ ، وَشَمَّ بِهِ : إِذَا غَرَزَهَا بِإِبْرَةٍ ثُمَّ ذَرَّ عَلَيْهَا النَّيْلَ ، وَالْمُرَادُ بِهِ هِنَا الْمَعَادِي - وَالْوَشِيمَةُ : الْعِدَاوَةُ - أَيْ فَهَيْتَا لِأَعْدَائِهِ الَّذِينَ حَقَرُوهُ وَنَالُوا مِنْ عَرَضِهِ ، فَهُوَ أَهْلٌ لِمَا قِيلَ فِيهِ : « يَرُدُّ مَعَاوِيَةَ بِذَلِكَ عَلَى قَوْلِ عُبَيْدِاقَةَ قَبْلَهُ » وَلَا تَنْدَلِقُ عَلَيْهِ أَلْسُنُ كَلِمَتِهِ حَيًّا ، وَنَبَشْتَهُ مَيْتًا . (۵) الْجُسُورُ : الْجَسَارَةُ . (۶) تَقَعَّمْتُ بِهِ دَابَّتَهُ : نَدَّتْ بِهِ وَرَجَعَا طُوحَتْ بِهِ فِي وَهْدَةٍ أَوْ وَقَصَتْ بِهِ ، وَالْقَحْمَةُ كَفَرْفَةٌ : الْوَرِطَةُ وَالْمَهْلِكَةُ ، وَالْمُرَادُ التَّعَرُّضُ لِلْمَهْلَكِ . (۷) الدَّخَلُ وَالْفَسَادُ . (۸) نَغَلُ الْأَدِيمِ نَغْلًا : فَسَدَ فِي الدَّبَاغِ ، وَالْجَرْحُ فَسَدٌ . (۹) التَّظَنِّيُّ : إِعْمَالُ الظَّنِّ ، وَأَصْلُهُ التَّظَنُّنُ . (۱۰) أَيْ فَلَا تَضَيِّقُ . تَحَجَّرَ عَلَيْهِ : ضَيِّقُ ، وَتَحَجَّرَ مَا وَسَعَهُ اللَّهُ : حَرَمَهُ وَضَيَّقَهُ ، وَفِي الْحَدِيثِ : « أَقْدَمْتُ نَجْرَتِ وَأَسْمَا » أَيْ ضَيَّقْتُ مَا وَسَعَهُ اللَّهُ ، وَفِي الْأَصْلِ « فَلَا يَتَحَجَّرُ » وَهُوَ تَصْحِيفٌ . (۱۱) فِي الْأَصْلِ « وَفَدَّ » وَلَعَلَّهُ وَقَدْ ، بِقَالَ وَقَدْ : أَيْ غَلَبَهُ وَسَكَنَهُ . (۱۲) فَاقَهُمْ .

ثم نظر إلى عبيد الله ، فقال : يا بن أخى ، إني لأعترفُ بك من أبيك ، وكأني بك في غمرة لا يخطوها^(۱) الساجح ، فالزم ابن عمك ، فإن لما قال حقاً ، فخرجوا ولزم عبيد الله يزيد يرد مجلسه ، ويطأ عقبه أياماً ، حتى رمى به معاوية إلى البصرة واليا عليها^(۲) .

(المقد الفريد ۲ : ۱۴۰)

۲۷۳ - وصية المهلب بن أبي صفرة لأبنائه عند موته^(۳)

روى الطبري قال :

لما كان المهلب بن أبي صفرة بزاعول من مرو الروذ (من خراسان) أصابته الشوصة^(۴) (وقوم يقولون الشوكة^(۵)) فدعا حبيباً ومن حضره من ولده ، ودعا بيسهام فحزمت ، وقال : أترونيكم كاسريها مجتمعة ؟ قالوا : لا . قال : أترونيكم كاسريها متفرقة ؟ قالوا : نعم . قال : فهكذا الجماعة ، فأوصيكم بتقوى الله وصلة الرّحم ، فإن صلة الرّحم تُنسي^(۶) في الأجل ، وتُثري المال ، وتُكثّر العدد ، وأنها كم عن القطيعة ، فإن القطيعة تُعقب النار ، وتورث الذلة والقلة ، تبادلوا وتواصلوا تحابوا ، وأجمعوا أمركم ولا تختلفوا ، وتباروا تجتمع أموركم ، إن بني الأم يختلفون ، فكيف بيني العلات^(۷) ؟ وعليكم بالطاعة والجماعة ، ولتكن فيكم أفضل من قواكم ، فإني أحب للرجل أن يكون لعمله فضلٌ على لسانه ، وأنفقوا الجواب ، وزلة اللسان ، فإن الرجل تزل قدمه فينتعش من زلته ، ويزل لسانه فيهلك ، اعرفوا لمن يفتشكم حقه ، فكفى بغدو

(۱) في الأصل « لا يخطرها » وأراه « لا يخطوها » . (۲) قال الطبري : « ولي معاوية عبيد الله

ابن زياد البصرة سنة ۵۵ هـ . (۳) سرد خطبه إن شاء الله في باب « خطب الخوارج وما يتصل بها » وذكر الطبري أنه توفي سنة ۸۲ هـ ، وابن خالكان أنه توفي سنة ۸۳ هـ ، وكان الحجاج قد ولاء بعد قراغه من حرب الأزارقة على خراسان ، فوردها واليا عليها سنة ۷۹ هـ ولم يزل واليا عليها حتى أدركته الوفاة هناك .

(۴) الشوصة بالفتح وقد تضم الشين : وجع في البطن . (۵) الشوكة : حمرة تملو الجسد .

(۶) تؤخر وتطيل . (۷) بنو العلات : بنو أمهات شق من رجل واحد .

الرجل ورواحه إليكم تذكرة له ، وآثروا الجود على البخل ، وأحبوا العرب ، واصطنعوا العرب ، فإن الرجل من العرب تعدّه العدة فيموت دونك ، فكيف الصنعة عنده ؟ وعليكم في الحرب بالأناة والمكيدة ، فإنها أنفع في الحرب من الشجاعة ، وإذا كان اللقاء نزل القضاء ، فإن أخذ رجل بالحزم فظهر على عدوه ، قيل : أتى الأمر من وجهه ، ثم ظفر فحميد ، وإن لم يظفر بعد الأناة ، قيل : ما فرط ولا ضيع ، ولكن القضاء غالب ، وعليكم بقراءة القرآن ، وتعاليم السنن وأدب الصالحين . وإياكم والخفة وكثرة الكلام في مجالسكم ، وقد استخلفت عليكم يزيد ، وجعلت حبيباً على الجند ، حتى يتقدم بهم على يزيد ، فلا تخالفوا يزيد « فقال له المفضل : لو لم تقدمه لقد مناه .

(تاريخ الطبري ۸ : ۱۹ ، ونهاية الأرب ۷ : ۲۴۹ ، والبيان والتبيين ۲ : ۹۸)

* * *

وعهد إلى ولده يزيد ، فكان من جملة ما قال له :

« يا بُنَيَّ ، استعقل الحاجب ، واستظرف الكاتب ، فإن حاجب الرجل وجهه ، وكاتبه لسانه » ، وكان يقول لبنيه : « يا بني أحسن ثيابكم ما كان على غيركم » . ومن كلماته المأثورة قوله : « الحياة خير من الموت ، والثناء الحسن خير من الحياة ، ولو أُعطيت ما لم يعطه أحد لأحببت أن تكون لي أذنٌ اسمع بها ما يقال في غداً إذا ميتة » ، وقوله : « عجبت لمن يشتري العبيد بماله ولا يشتري الأخرار بإفضاله » .

(وفيات الأعيان ۲ : ۱۴۶ ، وشرح العيون ۱۳۷)

خطب الحجاج بن يوسف الثقفي

(المتوفى سنة ٩٥ هـ)

٢٧٤ - خطبته بمكة بعد مقتل ابن الزبير (سنة ٧٣ هـ)

لما قتل الحجاجُ عبد الله بن الزبير، ارتجبت مكة بالبكاء، فصعد المنبر، فقال:

«ألا إن ابن الزبير كان من أخبار^(١) هذه الأمة، حتى رغب في الخلافة ونازع فيها، وخلع طاعة الله، واستكنَّ بحرم الله، ولو كان شيء مانعاً للأصاة، لمنع آدم حرمة الجنة، لأن الله تعالى خلقه بيده، وأسجد له ملائكته، وأباحه جنته، فلما عصاه أخرجه منها بخطيئته، وآدم على الله أكرم من ابن الزبير، والجنة أعظم حرمة من الكعبة».

(شرح العيون ص ١٢٢ وتاريخ ابن عساکر ٤ : ٥٠)

٢٧٥ - خطبته بعد قتل ابن الزبير

وصعد الحجاج بعد قتله ابن الزبير متلماً، فخط الأنام عنه ثم قال:

«مَوْجُ لَيْلِ التَّطْمِ، وَأَنْجَلِي بِضَوْءِ صُبْحِهِ، يَا أَهْلَ الْحِجَازِ، كَيْفَ رَأَيْتُمُونِي؟ أَلَمْ أَكْشِفْ ظُلْمَةَ الْجُورِ، وَطَخَيْتُ^(٢) الْبَاطِلَ بِنُورِ الْحَقِّ؟ وَاللَّهِ لَقَدْ وَطَّئْتُكُمْ الْحِجَابَ وَطَاءَ مُشْفِقٍ، وَعَطَفَةَ رَحْمٍ، وَوَضَلَّ قَرَابَةَ، فَإِيَّاكُمْ أَنْ تَزُولُوا عَنْ سَنَنِ أَقْنَاكُمْ عَلَيْهِ،

(١) جمع حبر: يفتح الحاء وكسرهما، وهو للعالم أو الصالح. (٢) الطخية: الظلمة، ويثلك.

فأقطع عنكم ما وصلته لكم ، بالصارم البتار ، وأقيم من أودكم ما يقيم الثقف من أود^(۱) القنائة بالنار » ثم نزل وهو يقول :

أخو الحرب إن عضت به الحربُ عضَّها وإن شمرت عن ساها الحربُ شمرًا
(مواسم الأدب ۲ : ۱۲۳)

۲۷۶ - خطبته حين ولي العراق^(۲) (سنة ۷۵ هـ)

حدث عبد الملك بن عمير الليثي قال :

بينما نحن في المسجد الجامع بالكوفة ، وأهل الكوفة يومئذ ذور حال حسنة ، يخرج الرجل منهم في العشرة والعشرين من مواليه ، إذ أتى آت ، فقال : هذا الحجاج قد قدم أميراً على العراق ، فإذا به قد دخل المسجد مُعْتَمِراً بِعِمَامَةٍ قَدْ غَطَّى بِهَا أَكْثَرَ وَجْهِهِ مَقْلَدًا سَيْفًا ، مَتْنَكِبًا^(۳) قَوْمًا ، يَوْمَ الْمَدْبَرِ ، فَقَامَ النَّاسُ نَحْوَهُ حَتَّى صَعِدَ الْمَنْبَرُ ، فَكَلَّمَ سَاعَةً لَا يَتَكَلَّمُ ، فَقَالَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : قَبِّحَ اللَّهُ بَنِي أُمِيَّةَ ، حَيْثُ تَسْتَعْمَلُ مِثْلَ هَذَا عَلَى الْعِرَاقِ ! حَتَّى قَالَ عُمَيْرُ بْنُ ضَابِيٍّ الْبُرْجُمِيُّ : أَلَا أَحْصِيهِ لَكُمْ ؟ فَقَالُوا : أُنْمَلُ حَتَّى نَنْظُرَ^(۴) ، فَلَمَّا رَأَى عَيُونَ النَّاسِ إِلَيْهِ ، حَسَرَ اللَّثَامَ عَنْ فِيهِ ، وَنَهَضَ ، فَقَالَ :

« أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّمَايَا مَتَى أَضْعُرُ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي^(۵) »

(۳) مقوم الرماح . والأود : الاعوجاج .

(۲) و يروي : أنه خرج يريد العراق واليا عليها في اثني عشر راجيا على التجائب ، حتى دخل الكوفة فجاءه حين انتشر النهار ، فبدأ بالمسجد فدخله ، ثم صعد المنبر فقال : على بالناس ، فحسبوه وأصحابه خوارج فهموا به .

(۳) تنكب قومه : القاهاء على منكبه . (۴) قال ابن نباتة « فلما سمعوا هذه الخطبة - وكان بعضهم قد أخذ حصي أراد أن يحصبه به - تسافط من أيديهم حزنا ورعبا » . (۵) البيت لسحيم بن وثيل الرياحي ، قاله الحجاج متمثلا ، وقوله « أنا ابن جلا » أي الواضح الأمر المنكشفه ؛ وقيل ابن جلا الصبح ، لأنه يجلو الظلمة . وهو مثل يضرب للمشهور المتعالم ، أي أنا الظاهر الذي لا يخفى وكل أحد يعرفني ، ولم ينون جلا لأنه أراد الفعل ، فحكى على ما كان عليه قبل التسمية كقول الشاعر :

وَاللَّهِ مَا زِيرُ بِنَامٍ صَاحِبُهُ وَلَا مُخَالِطِ اللَّيَآنِ جَانِبُهُ

وتقديره أنا ابن الذي يقال له جلا الأمور وكشفها . وقال بعضهم : ابن جلا - رابن أجلى - رجل -

ثم قال: يا أهل الكوفة، أما والله إنى لأُحْمِلُ الشَّرَّ بِحَمَلِهِ ، وأحذوه بنَعْلِهِ ، وأجزِيه بِمِثْلِهِ ، وإنى لأرى أبصاراً طامحة ، وأعناقاً متطاولة ، ورءوساً قد أينمَّتْ رِحانَ قِطَافِهَا ، وإنى لصاحبها ، وكأنى أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى تتَرَقُّرُقُ ، ثم قال :

هذا أوان الشَّدِّ فاشتدَّى زَيْمٌ قد لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسِوَاكِ حُطَمٍ
ليس بِرَاعِي إِبِلٍ وَلَا غَنَمٍ ولا بِجَزَارٍ عَلَى ظَهْرٍ وَضَمٍّ^(١)
ثم قال: قد لَفَّهَا اللَّيْلُ بِعَصَدِيٍّ أَرْوَعَ خَرَّاجٍ مِنَ الدَّوِيِّ^(٢)
مُهَاجِرٍ لَيْسَ بِأَعْرَابِيٍّ^(٣)

ثم قال: قد شمَّرت عن ساقها فشَدُّوا وَجَدَّتِ الحَرْبُ بِكُمْ فَجِدُّوا
والقوسُ فيها وَتَرٌّ عَرْدٌ مثل ذِرَاعِ البَكْرِ أو أَشَدُّ
لَا بُدَّ مِمَّا لَيْسَ مِنْهُ بِدٌّ^(٣)

= بعينه، قال في اللسان: « وكان ابن جلا هذا صاحب فتك يطلع في الغارات من ثنية الجبل على أهلها » والثنايا جمع ثنية: وهى الطريق في الجبل، أراد به أنه جلد يطلع الثنايا في ارتفاعها وصعوبتها، والعمامة: المنفر

والبيضة قال ثعلب: العمامة تلبس في الحرب وتوضع في السلم. (١) الشعر لرويشد بن رميض المنبرى والشد: العدو، وزيم: اسم فرس أو ناقة، وقيل اسم للحرب، والحطم، والحطمة: الراعى الظلوم للماشية يهشم بعضها ببعض، فلا يبقى من السبر شيئا، وقد ضرب المثل برعاة الغنم في الحمق فتيل: « أحق من راعى ضأن ثمانين » قال الجاحظ في البيان والتبيين ١: ١٣٩ « فأما استحماق رعاة الغنم في الجملة فكيف يكون ذلك صوابا؟ وقد رعى الغنم عدة من جملة الأنبياء عليهم السلام » والروضم: كل ما قطع عليه اللحم.

(٢) المصلبي: الشديد القوى، والأروع: الذكى، أو من يعجبك بشجاعته، والدو والدوية والداوية ويخفف: الفلاة المتسعة التى تسمع لها دويها بالليل « وإنما ذلك الدوى: من أخفاف الإبل، تنفخ أصواتها فيها، وتقول جهلة الأعراب: إن ذلك عزيز الجن » أى خراج من كل غمام شديدة، وهجر الرجل: خرج من البدو إلى المدن، والأعرابي بطبيعته فر ساذج ليس في تجربته كأهل المدن.

وسيرد عليك إن شاء الله في الجزء الثالث في خطبة أبي بكر بن عبد الله بالمدينة:

« إني لست أناوياً أعلم، ولا بدوياً أفهم ».

(٣) حذبه الأمر: اشتد، وعرد: أى شديد، والبكر: الفتى من الإبل، ولا بد من كذا: أى لا يحيد عنه.

(١٩) — جمهرة خطب العرب — ثان ٢

إلى والله بأهل العراق ، ومعدن الشقاق والنفاق ، ومساوي الأخلاق ، ما يُقْتَمَعُ
 لي بالشنان^(۱) ، ولا يُغْمَزُ جانبي كتغماز التين ، ولقد فررت^(۲) عن ذكاه ، وفنشت
 عن تجربة ، وجريت إلى الغاية القُصوى ، وإن أمير المؤمنين - أطل الله بقاءه - نثر
 كِفَانته^(۳) ، بين يديه ، فَعَجَمَ^(۴) عِيدانها ، فوجدني أمرها عوداً ، وأصلبها مكسراً^(۵)
 فرماكم بي ، لأنكم طالما أوضعتم^(۶) في الفتن ، واضطجعتم في مَرَاقِدِ الضلال ، وسننتم
 سنن الفئ ، أما والله لألحون^(۷) نككم^(۷) آخو العصا ، ولأقرعنكم قرع المرؤة^(۸) ،
 ولأعصبنكم عصب السلة^(۹) ، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل^(۱۰) ، فإنكم لكاهل
 قرية كانت آمنة مطمئنة ، يأتيها رزقها رغداً من كل مكان ، فكفرت
 بأنعم الله ، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ، وإني والله
 لا أعد إلا وقيت ، ولا أُمم إلا أمضيت ، ولا أخلق إلا فرئت^(۱۱) ، فإياي وهذه
 الشفماء ، والزرافات^(۱۲) والجماعات ، وقالوا رقبلا^(۱۳) ، وما تقول ؟ وفيم أنتم وذاك ؟

(۱) القمعة : تحريك الشيء اليابس الصلب مع صوت مثل السلاح وغيره ، والشنان : جمع شن بالفتح ، وهو القرية البالية ، وهم يحركونها إذا أرادوا حث الإبل على السير لنفزع قترع : مثل يضرب لمن لا يروعه مالا حقيقه له ، وقد تمثل به معاوية من قبله . (۲) فر الدابة : نتح حنكها وكشف أسنانها لينظر سنها ، وفر عن الأمر : بحث عنه . (۳) الكفانة : جملة المهام . وفي رواية : « كب كفانته » أي قلبها . (۴) هجم العود : عضه أي عرف صلابته من خوره . (۵) وفي رواية « وأصلبها عوداً » . (۶) أوضع لإضاعا : أمرع في سيره كوضع . (۷) لحا العصا : قترع ، وفي رواية : « لحو العود » . (۸) المرؤ : حجارة بيض براقه توري النار . (۹) السلة : شجر كبير الشوك . قال الجاحظ في البيان والتبيين « لأن الأشجار تصب أفصانها ، ثم تخبط بالهصى اسقوط الورق وهشم العيدان » (۲۱ : ۳) . (۱۰) قال الجاحظ أيضا : (۲۷ : ۳) « وهي تضرب عند الحرب ، وعند الخلاط ، وعند الحوض أشد الضرب » وقال الحارث بن صخر :
 بضرب يزيل الهام عن سكانه كما زيد عن ماء الحياض الغرائب
 (۱۱) أخلق : أقدري ، وفرئت : قطعت . (۱۲) الشفماء جمع شفيح ، وكانوا يجتمعون إلى السلطان في أصحاب الجرائم ، فهاهم عن ذلك ، والزرافات جمع زرافة بفتح الزاي وضمها : الجماعة من الناس . (۱۳) القول في الخبر ، والقال ، والقيل ، والقالة في الشر .

أما والله لَتَسْتَقِيمُنَّ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ ، أَوْ لَأَدَعَنَّ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ شُغْلًا فِي جَسَدِهِ ،
وَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَرَنِي بِإِعْطَائِكُمْ أُعْطِيَاتِكُمْ^(۱) ، وَإِنْ أَوْجَهَكُمْ لِمُحَارَبَةِ عَدُوِّكُمْ مَعَ
الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ^(۲) ، وَإِنِّي أَقْسَمُ بِاللَّهِ لَا أَجِدُ رَجُلًا تَخْلَفُ بَعْدَ أَخْذِ عَطَائِهِ بِثَلَاثَةِ
أَيَّامٍ إِلَّا سَفَكَتُ دَمَهُ ، وَأَنْهَيْتُ^(۳) مَالَهُ ، وَهَدَمْتُ مَنْزَلَهُ ۝ .

(الكامل للمبرد ۱ : ۱۸۱ ، والبيان والتبيين ۲ : ۱۶۴ ، والعقد الفريد ۲ : ۱۵۳ - ۳ : ۷ ،
وتاريخ الطبري ۷ : ۲۱۰ ، وصبح الأعتى ۱ : ۲۱۸ ، وعيون الأخبار ۲ : ص ۲۴۴ ،
ومروج الذهب ۲ : ۱۳۲ ، ومعاهد التنصيص ۱ : ۱۱۵ ، والكامل لابن الأثير ۴ : ۱۵۶ ،
وسرح العيون ۱۱۶ ، وتاريخ ابن عساکر ۴ : ۵۳) .

۲۷۷ - خطبته وقد سمع تكبيراً في السوق

فلما كان اليوم الثالث خرج من القصر : فَسَمِعَ تَكْبِيرًا فِي السُّوقِ ، فَرَأَاهُ ذَلِكَ ،
فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه ، ثم قال :
« يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، يَا أَهْلَ الشَّقَاقِ وَالنَّفَاقِ ، وَمَسَاوِي الْأَخْلَاقِ ، وَبَنِي الْأَكِيمَةِ^(۴) ،
وَعَبِيدَ الْعَصَا ، وَأَوْلَادَ الْإِمَاءِ ، وَالْفَقْعَ بِالْقَرَقَرِ^(۵) ، إِنِّي سَمِعْتُ تَكْبِيرًا لَا يُرَادُ اللَّهُ بِهِ ،
وَإِنَّمَا يُرَادُ بِهِ الشَّيْطَانُ^(۶) ، إِلَّا إِنَّهَا عِبَاجَةٌ نَحْمَتُهَا قَصْفٌ^(۷) ، وَإِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ مَا قَالَ
عَمْرُو بْنُ بَرَّاقٍ الْهَمْدَانِيُّ :

وَكُنْتُ إِذَا قَوْمٌ غَزَوْنِي غَزَوْهُمْ فَهَلْ أَنَا فِي ذَاتَا لَهْمَدَانَ ظَالِمٌ !

(۱) إعطيات جمع أعطية ، وهي جمع عطاء . (۲) قائد الجيوش الذي حارب الخوارج الأزارقة ،
وفل شوكتهم ، وسيأتي . (۳) جعلته نها يغار عليه .

(۴) الشيمة . (۵) القرقر : أرض مطمئة لينة ، والفقع ويكسر : البيضاء الرخوة من

الكمأة ، ويقال للذليل : هو أذل من فقع بقرقر ، لأنه لا يمنع على من اجتناه ؛ أو لأنه يوطأ بالأرجل .

(۶) وفي رواية : « إِنِّي سَمِعْتُ تَكْبِيرًا لَيْسَ بِالتَّكْبِيرِ الَّذِي يُرَادُ اللَّهُ بِهِ فِي التَّرْغِيبِ ، وَالْكُفْرِ التَّكْبِيرِ

الذي يراد به الترهيب » . (۷) العجاج : النبار ، والقصف : شدة الريح .

متى تجمع القلب الذكي وصارماً وأنفاً حياً تجتنبك المظالم
أما والله لا تفرع عصاً عصاً إلا جعلتها كأس الدابر^(۱) .

(البيان والتبيين ۲ : ۶۹ - ۱ : ۲۰۹ ، والمعقد الفريد ۲ : ۱۵۲ ، وإعجاز القرآن ۱۲۴ ،
وشرح ابن أبي الحديد ۱ : ص ۱۱۴ ، وتاريخ الطبري ۷ : ۲۱۲ ، وتهذيب الكامل ۱ : ۱۹)

۲۷۸ - خطبته وقد قدم البصرة

وخطب لما قدم البصرة يتهدد أهل العراق ويتوعدهم فقال :

« أيها الناس : من أعياه داؤه ، فعندى دواؤه ، ومن استطال أجله ، فعلى أن أعجله ،
ومن ثقل عليه رأسه ، وضعتُ عنه ثقله ، ومن استطال ماضى عمره . قصرتُ عليه باقيه ،
إن للشيطان طيفاً ، وللسلطان سيفاً ، فن سقيتُ سريره ، صحت عُقوبته ، ومن وضعه
ذنبه ، رفعه صكبه ، ومن لم تسعه العافية ، لم تضيقُ عنه الهلكة ، ومن سبقته بادره فمه ،
سبق بدنه بسفكِ دمه ، إني أنذِرُ ثم لا أنظر^(۲) ، وأحذرُ ثم لا أعذر ، وأتوعد
ثم لا أعفو ، إنما أفسدكم ترنيق^(۳) ولآتكم ، ومن استرخى لبيبه^(۴) ، ساء أدبه ، إن
الحزم والعزم سلباني سوطي^(۵) ، وأبدلاني به سيفي ، فقاءه في يدي ، ونجاده^(۶) في عنقي ،
وذبابه^(۷) قِلادة لمن عصاني ، والله لا أمرُ أحدكم أن يخرج من باب من أبواب المسجد ،
فيخرج من الباب الذي يليه ، إلا ضربت عنقه . »

(نهاية الأرب ۷ : ۲۴۴ صبح الأعشى ۱ : ۲۲۰ وشرح العيون ۱۲۲)

(۱) وفي رواية الطبري خاصة : « ألا يربع رجل منكم على ظلمه ، ويحزن حزن دمه ، ويبصر
موضع قدمه ، فأقسم بالله لأوشك أن أرقع بكم رقعة تكون نكالا لما قبلها ، وأدبا لما بعدها . -
يربع (كيمع) يقف ، وينتظر ، والظلع (كشمس) : الغمز في المشي ، ويقال : اربع على ظلمك ، أى إنك
ضعيف ، فأنته عما لا تطيقه . (۲) أنظره : أهله . (۳) الترنيق : الضعف في الأمر (وفي البدن والبصر أيضاً) .
(۴) اللبب : ما يشد في صدر الدابة لئلا يمنع استئخار الرجل ، والمراد أن الهوادة واللين تفسد أدب الرعية .
(۵) هكذا في نهاية الأرب ، وفي صبح الأعشى : « سكتنا في وسطى » والأول أصح ، أى أنه رأى من
الحزم والعزم : المبالغة في استعمال الشدة والقوة في التأديب ، فطرح السوط ، واستبدل به ما هو أشد
منه وهو السيف . (۶) النجاد : ملاقاة السيف . (۷) ذباب السيف : حده .

۲۷۹ - خطبته بعد وقعة دير الجماجم^(۱)

وخطب أهل العراق بعد وقعة دير الجماجم فقال :

« يا أهل العراق ، إن الشيطان قد استبطنكم ، فحاط اللحم والدم والقصَبَ ،
والمسامعَ والأطرافَ ، والأعضاء^(۲) والشَّغاف^(۳) ، ثم أفضى إلى المخاخ^(۴) والأصماغ ،
ثم ارتفع فحششَ ، ثم باض وفرخ ، فحشاشكم نفاقاً وشقاقاً ، وأشركم خلافاً ، اتخذتموه
دليلاً تتبهونهُ ، وقائداً تُطيعونه ، ومُؤامراً^(۵) نستشيرونهُ ، فكيف تنفعم تجربة ،
أو تعظكم وقعة ، أو يحجزكم إسلام ، أو ينفعكم بيان ؟ ألسن أصحابي بالأهواز^(۶) ؟

(۱) وقعة دير الجماجم : هي وقعة نشبت بين الحجاج وبين عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث قرب الكوفة سنة ۸۳ هـ هزم فيها ابن الأشعث . وذلك أن عبيد الله بن أبي بكره عامل الحجاج على سجستان كان قد غزا وتبيل ملك الترك ، وأوغل في بلاده فأصيبوا ، وهلك أكثرهم ، فوجه الحجاج إلى وتبيل بن الأشعث على رأس جيش عظيم لمحاربتة ، فسار إليه وامتلك بعض بلاده ، وكان يرى أن يتدرج في الفتح ، فينتقصهم في كل عام طائفة من أرضهم ، ولا يتوغل في بلادهم لكيلا يعرض جيشه للدمار والهلكة ، وكتب إلى الحجاج بذلك ، فأبى عليه الحجاج ، وكتب إليه يصف رأيه ويأمره بالوغل في أرضهم وإلا عزله ، وكان من جراء ذلك أن بايع الجند ابن الأشعث على خلع الحجاج وقتاله ثم خلع عبد الملك بن مروان ، وسار ابن الأشعث بهم من سجستان إلى العراق ، ونجهز الحجاج للقائه ، فسار بأهل الشام حتى نزل تسر (مدينة بالأهواز) فانهزمت مقدمته ، فرجع إلى البصرة حتى نزل الزاوية (موضع قرب البصرة) ودارت رحى الحرب بين الفريقين فهزم أهل العراق أهل الشام . فجثا الحجاج على ركبتيه وانتضى نحو شبر من سيفه ، واستعد للقائه الموت كريماً فقويت بذلك قلوب جنده واستبسلوا حتى كان لهم النصر . وانهزم ابن الأشعث ، فأقبل نحو الكوفة ، حتى هزم هزيمة منكرة بدير الجماجم وتبدد أمره ، وفر إلى فارس حتى نزل مدينة بست ؛ فسمع وتبيل بمقدمه فأنزله عنده وأكرمه فكتب الحجاج إلى وتبيل يأمره أن يبعث إليه بابن الأشعث ويتوعده إن لم يفعل ، فأراد وتبيل أن يرسله إليه ، فقتل ابن الأشعث نفسه بأن أتى نفسه من فوق قصر ، فأت فاحترز وتبيل رأسه ، وبعث به إلى الحجاج سنة ۸۵ هـ . (۲) في العقد الفريد (والأعضاء) . (۳) الشغاف : خلاف القلب أو حبه . (۴) رواية نهاية الأرب « المخاخ » وهو الوارد في كتب اللغة : مخ يجمع على مخاخ ومخخة (كعنبه) ، أما سائر المصادر التي روت هذه الخطبة ؛ فترونها (الأبخاخ) ، وهو ما لم أره في كتب اللغة . وقد روت جميع المصادر « الأصماغ » بهذا للنص ، والذي في كتب اللغة : « الصمخ من الأذن : الحرق الباطن الذي يفضى إلى الرأس يجمع أصمخنة وصمخ » ومثل الصمخ الأصمخ كصمخور ، وجمعه أصمخ ، فصواب الكلمة « الصمخ » أو « الأصمخ » . (۵) أمره في كذا مؤامرة : شاوره . (۶) يشير إلى وقعة وتسر «

حيث رُمتم المكر، وسعينم بالقدْر، واستجمعتم للكفر، وظننتم أن الله يخذل دينه
 وخِلافته، وأنا أرميكم بطرفي، وأنتم تتسللون لُوَآذًا^(١)، وتنهزمون سِرَاعًا؟ ثم يوم
 الزَّأوية، وما يوم الزَّأوية ابها كان فسلكم وتنازعكم وتخاذلكم، وَبَرَاءة الله منكم،
 ونكوص وليتكم عنكم، إذ ولَّيتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها، النوازع إلى
 أعطانها^(٢)، لا بسأل المرء عن أخيه، ولا يُلوي^(٣) الشيخ على بنيه، حتى عضَّكم^(٤)
 السلاح، وقصمتكم الرماح، ثم يوم دَيْر الجاجم، وما يوم دِير الجاجم ابها كانت
 المعارك والملاحم^(٥)، بضرب يَزِيل الهام^(٦)، عن مَقِيله^(٧)، وَيُذْهِل الخليل عن خليله،
 يَأهل العراق، وَالْكَفَرَاتِ بعد الفَجَرَاتِ، وَالغَدَرَاتِ بعد الْخَلَّتَاتِ^(٨)، وَالنَزَوَاتِ^(٩)
 بعد النزوات، إِنْ بَعَثْتُمْ إِلَى ثغوركم غَلَّامًا^(١٠) وَخُنْتُمْ، وَإِنْ أَمِنْتُمْ أَرْجَفْتُمْ، وَإِنْ
 خِفْتُمْ نَافَقْتُمْ، لا تذكرون حَسَنَةً، ولا تشكرون نِعْمَةً، هل استخفكم ناكث،
 أو استغفواكم غار، أو استنصركم ظالم، أو استعضدكم^(١١) خالغ، إلاتبعتموه وآوبتموه،
 ونصرتهم وزكيتهم؟ يَأهل العراق، هل شَغِبَ شاغب، أو نَعَبَ ناعب، أو زفر
 زافر إلا كنتم أتباعه وأنصاره؟ يَأهل العراق: ألم تنهكُم المواءظ، ألم تزجرُكم
 الوقائع؟ .

ثم التفت إلى أهل الشام وهم حول المنبر، فقال: «يَأهل الشام، إنما أنا لكم
 كالظلم^(١٢) الرامح عن فراخه، يَنْفِي عنها المدَر^(١٣)، ويباعد عنها الحجر، وَيُكِنُّهَا

(١) أي يلوذ بعضهم ببعض : لاوذ لُوَآذًا وملاوذة . (٢) أعطان جمع عطن كسبب : مبرك الإبل
 حول الحوض كالمعطن ، ونوازع : أي مشتاقة . (٣) لايلوي على أحد ؛ أي لايقف ولا ينتظر .
 (٤) في نهاية الأرب « عظكم » بالفاء : عظته الحرب كعضته بالضاد .
 (٥) جمع ملحمة وهي الوقعة العظيمة القتل . (٦) جمع هامة ، وهي الرأس .
 (٧) موضعه ، أي الأعناق ، قال الشاعر :
 بضرب بالسيوف رهوس قوم أزنا دامهن من المقييل
 (٨) جمع خثرة ، والخثرة كشمس : الفدر والحديمة أو أقيح الفدر . (٩) جمع نزوة ، من نزا
 نزوانا : أي وثب . (١٠) غل كنصر غلولا : خان . (١١) استعضده : ساءه أن يعضده .
 (١٢) ذكر النعام ، والرامح : أي المدافع ، من رمحه : أي طعنه بالرمح . (١٣) قطع الطين اليابس .

من المطر، ويحميها من الضباب^(١)، ويحرسها من الدثاب، يأهل الشام؛ أنتم الجنة والرداء، وأنتم العدة والخذاء .

(البيان والتبيين ٢ : ٧١ ، ونهاية الأرب ٧ : ٢٤٥ ، والعقد الفريد ٢ : ١٥٢ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١١٤ ، وروج الذهب ٢ : ١٣٥ - وتاريخ ابن عساكر ٤ : ٥٥) .

٢٨٠ - خطبة أخرى له في أهل الكوفة وأهل الشام

وخطب فقال :

« يا أهل الكوفة ، إن الفتنة تُلَفَّحُ بالنَجْوَى^(٢) ، وتُذْتَجُ بالشكوى ، وتخصد بالسيف ؛ أما والله إن أبغضتموني لاتضروني ، وإن أحببتموني لاتنفعوني ، وما أنا بالمستوحش لعداوتكم ، ولا المستريح إلى مودتكم ، زعمتم أني ساحر ، وقد قال الله تعالى : « وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ » . وقد أفاحت ، وزعمتم أني أعلم الاسم الأكبر ، فلم تقاتلون من يعلم ما لاتعلمون ؟ » .

ثم التفت إلى أهل الشام فقال : « لَأَزْوَاجُكُمْ أَطِيبٌ مِنَ الْمَسْكِ ، وَلَأَبْنَاؤُكُمْ آسٌ بِالْقَلْبِ مِنَ الْوَلَدِ ، وَمَا أَنْتُمْ إِلَّا كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي ذُبْيَانَ :

إذا حاولت في أسد فجورا فإني لست منك واست مني

مهم دِرْعِي التي استلأمت فيها إلى يوم النسار وهم بجني^(٣)

ثم قال : « بل أنتم يا أهل الشام كما قال الله سبحانه : « وَأَقْدَمَ سَبَقَتُ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ، إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ، وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ » . ثم نزل .

(شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ١١٥)

٢٨١ - خطبة له بالبصرة

وخطب بالبصرة ، فقال :

قال الله تعالى : « فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَبَطَقْتُمْ » ، فهذه لله ، وفيها متوبة^(٤) ، وقال :

(١) جمع ضب ، وهو حيوان كالوزغة والحرياء . (٢) النجوى : المصارة . (٣) استلأم : لبس

للأمة ، وهي الدرع ، النصار : ماء لبني عامر له يوم ، والمجن : الترس . (٤) ثواب .

« وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا » ، وهذه لعبد الله ، وخليفة الله ، وحبيب الله ، عبد الملك بن مروان ؛ أما والله لو أمرت الناس أن يأخذوا في باب واحد ، فأخذوا في باب غيره ^(۱) ، لكانت دماؤهم لي حلالاً من الله ، ولو قتل ربيعة ومصر لكان لي حلالاً .

« عذيري ^(۲) من أهل هذه الحمايراء ، يرمي أحدهم بالحجر إلى السماء ويقول : يكون إلى أن يقع هذا خير ^(۳) ، والله لأجعلنهم كالرسم ^(۴) الدائر ، وكالأمس الغابر ، عذيري من عبد هذيل يقرأ القرآن كأنه رَجَز الأعراب ، أما والله لو أدركته اضربت عنقه . يعني عبد الله بن مسعود ^(۵) . عذيري من سليمان بن داود ، يقول لربه : « رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي » كان والله - فيما علمت - عبداً حَسُوداً بخيلاً . (مروج الذهب ۲ : ۱۴۳ والعقد الفريد ۲ : ۱۵۲)

۲۸۲ - خطبة أخرى له بالبصرة

حمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« إن الله كفانا مَثُونَةَ الدنيا ، وأمرنا بطلب الآخرة ، فليتهُ كفانا مَثُونَةَ الآخرة وأمرنا بطلب الدنيا ، مالي أرى علماءكم يذهبون ، وجهالكُم لا يتعلمون ، وشركم لا يتوبون ؟ مالي أراكم تحرصون على ما كفيتم ، وتضيعون ما به أمرتم ؟ إن العلم يوشك أن يرفع ، ورَفَعُهُ ذهابُ العلماء ؛ ألا وإني أعلم بشراركم من البيطار بالفرس ، الذين لا يقرءون القرآن إلا هَجْرًا ^(۶) ، ولا يأتون الصلاة إلا دُبْرًا ^(۷) ؛ ألا وإن الدنيا عَرَضٌ حاضر ، يأكل منها البرُّ والفاجر ، ألا وإن الآخرة أجل مستأخر ، يحكم فيها ملك قادر

(۱) وفي مروج الذهب : « لو أمر الناس أن يدخلوا في هذا الشعب ، فدخلوا في غيره » والشعب بالكسر : سيل الماء في بطن الأرض ؛ والطريق في الجبل . (۲) العذير : العاذر والنصير ؛ والحال التي تحاولها تمذر عليها . (۳) وفي مروج الذهب ، يلق أحدهم الحجر إلى الأرض ويقول : إنه أن يبلغها يكون فرج الله . (۴) الرسم : الأثر ، أو بقية . والدائر : الدارس المحو . (۵) هو من بني هذيل . (۶) أي هجرا له وتركها ، ومعناه أنهم لا يقرءونه ، ولا يتلونونه . (۷) الدبر من كل شيء : عقبه ومؤخره ، أي ولا يأتون الصلاة إلا في آخر وقتها .

أَلَا فاعملوا وأنتم من الله على حذر ، واعلموا أنكم مُلاقوه لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا ، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ، أَلَا وَإِنْ خَيْرَ كُلِّ بَحْذَائِفِيرِهِ فِي الْجَنَّةِ ، أَلَا وَإِنْ الشَّرَّ كُلِّ بَحْذَائِفِيرِهِ فِي النَّارِ ، أَلَا وَإِنْ مَنْ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ ^(۱) .

(العقد الفريد ۲ : ۱۵۳)

۲۸۳ - خطبته في أهل العراق يصارحهم بالكراهية

وخطب أهل العراق ، فقال :

« يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ : إِي لَمْ أُجِدْ دَوَاءَ أَدْوَى لَدَائِكُمْ ، مِنْ هَذِهِ الْمَفَازِي وَالْبَعُوثِ ، لَوْلَا طَيْبُ لَيْلَةِ الْإِيَابِ ، وَفَرَحَةُ الْقَفْلِ ^(۲) ، فَإِنَّهَا تُعْقِبُ رَاحَةً ، وَإِنِّي لَا أُرِيدُ أَنْ أَرَى الْفَرَحَ عِنْدَكُمْ ، وَلَا الرَّاحَةَ بِكُمْ ، وَمَا أَرَاكُمْ إِلَّا كَارِهِينَ لِمَقَالَتِي ، وَأَنَا وَاللَّهِ لَرُؤَيْتَكُمْ أَكْرَهُ ، وَلَوْلَا مَا أُرِيدُ مِنْ تَنْفِيذِ طَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِيكُمْ ، مَا حَمَلْتُ نَفْسِي مَقَاسَاتِكُمْ ، وَالصَّبْرَ عَلَى النَّظَرِ إِلَيْكُمْ ، وَاللَّهِ أَسْأَلُ حَسْنَ الْعَوْنِ عَلَيْكُمْ ، ثُمَّ نَزَلَ .

(العقد الفريد ۲ : ۱۵۳)

۲۸۴ - خطبة أخرى

وخطب أهل العراق ، فقال :

« يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، بَلِّغْنِي أَنْكُمْ تَرَوُونَ عَنِ نَبِيِّكُمْ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ مَلَكَ عَلَى عَشْرِ رِقَابٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، جِيءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُوبَةً يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ ، حَتَّى يَفْسِكَهُ الْعَدْلُ ، أَوْ يُؤَبِّقَهُ الْجَلُوزُ » . وَإِيْمُ اللَّهِ إِنِّي لِأَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ أُحْشَرَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍو مَغْلُوبًا ، مِنْ أَنْ أُحْشَرَ مَعَكُمْ مُطْلَقًا .

(العقد الفريد ۳ : ۱۷)

(۱) وذكر صاحب العقد أيضا هذه الخطبة من قوله : « أَلَا وَإِنْ الدُّنْيَا مَرَضٌ حَاضِرٌ ، إِلَى آخِرِهِ وَهِيَ زَاهَا إِلَى شَدَادِ بْنِ أَوْسِ الطَّائِي . انظر العقد الفريد ۲ : ۱۵۸ . (۲) الرجوع .

٢٨٥ - خطبته لما مات عبد الملك بن مروان

ولما مات عبد الملك بن مروان ، قام فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :
« أيها الناس ، إن الله تبارك وتعالى نعى نبيكم صلى الله عليه وسلم إلى نفسه فقال :
« إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ » ، وقال : « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ
الرُّسُلُ ، أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ » . فمات رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، ومات الخلفاء الراشدون المهتدون المهديون ، منهم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان
الشهيد المظلوم ، ثم تبعهم معاوية ، ثم وليكم البازل^(١) الذي جر بته الأمور ،
وأحكمته التجارب ، مع الفقه وقراءة القرآن ، والمروءة الظاهرة ، واللين لأهل الحق ، والوطء
لأهل الزبغ ، فكان رابعاً من الولاة المهديين الراشدين ، فاختار الله له ما عنده ، وألحقه
بهم ، وعهد إلى شبهه في العقل والمروءة والحزم والجلد والقيام بأمر الله وخلافته ،
فاسمعوا له وأطيعوه .

أيها الناس ، إياكم والزبغ ، فإن الزبغ لا يحمق إلا بأهله ، ورأيتم سيرتي فيكم ،
وعرفت خلافكم وطيبكم ، على معرفتي بكم ، ولو علمت أن أحداً أقوى عليكم مني ،
أو أعرف بكم ما وائتكم ؛ فإياي وإياكم ، من تكلم قتلناه ، ومن سكت مات بدائه غمًا »
ثم نزل .

(العقد الفريد ٢ : ١٥٤)

٢٨٦ - خطبته حين أراد الحج

وأراد الحج أن يحج ، فاستخلف محمداً ولده على أهل العراق ، ثم خطب فقال :
« يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، يَا أَهْلَ الشَّقَاقِ وَالنَّفَاقِ ، إِنِّي أُرِيدُ الْحَجَّ ، وَقَدْ اسْتَخَلَفْتُ عَلَيْكُمْ
ابْنِي مُحَمَّدًا ، هَذَا وَمَا كُنْتُمْ لَهُ بِأَهْلٍ ، وَأَوْصَيْتُهُ فِيكُمْ بِخِلَافِ مَا أَوْصَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ

(١) الرجل الكامل في تجرته .

صلى الله عليه وسلم في الأنصار، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى أن يُقبَل من مُحْسِنِهِمْ، وأن يَتَجَاوَزَ عن مُسِيئِهِمْ، وإني أمرته ألا يقبلَ من محسنكم، ولا يتجاوزَ عن مسيئكم؛ ألا وإنكم ستقولون بعدى مَقَالَةً ما يمنعكم من إظهارها إلا مخافتى : ألا وإنكم ستقولون بعدى : لا أحسنَ الله له الصَّحَابَةَ ، ألا وإنى مُعَجَّلٌ لكم الإجابة : لا أحسنَ الله الخِلافةَ عليكم ، ثم نزل .

(عيون الأخبار م ۲ : ص ۲۴۵ ، والمقد الفريد ۲ : ۱۵۳ - ۳ : ۱۸ ، والبيان والتبيين ۱ : ۲۰۶ ، ومروج الذهب ۲ : ۱۴۴ ، وشرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۱۱۴)

۲۸۷ - خطبته لما أصيب بولده محمد وأخيه محمد في يوم واحد

قال صاحب العقد : فلما كان غداة الجمعة مات محمد بن الحجاج ، فلما كان بالعمى أتاه جريد من اليمن بوفاة محمد أخيه ، ففرح أهل العراق ، وقالوا : انقطع ظهر الحجاج وهيض^(۱) جناحُه ، فخرج فصعد المنبر ، ثم خطب الناس ، فقال :

« أيها الناس : محمدان في يوم واحد ! أما والله ما كنت أحبُّ أنهما معي في الحياة الدنيا ، لِمَا أرجو من ثواب الله لهما في الآخرة ، وإيمُ الله ليؤشركن^(۲) الباقي مني ومنكم أن ينفى ، والجديدُ أن يبلى ، والحى مني ومنكم أن يموت ، وأن تُدَال^(۳) الأرض مني كما أدلنا منها ، فتأكل من لحومنا ، وتشرب من دماننا ، كما مشينا على ظهرها ، وأكلنا من ثمارها ، وشربنا من مائها ، ثم نكون كما قال الله تعالى : « وَنَفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ^(۴) » ثم تمثل بهذين البيتين :

(۱) هاض العظم : كسره بعد الجبور . (۲) أداله الله منه : نصره عليه .

(۳) الصور : القرن ينفخ فيه ، وقيل إنه تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش إذا نفخ في البوق ، وقيل : هو جمع صورة مثل بسرة وبسر (والبسر بالنضم : التمر قبل إرطابه) أى نفخ في صور الموتى الأرواح .
وقرأ الحسن : « يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ » . والأجدات جمع جدث كسبب وهو القبر ، ونسل كضرب ونصر : أسرع .

عَزَائِي نَبِيُّ اللَّهِ مِنْ كُلِّ مَيِّتٍ وَحَسْبِي ثَوَابُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ هَالِكٍ
إِذَا مَا لَقِيتُ اللَّهَ عَنِّي رَاضِيًا فَإِنْ سَرُّورَ النَّفْسِ فِيهَا هَذَاكَ
(العقد الفريد ۲ : ۱۵۴ - ۳ : ۱۸ ، وشرح العيون ص ۱۲۲)

۲۸۸ - خطبته وقد أرجف أهل العراق بموته

ومرض الحجاج ففرح أهل العراق ، وأرجفوا بموته ، فلما بلغه تحامل حتى صعد
المنبر فقال :

« إن طائفة من أهل العراق ، أهل الشقاق والنفاق ، نَزَغَ^(۱) الشيطان بينهم فقالوا :
مات الحجاج ، ومات الحجاج فه؟ وهل يرجو الحجاج الخيرَ إلا بعد الموت؟ والله ما يسرني
ألا أموتَ ، وأن لي الدنيا وما فيها ، وما رأيت الله رَضِيََ بالتخليد إلا لأهون خلقه عليه
إبليس ، قال : أَنْظِرْني إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ، قال : إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ، واقعد دعا الله
العبد الصالح ، فقال : « رَبِّ اغْفِرْ لي ، وَهَبْ لي مُدْكَآ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ،
فأعطاء ذلك إلا البقاء ، فما عسى أن يكون أيها الرجل ؟ وكلكم ذلك الرجل ، كأني
والله بكل حيٍّ منكم ميتاً ، وبكل رَطْبٍ يابساً ، وَنُقِلَ في ثياب أ كفانه إلى ثلاثة أذرع
طولا ، في ذراع عرضاً ، وأكلت الأرض لحمه ، وَمَصَّتْ صَدِيدَهُ ، وانصرف الحبيب
من ولده يقسم الخبيث من ماله ، إن الذين يعقلون يعلمون ما أقول » ، ثم نزل .

(عيون الأخبار م ۲ : ص ۲۴۴ ، والعقد الفريد ۲ : ۱۵۴ ، ۳ : ۱۷ ، وشرح العيون ۱۲۲ ،
ومروج الذهب ۲ : ۱۴۲ ، وشرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۱۱۵)

(۱) نَزَغَ : افسد وأغرى .

خطبه الوعظية

- ٢٨٩ -

وخطب الحجاج يوماً فقال :

« أيها الناس ، قد أصبحتم في أجلٍ مَنْقُوسٍ ، وعملٍ محفوظٍ ، رَبٌّ دَائِبٌ مُضِيعٌ ، وساعٍ لغيرِهِ ، والموتُ في أعناقكم ، والنفارُ بين أيديكم ، والجنةُ أمامكم ، خذوا من أنفسكم لأنفسكم ، ومن غناكم لفقركم ، ومما في أيديكم لِمَا بين أيديكم ، فسكانٌ ما قد مضى من الدنيا لم يكن ، وكان الأموات لم يكونوا أحياءً ، وكل ما ترَوْنَه فإنه ذاهبٌ ، هذه شمسٌ عادٍ وثمودٍ وقرونٍ كثيرةٌ بين ذلك ، هذه الشمس التي طلعت على القبايلة والأكاميرة ، وخزائنها السائرة بين أيديهم ، وقصورهم المشيدة ، ثم طلعت على قبورهم ، أين الملوك الأولون ، أين الجبابرة المتكبرون ؟ المحاسبُ الله ، وَالصَّراطُ منصوبٌ ، وجهنم تزفِرُ^(١) وتتوقد ، وأهل الجنة ينعمون ، في رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ^(٢) ، جعلنا الله وإياكم من الذين إِذَا ذُكِرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا . »

فكان الحسن البصري رحمه الله يقول : « ألا تعجبون من هذا الفاجر ؟ يَرْتَفِي عَتَبَاتِ المنبر ، فيتكلم بكلام الأنبياء ، وينزل فيفتك فتك الجبارين ، يوافق الله في قوله ويخالفه في فعله . »

(شرح ابن الحديد م ١ ص ١٥٠)

(١) زفرت النار كضرب : سمع لتوقدها صوت . (٢) أحبره : سره . والحبور : السرور .

وقال مالك بن دينار : غدوت إلى الجمعة ، فجلست قريباً من المنبر ، فصعد الحجاج ، ثم قال :

« أُمُرُو حَاسِبَ نَفْسِهِ ، أُمُرُو رَاقِبَ رَبِّهِ ، أُمُرُو زَوْرًا ^(۱) عَمَلَهُ ، أُمُرُو فَكْرًا فِيمَا يَقْرَؤُهُ ، غَدَاً فِي صَحِيفَتِهِ ، وَيَرَاهُ فِي مِيزَانِهِ ، أُمُرُو كَانٍ عِنْدَ هَمِّهِ أَمِيرًا ، وَعِنْدَ هَوَاهُ زَاجِرًا ، أُمُرُو أَخَذَ بَعِثَانَ قَلْبِهِ ، كَمَا يَأْخُذُ الرَّجُلُ بِخِطَامِ جَمَلِهِ ، فَإِنْ قَادَهُ إِلَى حَقِّ تَبِعِهِ ، وَإِنْ قَادَهُ إِلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ كَفَّهُ ، إِنَّمَا وَاللَّهِ مَا خَلَقْنَا لِلْقَنَاءِ ، وَإِنَّمَا خَلَقْنَا لِلْبَقَاءِ ، وَإِنَّمَا نَنْتَقِلُ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ » .

(عيون الأخبار م ۲ : ص ۵۲۱ ، العقد الفريد ۲ : ۱۵۲ ، والبيان والنبين ۲ : ۸۸ ، شرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۱۵۰)

وخطب يوماً ، فقال :

أيها الناس ، أُقَدِّعُوا ^(۲) هذه الأنفس ، فإنها أسأل ^(۳) شيء إذا أعطيت ، وأَعْصَى ^(۴) شيء إذا سُمِّيت ، فرحم الله امرأ جعل لنفسه خطاماً وزماماً فقادها بخطاها إلى طاعة الله ، وَعَظَفَهَا بِزِمَامِهَا عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، فَإِنِّي رَأَيْتُ الصَّبْرَ عَنْ تَحَارِمِ اللَّهِ ، أَيْسَرَ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى عَذَابِ اللَّهِ ^(۵) .

(شرح ابن أبي الحديد م : ص ۱۵۰ ، وشرح البيهقي ۱۲۱ ، وعيون الأخبار م ۲ : ص ۲۴۷ ، والبيان والنبين ۱ : ۲۰۶ ، وتهذيب الكامل ۱ : ۱۹)

(۱) زوره : حسنه . (۲) قدمه كتمه وأقدهه : كفه وكبحه . (۳) وفي عيون الأخبار : « أيها الناس ، احفظوا فروجكم ، وخذوا الأنفس بضميرها ، فإنها أسوك شيء وأسوك : أضعف ، من ساك الرجل سواكاً : سار سيراً ضعيفاً . (۴) وفي رواية « وأعطى شيء » وهو تحريف . (۵) قال ابن أبي الحديد : « وأكثر الناس يروون هذا الكلام عن علي عليه السلام » .

وخطب فقال :

« اللهم أرني الغنى غنياً فأجتنبه ، وأرني الهدى هدىً فأتبعه ، ولا تكلفني إلى نفسي فأضِلُّ ضلالاً بعيداً ، والله ما أحبُّ أن ماضى من الدنيا لي بعمامتي هذه ، ولما بقي منها أشبهُ بما مضى من الماء بالماء . »

(العقد الفريد ۲ : ۱۵۲ ، والبيان والتبيين ۲ : ۶۹ ، ۱ : ۲۰۶ ، وشرح ابن أبي الحديد ۱ م : ص ۱۵۰ ، وشرح العيون ص ۱۲۲)

ومن كلامه :

« إن امرأ أتت عليه ساعةٌ من عمره ، لم يذُكر فيها ربه ، ويستغفر ربه من ذنبه ، ويفكر في معاده ، لجديرٌ أن يطول حزنه ، ويتضاعف أسفه ، إن الله كتب على الدنيا الفناء ، وعلى الآخرة البقاء ، فلا بقاء لما كتب عليه الفناء ، ولا فناء لما كتب عليه البقاء ، فلا يغرِّمكم شأهد^(۱) الدنيا ، من غائب الآخرة ، واقهروا طول الأمل ، بقصر الأجل^(۲) . »

(شرح ابن الحديد م ۱ : ص ۱۵۰ ، ومروج الذهب ۲ : ۱۴۸ ، والبيان والتبيين : ۲ : ۹۹ ، شرح العيون ۱۲۱ ، ونهذیب الکامل ۱ : ۱۹)

(۱) أي حاضرها . (۲) قال الشعبي : سمعت الحجاج يقول بكلام ما سبقه إليه أحد ، سمعت يقول : « إن الله عز وجل كتب على الدنيا الفناء . . الخ » ، وروى الجاحظ عن أبي عبد الله الثقفى عن عمه قال سمعت الحسن البصرى يقول : لقد قلت كلمة سمعتها من الحجاج ، قلت : وإن كلام الحجاج ليقلدك؟ قال : نعم ، سمعت على هذه الأمواد يقول : « إن امرأ ذهبت ساعة من عمره في قبر ما خلق له لخرى أن تطول عليها حسرتة . »

خطب قتيبة بن مسلم الباهلي (قتل سنة ٥٩٦ هـ)

٢٩٤ - خطبته يحث على الجهاد وقد تهيأ لغزو « طُخَارِسْتَان »

قدم قتيبة بن مسلم الباهلي خراسان والياً عليها من قبل الحجاج^(١) سنة ٨٦ هـ ، فلما تهيأ لغزو أخرون وشومان - وهما من بلاد طُخَارِسْتَان^(٢) - خطب الناس وحثهم على الجهاد فقال :

« إن الله أحلَّكم هذا المَحَلَّ ليعزَّ دينه ، وَيَذُبَّ بِكُمْ عن الحُرْمَاتِ ، وَيَزِيدَ بِكُمْ المالَ استفاضةً ، والعدوَّ وقماً^(٣) ووعَدَ نبيُّه صلى الله عليه وسلم النصرَ بحديثٍ صادق ، وكتابٍ ناطق ، فقال : (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) ووعَدَ المجاهدين في سبيله أحسنَ الثواب ، وأعظمَ الذخر عنده ، فقال : (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا تَخَمُّصَةٌ^(٤) فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ، وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ، ثم أخبر عن قتل في سبيله أنه حتى مرزوق ، فقال : « وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ

(١) ولي قتيبة خراسان بعد يزيد بن المهلب ، وغزا بلاد ماوراء النهر ، وافتتح بخارى ، وسمرقند ، وخوازر ، ووصل في فتوحه إلى كشمير من بلاد الصين ، وقتل سنة ٨٩٦ هـ . (٢) ناحية كبيرة شرقي خراسان على نهر جيحون ، وقد ضبطها ابن خلكان هكذا - انظر وفيات الأعيان ١ : ٩٠ في ترجمة بشار بن برد - وضبطها ياقوت في معجم البلدان بفتح الطاء . (٣) وقه : قهره وأذله . (٤) مجاعة .

قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاہُ عِنْدَ رَبِّہِمُ يُرْزَقُونَ (فتَنْجِزُوا مَوْعِدَ رَبِّکُمْ ،
ووطنوا أنفسکم علی اقصی اثر ، وامنی الم ، وایاکم والموینتی .)

(تاریخ الطبری ۸ : ۵۹)

۲۹۵ - خطبته وقد تهباً لغزو بلاد السغد

ولما صالح قتیبة اهل خوارزم ، وصار إلى السغد^(۱) سنة ۹۳ هـ خطب
الناس ، فقال :

« إن الله قد فتح لكم هذه البلدة في وقت الغزو فيه مُمكنٌ ، وهذه السغد
شاغرة^(۲) برجالها ، قد نقضوا العهد الذي كان بيننا ، ومنعونا ما كنا صالحنا عليه
طرخون ، وصنعوا به ما بلفكم ، وقال الله تعالى : (فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى
نَفْسِهِ) ، فسبروا على بركة الله ، فإنی أرجو أن يكون خوارزم والسغد كالنضير^(۳)
وقريظة^(۴) ، وقال الله تعالى : (وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا) .

(تاریخ الطبری ۸ : ۸۵)

(۱) وكان قتیبة حين فتح بخارى سنة ۹۰ هـ ، وأوقع بأهلها ، هابه أهل السغد « وهي بين نهري سيحون
وجيحون ، وكانت قصبتها سمرقند ، وهي بالسین ، وربما قيلت بالصاد » وأتاه طرخون ملك السغد ، وسأله
الصلح على فدية يؤديها إليه ، فأجابه قتیبة إلى ما طلب وصالحه ، ثم نقضوا عهدهم . (۲) شجر الكلب
كنع : رفع إحدى رجليه ليبول . (۳) بنو النضير : حى من يهود خيبر ، وكان بينهم وبين رسول
الله صل الله عليه وسلم عهد يأمن بها كل فريق الآخر ، ولكنهم لم يفوا بها حسدا منهم وبغيا ، فبينما رسول الله
صل الله عليه وسلم وبعض أصحابه في ديارهم ، إذا انتم جماعة منهم على قتله بأن يلقى عليه أحدهم صخرة من علو ،
فاطلع عليه الصلاة والسلام على قصدهم ، فرجع ، ثم أرسل إليهم يأمرهم بالجلد ، لما تقدم منهم من الفدر ،
فتبينوا للرحيل ، فأرسل إليهم إخوانهم المنافقون يقولون : لا تخرجوا من دياركم ونحن معكم ، فسار عليه الصلاة
والسلام لقتالهم ، وتحصن بنو النضير في حصونهم ، وظنوا أنها مانعهم من الله ؛ فحاصروهم ست ليال ؛ ثم أمر بقطع نخيلهم
كى يسلموا ، فغذف الله في قلوبهم الرعب ؛ فسألوه أن يجليهم ويكف عن دماهم ؛ وأن لهم ما حملت الإبل من
أموالهم إلا آلة الحرب فضل ؛ وصار اليهود يخربون بيوتهم بأيديهم ؛ لتلايسكنها المسلمون .

(۴) كان يهود بنى قريظة يساكنون المسلمين في المدينة ؛ فانتهزوا فرصة اشتغال المسلمين بصد جموع
الأحزاب - في غزوة الخندق - ونقضوا عهدهم معهم ؛ وذلك أن حيسى بن أخطب سيد بنى النضير الذين -

(۲۰ - جمهرة خطب العرب - ثان)

۲۹۶ - خطبته وقد سارت إليه جيوش الشاش وفرغانة

وَأَنى قَتِيْبَةُ السُّفْدَ فحصرها شهراً ، وخاف أهلها طول الحصار ، فكتبوا إلى ملك الشاش وَفَرغانة^(۱) « إنا نحن دونكم فيما بينكم وبين العرب ، فإن وُصِلَ إلينا كنتم أضعفَ وأذلَّ ، فهما كان عندكم من قوة فابذلوها ، فجمعوا جموعهم ، وولوا عليهم ابناً لخاقان^(۲) ، وساروا وقد أجمعوا أن يديتوا عسكر قتيبة ، ونهى ذلك إليه ، فانتخب أهل النجدة والبأس ووجوه الناس ، وخطبهم فقال :

« إِنْ عدوكم قد رأوا بِلَاءَ^(۳) الله عندكم ، وتأييده إياكم في مُزاحمتكم ومُكاثرتكم^(۴) ، كل ذلك يُفاجئكم^(۵) الله عليهم ، فأجمعوا على أن يحتالوا غرتكم وبياتكم ، واختاروا دهاقينهم^(۶) وملوكهم ، وأنتم دهاقين العرب وفرسانهم ، وقد

= أجلوا عن ديارهم ؛ توجه إلى كعب بن أسد القرظي ؛ فحين له نقض العهد ؛ ولم يزل به حتى أجابه لقتال المسلمين ؛ فاشتد وجل المسلمين ؛ وزلوا زازالا شديدا ؛ وأرسل الله على الأعداء ريحا باردة في ليلة مظلمة وجنودا لم يروها ، فأجمعوا أمرهم على الرحيل قبل أن يصبح الصباح ؛ وكفى الله المؤمنين شر الأحزاب ، ولم يعم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن سار إلى بني قريظة ، فتحصنوا بحصونهم ؛ وحاصروهم المسلمون نحسها وعشرين ليلة ؛ فلما ضاقوا بالحصار ذرعا ؛ طلبوا أن ينزلوا على ما نزل عليه بنو النضير ؛ من الجلاء بالأموال وترك السلاح ، فأبى الرسول إلا أن ينزلوا على حكمة ففعلوا ؛ فتوالت الأوس فقالوا : يا رسول الله ؛ إنهم كانوا موالينا دون الخزرج ؛ وقد فعلت في موالى إخواننا بالأوس ما قد علمت - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بني قريظة قد حاصر بني قينقاع ؛ وكانوا حلفاء الخزرج ؛ فنزلوا على حكمة ؛ فسأله إياهم عبد الله بن أبي بن سلول فوهبهم له - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا معشر الأوس ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فذاك إلى سعد بن معاذ - وكان جريحا من سهم أصيب به في غزوة الخندق - وأرسل من يأتي به ؛ فقال : إني أحكم فيهم أن تقتل الرجال ؛ وتقسّم الأموال ؛ وتسبى النساء والذراري ، فقال عليه الصلاة والسلام ؛ فقد حكمت فيهم بحكم الله ياسعد ؛ ثم أمر بتنفيذ الحكم ؛ فنفذ فيهم . (۱) الشاش وفرغانة ؛ كورتان وراء نهر سيحون متاخمتان للصين . (۲) خاقان ؛ اسم لكل ملك من ملوك الترك ؛ وقد خقنوه على أنفسهم ؛ أي رأسه (بالتشديد) . (۳) أي نعمته . (۴) كاثروهم فكثروهم ؛ غالبوهم فغلبوهم . (۵) أي ينصركم عليهم ؛ ويظفركم بهم . (۶) جمع دهاقان بكسر الدال وضمها ؛ زعيم فلاحى العجم ، ورئيس الإقليم . مغرب .

فَضَّلَكُمْ اللهُ بِدِينِهِ ، فَأَبْلُوا^(۱) لِلَّهِ بِلَاءً حَسَنًا تَسْتَوْجِبُونَ بِهِ الثَّوَابَ ، مَعَ الذَّبِّ عَنِ أَحْسَابِكُمْ .
(تاریخ الطبری ۸ : ۸۷)

۲۹۷ - خطبه حين دعا إلى خلع سليمان بن عبد الملك

وقام بخراسان حين خلع سليمان بن عبد الملك^(۲) ، ودعا الناس إلى خلعهم فقال للناس :
« إني قد جمعتكم من عين التَّمَرِ^(۳) ، وَفَيْضِ الْبَحْرِ ، فَضَمَمْتُ الْأَخَ إِلَى أَخِيهِ ،
وَالوَلَدَ إِلَى أَبِيهِ ، وَقَسَمْتُ بَيْنَكُمْ فِيمَا بَيْنَكُمْ ، وَأَجْرِيَتْ عَلَيْكُمْ أُعْطِيَاتِكُمْ غَيْرَ مُكْدَرَةٍ
وَلَا مُؤَخَّرَةٍ ، وَقَدْ جَرَّ بِتَمِ الْوُلَاةَ قَلْبِي ، أَنَا كُمْ أُمِّيَّةٌ^(۴) ، فَكُتِبَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ :
إِنَّ خَرَجَ خِرَاسَانَ لَا يَقُومُ^(۵) بِمَطْبِخِي ، ثُمَّ جَاءَكُمْ أَبُو سَعِيدٍ^(۶) فَدَوَّمَ^(۷) بِكُمْ ثَلَاثَ
سِنِينَ ، لَا تَدْرُونَ أَمِ طَاعَةٌ أَنْتُمْ أَمْ فِي مَعْصِيَةٍ ؛ لَمْ يَجِبْ فَيْثًا ، وَلَمْ يَنْكَأْ^(۸) هَدَا ،
ثُمَّ جَاءَكُمْ بَنُوهُ بَعْدَهُ ، يَزِيدُ فُحْلٌ تَبَارَى إِلَيْهِ النَّسَاءُ ، وَإِنَّمَا خَلِيفَتُكُمْ يَزِيدُ بْنُ ثُرَوَانَ
هَبْنَقَةُ الْقَيْسِيِّ^(۹) ، فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ فَغَضِبَ ، فَقَالَ :

(۱) الإِبْلَاءُ : الإِنْعَامُ وَالْإِحْسَانُ ، يُقَالُ : أَبْلَيْتُ عِنْدَهُ بِلَاءً حَسَنًا ، وَأَبْلَاهُ اللهُ بِلَاءً حَسَنًا ، وَأَبَايْتَهُ
مَعْرُوفًا . وَالْمَعْنَى : فَاصْدُقُوا الْقِتَالَ ، وَقَدِمُوا مَعْرُوفًا تَبْغُونَ بِهِ ثَوَابَ اللهِ . (۲) وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْوَلِيدَ
ابْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ أَرَادَ أَنْ يَجْعَلَ ابْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَلي عَهْدَهُ ، وَدَسَّ فِي ذَلِكَ إِلَى الْقَوَادِ وَالشُّعْرَاءِ ، فَبَايَعَهُ عَلَى خُلْعِ
سُلَيْمَانَ الْحِجَابِ وَقَتِيبةً ، ثُمَّ مَاتَ الْوَلِيدُ وَقَامَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَخَافَهُ قَتِيبةً وَخَشِيَ أَنْ يُولِيَ سُلَيْمَانَ يَزِيدَ
ابْنَ الْمُهَلَّبِ خِرَاسَانَ . (۳) بَلَدٌ عَلَى الْفَرَاتِ قَرِبَ الْكُوفَةِ . (۴) هُوَ أُمِيَّةٌ بِنْتُ عَبْدِ اللهِ بْنِ خَالِدِ
ابْنِ أَسِيدِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمِيَّةِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، وَكَانَ حَامِلًا عَلَيْهَا لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ حَتَّى كَانَتْ سَنَةَ ۷۸
فَعَزَلَهُ وَجَمَعَ سُلْطَانَهُ لِلْحِجَابِ فَبِثَ الْمُهَلَّبُ إِلَيْهَا . (۵) فِي الْأَصْلِ « لَا يَقِيمُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ أَوْ « لَا يَقِيمُ
مَطْبِخِي » . (۶) أَبُو سَعِيدٍ : كُنْيَةُ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صَفْرَةَ . (۷) مِنْ دَوَّمَتِ الْكَلَابَ : أَيِ أَمَعَتْ
فِي الْمَسِيرِ : وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى « فَدَوَّخَ بِكُمْ الْبِلَادَ » وَسَمَّاقٌ . (۸) نَكَأَ الْمَدُورَ وَنَكَاهُ نَكَايَةً : قَتَلَ وَجَرَحَ .
(۹) هُوَ يَزِيدُ بْنُ ثُرَوَانَ هَبْنَقَةُ ذُو الْوَدَعَاتِ ، وَيَكْنَى أَبَا نَافِعٍ أَحَدُ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ . يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ
فِي الْحَقِّ فَيُقَالُ : « أَحَقُّ مِنْ هَبْنَقَةَ » وَهُوَ نَوَادِرٌ فِي الْحَقِّ . مِنْهَا أَنَّهُ جَعَلَ فِي عُنُقِهِ قِلَادَةً مِنْ وَدَعٍ وَهَذَا مِثْلُ
وَهُوَ ذُو لِحْيَةٍ طَوِيلَةٍ ، فَسُئِلَ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : لِأَعْرَفَ بِهَا نَفْسِي ، وَثَلَاثًا أَصْلًا ، فَبَاتَ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، وَأَخَذَ أَخُوهُ

« لَا أَعَزَّ اللَّهُ مِنْ نَصْرْتُمْ ، وَاللَّهُ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى عَزِّ مَا كَسْرْتُمْ قَرْنَهَا ، يَا أَهْلَ السَّافِلَةِ ، وَلَا أَقُولُ أَهْلَ الْعَالِيَةِ . يَا أَوْبَاشَ ^(۱) الصَّدَقَةَ ، جَمَعْتُمْ كَمَا تَجْمَعُ إِبِلَ الصَّدَقَةِ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ ^(۲) . يَا مَعْشَرَ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ، يَا أَهْلَ النَّفْخِ ^(۳) وَالْكَذْبِ وَالْبَخْلِ ، يَا أَيُّ يَوْمَيْكُمْ تَفْتَخِرُونَ : يَوْمَ حَرَبِكُمْ ، أَمْ يَوْمَ سَلَيْكُمْ ؟ فَوَاللَّهِ لَأَنَا أَعَزُّ مِنْكُمْ يَا أَصْحَابَ مُسَيْلِمَةَ . يَا بَنِي ذَمِيمٍ ، وَلَا أَقُولُ نَمِيمٍ . يَا أَهْلَ الْخَوَرِ ^(۴) وَالْقَصْفِ ^(۵) وَالْقَدْرِ ، كُنْتُمْ تُسَمُّونَ الْقَدْرَ فِي الْجَاهِلِيَةِ « كَيْسَانَ ^(۶) » يَا أَصْحَابَ سَجَّاحٍ ^(۷) ، يَا مَعْشَرَ عَبْدِ الْقَيْسِ الْقُسَاةَ ، تَبَدَلْتُمْ بِأَبْرِ النَّخْلِ ^(۸) أَعِنَّةَ الْخَلِيلِ ، يَا مَعْشَرَ الْأَزْدِ ، تَبَدَلْتُمْ بِقُلُوسِ ^(۹) السُّفُنِ ، أَعِنَّةَ الْخَلِيلِ وَالْحُصْنِ ^(۱۰) ، إِنْ هَذَا لِبِدْعَةٍ فِي الْإِسْلَامِ ، وَالْأَعْرَابُ ، وَمَا الْأَعْرَابُ ؟ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْأَعْرَابِ ، يَا كُنَاسَةَ الْمُضْرِينَ . جَمَعْتُمْ مِنْ مَنَابِتِ الشَّيْحِ وَالْقَيْصُومِ ^(۱۱) ،

= قِلادته فتقلدها ، فلما أصبح ، ورأى القلادة في عنق أخيه ، قال يا أخی : أنت أنا فن أنا؟ ومنها : أنه ضل له بعير ، فجعل ينادى : من وجد بعيري فهو له ، فقيل له فلم تنشده ؟ قال : فأين حلاوة الوجدان ؟ ومنها : أنه اختصمت الطفاوة وبنو راسب في رجل ادعاه هؤلاء وهؤلاء ، ثم قالوا : رضينا بأول من يطلع علينا ، فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم هبنقة ، فقصوا عليه قصتهم ، فقال : الحكم عندي في ذلك أن يذهب به إلى نهر للبصرة ، فيلقى فيه ، فإن كان راسبيا راسب فيه ، وإن كان طفاويا طفا ، فقال الرجل : لا أريد أن أكون من أحد هذين الحيين .

وقول قتبية : « إنما خليفتم هبنقة » ذلك لأن هبنقة كان يحسن إلى السماء من إبله ، فيرعيها في العشب وينحى المهازيل ، فقيل له : ويحك ! ما تصنع ؟ فقال : إنما أكرم ما أكرم الله ، وأهين ما أهان الله ، وكذلك كان سليمان يعطى الأغنياء ، ولا يعطى الفقراء ويقول : « أصلح ما أصلح الله ، وأفسد ما أفسد الله » - انظر مجمع الأمثال ۱ : ۱۴۶ ، والبيان والتبيين ۱ : ۱۲۶ - . (۱) الأوباش : السفلة ، جمع وبش كسبب .

(۲) الطريق والجهة . (۳) الفخر والكبر . (۴) الضعف . (۵) اللهور .

(۶) كيسان : علم للقدر . (۷) هي سجاج بنت الحارث ادمت النبوة بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجزيرة في بني تغلب . (۸) أبر النخل أبر : أصلحه . (۹) القلوس جمع قلس كشمس : وهو جبل ضخيم من ليف أو خوص أو غيرها من قلوس سفن البحر . (۱۰) جمع حصان .

(۱۱) من نبات البادية زهره مر جدا .

ومنابت القليل^(۱) ، تركبون البقر والحمر في جزيرة ابن كاوان^(۲) ، حتى إذا جمعتكم
 كما يجتمع قزح الخريف^(۳) قائم : كيت وكيت ، أما والله إني لأبن أبيه^(۴) وأخو أخيه ،
 أما والله لأعصبنكم عصب السلة ، إن حول الصليان الزمزمة^(۵) ، بأهل خراسان ،
 هل تدرّون من وليّكم ؟ وليكم يزيد بن ثروان ، كأي بأمر مزجاء^(۶) ، وحكمكم
 قد جاءكم ، فغلبكم على فيثكم وأطلالكم ، إن هاهنا ناراً ، ارتموها أرم منكم ،
 ارموا غرضكم الأفضى ، قد استخيف عليكم أبو نافع ذو الودعات ، إن الشام أب
 مكفور ، حتى متى ينبطح أهل الشام بأفنيّتكم وظلال دياركم ؟ بأهل خراسان انسبوني
 تجدونى عراقى الأم ، عراقى الأب ، عراقى المولى ، عراقى الهوى والرأى والدين ، وقد
 أصبحتم اليوم فيما ترّون من الأمن والعافية ، قد فتح الله لكم البلاد ، وآمن سبلكم ،
 فالظمينة^(۷) تخرج من مرو إلى بلخ بغير جوار ، فاحمدوا الله على النعمة ، وسلّوه الشكر
 والمزيد . ثم نزل .

(تاريخ الطبرى ۸ : ۱۰۵)

وورد كلام قتيبة في هذا الصدد في العقد الفريد ، والبيان والتبيين في ثلاث خطب

هذا نصها :

(۱) نبت له حب أسود حسن الشم . (۲) هي جزيرة في الخليج الفارسي بين عمان والبحرين .
 (۳) القزح : كل شيء يكون قطعاً متفرقة (ومنه قيل لقطع السحاب في السماء قزح) وخرفت الثمار أخرفها
 كنصر : اجتنيتها ، والتمر مخروف وخريف ، وفي كلام سيدنا على رضي الله عنه « كما يجتمع قزح الخريف » .
 (۴) أي ابن أبي . (۵) الصليان : نبت من أفضل المرعى يختل (يجز) للخبيل التي لا تفارق الحى ،
 والزمزمة : صوت خفي لا يكاد يفهم ، يعنى صوت الفرس (بالتحريك) إذا رآه ، وأصلها صوت المجوس
 عند أكلهم — يتراطنون على الأكل ، وهم صموت لا يستعملون لساناً ، ولا شفة ، لكن صوت تديره في
 خياشيمها وحلقوقها ، فيفهم بعضها عن بعض — وهو مثل يضرب للرجل يحوم حول الشيء ولا يظهر مرآه .
 والمعنى في المثل : أن ماتسمع من الأصوات والجلب ، لطلب ما يؤكل ويستمتع به . قال الميداني : ويروى
 « حول الصليان الزمزمة » الصليان جمع صليب ، والزمزمة : صوت عابديها . (۶) هو مزجاء للمطى
 أي كثير الإزجاء لها ، زجاءها وأزجاءها : ساقها ودفنها : والمراد أنه قاس ظلوم . (۷) الظمينة : المرأة
 مادامت في الهودج .

قام بخراسان حين خلع سليمان بن عبد الملك ، فصعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ،
ثم قال :

« أتدرون من تُبايعون ؟ إنما تُبايعون يزيد بن ثروان - يعني هبنة القيسي -
كأني بأمر مزجاء ، وحكم قد أتاكم ، يحكم في أموالكم ودمائكم وفروجكم وأبشاركم^(١)
ثم قال : الأعرابُ وما الأعرابُ ؟ لعنة الله على الأعراب ، جمعتم كما يجمع قرع الخريف^(٢)
من منابت الشَّيخ والقيصوم ، ومنابت القليل ، وجزيرة ابن كاوان ، تركبون البقر ،
وتأكلون الهبيد^(٣) ، فحملتكم على الخيل ، وأبستكم السلاح ، حتى منع الله بكم البلاد ،
وأفاء بكم النفي » قالوا : مرنا بأمرك . قال : غرُّوا غيري .

(المقدم الفريد ٢ : ١٥٥ ، والبيان والتبيين ٢ : ١٠١)

وخطب مرة أخرى ، فقال :

« يا أهل العراق ، أأنت أعلم الناس بكم ؟ أما هذا الحي من أهل العالية ، فنعم
الصدقة ، وأما هذا الحي من بكر بن وائل فملجعة^(٤) نظرا ، لا تجمع رجليها ، وأما هذا
الحي عبد القيس فما ضرب العير بذنبيه ، وأما هذا الحي من الأزدي ، فملوج^(٥) خلق الله
وأناطه^(٦) ، وإني لو ملكت أمر الناس لَنَقَشْتُ أيديهم ، وأما هذا الحي من نعيم ،
فإنهم كانوا يسمون القدر في الجاهلية كيدان » .

(المقدم الفريد ٢ : ١٥٥ ، والبيان والتبيين ٢ : ٦٧)

(١) أبشار جمع بشر : وهو جمع بشرة ، وهي ظاهر الجلد . (٢) في المقدم الفريد : كما يجمع
قرع الخريف ، وفي البيان والتبيين والطبرى « قرع الخريف » وللصواب ما ذكرنا . (٣) الخنظل .
(٤) مؤنث الملج : وهو حمار الوحش السمين القوي . وأما بطراء : طويلة البظر كشمس ، وهو ما بين
شغرى الرحم . (٥) جمع هلج (بالكسر) وهو الرجل من كفار العجم . (٦) حيل من الناس
كانوا ينزلون سواد العراق ثم استعمل في أخلاط الناس وعوامهم .

وخطب مرة أخرى ، فقال :

« يا أهل خراسان ، قد جرّ بتم الولاية قبلي ، أنا كم أمية ، فسكان كاسميه أمية الرأى ، وأميه الدين ، فكتب إلى خليفته : إن خراج خراسان وسجستان ، لو كان في مطبخه لم يكفه ، ثم أنا كم بعده أبو سعيد ، فدوخ بكم البلاد ، لا تدرون أفي طاعة الله أنتم أم في معصيته ، ثم لم يجب فيئنا ، ولم ينسكأ عدواً ، ثم أنا كم بنوه بعده ، مثل أطباء^(۱) السكلية ، منهم ابن الرّحمة^(۲) ، حصان يضرب في عانة^(۳) ، واقد كان أبوه يخافه على أمهات أولاده ، ثم أصبحتم وقد فتح الله عليكم البلاد ، وأمن لكم السبل ، حتى إن الظعينة لتخرج من مرز إلى سمرقند في غير جوار » .

(المقد الفريد ۲ : ۱۵۵ ، والبيان والتبيين ۲ : ۶۷)

(۱) جمع طبي كقفل . والطبي : لذات الخلف والظلف كالثدى للمرأة . (۲) يريد به يزيد ابن المهلب . (۳) العانة : الأتان ، والقطع من حمر الوحش ، والمراد بها النساء .

۳۰۱ - کلمات حکیمہ لقتیبة بن مسلم

وَحَرَّجَتْ خَارِجَةَ بَخْرَاسَانَ ، فَقِيلَ لِقَتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ : لَوْ وَجَّهْتِ إِلَيْهِمْ وَكَيْعَ بْنَ أَبِي سُودٍ^(۱) ، قَالَ : - وَكَانَ وَكَيْعٌ رَجُلًا عَظِيمَ السِّكْرِ ، فِي أَنْفِهِ خُنْزُورَانَةٌ^(۲) ، وَفِي رَأْسِهِ نَعْرَةٌ^(۳) - وَإِنَّمَا أَنْفُهُ فِي أَسْلُوبٍ^(۴) ، وَمِنْ عَظْمٍ كَبِيرٍ اشْتَدَّ عُجْبُهُ ، وَمَنْ أَعْجَبَ بِرَأْيِهِ لَمْ يُشَاوِرْ كَفِيئًا ، وَلَمْ يُؤَامِرْ^(۵) نَصِيحًا . وَمَنْ تَفَرَّدَ بِالنَّظَرِ لَمْ يَكْمُلْ لَهُ الصَّوَابُ ، وَمَنْ تَبَجَّجَ^(۶) بِالْأَنْفَادِ ، وَفَخَّرَ بِالْإِسْتِبْدَادِ ، كَانَ مِنَ الصَّوَابِ بَعِيدًا ، وَمَنِ الْخِذْلَانُ قَرِيبًا ، وَالخَطَاةُ مَعَ الْجَمَاعَةِ ، خَيْرٌ مِنَ الصَّوَابِ مَعَ الْفُرْقَةِ ، وَإِنْ كَانَتِ الْجَمَاعَةُ لَا تَمْحَى ، وَالْفِرْقَةُ لَا تُصِيبُ ، وَمَنْ تَسَكَّبَ عَلَى عَدُوِّهِ حَقَرَهُ ، وَإِذَا حَقَرَهُ تَهَاوَنَ بِأَمْرِهِ ، وَمَنْ تَهَاوَنَ بِخَصْمِهِ ، وَوَثِقَ بِفَضْلِ قُوَّتِهِ قَلَّ أَحْتِرَاسُهُ ، وَمَنْ قَلَّ أَحْتِرَاسُهُ كَثُرَ عَثَارُهُ ، وَمَا رَأَيْتَ عَظِيمَ السِّكْرِ صَاحِبَ حَرْبٍ ، إِلَّا كَانَ مِنْكَوْبًا ، فَلَا وَاللَّهِ حَتَّى يَكُونَ عَدُوُّهُ عِنْدَهُ ، وَخَصْمُهُ فِيمَا تَقَلَّبَ

(۱) هو وكيع بن أبي سود التميمي، أحد الأبطال البواسل، كان مع قتيبة في فتح بخارى، وأبلى في القتال بلاء محموداً - انظر خبره في الطبري ۸ : ۶۸ - وولاه الناس أمرهم حين ثاروا بقتيبة وقتلوه .
 (۲) الخنزوان ، والخنزوانة ، والخنزوانية : السكير ، يقال : هو ذو خنزوانات .
 (۳) النعرة : الخيلاء والكبر . (۴) الأسلوب : الشموخ في الأنف ، ويقال : إن أنفه في أسلوب إذا كان متكبرا ، قال الراجز :

أنوفهم ملفخر في أسلوب وشمر الأستاء في الجيوب
 (وهو في معنى المثل المشهور : أنف في السماء واست في الماء ، والجيوب كصبور : الأرض ، والأستاء جمع ستة كشمس وسبب وهو الاست ، وقوله : ملفخر أصله : من الفخر ، ونظيره قول جميل بثينة :
 وما أنس ملا شيا لانس قولها (وقد قربت نصوي) أمصرتريدا؟
 أي من الأشياء ، وقول قطري بن الفجاءة :
 غداة طفت علماء بكر بن وائل وعجنا صدور الخيل نحو تميم
 أي على الماء) . (۵) الكنى : الكافي ، ويؤامر : يشاور . (۶) تبجج به : افتخر وتباهى .

عليه ، أسمع من فرس ، وأبصر من عقاب ، وأهدى من قطاة ، وأحذر من عقق^(۱) ،
وأشد إقداماً من الأسد ، وأوثب من الفهد ، وأحقد من جمل ، وأروغ من ثعلب ،
وأغدر من ذئب ، وأسخى من لافظة^(۲) ، وأشح من صبي ، وأجمع من ذرة^(۳) ،
وأحرس من كلب ، وأصبر من ضب . فإن النفس تسمح من العناية على قدر الحاجة ،
وتتخفظ على قدر الخوف ، وتطلب على قدر الطمع ، وتطمع على قدر السبب .

(جمهرة الأمثال ۱ : ۱۱۷)

ومن كلماته البليغة قوله حين قدم خراسان :

« من كان في يديه شيء من مال عبد الله بن خازم^(۴) فليذبذبه ، وإن كان في فيه
فليلفظه ، وإن كان في صدره فلينفثه » فمَجِبَ الناس من حسن ما فصل وقسم .
(البيان والتبيين ۲ : ۵۴)

(۱) العقق : نوع من الغربان ، وهو ذو لونين : أبيض وأسود طويل الذنب ، يشبه صوته العين
والقاف - ولذا سمي عققاً - وقيل لأنه يثق فراخه ، فيتركهم بلا طعام ، وجميع الغربان يفعل ذلك - وقد
ضربوا به المثل في الخذر ، فقالوا : « أحذر من عقق » - انظر جمهرة الأمثال - كما قالوا : « أحذر من
غراب » وقالوا أيضاً : « ألس من عقق » لأن في طبيعه شدة الاختطاف لما يراه من الحلى - وقالوا : « أحق
من عقق » لأنه كالنعامة التي تضيع بيضها وأفراخها ، وتشتغل ببيض غيرها ، وإياها عني «دبة بقوله :

كثاركة بيضها بالدرء وملبسة ببيض أخرى جناحا

انظر حياة الحيوان الكبرى للدميري ۲ : ۲۰۹ ، ومجمع الأمثال .

(۲) رواه الميداني : « أسمع من لافظة » وقال : قد اختلفوا فيها ، فقال بعضهم : هي العنز التي تشل
للحلب - أشلى دابته : أراها المخلاة لتأتيه ، وأشلاها : دعاها للحلب - فتجىء لافظة بجرتها فرحا بالحلب .
وقال بعضهم : هي الحماة لأنها تخرج ماني بطنها لفرخها ، وقال بعضهم : هي الديك ، لأنه يأخذ الحبة بمنقاره
فلا يأكلها ، ولكن يلقبها إلى الدجاجة ، والهاء فيها للمبالغة هاهنا ، وقال بعضهم : هي الرعى لأنها تلفظ
ما تلمحه أي تقلف ، وقال بعضهم : هي البحر لأنه يلفظ بالدرء ، قال الشاعر :

تجود فتجزل قبل السؤال وكفك أسمع من لافظة

(۳) الدر : صغار النمل ، وفي كلام عمر بن عبد العزيز : قاتل الله زيادا جمع لهم (أي لأهل العراق)
كما تجمع الدرء ، وحاطهم كما تحوط الأم البرء ، وقال الشاعر :

تجمع لوارث جمعا كما تجمع في قريبها الدر .

(۴) وكان من أمره أنه لما مات يزيد بن معاوية ، ومعاوية بن يزيد ، وثب أهل خراسان بمعالمهم
فأخرجوهم ، وغلب كل قوم على ناحية ، ووقعت الفتنة ، وغلب عبد الله بن خازم على خراسان ، ثم كتب إليه -

۳۰۲ - خطبة طارق بن زياد في فتح الأندلس

لما دانت بلاد المغرب لموسى بن نصير - وكان والياً عليها من قبل الوليد بن عبد الملك - طمّح بصره إلى فتح بلاد الأندلس ، فبعث مَوْلَاهُ طارق بن زياد على جيش جُلّه من البربر سنة ۹۲ هـ فعبّر بهم البحر ، وَتَمَى خبْرَهُ إِلَى لُدْرِيْقِ مَلِكِ الْقُوطِ ، فَأَقْبَلَ لِحَارِبَتِهِ بِجَيْشِ جَرَّارٍ ، وَخَافَ طَارِقُ أُرْ يَسْتَعُوذُ الرَّعْبَ عَلَى جَنْدِهِ لِقَاتِمِهِمْ ، فَأَحْرَقَ السَّفْنَ الَّتِي أَفْلَتَمَهُمْ ، حَتَّى يَقَطَعَ مِنْ قُلُوبِهِمْ كُلَّ أَمَلٍ فِي الْعُودَةِ ، وَقَامَ فِيهِمْ ، فَحَمِدَ اللهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، ثُمَّ حَنَنَهُمْ عَلَى الْجِهَادِ ، وَرَغَبَهُمْ فِي الشَّهَادَةِ ، فَقَالَ :

« أَيُّهَا النَّاسُ ، أَيْنَ الْمَقْرُءُ ؟ الْحَرُّ مِنْ وِرَائِكُمْ ، وَالْعُدُوٌّ أَمَامَكُمْ ، وَلا يَسْ لَكُمْ وَاللَّهِ إِلا الصَّدَقُ ^(۱) وَالصَّبْرُ ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ أَضْيَعُ مِنَ الْإِيْتَامِ فِي مَادِبِ ^(۲) اللّٰثَمِ ، وَقَدْ اسْتَقْبَلَكُمْ عَدُوٌّ كَمْ بِجَيْشِهِ ، وَأَسْلِحَتُهُ وَأَقْوَاتُهُ مَوْفُورَةٌ ، وَأَنْتُمْ لَا وَزَرَ ^(۳) لَكُمْ إِلا سِيُوفُكُمْ ، وَلا أَقْوَاتَ إِلا مَا تَسْتَخْلِصُونَهُ مِنْ أَيْدِي عَدُوِّكُمْ ، وَإِنْ أَمْتَدَّتْ بِكُمْ الْآيَامُ عَلَى افْتِقَارِكُمْ ، وَلَمْ تُنْجِزُوا أَمْرًا ، ذَهَبَتْ رِيْحُكُمْ ، وَتَمَوَّضَتِ الْقُلُوبُ مِنْ رُغْبِهَا مِنْكُمْ الْجُرْأَةَ عَلَيْكُمْ ، فَادْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ خِذْلَانَ هَذِهِ الْعَاقِبَةِ مِنْ أَمْرِكُمْ ، بِمُنَاجَزَةٍ ^(۴) هَذَا الطَّاعِغِيَّةِ ، فَقَدْ أَلْقَتْ بِهٖ إِلَيْكُمْ مَدِينَتَهُ الْحَصِيْبَةَ ، وَإِنْ انْتَهَازَ الْفُرْصَةَ فِيهِ كَمُتَكِينٍ ، إِنْ سَمَّحْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ بِالْمَوْتِ ، وَإِنِّي لَمْ أَحْذَرُكُمْ أَمْرًا أَنَا عَنْهُ بِنَجْوَةٍ ^(۵) ،

= عبد الملك بن مروان بعد مقتل عبد الله بن الزبير - وقيل قبله - يدعو إلى الدخول في طاعته على أن يطعمه خراسان عشر سنين ، فأبى وحلف ألا يعطيه طاعة أبدا ، وكان ابن خازم يقاتل بجزيرة بن ورقاء الصريمي بأبر شهر ، وخليفته على مرو بكبير بن وشاح ، فكتب عبد الملك إلى بكبير بعهد على خراسان ، ووعدته ومناه ، فدعا إلى عبد الملك ، وأجابته أهل مرو ، وبلغ ابن خازم فعاف أن يأتيه بكبير ، فيجتمع عليه أهل مرو وأهل أبر شهر ، فترك بجزيرة وأقبل إلى مرو ، فاتبعه بجزيرة فلحقه ، ودارت بينهما الحرب فقتل ابن خازم في المعركة - انظر تاريخ الطبري ۷ : ص ۴۴ ، وص ۱۹۶ . (۱) أي الصدق في القتال ، والصدق : الشدة ، يقال صدقه القتال . (۲) جمع مأدبة بالفتح والضم : وهي طعام صنع لدعوة أو عرس . (۳) لاملجأ . (۴) أي مبارزته . (۵) النجوة : ما ارتفع من الأرض .

وَلَا حَلَّتْكُمْ عَلَى خَطَاةٍ أُرْخَصُ مَتَاعٍ فِيهَا النَّفُوسُ ، أَرْبَابًا^(۱) فِيهَا بِنَفْسِي ، وَاعْلَمُوا
أَنَّكُمْ إِنْ صَبَرْتُمْ عَلَى الْأَشَقِّ قَلِيلًا ، اسْتَمْتَعْتُمْ بِالْأَرْزَقِ الْأَلَدِّ طَوِيلًا ، فَلَا تَرْغَبُوا بِأَنْفُسِكُمْ
عَنْ نَفْسِي ، فِيمَا حَظَّكُمْ فِيهِ أَوْفَرُ مِنْ حَظِّي .

وَقَدْ بَانَكُمْ مَا أَنْشَأَتْ هَذِهِ الْجَزِيرَةُ مِنَ الْحُورِ^(۲) الْحِسَانِ ، مِنْ بَنَاتِ الْيُونَانِ ،
الرَّافِلَاتِ^(۳) فِي الدَّرِّ وَالْمَرْجَانِ ، وَالْحُلَلِ الْمَسْجُوجَةِ بِالْعِقْيَانِ^(۴) ، الْمَقْصُورَاتِ^(۵)
فِي قُصُورِ الْمُلُوكِ ذِي التَّيْجَانِ ، وَقَدْ انْتَخِبَكُمْ الْوَالِدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَمِيرًا لِلْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْأَبْطَالِ
عُزْبَانًا^(۶) ، وَرَضِيَكُمْ لِلْمُلُوكِ هَذِهِ الْجَزِيرَةَ أَصْهَارًا^(۷) وَأَخْتَانًا^(۸) ، ثِقَّةً مِنْهُ بَارْتِيَا حَكَمَ
لِلطَّعَانِ ، وَإِسْمَا حَكَمَ^(۹) بِمَجَالِدَةِ الْأَبْطَالِ وَالْقُرَّسَانِ ، لِيَكُونَ حَظُّهُ مِنْكُمْ ثَوَابَ اللَّهِ عَلَى
إِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ ، وَإِظْهَارِ دِينِهِ بِهَذِهِ الْجَزِيرَةِ ، وَإِيكُونَ مَغْنَمًا خَالصًا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ ، وَمِنْ
دُونِ الْمُؤْمِنِينَ سِوَاكُمْ ، وَاللَّهُ تَعَالَى وَلِيُّ إِتْمَادِكُمْ عَلَى مَا يَكُونُ لَكُمْ ذِكْرًا فِي الدَّارِينَ .
وَاعْلَمُوا أَنِّي أُولُ مَجِيبٍ إِلَى مَا دَعَوْتَكُمْ إِلَيْهِ ، وَأَنْتُمْ عِنْدَ مُلْتَقَى الْجَنَّةِ ، حَامِلٌ
بِنَفْسِي عَلَى طَاعِيَةِ الْقَوْمِ لِلدَّرِيْقِ ، فَقَاتِلْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَاحْمِلُوا مَعِيَ ، فَإِنْ هَلَكْتُ بَعْدَهُ ،
فَقَدْ كُنْتُمْ أَمْرَهُ ، وَلَنْ يُعْوِزَكُمْ بَطَالٌ عَاقِلٌ تُسْنِدُونَ أُمُورَكُمْ إِلَيْهِ ، وَإِنْ هَلَكْتُ قَبْلَ
وَصُولِي إِلَيْهِ ، فَاخْلُقُونِي فِي عَزِيمَتِي هَذِهِ ، وَاحْمِلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَلَيْهِ ، وَاسْتَفُوا الْمُهَيْمِ مِنْ فَتْحِ
هَذِهِ الْجَزِيرَةِ بِقَتْلِهِ ، فَإِنَّهُمْ يُخَذَّلُونَ .

(نَفْحُ الطَّيِّبِ ۱ : ۱۱۲ ، وَوَفِيَّاتِ الْأَعْيَانِ ۲ : ۱۳۵)

(۱) رَبًّا بِنَفْسِهِ : عَلَاهَا وَارْتَفَعَ ، أَيْ أَنْتَحَى عَنْ مَشَارِكْتِكُمْ . (۲) جَمْعُ حُورَاءَ ، مِنَ الْحُورِ
بِالتَّحْرِيكِ : وَهُوَ شَدَّةُ سَوَادِ الْعَيْنِ وَبَيَاضُهَا . (۳) رَقَلْتُ : جَرْتُ ذَيْلَهَا وَتَبَخَّرْتُ ، أَوْ خَطَرْتُ بِيَدِهَا .
(۴) الذَّهَبُ . (۵) الْمَخْدِرَاتُ : الْمَخْبُوهَاتُ (۶) جَمْعُ عَزِيمٍ ، وَالْعَزِيمُ وَالْعَزْبُ وَالْأَعْرَبُ :
مِنْ لَازِوِجَةِ لَهُ . (۷) جَمْعُ صَهْرٍ : كَحَمَلٍ ، وَهُوَ زَوْجُ بِنْتِ الرَّجُلِ وَزَوْجُ أُخْتِهِ . (۸) جَمْعُ
عَمَلٍ كَسَبٍ ، وَهُوَ الصَّهْرُ ، أَوْ كَلٌّ مِنْ كَانَ مِنْ قَبْلِ الْمَرْأَةِ كَالْأَبِ وَالْأَخِ . (۹) صَمَّحٌ وَأَسْمَحٌ : جَادٌ وَكَرِيمٌ .

۳۰۳ - نص آخر لخطبة طارق

وروى ابن قتيبة هذه الخطبة في الإمامة والسياسة بصورة أخرى ، قال :

لما بلغ طارقاً دُنُوَّ لَدْرِيقِ ، قام في أصحابه ، فحمد الله ، ثم حَضَّ النَّاسَ عَلَى الْجِهَادِ ،

وَرَغَبَهُمْ فِي الشَّهَادَةِ ، وَبَسَطَ لَهُمْ فِي آمَالِهِمْ ، ثُمَّ قَالَ :

« أَيُّهَا النَّاسُ : أَيْنَ الْمَقْرُ ؟ الْبَحْرُ مِنْ وَرَائِكُمْ ، وَالْعَدُوُّ أَمَامَكُمْ ، فَلَيْسَ ثَمَّ وَاللَّهِ

إِلَّا الصِّدْقُ وَالصَّبْرُ ، فَإِنَّهُمَا لَا يُغْلِبَانِ ، وَهُمَا جُنْدَانِ مِنْصُورَانِ ، وَلَا تَضُرُّهُمَا قِلَّةٌ ،

وَلَا تَنْفَعُ مَعَ الْخَوَرِ وَالْكَسَلِ وَالْفَشَلِ وَالْإِخْتِلَافِ وَالْعُجْبِ كَثْرَةُ ، أَيُّهَا النَّاسُ :

مَا فَعَلْتُ مِنْ شَيْءٍ فَأَفْعَلُوا مِثْلَهُ ، إِنْ حَمَلْتُ فَأَحْمِلُوا ، وَإِنْ وَقَفْتُ فَاقِفُوا ، ثُمَّ كُونُوا كَهَيْئَةِ

رَجُلٍ وَاحِدٍ فِي الْقِتَالِ ، أَلَا وَإِنِّي عَامِدٌ إِلَى طَاغِيَتِهِمْ ، بِحَيْثُ لَا أَنْهِيْبُهُ حَتَّى أَخَالِطَهُ ،

وَأَقْتُلُ دُونَهُ ، فَإِنْ قُتِلْتُ فَلَا تَهِنُوا ^(۱) وَلَا تَحْزِنُوا ، وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ

رِيحُكُمْ . وَتَوَلَّوْا الدُّبُرَ أَعْدُوَكُمْ ، فَجَبَدُّوْا بَيْنَ قَتِيلٍ وَأَسِيرٍ . وَإِيَّاكُمْ إِيَّاكُمْ أَنْ تَرْضَوْا

بِالدَّيْنِيَّةِ ، وَلَا تَمْطُوا بِأَيْدِيكُمْ ، وَارْغَبُوا فِيمَا يُعْجَلُ لَكُمْ مِنَ الْكِرَامَةِ وَالرَّاحَةِ ، مِنَ الْعَيْشَةِ

وَالذَّلَّةِ ، وَمَا قَدْ حَلَّ لَكُمْ مِنْ نَوَابِ الشَّهَادَةِ ، فَإِنَّكُمْ إِنْ تَفَلَّوْا ^(۲) (وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَمُعِيذُكُمْ)

تَبَيُّوْا بِالْخُسْرَانِ الْمُبِينِ ، وَسُوءِ الْحَدِيثِ غَدًا بَيْنَ مَنْ عَرَفَكُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَهَآنَذَا حَامِلٌ

حَتَّى أَغْشَاهُ ، فَأَحْمِلُوا بِحِمْلَتِي . (الإمامة والسياسة ۲ : ۵۳)

۳۰۴ - خطبة عثمان بن حيان المري بالمدينة

وولى الوليد بن عبد الملك عثمان بن حيان المري المدينة سنة ۵۹۴ هـ ، وقد خطب

على المنبر ، فقال بعد حمد الله :

« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّا وَجَدْنَاكُمْ أَهْلَ غِشٍّ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ وَحَدِيثِهِ ،

(۱) فلا تضحكوا . (۲) إن تغلبوا وتهزموا .

وقد ضوى^(۱) إليكم من يزيدكم خبالاً : أهل العراق ، هم أهل الشقاق والنفاق ، هم والله عش النفاق ، وبيضته التي تفلقت عنه ، والله ما جربت عراقياً قط إلا وجدت أفضلهم عبد نفسه ، الذي يقول في آل أبي طالب ما يقول ، وما هم لهم بشيعة ، وإنهم لأعداء لهم ولغيرهم ، ولكن لما يريد الله من سفك دماهم ، فإني والله لا أوتى بأحد آوى أحداً منهم أو أكثره منزلاً ، أو أنزله ، إلا هدمت منزله ، وأنزلت به ما هو أهله^(۲) .

ثم إن البلدان لما مصرها عمر بن الخطاب ، وهو مجتهد على ما يصلح رعيته ، جعل يمر عليه من يريد الجهاد ، فيستشيره : الشام أحب إليك أم العراق ؟ فيقول : الشام أحب إلي .

إني رأيت العراق داءً عضالاً ، وبها فرّخ الشيطان ، والله لقد أعضلوا بي^(۳) ، وإني لأراني سأفرّقهم في البلدان ، ثم أقول : لو فرقتم لأفسدوا من دخلوا عليه يجدل وحجاج ، وكيف ؟ ولم ؟ ومرعة وجيف^(۴) في الفتنة ، فإذا خبروا عند السيوف ، لم يُخبر منهم طائل^(۵) ، لم يصلحوا على عثمان ، فلقى منهم الأمرين^(۶) ، وكانوا أول الناس فتق هذا الفتق العظيم ، ونقضوا عمراً الإسلام حرّوة حرّوة ، وأنزلوا^(۷) البلدان ، والله إني لأتقرب إلى الله بكل ما أفعل بهم لما أعرف من رأيهم ومذاهبهم ، ثم وليهم أمير المؤمنين معاوية ، فدأجهم^(۸) فلم يصلحوا عليه ، ووليهم رجل الناس^(۹) جلدًا ،

(۱) ضوى كرمى : انضم ولجأ ، والحبال : الفساد . (۲) ولم يترك بالمدينة أحداً من أهل العراق ، تاجر ولا غير تاجر ، وأمر بهم أن يخرجوا ، وحبس بعضهم وحاقيهم ، ثم بعث بهم في جوامع إلى الحجاج بن يوسف .
(۳) عضل به الأمر وأعضل : اشتد ، وأعضله أيضاً . (۴) وجف يجف وجيفا : اضطرب .
والوجيف : ضرب من سير الخيل والإبل . (۵) الطائل والطائلة والطول : الفضل والقدرة .
(۶) الأمران : الفقر والحرم ، وهو كناية عن اشتداد الأمر . (۷) أفسدوا ، من نغل الأديم كفرح : فسد في الدباغ ، وأنغله : أفسده . (۸) المدأجة مثل المدأجة ودأجه عليه : واقفه .
(۹) يريد الحجاج بن يوسف .

فَبَسَطَ عَلَيْهِمُ السَّيْفَ وَأَخَافَهُمْ ، فَاسْتَغَامُوا لَهُ ، أَحْبَبُوا أَوْ كَرَهُوا ، وَذَلِكَ أَنَّهُ خَبَّرَهُمْ وَعَرَّفَهُمْ .

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا شِعَارًا قَطُّ مِثْلَ الْأَمْنِ ، وَلَا رَأَيْنَا جِلْسًا^(۱) قَطُّ شَرًّا مِنَ الْخَوْفِ ، فَالزَّمُوا الطَّاعَةَ ، فَإِنْ عِنْدِي بِأَهْلِ الْمَدِينَةِ خَيْرَةٌ مِنَ الْخِلَافِ ، وَاللَّهُ مَا أَنْتُمْ بِأَصْحَابِ قِتَالٍ ، فَكُونُوا مِنْ أَحْلَاسِ بَيْوتِكُمْ ، وَعَضُّوا عَلَى النَّوَاجِذِ ، فَإِنِّي قَدْ بَعَثْتُ فِي مَجَالِكُمْ مَنْ يَسْمَعُ فَيُبَلِّغُنِي عَنْكُمْ ، إِنَّكُمْ فِي قُضُولِ كَلَامٍ غَيْرِهِ أَلْزَمُ لَكُمْ ، فَدَعُّوا عَيْبَ الْوُلَاةِ ، فَإِنَّ الْأَمْرَ إِنَّمَا يُنْقَضُ شَيْئًا شَيْئًا حَتَّى تَكُونَ الْفِتْنَةُ ، وَإِنَّ الْفِتْنَةَ مِنَ الْبَلَاءِ ، وَالْفِتْنُ تَذْهَبُ بِالدِّينِ وَبِالْمَالِ وَالْوَلَدِ . (تاريخ الطبري ۸ : ۹۲)

۳۰۵ - وصية يزيد بن المهلب لابنه محمد (قتل سنة ۱۰۲ هـ)

وَمَا وَلى يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ خُرَاسَانَ فِي عَهْدِ سَلِيمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَفَتَحَ جُرْجَانَ^(۲) وَطَبَرِسْتَانَ^(۳) (سنة ۹۸) ، وَقَدْ أَوْصَى ابْنَهُ مُحَمَّدًا حِينَ اسْتَخْلَفَهُ عَلَى جُرْجَانَ ، فَقَالَ :

« يَا بُنَيَّ ، إِنِّي قَدْ اسْتَخْلَفْتُكَ عَلَى هَذِهِ الْبِلَادِ ، فَانظُرْ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْيَمَنِ ، فَكُنْ لَهُمْ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا كُنْتَ مُرْتَادَ الرِّجَالِ لِنَفْعِهِمْ .

فَرِشٌ وَأَصْطَنِعُ عِنْدَ الدِّينِ بِهِمْ تَرْهِي^(۴)

وَانظُرْ هَذَا الْحَيَّ مِنَ رُبَيْعَةٍ ، فَإِنَّهُمْ شِيعَتُكَ وَأَنْصَارُكَ ، فَاقْضِ حَقُوقَهُمْ ، وَانظُرْ هَذَا

(۱) المجلس : بساط البيت ، وكساء على ظهر البعير تحت رحله ، والمراد : ما رأينا مركبا شرا من الخوف ، وفلان جلس من أحلاس البيت : للذي لا يبرح البيت . (۲) في الجنوب الشرقي من بحر قزوين . (۳) جنوب بحر قزوين . (۴) راس السهم يرشه : ألزق عليه الريش ، وراش الصديق : أطمه رسداه وكساء وأصلح حاله ورفعه ، وأصطنع عنده صنيعته : اتخذها ، والبيت لأبي دؤاد الإيادي .

الحی من نعيم ، فامطرهم^(۱) ، ولا تزره^(۲) لهم ، ولا تدنهم فيطمعوا ، ولا تقصهم فيقطعوا ، وانظر هذا الحی من قيس ، فإنهم أكفاه قومك في الجاهلية ، ومناصفهم المنابر في الإسلام ، ورضام منك البشر .

يا بنی : إن لأبيك صنائع فلا تُفسدْها ، فإنه كفى بالمرء نقصاً أن يهدم ما بنى أبوه ، وإياك والدماء فإنها لا بقية معها ، وإياك وشتم الأعراض ، فإن الحر لا يرضيه عن عرضه عوض ، وإياك وضرب الأبخار ، فإنه عارٌ باقٍ ، ووترٌ مطلوب ، واستعمل على النجدة والفضل دون الهوى ، ولا تعزل إلا عن عجز أو خيانة ، ولا يمنك من اصطناع الرجل أن يكون غيرك قد سبقك إليه ، فإنك إنما تصطنع الرجال لفضلها ، وليكن صنيعك عند من يكافئك عنه ، احمل الناس على أحسن أدبك يكفوك أنفسهم ، وإذا كتبت كتاباً فأكثر النظر فيه ، وليكن رسولك فيما بيني وبينك من يفقه عني وعنك ، فإن كتاب الرجل موضع عقله ، ورسوله موضع سيره ، وأستودعك الله ، فلا بدّ للودع أن يسكت ، وللمشيّع أن يرجع ، وما عفّ من المنطق ، وقلّ من الخطيئة أحبّ إلى أبيك ، وكذلك سلك هذا المسلك الحمود .

(شرح ابن أبي الحديد م ۴ : ص ۱۵۵ ، وبلوغ الأرب ۳ : ۱۷۳)

(۱) مطرهم السماء : أصابهم بالمطر ، ومطرهم بخير : أصابهم وما مطر منه خيراً — وبخير .. : أي ما أصابه منه خير .

(۲) الزرهو : الكبر والعيه ، زهى كفى ، وكذا قليلة .

۳۰۶ - نصيحة عمر بن هبيرة لبعض بنيه

وقال عمر بن هبيرة^(۱) يؤدّب بعض بنيه :

« لاتكوننَّ أول مُشير ، وإياك والموى والرأى الفطير^(۲) ، وتجنب ارتجال الكلام ، ولا تُشير على مستبدّ ، ولا على وَغْد ، ولا على متلّون ، ولا على لَجُوج ، وَخَفِ الله في موافقة هوى المستشير ، فإن التماس موافقة أئوم ، وسوء الاستماع منه خيانة » .

وقال : « من كثر كلامه كثر سقطه ، ومن ساء خلقه قلَّ صديقه » .

(البيان والتبيين ۲ : ۹۸)

(۱) هو عمر بن هبيرة الفزاري ، وكان عاملا على الجزيرة لعمر بن عبد العزيز ، وولى العراق (وأضيفت إليه خراسان) يزيد بن عبد الملك . (۲) كل شيء أعجلته عن إدراكه فهو فطير - والمعجم الفطير : ضد الخمير : أي الذي لم يختمر - وكان عبداً بن وهب الراسبي أمير الخوارج يقول : نموذ باقه من الرأى الدبرى - والدبرى بالتحريك وتسكن الباء : الذي يعرض من بعد وقوع الشيء - ولا تقل دبرى هضمتين فإنه من لحن المحدثين .

خطب خالد بن عبد الله القسري^(١)

(توفي سنة ٥١٢٦ هـ)

٣٠٧ - خطبته بمكة يدعو إلى الطاعة ولزوم الجماعة

خطب خالد بن عبد الله القسري بمكة ، فقال :

« يا أيها الناس ، إنكم بأعظم بلاد الله حرمةً ، وهي التي اختار الله من البلدان فوضع بها بيته ، ثم كتب على عباده حججه ، من استطاع إليه سبيلاً ، أيها الناس : فعليكم بالطاعة ، ولزوم الجماعة ، وإياكم والشبهات ، فإني والله ما أوتى بأحد يظن على إمامه إلا صلبته في الحرم ، إن الله جعل الخلافة منه بالموضع الذي جعلها ، فسلموا وأطيعوا ، ولا تقولوا كَيْتَ وَكَيْتَ ، إنه لا رأى فيما كتب به الخليفة أو رآه إلا إمضاؤه ، واعلموا أنه بلغني أن قوماً من أهل الخِلاف يقدّمون عليكم ، ويقيمون في بلادكم ، فإياكم أن تُنزِلُوا أحداً ممن تعلمون أنه زائع عن الجماعة ، فإني لا أجد أحداً منهم في منزل أحد منكم إلا هدمت منزله ، فانظروا من تنزلون في منازلكم ، وعليكم بالجماعة والطاعة ، فإن الفرقة هو البلاء العظيم . »

وَسَمِعَ يَوْمًا يَقُولُ: « وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْوَحْشَ الَّتِي تَأْمَنُ فِي الْحَرَمِ لَوْ نَطَقَتْ

(١) ولاء الوليد بن عبد الملك مكة سنة ٨٨٩ هـ ، وولي العراقين في عهد هشام بن عبد الملك ، وكانت أمه نصرانية ، قالوا وكان يهتم في دينه ، وهو من خطباء العرب المدودين المشهورين بالفصاحة والبلاغة ، توفي سنة ٥١٢٦ هـ .

لم نُقِرْ بالطاعة ، لأخرجتها من الحرم ، إنه لا يسكن حَرَمَ الله وَأَمْنَهُ مخالف للجماعة
زار^(۱) عليهم .

(تاريخ الطبري ۸ : ۸۰)

۳۰۸ - خطبة أخرى يشيد فيها بفضل الوليد

ومن غلوّه أنه خطب على منبر مكة ، فقال :

« أيها الناس ، أيهما أعظم ؟ أخليفة الرجل على أهله ، أم رسولهُ إليهم ؟ والله لو لم
تولدوا فضل الخليفة إلا أن إبراهيم خليل الرحمن استسقى ربه ، فسقاه مائعا أجابا ، واستسقاه
الخليفة فسقاه عذبا قرآنا^(۲) » يعني بئرا حفرها الوليد بن عبد الملك بالثنيّتين : ثنية
طوى ، وثنية الحجون^(۳) ، فكان يُنقل ماؤها ، فيوضع في حوض من آدم إلى جنب
زمزم ، ليعرف فضله على زمزم »

(تاريخ الطبري ۸ : ۶۷ ، وشرح للعيون ص ۲۰۵ والأغاني ۱۹ : ۶۰)

۳۰۹ - خطبته بمكة في الحجاج

وصعد خالد المنبر في يوم الجمعة - وهو على مكة - فذكر الحجاج - فحمد طاعته ،
وأثنى عليه خيرا ، فلما كان في الجمعة الثانية ورد عليه كتاب سليمان بن عبد الملك ، يأمره
فيه بشتم الحجاج ونشر عيوبه ، وإظهار البراءة منه . فصعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى
عليه ، ثم قال :

« إن إبليس كان مَلَكًا من الملائكة ، وكان يُظهِر من طاعة الله ما كانت
الملائكة تَرى له به فضلا ، وكان الله قد عَلِم من غشّه وَخُبَيْته ما خفي على ملائكته ،

(۱) زرى عليه : عابه . (۲) ماء أجاج : ملح مر ، والفرات : الماء العذب جدا .

(۳) ذو طوى مثلث الطاء وينون : موضع قرب مكة ، والحجون : جبل مشرف بمكة . وفي شرح

العيون أنه قال : « قد جئتمكم بماء العاذبة ، لالتشبه ماء أم الحنابس » يعني زمزم .

فلما أراد الله فضيحتَه أمره بالسجود لآدمَ ، فظهر لهم ما كان يُخفيه عنهم ، فاعنوه ، وإن الحجاج كان يُظهر من طاعة أمير المؤمنين ما كنا نرى له به فضلا ، وكان الله قد أطلع أمير المؤمنين من غشه وخبثه على ما خفي علينا ، فلما أراد الله فضيحتَه أجرى ذلك على يدي أمير المؤمنين ، فاعنه ، فاعنوه لعنه الله « ثم نزل .

(العقد الفريد ۲ : ۱۷۸ - ۳ : ۱۱)

۳۱۰ - خطبة له في الحث على مكارم الأخلاق

وقام على المنبر بواسط ، فحمد الله ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :
« أيها الناس ، نافسوا في المكارم ، وسارعوا إلى المغانم ، واشتروا الحمد بالجود ، ولا تكسبوا بالمطل ذمًا ، ولا تعتدوا بالمعروف ما لم تعجلوه ، ومهما يكن لأحد منكم عند أحد نعمة فلم يباغ شكرها ، فالله أحسن لها جزاء ، وأجزلُ عليها عطاء . واعلموا أن حوائج الناس إليكم ، نعمة من الله عليكم ، فلا تملأوا النعم فتحوّلوا نِقَمًا . واعلموا أن أفضل المال ما أكسبَ أجرا ، وأورثَ ذِكرًا ، ولو رأيتم المعروف رجلاً رايتموه حسنًا جميلًا يسر الناظرين ، ولو رأيتم البخل رجلاً رايتموه مشوهًا قبيحًا تنفر عنه القلوب ، وتُنفضي عنه الأبصار .

أيها الناس ، إن أجودَ الناس من أعطى من لا يرّجوه ، وأعظم الناس عفوًا من عفا عن قدرّة ، وأوصل الناس من وصل من قطعته ، ومن لم يطب حرّته ، لم يترك^(۱) نبتة ، والأصول عن مغاربيها تنمو ، وبأصولها تشمو . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي وإيكم . (صبح الأمتى ۱ : ۲۲۳ ، ونهاية الأرب ۷ : ۲۵۵ ، ومرح العيون ص ۲۰۵)

(۱) لم يترك .

۳۱۱ - خطبة له يوم عيد

حصب فذكر الله وَجَلَّالَهُ ، ثم قال :

« كنت كذلك ما شئت أن تكون ، لا يعلم كيف أنت إلا أنت ، ثم ارتأيت أن تَخْلُقَ الخَلْقَ ، فإذا جئت به من عجائب صنعمك ؟ والكبيرُ والصغيرُ مِنْ خَلْقِكَ ، والظاهرُ والباطنُ مِنْ ذَرِّكَ ، من صنوف أفواجه^(۱) ، وأفراده وأزواجه ، كيف أدبجت^(۲) قوائم الذرَّة والبعوضة ، إلى ما هو أعظم من ذلك ، من الأشباح ، التي امتزجت بالأرواح . »

(عيون الأخبار م ۲ : ص ۲۴۶)

۳۱۲ - قوله وقد سقطت جرادة على ثوبه

وكان خالد إذا تكلم يظن الناس أنه يصنع الكلام ، لعدو به لفظه ، وبلاغة منطقته ، فبينما هو يخطب يوماً إذ سقطت جرادة على ثوبه ، فقال :

« سبحان من الجرادة من خلقه ، أدمج قوائمها ، وطوقها جناحها ، ووَشَّى^(۳) جلدتها ، وسلطها على ما هو أعظم منها . »

(عيون الأخبار م ۲ : ص ۲۴۷ ، والعقد الفريد ۲ : ۱۶۳)

۳۱۳ - خطبة يوسف بن عمر الثقفي^(۴) (قتل سنة ۱۲۷ هـ)

قام خطيباً ، فقال :

اتقوا الله عباد الله ، فكم من مؤمل أملاً لا يبُلُغُهُ ، وجامع مآلاً لا يأكله ، ومانع عما سوف يتركه ، ولعله من باطلٍ جمعه ، ومن حقٍّ مَنَعَهُ ، أصابه حراماً ، وأورثه

(۱) جمع فوج كشمس ، وهو الجماعة . (۲) من أدمج الحبل : أحكم فتلته في رقة .

(۳) نقش ونعم وزين . (۴) هو ابن ابن عم الحجاج ، وولاه هشام بن عبد الملك اليميني سنة ۱۰۶ هـ

م وولاه العراق سنة ۱۲۰ هـ بعد عزل خالد بن عبد الله القسري ، وقتل سنة ۱۲۷ هـ .

عَدُوًّا ، فَاحْتَمَلَ إِصْرَهُ ^(۱) ، وَبَاءَ بِوِزْرِهِ ، وَوَرَدَ عَلَى رَبِّهِ آسِفًا لَاهِفًا ، قَدْ خَسِرَ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةَ ، ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ .

(العقد الفريد ۲ : ۱۵۸ ، والبيان والتبيين ۲ : ۷۱ ، ونهاية الأرب ۷ : ۲۵۵)

۳۱۴ - خطبة يوسف بن عمر

ولما قتل يوسف بن عمر زيد بن علي سنة ۱۳۲ هـ أقبل حتى دخل الكوفة فصعد
المنبر فقال :

« يَا أَهْلَ الْمَدْرَةِ الْخَبِيثَةِ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا تَقَرَّنَ بِي الصَّعْبَةُ ، وَلَا يَقَعَّقَعُ لِي بِالشَّنَانِ ، وَلَا
أَخَوْفُ بِالذَّنْبِ ، هَيْهَاتُ حُبَيْتُ بِالسَّاعِدِ الْأَشَدِّ .

أَبَشِرُوا يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ بِالصَّغَارِ وَالْمُحَوَّانِ ، لَا عَطَاءَ لَكُمْ عِنْدَنَا وَلَا رِزْقَ ، وَلَقَدْ هَمَمْتُ
أَنْ أَخْرَبَ بِلَادَكُمْ وَدُورَكُمْ ، وَأَحْرَمَكُمْ أَمْوَالَكُمْ ، أَمَا وَاللَّهِ مَا عَلَوْتُ مِنْ بَرِي إِلَّا أَسْمَعْتُمْ
مَا تَكْرَهُونَ عَلَيْهِ ، فَإِنَّكُمْ أَهْلُ بَغْيٍ وَخِلَافٍ ، مَا مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِلَّا
حَكِيمٌ بِنَ شَرِيكَ الْحَارِثِيِّ ، وَلَقَدْ سَأَلْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَأْذَنَ لِي فِيكُمْ ، وَلَوْ أذِنَ لَقَتَلْتُ
مُقَاتِلَتَكُمْ وَسَبَيْتُ ذُرَارِيَكُمْ .

(تاريخ الطبري ۸ : ۲۷۸)

(۱) الإصر : الذنب .

خطب الفتن والأحداث

فتنة المدينة ووقعة الحرّة

٣١٥ - خطبة عبد الله بن حنظلة الأنصاري

وقد علم بقدم جيش الشام إلى المدينة (قتل سنة ٦٣ هـ)

لما كره أهل المدينة خلافة يزيد بن معاوية ، وبايعوا عبد الله بن حنظلة الأنصاري على خلفه ، ووَثَبوا على من كان بالمدينة من بني أمية وحصرهم وأخافوهم ، وجه إليهم يزيد جيشاً من أهل الشام بقيادة مُسَلِّمِ بْنِ عُقْبَةَ الرَّمِّيِّ ، وَنَمَى إِلَيْهِمْ خَيْرٌ مَّقْدَمِهِ عَلَيْهِمْ ، فجمعهم عبد الله بن حنظلة ، فقال : « تبايعونني على الموت ، وَإِلَّا فلا حاجة في بيعتكم » فبايعوه على الموت ، ثم صعد المنبر : فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : « أيها الناس : إنما خرجتم غَضَبًا لدينكم ، فأبْلُوا إلى الله بلاءً حسنًا ، ليُوجِبَ لكم به الجنةَ وَمَغْفِرَتَهُ ، وَيَجِلَّ بِكُمْ رِضْوَانَهُ ، واستعدُّوا بأحسنِ عُدَّتِكُمْ ، وتأهبوا بأكل أهبتكم ، فقد أُخْبِرْتِ بَأَنَّ الْقَوْمَ نَزَلُوا بِذِي خُشْبٍ ^(١) ومعه مَرَّوان بن الحكم ، والله إن شاء مُهْلِكُكُمْ بِنَقْضِهِ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ عِنْدَ مَنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢) . »

(١) ذو خشب : واد على مسيرة ليلة من المدينة . (٢) وذلك أن أهل المدينة كانوا قد أخرجوا مروان بن الحكم وكبراء بني أمية من المدينة ، وحلفوهم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن نقوا جيش يزيد ليردوهم عنهم إن استطاعوا ، فإن لم يستطيعوا مضوا إلى الشام ، ولم يرجعوا معهم ، فحلفوا لهم على ذلك .

فتصايح الناس ، وجعلوا ينالون منه ويسبونه ، فقال لهم : « إن الشتم ليس بشيء ، تصدقهم اللقأء ، والله ما صدق قوم قط إلا نصروا » ، ثم رفع يديه إلى السماء ، وقال : « اللهم إنا بك واثقون ، وعليك متوكلون ، وإليك ألقانا ظهورنا » ثم نزل .

(الإمامة والسياسة ۱ : ۱۵۴)

۳۱۶ - خطبة مسلم بن عقبة يؤنب أهل الشام

وأقبل مسلم بجيشه إلى المدينة ، فحاصرها من جهة الحرة^(۱) ، ودعا أهلها إلى الطاعة وصراحة الحق ، وأجلهم ثلاثاً فلم يذعنوا لقوله ، ونشبت الحرب بين الفريقين ، وحملت خيل ابن حنظلة على أهل الشام فأنكشفوا ، وقتل صاحب رايتهم ، فأخذ مسلم الراية ، ونادى :

« يا أهل الشام . أهدا القتال قتال قوم يريدون أن يذفعوا به عن دينهم ؟ وأن يعزوا به نصر إمامهم ؟ قبَّحَ اللهُ قتالكم منذ اليوم ، ما أوجعته لقلبي ، وأغیظته لنفسی ! أما والله ما جزاؤكم عليه إلا أن تحرموا العطاء ، وأن تجمروا في أقاصي الثغور ، شدوا مع هذه الراية ، ترَّخَّ^(۲) اللهُ وجوهكم إن لم تعتَبُوا^(۳) » . (تاريخ الطبری ۷ : ۹)

۳۱۷ - خطبة مسلم بحر ضهم

ثم إن خيل مسلم ورجاله أقبلت نحو ابن حنظلة ورجاله حتى دنوا منه ، وأخذ مسلم يسير في أهل الشام وبحر ضهم ، ويقول :

« يا أهل الشام ، إنكم لستم بأفضل العرب في أحسابها ولا أنسابها ، ولا أكثرها

(۱) الحرة : أرض بظاهر المدينة بها حجارة سود كبيرة . (۲) ترخا كفرح فرحا : حزن ، وترحه تبريحا : أحزنه . (۳) اعتبه : أعطاه العتبي (كقرب) وهي الرضا ، أي إن لم ترضوني بصدقكم القتال .

عَدَدًا ، وَلَا أَوْسَعِيهَا بَلَدًا ، وَلَمْ يَخْصُصْكُمْ اللَّهُ بِالَّذِي خَصَّكُمْ بِهِ مِنَ النَّصْرِ عَلَى عَدُوِّكُمْ ، وَحُسْنِ الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ أُمَّتِكُمْ ، إِلَّا بِطَاعَتِكُمْ وَاسْتِقَامَتِكُمْ ، وَإِنْ هُوَ لَاءِ الْقَوْمِ وَأَشْبَاهِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ غَيْرُوا ، فَغَيَّرَ اللَّهُ بِهِمْ ، فَتَمَّوْا^(۱) عَلَى أَحْسَنِ مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الطَّاعَةِ ، يُتَمِّمُ اللَّهُ لَكُمْ أَحْسَنَ مَا يُبْدِلُكُمْ مِنَ النَّصْرِ وَالْفَلَجِ^(۲) .
(تاریخ الطبری ۷ : ۹)

۳۱۸ - خطبة ابن حنظلة بحرّض أصحابه

وقام عبد الله بن حنظلة في أصحابه حين رآهم قد أقبلوا يمشون تحت راياتهم ، فقال :
« يَا هُوَلَاءِ : إِنْ عَدُوِّكُمْ قَدْ أَصَابُوا وَجْهَ الْقِتَالِ الَّذِي كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَقَاتِلُوهُمْ بِهِ ، وَإِنِّي قَدْ ظَنَنْتُ إِلَّا تَلَبَّثُوا إِلَّا سَاعَةً ، حَتَّى يَفْصِلَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ ، إِمَّا لَكُمْ وَإِمَّا عَلَيْهِمْ ، أَمَّا إِنَّكُمْ أَهْلُ الْبَصِيرَةِ وَدَارِ الْمُهْجَرَةِ ! وَاللَّهِ مَا أَظُنُّ رَبَّكُمْ أَصْبَحَ عَنْ أَهْلِ بَلَدٍ مِنْ بُلْدَانِ الْمُسْلِمِينَ بِأَرْضِي مِنْهُ عَنْكُمْ ، وَلَا عَلَى أَهْلِ بَلَدٍ مِنْ بُلْدَانِ الْعَرَبِ بِأَسْخَطَ مِنْهُ عَلَى هُوَلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ يِقَاتِلُونَكُمْ ، إِنْ لَكُلِّ امْرَأٍ مِنْكُمْ مَيْتَةٌ هُوَ مَيْتٌ بِهَا ، وَاللَّهِ مَا مِنْ مَيْتَةٍ بِأَفْضَلَ مِنْ مَيْتَةِ الشَّهَادَةِ ، وَقَدْ سَأَقَهَا اللَّهُ إِلَيْكُمْ ، فَاغْتَنِمُوهَا ، فَوَاللَّهِ مَا كَلِمَا أَرَدْتُمُوهَا وَجَدْتُمُوهَا . »

ودارت الدائرة على أهل المدينة ، وقتل ابن حنظلة فيمن قتل ، ودخل مسلم المدينة^(۳)
وكانت وقعة الحرّة في ذي الحجة سنة ۶۳ هـ .
(تاریخ الطبری ۷ : ۱۰)

(۱) تم على الأمر وتمم عليه كضرب : أى استمر عليه . (۲) الفلج : الظفر والنصر .

(۳) انظر ص ۱۹۵ .

اضطراب الأمر بعد موت يزيد

٣١٩ - خطبة عبيد الله بن زياد بن أبيه

قام عبيد الله بن زياد بن أبيه خطيباً بعد موت يزيد بن معاوية - وهو يومئذ أمير العراق - فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« يا أهل البصرة ، انسبوني ، فوالله ما من أجبر أبي إلا إليكم ، وما مولدي إلا فيكم ، وما أنا إلا رجل منكم ، ولقد وليتكم وما أحصى ديوان مقاتلتكم إلا سبعين ألف مقاتل ، ولقد أحصى اليوم ديوان مقاتلتكم ثمانين ألفاً ، وما أحصى ديوان عمالكم إلا تسعين ألفاً ، واقد أحصى اليوم مائة وأربعين ألفاً^(١) ، وما تركت لكم ذا ظنة^(٢) أخافه عليكم ، إلا وهو في سجنكم هذا ، وإن أمير المؤمنين : يزيد بن معاوية قد توفى وقد اختلف أهل الشام ، وأنتم اليوم أكثر الناس عدداً ، وأعرضه فناء ، وأغناه عن الناس ، وأوسع بلاداً ، فاختاروا لأنفسكم رجلاً ترتضونه لدينكم وجماعتكم ، يجاهد عدوكم ، وينصف مظلومكم من ظالمكم ، ويكف سفهاءكم ، ويحجي لكم فينثكم ، ويقسمه فيما بينكم ، فأنا أول راضٍ من رضىتموه وتابيع ، فإن اجتمع أهل الشام على رجل ترتضونه ، دخلتم فيما دخل فيه المسلمون ، وإن كرهتم ذلك كنتم على جديلتكم^(٣) »

(١) وفي البيان والتبيين : « واقه لقد وليكم أبي ومماقاتلتكم إلا اربعون ألفاً ، فبلغ بها ثمانين ألفاً ، وما ذريتكم إلا ثمانون ألفاً ، وقد بلغ بها عشرين ومائة ألف ، وأنتم أوسع الناس بلاداً ، وأكثره جنوداً وأبعد مقاداً ، وأغنى الناس عن الناس . . . الخ . . . » (٢) الظنة : التهمة . (٣) الجديلة : الطريقة ، يقال : مازال على جديلة واحدة ، أي على حال واحدة ، وطريقة واحدة .

حتى تَمَطُّوا حاجتكم ، فما بكم إلى أحد من أهل البُلْدَانِ حاجَةٌ ، وما يستغنى
الناس عنكم .

فقامت خطباء أهل البصرة ، فقالوا : قد سمعنا مَقَالَتَكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نَعْلَمُ
أَحَدًا أَقْوَى عَلَيْهَا مِنْكَ ، فَهَلُمَّ فَلِنُبَايِعَكَ ، فقال : لا حاجة لي في ذلك ، فاختراروا
لأنفسكم ، فأبوا عليه ، وأبى عليهم ، حتى كرَّروا ذلك عليه ثلاث مرات ، فلما أبوا
بَسَطَ يده فبايعوه .

فلما خرجوا من عنده جعلوا يمسحون أكتفهم بالحيطان وباب الدار ، ويقولون :
ظن ابن مرَّجَانَةَ أَنَا نُؤَيِّئُهُ أَمْرَنَا فِي الْقُرُقَةِ ، وَأَقَامَ عبيد الله أميراً غيرَ كثير ، حتى جعل
سلطانه يَضُفُّ ، وَيَأْمُرُ بِالْأَمْرِ فَلَا يُقْضَى ، وَيَرَى الرَّأْيَ فَيُرَدُّ عَلَيْهِ ، وَيَأْمُرُ بِحَبْسِ
الْمُخْطِئِ فَيُجَالِ بَيْنَ أَعْوَانِهِ وَبَيْنَهُ .

(تاريخ الطبري ۷ : ۱۸ ، والبيان والتبيين ۲ : ۶۵ ، ومروج الذهب ۲ : ۱۰۵)

۳۳۰ — خطبة أخرى له

وبلغه أن سَلَمَةَ بن ذُوَيْبٍ يدعو الناس إلى ابن الزبير ، فأمر فنودي : الصلاةُ
جامعةً ، فتمع الناس ، فأنشأ عبيد الله يَقْصُّ أول أمره وأمرهم ، وما قد كان دعاهم
إلى من يرتضونه ، فيبايعه معهم ، وقال : « وَإِنَّكُمْ أَبَيْتُمْ غَيْرِي ، وَإِنَّهُ بَلَّغَنِي أَنَّكُمْ مَسَّحْتُمْ
أَكْتَفَكُمْ بِالْحَيْطَانِ وَبَابِ الدَّارِ ، وَقَلْتُمْ مَا قَلْتُمْ ، وَإِنِّي أَمْرٌ بِالْأَمْرِ فَلَا يُنْفَذُ ، وَيُرَدُّ عَلَى
رَأْيِي ، وَتَحْوَلُ الْقَبَائِلُ بَيْنَ أَعْوَانِي وَطَلِبَتِي ^(۱) ، ثُمَّ هَذَا سَلَمَةُ بن ذُوَيْبٍ يدعو إلى الخلاف
عليكم ، إرادة أن يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ ، وَيَضْرِبَ بِمَضْئِكُمْ جِبَاةَ بَعْضِ السَّيْفِ . »

فقال الأحنف بن قيس والناس جميعاً نحن نأتيك بِسَلَمَةَ ، فَأَتَوْهُ فَإِذَا جَمَعَهُ قَدْ كُفِّفَ
وَإِذَا الْفَتْحُ قَدْ اتَّسَعَ عَلَى الرَّانِقِ ، وَامْتَنَعَ عَلَيْهِمْ ، فَقَعَدُوا عَنْ ابْنِ زِيَادٍ فَلَمْ يَأْتَوْهُ .

(۱) طلبتك : ما طلبته .

وروی أنه قال فی خطبته : « یا أهل البصرة ، والله لقد لبسنا الخبز^(۱) ولبيمتنا^(۲) واللبن^(۳) من الثياب ، حتى لقد أجمنا^(۴) ذلك ، وأجمتہ جلودنا ، فما بنا إلى أن نُعقبَ الحديدَ ؟ یا أهل البصرة ، والله لو اجتمعتم على ذنبٍ غيرِ لتيكسروه ما كسرتموه . »
(تاريخ الطبري ۷ : ۲۰)

۳۲۱ - خطبة عمرو بن حريث

ولما بايع أهلُ البصرة عبيدَ الله بن زياد - وكان خليفته على الكوفة عمرو ابن حريث - بعث وافدين من قبله إلى الكوفة : عمرو بن مسمع ، وسعد بن القرعاء^(۳) التميمي ، ايعلم أهل الكوفة ما صنع أهلُ البصرة ، ويسألونهم البيعة لابن زياد ، حتى يصطلع الناس ، فجمع الناسَ عمرو بن حريث ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« إن هذين الرجلين قد أتياكم من قبل أميركم ، يدعوانكم إلى أمر يجمع الله به كلمتكم ، ويصلح به ذاتَ بينكم ، فاسمعوا منهما ، واقبلوا عنهما ، فإنهما برُشدٍ ما أتياكم . »

۳۲۲ - خطبة عمرو بن مسمع

فقام عمرو بن مسمع ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وذكر أهل البصرة ، واجتماع رأيهم على تأمير عبيد الله بن زياد ، حتى يرى الناس رأيهم ، فيمن يولون عليهم وقال :

« قد جئناكم لنجمع أمرنا وأمركم ، فيكونَ أميرنا وأمركم واحداً ، فإنما الكوفة من البصرة ، والبصرة من الكوفة . »

(۱) البينة : برد يعني . (۲) أجمه : أراحه ، وأصله من أجم الفرس : ركب فلم يركبه فغفه من تعبته ، والجمام بالفتح : البراحة . (۳) القرعاء في الأصل : الروضة في وسطها نور أبيض .

وقام ابن القرحاء ، فتكلم نحوًا من كلام صاحبه ، فقام يزيد بن الحارث الشيباني
فحصبهما أول الناس ، ثم حصبهما الناس بعد ، ثم قال : أنحن نبایع لابن مرّجانه ؟
لا ولا كرامة ! ورجع الوفد إلى البصرة ، فأعلم الناس الخبر ، فقالوا : أهل الكوفة
يخلمونه ، وأنتم تؤلّونه وتبايمونه ؟ فوثب به الناس ، فاستجار بمسعود بن عمرو الأزدي
فأجاره ومنه ، ثم خرج إلى الشام في خفارة رجال من الأزدي وبكر بن وائل .
(تاريخ الطبری ۷ : ۳۰)

۳۳۳ - خطبة الأحنف بن قيس

واستخلف ابن زياد مسعود بن عمرو الأزدي على البصرة ، فقالت بنو تميم وقيس :
لا نولى إلا رجلاً ترضاه جماعتنا ، فقال مسعود : قد استخلفني ، فلا أدع ذلك أبداً ،
وبينا هو على المنبر يبایع من أتاه ، إذ رماه رجل من الخوارج فقتله ، فخرجت الأزدي
إلى الخوارج ، فقتلوا منهم وجرحوا ، وطردهم عن البصرة ، وجاءهم الناس ، فقالوا لهم :
تعلمون أن بني تميم يزعمون أنهم قتلوا مسعود بن عمرو ؟ فبعثت الأزدي تسأل عن ذلك ،
فإذا أناس منهم يقولونه ، فاجتمعت الأزدي عند ذلك ، وازدلفوا إلى بني تميم ، وخرجت
مع بني تميم قيس ، وخرج مع الأزدي بكر بن وائل ، فالتقى القوم ، واقتتلوا أشد القتال ،
فقتل من الفريقين قتلى كثيرة ، وقالت لهم بنو تميم : الله الله يا معشر الأزدي دماننا
ودمائكم ، بيننا وبينكم القرآن ، ومن شئتم من أهل الإسلام ، فإن كانت لكم علينا
بيئة أنا قتلنا صاحبكم ، فاختاروا أفضل رجل فينا ، فاقتلوه بصاحبكم ، وإن لم تكن
لكم بيعة ، فإننا نحاف بالله ما قتلنا ولا أمرنا ، ولا نعلم لصاحبكم قاتلاً ، وإن لم
تريدوا ذلك ، فنحن ندي صاحبكم بمائة ألف درهم ، فاصطلحوا ، فاتاهم الأحنف
ابن قيس ، فقال :

« يا معشر الأزدي : أنتم جبرتنا في الدار ، وإخوتنا عند القتال ، وقد أتيناكم

في رحالكم ، لإطفاء حشيشتكم^(۱) ، وَسَلَّ سَخِيمَتِكُمْ^(۲) ، وَلِكُمْ الْحُكْمُ مُرَّةً لًا^(۳) ،
فقولوا ، على أعلامنا وأموالنا ، فإنه لا يَتَعَاظَمُنَا^(۴) ذهاب شيء من أموالنا كان فيه
صلاح بيدنا ، فقالوا : أَتَدُونَ صَاحِبَنَا عَشْرَ دِيَّاتٍ ؟ قال : هي لكم ، فانصرف الناس
واصطلحوا^(۵) .

وروى الجاحظ وابن عبد ربه هذه الخطبة بصورة أخرى ، وها هي ذى :

قال بعد حمد الله والثناء عليه : « بامعشر الأزدِ وَرَبِيعَةَ ، أنتم إخواننا في الدين
وشركاؤنا في الصَّوْر ، وَأَشِقَاؤُنَا فِي النَّسَب ، وجيراننا في الدار ، وَيَدُّنَا عَلَى الْعَدُو ،
وَاللَّهِ لَأَزِدُّ الْبَصْرَةَ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ تَمِيمِ الْكُوفَةِ ، وَلَا أَزِدُّ الْكُوفَةَ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ تَمِيمِ
الشَّامِ ، فَإِنْ أَسْتَشْرَفَ شَفَاؤُكُمْ^(۶) ، وَأَبَى حَسَدُ صُدُورِكُمْ ، ففِي أَمْوَالِنَا ، وَسَعَةِ
أَعْلَامِنَا ، لَنَا وَلَكُمْ سَعَةٌ . »

(تاريخ الطبري ۸ : ۳۱ ، والبيان والتبيين ۲ : ۶۸ ، والمعقد الفريد ۲ : ۱۵۷)

(۱) أي تارك الموقدة . من حش النار : أوفدها ، فهي فعيلة بمعنى مفعولة (وإن كانت لم ترد في كتب
الغة بهذا المعنى ، لكن القياس لا يمنعها ، والوارد : الحشيشة طاقة السكاة) . (۲) السخيمة : الحقد .
(۳) أي مطلقا كما تشاءون . (۴) تعاضده : عظم عليه . (۵) واجتمع أهل البصرة على
أن يجعلوا عليهم منهم أميرا يصل بهم حتى يجتمع الناس على إمام ، فجعلوا عبد الملك بن عبد الله بن عامر شهرا
ثم جعلوا عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب - وهو وبيته - فصل بهم شهرين ، ثم قدم
عليهم عمر بن عبد الله بن ممر من قبل ابن الزبير ، فكث شهرا ، ثم قدم الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة
المعروف بالقياس ، ثم مصعب بن الزبير ، أما أهل الكوفة فإنهم لما ردوا وفد البصرة ولوا عليهم عامر
ابن مسعود القرظي ، ثم قدم عليهم عبد الله بن يزيد الأنصاري من قبل ابن الزبير كما تقدم .
(۶) استشرف : انتصب ، أي زاد واستحکم ، والشئان : البغض والكراهية .

۳۳۴ - خطبة روح بن زنباع الجذامي بالمدينة^(۱)

لما نَمَى هلاك يزيد بن معاوية إلى الحُصَيْن بن نَمِير - وهو على حرب ابن الزبير

(۱) هو روح بن زنباع سيد جذام - إحدى قبائل النخع - وقد خلفه مسلم بن عقبة المري ، على المدينة بعد فراغه من قتال أهلها - في وقعة الحرّة - وشخصه إلى مكة لقتال ابن الزبير - وقد نزل الموت بمسلم في الطريق ، وولى أمر الجيش الحُصَيْن بن نَمِير - ولما كانت اثنتي عشرة يوم موت معاوية الثاني ، دعا حسان بن مالك ابن بحدل الكلبي - وكان على فلسطين والأردن - روح بن زنباع فاستخلفه على فلسطين ، ونزل هو الأردن فوثب نائل بن قيس الجذامي على روح ، فأخرجه من فلسطين ، وباع لابن الزبير . « الطبري ج ۷ : ص ۱۳ و ۳۴ ، والأغانى ۱۷ : ۱۱۱ » ، وكان لروح اليد الطولى في ظفر مروان بن الحكم بالخلافة ، قال صاحب العقد « ج ۲ : ص ۲۵۹ » لما مات معاوية بن يزيد بايع أهل الشام كلهم ابن الزبير إلا أهل الأردن ، وباع أهل مصر أيضا ابن الزبير ، واستخلف ابن الزبير الضحاك بن قيس الفهري على أهل الشام ، فلما رأى ذلك رجال بني أمية وناس من أشرف الشام ووجوههم منهم روح بن زنباع وغيره ، قال بعضهم لبعض : إن الملك كان فينا أهل الشام ، فانتقل عنا إلى الحجاز لانرضى بذلك ، هل لكم أن تأخذوا رجلا منا فينظر في هذا الأمر ؟ فقال : استخبروا الله ، فأثروا عمرو بن سعيد بن العاص ، فقالوا له : ارفع رأسك لهذا الأمر ، فأروه حدثا ، فجاءوا إلى خالد بن يزيد بن معاوية ، فقالوا له : ارفع رأسك لهذا الأمر ، فأروه حدثا حريصا على هذا الأمر ، فلما خرجوا من عنده قالوا : هذا حديث فأتوا مروان بن الحكم ، فقالوا : يا أبا عبد الملك ارفع رأسك لهذا الأمر ، فقال : استخبروا الله ، وأسأوه أن يختار لأمة محمد صل الله عليه وسلم خيرا وأعلها ، فقال له روح بن زنباع : إن معي أربع مائة من جذام ، فأنا أمرهم أن يتقدموا في المسجد غدا ، ومر أنت ابنك عبد العزيز أن يخاطب الناس ويدعوهم إليك ، فإذا فعل ذلك تنادوا من جانب المسجد : صدقت صدقت ! فينظن الناس أن أمرهم واحد ، فلما اجتمع الناس قام عبد العزيز فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« ما أحد أولى بهذا الأمر من مروان ، كبير قریش وسيدها ، والذي نفسى بيده

لقد شاب شعر ذراعيه من الكبر » فقال الجذاميون : صدقت صدقت ! فقال خالد بن يزيد : أمر دهر بلبل ! فبايعوا مروان بن الحكم اه. ومن أجل ذلك كان روح أثرا عند عبد الملك بن مروان « كما يقول المبرد في الكامل ۲ : ۱۲۲ » ، ويقول ابن نباتة في سرح العميون ص ۱۱۳ : « وكان روح بمنزلة نائب عبد الملك » ويقول صاحب العقد : « وكان روح بن زنباع وزير عبد الملك » - ۲ : ۷۰ ، ۳ : ۶ - قال ابن طباطبا في الفخرى ص ۱۳۶ : « والوزارة لم تشهد قواعدها ، وتقرر قوانينها إلا في دولة بني العباس »

بمكة - انصرف بجيشه إلى الشام ، فلما صاروا إلى المدينة ، جعل أهلها يَهْتَفُونَ^(۱) بهم ، ويتوعدونهم ، ويذكرون قتلاهم بالحربة ، فلما أكثروا من ذلك وخافوا الفتنة وَهَيَّجَهَا ، صَعِدَ رَوْحُ بِنِ زَنْبَاعِ الْجُدَامِيِّ عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وكان في ذلك الجيش - فقال :

« يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ : مَا هَذَا الْإِعْيَادُ^(۲) الَّذِي تُوْعِدُونَنَا ؟ إنا والله ما دعوناكم إلى « كَلْبٍ » لمبايعة رجل منهم ، ولا إلى رجل من « بَلَقَيْنِ »^(۳) ولا إلى رجل من « لَنْخَمٍ » أو « جُدَامٍ » ولا غيرهم من العرب ، ولكن دعوناكم إلى هذا الحَيِّ من قريش - يعني بني أمية - ثم إلى طاعة يزيد بن معاوية ، وعلى طاعته قاتلناكم ، فإيَّانا تُوعِدُونَ ؟ أَمَا وَاللَّهِ إنا لَأَبْنَاءُ الطَّمَنِ وَالطَّاعُونَ ، وَفَضَلَاتُ الْمَوْتِ وَالْمَنُونِ ، فاشْتَمِ^(۴) ، ومضى القوم إلى الشام .

(مروج الذهب ۲ : ۱۰۴ ، والبيان والتبيين ۱ : ۲۰۸)

= فأما قبل ذلك ، فلم تكن مقننة القواعد ، ولا مقررة القوانين ، بل كان لكل واحد من الملوك أتباع وحاشية فاذا حدث أمر استشار ذوى الحجب والآراء الصائبة ، فكل منهم يجرى مجرى وزير ، فلما ملك بنو العباس تقررَت قوانين الوزارة ، وسمى الوزير وزيرا ، وكان قبل ذلك يسمى كاتباً أو مشيراً ، وأول وزير وذر لأول خليفة عباسى حفص بن سليمان أبو سلمة الخلال وزير السفاح . (۱) يصيحون .

(۲) يقال : وعده خيرا وبه ، ووعده شرا وبه - ومن هذا قوله تعالى :

« النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَدَسَ الْمَاصِيرُ » فإذا اسقطوا الخير والشر ، قالوا في الخير وعد وفي الشر أوعد ، وقالوا أوعده خيرا وشرا بالألف أيضا ، وأدخلوا الباء مع الألف في الشر خاصة ، فقالوا أوعده بالسجن ونحوه . (۳) أصله بنو القين كما قالوا : بلحارث في بني الحارث ، وبلعنبر في بني المنبر . قال المبرد في الكامل ۲ : ۱۸۳ « وكذلك كل اسم من أسماء القبائل تظهر فيه لام المعركة ، فإنهم يجيزون منه حذف النون التي في قوك (بنو) لقرب مخرج النون من اللام ، وذلك قوك فلان من بلحارث وبلعنبر وبلهجم » أي بنو الهجم كزبير . (۴) وروى الجاحظ أن روجا خطب هذه الخطبة يدهور إلى بيعة يزيد بن معاوية ، وفي آخرها يقول : « وعندنا إن أجيتم وأطعمت من المعونة والفائدة ماشتم » .

۳۳۵ - خطبته يؤيد مبايعة مروان بن الحكم بالخطبة

ولما اجتمع الرأي على البيعة لمروان بن الحكم ، قام رَوْح بن زَيْبَاع ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس : إنكم تَذْكُرُونَ عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وَصُحْبَتَهُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَقَدَّمَهُ في الإسلام ، وهو كما تذكرون ، ولكن ابن عمر رجل ضعيف ، وليس بصاحب أمة محمد الضعيف ؛ وأما ما يذكر الناس من عبد الله ابن الزبير ، وَيَدْعُونَ إليه من أمره ، فهو والله كما يذكره ، إنه لَأَبْنُ الزبيرِ : حَوَارِيٌّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَأَبْنُ أسماء بنت أبي بكر الصديق ذات النطاقين ، وهو بعدُ كما تذكرون في قدمه وفضله ، ولكن ابن الزبير منافق ، قد خلع خليفتين : يزيد وابنه معاوية بن يزيد ، وَسَقَكَ الدماء ، وشقَّ عَصَا المسلمين ، وليس صاحبَ أمة محمد صلى الله عليه وسلم المنافق ؛ وأما مروان بن الحكم ، فوالله ما كان في الإسلام صَدْعٌ قَطُّ ، إلا كان مروان عن يَمِينِ (١) ذلك الصَّدْعِ ، وهو الذي قاتل عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان يوم الدار (٢) ، والذي قاتل علي بن أبي طالب يوم الجمل ، وإنا نرى للناس أن يُبَايَعُوا الكبير ، وَيَسْتَشِيرُوا (٣) الصغير - يعني بالكبير مروان بن الحكم ، وبالصغير خالد بن يزيد بن معاوية - . »

فأجمع رأي الناس على البيعة لمروان . ثم تخالد بن يزيد من بعده ، ثم لعمر بن

سعيد بن العاص من بعد خالد . (تاريخ الطبري ٧ : ٢٨)

(١) يصلح . (٢) يوم تسود الثوار عليه داره وقتلوه . (٣) ينتظروه حتى يشب .

۳۲۶ - خطبة الغضبان بن القبعثري يحض على قتل الحجاج

لما هلك بشر بن مروان ، وولي الحجاج العراق ، بلغ ذلك أهل العراق ، فقام الغضبان بن القبعثري الشيباني بالمسجد الجامع بالكوفة خطيباً ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« يا أهل العراق ، ويا أهل الكوفة ، إن عبد الملك قد ولى عليكم من لا يقبل من محبتكم ، ولا يتجاوز عن مسيئكم ، الظأوم النشوم^(۱) الحجاج ، ألا وإن لكم من عبد الملك منزلة ، بما كان منكم من خذلان مصعب^(۲) وقتله ، فاعترضوا هذا الخبيث في الطريق فاقتلوه ، فإن ذلك لا يعدُّ منكم خلعا ، فإنه متى يعمل على متن منبركم ، وصد سريركم ، وقاعة قصركم ، ثم قتلتموه عدّ خلعا ، فأطيعوني وتغدوا به ، قبل أن يتعشى بكم . »

فقال له أهل الكوفة : « جئنت يا غضبان ، بل ننتظر سيرته ، فإن رأينا منكراً غيرناه » قال : ستعلمون ، فلما قدم الحجاج الكوفة بلغته مقالة ، فأمر به ، فأقام في حبه ثلاث سنين .

(مروج الذهب ۲ : ۱۴۶)

(۱) الظلوم . (۲) وذلك أن مصعب بن الزبير لما كان على العراق حج سنة ۷۱ ، فقدم على أخيه عبد الله بن الزبير ، ومعه وجوه أهل العراق ، وسأله أن يعطيهم ، فأبى وقبض يده ، فلما حرمهم ابن الزبير ماعته فسدت قلوبهم ، فراسلوا عبد الملك بن مروان ، حتى خرج إلى مصعب وقتله ، فاهو إلا أن التقوا حتى حولوا وجوههم ، وصاروا إلى عبد الملك ، وبقى مصعب في شردمة قليلة ، فجاءه عبيد الله ابن زبيان - وكان مع مصعب - فقال : أين الناس أيها الأمير ؟ فقال : قد غدرتم يا أهل العراق ! فرفع عبيد الله السيف ليضرب مصعبا ، فبدره مصعب فضربه بالسيف على البيضة ، فنشب السيف في البيضة ، فجاء غلام لعبيد الله بن زبيان فضرب مصعبا بالسيف فقتله ، ثم جاء عبيد الله برأسه إلى عبد الملك بن مروان ، فلما نظر إلى رأس مصعب خر ساجدا ، قال عبيد الله بن زبيان - وكان من فتاك العرب - ما ندمت على شيء قط فدمى على عبد الملك بن مروان ، إذ أتيت برأس مصعب فخر ساجدا ، أن لا أكون ضربت عنقه ، فأكون قد قتلت ملكي العرب في يوم واحد .

(۲۲ - جمهرة خطب العرب - ثان)

۳۳۷ - خطبة مطرف بن المغيرة بن شعبة

وقدم مُطَرِّفُ بن المغيرة بن شعبة المدائن فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
« أيتها الناس : إن الأمير الحجاج أصلحه الله قد ولاني عليكم ، وأمرني بالحكم
بالحق ، والعدل في السيرة ، فإن عملتُ بما أمرني به ، فأنا أسعد الناس ، وإن لم أفعل
فنفسي أوبقتُ ، وحظَّ نفسي ضيقتُ ، ألا إني جالس لكم العصرين فارفعوا إليَّ
حوادثكم ، وأشيروا عليَّ بما يصلحكم ويصلح بلادكم ، فإنني لن آلوكم خيرا ما استطعت »
ثم نزل .
(تاريخ الطبري ۷ : ۲۵۹)

۳۳۸ - خطبة مطرف بن المغيرة بن شعبة

وفي سنة ۷۷ هـ خرج المطرف بن المغيرة بن شعبة على الحجاج وخلع عبد الملك بن
مروان - وكان الحجاج قد استعمله على المدائن - وجمع إليه رهوس أصحابه فذكر الله
بما هو أهله وصلى على رسوله ثم قال لهم :
« أما بعد - فإن الله كتب الجهاد على خلقه ، وأمر بالعدل والإحسان ، وقال فيما أنزل
علينا (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ) وإني أشهد الله أني قد خلعت عبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف ،
فن أحب منكم صحبتي وكان على مثل رأيي فليتابعني ، فإن له الأسوة وحسن الصحبة ،
ومن أبي فليذهب حيث شاء ، فإنني است أحب أن يتبعني من ليست له نية في جهاد
أهل الجور ، أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه وإلى قتال الظلمة ، فإذا جمع الله لنا أمرنا
كان هذا الأمر شوري بين المسلمين ، يرتضون لأنفسهم من أحبوا » .
(تاريخ الطبري ۷ : ۲۶۲)

۳۲۹ - خطبة سعيد بن المجالد

خرج الجزل بن سعيد في طلب الخوارج الشيبية وأقبل حتى انتهى إلى النهران فأدركوه فلزمه عسكره وخندق عليه، وجاء إليه سعيد بن المجالد حتى دخل عسكر أهل الكوفة أميراً فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« يا أهل الكوفة ، إنكم قد عجزتم ووهنتم وأغضبتم عليكم أميركم ، أنتم في طلب هذه الأعراب العُجف منذ شهرين وهم قد خربوا بلادكم ، وكسروا خراجكم ، وأنتم حاذرون في جوف هذه الخنادق لا تزايدونها ، إلا أن يبلغكم أنهم قد ارتحلوا عنكم ونزلوا بلاداً سوى بلدكم ، اخرجوا على اسم الله إليهم » فخرج وأخرج الناس معه .

(تاريخ الطبري ۷ : ۲۲۹)

فتنة ابن الأشعث

جهز الحجاج عشرين ألف رجل من أهل الكوفة ، وعشرين ألف رجل من أهل البصرة ، لمحاربة رُتَبِيلِ مَلِكِ التُّرْكِ^(١) ، وبعث عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ابن قيس الكندي ، فخرج بهم حتى قَدِمَ سِجِسْتَانَ (سنة ٥٨٠ هـ) فجمع أهلها حين قَدِمَها وخطبهم فقال :

٣٣٠ - خطبة ابن الأشعث بسجستان

صَدِّدَ الْمَذْبَرِ ، فحَمِدَ اللهُ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :
« أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنْ الْأَمِيرَ الْحِجَابِجَ وَلَا تَنِي تُغَرِّكُمْ ، وَأَمْرِي بِجِهَادِ عَدُوِّكُمْ الَّذِي اسْتَبَاحَ بِلَادَكُمْ ، وَأَبَادَ خِيَارَكُمْ ، فَإِيَّاكُمْ أَنْ يَتَخَلَّفَ مِنْكُمْ رَجُلٌ فَيُجِلَّ بِنَفْسِهِ الْعُقُوبَةَ ، أَخْرُجُوا إِلَى مُعَسِّكِرِكُمْ فَمَسْكُرُوا بِهِ مَعَ النَّاسِ » . (تاريخ الطبري ٨ : ٤)

* * *

٣٣١ - خطبته يعرض على الجنود رأى الحجاج

فَلَمَّا حَازَ مِنْ أَرْضِ رُتَبِيلِ أَرْضًا عَظِيمَةً ، وَمَلَأَ يَدَيْهِ مِنَ الْغَنَائِمِ وَالْأَسْلَابِ ، حَبَسَ النَّاسَ عَنِ الْوُغُولِ فِي أَرْضِهِ ، وَقَالَ : نَكْتَفِي بِمَا أَصْدَبْنَاكَ الْعَامَ مِنْ بِلَادِهِمْ ، حَتَّى تَجْتَبِيَهَا وَنَعْرِفَهَا وَيَجْتَرِي الْمَسْلُومُونَ عَلَى طَرَقِهَا ، ثُمَّ نَتَعَاطَى فِي الْعَامِ الْمُقْبِلِ مَا وَرَاءَهَا ، ثُمَّ لَمْ نَزَلْ

(١) انظر ص ٢٩٣ .

نفتقِصهم في كل عام طائفة من أرضهم ، ثم لا تُزايِل بلادهم حتى يهلكهم الله ، وكتب إلى الحجاج بذلك . فورد عليه كتاب الحجاج بضعف رأيه ، ويأمره بالوغول في أرضهم ، ويتهدده بالعزل إن لم يفعل ، فدعا ابن الأشعث الناس إليه .

فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس ، إني لكم ناصح ، ولصلاحيكم محبوب ، والكم - في كل ما يحيط بكم نفعه - ناظرٌ ، وقد كان من رأيي فيما بينكم وبين عدوكم رأيٌ ، أشتشرتُ فيه ذوى أحلامكم ، وأولى التجربة للحرب منكم ، فرضوه لكم رأياً . ورأوه لكم في العاجل والآجل صلاحاً ، وقد كتبتُ إلى أميركم الحجاج ، فجاءني منه كتاب يعجزني ويضعفني ويأمرني بتمجيل الوغول بكم في أرض العدو ، وهي البلاد التي هلك إخوانكم فيها بالأمس ، وإنما أنا رجل منكم ، أمضى إذا مضيتم ، وآبى إذا أبيتم . »

فثار إليه الناس ، فقالوا : لا ، بل نأبى على عدو الله ، ولا نسمع له ولا نطيع .

(تاريخ الطبرى ۸ : ۸)

۳۳۲ - خطبة عامر بن وائلة الكنانى

فقام عامر بن وائلة الكنانى - وكان أول متكلم يومئذ ، وكان شاعراً خطيباً -

فقال بعد أن حمد الله ، وأثنى عليه :

« أما بعد : فإن الحجاج وأهله ما يرى بكم إلا مارأى القائل الأول ، إذ قال لأخيه :

« احمل عبدك على الفرس ، فإن هلك هلك ، وإن نجا فلك . » إن الحجاج والله ما يبالي

أن يخاطر بكم ، فيفجحكم بلاداً كثيرة الهوب^(۱) والصبوب^(۲) ، فإن ظفرتم فغنمتم

(۱) الهوب جمع لب كحمل ، وهو مهواة ما بين كل جبلين ، أو الصدع في الجبل ، أو الشعب

الصغير فيه (والشعب كحمل : الطريق في الجبل) . (۲) جمع لصب كحمل أيضاً ، وهو الشعب الصغير

في الجبل أصيق من الهب وأوسع من الشعب .

أكل البلاد ، وحاز المال ، وكان ذلك زيادةً في سلطانه ، وإن ظفر عدوكم كنتم أنتم الأعداء البغضاء الذين لا يبالي عنهم ، ولا يُبقي عليهم ، اخلعوا عدو الله الحجاج ، وبايعوا عبد الرحمن ، فإني أشهدكم أني أول خالع .

فنادى الناس من كل جانب : فعلنا فعلنا ، قد خلعنا عدو الله .

(تاريخ الطبري ۸ : ۸)

۳۳۳ - خطبة عبد المؤمن بن شبت بن ربيع

وقام عبد المؤمن بن شبت بن ربيع التميمي ثانياً ، فقال :

« عباد الله ، إنكم إن أطعتم الحجاج ، جعل هذه البلاد بلادكم ما بقيتم ، وجرمكم تجمير فرعون الجنود ، فإنه بلغني أنه أول من جرّ البعوث ، ولن تعانينوا الأحبة فيما أرى أو يموت أكثركم ، بايعوا أميركم ، وانصرفوا إلى عدوكم ، فانفوه عن بلادكم ، فوثب الناس إلى عبد الرحمن فبايعوه .

(تاريخ الطبري ۸ : ۸)

۳۳۴ - خطبة ابن الأشعث بالمربد

ولما كانت الحرب بينه وبين الحجاج بالمربد^(۱) خطب الناس ، فقال :
« أيها الناس : إنه لم يبق من عدوكم إلا كما يبقى من ذنب الوزغة^(۲) تضرب به عيناً وشمالاً ، فما تلبث إلا أن تموت^(۳) . »

(البيان والتبيين ۲ : ۸۷ ، وتهذيب الكامل ۱ : ۲۱)

(۱) موضع بالبصرة . (۲) الوزغة : سام أبرص ، سميت بها لخطتها وسرعة حركتها .

(۳) قال الجاحظ : فر به رجل من بني قشير فقال : « قبح الله هذا ورأيه » يأمر أصحابه بقلة الاحتراس

ويعددهم الأضاليل ، ويمنهم الباطل ، وناس كثير يرون أن ابن الأشعث هو المحسن دون القشيري .

۳۳۵ - خطبته حين أراد عبد الملك أن يترضى أهل العراق

ولما نزل ابن الأشعث بدير الجاجم ، واجتمع أهل الكوفة ، وأهل البصرة ، وأهل الثغور والمسالح^(۱) بدير الجاجم والقراء من أهل المصرين ، واجتمعوا جميعاً على حرب الحجاج ، جثمهم عليه بغضهم وكرهيتهم له - وهم إذ ذاك مائة ألف مقاتل ، ممن يأخذ العطاء ، ومعهم مثلهم من مواليتهم ، واشتد القتال بين الفريقين ، بعث عبد الملك بن مروان ابنه عبد الله وأخاه محمداً ، وأمرهما أن يعرضاً على أهل العراق نزع الحجاج عنهم ، وأن يجرى عليهم أعطياتهم ، كما تجرى على أهل الشام ، وأن ينزل ابن الأشعث أى بلد من العراق شاء ، يكون عليه والياً مادام حياً ، وكان عبد الملك والياً ، فعرضاً ذلك على أهل العراق ، فقالوا : نرجع المشيئة ، فاجتمعوا عند ابن الأشعث ، فلم يبق قائداً ، ولا رأس قوم ، ولا فارس إلا أتاه .

فحمد الله ابن الأشعث ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد : فقد أعطيتم أسراً ، انتهزكم اليوم إياه فرصةً ، ولا آمن أن يكون على ذى الرأي غداً حسرةً ، وإنكم اليوم على النصف ، وإن كانوا اعتدوا بالزاوية ، فأنتم تعتدون عليهم بيوم نكسر ، فاقبلوا ما عرضوا عليكم ، وأنتم أعزاه أفوياء ، والقوم لكم هائبون ، وأنتم لهم منتقصون ، فلا والله لا زاتم عليهم أجرثاء ، ولا زاتم عندهم أعزاه ، إن أنتم قبلتم أبداً ما بقيتم . »

فوثب الناس من كل جانب ، فقالوا : إن الله قد أهلككم ، فأصبحوا في الأزل^(۲) والضنك والمجاعة والقلة والذلة ، ونحن ذوو العدد الكثير ، والسعر الرفيع ، والمادة القريبة لا والله لا نقبل ، فأعادوا خلع عبد الملك ثانية ، وكان ما كان مما أسلفنا لك ذكره .

(تاريخ الطبرى ۸ : ۱۵)

(۱) جمع مسلحة بالفتح ، وهى الثغر . (۲) الضيق والشدة .

۳۳۶ — عامر الشعبي والحجاج

وكان عامر الشعبي^(۱) ممن خرج مع ابن الأشعث ؛ فلما أتى الحجاج بأشري الجاجم ، أتى فيهم بالشعبي مؤثماً - وكان قد تقدم كتاب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج في أشري الجاجم أن يمرضهم على السيف ، فمن أقر منهم بالكفر في خروجهم علينا فيخلى سبيله ، ومن زعم أنه مؤمن فيضرب عنقه - قال الشعبي : فلما جئت باب القصر لقيتني يزيد بن أبي مسلم كاتبه ، فقال : إنا لله يا شعبي ! لما بين دفتيك من العلم ، وليس اليوم يوم شفاعة . قلت له : فما المخرج ؟ قال : بؤ^(۲) للأمير بالشرك والنفاق على نفسك ، وبالحرى أن تنجو ، ثم لقيتني محمد بن الحجاج ، فقال لي مثل مقالة يزيد ، فلما دخلت على الحجاج قال لي : وأنت يا شعبي ممن أب علينا مع ابن الأشعث ؟ أشهد على نفسك بالكفر . قلت : « أصاح الله الأمير ، نبأ بنا المنزل^(۳) ، وأجذب بنا الجناب ، وأستحسنا^(۴) الخوف ، واكتحلنا السمير ، وضق المسلك ، وخبطتينا فتنة لم تكن فيها بررة أتقيا ، ولا فجرة أفويا » قال : صدقت والله ما بررتم بخروجكم علينا ولا قويتم ، خلوا سبيل الشيخ .

(مروج الذهب ۲ : ۱۴۴ ، والعقد الفريد ۱ : ۱۵۱ - ۳ : ۱۲)

۳۳۷ — أيوب بن القرية والحجاج

وكان الحجاج قد بعث أيوب بن القرية^(۵) رسولا إلى ابن الأشعث ، حين خلع الطاعة بسجستان ، فلما دخل عليه ، قال له ، أتقومن خطيبا ، ولتخلعن عبد الملك ،

(۱) هو أبو عمرو عامر بن شراحيل (يفتح الشين) الشعبي (نسبة إلى شعب ، وهو بطن من همدان) وهو كوفي تابعي جليل القدر وافر العلم ، توفي سنة ۱۰۵ هـ ، وكانت أمه من سبي جلولا .
 (۲) أرجع . (۳) نبا منزله به : لم يوافقه . (۴) أي لم يفارقنا .
 (۵) هو أبو سليمان أيوب بن زيد اللؤلؤ ، والقرية جدته ، وكان أعرابيا أميا معدودا من جملة خطباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة .

والتسبب الحجاج ، أو لأضربن عنقك ، قال : أيها الأمير ، إنما أنا رسول ! قال : هو ما أقول لك ، فقام وخطب وخلع عبد الملك ، وشتم الحجاج ، وأقام هنالك ، فلما انصرف ابن الأشعث مهزوماً ، كتب الحجاج إلى عماله بالرقي وأصبهان وما بينهما ، يأمرهم ألا يمرّ بهم أحد من قبل ابن الأشعث إلا بعثوا به أسيراً إليه ، وأخذ ابن القرية فيمن أخذ .

فلما أدخل على الحجاج ، قال : أخبرني عما أسألك ؟ قال : سئني عما شئت ، قال : أخبرني عن أهل العراق ، قال : أعلم الناس بحق وباطل ، قال : فاهل الحجاز ، قال : أسرع الناس إلى فتنه ، وأعجزهم فيها ، قال : فاهل الشام ، قال : أطوع الناس لخلفائهم ، قال : فاهل مصر ، قال : عبيد لمن غلب ، قال : فاهل البحرين ، قال : نبط^(۱) استعربوا ، قال : فاهل عمان ، قال : عرب استنبطوا ، قال : فاهل الموصل ، قال : أشجع فرسان ، وأقتل للأقران ، قال : فاهل اليمن ، قال : أهل سمع وطاعة ، ولزوم للجماعة ، قال : فاهل اليمامة ، قال : أهل جفاء ، واختلاف أهواء ، وأصبر عند اللقاء ، قال : فاهل فارس ، قال : أهل بأس شديد ، وشر عتيد ، وريف^(۲) كبير ، وقرى يسير ، قال : أخبرني عن العرب ، قال : سئني ، قال : قرين ، قال : أعظمها أحلاباً ، وأكرمها مقاماً ، قال : فبنو عاصم بن صعصعة ، قال : أطولها رماحاً ، وأكرمها صبايحاً ، قال : فبنو سليم ، قال : أعظمها مجالس ، وأكرمها محابس^(۳) ، قال : فتقيف ، قال : أكرمها جدوداً ، وأكثرها وفوداً ، قال : فبنو زبيد ، قال : أزمها للرايات ، وأدر كماً للترات^(۴) ، قال : ففضاعة ، قال : أعظمها أخطاراً ، وأكرمها نجاراً^(۵) ، وأبعدها آثاراً ، قال : فالأنصار ، قال : أثبتها مقاماً ، وأحسنها إسلاماً ، وأكرمها أياماً ، قال : فقيم ، قال : أظهرها جلدًا ، وأثراها عددًا ،

(۱) النبط : جيل من الناس ، كانوا ينزلون سواد العراق . (۲) الريف : أرض فيها زرع وخصب .

(۳) المحابس : جمع محبس كقعد ، وهو الشجاعة . (۴) الترات جمع ترة : وهي الثار .

(۵) النجار : الأصل .

قال : قَبِكر بن وائل ، قال : أثبتُّها صفوفا ، وأحدُّها سيوفا ، قال : فعبد القيس ، قال :
 أسبقُها إلى الغايات ، وأصبرُها تحت الرّايات ، قال : فبنو أسد ، قال : أهل عدَد وجَلد ،
 وَعُسْر وَنَكْد ، قال : فلدخَم ، قال : مُلوكٌ ، وفيهم نُوكٌ^(۱) ، قال : فجُذام ، قال :
 يُوقِدُون الحرب وَيَسْمَرُونها^(۲) ، وَيُلْقِحُونها ثم يَمْرُونها^(۳) ، قال : فبنو الحارث قال :
 رُعاةٌ للقديم ، ومُحاةٌ عن الحريم ، قال : فَمَكٌ ، قال : لُيوثٌ جاهِدَةٌ ، في قلوبٍ فاسدة ،
 قال : فَتَغْلِبُ ، قال : يَصُدُقون - إذا لَقُوا - ضَرْبًا ، وَيَسْتَرُون للأعداء حربًا ، قال :
 ففَسَّانٌ ، قال : أكرمُ العرب أحسابًا ، وأثبتُّها أنسابًا ، قال : فأى العرب في الجاهلية
 كانت أَمْنَع من أن تُضامَ ؟ قال قريش ، كانوا أهل رَهْوَةٍ^(۴) لا يُسْتَطَاع ارتقاؤها ،
 وَهَضْبَةٌ لا يُرامُ انتزاؤها^(۵) ، في بلدة حَمَى الله ذِمَارها ، ومنع جارها ، قال : فأخبرني عن
 ماثر العرب في الجاهلية ، قال : كانت العرب تقول : حَمِيرُ أربابِ الملوك ، وَكِنْدَةٌ لُبابِ
 الملوك ، وَمَذْحِجُ أهلِ الطَّمَانِ ، وَهَمْدَانُ أَحْلَاسُ^(۶) الخليل ، والأزد آساد الناس ، قال :
 فأخبرني عن الأَرْضين ، قال : ساني ، قال : الهند ، قال : بحرُها دُرٌّ ، وجبلُها ياقوت ،
 وشجرُها عُودٌ ، وورقُها عِطْرٌ ، وأهلُها طَغَامٌ ، كَقَطِيعِ الحمامِ^(۷) ، قال : فخُرَّاسانٌ ، قال :
 ماؤها جامدٌ ، وعدوها جاحدٌ ، قال : فَعُمَانٌ ، قال : حَرَّها شديدٌ ، وصيدها عَتِيدٌ ، قال :
 فالبحرين ، قال : كُنَاسَةٌ بين المِصرين ، قال : فاليمن ، قال : أصلُ العرب ، وأهلُ
 البُيُوتاتِ وَالْحَسَبِ ، قال : فَسَكَةٌ ، قال : رجالُها علماء جُفَاءَةٌ ، ونساؤها كِساءٌ عُرَّاءَةٌ ،
 قال : فالمدينة ، قال : رَسَخَ العلم فيها ، وظهر منها ، قال : فالبصرة ، قال : شتاؤها جليدٌ ،

(۱) النوك بالضم والفتح : الحلق . (۲) سر الحرب كنع ، وأسرها : أوقدها .

(۳) مري الناقة كرمي : مسح ضرعها لتدر . (۴) الرهوة : المسكان المرتفع (والمنخفض

أيضا ، ضد) . (۵) أي اعتلاؤها نزا نزوا ونزوانا : وثب ، وانترى : افتعل من النزوء ، وفي حديث

وائل بن حجر : « إن هذا انترى على أرضي فأخذها » . (۶) كناية عن إدامتهم ركوبها .

(۷) الطغام : أوغاد الناس ورجال الطير ، والقطيع بالكسر : اسم ما قطع من الشيء ، ويقال : ثوب

قطع وأقطع أي مقطوع ، أو هو قطع بالضم جمع قطع .

وحرها شديد ، وماؤها مِلْح ، وحر بها صُلْح ، قال : قال الكوفة ، قال : ارتفعت عن حرّ البحر ، وَسَفَلَتْ عن برّد الشام ، فطاب ليلها ، وكثُر خيرها ، قال : فواسط ، قال : جَنَّة ، بين حَمَاء وَكَنَّة ، قال : وما حَمَاتُهَا وَكَنَّتُهَا^(۱) ؟ قال : البصرة والكوفة بحسبِ أُنْهَا ، وما ضَرَّتُهَا ، وَدَجَلَةُ وَالزَّاب^(۲) يتجار يان بإفاضة الخير عليها ، قال : فالشام ، قال : عَرُوس ، بين نسوة جُلوس ، قال : ثَكَلَتِكَ أُمُّكَ يَا بِنَ الْقَرِيَّةِ ، لولا اتباعتك لأهل العراق ! وقد كنت أنهيك عنهم أن تبعهم ، فتأخذ من نفاقهم ، ثم دعا بالسيف ، وأومأ إلى السيف أن أمسك ، فقال ابن القريّة : ثلاث كلمات أصلح الله الأمير كأنهن رَكْبٌ وَقُوفٌ ، يَكُنُّ مَثَلًا بَعْدِي ، قال : هَات ، قال : لكل جَوَادٍ كَبُوتَةٌ ، ولكل صَارِمٍ نَبُوتَةٌ ، ولكل حلِيمٍ هِنُوتَةٌ ، قال الحجاج : ليس هذا وقت المزاح ، يا غلام أَوْجِبْ جَرْحَهُ ، فَضْرِبْ عُنُقَهُ .

وقيل إنه لما أراد قتله قال له : العرب تزعم أن لكل شيء آفة ، قال : صدقتِ العرب ، أصلح الله الأمير ، قال : فما آفة الحلم ؟ قال : الغضب ، قال : فما آفة العقل ؟ قال : العُجْب ، قال : فما آفة العلم ؟ قال : النسيان ، قال : فما آفة السخاء ؟ قال : المَنّ عند البلاء^(۳) ، قال : فما آفة الكرام ؟ قال : مجاورة اللثام ، قال : فما آفة الشجاعة ؟ قال : البغي ، قال : فما آفة العبادة ؟ قال : الفترّة ، قال : فما آفة الذهن ؟ قال : حديث النفس ، قال : فما آفة الحديث ؟ قال : الكذب ، قال : فما آفة المال ؟ قال : سوء التدبير ، قال : فما آفة الكامل من الرجال ؟ قال : العُدْم ، قال : فما آفة الحجاج بن يوسف ؟ قال : أصلح الله الأمير ، لا آفة لِمَنْ كَرَّمَ حَسْبُهُ ، وطاب نَسَبُهُ ، وزكا فرعُهُ ، قال : امتلأت شِقَاقًا ، وأظهرت نِفَاقًا ، اضر بوا عنقه ، فلما رآه قتيلا ندم ، وكان قتله سنة ۸۴ هـ .

(۱) الكنة: امرأة الابن أو الأخ . (۲) الزاب الأسفل ، والزاب الأعلى : نهران يصبان في دجلة .

(۳) الإبلاء : الإنعام والإحسان بلوت الرجل ، وأبليت عنده بلاء حسنا ، وأبلاه الله بلاء حسنا .

وفي رواية أخرى أنه لما دخل على الحجاج ، قال له : يا ابن القرية ، ما أعددت لهذا الموقف ؟ قال : « أصلح الله الأمير ، ثلاثة حروف ، كأنهن ركبٌ وقوف ، دنيا وآخرة ومعروف ، قال : اخرج مما قلت ، قال : « أفتل » ، أما الدنيا فإل حاضر ، يأكل منه البر والفاجر ، وأما الآخرة فميزان عادل ، ومشهد ليس فيه باطل ، وأما المعروف فإن كان على اعترفت وإن كان لي اعترفت^(۱) » قال : أما لي فاعترف بالسيف إذا وقع بك ، قال : « أصلح الله الأمير ، أقلني عثرتي وأسفني ربي ، فإنه لا بد للجواد من كبوة ، وللسيف من نبوة ، وللحليم من هفوة^(۲) » قال : كلا والله حتى أوردك جهنم ، ألسنت القائل برسة قباذ : تغدوا الجدي قبل أن يتعشاكم ؟ قال : فأرخني فإني أجد حرها ، قال : قدمه يا حرسي فاضرب عنقه ، فلما نظر إليه يتشجط^(۳) في دمه ، قال : لو كنا تركنا ابن القرية ، حتى نسمع من كلامه اثم أمر به فأخرج فرمي به^(۴) .

(وفيات الأعيان ۱ : ۸۳ ، والبيان والتبيين ۱ : ۱۸۹ ، وتاريخ الطبري ۸ : ۲۷)

۳۳۸ - كلمة لابن القرية

وقال ابن القرية : الناس ثلاثة : عاقل ، وأحمق ، وفاجر : فالعاقل : الدين شريعته والحلم طبيعته ، والرأي الحسن سجيته ، إن سئل أجاب ، وإن نطق أصاب ، وإن سمع العلم وعى ، وإن حدث روى ؛ وأما الأحمق : فإن تكلم عجل ، وإن حدث وهل^(۵) ، وإن استنزل عن رأيه نزل ، فإن حبل على القبيح حمل ؛ وأما الفاجر فإن ائتمنته خانك ، وإن حدثته شأنك ، وإن وثقت به لم برعك ، وإن استكتم لم يكتم ، وإن علم لم يعلم ، وإن حدث لم يفهم ، وإن فقه لم يفقه .

(زهر الآداب ۲ : ۸۶)

(۱) أي وأعطيت الناس منه . (۲) وفي رواية : « فإنه ليس جواد إلا له كبوة ، ولا شجاع إلا له هبوة » والهبوة : الغبرة . (۳) يضطرب . (۴) وروى أبو الفرج الأصبهاني أنه قيل : « ثلاثة لم يكونوا قط ، ولا عرفوا : ابن أبي العقب صاحب قصيدة الملاحم ، وابن القرية ، ومجنون بني عامر » انظر الأغانى ج ۱ ص ۱۶۳ . (۵) ضعف وفرغ .

فتنة يزيد بن المهلب

٣٣٩ - أيوب بن سليمان بن عبد الملك يسأل عمه الوليد

أن يؤمن يزيد بن المهلب^(١)

لما فرّ يزيد بن المهلب من سجن الحجاج وعذابه (سنة ٩٠ هـ في خلافة الوليد ابن عبد الملك) نزل على أخيه سليمان معموّداً به ، وكتب سليمان إلى الوليد يطلب له الأمان ، فكتب إليه يُقسم أنه لا يؤمنه حتى يبعث به إليه ، فأرسل ابنه أيوب معه ، وكتب معه كتاباً ، فلما دخل به على عمه ، قال :

« يا أمير المؤمنين نفسي فداؤك ، لا تخنر^(٢) ذمّة أبي ، وأنت أحقّ من مَنعها ،

(١) وخبر ذلك أن الحجاج كان وفد على عبد الملك ، فر في منصرفه بدير فنزله ، فقيل له : إن في هذا الدير شيخاً من أهل المكتب علماً ، فدعا به وسأه : أتعلم ما لي ، من يليه بهدي ؟ قال : رجل يقال له يزيد ، فوقع في نفسه أنه يزيد بن المهلب ، إذ كان لا يرى من هو أهل لذلك سواء ، وكان يكرهه لما يرى فيه من النجاسة ، ويخشى منه ، وكان قد ولاء خراسان بعد وفاة أبيه سنة ٨٢ ، فكتب إلى عبد الملك يذم يزيد وآل المهلب ، ويتمهم بأنهم زبيريّة الهوى ، ويخوفه غدرهم ، وما زال به حتى أجابه إلى ما سأل ، فمزل يزيد سنة ٨٥ ، وولى مكانه قتيبة بن مسلم ، وفي سنة ٨٧ حبس الحجاج يزيد وإخوته وعذبهم وأغرمهم ، وكان يزيد يصبر صبيرا حسنا ، وكان الحجاج يفيظه ذلك ، فقيل له : إنه رمى بشابته ، فثبت نصلها في ساقه ، فهو لا يمسها شيء إلا صاح ، فأمر أن يعذب وبدق ساقه (أي تغمز شديداً) فلما فعل به ذلك صاح - وأخته هند بنت المهلب عند الحجاج - فلما سمعت صياح أخيها صاحت وناحت فطلتها ، ثم إن يزيد وإخوته أعملوا الحيلة في الفرار من سجن الحجاج (سنة ٩٠) ولحقوا بسليمان بن عبد الملك مستجيرين به ، وكتب الحجاج إلى الوليد : إن آل المهلب خانوا مال الله ، وهربوا مني ، ولحقوا بسليمان ، واستشفع سليمان أخاه الوليد ، وما زال به حتى شفعه فيه ، فلما ولى الخلافة سليمان سنة ٩٦ ولى يزيد أمر العراق ، ثم ولاء خراسان سنة ٩٧ . (٢) خنر به كضرب ، وأخفره : نقض عهده وغدره .

ولا تقطع منا رجاء من رجبا السلامة في جوارنا ، لِمَكَانِنَا مِنْكَ ، وَلَا تُذِلَّ
مَنْ رَجَا الْعِزَّ فِي الْإِنْقِطَاعِ إِلَيْنَا لِعِزَّتِنَا بِكَ «
(تاريخ الطبري ۸ : ۷۳)

۳۴۰ - خطبة يزيد بين يدي الوليد

وتكلّم يزيد ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ،
ثم قال :

« يا أمير المؤمنين ، إن بلاءكم عندنا أحسن البلاء ، فمن ينس ذلك فلنسنا ناسيه ،
ومن يكفر فلنسنا كافرينه ، وقد كان من بلائنا أهل البيت في طاعتكم ، والطعن
في أعين أعدائكم ، في المواطن العظام ، في المشارق والمغرب ، ما إن المنّة علينا
فيها عظيمة . »

فأمنه الوليد وكف عنه . (تاريخ الطبري ۸ : ۷۴)

۳۴۱ - خطبة مخلد بن يزيد بن المهلب بين يدي

عمر بن عبد العزيز

ولما حبس عمر بن عبد العزيز يزيد بن المهلب^(۱) ، أقبل ابنه مخلد من خراسان ،
ودخل على الخليفة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

(۱) وسبب ذلك : أن يزيد بن المهلب لما فتح جرجان وطبرستان سنة ۹۸ ، كتب بالفتح إلى سليمان
ابن عبد الملك ، وفي كتابه يقول : « وقد صار عندي من خمس ما أفاء الله على المسلمين ، بعد أن صار إلى كل
ذي حق حقه من النور والنعمة ، ستة آلاف ألف ، وأنا حامل ذلك إلى أمير المؤمنين إن شاء الله » وقد قال
له كاتبه المغيرة بن أبي قررة : لا تكتب بتسمية مال ، فإنك من ذلك بين أمرين ، إما استكثره فأمرك بحمله ،
وإما سخط نفسه لك به فسوغكه فتكلفت الهدية ، فلا يأتيه من قبلك شيء إلا استقله ، فكأن بك قد استغرقت
ما سميت ، ولم يقع منه موقعا ، ويبقى المال الأبي سميت مخلدا عندهم عليك في دواوينهم ، فإن ولي وال بعده»

« إن الله يا أمير المؤمنين صنع لهذه الأمة بولايتك عليها ، فلا نكن أشقى الناس بولايتك ، علام تجبس هذا الشيخ ؟ أنا أتحمل ما عليه ، فصالحني على ما إياه تسأل » فقال عمر : لا ، إلا أن تحمل جميع ما نسأله إياه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن كانت لك بيّنة فخذ بها ، وإن لم تكن بيّنة فصدّق مقالة يزيد ، وإلا فاستحلفه ، فإن لم يفعل فصالحه ، فقال له عمر : ما أجد إلا أخذه بجميع المال .

(تاريخ الطبري ۸ : ۱۴۲)

= أخذك به ، وإن ولي من يتعامل عليك لم يرض منك بأضعافه ، فلا تمض كتابك ، ولكن اكتب بالفتح ، وسله القدوم ، فتشافه بما أحببت مشافهة وتقصر ، فإنك إن تقصر عما أحببت أخرى من أن تكثر ، فأبى يزيد وأمضى الكتاب ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز (سنة ۹۹) - وكان عمر يبغض يزيد وأهل بيته ، ويقول : هؤلاء جبابرة ولا أحب مثلهم - دعا يزيد وسأله عن تلك الأموال التي كتب بها إلى سليمان بن عبد الملك ، فقال : كنت من سليمان بالمكان الذي قد رأيت ، وإنما كتبت إلى سليمان لأسمع الناس به (والتسميع : إزالة الخمول ، بنشر الذكر) ، وقد علمت أن سليمان لم يكن ليأخذني بشيء سمعت به ، ولا بأمر أكرهه ، فقال له : ما أجد في أمرك إلا حبسك ، فاتق الله ، وأدع قلبك ، فإنها حقوق المسامين ، ولا يسعني تركها ، ولم يزل يزيد في محبته ، حتى بلغه مرض عمر ، فأخذ يعمل للهرب مخافة يزيد بن عبد الملك ، لأنه كان قد هذب أصحابه آل أبي عقيل (إذ كانت أم الحجاج بنت محمد بن يوسف أختي الحجاج بن يوسف ، عند يزيد بن عبد الملك ، فولدت له ابنة الوايد) وكان يزيد بن عبد الملك قد عاهد الله أن أمكنه الله من يزيد بن المهلب ، فيقطعن منه طابعا (بفتح الباء وكسرها أي عضوا) فخشى ذلك فهرب من السجن سنة ۱۰۱ ، ومات عمر وأفضت الخلافة إلى يزيد بن عبد الملك وخلق ابن المهلب بالبصرة ، فغلب عليها ، وأخذ عامل يزيد بن عبد الملك عليها (وهو علي بن أرطاة الفزاري) فحبسه وخلق يزيد ، فسير إليه الخليفة العباس بن الوليد بن عبد الملك ، ومسلمة ابن عبد الملك لحربه فقتل ابن المهلب في أثناء المعركة سنة ۱۰۴ هـ .

۳۴۲ - خطبة يزيد بن المهلب يحرض أصحابه على القتال

وقد سير يزيد بن عبد الملك العباس بن الوليد بن عبد الملك

ومسلمة بن عبد الملك لقتاله

قام في أصحابه فخرّضهم ورجبهم في القتال ، فكان فيما قال :

« إن هؤلاء القوم لن يردّهم عن غيبتهم إلا الطمن في عيونهم ، والضربُ بِالمَشْرِفِيَّةِ^(۱) على هامهم ثم قول : إنه قد ذكر لي أن هذه الجرادة الصفراء - يعني مسلمة بن عبد الملك - وعاقرة ناقة ثمود^(۲) - يعني العباس بن الوليد - (وكان العباس أزرق^(۳) أحمر ، كانت أمه رومية) والله لقد كان سليمان أراد أن ينفّيه ، حتى كلفه فيه ، فأفرّاه على نسبه ، فبلغني أنه ليس ههنا إلا التماسي في الأرض ، والله لو جاءوا بأهل الأرض جميعاً ، وليس إلا أنا ، ما برحت العرصة^(۴) حتى تكون لي أولهم » ، قالوا : نخاف أن تعني^(۵)

(۱) المشرفية : سيوف منسوبة إلى مشارف الشام ، وهي قرى من أرض العرب تدنومن الريف ، والهام : جمع هامة ، وهي الرأس . (۲) هو قدار (كشجاع) بن سالف ، ويلقب بأحمر ، قال زهير في وصف الحرب :
فَتَمْتَجِحُ لَكُمْ غِلْمَانُ أَشَامَ كُلِّهِمْ كَأَحْمَرَ عَادٍ ثُمَّ تَرُضِعُ فَتَنْظِمُ
(قال الأصمعي : أخطأ زهير في هذا ، لأن عاقرة الناقة ليس من عاد ، وإنما هو من ثمود ، وقال المبرد : لا غلط ، لأن ثمود يقال لهم عاد الآخرة ، ويقال لقوم هود عاد الأولى) ويضرب به المثل في الشؤم ، فيقال : ه أشام من أحمر عاد ، لأن الله أهلك بقعله ثمود ، وذلك أنهم قالوا لنبيهم صالح حين دعاهم إلى الإيمان : يا صالح إن كنت صادقاً فأظهر لنا من هذه الصخرة ناقة ، وصفوها له ، فأخرجها الله بإذنه من الصخرة (إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَبِقْتُمْ وَاصْطَبِرْ) . فآمن بعضهم عند ظهور هذه الآية ، ثم قال لهم : (هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ، وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ، فَمَقَرُّوْهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ، فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ) .
(والشرب : النصيب من الماء) . (۳) أي أزرق العينين . (۴) العرصة : كل بقعة بن للدور واسعة ليس فيها بناء . (۵) مناه : أتعبه .

كما عثنا عبد الرحمن بن محمد^(۱) ، قال : إن عبد الرحمن فضَّح الذُّمار^(۲) وفضَّح حَسَبه ،
وهل كان يَعُدُّو أجله ؟ ، ثم نزل . (تاريخ الطبری ۸ : ۱۵۲)

۳۴۳ - خطبة أخرى له

ورويت له خطبة أخرى في هذا الغرض ، وها كها :

عن خالد بن صفوان قال : خطبنا يزيد بن المهلب بواسط ، حمد الله ، وأثنى عليه ،
وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

« أيها الناس : إني أسمع قول الرعاع ، قد جاء العباس ، قد جاء مسلمة ، قد جاء
أهل الشام ! وما أهل الشام إلا تسعة أسياف ، منها سبعةٌ معي ، واثنان على ، وما مسلمة
إلا جرادة صفراء ، وأما العباس فنسطوس^(۳) بن نسطوس ، أتاكم في برابرة
وصقالبة^(۴) وجرامقة وجراجمة^(۵) ، وأقباط وأنباط^(۶) ، وأخلاق من الناس ؛ إنما أقبل
إليكم الفلاحون والأوباش كأشلاء^(۷) اللحم ، والله ما أقوا قطُّ حذًا كحذكم . ولا حديدًا
كحديدكم ، أعيروني سوايديكم ساعةً من نهارٍ تصفِّقون بها خراطيمهم^(۸) ، فإنما هي غدوةٌ
أوروحة ، حتى يحكم الله بيننا ، وهو خير الحاكمين . »

(البيان والتبيين ۱ : ۱۶۰ ، العقد الفريد ۲ : ۱۵۵ ، ومروج الذهب ۲ : ۱۷۷)

(۱) هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث السالف الذكر . (۲) ما يلزمك حفظه وحمايته .
(۳) هو في العقد ، ومروج الذهب بالهاء ، وفي البيان والتبيين بالنون ، وابس من الفاعط العربية ،
وأقول : هو إما علم رومي ، فهو يشير إلى أصل العباس بن الوليد إذ كانت أمه رومية ، أو محرف عن
« نسطوري بن نسطوري » أي نصراني نسطوري من النساطرة إحدى فرق المسيحية نسبة إلى نسطوريوس
صاحب المذهب ، وكان أسقفًا بالقسطنطينية . توفي حول سنة ۴۵۰ م . (۴) البرابرة : جيل بالمغرب ،
والصقالبة : جيل بلادهم تتاخم بلاد الخزر « شمال بحر الخزر ، وهو بحر قزوين » أي جنوبي روسيا .
(۵) الجرامقة : قوم من العجم صاروا بالموصل في أوائل الإسلام ، والجراجمة : قوم من العجم بالجزيرة ،
أو نبط الشام . (۶) أنباط : جمع نبط كجبل وقد تقدم . (۷) أشلاء : جمع شلو كحمل ، وهو الغصو
وكل مسلوخ أكل منه شيء ، وبقيت منه بقية . (۸) صفقه بالسينف : خربه ، والخراطيم : جمع خرطوم ،
وهو الأنف .

۳۴۴ - خطبة أخرى له

وقال مُقَاتِل : سمعت يزيد بن المهلب يخاطب بواسط ، فقال :

« يا أهل العراق ، يا أهل السَّبِقِ وَالسَّابِقِ ، ومكارم الأخلاق ، إن أهل الشام في أفواههم لُقْمَةٌ دَسِيمَةٌ ، قد رَتَبَتْ^(۱) لها الأشداقُ ، وقد وَا لها على ساقٍ ، وهم غيرُ تاركِها لكم بِالرَّاءِ وَالجِدَالِ ، فَالْبَسُوا لهم جُلُودَ الثُّمُورِ^(۲) . »

(البيان والتبيين ۱ : ۲۱۸)

۳۴۵ - خطبة الحسن البصرى يثببط الناس عن يزيد بن المهلب

وكان مرَّوان بن المهلب وهو بالبصرة، يحث الناس على حرب أهل الشام، ويسرَّحهم إلى يزيد ، وكان الحسن البصرى يُثَبِّطُ الناس عنه ، وكان يقول في تلك الأيام :

« أيها الناس : الزموا رحالكم ، وكفُّوا أيديكم ، واتقوا الله مولاكم ، ولا يقتل بعضكم بعضاً على دُنْيَا زَائِلَةٍ ، وطمعٍ فيها بسير ، ليس لأهلها بقي ، وليس الله عنهم فيما كتبوا براصٍ ، إنه لم يكن فتنَةٌ إلا كان أكثر أهلها الخطباء والشعراء والسفهاء ، وأهل التَّيِّهِ وَالخِيَلَاءِ ، وليس يسلم منها إلا الجهول الخفي ، والمعروف التقي ، فمن كان منكم خفياً فليتزَمِ الحَقَّ ، وليحبس نفسه عما يتنازع الناس فيه من الدنيا ، فكما والله بمعرفة الله إياه بالخير شرفاً ، وكفى له به من الدنيا خَلْفًا ؛ ومن كان منكم معروفًا شريفًا ، فترك ما يتنافس فيه نُظْرَاؤُهُ من الدنيا - إرادةً الله بذلك - فواهاً لهذا ، ما أَسْمَدَهُ وَأَرْشَدَهُ ، وَأَعْظَمَ أَجْرَهُ ، وَأَهْدَى سَبِيلَهُ ! فهذا غدا - يعني يوم القيامة - الْقَرِيرُ عَيْنًا ، الْكَرِيمُ عِنْدَ اللَّهِ مَا بَا . »

(تاريخ الطبري ۸ : ۱۵۳)

(۱) رتبت: أي ثبتت ولم تتحرك « وذلك لامتلاء الأفواه . » (۲) أي تنكروا لهم ، واستعدوا لقتلتهم .

۳۴۶ - خطبة مروان بن المهلب

فلما بلغ ذلك مروان بن المهلب ، قام خطيباً كما يقوم ، فأمر الناس بالجد والاحتشاد
ثم قال لهم :

« قد بلغني أن هذا الشيخ الضال المرأى - ولم يُسمَّه - يثبط الناس ، والله لو أن
جاره تَزَع من حُصِّ داره قَصْبَة ، أَظَلَّ يَرْعُفُ^(۱) أَنفَهُ ، أَيُنْكِرُ عَلَيْنَا ، وَدَلَى أَهْل
مِصْرِنَا ، أَن نَطْلُب خَيْرِنَا ، وَأَن نُنْكِرَ مَظْلِمَتِنَا ؟ أَمَا وَاللَّهِ لَيَكْفَنَنَّ عَن ذِكْرِنَا ، وَعَن
جَمْعِهِ إِلَيْنَا سُقَاطُ الْأُبُلَّةِ^(۲) ، وَعُلُوجُ فُرَاتِ الْبِصْرَةِ ، قَوْمًا لَيْسُوا مِن أَنْفُسِنَا ، وَلَا مِن
جِزْتِ عَلَيْهِ النِّعْمَةِ مِن أَحَدٍ مِنَّا ، أَوْ لَا تُنْحَبِينَ عَلَيْهِ مِهْرَدًا خَشِينًا . »

فلما بلغ ذلك الحسن ، قال : وَاللَّهِ مَا أَكْرَهُ أَن يُكْرِمَنِي اللَّهُ بِهَوَايِهِ ، فَقَالَ نَاسٌ
مِّنْ أَصْحَابِهِ : لَوْ أَرَادَكَ ثُمَّ شِئْتَ لِمَعْنَاكَ ، فَقَالَ لَهُمْ : قَدْ خَالَفْتُمْكُمْ إِذْنًا إِلَى مَا نَهَيْتُمْكُمْ عَنْهُ ،
أَمْرٌ كَمَا لَا يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا مَعَ غَيْرِي ، وَأَدْعُوكُمْ إِلَى أَن يَقْتُلَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا دُونِي ؟
فَبَلَغَ ذَلِكَ مَرْوَانَ بْنَ الْمُهَلَّبِ ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِمْ وَأَخَافَهُمْ ، وَطَلَبَهُمْ حَتَّى تَفَرَّقُوا ، وَلَمْ يَدْعُ
الْحَسَنُ كَلَامَهُ ذَلِكَ ، وَكَفَّ عَنْهُ مَرْوَانَ .

(تاريخ الطبري ۸ : ۵۱۳)

(۱) رَعَفَ : خَرَجَ مِنْ أَنْفِهِ النَّوْمُ . (۲) جَمْعُ سَاقِطٍ : وَهُوَ النَّيْمُ فِي حَسْبِهِ وَنَفْسِهِ ، وَالْأُبُلَّةُ :
مَوْضِعٌ بِالْبِصْرَةِ .

خطب الأحنف بن قيس التميمي^(١)

٣٤٧ - الأحنف ومعاوية

كان الأحنف بن قيس ، قد شهد مع الإمام عليّ ، كرم الله وجهه ، وقعة صفين ، فلما استقرّ الأمر لمعاوية ، دخل عليه يوماً ، فقال له معاوية : « والله يا أحنف ما أذكر يوم صفين إلا كانت حزازة^(٢) في قلبي إلى يوم القيامة » .

فقال له الأحنف :

« يا أمير المؤمنين لم ترُدُّ الأمور على أعقابها ؟ أما والله إن القلوب التي أبغضناك بها لبين جوامحنا ، والسيوف التي قاتلناك بها لعلى عواتقنا ، ولئن مددت بشبر من غدَر ، لنمدن باعا من ختر^(٣) ، ولئن شئت المصصفين كدّر قلوبنا بصفو حملك » ، قال معاوية : فإني أفعل .
ثم قام وخرج ، وكانت أخت معاوية من وراء حجاب تسمع كلامه . فقالت :
يا أمير المؤمنين : من هذا الذي يتهدد ويتوعد ؟ قال : هذا الذي إذا غضب ، غضب اعضبه مائة ألف من بني تميم ، لا يدرون فيم غضب .

(وفيات الأعيان لابن خلدكان ١ : ٢٣٠ ، ونهاية الأرب ٧ : ٢٣٧ ، والمعتمد الفريد ٢ : ١١٨)

(١) هو أبو بجر الضحاك بن قيس سيد بني تميم ، والمضروب به المثل في الحلم ، وهو من سادات التابعين ؛ أدرك عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصحبه ؛ وشهد بعض فتوح خراسان في زمن عمر وعثمان رضي الله عنهما ؛ وشهد مع علي رضي الله عنه وقعة صفين ؛ ولم يشهد وقعة الجمل مع أحد الفريقين ؛ وبقى إلى زمن مصعب بن الزبير ؛ فخرج معه إلى الكوفة ؛ فمات بها سنة ٦٧ هـ (وقيل له الأحنف ؛ لأنه كان أحنف الرجل - مائلها - يطأ على وحشها) . (٢) الحزازة : وجع في القلب من غيظ ونحوه .

(٣) الباع : قدر مد اليدين ، والختر : أقبح الفدر .

۳۴۸ - الأحنف ومعاوية أيضا

جلس معاوية يوما ، وعنده وُجوه الناس وفيهم الأحنف ، فدخل رجل من أهل الشام ، فقام خطيباً ، فكان آخر كلامه أن لعن علياً رضي الله عنه ، فأطرق الناس وتكلم الأحنف ، فقال :

« يا أمير المؤمنين : إن هذا القائل ما قال آتياً ، لو علم أن رضاك في لعن المرسلين لعنهم ، فاتق الله ، ودع علياً ، فقد آتى الله ، وأُفرد في حُفرتِه ، وخَلَا بعمله ، وكان والله - ما علينا - المبرز بِشِقِّهِ^(۱) ، الطاهر في خُلُقِه ، الميمون النقيبة^(۲) العظيم المصيبة . »

قال معاوية : « يا أحنف ، لقد أغضبت العين على القذى ، وقلت بغير ما نرى ، وإني لله لمتصدد المنبر فلتلعننه طائماً أو كارهاً » فقال الأحنف : « إن تُعفني فهو خير ، وإن تجبرني على ذلك ، فوالله لا تجرى به شفتاي » ، فقال معاوية : قم فاصمد . قال : « أما والله لا نُصِفَنَّكَ في القول والفعل » ، قال معاوية : وما أنت قائل إن أنصفتني ؟ » ، قال : « أصدد فأحد الله ، وأثنى عليه وأصلى على نبيه ، ثم أقول : »
« أيها الناس : إن معاوية أمرني أن ألعن علياً ، إلا وإن علياً ومعاوية اختلفا وافتتلا ، وأدعى كل واحد أنه مَبغِيٌّ عليه وعلى فِئته ، فإذا دعوتُ فأمنوا بحكم الله »
ثم أقول : اللهم لعن أنت وملائكتك وأنبيائك وجميع خلقك الباغِيَّ منهما على صاحبه ، وَالْفِئَةَ الباغِيَّةَ على المَبغِيِّ عليها ، اللهم العنهم لعناً كبيراً ، آمنوا ، رحِمَك اللهُ » ، يامعاوية لا أزيد على هذا ، ولا أنقص منه حرفاً ، ولو كان فيه ذهابٌ نفسي .
فقال معاوية : « إذن نُعْفِيكَ يا أبا بحر » .

(نهاية الأرب ۷ : ۲۳۷ ، والمقد الفريد ۲ : ۱۱۸)

(۱) الشق: الجانب ، ورواية المقدم « المبرز سيفه » وبرز تبريزاً : فاق أصحابه فضلاً أو شجاعة .

(۲) النقيبة : النفس .

۳۴۹ - قوله في مدح الولد

ودخل الأحنف على معاوية ، ويزيدُ بين يديه ، وهو ينظر إليه إعجاباً به ، فقال :
يا أبا بحر ما تقول في الولد ؟ فعمل ما أراد ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، هم عمادُ ظمورنا ،
وتمرّ قلوبنا ، وقرّة أعيننا^(۱) . بهم نصول على أعدائنا ، وهم الخلفُ منا لمن بعدنا ،
فكن لهم أرضاً ذليلة ، وسماً ظليلة ، إن سألك فأعطهم ، وإن استعتبوك فأعتبهم^(۲) ،
لا تمنعهم ريفك^(۳) ، فيمّلوا قُرْبَكَ ، ويكرهوا حيانتك : ويستبطنوا وفانك » .
فقال : لله درك يا أبا بحر ! كما وصفت . (الأمالي ۲ : ۴۳)

۳۵۰ - شفاعته لدى مصعب بن الزبير

وأتى مصعب بن الزبير بكلمه في قوم حبسهم ، فقال : « أصلح الله الأمير ،
إن كانوا حُبِسُوا في باطل ، فالحق يُخْرِجهم ، وإن كانوا حُبِسُوا في حق ، فالعفو
يَسْمَهُمْ » ، فخلّاهم^(۴) . (نهاية الأرب ۷ : ۲۳۸)

۳۵۱ - نصيحته لقومه

وقال بخراسان : « يا بني تميم تحابُّوا تجتمع كلمتكم ، وتبأذلوا تعتدل أموركم ،
وابدءوا بجهاد بطونكم وفرؤجكم ، يضلح لكم دينكم ، ولا تغفلوا^(۵) يسلم لكم
جihadكم » . (نهاية الأرب ۷ : ۲۳۹ ، والبيان والتبيين ۲ : ۴۶)

(۱) تارت عينه : بردت ، وانقطع بكأؤها ، أو رأت ما كانت متشوقة إليه . (۲) استعتبه :
طلب إليه العتبي (أي الرضا) وأعتبه : أعطاه العتبي . (۳) الرفد : العطاء . (۴) وفي وفيات
الأميان لابن خلصان ۱ : ۲۴۴ ، أن هذا القول للشعبي كالم به عمر بن هبيرة الفزاري أمير العراق .
(۵) أي لا تخونوا .

۳۵۲ - خطبته في قوم كانوا عنده

وحدّث رجل من بني تميم قال : حضرت مجلس الأحنف بن قيس ، وعنده قوم مجتمعون في أمر لهم ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« إن الكرم يمنع الحرم^(۱) ، ما أقرب النعمة من أهل البغي ، لا خير في لذة تعقب ندما ، لن يهلك من قصد^(۲) ، ولن يفتقر من زهد ، رب هزل قد عاد جدياً ، من أمن الزمان خانه ، ومن تعظم عليه أهانه ، دعوا المزاح ، فإنه يورث^(۳) الضغائن ، وخير القول ما صدقه الفعل ، احتملوا لمن أدل^(۴) عليكم ، واقبلوا عذر من اعتذر إليكم . أطع أخاك وإن عصاك ، وصحبه وإن جفاك ، أنصف من نفسك قبل أن ينتصف منك ، وإياكم ومشاورة النساء ، واعلم أن كفر النعمة لوم ، وصحبة الجاهل شوم ، ومن الكرم الوفاء بالدمم ، ما أقبح القطيعة بعد الصلة ، والجفاء بعد اللطف^(۵) ، والعداوة بعد الود ! لا تكونن على الإساءة أقوى منك على الإحسان ، ولا إلى البخل أسرع منك إلى البذل ، واعلم أن لك من دنياك ما أصلحت به مشواك^(۶) ، فأنفق في حق ، ولا تكونن خازناً لغيرك ، وإذا كان القدر في الناس موجوداً ، فالثقة بكل أحد عجز ، اعرف الحق لمن عرفه لك ، واعلم أن قطيعة الجاهل تمديل صلة العاقل . »

(الأمل ۲ : ۲۲)

(۱) الحرم : جمع حرمة بالضم ، وهي مالا يحل انتهاكه . (۲) القصد والاقتصاد : ضد الإفراط .
 (۳) التأريث : إيقاد النار . (۴) تدلل . (۵) اللطف : اسم من اللطف بالضم .
 (۶) آخرتك .

۳۵۳ - کلمات حکیمۃ للاُحنف

قال : فی ثلاث خصال ما أقولهن إلا ليعتبر مُعتبر : ما دخلت بين اثنين قَطُّ حتى
 يَدْخِلَانِي بينهما ، ولا أتيت باب أحد من هؤلاء - يعنى الملوك - ما لم أدع إليه ،
 وما حللت حُبُوتِي^(۱) إلى ما يقوم الناس إليه . وقال : « ألا أدلكم على المَحْمَدِة
 بلا مَرزِئَة^(۲) ؟ الخلق السَّجِيح^(۳) والكف عن القبيح ، ألا أخبركم بأذوإ الداء ؟ الخلق
 الدنى ، واللسان البذى » ، وقال : « ماخان شريف ، ولا كذب عاقل ، ولا اغتاب
 مؤمن » . وقال : « ما ادخرت الآباء للأبناء ، ولا أبقت الموتى للأحياء ، أفضل من
 اصطناع معروف عند ذوى الأحساب والآداب » ، وقال : « كثرة الضحك تذهب الهيبة ،
 وكثرة المزاح تذهب المروءة ، ومن لزم شيئاً عُرف به » . وسمع رجلاً يقول : ما أبلى
 أمْدِحْتُ أم ذممت . فقال له : « لقد استرحت من حيث تَعِبُ الكرامُ » ، وقال :
 « جنبوا مجلسنا ذكر الطعام والنساء ، فإنى لا يُفِضُ الرجل يكون وصافاً لفرجه وبطنه ،
 وإن المرؤءة أن يترك الرجل الطعام وهو يشبهه » . وكان يقول : إذا عَجِبَ الناس من
 حِلْمِهِ : « إني لأجد ما تجدون ولكنى صبور » . وكان يقول : « وجدت الحلم أنصر لي
 من الرجال » . وقال : « الكذوب لاحيلة له ، والحسود لاراحة له ، والبخيل لأمروءة له ،
 والمول لوفاء له ، ولا يسود سَيِّءُ الأخلاق ، ومن المرؤءة إذا كان الرجل بخيلاً أن يكتم
 ذلك ويتجمل » . وقال : « أربع من كُنَّ فيه كان كاملاً ، ومن تعلق بِمَحْصَلَة مِنْهُن
 كان من صالحى قومه : دينٌ يُرْشِدُهُ ، أو عقلٌ يُسَدِّدُهُ ، أو حَسَبٌ يَصُونُهُ ، أو حِيَالٌ
 يَقْنَأُ^(۴) » . وقال : « المؤمن بين أربع : مؤمن يحسده ، ومنافق يبفضه ، وكافر يجاهده ،

(۱) احتبى الرجل : جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها ، والاسم : الحبوذة بالفتح ويضم .

(۲) رزاء مرزئة : أصاب منه خيرا ، والشئ نقصه : أى دون أن تغرموا فى سبيلها مالا .

(۳) اللين السهل . (۴) قنى الحياء كرضى ورمى : لزمه كأتقى .

وَشَيْطَانٌ يَفْتِنُهُ ؛ وَأَرْبَعٌ لَيْسَ أَقْلٌ مِنْهُنَّ : الْيَقِينُ ، وَالْعَدْلُ ، وَدِرْزَمٌ حَلَالٌ ، وَأَخٌ فِي اللَّهِ ۖ
 وَقَالَ : « لَأَنْ أُدْعَى مِنْ بَعِيدٍ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُقْصَى مِنْ قَرِيبٍ ۖ » . وَكَانَ يَقُولُ :
 « إِيَّاكَ وَصَدْرَ الْمَجْلِسِ ، وَإِنْ صَدَّرَكَ صَاحِبُهُ ، فَإِنَّهُ مَجْلِسٌ قُلْعَةٌ ^(۱) » . وَقَالَ : « مَنْ لَمْ
 يَصْبِرْ عَلَى كَلِمَةٍ سَمِعَ كَلِمَاتٍ » . وَقَالَ : « رَبُّ غَيْظٍ تَجْرَعْتَهُ تَخَافَةُ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ » . وَقَالَ :
 « مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ ، وَمَنْ طَالَ صَمْتُهُ كَثُرَتْ سَلَامَتُهُ » . وَقَالَ : « ثَلَاثٌ
 لَا أُنَاءَةَ فِيْهِنَّ عِنْدِي » . قِيلَ : « وَمَا هُنَّ يَا أَبَا بَجْرٍ ؟ » . قَالَ : « الْمُبَادَرَةُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ ،
 وَإِخْرَاجُ مِيتِكَ ، وَأَنْ تُنْكِحَ الْكُفَّاءَ ^(۲) » . وَكَانَ يَقُولُ : « لِأَفْتَى تَحَكُّكَ
 فِي نَاحِيَةِ بَيْتِي ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَرُدَّتْ عَنْهَا كُفَّتَا » .

(وفيات الأعيان ۱ : ۲۳۱ ، ومجمع الأمثال للميداني ۱ : ۱۴۸ ؛ والأمال

۱ : ۲۳۶ ، والبيان والتبيين ۲ : ص ۲۷ ، ۵۸ ، ۱۰۱ ، ۱۰۴ ، ۱۰۵)

۳۵۴ - صفية بنت هشام المنقرية توبن الأحنف

وَرَوَى أَنَّهُ لَمَّا أُحْمِتْ جِنَازَةُ الْأَحْنَفِ ، وَدُلِّيَ فِي قَبْرِهِ ، أَقْبَلَتْ ابْنَتُهُ عَمَهُ صَفِيَّةُ بِنْتُ
 هِشَامِ الْمُنْقَرِيَّةِ عَلَى نَجِيبٍ لَهَا مُخْتَصِرَةٌ ^(۳) ، فَوَقَفَتْ عَلَى قَبْرِهِ ، فَقَالَتْ :
 « اللَّهُ دَرَكٌ مِنْ جَنَّاتٍ فِي جَنَّاتٍ ^(۴) ، وَمُدْرَجٌ ^(۵) فِي كَفَنٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ !

(۱) مجلس قلعة : يحتاج صاحبه إلى أن يقوم مرة بعد مرة . (۲) الأيم : من لا زوج ، لها بكر أو
 أو ثيبا . قال الجاحظ : وكان يقال : « ما بعد الصواب إلا الخطأ ؛ وما بعد منهن من الأكفاه ، إلا بذلن
 لسفلة والفوفاء » . (۳) النجيب : الجمل السريع الخفيف في السير القوي ؛ واختصر : أمسك المختصرة
 والمختصرة كمنكنة ؛ عصا يمسكها الخطيب يشير بها إذا خطب ؛ وتخصر بالقضيب أيضا ؛ أمسك .
 وفي رواية الجاحظ : « وقامت فرغانة بنت أوس بن حجر على قبر الأحنف بن قيس وهي على راحلة
 فقالت . . . » ؛ وفي رواية أبي علي القالي : « جاءت امرأة من قومه من بني منقر عليها قبول من النساء ؛
 فوقفت على قبره فقالت . . . » - والقبول بالفتح ويضم : الحسن - . (۴) من أجنه : إذا ستره ؛
 والجنن : جمع جنة كقبة ، وهي الوقاية ؛ والجنن كسبب : القبر والكفن . (۵) مطوى .

نسأل الله الذي سَجَعَنَا بِمَوْتِكَ ، وابتلانا بِفَقْدِكَ ، أن يُوسِّعَ لك في قبرك ، وأن يَغْفِرَ
 لك يوم حَشْرِكَ ، وأن يجعل سبيل الخير سبيلَكَ ، ودليلَ الرِّشَادِ دليلَكَ ، ثم أَفْبَلتْ
 بوجهها على الناس ، فقالت : « مَعَشَرَ النَّاسِ ، إن أولياء الله في بلادِهِ ، مُهُودٌ على عبادِهِ ،
 وإنا قائلون حَقًّا ، وَمُشْتَبَهون صِدْقًا ، وهو أهلُ الحَسَنِ الثَّناء ، وطيبُ الدِّعاء ؛ أما والذي
 كنتَ من أَجَلِهِ في عِدَّةٍ ، ومن المِضْمَارِ^(۱) إلى غايَةٍ ، ومن الحَيَاةِ إلى نِهَايَةٍ ، الذي رفع
 عَمَلَكَ ، عند انقضاء أَجَلِكَ ، لقد عِشْتَ حَمِيداً مَوْدوداً ، ولقد مِتَّ فَقِيداً سَعِيداً ، وإن
 كنتَ كَعَظِيمِ السَّلْمِ ، فَاضِلَ الحِلْمِ ، صحیحِ الأَدِيمِ^(۲) ، مَنِيعِ الحَرِيمِ ، وَارِي الزَّنَادِ ،
 رفیعِ العَمَادِ ، وإن كنتَ في المحافلِ لَشَرِيفاً ، وعلى الأرامِلِ لَمَطُوفاً ، وفي العَشِيرَةِ
 مُسَوِّداً ، وإلى الخلفاءِ مُؤَفِّداً ، ولقد كانوا لقولك مستمعين ، ولرأيتُ مُتَّبِعِينَ » .
 ثم انصرفت . (ذیل الأمانی ص ۲۸ ، وبلغات النساء ص ۵۵ ، والبیان والتبیین ۲ : ۱۶۰)

(۱) فی الأمانی : « ومن الضمان » ؛ وفي بلاغات النساء : « ومن الضمان » وأرى أن صوابه « ومن

المضمار » لقوله بعد : « إلى غايَةٍ » . (۲) الأديم : الجلد ؛ والمراد صحیح العرض .

خطب الوفود

وما ألقى بحضرة الخلفاء والأمراء والرؤساء

الوافدون على معاوية

٣٥٥ - وفود الأحنف بن قيس والنمر بن قطبة على معاوية

دخل الأحنف بن قيس على معاوية وافداً لأهل البصرة ، ودخل معه النمر بن قطبة ، وعلى النمر عبادة قَطَوَانِيَّة^(١) ، وعلى الأحنف مِذْرَعَةُ^(٢) صوف وشملة^(٣) ، فلما مثلاً بين يدي معاوية اقتحمتهما^(٤) عينه . فقال النمر : يا أمير المؤمنين إن العبادة لانكلمك ، وإنما يكلمك من فيها . فأومأ إليه فجلس ، ثم أقبل على الأحنف ، فقال : ثم مه ؟ فقال : « يا أمير المؤمنين ، أهل البصرة عدد يسير ، وعَظْمُ كَسِيرٍ ، مع تقابع من المَحُول^(٥) ، وانصال من الدُّحُول^(٦) ، فالكثير فيها قد اطرق ، والمقل قد أفاق ، وبلغ منه المَخْنَق ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يُنْعِشَ الفقير ، ويَجْبُرَ الكسير ، ويسهل العسير ، ويصفح عن الدُّحُول ، وَيُدَاوِيَ المَحُول ، ويأسر بالمطاء ، ليكشف البلاء ، ويُرْزِلَ اللأواء^(٧) ، وإن السيد مَنْ يَعْصَمُ ولا يَخْصَمُ ، ومن يدعو الجفلى^(٨) ولا يدعو النقرى ، إن أحسن إليه شكر ،

(١) نسبة إلى قطوان : موضع بالكوفة من الأكية . (٢) الدرمة : ثوب ولا يكون إلا من صوف . (٣) الشملة : كساء دون القطيفة يشتمل به . (٤) ازدرتهما . (٥) جمع محل كشمس : وهو القحط والجذب . (٦) جمع ذحل كشمس أيضاً : وهو النار . (٧) الشدة . (٨) الدعوة العامة ، والنقرى : الدعوة الخاصة .

وإن أسيء إليه غفر ، ثم يكون من وراء ذلك لرعيته عماداً ، يدفع عنهم الملأت ،
ويكشف عنهم المعضلات ، فقال له معاوية : ها هنا يا أبا بجر ، ثم تلا : (وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ
فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ^(۱)) . (زهر الآداب ۱ : ۵۷)

۳۵۶ — وفد أهل العراق على معاوية وفيهم الأحنف

ولما قدم وفد أهل العراق على معاوية ، وفيهم الأحنف ، خرج الآذن ،
فقال : إن أمير المؤمنين يعزيم عليكم ألا يتكلم أحد إلا لنفسه ، فلما وصلوا إليه
قال الأحنف :

« لولا عزمة أمير المؤمنين لأخبرته أن دافة ^(۲) دفت ، ونازلة نزلت ، ونايبة نابت ،
وناية نبتت ، وكلهم بهم حاجة إلى معروف أمير المؤمنين وبره » ، فقال : حسبك
يا أبا بجر فقد كفييت الغائب والشاهد .

(نهاية الأرب ۷ : ۲۳۷ ، والبيان والتبيين ۲ : ۴۳)

وفد أهل العراق على معاوية ومعهم زياد وفيهم الأحنف

وفد أهل العراق على معاوية ، ومعهم زياد بن أبيه ، وفيهم الأحنف بن قيس ،
فقال زياد :

۳۵۷ — خطبة زياد

« يا أمير المؤمنين : أشخصت إليك أقواماً الرغبة ، وأقعدت عنك آخرين العذر ،
فقد جعل الله تعالى في سعة فضلك ما يجبر به المتخاف ، ويكافأ به الشاخص » .

(۱) أى فى معناه وفجواه . (۲) الدافة : الجماعة من الناس تقبل من بلد إلى بلد ، يقال : دفت
علينا من بنى فلان دافة ، والدافة أيضا : قوم من الأهراب يريدون المصر ، والدافة : الجيش يدفون نحو العدو
أى يدبون .

۳۵۸ - خطبة معاوية

فقال معاوية : « مَرَّحِبًا بِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ ، أَمَا وَاللَّهِ لئن فَرَّقْت بَيْنَكُمْ الدَّعْوَةَ ، لَقَدْ جَمَعْتُمْ الرَّحِمَ ، إِنْ اللَّهُ اخْتَارَكُمْ مِنَ النَّاسِ لِيخْتَارَنَا مِنْكُمْ ، ثُمَّ حَفِظَ عَلَيْكُمْ نَسَبَكُمْ بَأَنْ تَخَيَّرَ لَكُمْ بِلَادًا يُجْتَازُ عَلَيْهَا الْمَنَازِلُ ، حَتَّى صَفَّكُمْ مِنَ الْأُمَّمِ كَمَا تُصَفَّى الْفِضَّةُ الْبَيْضَاءُ مِنْ خَبَثِهَا ، فَصُونُوا أَخْلَاقَكُمْ ، وَلَا تُدَنِّسُوا أَنْسَابَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ ، فَإِنَّ الْحَسَنَ مِنْكُمْ أَحْسَنُ لِقَرَبِكُمْ مِنْهُ ، وَالْقَبِيحُ مِنْكُمْ أَقْبَحُ لِبَعْدِكُمْ عَنْهُ » .

۳۵۹ - خطبة الأحنف بن قيس

فقال الأحنف : « وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا نَعَدَمُ مِنْكُمْ قَائِلًا جَزِيلًا ^(۱) ، وَرَأَبًا أُصَيْلًا ، وَوَعْدًا جَمِيلًا ، وَإِنْ أَخَاكَ زِيَادًا كَلَّمْتَبِعَ آثَارِكَ فِينَا ، فَسَتَمْتَعُ اللَّهُ بِالْأَمِيرِ وَالْمَأْمُورِ ، فَإِنَّكُمْ كَمَا قَالَ زُهَيْرٌ - فَإِنَّهُ أَلْقَى عَلَى الْمُدَّاحِينَ فُصُولَ الْقَوْلِ - :

وَمَا يَكُ مِنْ خَيْرٍ أَنْتَوَهُ فَإِنَّمَا تَوَارَثَهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبِيلٌ
وَهَلْ يُنْبِتُ الْخَطِيءُ إِلَّا وَشِيحَهُ وَتُفْرَسُ إِلَّا فِي مَنَافِئِهَا النَّخْلُ ^(۲) »

(زهر الآداب ۱ : ۵۸)

۳۶۰ - وفد العراق على معاوية وفيهم دغفل النسابة

قدم وفد العراق على معاوية ، وفيهم دغفل ^(۳) ، فقال له معاوية : يَا دَغْفَلُ أَخْبِرْنِي عَنْ ابْنِي نِزَارٍ : رُبَيْعَةٌ وَمُضَرٌّ ، أَيُّهُمَا كَانَ أَعَزَّ جَاهِلِيَّةً وَعَالَمِيَّةً ؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُضَرٌّ بِنِزَارٍ كَانَ أَعَزَّ جَاهِلِيَّةً وَعَالَمِيَّةً . قَالَ مُعَاوِيَةُ : وَأَيُّ مُضَرٍّ كَانَ أَعَزَّ ؟ قَالَ :

(۱) الجزيل : العاقل الأصل الرأى . (۲) الخطى : الرمح ، نسبة إلى الخط : مرفأ السفن بالبحرين تنسب إليه الرماح لأنه تبع به لأنه منبتها ، والشويح : شجر الرماح جمع وشيجة . (۳) هو دغفل ابن حنظلة النسابة من بني شيبة .

بنو النضر بن كنانة ، كانوا أكثر العرب أمجاداً ، وأرفعهم عماداً وأعظمهم رماداً .
 قال : فأى بنى كنانة كان بعدهم أعزّ ؟ قال : بنو مالك بن كنانة ، كانوا يعملون من
 سامام ، ويكفون من ناوهم ، ويصدقون من عادهم . قال : فمن بعدهم ؟ قال :
 بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، كانوا أعزّ بنيه وأمنعهم ، وأجودهم وأنفعهم . قال :
 ثم من بعدهم ؟ قال : بنو بكر بن عبد مناة ، كان بأسهم مرهوباً ، وعدوهم منكوباً ،
 وثأرهم مطلوباً . قال : فأخبرني عن مالك بن عبد مناة بن كنانة ، وعن مرة وعاصم
 ابني عبد مناة . قال : كانوا أشرفاً كراماً ، وليس للقوم أكفاء ولا نظراء . قال :
 وأخبرني عن بني أسد ؟ قال : كانوا يطعمون السديف^(۱) ، ويكرمون الضيوف ،
 ويضربون في الزحوف^(۲) ، قال : فأخبرني عن هذيل ، قال : كانوا قايلاً أكياس^(۳) ،
 أهل منعة وبأس ، ينتصفون من الناس ، قال : فأخبرني عن بني ضبة ؟ قال : كانوا
 جمرّة من جمرات العرب الأربع^(۴) ، لا يصطلي بنارهم ، ولا يقاتون بنارهم ، قال :
 فأخبرني عن مزينة ، قال : كانوا في الجاهلية أهل منعة ، وفي الإسلام أهل دعة . قال :
 فأخبرني عن تميم ، قال : كانوا أعزّ العرب قديماً ، وأكثرها عظيماً ، وأمنعها حريمياً ،
 قال : فأخبرني عن قيس ، قال : كانوا لا يفرحون إذا أدبوا^(۵) ، ولا يجزعون إذا ابتلوا ،
 ولا يبخلون إذا سُئلوا ، قال : فأخبرني عن أشرافهم في الجاهلية ، قال : غطفان بن سعد
 وعاصم بن صعصعة وسليم بن منصور ؛ فأما غطفان فكانوا كراماً سادة ، وللخبيس^(۶)

(۱) شحم السنام . (۲) مصدر زحف أو جمع زحف كشمس وهو الجيش يزحفون إلى العدو .
 (۳) جمع كياس : وهو الماقل . (۴) قال صاحب العقد : « جمرات العرب ، هم
 بنو نمر بن عامر بن صعصعة ، وبنو الحارث بن كعب ، وبنو ضبة بن أد بن طابخة ، وبنو عيس
 ابن بغيض ، وإنما قيل لهذه القبائل جمرات ، لأنها تجمعت في أنفسها ، ولم يدخلوا معهم غيرهم ، والتجمير :
 التجميع ، ومنه قيل : جمرّة العقبة لاجتماع الحصى فيها ، ومنه قيل : لانجمروا المسلمين ففتنواهم ، وتفتنوا
 نساءهم ، يعني لانجمروهم في المغازي . . الخ - العقد ۲ : ۵۷ . (۵) أداله الله من عدوه : نصره عليه .
 (۶) الخبيس : الجيش . سمي بذلك لأنه خمس فرق : المقدمة ، والقلب ، والميمنة ، والميسرة ،
 والمؤخرة .

قادة ، وعن البيض ذادة^(۱) ؛ وأما بنو عامر فكثير ما دنتهم ، مخشية سطورهم ،
ظاهرة نجدتهم ؛ وأما بنو سليم فكانوا يدركون النار ، ويمنعون الجار ، ويمظمون^(۲)
النار ، قال : فأخبرني عن قومك بكر بن وائل واصدقني ، قال : كانوا أهل عز قاهر ،
وشرف ظاهر ، ومجد فاخر ، قال : فأخبرني عن إخوانهم تغلب ، قال : كانوا أسودا
ترهب ، وسمامتا^(۳) لا تقرب ، وأبطالا لا تكذب ، قال : فأخبرني كم أدلوا عليكم
في قتلكم كليبًا ؟ قال : أربعين سنة ، لانتصف منهم في موطن نلقاهم فيه ، حتى كان
يوم التحالف ، يوم الحرث بن عباد بعد قتله ابنه بجير ، وكان أرسله في الصلح بين القوم
فقتله مهلهل ، وقال : بؤ بشيع^(۴) نعل كليب ، فقال الغلام : إن رضيت بهذا بنو بكر
رضيت ، فبلغ الحرث ، فقال : نعم القليل قتيلا إن أصاح الله به بين بكر وتغلب وباء
بكليب ، فليل له : إنما قال مهلهل ما قال (الكلمة^(۵)) ، فتشمر الحرث للحرب ،
وأمرنا بخلق رهوسنا أجمعين ، وهو يوم التحالف ، وله خبر طويل ، وقال :

قربا مربط النعامة مني لقيت حرب وائل عن حبال^(۶)
لم أكن من جناتها - علم الله - واني بحرّها اليوم صالي
قربا مربط النعامة مني إن بيع الكرام بالشنع غالي
فأد لنا عليهم يومئذ ، فلم نزل منهم ممتنعين إلى يومنا هذا . قال : فن ذهب يذكر
ذلك اليوم ؟ قال : الحرث بن عباد ، أسر مهلهلا في ذلك اليوم ، وقال له : دأني على
مهلهل بن ربيعة ، قال : مالي إن دلتك عليه ؟ قال : أظنك ، قال : على الوفاء ؟ قال :
نعم ، قال له : أنا مهلهل ، قال : ويحك ! دأني على كفاء كريم ، قال : امرؤ القيس^(۷)

(۱) البيضة : حوزة كل شيء وساحة القوم ، وبيضة الدار : وسطها .

(۲) كناية عن الكرم . (۳) جمع من مثل السين . (۴) الشنع : سير يشد به النعل .

(۵) هي قوله (بؤ بشيع نعل كليب) . (۶) النعامة : اسم فرسه ، ولقعت الناقة : قبلت القاح

وحالت حبالا : لم تلتصق سنة ، أو سنتين ، أو سنوات . (۷) هو امرؤ القيس بن أبان التغلبي .

وأشار بيده إليه عن قُرب ، فأطلقه الحرث ، وانطلق إلى امرئ القيس فقتله ، وبكر كلما صَبَرَتْ وأُبْدَتْ فحَسُنَ بِلَاؤُهَا ، إلا ما كان من ابني أُجَيْمِ : حَذِيْفَةُ وَعِجْلٌ ، وَبِشْكُرُ ابن بكر ، فإن سعد بن مالك بن ضُبَيْعَةَ جدَّ طَرْفَةَ بن العبد ، هجَّاهم في ذلك اليوم ، فقال :

إِن أُجَيْمًا عَجَزَتْ كَلْمًا أَنْ يُرْفِدُونِي قَارِسًا وَاحِدًا^(۱)
وَبِشْكُرُ الْعَامِ عَلَى خَتْرِهَا لَمْ يَسْمَعْ النَّاسَ لَهُمْ حَامِدًا^(۲)

وقال فيهم أيضًا :

يَا بُؤْسَ لِلْحَرْبِ الَّتِي وَضَعْتَ أَرَاهِطًا فَاسْتَرَا حُوا^(۳)
إِنَّا وَإِخْوَتَنَا غَدًّا كَنَمُودُ حِجْرٍ يَوْمَ طَاحُوا^(۴)
بِالْمَشْرِفِيَّةِ لَا نَفَ رَ وَلَا نُبَاحُ وَلَنْ تَبَاحُوا^(۵)
مَنْ صَدُّ عَنْ نِيرَانِهَا فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَّاحُ^(۶)

فقال معاوية : أنت والله يا دغفل أعلم الناس قاطبةً بأخبار العرب .

(ذيل الأملی ۲۶)

(۱) الإرفاد : الإعانة والإعطاء . (۲) الحتر : الغدر أو أفضحه . (۳) أراهط : جمع الجمع أراهط . (۴) الحجر : واد بين المدينة والشام : مساكن ثمود قوم صالح . (۵) مشارف الشام : قرى من أرض العرب تدنو من الريف منها السيوف المشرفية . وفي ذيل الأملی « ولا نباح ولن نباحوا » بالنون وقد أصلحته « ولن تباحوا » بالتاء على الالتفات من التكلم إلى الخطاب ، أى ولن تباحوا يا قوم مادنا لكم حاة ، وقال مصحح الأملی : « ولن نباحوا » كذا في الأصل ، وأمل هنا تحريفًا ، ووجه الكلام « كن يباح » . (۶) قولهم لا براح كقولهم لا ريب ، ويجوز رفعه فتكون لا بمنزلة ليس .

۳۶۱ - دغفل وجماعة من الأنصار

ووقف جماعة من الأنصار على دغفل بعد ما كف ، فسلموا عليه ، فقال :
مَنْ الْقَوْمُ ؟ قَالُوا : سَادَةُ الْيَمَنِ ، فقال : « أَمِنْ أَهْلِ مَجْدِهَا الْقَدِيمِ ، وَشَرَفِهَا الْعَمِيمِ ،
كِنْدَةَ ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : « فَأَنْتُمْ الطَّوَالِ قَصَبَا ، الْمُحْصُونَ نَسَبًا ، بَنُو عَبْدِ الْمَدَانِ ؟ »
قَالُوا : لَا ، قَالَ : « فَأَنْتُمْ أَقْوَدُهَا لِلزُّحُوفِ ، وَأَخْرَقُهَا لِلصَّفُوفِ ، وَأَضْرِبُهَا بِالسِّيُوفِ ،
رَهْطُ عَمْرِو بْنِ مَعْدِيكَرِبٍ ؟ » قَالُوا : لَا ، قَالَ : « فَأَنْتُمْ أَحْضَرُهَا قَرَاءً ^(۱) ، وَأَطْيَبُهَا
فِنَاءً ، وَأَشَدُّهَا لِقَاءً ، رَهْطُ حَاتِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ؟ » قَالُوا : لَا ، قَالَ : فَأَنْتُمْ الْغَارِسُونَ لِلنَّخْلِ ،
وَالْمَطْعِمُونَ فِي الْمَجَلِّ ^(۲) ، وَالْقَاتِلُونَ بِالْعَدْلِ ، الْأَنْصَارُ ؟ » قَالُوا : نَعَمْ .
(الأمل ۲ : ۲۸۷)

۳۶۲ - وفد أهل العراق على معاوية وفيهم صعصعة بن صوحان

قال عبد الملك بن مروان يوماً لجلسائه : خبّروني عن حَيٍّ من أحياء العرب ، فيهم
أشدُّ الناس ، وأسخى الناس ، وأخطبُ الناس ، وأطوعُ الناس في قومه ، وأحلمُ الناس ،
وأحضرهم جواباً .

قَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا نَعْرِفُ هَذِهِ الْقَبِيلَةَ ، وَلَكِنْ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَكُونَ فِي قَرِيشَ ،
قَالَ : لَا ، قَالُوا : فِي حَمِيرٍ وَمَلُوكَهَا ، قَالَ : لَا ، قَالُوا : فِي مَضَرَ ، قَالَ : لَا ، قَالَ مَصْقَلَةَ
ابن رُقَيْةَ الْعَبْدِيِّ : فِي إِذْنٍ فِي رَبِيعَةَ ، وَنَحْنُ هُمْ ، قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ جُلَسَاؤُهُ : مَا نَعْرِفُ
هَذَا فِي عَبْدِ الْقَيْسِ إِلَّا أَنْ تَخْبِرَنَا بِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : نَعَمْ .

أَمَّا أَشَدُّ النَّاسِ ، فَحَكِيمُ بْنُ جَبَلٍ ، كَانَ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

(۱) قري الضيف كرى قري بالكسر ، والقصر : وقراء بالفتح والمد : أخانه .

(۲) الجهل : الجلب والشنة .

فَقَطَّعَتْ سَاقَهُ ، فَضَمَّهَا إِلَيْهِ ، حَتَّى مَرَّ بِهِ الَّذِي قَطَعَهَا ، فَرَمَاهَا بِهَا فَجَدَّلَهُ ^(۱) عَنِ دَابَّتِهِ ، ثُمَّ جَاءَ إِلَيْهِ فَفَقَّطَهُ وَاتَّكَأَ عَلَيْهِ ، فَرَّ بِهِ النَّاسُ ، فَقَالُوا لَهُ : يَا حَكِيمٌ ، مَنْ قَطَعَ سَاقَكَ ؟ قَالَ : وَسَادِي ^(۲) هَذَا ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا سَاقُ لَا تَرَايَ إِنَّ مَعِيَ ذِرَاعِي أَتَّحِي بِهَا كُرَاعِي ^(۳)

وَأَمَّا أَسْحَى النَّاسِ فَمَبْدَ اللَّهِ بْنِ سُوَارٍ ، اسْتَعْمَلَهُ مَعَاوِيَةُ عَلَى السَّنَدِ ، فَسَارَ إِلَيْهَا فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ مِنَ الْجُنْدِ ، وَكَانَتْ تَوْقَدُ مَعَهُ نَارَ حَيْثُمَا سَارَ ، فَيُطْعِمُ النَّاسَ ، فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ أَبْصَرَ نَارًا ، فَقَالَ : مَا هَذِهِ ؟ قَالُوا : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، اعْتَلَّ بَعْضُ أَصْحَابِنَا ، فَاشْتَهَى خَبِيصًا ^(۴) ، فَعَمِلْنَا لَهُ ، فَأَمَرَ خَبَّازَهُ أَلَّا يُطْعِمَ النَّاسَ إِلَّا الْخَبِيصَ ، حَتَّى صَاحُوا وَقَالُوا : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، رُدُّنَا إِلَى الْخُبْزِ وَاللَّحْمِ ، فَسُمِّيَ مُطْعِمِ الْخَبِيصِ .

وَأَمَّا أَطْوَعُ النَّاسِ فِي قَوْمِهِ ، فَالْجَارُودُ بْنُ بَشَرَ بْنِ الْعَلَاءِ ، فَإِنَّهُ لَمَّا قُبِضَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَارْتَدَّتِ الْعَرَبُ ، خَطَبَ قَوْمَهُ ، فَقَالَ :

« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ قَدْ مَاتَ ، فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، فَاسْتَمْسِكُوا بِدِينِكُمْ ، فَمَنْ ذَهَبَ لَهُ فِي هَذِهِ الرَّدَّةِ دِينَارٌ أَوْ دَرَاهِمٌ أَوْ بَعِيرٌ أَوْ شَاةٌ ، فَلَهُ عَلَى مِثْلَاهُ » فَمَا خَالَفَهُ مِنْهُمْ رَجُلٌ .

وَأَمَّا أَحْضَرُ النَّاسِ جَوَابًا ، فَصَمَّصَةَ بْنُ صُوحَانَ ، دَخَلَ عَلَى مَعَاوِيَةَ فِي وَفْدِ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : مَرَّحِبًا بِكُمْ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، قَدِمْتُمْ أَرْضَ اللَّهِ الْمَقْدَسَةَ ، مِنْهَا الْمَنْشَرُ ، وَإِلَيْهَا الْمَحْشَرُ ، قَدِمْتُمْ عَلَى خَيْرِ أَمِيرٍ يَبْرُؤُكُمْ كَبِيرِكُمْ ، وَيَرْحَمُ صَغِيرِكُمْ ، وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ كَلَّمَهُمْ وَلَدَ أَبِي سَفْيَانَ لَسَكَانُوا حُلَمَاءَ عَقْلَاءَ ، فَأَشَارَ النَّاسُ إِلَى صَعْصَعَةَ فَقَامَ :

فَحَمْدُ اللَّهِ ، وَأَتْنِي عَلَيْهِ ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ :

(۱) جدله : صرعه على الجدالة (كسحابة) وهي الأرض . (۲) الوساد : المتكأ ، والمخذة كالبوسادة ويثلث . (۳) لا تراعي : لا تفزعني ، والكراع : جماعة الخيل . (۴) الخبيص : نقي الدقيق يخلط بالمدل ، والخبيصة : أخضر منه ، وخبيص الخدواء كضرب ، وخبيصها : بالتشديد خلطها وعملها .

« أما قولك يا معاوية : إنا قدمنا الأرض المقدسة ، فلعمري ، ما الأرضُ تقدّسَ
الناسَ ، ولا يقدّسُ الناسَ إلا أعمالهم ، وأما قولك : منها المنشر ، وإليها المحشر ،
فلعمري ، ما ينفع قربها ، ولا يضرُّ بُعدها مؤمناً ، وأما قولك : لو أن الناسَ كلهم ولدُ
أبي سفيان لكانوا حُلماً عقلاء ، فقد ولدتم خيرٌ من أبي سفيان آدمُ صلوات الله عليه ،
فمنهم الحلِيم والسفيه ، والجاهل والعالم . »

وأما أحلم الناس ، فإن ولد عبد القيس قدِموا على النبي صلى الله عليه وسلم بصَدَقَاتِهِمْ
وفيهم الأشجُّ^(۱) ، فقرَّعها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أول عطاء فرَّقه في أصحابه ،
ثم قال : يَا أَشَجُّ ادنُ مني ، فدنا منه ، فقال : « إن فيك خلتين يحبهما الله : الأناة ،
والحلم » وكفى برسول الله صلى الله عليه وسلم شاهداً ، ويقال : إن الأشجَّ لم يَغضب قطُّ^(۲) .
(العقد الفريد ۲ : ۵۶)

۳۶۳ — وفود العرب ومعاوية

عن عمرو بن عُتْبَةَ بن أبي سفيان ، قال :
عَقِمَتِ النِّسَاءُ أَنْ يَلِدْنَ مِثْلَ عَمِّي ! شَهِدْتَهُ يَوْمًا ، وَقَدْ قَدِمَتِ عَلَيْهِ وَفُودُ الْعَرَبِ ،
فَقَضَى حَوَائِجَهُمْ ، وَأَحْسَنَ جَوَائِزَهُمْ ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ لِيَشْكُرُوهُ ، سَبَقَهُمْ إِلَى الشُّكْرِ ، فَقَالَ لَهُمْ :
« جَزَاكُمْ اللَّهُ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَنْ قُرَيْشٍ أَفْضَلَ الْجَزَاءِ ، بِتَقَدُّمِكُمْ إِلَيْهِمْ فِي الْحَرْبِ ،
وَتَقَدُّمِكُمْ لَهُمْ فِي السَّلَامِ ، وَحَقْنِكُمْ دِمَاءَهُمْ بِسَفْكِكُمْ مِنْكُمْ ، أَمَا وَاللَّهِ لَا يُؤَثِّرُ عَلَيْكُمْ غَيْرَكُمْ
مِنْهُمْ حَازِمٌ كَرِيمٌ ، وَلَا يَرْغَبُ عَنْكُمْ مِنْهُمْ إِلَّا عَاجِزٌ لَثِيمٌ ، شَجْرَةٌ قَامَتْ عَلَى سَاقٍ ،
فَفَرَّعَ أَعْلَاهَا ، وَاجْتَمَعَ أَصْلُهَا ، عَضَدَ اللَّهُ مَنْ عَضَدَهَا ، فَيَالِهَا كَلِمَةً لَوْ اجْتَمَعَتْ ! وَأَيْدٍ
لَوْ ائْتَلَفَتْ ! وَلَكِنْ كَيْفَ بِإِصْلَاحِ مَا يَرِيدُ اللَّهُ إِفْسَادَهُ ؟ » . (العقد الفريد ۲ : ۴۱)

(۱) هو عبد الله بن عوف الأشج .

(۲) هذا المقال يزيد على العنوان الذي عنوانه به ، وقد أردت من ذلك استيفاء حديث عبد الملك .

۳۶۴ - وفود عبد العزيز بن زُرارة على معاوية

وقد عبد العزيز^(۱) بن زُرارة على معاوية ، وهو سيد أهل الكوفة ، فلما أذن له وقف بين يديه ، وقال :

« يا أمير المؤمنين : لم أزل أهرُ ذوائب^(۲) الرِّحال إليك ، إذ لم أجد مَوْلا إلا عليك ، أمتطى الليل بعد النهار ، وأميم^(۳) المَجَاهِلَ بالآثار ، يقودني إليك أمل ، وتسوقني بلوى ، والاجتهاد يُعذر ، وإذ بلغتك فقطني^(۴) » ، فقال معاوية : أخطط عن راحلتك رحلها .

وروى الجاحظ هذا القول بصورة أخرى ، فقال :

« ولما وصل عبد العزيز بن زُرارة إلى معاوية قال : « يا أمير المؤمنين ، لم أزل أستدلُّ بالمعروف عليك ، وأمتطى النهار إليك ، فإذا ألوى^(۵) بي الليل ، فقَبَضَ البصرَ ، وعقَى الأثرَ ، أقام بدني ، وسافر أملِي ، والنفْسُ تلوم ، والاجتهاد يُعذِر ، وإذ باغتك فقطني » .

وخرج عبد العزيز بن زُرارة مع يزيد بن معاوية إلى الصائفة^(۶) ، فهلك هناك ، فكتب يزيد إلى أبيه معاوية بذلك ، فقال معاوية لزُرارة : أتاني اليوم نعيُّ سيد شباب العرب ، قال زُرارة : يا أمير المؤمنين هو ابني أو ابنك ؟ قال : بل ابنك ، قال : لدوت ما تلدِ الوالدة .

(العقد للفرید ۱ : ۱۱۸ ، وصیح الأعمش ۱ : ۲۵۷ ، والبیان والتبیین ۲ : ۳۷ ، والأمال ۱ : ۲۰۱)

(۱) فی صیح الأعمش « عبد العزی » فی الأمال : « قال رجل لعبد الملك بن مروان . . . الخ » .

(۲) جمع ذؤابة : وهی الجلدة المملقة علی آخرة الرجل ، فی صیح الأعمش « ذوائب الرجاء » .

(۳) وسمه بسمه : علمه بعلامة . (۴) فحسبى . (۵) المراد جن علی ، وأحدثت فی ظلمته ،

یقال : ألوی به : ذهب به ، وألوت به العنقاء : طارت به ، وألوی بما فی الإناء : استأثر به .

(۶) الصائفة : فزوة الروم ، لأنهم كانوا یغزون صیفا لسكان البرد والثلج .

۳۶۵ - وفود زید بن مُنیة علی معاویة

قدم زید بن مُنیة علی معاویة من البصرة ، (وهو أخو یعلی بن منیة ^(۱) صاحب
 جبل عائشة ، ومتولی تلك الحروب ، ورأس أهل البصرة ، وكان عتبة بن أبی سفیان
 قد تزوج ابنة یعلی بن مُنیة) ، فلما دخل علی معاویة شکا إلیه دیناً لزمه ، فقال : یا کعبُ
 أعطه ثلاثین ألفاً ، فلما ولی قال : ولیوم الجمل ثلاثین ألفاً أخرى ، ثم قال له : الخلق
 یبهزک ، (یعنی عتبة ، وكان یومئذ عامل مصر) فقدم علیه مصر ، فقال :
 « إنی سرت إلیک شهرین أخوضُ فیهما المتآلیفَ ، ألبسُ أردیةَ اللیل مرةً ،
 وأخوضُ فی لُججِ السراب ^(۲) أخرى ، مُوقراً ^(۳) من حُسن الظن بک ، وهارباً من
 دهرٍ قَطَم ^(۴) ، ودين لزم ^(۵) ، بعد غنی جدّنا به أنوفَ الحاسدین ، فلم أجد إلا إلیک
 مَهْرَباً ، وعلیک مَمَوَلاً » ، فقال عتبة : « مرحباً بک وأهلاً ، إن الدهر أعارکم غنی ،
 وخاطکم بنا ، ثم استرد ما أمکنه أخذهُ ، وقد أبقى اکم منا ما لا ضیقة ^(۶) معه ، وأنا
 واضع یدی ویدک ید الله » ، فأعطاه ستین ألفاً كما أعطاه معاویة .

(العقد القربد ۱ : ۱۱۸ ، وصبح الأعتی ۱ : ۲۵۷)

(۱) فی صبح الأعتی والعقد «منبه» بالباء وهو تصحیف والصواب «منیة» وهو اسم أمه ، واسم أبیه أمیة ،
 وللتصحیح من تاریخ الکامل لابن الأثیر. وكان یعلی عاملاً امثمان رضی الله عنه علی البین ، فلما ولی علی رضی الله عنه
 الخلافة عزله ، وولی علی البین عبید الله بن عباس ، فانصرف یعلی إلى مكة ومعه مال کثیر ، وانضم إلى السیة
 عائشة رضی الله عنها فی قتال علی فی وقعة الجمل . (۲) السراب : ما تراه نصف النهار كأنه ماء .

(۳) محملاً من الوقر بالکسر: وهو الحمل الثقیل أو أعم ، وأوقر الدابة إیقاراً .

(۴) یروی بالقاف ، فطمه وقطمه : قطعه ، وضبط فی صبح الأعتی بالقاف ، وبالطاء
 المكسورة وصف من قطم کقرح : اشتبهی اللحم أو غیره . (۵) وفی صبح الأعتی : « ودين لزم »
 وأزم کضرب وفرح : عرض بالفم کله شديداً . (۶) الضيقة : الفقر وسوء الحال ، ویفتح .

۳۶۶ - وفود ضرار بن حمزة الصدائي على معاوية

دخل ضرار بن حمزة الصدائي^(۱) (وكان من خواص علي كرم الله وجهه) على معاوية وافداً ، فقال له : يا ضرار ، صف لي علياً ، قال : أعفني يا أمير المؤمنين ، قال : لتصفنّه ، قال : « أما إذ لا بدّ من وصفه ، فكان والله بعيد المدى^(۲) ، شديد القوى ، يقول فصلاً ، ويحكم عدلاً ، يتفجّر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل ووحشته ، وكان والله غزير العبرة ، طويل الفكرة ، يُقلّب كفه ، ويخاطب نفسه ، يُعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما خشن ، كان فينا كأحدنا ، يُجيبنا إذا سألناه ، ويُنبئنا إذا استنبأناه ، ونحن مع تقريبه إيانا ، وقربه منا ، لا نكاد نكلمه لهيئته ، ولا نبتدئه لعظمته ، يُعظم أهل الدين ، ويحب المساكين ؛ لا يطمع القوي في باطله ، ولا يبئس الضعيف من عدله . وأشهد لقد رأيت في بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوره^(۳) ، وغارت نجومه ، وقد مثل في محرابه قابضاً على لحيته ، يعمل تامل السليم^(۴) ، ويبكي بكاء الحزين ، ويقول : يا دنيا غرّني غيري ، ألي تعرّضت ، أم إلى تشوّقت ؟ هيهات هيهات اقد باينتك ثلاثاً لا رجعة فيها ، فمرك قصير ، وخطرك^(۵) حقير ، آه من قلة الزاد ، وبعد السفر ، ووحشة الطريق ! » فبكي معاوية وقال : رحم الله أبا الحسن ، فلقد كان كذلك ، فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال : حزن من ذبح واحداً في حجرها .

(الأمال ۲ : ۱۴۹ ، ومروج الذهب ۲ : ۴۷ ، وشرح ابن

أبي الحديد م ۴ : ص ۲۷۶ ، وزهر الآداب ۱ : ۴۷)

(۱) صداء كغراب : حتى باليمن . (۲) الغاية . (۳) السدول : جمع سدل بالضم والسكر ،

وهو الستر . (۴) السليم : الملدوغ ، وسمى بذلك تفاؤلاً له بالسلامة ، كما تسمى البيداء مفازة :

تفاؤلاً بالفوز . (۵) الخطر : القدر .

الوافدات على معاوية

٣٦٧ - وفود سودة بنت عمارة على معاوية

وَفَدَّتْ سَوْدَةُ بِنْتُ عِمَارَةَ بْنِ الْأَشْتَرِ الْهَمْدَانِيَّةَ ، عَلَى مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ ، فَاسْتَأْذِنَتْ عَلَيْهِ فَأَذِنَ لَهَا ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ سَأَلَتْ ، فَقَالَ لَهَا : كَيْفَ أَنْتِ يَا بِنْتَ الْأَشْتَرِ ؟
قَالَتْ : بِخَيْرٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ لَهَا : أَنْتِ الْقَائِلَةُ لِأَخِيكَ يَوْمَ صَفَيْنَ ؟ :

شَمَّرٌ كَفَعِلَ أَبِيكَ يَا بِنْتُ عِمَارَةَ يَوْمَ الطَّعْمَانِ وَمُلْتَقَى الْأَفْرَانِ
وَأَنْصُرُ عَلِيًّا وَالْحُسَيْنَ وَرَهْطَهُ وَأَقْصِدُ لِهِنْدٍ وَابْنِهَا سَهْوَانَ
إِنَّ الْإِمَامَ أَخُو النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ عِلْمَ الْهَدَى وَمَنَارَةَ الْإِيمَانِ
فَقَدْ الْجِيُوشَ وَسِيرَ أُمَامَ لَوَائِهِ قَدُمًا بِأَبْيَضٍ صَارِمٍ وَسِنَانٍ^(١)

قالت : إى والله ، ما مثلى من رَغِبٍ عن الحق ، أو اعتذر بالكذب ، قال لها :
فما حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ قالت : حُبُّ عَلَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَاتِّبَاعُ الْحَقِّ ، قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا أَرَى
عَلَيْكَ مِنْ أَثَرِ عَلَى - شَيْئًا ، قَالَتْ : أَشَدُّكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِعَادَةَ مَا مَضَى ، وَتَذْكَارَ
مَا قَدْ نَسِيَ ، قَالَ : هِيَاتِ لِمَا مِثْلُ مَقَامِ أَخِيكَ يُنْسَى ، وَمَا لَقِيتُ مِنْ أَحَدٍ مَا لَقِيتُ
مِنْ قَوْمِكَ وَأَخِيكَ ، قَالَتْ : صَدَقْتَ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا كَانَ أَخِي حَقِيَّ الْمَقَامِ ،
ذَلِيلَ الْمَكَانِ ، وَلَكِنْ كَمَا قَالَتِ الْخُدَّاءُ :

وَإِنْ صَخْرًا لَتَأْتِمُ الْهَدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ^(٢)

(١) القدم : الشجاع ؛ وفى بلاغات النساء : « فقه الخوف وسر أُمَامَ لَوَائِهِ » .

(٢) العلم : الجبل .

قال : صدقت ، لقد كان كذلك ، فقالت : مات الرأس وَبِتَرَ الذَّنْبِ ، وبالله
 أسأل أمير المؤمنين إغفائي مما استَغْفَيْتُ منه ، قال : قد فعلتُ ، فقولى حاجتك ،
 قالت : يا أمير المؤمنين ، إنك أصبحت للناس سيِّداً ، ولأمورهم مُتَقَلِّداً ، والله سَأَلْتُكَ
 عن أمرنا وما افترض عليك من حَقِّنَا ، ولا تزال تُتَقَدَّم علينا من يَنْهَضُ بِعِزِّكَ ، وَيَبْسُطُ
 سُلْطَانَكَ ، فَيَحْصِدُنَا حِصَادَ السَّنْبُلِ ، وَيَدُوسُنَا دِيَّاسَ^(۱) البقر ، وَيَسُومُنَا^(۲) الخبيسة ،
 وَبَسَلْبُنَا الْجَلِيلَةَ ، هذا ابن أَرْطَاة^(۳) قَدِيمِ بِلَادِي ، وَقَتَلَ رِجَالِي ، وَأَخَذَ مَالِي ، وَلَوْلَا الطَّاعَةُ
 لَكُنَّا فِيْنَا عِزٌّ وَمَنْعَةٌ ، فَإِمَّا عَزَلْتَهُ عَنَّا فَشَكَرْنَاكَ ، وَإِمَّا لَا فَعَرَفْنَاكَ ، فَقَالَ معاوية :
 يَا أَيَّ تَهْدِيدِينَ بِقَوْمِكَ ؟ وَاللَّهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُحِجَّكَ عَلَى قَتَبِ^(۴) أَمْرَس فَأَرَدْتُكَ إِلَيْهِ ،
 يُنْفِذُ فِيكَ حِكْمَهُ ، فَأَطْرَقَتْ تَبْكِي ، ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ :

صَلَّى الْإِلَهُ عَلَى رُوحِ تَضَمَّنَهُ قَبْرٌ فَأَصْبَحَ فِيهِ الْعَدْلُ مَدْفُونًا

قَدْ حَالَفَ الْحَقُّ لَا يَبْغِي بِهِ نَمْنًا فَصَارَ بِالْحَقِّ وَالْإِيمَانِ مَقْرُونًا

قال : ومن ذلك ؟ قالت : هلَى بن أبي طالب ، رحمه الله تعالى ، قال : وما صنع بك
 حتى صار عندك كذلك ؟ قالت : أتيتته يوماً في رجل ولأه صدقاتنا ، فكان بيننا وبينه
 ما بين الغث^(۵) والسمين ، فوجدته قائماً يُصَلِّي ، فانفقل من الصلاة ، ثم قال برأفته

(۱) الدوس والدياس والدياسة : اللوطه بالرجل . (۲) يكلفنا . (۳) هو بسر بن أرتاة ،
 وقيل ابن أبي أرتاة ، وكان معاوية في أيام علي سيره إلى الحجاز واليمن ليقتل شيعة علي ويأخذ البيعة له ، فسار
 إلى المدينة ، ففعل بها أفعالا شنيعة ، وسار إلى اليمن ؛ وكان عليها عبيد الله بن العباس من قبل علي ، فهرب
 عبيد الله فنزلها بسر ، وذبح عبد الرحمن وقثم ابني عبيد الله وها صغيران بين يدي أمهما مائسة بنت عبد المدان ؛
 فأصابها من ذلك حزن عظيم ؛ فأنشأت تقول :

يا من أحسن بنبي الذين هما كالدريتين تشظي ههما الصدف

يا من أحسن بنبي الذين هما سمى وقلبي ؛ فقلبي اليوم محتطف

يا من أحسن بنبي الذين هما مخ العظام ؛ فخي اليوم مزدهف

(۴) القتب : الإكاف الصغير على قدر سنام البعير ، والمراد به هنا البعير لوصفه بالأشرس فيه مجاز ؛

أو الأشرس : الحشن الغليظ . (۵) الغث : المهزول .

وتعطف : ألك حاجة ؟ فأخبرته خبر الرجل ، فبكى ثم رفع يديه إلى السماء ، فقال : اللهم إنك أنت الشاهد علىّ وعليهم ، إنى لم أمرهم بظلم خلقك ، ولا ترك حقتك ، ثم أخرج من جيبه قطعة من جراب ، فكتب فيها :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ^(۱) ، وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ، وَلَا تَعْتُوا ^(۲) فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ، بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ، وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ، إِذَا تَاكَ كِتَابِي هَذَا فَاحْتَفِظْ بِمَا فِي يَدِكَ مِنْ عَمَلِنَا ، حَتَّى يَأْتِي مَنْ يَقْبِضُهُ مِنْكَ وَالسَّلَامُ . »
فأخذته منه والله ما خزّمه بخزّام ، ولا ختمه بختّام ^(۳) فقرأته ، فقال معاوية : اكتبوا لها بالإنصاف لها ، والعدل عليها ، فقالت : ألى خاصة ، أم لقومى عامة ؟ قال : وما أنت وغيرك ؟ قالت : هى والله إذّن الفحشاء واللوم ، إن لم يكن عدلا شاملا ، وَإِلَّا يَسَعْنِي مَا يَسَعُ قَوْمِي ، قال : هيات ا لمظكم ^(۴) ابن أبى طالب الجُرّاة على السلطان فبطيئا ما تفتطمون ، وغرّ كم قوله :

فَلَوْ كُنْتُ بَوَّابًا عَلَى بَابِ جَنَّةٍ لَقُلْتُ لِهَمْدَانَ أَدْخُلُوا بِسَلَامٍ

وقوله :

نَادَيْتُ هَمْدَانَ وَالْأَبْوَابُ مُغْلَقَةٌ وَمِثْلُ هَمْدَانَ سَنَى فَتَحَةَ الْبَابِ ^(۵)

كَأَلْهِنْدُوَانِي لَمْ تُفَلِّلْ مَضَارِبُهُ وَجَهُ جَمِيلٌ وَقَلْبٌ غَيْرُ وَجَابٍ ^(۶)

اكتبوا لها واقومها . (المعقذ الفريد ۱ : ۱۲۹ ، وبلاغات النساء ص ۳۵)

(۱) القسط : العدل . (۲) عتا يعثو عثوا : أفسد . (۳) الخزام جمع خزامة بالسكمر ، وهى فى الأصل : حلقة تجمل فى أحد جانبي منخرى البعير ، وخزامة النعل : سير رقيق يخزم بين الشراكين . الختام : الطين يحم به على الشيء ، (والحاتم : ما يوضع على الطينة) . (۴) التلمظ : التدوق ، وأن يحرك الإنسان لسانه فى فم بعد الأكل ، ينتج به بقية من الطعام بين أسنانه ، ويخرجه فيسمع به شفتيه ، واسم ما بقى فى الفم العاظة بالضم ، ويقال : لفظ فلانا (بالتشديد) لماظة : أى شيئا يتلمظه ، ولفظه من حقه شيئا : أعطاه (والعامة تبدل الظاء ضادا) . (۵) سناه تسنية : سهله وفتحته . (۶) سيف هندوانى بكسر الهاء ، ويجوز ضمها إتباعا للدال مندرج إلى الهند ، ووجاب من وجب القلب وجيبا إذا خفق .

۳۶۸ - وفود أم سنان بنت خيثة على معاوية

حبس مروان بن الحكم ، وهو والى المدينة ، في خلافة معاوية ، غلاما من بني ليث في جنابة جناها ، فأتته جدة الغلام ، وهي أم سنان بنت خَيْثَمَةَ^(۱) المذحجِيَّة ، فكلَّمته في الغلام فأغلظ لها مروان ، فخرجت إلى معاوية ، فدخلت عليه فانتسبت فعرَّفها ، فقال لها : مَرَّحَبًا بِكَ يَا بِنْتَ خَيْثَمَةَ ، مَا أَقْدَمَكَ أَرْضَنَا ، وَقَدْ عَاهَدْتُكَ تَشْتَمِينَنَا^(۲) وَتَحْضِنُ عَلَيْنَا عَدُوَّنَا ؟ قَالَتْ : إِنْ لَبِنِي عَبْدٌ مَنَافَ أَخْلَاقًا طَاهِرَةً ، وَأَعْلَامًا ظَاهِرَةً ، وَأَحْلَامًا وَافِرَةً ، لَا يَجْهَلُونَ بَعْدَ عِلْمٍ ، وَلَا يَسْفَهُونَ بَعْدَ حِلْمٍ ، وَلَا يَنْتَقِمُونَ بَعْدَ عَفْوٍ ، وَإِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاتِّبَاعِ مَا سَنَّ آبَاؤُهُ لَأَنْتَ ، قَالَ : صَدَقْتِ ، نَحْنُ كَذَلِكَ ، فَكَيْفَ قَوْلُكَ ؟

عَزَبَ الرَّقَادُ ، قَمُقَلَتِي لَا تَرُفُدُ وَاللَّيْلُ يُضْدِرُّ بِالْمُومِ وَيُورِدُ^(۳)
يَا آلَ مَذْحِجٍ ، لَا مَقَامَ ، فَشَمِّرُوا إِنَّ الْعَدُوَّ لِيَّالٍ أَحَدًا يَقْصِدُ
هَذَا عَلَى كَلْمٍ لَلَّالِ تَحْفَهُ وَسَطَ السَّمَاءِ مِنَ الْكَوَاكِبِ أَسْعَدُ^(۴)
خَيْرُ الْخَلَائِقِ وَابْنُ عَمِّ مُحَمَّدٍ إِنَّ يَهْدِيكُمْ بِالنُّورِ مِنْهُ تَهْتَدُوا
مَا زَالَ مَذْ شَهِدَ الْحُرُوبَ مُظْفَرًا وَالنَّصْرُ فَوْقَ لَوَائِهِ مَا يُفْقَدُ
قَالَتْ : قَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ لَنَا خَلْفًا بَعْدَهُ ، فَقَالَ
رَجُلٌ مِنْ جَلَسَائِهِ : كَيْفَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ وَهِيَ الْقَائِلَةُ :
إِنَّمَا هَلَكْتَ يَا الْحُسَيْنُ فَلَمْ تَزَلْ بِالْحَقِّ تُعْرِفُ هَادِيًا مَهْدِيًا
فَاذْهَبْ ، عَلَيْكَ صَلَاةُ رَبِّكَ مَا دَعَتْ فَوْقَ الْفُصُوفِ حَمَامَةٌ قُمْرِيًّا^(۵)

(۱) في صبح الأعشى « جشمية » ، وهو تحريف : وتحريره : ما ذكرنا . (۲) وفي بلاغات النساء : « تشنين قربي » أي تبغضين . (۳) عزب : بعد . (۴) سعود النجوم عشرة : سعد بلع (بضم ففتح) وسعد الأنجبية ، وسعد الذابح ، وسعد السعود ، وهذه الأربعة من منازل القمر ، وسعد نائرة ، وسعد الملك ، وسعد البهام ككتاب ، وسعد الهمام كشجاع ، وسعد البارح ، وسعد مفر . وهذه الستة ليست من المنازل . (۵) ضرب من الحمام والجمع قاري .

قد كنت بعد محمد خلفاً كما أوصى إليك بنا ، فكنت وفياً
واليوم لا خلفٌ يؤمل بعده هيهات نأملُ بعده إنسياً
قالت : يا أمير المؤمنين لسان نطق ، وقول صدق ، واثن تحقق فيك ما ظننا ،
لحظك الأوفر ، والله ما أورتك الشنآن^(۱) في قلوب المسلمين إلا هؤلاء ، فأدحض
مقاتلهم ، وأبعد منزلتهم ، فإنك إن فعلت ذلك تزدد من الله قرباً ، ومن المؤمنين
حباً ، قال : وإنك لتقولين ذلك ؟ قالت : ياسبحان الله ، والله ما منك من مدح
يباطل ، ولا اعتذر إليه بكذب ، وإنك لتعلم ذلك من رأينا ، وضمير قلوبنا ، كان والله
على أحب إلينا منك ، وأنت أحب إلينا من غيرك قال : بمن ؟ قالت : من مروان
ابن الحكم وصعيد بن العاص . قال : وبم استحققت ذلك عندك ؟ قالت بسعة حلك ،
وكریم عفوك ، قال : وإنيما يطعمان في ذلك ؟ قالت : هما والله لك من الرأي على مثل
ما كنت عليه لعثمان بن عفان رحمه الله تعالى^(۲) . قال : والله لقد قاربت ، فما حاجتك ؟
قالت : يا أمير المؤمنين إن مروان تبنتك^(۳) بالمدينة تبنتك من لا يريد منها البراح ،
لا يحكم بعدل . ولا يقضي بسنة ، يتبع عثرات المسلمين ، ويكشف عورات المؤمنين ،
حبس ابن ابني ، فأتيته ، فقال : كيت وكيت ، فألقمته أحسن من الحجر ، وألقمته
أمر من الصبر ، ثم رجعت إلى نفسي باللائمة ، وقلت : لم لا أصرف ذلك إلى من هو
أولى بالعموم منه ، فأتيتك يا أمير المؤمنين لتكون في أمري ناظراً ، وعليه معدياً^(۴) ،
قال : صدقت ، لا أسألك عن ذنبه ولا عن القيام بحجته ، اكتبوا لها بإطلاقه . قالت :
يا أمير المؤمنين ، وأني لى بالرجعة ، وقد نفذ زادي ، وكلت راحتي ، فأمر لها برحلة
موظاة ، وخمسة آلاف درهم .

(المقد الفريد ۱ : ۱۳۱ ، وصبح الأعشى ۱ : ۲۵۷ ، وبلاغات النساء ص ۶۷)

(۱) البغض . (۲) تريد أنهما بأملان الخلافة بعدك كما كنت تأملها بعد عثمان . (۳) تبنتك
به : أقام . (۴) أهداد عليه : نصره ، وأمانه ، وترواه .

۳۶۹ - وفود بکارة الهلالية على معاوية

استأذنت بکارة الهلالية على معاوية بن أبي سفيان ، فأذن لها وهو يومئذ بالمدينة ،
فدخلت عليه ، وكانت امرأة قد أسنّت ، وعَشِي (۱) بهرماً ، وضعت قوتها ، ترعش
بين خادمين لها ، فسلمت وجلست فردّ عليها معاوية السلام ، وقال : كيف أنت
يا خالة ؟ فقالت : بخير يا أمير المؤمنين ، قال : غَيْرِكَ الدهرُ ، قالت : كذلك هو
ذو غَيْر (۲) ، من عاش كبير ، ومن مات قَبِير ، قال عمرو بن العاص : هي والله القائلة
يا أمير المؤمنين :

يا زیدُ دونك فأحتقر من دارنا سيمًا حُسَامًا في التراب دفينًا
قد كنتُ أذخرُهُ ليوم كربيّة فاليوم أبرزَه الزمانُ مَصُونًا

قال مروان : وهي والله القائلة يا أمير المؤمنين :

أرى ابنَ هندی للخلافة مالِكا هيات ، ذاك - وإن أراد - بعیدُ
مَنَّتْكَ نفسك في الخلاءِ ضلالة أغراك عمرو للشفا وسَعِيدُ

قال سعيد بن العاص هي والله القائلة :

قد كنتُ أطمع أن أموت ولا أرى فوق المنابرِ من أميةَ خاطبا
فاللهُ أخرُ مُدَّتِي فتناولت حتى رأيت من الزمانِ عجائبها
في كلِّ يومٍ لزمانٍ خَطِيبُهُم بين الجميعِ لآلِ أحمدَ عابها

ثم سكت القوم ، فقالت بکارة : نبعثني كلابك يا أمير المؤمنين واعتورتني ،
فقصرَ مَحْجَبِي (۳) ، وكثرَ عَجَبِي ، وَعَشِي بَهْرِي ، وَأَنَا وَاللهِ قائلة ما قالوا ، لا أدفعُ ذلك
بتكذيب ، وما خفي عليك مني أكثر ، فامضِ لشأنك ، فلا خيرَ في العيش بعد

(۱) ضيف . (۲) ذو أحداث . (۳) تناوبتني وتداولتني ، والمهجن : للمصا المعطوفة الرأس .

أمیر المؤمنین ، فضحك معاوية وقال : ليس بمنعنا ذلك من برك ، اذكرى حاجتك ،
قالت : أما الآن فلا .

وقيل : إنه قد قضي حوائجها وردّها إلى بلدها .

(المقد الفريد ۱ : ۱۳۰ / ، وبلاغات النساء ص ۲۹)

۳۷۰ - وفود أروى بنت الحارث بن عبد المطلب على معاوية

دخلت أروى بنت الحارث بن عبد المطلب على معاوية وهي عجوز كبير ، فلما رآها
معاوية قال : مرحباً بك وأهلاً يا عمّة ، فكيف كنت بعدنا ؟ فقالت : « يا بن أخي ،
لقد كفرت يدّ النعمة ، وأسأت لابن عمك الصّحبة ، وتسميت بغير اسمك ، وأخذت
غير حقلك ، من غير بلاء كان منك ولا من آبائك ، ولا سابقة في الإسلام ، ولقد كفرتم
بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، فأنمس الله منكم الجُدود^(۱) ، وأضرع^(۲) منكم
الخدود ، وردّ الحق إلى أهله ، ولو كره المشركون ، وكانت كلمتنا هي العليا ، ونبينا
صلى الله عليه وسلم هو المنصور ، فوايتم علينا من بعده - وتحتجون بقرابتكم من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، أقرب إليه منكم ، وأولى بهذا الأمر - فكنا فيكم بمنزلة بنو إسرائيل
في آل فرعون ، وكان عليّ بن أبي طالب رحمه الله بعد نبينا صلى الله عليه وسلم بمنزلة
هرون من موسى^(۳) ، ففابتدنا الجنة ، وغايتكم النار .

فقال لها عمرو بن العاص : كفى أيتها العجوز الضالة ، وأقصرى من قولك ، وغضى

(۱) جمع جد: وهو الحظ . (۲) أذل ، وفي بلاغات النساء وأصغر . (۳) رواية
بلاغات النساء : « فكنا أهل البيت أعظم الناس في الدين حظاً ، وفصيلاً وقدراً ، حتى قبض الله نبيه صلى
الله عليه وسلم ، فنفورا ذنبه ، مرفوعاً درجته ، شريفاً عند الله مرضياً ، فصرنا أهل البيت منكم بمنزلة قوم
موسى من آل فرعون ، يذبحون أبناءهم ، ويستحيون نساءهم ، وصار ابن عم سيد المرسلين فيكم بعد نبينا
بمنزلة هرون من موسى حيث يقول : « يَا بَنِيَّ أُمَّ إِنَّ الْيَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي ، وَكَادُوا يَقْتُلُونِي »
ولم يجمع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم شمل ، ولم يسهل لنا وهم .

من طرفك، قالت : ومن أنت ، لا أم لك ؟ قال : عمرو بن العاص ، قالت : يا ابن اللخناء (۱) النابغة تتكلم ، وأمك كانت أشهر امرأة تغنى بمكة ، وآخذهن لأجرة ! اربع على ظلمك ، واعن بشأن نفسك ، فوالله ما أنت من قريش في الأبواب من حسبها ، ولا كريم منصبيها ، ولقد ادعاك خمسة (۲) نفر من قريش ، كلهم يزعم أنه أبوك ، فسئلت أمك عنهم ، فقالت : كلهم أتاني ، فانظروا أشبههم به ، فألحقوه به ، فقلب عليك شبه العاص ابن وائل ، فاحقت به ، ولقد رأيت أمك أيام منى بمكة مع كل عبد عاهر (۳) . فأنتم بهم فإنك بهم أشبه .

فقال مروان : كفى أيتها العجوز ، وأفصرى لما جئت له ، ساخ بصرك مع ذهاب عقلك ، فلا تجوز شهادتك ، فقالت : وأنت أيضاً يا ابن الزرقاء تتكلم ؟ فوالله لأنت إلى سفيان بن الحارث بن كلدة أشبه منك بالحكم ، وإنك لشبهه في زُرقة عينيك ، ووحرة شعرك ، مع قصر قامته ، وظاهر دقَامته (۴) ، ولقد رأيت الحكم ماذ (۵) للقامة ، ظاهر الإمة (۶) ، سبط (۷) الشعر ، وما بينكما قرابة إلا كقرابة الفرس الضامر من الأتان المقرب (۸) ، فاسأل أمك تخبرك بشأن أبيك إن صدقت ، ثم التفتت إلى معاوية ، فقالت : والله ما جرأ على هؤلاء غيرك ، وإن أمك للقائلة يوم أحد في قتل حمزة رحمة الله عليه :

نحن جزبناكم بيوم بدرٍ والحربُ بعد الحرب ذاتُ سَعْرِ (۹)
ما كان عن عُتْبَةَ لى من صَبْرِ أَبِي وَعَمِّي وَأَخِي وَصِهْرِي (۱۰)

(۱) رجل ألحن وأمة اللحناء : لم يختار ، ولحن السقاء ، وغيره كقروح : أنتن ، والجوزة فسدت ، ومن شتم العرب « يا ابن اللخناء » كأنهم يقولون ياهن الأصل ، أو يالتم الأم ، والنابغة أم عمرو ، وقد تقدمت - انظر ص ۲۵ . (۲) وفي بلاغات النساء « ستة » . (۳) فاجر . (۴) الدمامة : القبح . (۵) مبتدأ . (۶) الإمة بالسكرويضم : الشأن والنعمة والهيئة . (۷) طويلة . (۸) الأتان : الحمار ، والمقرب التي قرب ولادها فيكون بطنها كبيرا . (۹) السعر بالفتح مصدر سعرت الحرب : أي أوقدها ، وبالضم : الجنون . (۱۰) قتلوا أربعمهم يوم بدر : أبوها عتبة بن ربيعة بن عبد شمس - قيل اشترك في قتله علي ، وحمزة ، وعبيدة بن الحرث بن عبد المطلب - وعمها شيبه بن ربيعة - قتله حمزة - وأخوها الوليد بن عتبة - قتله علي - وابن زوجها حنظلة بن أبي سفيان - وليست هند أمه ، قيل اشترك في قتله حمزة ، وعلي ، وزيد بن حارثة .

شَفَيْتَ (وَحْشِيٌّ) غَلِيلَ صَدْرِي شَفَيْتَ نَفْسِي وَقَضَيْتَ نَذْرِي (۱)
فَشَكَرُ وَحْشِيٌّ عَلَيَّ دَهْرِي حَتَّى تَرِمَّ أُعْظَمِي فِي قَبْرِي (۲)

فاجبتها :

يَابْتَ جَبَّارِ عَظِيمِ الْكُفْرِ خَزَيْتَ فِي بَدْرِ وَغَيْرِ بَدْرِ
صَبَّحَكَ اللَّهُ قُبَيْلَ الْفَجْرِ بِالْهَاشِمِيِّينَ الطَّوَالِ الزُّهْرِ (۳)
بِكُلِّ قَطَاعٍ حُسَامٍ يَنْفِرِي حَمْرَةَ لَيْثِي ، وَعَلَى صَقْرِي

فقال معاوية لمروان وعمرو : ويلكما ! أنماء ضئلتاني لها ، واسمعتاني ما أكره ،
ثم قال لها : يا عمة أقصدي قصد حاجتك ، ودعي عنك أساطير للنساء ، قالت :
تأمر لي بألفي دينار ، وألفي دينار ، وألفي دينار ، قال : ما تصنعين يا عمة بألفي دينار ؟
قالت : أشتري بها عينا خر خارة (۴) في أرض خوار (۵) ، تكون لولد الحارث بن
عبد المطلب ، قال : نعم الموضع وضعتها ، فما تصنعين بألفي دينار ؟ قالت : أزوج بها
فتيان عبد المطلب من أكفائهم ، قال : نعم الموضع وضعتها ، فما تصنعين بألفي دينار ؟
قالت : أستعين بها على عسر المدينة ، وزيارة بيت الله الحرام ، قال : نعم الموضع
وضعتها ، هي لك نعم وكرامة (۶) ، ثم قال : أما والله لو كان علي ما أمر لك بها ،
قالت : صدقت ، إن عليا أدى الأمانة ، وعمل بأمر الله ، وأخذ به ، وأنت ضيقت
أمانتك ، وخنت الله في ماله ، فأعطيت مال الله من لا يستحقه ، وقد فرض الله في كتابه
الحقوق لأهلها وبينها ، فلم تأخذ بها ، ودعانا (أي علي) إلى أخذ حقتنا ، الذي فرض

(۱) وحشي: غلام جبير بن مطعم قاتل حمزة يوم أحد . (۲) رم العظم كضرب وأرم: بيل فهو رميم .
(۳) الزهر: الحصان البيض الوجوه . (۴) الخرخار: الماء الجاري ، أي عين ماء جارية .
(۵) المراد أرض سهلة تصلح للزراعة ، من قولهم: خوار العنان ، أي سهل المعطف ، كثير الجرى .
(۶) يقال: نعم عين ونعمة ونعام ونعيم بفتحهم ، ونعمي ونعماي ونعام ونعم ونعمة بضمهم ، ونعمة
ونعام بكسرهما : أي أفضل ذلك إنعاما ليعينك وإكراما .

اللہ لنا فشفل بحربك عن وضع الأمور مواضعها ، وما سألتك من مالك شيئاً فتمنّ به ،
 إنما سألتك من حقنا ، ولا نرى أخذ شيء غير حقنا ، أتذكر علينا ؟ قض الله فاك^(۱) ،
 وأجهد بلاءك ، ثم علا بكاؤها وجعلت تندب علينا ، فأمر لها بستة آلاف دينار ، وقال
 لها : يا عمّة : أنفق هذه فيما تحبّين ، فإذا احتجبتِ فأكتبني إلى ابن أخيك يحسن صفدك^(۲)
 ومعونتك ، إن شاء الله . (المقد الفريد ۱ : ۱۳۴ ، بلاغات النساء ص ۳۲)

۳۷۱ — أم البراء بنت صفوان ومعاوية

استأذنت أم البراء بنت صفوان على معاوية فأذن لها ، فدخلت عليه وعليها ثلاثة
 دروع^(۳) (برود) تسحبها ذراعا ، قد لائت^(۴) على رأسها كوراً كالمنسف ،
 فسلمت وجلست ، فقال لها معاوية : كيف أنتِ يا بنت صفوان ؟ قالت : بخير
 يا أمير المؤمنين ، قال : كيف حالك ؟ قالت ضعفت بعد جلد ، وكسيت بعد نشاط ،
 قال : شتان بينك اليوم وحين تقولين :

يا زيدُ دونك صارماً ذا روثي غضب المهزّة ليس بالحوار^(۵)
 أسرج جوادك مسرعاً ومشمراً للحرب غير ممرّد لفرار^(۶)
 أجب الإمام وذّب نحت لوائه واللق للعدو بصارم بثار
 يا ليتني أصبحت لست قعيدة فأذب عنه عساكر الفجار

قالت : قد كان ذلك ، ومثلك من عفا ، والله تعالى يقول : « عفا الله عما سلف ،
 ومن عاد فنتقم الله منه » قال : هيات ، أما والله لو عاد أعدت ، ولكنه

(۱) تدعو عليه : أي نثر الله أسنانك . (۲) الصفد : العطاء . (۳) درع المرأة : قميصها
 (مذكر) ودرع الحديد مؤنث وقد يذكر . (۴) اللوث : عصب العمامة ، والكور : لوث العمامة
 وإدارتها ، والمنسف : ما ينفخ به الحب ، شيء طويل منصوب الصدر أعلاه مرتفع . (۵) الغضب :
 السيف القاطع ، والحوار من خار : إذا ضعف وكل . (۶) مرد تعريداً ، ومرد كسع : حرب .

اخْتَرِمَ^(۱) مِنْكَ ، قَالَتْ : أَجَلٌ ، وَاللَّهِ إِنِّي لَعَلِي بَيْنَهُ مَنْ رَبِّي ، وَهَدَىٰ مِنْ أَسْرَىٰ ، قَالَ : كَيْفَ كَانَ قَوْلُكَ حِينَ قُتِلَ ؟ قَالَتْ : أَنْسِيَتْهُ ، قَالَ بَعْضُ جُلَسَائِهِ : هُوَ وَاللَّهِ حِينَ تَقُولُ :

يَا لَرَجَالٍ لِعُظْمِ هَوْلٍ مُصِيبَةٍ فَدَحَّتْ ، فَلَيْسَ مُصَابِهَا بِالْحَائِلِ^(۲)
 الشَّمْسُ كَاسْفَةٍ لَفَقْدِ إِمَامِنَا خَيْرَ الْخَلَائِقِ وَالْإِمَامِ الْعَادِلِ
 يَا خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطِيَّ وَمَنْ مَشَىٰ فَوْقَ التَّرَابِ لِحَيْفٍ أَوْ نَاعِلِ
 حَاشَا النَّبِيَّ لَقَدْ هَدَدَتْ قُورَاءَنَا فَالْحَقُّ أَصْبَحَ خَاضِعًا لِلْبَاطِلِ^(۳)

فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : قَاتِلِكَ اللَّهُ ! فَمَا تَرَكْتِ مَقَالًا لِقَائِلِ ، إِذْ كَرِي حَاجَتِكَ ، قَالَتْ :
 أَمَا الْآنَ فَلَا ، وَقَامَتْ فَعَثَرَتْ ، فَقَالَتْ : تَمَسَّ شَأْنِي عَلَى^(۴) ، فَقَالَ : زَعَمْتِ أَنْ لَا ،
 قَالَتْ هُوَ كَمَا عَلِمْتَ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ بَعَثَ إِلَيْهَا بِجَائِزَةٍ ، وَقَالَ : إِذَا ضِيَعَتْ الْحِلْمُ
 فَنَ يَحْفَظُهُ ؟ (صبح الأُمِّي ۱ : ۲۶۱ بلاغات النساء ص ۷۸)

۳۷۲ - دَارِمِيَّةُ الْحِجْوَانِيَّةُ وَمَعَاوِيَةُ

وَحَجَّ مَعَاوِيَةُ سَنَةً مِنْ سِنِيهِ ، فَسَأَلَ عَنْ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ كَانَتْ تَنْزِلُ
 بِالْحِجْوَانِ^(۵) ، يُقَالُ لَهَا دَارِمِيَّةُ الْحِجْوَانِيَّةُ ، وَكَانَتْ سُودَاءَ كَثِيرَةَ اللَّحْمِ ، وَأُخْبِرَ بِإِلَامَتِهَا ،
 فَبَعَثَ إِلَيْهَا نَجِيءًا بِهَا ، فَقَالَ : مَا حَالُكَ يَا بِنْتَهُ حَامِرٍ ؟ فَقَالَتْ : لَسْتُ لِحَامِرٍ إِنْ عِبْتَنِي ،
 إِنَّمَا أَنَا امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ ، نَمَتْ مِنْ بَنِي أَبِيكَ ، قَالَ : مَدَقْتِ ، أَنْتَ دَرِينٌ لِمَ بَعَثْتِ
 إِلَيْكَ ؟ قَالَتْ : لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ، قَالَ : بَعَثْتِ إِلَيْكَ لِأَسْأَلَكَ : عَلَامَ أَحْبَبْتِ عَلِيًّا
 وَأَبْغَضْتِنِي ، وَوَالَيْتِهِ وَعَادِيَتِنِي ؟ قَالَتْ : أَوْ تُعْفِينِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : لَا أُعْفِيكَ ،

(۱) هلك . (۲) التحول : المتغير . (۳) جمع القوة قوى ، وإنما قالت قوراء ببلاد للضرورة .

(۴) أي مبنضه . (۵) الحجون : جبل بجملة مكة .

قالت : «أما إذ أبيت فإني أحببتُ عالياً على عدله في الرعية ، وقسمه بالسوية ، وأبغضتك على قتال من هو أولى منك بالأمر ، وطببتك^(۱) ما ليس لك بحق ؛ وواليتُ عليا على ما عدله رسول الله صلى الله عليه وسلم من الولاء^(۲) ، وعلى حبة المساكين ، وإعظامه لأهل الدين ؛ وعاديتك على سفكك الدماء ، وشقك العصا ، وجورك في القضاء ، وحكك بالهوى »

قال : المذالك انتفخ بطنك ، وعظمُ ثدياك ، ورَبَّتْ عَجِيْرَتُكَ ، قالت : يا هذا بهند^(۳) والله كان بضرب المثل في ذلك لآبي ، قال معاوية : يا هذه اربعي^(۴) ، فإننا لم نقل إلا خيراً ، إنه إذا انتفخ بطن المرأة تمَّ خنق ولدها ، وإذا عظم ثدياها تروى^(۵) رضيعها وإذا عظمت عَجِيْرَتُهَا رَزُنْ مجامعها ، فرجعت وسكنت ، فقال لها : يا هذه هل رأيت علياً ؟ قالت : إي والله لقد رأيتُه ، قال : فكيف رأيتُه ؟ قالت : رأيتُه والله لم يفتنه الملك الذي فتنتك ، ولم تشغله النعمة التي شغلتك ، قال : فهل سمعتِ كلامه ؟ قالت : نعم والله فكان يجلو القلوب من العمى ، كما يجلو الزيت الطست من الصدأ ، قال : صدقت ، فهل لك من حاجة ؟ قالت : أو تفعل إذا سألتك ؟ قال : نعم ، قالت : تعطيني مائة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيتها ، قل : تصنعين بها ماذا ؟ قالت : أغذو بالبانها الصغار ، وأستحيي بها الكبار ، وأكسب بها المكارم ، وأصلح بها بين العشائر ، قال : فإن أعطيتك ذلك ، فهل أحلّ عندك محلّ عليّ بن أبي طالب ؟ قالت : ما ولا كصداء^(۶) ،

(۱) الطلبة : الطالب . (۲) تشير إلى قوله : اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه .

(۳) هي أمه هند بنت عتبة . (۴) ربع : وقف وانتظر وتحبس . (۵) ارتوى .

(۶) صداء : عين لم يكن عندهم ماء أعذب من مائها . ويروى عن ابنة هاني بن قبيصة : أنه لما قتل لقيط بن زرارمة (من دارم) تزوجها رجل من أهلها ، فكان لا يزال يراها تذاكر لقيطاً ، فقال لها ذات مرة : ما استحسنيت من لقيط ؟ قالت : كل أموره حسن ، ولكنني أحدثك أنه خرج إلى الصيد مرة وقد ابتنى بي ، فرجع إلى ، وبقميصه نضح من دماء صيد ، والمسك يذوق من أعطافه ، ورائحة الشراب من فيه ، فضمتني ضمة ، وشمتني شمة ، فليتني مت ثمة ، ففعل زوجها مثل ذلك ثم ضمها ، وقال لها : أين أنا من لقيط ؟ قالت : ما ولا كصداء .

وَمَرَعِي وَلَا كَالسَّعْدَانِ^(۱) ، رَفْتِي وَلَا كَالِكِ^(۲) ، سُبْحَانَ اللَّهِ أَوْ دُونَهُ ، فَأَنْشَأَ مَعَاوِيَةَ يَقُول :

إِذَا لَمْ أَعُدْ بِالْحَلْمِ مِنْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي بَعْدِي يُؤَمِّلُ لِعِجْمِ
خَذِيئِهَا هَمِيئًا ، وَإِذْ كَرِي فَعَلَ مَا جِدِ جَزَاكَ عَلَى حَرْبِ الْعِدَاوَةِ بِالسَّلْمِ
نَمَّ قَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ عَلَيَّ حَيًّا مَا أَعْطَاكَ مِنْهَا شَيْئًا ، قَالَتْ : لَا وَاللَّهِ
وَلَا وَبَرَّةٍ وَاحِدَةً مِنْ مَالِ الْمُسْلِمِينَ .

(المقد الفريد ۱ : ۱۳۲ وصحيح الأعمش ۱ : ۲۵۹ وبلاغات النساء ص ۶۷)

۳۷۳ - شَدَادُ بْنُ أَوْسٍ وَمَعَاوِيَةَ

وَأَمْرَ مَعَاوِيَةَ شَدَّادِ بْنِ أَوْسِ الطَّائِبِيَّ أَنْ يَتَنَقَّصَ عَلَيًّا ، فَقَامَ فَقَالَ :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي افْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى عِبَادِهِ ، وَجَعَلَ رِضَاهُ عِنْدَ أَهْلِ التَّقْوَى آثَرَ مِنْ رِضَا خَلْقِهِ ، عَلَى ذَلِكَ مَضَى أَوْلَاهُمْ ، وَعَلَيْهِ يَمُضِي آخِرُهُمْ ، أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ الْآخِرَةُ وَعَدُّ صَادِقٍ ، يَتَحَكَّمُ فِيهَا مَلِكٌ قَادِرٌ ، وَإِنْ الدُّنْيَا عَرَضٌ حَاضِرٌ ، يَا كُلُّ مَنْهَا الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ ، وَإِنْ السَّامِعُ الْمُطِيعُ لِلَّهِ لَاحِجَةٌ عَلَيْهِ ، وَإِنْ السَّامِعُ الْعَارِضُ لِلَّهِ لَاحِجَةٌ لَهُ . وَإِنْ اللَّهُ إِذَا أَرَادَ بِالْعِبَادِ صَلَاحًا عَمِلَ عَلَيْهِمْ صَلَاحًا وَهُمْ ، وَقَضَى بَيْنَهُمْ فَهَؤُلَاءِ ، وَمَلَكَ الْمَالِ سَمَّحًا وَهُمْ ، وَإِذَا أَرَادَ بِهِمْ شَرًّا ، عَمِلَ عَلَيْهِمْ سُفْهًا وَهُمْ ، وَقَضَى فِيهِمْ جَهْلًا وَهُمْ ،

(۱) السعدان : نبت ذو شوك ، وهو من أفضل مراعى الإبل ، ولا تحسن حل نبت حسنها عليه ، وأوله من قال ذلك الحنساء بنت عمرو بن الشريد ، وذلك أنها أقبلت من الموسم ، فوجدت الناس مجتمعين على هند بنت عتبة بن ربيعة ، ففرجت عنها وهي تنشدهم مرثي في أهل بيتها ؛ فلما دنت منها قالت : على من تبكين ؟ قالت : أبسكي سادة مضوا ؛ قالت : فأشديني بعض ماقلت ؛ فأشديتها ، فقالت الحنساء : مرعى ولا كالسعدان ثم أشديتها مارثت به أخاها صخرًا . وقيل إن المثل لامرأة من طيبى . كان زوجها امرؤ القيس بن حجر السكندى وكان مفركا (يفتح الراء تبغضه النساء) فقال لها : ابن أنا من زوجك الأول ؟ فقالت : مرعى ولا كالسعدان . (۲) قاله متمم بن نويرة في أخيه مالك لما قتل في الردة . والأمثال الثلاثة تضرب للشيء بفضل على أقرانه .

وملك المال مُبْخَلَاؤُم ، وإن من صلاح الوُلاة أن يصلح قُرْنَاؤُهَا، وَنَصَحَ لَكَ يَا معاوية
مَنْ أَسْخَطَكَ بِالْحَقِّ ، وَغَشَّكَ مِنْ أَرْضَاكَ بِالْبَاطِلِ .

قال : اجلس رحمتك الله قد أمرنا لك بمال ، قال : « إن كان من مالك الذي
تعهدت بجمعه تخافة تبعته ، فأصبتة حلالا ، وأنفقته إفضالا ، فنعم ، وإن كان
ما شاركك فيه المسلمون ، فاحتججته^(۱) دونهم ، فأصبتة افترافا ، وأنفقته إسرافا ،
فإن الله يقول في كتابه : « إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ » .

(البيان والتبيين ۳ : ۲۲۰)

وروى أن معاوية قال له : « يا شداد ، أنا أفضل ، أم عليّ ؟ وأينا أحبُّ
إليك ؟ » ، فقال : « عليّ أقدمُ هجرةً ، وأكثرُ مع رسول الله إلى الخير سابقاً ،
وأشجع منك قلباً ، وأسلم منك نفساً ، وأما الحب ، فقد مضى قبلي ، فأنت اليوم عند الناس
أرجى منه » .

(عيون الأخبار ۲ : ص ۲۱۱)

۳۷۴ — معاوية ورجل من أهل سبأ

وقال معاوية لرجل من أهل سبأ : « ما كان أجهل قومك ، حين ملكوا عليهم
امرأة » ، فقال : « بل قومك أجهل ، قالوا حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى الحق ، وأراهم البيئات : « اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَاباً
مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْنِنَا بِمَذَابِ أَلِيمٍ » ، ألا قالوا : « اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ
فَاهْدِنَا لَهُ » .

(البيان والتبيين ۳ : ۲۲۰)

(۱) احتجج المال : ضمه واحتواه .

۳۷۵ - حدیث معاویہ مع عبد اللہ بن عبد الحجر بن عبد المدان

سأل معاوية بعد الاستقامة^(۱) عبد الله بن عبد الحجر بن عبد المدان فقال له :

كيف علمك بقومك ؟ قال : كعلمي بنفسي ، قال : ما تقول في مراد ؟ قال : مذكر كوا
الأوتار ، وحماة الدمار ، ومحرزوا الخطار^(۲) ، قال : فما تقول في النخع ؟ قال : مانعوا
السرب^(۳) ، ومُسْعِرُو الحرب ، وكاشِفُو الكرب ، قال : وما تقول في بني الحرث ؟
ابن كعب ؟ قال : فرأجو اللكك ، وفرسان العراك ، ولزأز الضكك ، ترأك^(۴)
ترأك ، قال : فما تقول في سعد العشيرة ؟ قال : مانعوا الضيم ، وبأنو الرنم ، وشافو
الغيم^(۵) قال : ما تقول في جعني ؟ قال : فرسان الصباح^(۶) ، ومعلعو الرماح ، ومبارزو
الرياح ، قال : ما تقول في بني زبيد قال : كفاة أنجاد^(۷) ، سادات أنجاد ، وقور عند
الذياد^(۸) صبر عند الطراد ، قال : ما تقول في جنب ؟ قال : كفاة يمنعون عن الحریم ،
ويفرجون عن الكظيم^(۹) ، قال : فما تقول في صداء ؟ قال : سمام الأعداء ،

(۱) أي بعد استقامة الأمر له : هام الجماعة . (۲) جميع وتر : وهو النار ؛ والدمار : ما يلزمك
حفظه وحمايته ؛ والخطار : جمع خطر بالتحريك ، وهو السبق يتراهن عليه . (۳) السرب : مارص
من المال . (۴) اللكك : الزحام ؛ ومثلها الضكك ؛ ولزه كرده : شدة والصقه واللزاز
ككتاب : خشبة يلز بها الباب ؛ وفلان لزاز العظام : أي يلز بها ويقرن ليلاها ومنه قول أبيد :

إنا إذا التقت المجامع لم يزل منا لزاز عظيمة جسامها

وترأك : اسم فعل بمعنى أترك ، والأمر هنا للتعظيم ، أي دِم هؤلا ولا تتحدث بشأنهم ، فإنهم في أسمى
مكان . (۵) الریم : الدرجة والفضل والزيادة ، والغيم : العطش . (۶) الفارة .

(۷) ضبط في الأمالى بفتح الزاي ، وهو خطأ ، زبيد كزبير : بطن من ملحج ، رهن عمرو بن معديكرب
وكامير : بلد باليمن ، وكفاة جمع كفي : وهو الشجاع أو لابس السلاح ، والأنجاد جمع نجد كشم وكنف ورجل :
الشجاع الماضي فيما يعجز غيره . (۸) وقور جمع وقور ، وصبر جمع صبور ، والذياد والذود : الدفع .
(۹) الكظيم والمكطوم : المكروب .

وَمَسَاعِيرُ الْهَيْجَاءِ^(۱) ، قَالَ : فَمَا تَقُولُ فِي رَهَاءِ ؟ قَالَ : بِنَهْنِهُونَ^(۲) عَادِيَةُ الْفَوَارِسِ ،
وَيَبْرِدُونَ الْمَوْتَ وَيُرَدُّ الْخَوَاسِ^(۳) قَالَ : أَنْتِ أَعْلَمُ بِقَوْمِكَ .

(الأمالي ۱ : ۱۶۰)

۳۷۶ - حديث الخيار بن أوفى النهدي مع معاوية

دخل الخيار بن أوفى النهدي على معاوية ، فقال له : يا خيار كيف نجدك ،
وما صنع بك الدهر ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، صدع الدهر قناتي ، وأثكلني لدائي^(۴)
وأوهى عمادي ، وشيب سوادى ، وأسرع في تلامي^(۵) ، ولقد عشتُ زمناً أصبى
الكماب^(۶) ، وأسرت الأصحاب ، وأجيد الضراب^(۷) ، فبان ذلك عني ، ودنا الموت مني ،
وأنشأ يقول :

عَبْرَتْ زَمَانًا يَرْهَبُ الْقِرْنَ جَانِبِي	كَأَنِّي شَدِيمٌ بَاسِلٌ الْقَلْبُ خَادِرٌ ^(۸)
يَخَافُ عَدُوِّي صَوْتِي وَيَهَابُنِي	وَبُكْرِي مَنِي قِرْنِي وَجَارِي الْمَجَاوِرُ
وَتُصْبِي الْكَمَابَ لِمَتِي وَشِمَائِلِي	كَأَنِّي غُضْنٌ نَاعِمٌ النَّبْتُ نَاضِرٌ ^(۹)
فَبَانَ شِبَابِي وَاعْتَرَنِي رَثِيَّةٌ	كَأَنِّي قَنَاةٌ أَطْرَتْهَا الْمَاطِرُ ^(۱۰)
أَدِبٌ إِذَا رُمْتُ الْقِيَامَ كَأَنِّي	لَدَى الْمَشْيِ قَرْمٌ قَيْدُهُ مُتَقَاصِرٌ ^(۱۱)
وَقَصُرُ الْفَتَى شَيْبٌ وَمَوْتُ كَلَاهَا	لَهُ سَائِقٌ يَسْعَى بِذَاكَ وَنَاطِرٌ
وَكَيْفَ يَلْدُ الْعَشُّ مَنْ لَيْسَ زَائِلًا	رَهِينَ أُمُورٍ لَيْسَ فِيهَا مَصَادِرُ

(۱) الهيجاء : الحرب ، وهو مسعر حرب (كدرهم) أي موقد نارها . (۲) يكفون .

(۳) الخمس بالكسر : أن ترعى الإبل ثلاثة أيام ، وترد الرابع ، وهي إبل خوامس .

(۴) اللدة : من ولد معك . (۵) التلاد : المال القديم .

(۶) كمب ثدي الجارية : نهد ، وهي كاعب وكماب . (۷) ضرب الفعل ضرباً : نكح .

(۸) القرن : كفؤك في الشجاعة أو هام . والشميم : الأسد للعابس ، والخصر : أجمة الأسد . ومنه

أسد خادر . (۹) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن . (۱۰) الرثية : وجع المفاصل واليدين

والرجلين . والاطر والتأطير : عطف الشيء ، وناطر الرمح : ثنى واعوج . (۱۱) القرم : الفعل .

فقال معاوية : أحسنت القول ! واعلم أن لها مصادر ، فنسأل الله أن يجعلنا من
الصادرين بخير ، فقد أوردنا أنفسنا موارد نرغب إلى الله أن يصدِرنا عنها وهو راض .
(الأمالي ۲ : ۹۴)

۳۷۷ - حديث عرابة بن أوس بن حارثة مع معاوية

قال معاوية لعرابة بن أوس بن حارثة الأنصاري : بأي شيء سُدَّت قَوْمك يا عرابة ؟
قال : أخبرك يا معاوية بأني كنت لهم كما كان حاتم لقومه . قال : وكيف كان ؟
فأنشدته :

وأصبحتُ في أمرِ العشيَةِ كلِّها كذِي الحِلْمِ يَرْضَى ما يقول ويعرِفُ
وذاك لأنِّي لأعادي سرَّاتهم ولا من أخى خسرَّاتهم أتسكفُ^(۱)
وإني لأعطي سائلي ، ولو سألني أكلَّفُ ما لا أستطيع فأكلَّفُ
وإني لمذمومٌ إذا قيل : حاتم نبا نبوةً ، إن الكريم يعنفُ
ووالله إني لأعفو عن سفيهم ، وأحلمُ عن جاهلهم ، وأسعى في حوائجهم ، وأعطي
سائلهم ، فن فعل ففلي فهو مثلي ، ومن فعل أحسن من ففلي فهو أفضل مني ،
ومن قصر عن ففلي فأنا خير منه ، فقال معاوية : لقد صدق الشماخ حيث
يقول فيك :

رأيت عرابة الأوسى بسمو إلى الخيرات منقطع القرين
إذا ماراية رُفِعَت لمجدٍ تلفأها عرابة باليمن
(الأمالي ۱ : ۲۷۷)

(۱) أي امتنع منه وآنف .

۳۷۸ - سعيد بن عثمان بن عفان و معاوية

دخل سعيد بن عثمان بن عفان رضى الله عنه على معاوية ، وابنه يزيد إلى جانبه ، فقال له : « ائتمنك أبى واصطنعك ، حتى بأتك باصطناعه إياك المدي الذي لا يجارى ، والغاية التي لا تسامى ، فما جازبت أبى بالآله ، حتى قدمت هذا على ، وجعلت له الأمر دونى - وأوما إلى يزيد - والله لأبى خير من أبيه ، وأمى خير من أمه ، ولأنا خير منه » ، فقال معاوية : « أما ما ذكرت يا بن أخى من تواتر آلائكم على ، وتظاهر نعمائكم لى ، فقد كان ذلك ، ووجب على المكافأة والمجازاة ، وكان شكرى إياه أن طلبت بدمه ، حتى كابدت أهوال البلاء ، وغشيت عساكر المنايا ، إلى أن شفيت حزازات الصدور ، ونجحت تلك الأمور ، ولست لى باللائم فى التشمير ، ولا الزارى ^(۱) عليها فى التقصير ، وذكرت أن أبك خير من أبى هذا - وأشار بيده إلى يزيد - فصدقت ، لعمر الله لعثمان خير من معاوية ، أكرم كريماً وأفضل قديماً ، وأقرب إلى محمد صلى الله عليه وسلم رجحاً ، وذكرت أن أمك خير من أمه ، فلعمري إن امرأة من قريش خير من امرأة من بنى كلب ، وذكرت أنك خير من يزيد ، فوالله يا بن أخى ما يسرنى أن العوطة ^(۲) عليها رجال مثل يزيد .

فقال له يزيد : « مه يا أمير المؤمنين ، ابن أخيك استعمل الدالة عليك ، واستعتبك لنفسه ، واستزاد منك فزده ، وأجمل له فى ردك ، وأجمل على نفسك وواه خراسان بشفاعتى ، وأعنه بما يظهر به مؤروته » ، فولاه معاوية خراسان ، وأجازه بمائة ألف درهم فكان ذلك أعجب ما ظهر من حلم يزيد .

(صبح الأعشى ۱ : ۲۵۶ والإمامة والسياسة ۱ : ۱۳۹)

(۱) زرى عليه : عابه . (۲) مدينة دمشق أو كورتها .

۳۷۹ - مصقلة بن هبيرة ومعاوية

مرض معاوية مرضاً شديداً ، فأرجف به مصقلة بن هبيرة ، وساعده قوم على ذلك ثم تماثل^(۱) ، وهم في إرجافهم ، فحمل زياد مصقلة إلى معاوية ، وكتب إليه أنه يجمع مرآقا من مرآق العراق ، فيرجفون بأمر المؤمنين ، وقد حملته إليه ليرى رأيه فيه ، فقدم مصقلة ، وجلس معاوية للناس ، فلما دخل عليه ، قال : ادن مني ، فدنا منه ، فأخذ بيده فذبّه فسقط مصقلة ، فقال معاوية :

أبقي الحوادث من خيلك مثل جندلة المراجيم^(۲)
 صلباً إذا خار الرجا لـ أبل ممتنع الشكائم^(۳)
 قد رانى الأعداء قبلك فامتعت من المظالم

فقال مصقلة : « يا أمير المؤمنين ، قد أبقي الله منك ما هو أعظم من ذلك بطشاً وحلماً راجحاً ، وكلاً ومرعى لأوابائك ، وسماً نافعاً لأعدائك ، كانت الجاهلية فكان أبوك سيد المشركين ، وأصبح الناس مسلمين وأنت أمير المؤمنين » وقام ، فوصله معاوية ، وأذن له في الانصراف إلى الكوفة ، فقيل له : كيف تركت معاوية ؟ فقال : زعمت أنه كبير وضعف ، والله لقد غمزني غمزة كاد يحطمني ، وجذبني جذبة كاد يكسر عضواً مني .
 (زهر الآداب ۱ : ۵۷ والأمال ۲ : ۳۱۵)

۳۸۰ - روح بن زنباع ومعاوية

وولى معاوية روح بن زنباع ، فعتب عليه في جنابة ، فكتب إليه بالقدوم ، فلما قدم أمر بضربه بالسياط ، فلما أقيم ليضرب قال : « نشدتك الله يا أمير المؤمنين أن تهديم مني ركناً أنت بنيته ، أو أن تضع مني خسيصة أنت رفعتها أو تشمت بي عدوا أنت

(۱) تماثل العليل : قارب البرء . (۲) الجندل : الحجارة ، والواحدة جندلة .
 (۳) الأبل : الممتنع ، والألد : الجدال ، والشكائم جمع شكيمة : وهي من العجام الحديدية المعرضة في فم الفرس ، وفلان شهيد الشكيمة : أنف أبي لاينقاد .

وَقْتَهُ ^(۱) ، وَأَسَأَلَكَ بِاللَّهِ إِلَّا أَنِي حَلَمْتُكَ وَعَفْوِكَ دُونَ إِفْسَادِ صِبَاغِيكَ » ، فَقَالَ مَعَاوِيَةَ :
« إِذَا اللَّهُ سَنَى عَقْدَ أَمْرٍ تَيْسَّرًا » خَلُّوا سَبِيلَهُ .

(الأملال ۲ : ۲۵۹ ، وزهر الآداب ۲ : ۱۹۴)

۳۸۱ - مَخَاصِمَةُ أَبِي الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيِّ وَأَمْرَاتِهِ بَيْنَ بَدِيِّ زِيَادِ بْنِ أَبِيهِ

جَرَى بَيْنَ أَبِي الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيِّ وَبَيْنَ أَمْرَاتِهِ كَلَامٌ ، فِي ابْنِ كَانَ طَامِنَهُ ، وَأَرَادَ أَخْذَهُ مِنْهَا ، فَسَارَ إِلَى زِيَادٍ وَهُوَ وَالِي البَصْرَةِ .

فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : « أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، هَذَا ابْنِي ، كَانَ بَطْنِي وَعِيَادَهُ ، وَحِجْرِي فِنَاءَهُ ، وَتَدْبِي سِقَاءَهُ ^(۲) ، أَكَلَوهُ ^(۳) إِذَا نَامَ ، وَأَحْفَظُهُ إِذَا قَامَ ، فَلَمْ أَزَلْ بِذَلِكَ سَبْعَةَ أَعْوَامَ ، حَتَّى إِذَا اسْتَوْفَى فِصَالَهُ ^(۴) ، وَكَمَلْتُ خِصَالَهُ ، وَاسْتَوَكَمْتُ ^(۵) أَوْصَالَهُ ، وَأَمَلْتُ نَفْعَهُ ، وَرَجَوْتُ دَفْعَهُ ، أَرَادَ أَنْ يَأْخُذَهُ مِنِّي كَرَهَا ^(۶) ، فَأَدِنِي ^(۷) أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، فَقَدَرَامَ قَهْرِي . وَأَرَادَ قَسْرِي ^(۸) » .

فَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ : « أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، هَذَا ابْنِي حَمَلْتُهُ قَبْلَ أَنْ تَحْمِلَهُ ، وَوَضَعْتَهُ قَبْلَ أَنْ تَضَعَهُ ، وَأَنَا أَقُومُ عَلَيْهِ فِي أَدَبِهِ ، وَأَنْظُرُ فِي أَوْدِهِ ، وَأَمْنَحُهُ عَلِيَّ ، وَأَلْمِيهِ حِلْمِي ، حَتَّى يَكْمُلَ عَقْلُهُ ، وَيَسْتَحْكِمَ فَتْلَهُ » .

فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : « صَدَقَ أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، حَمَلَهُ خِفَاءً ^(۹) ، وَحَمَلْتُهُ ثِقَلًا ، وَوَضَعْتُهُ شَهْوَةً ، وَوَضَعْتَهُ كَرَهَا » .

فَقَالَ لَهُ زِيَادٌ : ارْدُدْ عَلَيَّ الْمَرْأَةَ وَلِدَهَا ، فَهِيَ أَحَقُّ بِكَ مِنْكَ ، وَدَعْنِي مِنْ سَجْمِكَ أَوْ قَالَ : « إِنَّهَا أَمْرَاءَةٌ عَاقِلَةٌ يَا أَبَا الْأَسْوَدِ ، فَادْفَعْ ابْنَهَا إِلَيْهَا ، فَأَخْلِقْ أَنْ تُحْسِنَ أَدَبَهُ » .
(الأملال ۲ : ۱۴ ، وَأَمَالُ السَّيِّدِ الْمُرْتَضَى ۱ : ۲۱۴)

(۱) وقته : قهره وأذله . وفي زهر الآداب : « كَبْتُهُ » . (۲) السقاء : جلد السخلة يكون للماء واللبن . (۳) أرعاه . (۴) فطامه . (۵) اشتدت ومثنت . (۶) الإباء والمشقة بالفتح والضم ، أو بالفتح : ما أكرهك غيرك عليه ، وبالضم ما أكرهت نفسك عليه . (۷) آداء على قلان : آداء وأعان . (۸) الإكراه . (۹) الخلف : الخفيف .

۳۸۲- صورة أخرى

وروى أحمد بن أبي طاهر طينور هذا الخبر بصورة أطول وهاكها :

قال أبو محمد القشيري : كان أبو الأسود الدؤلي من أكبر الناس عند معاوية بن أبي سفيان ، وأقربهم مجلسًا ، وكان لا ينطق إلا بعقل ، ولا يتكلم إلا بعد فهم ، فبينما هو ذات يوم جالس ، وعنده وجوه قريش وأشرف العرب ، إذ أقبلت امرأة أبي الأسود الدؤلي ، حتى حاذت معاوية ، وقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ؛ إن الله جعلك خليفة في البلاد ، وورقيًا على العباد ، يُسْتَسْقَى بِكَ الْمَطْرُ ، وَيُسْتَنْبَتُ بِكَ الشَّجَرُ ، وَتُؤَلَّفُ بِكَ الْأَهْوَاءُ ، وَيَأْمَنُ بِكَ الْخَائِفُ ، وَيُرَدَّعُ بِكَ الْجَائِفُ^(۱) ، فأنت الخليفة المصطفى ، والإمام المرتضى ، فاسأل الله لك النعمة في غير تغيير ، والعافية من غير تعذير^(۲) . قد الجأني إليك يا أمير المؤمنين أمرٌ ضاق عليّ فيه المَنْهَجُ ، وتفاقم عليّ منه المَخْرَجُ ، لأمر كرهت عارَه^(۳) ، كَلَّمَا خَشِيتُ إِظْهَارَهُ ، فَلْيُنْصِفْنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْخَلْمِ ، فَإِنِّي أَعُوذُ بِمَقْوَنِهِ^(۴) مِنَ الْعَارِ الْوَبِيلِ ، وَالْأَمْرِ الْجَلِيلِ ، الَّذِي يَشْتَدُّ عَلَى الْحَرَّائِرِ ، ذَوَاتِ الْجُمُولِ الْأَجَائِرِ^(۵) ، فقال لها معاوية : وَمَنْ بَعْلُكَ هَذَا الَّذِي تَصِفِينَ مِنْ أَمْرِهِ الْمُنْكَرِ ، وَمَنْ فَعَلَهُ الْمَشْهُرُ^(۶) ؟ فقالت : هو أبو الأسود الدؤلي ، فالتفت إليه فقال : يا أبا الأسود : ما تقول هذه المرأة ؟ فقال أبو الأسود : هي تقول من الحق بعضًا ، ولن يستطيع أحدٌ عليها نقصًا ؛ أما ما ذكرت من طلاقها فهو حق ، وأنا أخبر أمير المؤمنين عنه بالصدق ، والله يا أمير المؤمنين ما طلقها عن ريبه

(۱) المائل : الجائر . (۲) أي من غير نقص ، من عذر في الأمر تعديرا : إذا قصر ولم يجتهد (أو من غير تشويه ، من عذر الشيء : لطفه بالعذرة كفرحة) . (۳) تكلم بذلك عن طلاقها .
(۴) العقوة : ماحول الدار . (۵) البعول والبعوات : جمع بعول وهو الزوج ، والأجائر : جمع الجور ، أفضل تفضيل من جار . (۶) شهره كنهه ، وشهره بالتشديد : أظهره في شدة .

ظهرت ، ولا لأى هفوة حضرت ، ولكنى كرهت شمائلها ، ففقطعتُ عنى حباؤها ، فقال معاوية : وأى شمائلها يا أبا الأسود كرهت ؟ قال : يا أمير المؤمنين : إنك مهيبها على بجواب عتيد^(۱) ، ولسان شديد ، فقال معاوية : لا بدُّ لك من محاورتها ، فاردد عليها قولها عند مراجعتها ، فقال أبو الأسود : « يا أمير المؤمنين ، إنها كثيرة الصخب ، دائمة الذرب^(۲) ، مهينة للأهل ، مؤذية للبعل ، مُسيئة إلى الجار ، مُظهرة للعار ، إن رأيت خيرا كتمته ، وإن رأيت شرا أذاعته » ، فقالت : « والله لولا مكانُ أمير المؤمنين ، وحضورُ من حضره من المسلمين ، لرددتُ عليك بوادِر كلامك ، بنوافذ أقرعُ بها كلَّ سِيهامك^(۳) ، وإن كان لا يجملُ بالمرأة الحرة أن تشتمَ بَعلا ، ولأن تُظهر لأحد جهلا » ، فقال معاوية : عزمتُ عليك لِمأ أُجبتِه ، فقالت : « يا أمير المؤمنين ، ما علمته إلا سئولا جهولا ، مُلججا بخيلا^(۴) ، إن قال فشرُّ قائل ، وإن سكت فذود غائل^(۵) ، لَيْثٌ حين يأمن ، وثعلب حين يخاف ، شحيح حين يُضاف^(۶) ، إن ذكر الجود انقمع^(۷) ، لِمأ يعرف من قصر رِشاؤه^(۸) ، ولو لم آباؤه ، ضيفه جائع ، وجاره ضائع ، لا يحفظ جاراً ولا يحمى ذِمارة ، ولا يُدرك نارا ، أكرم الناس عليه من أهانه ، وأهونهم عليه من أكرمه » ، فقال معاوية : سبحان الله لِمأ تأتى به هذه المرأة من السجع ! فقال

(۱) حاضر مهياً . (۲) الصخب : شدة الصوت ، والذرب : حدة اللسان وبذاته .

(۳) البوادِر : جمع بادرة ، وهى ما يبدو من حدثك فى الغضب من قول أو فعل ، بنوافذ أى بجمع نافذة ماضية ، وكل السيف وغيره فهو كل وكليل : لم يقطع . (۴) وكان أبو الأسود معروفاً بالبخل .

ومن طريف ما يروى عنه أن رجلاً قال له : « أنت والله ظرف لفظ ، وظرف علم ، ووعاء حلم ، غير أنك بخيل » فقال : « وماخير ظرف لا يملك ما فيه ؟ » وسلم عليه أعرابي يوماً ، فقال أبو الأسود : كلمة مقولة ، فقال له : أنأذن فى الدخول ؟ قال : ورايك أوسع لك ، قال : فهل عندك شيء ؟ قال : نعم ، قال : أطمعنى ، قال : عيال أحق منك ، قال : مارأيت الأم منك ! قال : نسيت نفسك . « أمالى المرتضى ۱ : ۲۱۴ » .

(۵) دغائل : جمع دغيلة كسفيئة . والدغيلة والدغل بالتحريك : دخل فى الأمر مفسد .

(۶) ضافه بضيفه : زل عليه ضيفا . (۷) انقمع : دخل البيت مستخفياً .

(۸) الرشاء فى الأصل : الخبل .

أبو الأسود : أصلح الله أمير المؤمنين ، إنها مطلقة ، ومن أكثر كلاماً من مطلقة ؟ فقال لها معاوية : إذا كان رَوَاحاً^(۱) فتعالى أفصل بينك وبينه بالقضاء .

فلما كان الرواح جاءت معها ابنتها قد احتضنته ، فلما رآها أبو الأسود قام إليها لينتزع ابنه منها ، فقال له معاوية : يا أبا الأسود ، لا تُعجل المرأة أن تنطق بحجتها ، قال : يا أمير المؤمنين ، أنا أحق بحمل ابني منها ، فقال له معاوية : يا أبا الأسود دعها تفل ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، حملته قبل أن تحمله ، ووضعتة قبل أن تضعه » ، فقالت : « صدق والله يا أمير المؤمنين : حمله خفياً ، وحملته ثقلاً ، ووضعه شهوة ووضعتة كرهاً ، إن بطني لوعاؤه ، وإن ثديي أسقاؤه ، وإن حجري ليناؤه ، فقال معاوية : سبحان الله لما تأتينا به ! فقال أبو الأسود : إنها تقول الأبيات من الشعر فتجيدها ، فقال معاوية : إنها قد غلبتك في الكلام ، فتكلفت لها أبياتاً لعلك تغلبها ، فأنشأ أبو الأسود يقول :

مرحباً بالتي تجور علينا ثم مهلاً بالحامل المحمول
أغلقت بابها على وقالت : إن خير النساء ذات البعول
شفت نفسها على فراغاً هل سمعتم بالفارغ المشغول ؟

فأجابته وهي تقول :

ليس من قال بالصواب وبالحق كمن جار عن منار السبيل
كان ثديي سقاه حين يضحى ثم حجري فناؤه بالأصيل
لست أبنى بواحدى لابن حرب بدلاً ما علمته والخليل^(۲)

فأجابها معاوية :

ليس من غداه حيناً صفيراً وسقاه من ثديه بخذول

(۱) أى إذا كان الوقت رواحاً ، والرواح : العنى . (۲) أى أنتم بخليل الله وهو سيدنا محمد

صل الله عليه وسلم .

هِيَ أَوْلَىٰ بِهِ وَأَقْرَبُ رَحْمًا مِنْ أَبِيهِ بِالْوَحْيِ وَالْمَنْزِيلِ (١)
أُمُّهُ مَا حَنَّتْ عَلَيْهِ وَقَامَتْ هِيَ أَوْلَىٰ بِحَمَلِ هَذَا الضَّئِيلِ (٢)

فقضى لها معاوية عليه ، واحتملت ابنها وانصرفت . (بلاغات النساء ص ۵۳)

۳۸۳ - وفد أهل البصرة إلى عبد الله بن الزبير

لما قَدِمَ الأحنف في وجوه أهل البصرة ، إلى عبد الله بن الزبير ، تكلم أبو حنيفة
الأسيدي - وكان خطيباً جميلاً - فقال له عبد الله بن الزبير : اسكت فوالله لو ددت أن
لي بكل عشرة من أهل العراق رجلاً من أهل الشام ، صرّفت الدينار بالدرهم ، قال :
« يا أمير المؤمنين : إن لنا ولك مثلاً ، أفتأذن في ذكره ؟ » قال : نعم ، قال : « مثلنا
ومثلك ومثل أهل الشام قول الأعشى حيث يقول :

عُلِّقْتُمْ عَرَضًا وَعُلِّقْتُ رَجُلًا غَيْرِي وَعُلِّقْتُ أُخْرَىٰ غَيْرَهَا الرَّجُلُ (٣)
أحبك أهل العراق ، وأحببت أهل الشام ، وأحب أهل الشام عبد الملك

(البيان والتبيين ١ : ١٦٤)

ابن مروان . »

۳۸۴ - كلام خطيب الأزدي بين يدي عبد الملك بن مروان

بعث الحجاج خطيباً من الأحاس (٤) إلى عبد الملك بن مروان ، فتكلموا ، فلما
انتهى الكلام إلى خطيب الأزدي ، قام فقال :
قد علمت العرب أننا حيٌّ فعَالٌ ، ولسنا بحَيٍّ مَقَالٌ ، وَأَنَا نَجْزِي بِفِعْلِنَا أَحْسَنَ

(١) الرحم : الرحمة والرفقة والتعطف . (٢) في الأصل : « أم ما حنت عليه . . . » وهو تحريف ،
إذ يخلل وزن البيت . (٣) علق فلان امرأة (بالبناء للمجهول مشدداً) : أحبها . (٤) الأحاس
كقفل : الأمكنة الصلبة جمع أحس ، ولقب به قريش ، وكذاتة ، وجديلة ، ومن تابعهم في الجاهلية
اتحسهم في دينهم ، أو لانتجائهم بالحماء وهي الكمية ، وأحاس العرب : من أمهاتهم من قريش ، وكانوا
يتشددون في دينهم ، وكانوا شجعان العرب لا يطاقون .

قولهم ، إن السيوف لتعرف أ كُفْنَا ، وإن الموت لَيْسْتَعَذِبُ أرواحنا ، وقد علمت الحربُ الزُبُونُ ، أَنَا نَقْرَعُ جِجَاحَهَا ، وَنَحْبِبُ صَرَاحَهَا^(۱) ، ثم جلس^(۲) .

(الأمل ۲ : ۲۵۹)

۳۸۵ - سؤال عبد الملك للعجاج وما أجاب به

ودخل العجاج^(۳) على عبد الملك بن مروان ، فقال : يا عجاجُ : بلغني أنك لا تقدر على الهجاء ، فقال : يا أمير المؤمنين ، مَنْ قَدَّرَ على تشييد الأبنية ، أممكته إخرابُ الأخبية ، قال : فما يمنعك من ذلك ؟ قال : إن لنا عزًا يمنعنا من أن نُظَلَمَ ، وإن لنا حِلْمًا يمنعنا من أن نُظَلِمَ ، فعَلَّامَ الهجاء ؟ فقال : آكلما تُك أشعرُ من شعرك إ فأنى لك عزٌ يمنعك من أن تُظَلِمَ ؟ قال : الأدب البارع ، والفهم الناصع ، قال : فما الحِلْمُ الذي يمنعك من أن تُظَلِمَ ؟ قال : الأدب المُسْتَطْرَفُ ، والطبع التَّالِدُ ، قال : يا عجاج لقد أصبحتَ حكيمًا . قال : وما يمنعني وأنا نجبي^(۴) أمير المؤمنين ؟ .

(الأمل ۲ : ۴۹ ، وزهر الآداب ۲ : ۲۶۴)

۳۸۶ - وفود العجاج بإبراهيم بن محمد بن طلحة

على عبد الملك بن مروان

لما ولي العجاج بن يوسف الحَرَمَيْنِ بعد قتله ابن الزبير ، استخَصَّ إبراهيم بن محمد ابن طلحة ، فقرَّبه وعظم منزلته ، فلم تزل تلك حاله عنده ، حتى خرج إلى عبد الملك بن مروان ، فخرج معه مُعَادِلًا ، لا يقصُرُ له في برِّ وإعظام ، حتى حضر به عبد الملك ، فلما

(۱) الصري : بقية البن . (۲) وفي رواية الجاحظ : وقالوا : ولما قدمت خطيبه زار عند معاوية ، فذهبت في الخطب كل مطهب ، قام صبرة بن شيمان فقال : يا أمير المؤمنين : إنا حي فعال ، ولنا حي مقال ، ونحن نبلغ بفمنا أكثر من مقال غيرنا (البيان والتبيين ۱ : ۱۶۴) ، وروى المبرد في الكامل هذا القول من صبرة أيضا - انظر تهذيب الكامل ۱ : ۱۶ - ، وقد تقدم لك أن صبرة بن شيمان من الأزد - انظر الجزء الأول ص ۴۳۶ . (۳) هو العجاج بن ربيعة راجز مجيد مشهور ، مات سنة ۵۹۰ . (۴) مسار .

دخل عليه لم يبدأ بشيء بعد السلام ، إلا أن قال له : « قَدِمْتُ عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِرَجُلِ
 الْحِجَازِ ، لَمْ أَدْعُ لَهُ بِهَا نَظِيرًا فِي الْفَضْلِ وَالْأَدَبِ ، وَالْمُرُوَّةِ ، وَحَسَنِ الْمَذْهَبِ ، مَعَ قَرَابَةِ
 الرَّحِمِ ، وَوَجُوبِ الْحَقِّ ، وَعِظَمِ قَدْرِ الْأَبْوَةِ ، وَمَا بَلَوْتُ مِنْهُ فِي الطَّاعَةِ وَالنَّصِيحَةِ ، وَحُسْنِ
 الْمُوَازَرَةِ . وَهُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ ، وَقَدْ أَحْضَرْتَهُ بِأَبْكَ ، لِيَسْهَلُ عَلَيْهِ إِذْنُكَ ،
 وَتَعْرِفَ لَهُ مَا عَرَفْتَكَ » . فَقَالَ : أَذْكَرْتَنِي رَحِمًا قَرِيبَةً ، وَحَقًّا وَاجِبًا ، يَا غُلَامُ : ائْذَنْ
 لِإِبْرَاهِيمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ أَدْنَاهُ عَبْدُ الْمَلِكِ حَتَّى أَجْلَسَهُ عَلَى فِرَاشِهِ ،
 ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا بَنَ طَلْحَةَ ، إِنْ أَبَا مُحَمَّدٍ (الْحِجَاجِ) ذَكَرْنَا مَا لَمْ نَزَلْ نَعْرِفُكَ بِهِ مِنَ الْفَضْلِ
 وَالْأَدَبِ ، وَالْمُرُوَّةِ ، وَحَسَنِ الْمَذْهَبِ ، مَعَ قَرَابَةِ الرَّحِمِ ، وَوَجُوبِ الْحَقِّ ، وَعِظَمِ قَدْرِ
 الْأَبْوَةِ ، وَمَا بَلَآهُ مِنْكَ فِي الطَّاعَةِ وَالنَّصِيحَةِ ، وَحَسَنِ الْمُوَازَرَةِ ، فَلَا تَدْعُنْ حَاجَةً فِي خَاصَّةِ
 نَفْسِكَ وَعَامَّتِكَ إِلَّا ذَكَرْتَهَا . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ أَوَّلَ الْحَوَائِجِ ، وَأَحَقُّ مَا قُدِّمَ
 بَيْنَ يَدَيِ الْأُمُورِ ، مَا كَانَ اللَّهُ فِيهِ رِضًا ، وَلِحَقِّ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَدَاءً ، وَلَكَ فِيهِ
 وَجْهَةٌ الْمُسْلِمِينَ نَصِيحَةً ، وَعِنْدِي نَصِيحَةٌ لَا أَجِدُ بُدًّا مِنْ ذِكْرِهَا ، وَلَا أَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ
 إِلَّا وَأَنَا خَالٍ ، فَأَخْلِنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَرِدُ عَلَيْكَ نَصِيحَتِي ، قَالَ : أَدُونَ أَبِي مُحَمَّدٍ ؟ قَالَ :
 نَعَمْ ، دُونَ أَبِي مُحَمَّدٍ ، قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : لِلْحِجَاجِ قَمِ . فَلَمَّا خَطَرَ^(١) السُّتْرَ أَقْبَلَ عَلَى
 إِبْرَاهِيمَ ، فَقَالَ : يَا بَنَ طَلْحَةَ قُلْ نَصِيحَتُكَ ، قَالَ : بِاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ عَاهَدْتَنِي إِلَى
 الْحِجَاجِ فِي تَفْطُرُوسِهِ وَتَمَجْرُوفِهِ ، وَبُعْدِهِ مِنَ الْحَقِّ ، وَقُرْبِهِ مِنَ الْبَاطِلِ ، فَوَائِيْتِهِ الْحَرَمِينَ ،
 وَهَذَا مَا هُمَا وَبِهِمَا مَنْ بَهَمَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَالْمَوَالِي الْأَخْيَارِ ، يَسُومُهُمُ الْخَسْفُ^(٢)
 وَيَحْكُمُ فِيهِمْ بِفِيْرِ السُّنَّةِ ، بَعْدَ الَّذِي كَانَ مِنْ سَفْكَ دِمَائِهِمْ ، وَمَا انْتَهَيْتُكَ مِنْ حُرْمَتِهِمْ ،
 وَيَطْوُمُ بِطَنَامِ أَهْلِ الشَّامِ ، وَرَعَاعِ لَأَرْوِيَّةَ لَهُمْ فِي إِقَامَةِ حَقِّ ، وَلَا فِي إِزَاحَةِ بَاطِلِ ،
 ثُمَّ تَنْظُنْ أَنْ ذَلِكَ يَنْجِيكَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ؟ فَكَيْفَ بِكَ إِذَا جَاءَكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 فِدًّا لِلْخِصُومَةِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى ؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنَّكَ لَنْ تَنْجُو هُنَاكَ إِلَّا بِحُجَّةٍ تَضْمَنُ لَكَ

(١) المراد أرغى ، من خطرف جلد المرأة: إذا استرخى . (٢) يوليهم اللذ .

النجاة ، فارتبَع على نفسك أو دَع ، وكان عبد الملك مُتَكَبِّراً ، فاستوى جالساً ، وقال : كذبتَ وَمِنْتَ^(١) فيما حدث به ا ، واقدر ظن بك الحجاج ظناً لم نجد فيك ، وقد يُظن الخيرُ بغير أهله ، قم فأنت المائن الحاسد ا قال : فقامت والله ما أبصر شيئاً ، فلما خطر الفتر الحقني لاحق ، فقال للحاجب : امنع هذا من الخروج - وأذن للحجاج ، فدخل فلبث مديماً ، ولا أشكُ أنهما في أمرى ، ثم خرج الإذن لى ، فدخلت ، فلما كشف لى الستر ، إذا أنا بالحجاج خارج ، فاعتنقنى ، وقَبَّل ما بين عينيَّ ، وقال : أما إذا جرى الله المتواخيين خيراً بفضل توأصلهما ، فجزاك الله عنى أفضلَ الجزاء ، فوالله لئن سلمتُ لك لأرفعنَّ ناظرِ بك ، ولأُعَلِّينَّ كعبك ، ولأتبعنَّ الرجال غبارَ قدميكَ ، قال : فقلت فى نفسى إنه ليسخر لى ، فلما وصلت إلى عبد الملك أدنانى حتى أدنانى مجلسى الأول ، ثم قال : يا بن طلحة : هل أعلمت الحجاج بما جرى أو شاركك أحد فى نصيحتك ؟ فقلت : لا والله ، ولا أعلم أحداً أظهرَ يداً عندى من الحجاج ، ولو كنت محايياً أحداً بدبنى لكان هو ، ولكنى آثرتُ الله ورسوله والمسلمين ، قال : قد علمت أنك لم ترد الدنيا ، ولو أردتها لكانت لك فى الحجاج ، ولكن أردت الله والدار الآخرة ، وقد عزالته عن الحرمين لما كرهت من ولايته عليهما ، وأعلمته أنك استنزلتنى له عنهما استقلالاً لهما ، ووليته العرافين وما هنالك من الأمور ، التى لا يُدحضها إلا مثله ، وإنما قلت له ذلك ليؤدى ما يلزمه من ذمامك ، فإنك غير ذامٍ لصحة مع يدك عنده ، فخرجت مع الحجاج وأكرهنى أضاف إكرامه .

(العقد الفريد ١ : ١٢١ ، ومرح العيون ص ١١٩)

(١) مان مينا : كلاب .

٣٨٧ - قدوم الحجاج مع أشرف المصرين على عبد الملك

لما فرغ الحجاج من دير الجاجم ، وقدم على عبد الملك ومعه أشرف أهل المصرين - البصرة والكوفة - أدخلهم عليه ، فبينما هم عنده ، إذ تذاكروا البلدان ؛ فقال محمد بن ابن عمير بن عطار : « أصلح الله الأمير ، إن الكوفة أرض ارتفعت عن البصرة وحرَّها وغمَّقها^(١) ، وسفَّات عن الشام ووبَّأها ، وجاورها الفرات ، فعذب ماؤها ، وطاب ثمرها » ، فقال خالد بن صفوان الأهمي : « أصلح الله الأمير ، نحن أوسعُ منهم بريةً ، وأسرعُ منهم في السرية^(٢) ، وأكثرُ منهم قنْداً^(٣) ، وعاجاً ، وساجاً^(٤) ، وناساً^(٥) ، ماؤنا صفو ، وخيرُنا عفو ، لا يخرج من عندنا إلا قائد وسائق وناق^(٦) » ، فقال الحجاج : « أصلح الله أمير المؤمنين ! إني بالبلدين خير ، وقد وطَّئتهما جميعاً » ، فقال له : قل فأنت عندنا مُصدِّق ، فقال : « أمَّا البصرة فمَجُوزٌ شَطَاءٌ ، دَفْرَاءٌ ، بَحْرَاءٌ ، أُوتِيَتْ من كلِّ حَلِيٍّ وزينة ؛ وأما الكوفة ، فشابة حسناء جميلة ، لاحتلَّ لها ولازينة » .
فقال عبد الملك : فضلت الكوفة على البصرة .
(مروج الذهب ٢ : ١٤٨)

وروى الجاحظ قال :

قال خالد بن صفوان^(٧) - وسئل عن الكوفة والبصرة - : « نحن منأبئنا قصب ، وأنهارنا عجب ، وسمائنا رطب^(٨) ، وأرضنا ذهب » .

(١) الغمق : ركوب الندى الأرض ، أرض غمقة كفرحة : ذات ندى وثقل ، أو قريبة من المياه ، وفي الأصل : « وعمقها » وهو تصحيف (٢) البرية : من خمسة أنفس إلى ثلاثمائة ، أو أربعمائة ؛ والمراد في النهوض للقتال . (٣) القند : عسل قصب السكر . (٤) الساج : خشب أسود رزين يجلب من الهند ، ولا تكاد الأرض تلبه ، وهو يشبه الآبنوس . (٥) في الأصل « وينا » بلباء ، وأراه بالنون . (٦) يريد بالسائق : الأمير ، وبالناق : الخليل . (٧) أي يصف البصرة ، وكذا بعده . (٨) السماء : كل ما علاك ، يشير إلى كثرة النخيل في مشان البصرة ، « مشان كسحاب : قرية قريبة منها » ، وإن التمر لكثرت ووفرتهم يظلمهم .

وقال الأحنف : « نحن أبعد منكم سَرِيَّةً ، وأعظم منكم تَجْرِيَّةً ^(١) ، وأكثر منكم ذُرِّيَّةً ، وأغذى منكم بَرِّيَّةً » .

وقال أبو بكر الهذلي : « نحن أكثر منكم ساجًا ، وعاجًا ، ودِيابجًا ، وخراجًا ، ونهرًا عَجَّاجًا ^(٢) » .
(البيان والتبيين ٢ : ٤٦)

٣٨٨ - وفود مالك بن بشير على الحجاج بقتل الأزارقة

لما هزم المهلب بن أبي صفرة قطري بن الفجاءة : صاحب الأزارقة . بعث إلى مالك بن بشير ، فقال له : إني مؤفدك إلى الحجاج ، فيسر ، فإنما هو رجل مثلك ، وبعث إليه بجائزة فردها ، وقال : إنما الجائزة بعد الاستحقاق وتوجه ، فلما دخل على الحجاج قال له : ما اسمك ؟ قال : مالك بن بشير ، قال : مُلْكٌ وبشارة ! كيف تركت المهلب ؟ قال : أدرك ما أمل ، وأمن من خاف ، قال : كيف هو لجنده ؟ قال : والله رءوف ، قال : فكيف رضاهم عنه ؟ قال : وسيمهم بالفضل ، وأقنهم بالعدل ، قال : فكيف تصنعون إذا لقيتم عدوكم ؟ قال : نلقاهم بجِدِّنا فنقطع فيهم ، ويلقوننا بجِدِّهم فيطمعون فينا ، قال : كذلك الجد إذا لقي الجد ؟ قال : فما حال قطري ؟ قال : كادنا ببعض ما كيدناه . قال : فما منعكم من اتباعه ؟ قال : رأينا المقام من ورائه خيراً من اتباعه ، قال : فأخبرني عن ولد المهلب ، قال : أعباء القتال بالليل ، سُحاة السرح ^(٣) بالنهار ، قال : أيهم أفضل ؟ قال ذلك إلى أيهم ، قال : لتقولن ، قال : هم كحلقة مضروبة لا يُعرَف طرفاها ، قال : أقسمت عليك هل رَوَّأت ^(٤) في هذا الكلام ؟ قال : ما أطلع الله على غيبه أحداً ، فقال الحجاج لجلسائه : هذا والله الكلام المطبوع ، لا الكلام المصنوع .

(العقد الفريد ١ : ١٢٢ ، ومروج الذهب ٢ : ١٤٨)

(١) تاجر كنصر تجرا وتجارة : تاجر ، وأرى أن « تجرية » مصدر صناعى لتجر يريد أن أهل البصرة أعظم راطول باءاً من أهل الكوفة في التجارة - لأن البصرة ثغر على الخليج الفارسي ، فهي متصلة ببلاد الهند والشرق . (٢) العجاج : الصياح من كل ذي صوت . (٣) السرح في الأصل : المال المسمى . (٤) روا في الأمر : نظر فيه وتعمقه ، ولم يجعل بجواب .

۳۸۹ - وفود كعب الأشقرى على الحجاج

أوفد المهلب بن أبي صفرة كعب بن معدان الأشقرى - ومعه مرة بن تليد الأزدي - إلى الحجاج بعد هزيمة الأزارقة، وقتل أميرهم عبد ربّه الصغير، فلما دخلا عليه بدر كعب فأنشده قصيدته التي مطلعها :

يا حَفْصُ: إني عَدَايَ عِندَ عِزِّكَ السَّفَرُ . وقد سَرِيتُ فَاذَى عَيْنِي السَّهَرُ

فقال له الحجاج: أشاعر أم خطيب؟ قال: كلاهما، ثم أقبل عليه، فقال له: أخبرني عن بنى المهلب، قال: «المغيرة فارسهم وسيدهم، نار ذا كية^(١)، وصعدة^(٢) عالية، وكفى يزيد فارساً شجاعاً، ليث غاب، وبحر جمّ عباب، وجوادهم وسخيتهم قبيصة، ليث المغار^(٣)، وحامى الدمار، ولا يستحي الشجاع أن يفر من مدرك، فكيف لا يفر من الموت الحاضر، والأسد الخادر؟ وعبد الملك سمّ نافع، وسيف قاطع، وحبیب الموت الزعاف، إنما هو طود شامخ، وفخر باذخ^(٤)، وأبو عيينة البطل الهمام، والسيف الحسام، وكفكك بالمفضل نجدة، ليث هدار، وبحر موار^(٥)، ومحمد ليث غاب، وحسام ضراب، قال: فكيف كانوا فيكم؟ قال: كانوا حماة السرح نهاراً، فإذا ألبوا^(٦) فقرسان البيات، قال: فأبيهم كان أنجد؟ قال: كانوا كالحلقة المفرغة: لا يدري أين طرفها، قل: فكيف كان لكم المهلب وكنتم له؟ قال: كان لنا منه شفقة الوالد، وله منا برّ الولد، قال: فكيف جماعة الناس؟ قال: على أحسن حال، أدركوا ما رجوا، وأمنوا مما خافوا، وأرضاهم العدل، وأغناهم النفل^(٧)، قل: فكيف كنتم أنتم وعدوكم؟ قال: كنا إذا أخذنا عفونا، وإذا أخذوا يئسنا منهم،

(١) ذكت النار: اشتد لها . (٢) الصعدة: القناة المستوية تنبت كذلك . (٣) أغار على

العدو إغارة ومغارا . (٤) الطود: الجبل، وباذخ: جال . (٥) مار: ماج واضطرب .

(٦) ألبوا وألوا: دخلوا في الليل . (٧) الغنيمه والهبة .

وإذا اجتهدوا واجتهدنا طمعنا فيهم ، فقال الحجاج : إن العاقبة للمتقين ، قال : كيف أفلتكم قطري ؟ قال : كدناه ببعض ما كادنا به ، فصرنا منه إلى الذي نحب ، قال : فهلا اتبعتموه ؟ قال : كان الحد عندنا آثر من الفل^(١) ، قال : أكنت أعددت لي هذا الجواب ؟ قال : لا يعلم الغيب إلا الله ، فقال : هكذا تكون والله الرجال ، المهلب كان أعلم بك حيث وجهك ، وأمر له بعشرة آلاف درهم ، وحمله على فرس ، وأوفده على عبد الملك بن مروان ، فأمر له بعشرة آلاف أخرى .

(الكامل لمبرد ٢ : ٢٢٢ ، والأغانى ١٣ : ٥٥ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ ص ٤٠٥ ، وزهر

الأداب ٣ : ٩٢)

٣٩٠ - سليك بن سلكة والحجاج

دخل على الحجاج سليك بن سلكة^(٢) ، فقال :

« أصلح الله الأمير ! أعزني سمعك ، واغضض عني بصرك ، واكفف عني حزبك ؛ فإن سمعت خطأ أو زللاً فدونك والمعقوبة ، فقال : قل ، فقال : عصى عاص من عرض العشيرة ، فخلق على اسمي ، وهدمت داري ، وحرمت عطائي ، قال : هيات ، أما سمعت قول الشاعر :

جانيك من يجني عليك وربما تعدى الصّحاح مَبَارِكُ الجُربِ^(٣)
وَلرُبَّ مَاخُوذٍ بِذَنْبِ عَشِيرِهِ ونجاً المقارِفُ صاحبُ الذنبِ

(١) القوم المنهزمون . (٢) هو غير سليك بن سلكة الذي ضرب به المثل في العذر ، فقيل : « أعدى من السليك » ، فإن سليكا العداء جاهل ، (هو سليك بن عمرو النخعي ، والسلكة أمه ، وهي أمة سوداء ، وكان أحد صحابة العرب واصوصهم العدائين الذين لا يلحقون ، ولا تعلق بهم الخيل إذا عدوا ، وهم : السليك ابن السلكة ، والشنفرى ، وتابط شرا ، وعمرو بن براق ، ونفيل بن براق) ، قال صاحب القاموس في مادة غرب : « وأقربة العرب سودانهم ، والأغربة في الجاهلية : عنزة ، وخفاف بن نديبة ، وأبو عمير بن الهباب ، وسليك بن السلكة ، وهشام بن عقبة بن أبي معيط ، إلا أنه مخضرم قد ولي في الإسلام ... الخ » ، وقال ابن نباتة في شرح العيون « وهو جاهل قديم » - انظر ترجمته في شرح العيون ص ٨٥ والأغانى ١٨ : ١٣٣ - . (٣) في الأصل « جانيك من يجني عليك وقد » على أن المروض حذاء كالضرب وهو صحيح ، ولكن رأيت المروض في البيت الذي يليه تامه ، فوضعت « وربما » بدل « وقد » للمشكلة بين المروضين .

قال أصلح الله الأمير، سمعتُ الله قال غير هذا، قال: وما ذاك؟ قال: قال: «يا أيها العزيز: إنَّ لهُ أبا شيخاً كبيراً، فخذُ أحدنا مكانه، إنا نراك من المؤمنين» قال: معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا غلامون.»

قال الحجاج: «على» بيزيد بن أبي مسلم^(١)، فأتى به فمَثَلَ بين يديه، فقال: فكك لهذا عن اسمه، واصكك^(٢) له ببطائه، وابن له منزله، وصر منادياً ينادى في الناس، صدق الله، وكذب الشاعر.

(العقد الفريد ٣ : ٦)

٣٩١ - جامع المحاربي والحجاج

شكا الحجاج سوء طاعة أهل العراق. وتنتقم مذهبهم، وتسخط طريقتهم، فقال له جامع الحارثي - وكان شيخاً صالحاً خطيباً لسنياً - : «أما إنهم لو أحبوك لأطاعوك، على أنهم ما شئتوك لنسبك، ولا لبلدك، ولا لِدَاتِ نَفْسِكَ، فدع ما يبعدم منك، إلى ما يقرّبهم إليك، والنيس العافية ممن دونك، تُعْطَاهَا مَن فَوْقَكَ، وليكن إيقاعك بعد وعيدك، ووعيدك بعد وعدك. قال الحجاج: «إني والله ما أرى أن أردّ بني اللكعبة إلى طاعتي إلا بالسيف»، فقال «أيها الأمير، إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار»، فقال الحجاج: «الخيارُ يومئذ اللهُ»، قال: «أجل»، ولكن لا تدرى لمن يجعله الله»، فغضب الحجاج وقال: «يا هَنَاءُ»^(٣) إنك من محارب»، فقال جامع:

وللحَرْبِ سُمِّيَاءُ، وَكَانَ مَحَارِبًا إِذَا مَا الْقَنَاءُ أَمْسَى مِنَ الطَّمَنِ أَحْرًا

(١) كاتب الحجاج. (٢) صكك له قتل: كتب له صكاً، وهو الكتاب الذي يكتب في المعاملات: (الكشك).

(٣) هن: كلمة يكتفى بها عن اسم الإنسان، فإذا ناديت مذكراً بغير التصريح باسمه قلت: يا هن أقبل، وقد نزلت الألف والهاء في آخره في النداء خاصة، فيقال يا هناه أقبل، أي يا فلان، وهذه الهاء تصير تاء

في الوصل، وتضم هل تقدير أنها آخر الاسم وتسكر لاجتماع الساكنين.

فقال الحجاج: « والله لَهَمَّتْ أَنْ أَخْلَعَ لِسَانَكَ ، فَأَضْرِبَ بِهِ وَجْهَكَ » ، فقال جامع : « إِنْ صَدَّقْنَاكَ أَغْضَبْنَاكَ ، وَإِنْ غَشَّ شُنَّاكَ أَغْضَبْنَا اللَّهَ ، فَغَضِبَ الْأَمِيرُ أَهْوَنَ عَلَيْنَا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ » قَالَ : أَجَلٌ ، وَسَكَنٌ ، وَشُغْلٌ الْحِجَابُ بِيَمِينِ الْأَمْرِ ، فَاذْهَبْ جَامِعٌ ، فَمَرَّ بَيْنَ صُفُوفِ خَيْلِ الشَّامِ ، حَتَّى جَاوَزَ إِلَى خَيْلِ أَهْلِ الْعِرَاقِ - وَكَانَ الْحِجَابُ لَا يَخْلِطُهُمْ فَأَبْصَرَ كَبْكَبَةَ^(١) فِيهَا جَمَاعَةٌ مِنْ بَكْرِ الْعِرَاقِ ، وَتَمِيمِ الْعِرَاقِ ، وَأَزْدِ الْعِرَاقِ ، وَقَيْسِ الْعِرَاقِ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ أَشْرَأْتُوا إِلَيْهِ ، وَبَلَغَهُمْ خُرُوجُهُ ، فَقَالُوا لَهُ : مَا عِنْدَكَ ؟ دَافِعَ اللَّهُ لَنَا عَنْ نَفْسِكَ ، فَقَالَ : وَيْحَكُمْ أَعْمَوْهُ بِالْخَلْعِ كَمَا يَبْعَثُكُمْ بِالْعِدَاوَةِ ، وَدَعَّوْا الْقِسَادِيَّ مَا عَادَاكُمْ ، فَإِذَا ظَفَرْتُمْ بِهِ تَرَاجَعْتُمْ وَتَعَاقَبْتُمْ ، أَيُّهَا التَّمِيمِيُّ : هُوَ أَعْدَى لَكَ مِنَ الْأَزْدِيِّ ، وَأَيُّهَا الْقَيْسِيُّ : هُوَ أَعْدَى لَكَ مِنَ التَّغَيْبِيِّ ، وَهَلْ ظَفَرَ بَيْنَ نَاوَاهِ مِنْكُمْ إِلَّا بَيْنَ بَنِي قَيْسٍ مِنْكُمْ ؟ وَهَرَبَ جَامِعٌ مِنْ قَوْمِهِ ذَلِكَ إِلَى الشَّامِ ، فَاسْتَجَارَ بِزُقَيْرِ بْنِ الْحَارِثِ .

(البيان والتبيين ٢ : ٦٨ ، والقدر الفريد ٢ : ١٥١ - ١ : ١٥٢)

وعيون الأخبار م ٢ ص : ٢١٢ ، وزهر الآداب ٣ : ٢٣٠)

٣٩٢ - ليلي الأخيلية والحجاج

بَنُ مَوْلَى لَعْنَبَةَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِي قَالَ :

كُنْتُ أَدْخُلُ مَعَ عَنْبَسَةَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِي إِذَا دَخَلَ عَلَى الْحِجَابِ ، فَدَخَلَ يَوْمًا ، فَدَخَلْتُ إِلَيْهَا ، وَلَيْسَ عِنْدَ الْحِجَابِ أَحَدٌ إِلَّا عَنْبَسَةُ ، فَأَقْعَدَنِي ، فَجِيءَ الْحِجَابُ بِطَبَقٍ فِيهِ رُطْبٌ ، فَأَخَذَ الْخَادِمُ مِنْهُ شَيْئًا فَجَاءَنِي بِهِ ، ثُمَّ جِيءَ بِطَبَقٍ آخَرَ ، حَتَّى كَثُرَتِ الْأَطْبَاقُ ، وَجَمَلٌ لَا يَأْتُونَ بِشَيْءٍ إِلَّا جَاءَنِي مِنْهُ بِشَيْءٍ ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنْ مَا بَيْنَ يَدَيَّ أَكْثَرُ مِمَّا عِنْدَهَا ، ثُمَّ جَاءَ الْحَاجِبُ فَقَالَ : امْرَأَةٌ بِالْبَابِ ، فَقَالَ لَهُ الْحِجَابُ : ادْخُلِيهَا . فَدَخَلْتُ ، فَلَمَّا رَأَاهَا الْحِجَابُ طَاطَأَ رَأْسَهُ ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنْ ذُقْتَهُ قَدْ أَصَابَ الْأَرْضَ ، فَجَاءَتِ حَتَّى قَعَدَتْ

(١) الكبكة : الجماعة .

بين يديه ، فنظرتُ فإذا امرأة قد أسذنت ، حسنة الخلق ، ومعها جاريتان لها ، وإذا هي
 كَلْبَى الأَخْيَلِيَّة ، فسألها الحجاج عن نسبها ، فانتسبت له ، فقال لها : يا بلي ، ما أتى بك ؟
 فقالت : « إخلافُ النُّجُومِ ^(١) ، وقِلةُ الغُيُومِ ، وكَلْبُ البَرْدِ ^(٢) ، وشدة الجهد ،
 وكنتَ انا بمد الله الرِّقْدَ ^(٣) » فقال لها : صِفي لنا الفِجَاجَ ^(٤) ، فقالت : « الفِجَاجُ مُعْبِرَةٌ
 والأرضُ مُقَشِّرَةٌ ، وَالْمَبْرُكُ ^(٥) مُعْتَلٌّ ، وذو العيالُ مُخْتَلٌّ ^(٦) ، والمهالكُ لَلْقُلِّ ^(٧) ،
 والذاسُ مُسْتِنْتُونَ ^(٨) ، رحمة الله بِرَجُونَ ، أصابنا سِنُونُ مُجْحِفَةٌ مُبْلِطَةٌ ^(٩) ، لم تدع لنا
 هُبَّعًا ولا رُبَعًا ^(١٠) ، ولا عافِطَةً ولا نَافِطَةً ^(١١) ، أذهبتَ الأموال ، ومزقتَ الرجال ،
 وأهلكتَ العيال » ، ثم قالت : إني قلت في الأمير قولاً ، قال : هاتي ، فأنشأت تقول :
 أَحجَّاجٌ لا يُفَلِّلُ سِلاحُك ، إنها السمانيا بكف الله حيثُ تراها ^(١٢)
 أحجاج لا تُعْطِي العِصاةَ مُناهِمٌ ولا اللهُ يُعْطِي للمِصاةِ مُناها
 إذا هبط الحجاجُ أرضاً مريضَةً تَتَّبِعَ أَقْصى دائها فَشَفَّاهَا
 شفاها من الداء المُضال الذي بها غلامٌ إذا هزَّ القناةَ سقاها
 سقاها فَرَوَّاهَا بِشُرْبِ سِجَالِهِ دماءَ رجالٍ حيثُ مالَ حِشَّاهَا ^(١٣)

(١) أي أخلفت النجوم التي يكون بها المطر ، فلم تأت بمطر . (٢) كلب البرد : شدته ، وأصل
 الكلب : السمار (بالضم) الذي يصيب الكلاب والذئاب . (٣) الرقْد (بالفتح) - المعونة ، مصدر
 وفده كضربه : أعانه وأعطاه ، وبالكسر : للعطاء والصلة . (٤) الفججاج جمع فجج : بالفتح ، وهو
 الطريق الواسع بين جبلين . (٥) أرادت به الإبل الباركة فيه . (٦) مختل : محتاج من الخلة
 بالفتح وهي الحاجة . (٧) لقل : أي هالك من أجل القلة . (٨) أي مقحطون ، والسنة : الفحط .
 (٩) مجحفة : قاشرة ، ومبلاة : ملزقة بالبلاط ، والبلاط : الأرض المساء ، والحجارة التي تفرش
 في الدار ، وأبطل الرجل فهو مبطل : إذا لزق بالأرض . (١٠) الهبع : الفصيل ينتج في الصيف
 (في آخر النتاج) والربع : الفصيل ينتج في الربيع (وهو أول النتاج) . (١١) العافطة : الضائفة
 (النعجة) ، من العطف ، وهو الضرط ، عطف كضرب : ضربات ، فهي عافطة ، والعطف أيضا : نثر
 للضأن ، نثر بأنوفها كما ينثر الحمار ، وللنافطة المنز ، من النطف ، فطقت المنز كضرب نثرت بأنفها ،
 أو عطست ، فهي نافطة ، أو لأنها تنفط ببولها أي تدفعه دفعا ، أو النافطة إتباع للعافطة ، أو العافطة الأمة
 للرعية ، والنافطة الشاة . (١٢) السجال مذكر ويؤنث كما في هذا البيت . (١٣) السجال : جمع
 سجل كشمس ، وهو الدلو العظيم .

إذا سمعَ الحجاجُ رِزًّا كَتِيبَةً أَعَدُّ لها قبلَ النزولِ قِراها (١)
 أَعَدُّ لها مَسْمُومَةً فارسيَّةً بأيدي رجالٍ يَحْلِبُونَ صِراها (٢)
 فما وَلَدَ الأَبكارُ والعُونُ مِثْلَهُ بِبَحْرِ ولا أرضٍ يَجِثُ تراها (٣)

قال : فلما قالت هذا البيت ، قال الحجاج : قاتلها الله ! والله ما أصاب صفتي شاعر
 منذ دخلتُ العراقَ غيرها ، ثم التفت إلى عنبسة بن سعيد ، فقال : والله إنى لأَعِدُّ للأمرِ
 عسى أن لا يكونَ أبداً ، ثم التفت إليها فقال : حَسْبُكَ ! قالت : إنى قد قلتُ أكثرَ
 من هذا . قال : حَسْبُكَ وَيَحْكُ ! حَسْبُكَ ، ثم قال : يا غلام اذهب إلى فلان فقل له :
 اقطع لسانها ، فذهب بها ، فقال له : يقول لك الأمير : اقطع لسانها ، فأمر بإحضار
 الحجاج ، فالتفت إليه ، فقالت : ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ ! أما سمعتَ ما قال ؟ إنما أمرُك أن تقطع
 لسانى بالصَّلَّة ، فبعت إليه يَسْتَشِدُّهُ ، فاستشاط الحجاج غضباً ، وهمَّ بقطع لسانه ، وقال :
 ارُدِّدها ، فلما دخلت عليه ، قالت : كاد وأمانةِ اللَّهِ بقطعِ مقولتى ! ثم أنشأت تقول :

حَجَّاجُ أنت الذى ما فوقه أحدٌ إلا الخليفةُ والمتففر الصمَدُ (٤)

حَجَّاجُ أنت شهابُ الحربِ إن لَقِحتِ وأنت للناسِ نورٌ فى الدُّجى يَبْقَدُ (٥)

ثم أقبل الحجاج على جلسائه ، فقال : أتدرون من هذه ؟ قالوا : لا والله أيها الأمير ،
 إلا أننا لم نَرَ قطُّ أفصحَ لساناً ، ولا أحسنَ محاورَةً ، ولا أملحَ وجهاً ، ولا أرضنَ شعراً
 منها ، فقال : هذه ابلى الأخيلية ، التى ماتت توبةً الخفاحى من حُبِّها ، ثم التفت إليها
 فقال : أنشدينا يا لىلى بعضَ ما قال فيك توبةً ، قالت : نعم أيها الأمير هو الذى يقول :

وهل تَبْكِينَ لىلى إذا مِتُّ قبلَها وقام على قبرى النساءُ النوائحُ ؟

(١) الرز : الصوت تسمه من بعيد . (٢) الصرى : بقية اللبن . (٣) العون جمع عوان .

كسحاب ، وهى التى كان لها زوج . (٤) الصمد : الذى يصمد أى يقصد فى قضاء الحوائج .

(٥) لقيحت : أصله من لقيحت الناقة أى قبلت القراح ، والشهاب : شعلة من نار ساطمة ، ويقد بتوقد .

كما لو أصاب الموت ليلي بكيمها
 وأغبط من ليلي بما لا أناله
 ولو أن ليلي الأخيلىة سلمت
 لسلمت تسليم البشاشة أو زقا
 وجاد لها دمع من العين صافح^(١)
 بلى ، كل ماقرت به العين طامح
 على ، ودوني جندل وصفاح^(٢)
 إليها صدى من جانب القبر صامح^(٣)

فقال : زيدنا من شعره يا ليلي ، قالت : هو الذى يقول :

حامة بطن الواد بين ترنمي
 أبيني لنا ، لا زال ربك ناعما
 وكنت إذا ما زرت أيلي تبرقت
 وقد رابني منها صدود رأيت
 وأسرف بالقور اليفاع لعلى
 يقول رجال : لا يضيرك نأياها
 بلى ، قد يضير العين أن تكثر البكا
 وقد زعمت ليلي بأى فاجر
 سقاك من الغر الغواذى مطيرها^(٤)
 ولا زات في خضراء غصن نصيرها
 فقد رابني منها الفداة سفورها
 وإعراضها عن حاجتى وبسورها^(٥)
 أرى نار ايلي أو يرانى بصيرها^(٦)
 بلى ، كل ماشف النفوس يضيرها
 ويمنع منها نومتها وسرورها
 لنفسي تقاها ، أو عليها فجورها

فقال الحجاج : يا ليلي ، ما الذى رابته من سفورك ؟ فقالت : أيها الأمير ، كان
 يلم بي كثيراً ، فأرسل إلى يوماً : إني آتيك ، وفطن الحى ، فأرصدوا له ، فلما أتاني
 سقرت عن وجهي ، فعلم أن ذلك لشر ، فلم يزد على التسليم والرجوع ، فقال : لله درك !

(١) صافح : منصب . (٢) الجندل : الحجارة ، والصفائح : حجارة القبر العراض .
 (٣) زقا : صاح ، والصدى - وهو الهامة - طائر يخرج من رأس المقتول ، تزعم الأعراب أن
 روح القتيل تخرج ، فتصير هامة إذا لم يدرك بثاره ، فتصيح على قبره : اسقوني اسقوني حتى يثأر به ، وهذا
 مثل يراد به تحريض ولي القتيل على طلب دمه ، فجعله جهلة الأعراب حقيقة . (٤) الغواذى : جمع غادية ،
 وهى السحابة تنشأ غدوة . (٥) بسر كدخل : عبس وكلع . (٦) القور : جمع قارة ، وهى الجبيل
 النضير ، المنقطع عن الجبال ، واليفاع : النل .

فهل رأيت منه شيئاً تكرهينه ؟ فقالت : لا والله الذي أسأله أن يصلحك ، إنه قال مرة قولاً ظننت أنه قد خضع لبعض الأمر ، فأنشأت أقول :

وذي حاجة قلنا له لا تبغ بها فليس إليها ما حبيت سبيل
لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه وانت لأخرى صاحب و خليل

فلا والله الذي أسأله أن يصلحك ، مارأيت منه شيئاً ، حتى فرّق الموت بيني وبينه ، قال : ثم مه ؟ قالت : ثم لم يلبث أن خرج في غزاة له ، فأوصى ابن عم له ، إذا أتيت الحاضر من بني عبادة فناد بأعلى صوتك :

عفا الله عنها ، هل أبيتن ليـلة من الدهر لا يسرى إلى خيالها ؟

وأنا أقول :

وعنه عفا ربّي وأحسن حاله فعزّت علينا حاجة لا ينالها

قال : ثم مه ؟ قالت : ثم لم يلبث أن مات ، فأتانا نعيه ، فقال : أنشدينا بعض مراثيك فيه ، فأنشدت :

لتبك العذارى من خفاجة نثوة بماء شئون العبرة المتحدر^(۱)

قال لها : فأنشدنا ، فأنشدته :

كان فتى الفتیان توبة لم ينيخ قلائص بفحصن الحمى بالكرّاكر^(۲)

فلما فرغت من القصيدة ، قال محسن الفقهسي : - وكان من جلساء الحجاج -

(۱) الشئون : جمع شأن ، وهو مجرى الدمع إلى العين . وكتب مصحح الأمال قال : « قوله المتحدر كذا في النسخ ، وكتب بهامش بعضها لعله المتحادر بالألف قبل الدال ، لتستقيم القافية ، وفي هامش بعض النسخ بعد البيت الآتي :

فق لا نخطاه الرفاق ولا يرى لقدر عيالاً دون جار مجاور » اهـ

(۲) القلائص جمع قلوص كصبور ، وهي الناقة الشابة ، أو الباقية هل السير ، يفحصن : يقلبن ، من فحص المطر التراب قلبه ، وفحصن القفا التراب : اتخذ فيه أفحوصاً وهو مجشمه ، والكرّاكر : جمع كركرة بالسكس ، وهي زور البعير .

مَنْ الذي تقول هذه هذا فيه؟ فوالله إني لأظنها كاذبة، فنظرت إليه، ثم قالت: أيها الأمير إن هذا القائل لو رأى توبة لسره أن لا تكون في داره عذراه إلا هي حاملٌ منه، فقال الحجاج: هذا وأبيك الجواب، وقد كنت عنه غنياً، ثم قال لها: سني يا ابلي تُعطيني، قالت: أعط، فملاك أعطى فأحسن، قال: لك عشرون، قالت: زد فملاك زاد فأجمل، قال: لك أربعون، قالت: زد، فملاك زاد فأكمل، قال: لك ثمانون، قالت: زد، فملاك زاد فتمم، قال: لك مائة، واعلم أنها غم، قالت: معاذ الله أيها الأمير، أنت أجود جوداً، وأتجد مجداً، وأوزري زنداً، من أنت تجعلها غماً، قال: فما هي؟ ويحك يا ابلي؟ قالت: مائة من الإبل برعاتها، فأمر لها بها، ثم قال: ألك حاجةٌ بعدها؟ قالت: تدفع إلى النابغة الجعدي، قال: قد فعلت، وقد كانت تهجوه ويهجوها، فبلغ النابغة ذلك، فخرج هارباً عائداً بعبد الملك، فاتبعته إلى الشام، فهرب إلى قتيبة بن مسلم بنجرأسان، فاتبعته على البريد بكتاب الحجاج إلى قتيبة، فماتت بقومس^(١)، ويقال بحلوان.

(الأمالي ١ : ٨٦ ، وزهر الآداب ٣ : ٢٦٥)

٣٩٣ الغضبان بن القبعثري والحجاج

ورد على الحجاج كتاب من عبد الملك، يأمره أن يبعث إليه بثلاثين جارية، عشراً من النجائب، وعشراً من قعد النكاح، وعشراً من ذوات الأحلام، فلما نظر إلى الكتاب لم يدر ما وصفه من الجوارى، فعرضه على أصحابه فلم يعرفوه، فقال له بعضهم: أصلح الله الأمير، ينبغي أن يعرف هذا من كان في أوليته بدويًا، فله معرفة أهل البدو، ثم غزا فله معرفة أهل الغزو، ثم شرب الشراب، فله بذاه أهل الشراب، قال: وأين هذا؟ قيل: في حبسك، قال: ومن هو؟ قيل للغضبان الشيباني، فأحضر

(١) قومس: صنع كبير بين خرابان وبلاد الجبل.

فلما مثل بين يديه ، قال : أنت القائل لأهل الكوفة يتغذون بي قبل أن أتعشى بهم^(١) ؟
 قال : أصلح الله الأمير : ما نفعت من قالها ، ولا ضرت من قيلت فيه ، قال : إن
 أمير المؤمنين كتب إلى كتاباً لم أدر ما فيه ، فهل عندك شيء منه ؟ قال : يُقرأ على ،
 فقرأ عليه ، فقال : هذا بين ، قال : وما هو ؟ قال : « أما النجيبية من النساء : والتي
 عظمت هامتها ، وطال عنقها ، وبعُد ما بين منكبيها وتذييها ، واتسعت راحتها ،
 ونحنت ركبها ، فهذه إذا جاءت بالولد جاءت به كالليث ؛ وأما قعد النكاح ، فهن
 ذوات الأعجاز ، مُنكسرات الثدي ، كثيرات اللحم يقرب بعضهن من بعض ،
 فأولئك يشين القرم^(٢) ويروين الظمان ؛ وأما ذوات الأحلام ، فبنات خمس وثلاثين
 إلى الأربعين^(٣) .

قال الحجاج : أخبرني بشر النساء ، قال : أصلح الله الأمير : شرهن الصغيرة
 النقية^(٤) ، الحديدة الركة ، السريعة الوثبة ، الواسطة^(٥) في نساء الحى ، التي إذا
 غضبت غضب لها مائة ، وإذا سمعت كلمة قالت لا والله لا أنتهى حتى أقرها قرارها ،
 التي في بطنها جارية ، ويتبعها جارية ، وفي حجرها جارية ، قال الحجاج : على هذه
 لعنة الله ، ثم قال : ويحك ، فأخبرني بخير النساء ، قال : خيرهن القريبة القامة من السماء
 الكثيرة الأخذ من الأرض ، الودود الولود ، التي في بطنها غلام ، وفي حجرها غلام ،
 ويتبعها غلام ، قال : ويحك فأخبرني بشر الرجال ، قال : شرهم السنوط الربوط^(٦) ،
 المحمود في حرم الحى ، الذى إذا سقط لإحداهن دلو في بئر انحط عليه حتى يخرج ،

(١) انظر خطبته في ص ٢٢٧ . (٢) القرم محرقة : شدة شهوة اللحم ، وكثر حتى قيل في الشوق

إلى الحبيب . (٣) هنا سطر اسقطناه ، فلينظره في الأصل من شاء . (٤) الوجه .

(٥) وسطهم (كوفد) : جلس وسطهم ، كتوسطهم . (٦) السنوط : الذى لا شعر في وجهه
 البتة « الكوسج » كجففر ، وفي الأصل « السبوط » بالباء ، ولم أجده في كتب اللغة ، وإنما الذى فيها من
 هذه المادة : « أسبط بالأرض : لسطق » فالوصف منه « مسبط » ومعناه على هذا : الكسل المتقاعد عن السعى ،
 والربوط ، يريد به الملازم لبيته الذى لا يخرج منه لتصرف والعمل كانه قد ربط نفسه فيه .

فمن زينه الخير ، ويقلن عاقى الله فلانا ، قال : على هذا لعنة الله ، فأخبرني بخير الرجال ؟
قال : خيرهم الذي يقول فيه السماخ التغابي :

فتي ليس بالراضى بأذنى معيشة ولا في بيوت الحى بالمتولج^(١)
فتي يملأ الشيزى ويروى سيناته ويضرب في رأس الكمي المدجج^(٢)
فقال له : حسبك ، كم حبسنا عطاءك ؟ قال : ثلاث سنين ، فأمر له بها

وخلّى سبيله . (مروج الذهب ٢ : ١٤٧)

٣٩٤ - ابن القرية يعدد مساوى المزاح

وقال الحجاج بن يوسف لابن القرية : ما زالت الحكماء تذكره المزاح وتنهى عنه ،
فقال : « المزاح من أدنى منزلته إلى أقصاها عشرة أبواب : المزاح أدله فرح وآخرة
ترح ، المزاح نقائص السفهاء كالشعر نقائص الشعراء ، والمزاح يؤغر صدر الصديق ،
وينفر الرفيق ، والمزاح يبدي السرائر ، لأنه يظهر المعابر ، والمزاح يسقط المرودة ، ويبدي
الحنفا ، لم يجر المزاح خيراً وكثيراً ما جرّ شراً ، الغالب بالمزاح واتر ، والمغلوب به نأر ،
والمزاح يجلب الشتم صغيره ، والحرب كغيره ، وليس بعد الحرب إلا عفوّ بعد قدرة » ،
فقال الحجاج : « حسبك ، الموت خير من عفوّ معه قدرة » .

(زهر الآداب ٢ : ٨٥)

(١) الداخل .

(٢) الشيزى : خشب أسود تتخذ منه القصاع ، يكفى عن كرمه ، والمدجج : الشاك في السلاح .

٣٩٥ - يزيد بن أبي مسلم وسليمان بن عبد الملك

لَمَّا وَلى سليمان بن عبد الملك ، أتى يزيد بن أبي مسلم : مولى الحجاج ، في جامعة^(١) ، وكان رجلاً دميماً تقصّجه^(٢) العين ، فلما رآه سليمان قال : لعن الله امرأً أجرك رَسَنَكَ^(٣) ، وَوَلَى مثلك ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، إنك رأيتني والأمر عني مُذبر ، ولو رأيتني والأمر هلى مُقبل ، لاستعظمت من أمرى ما استصغرت ، ولا استجذلت ما استحققت ، فقال له سليمان : « أين ترى الحجاج ، أيهوى في النار ، أم قد استقر في قعرها ؟ » ، فقال : « يا أمير المؤمنين : لا تقل هذا ، إن الحجاج قمع لكم الأعداء ، ووطأ لكم المنابر ، وزرع لكم الهيبة في قلوب الناس ، وبعد فإنه يأتي يوم القيامة عن يمين أبيك ، وشمال أخيك الوليد ، فضعه من النار حيث شئت » ، فصاح سليمان : اخرج إلى لعنة الله ، ثم التفت إلى جلسائه ، فقال : قبّحه الله ما كان أحسن ترتيبه انفسه ولصاحبه ، ولقد أحسن المسكافاة ، أطلقوا سبيله .

(أمالي السيد المرتضى ١ : ٢١٥ ، والمعقد الفريد ١ : ١٥٠)

ومروج الذهب ٢ : ١٦٤ ، والبيان والتبيين ١ : ٢١٠)

(١) الجامعة : القيد . (٢) تزدرية . (٣) الرسن : الحبل ، وأجره رسته : تركه يصنع ماشاء ، يعنى الحجاج ، وكان سليمان يكتب إلى الحجاج في أيام أخيه الوليد بن عبد الملك كتباً فلا ينظر له فيها ، فحقد عليه ، وكتب إليه كتاباً شديد المهجة ، وفيه يقول : وأيم الله لن أمكنني الله منك لأدوسنك دوسة تلين منها فرائسك ، ولأجعلنك شريداً في الجبال ، تلوذ بأطراف الشمال » ويقول : فرويلك حتى تنظر كيف يكون مصيرك إن كانت بي وبك مدة أتعاق بها . فرد عليه الحجاج بكتاب يقول فيه : ولعمري إنك نصبي حديث السن تعذر بقله عقلك ، وحدائة سنك ، ويرقب فيك غيرك » ويقول : « جمعت أمورا دلاك فيها الشيطان عل أسوأ أمرك ، فسكان الجفاه من خليقتك ، والهدق من طبيعتك ، وأقبل الشيطان بك وأدبر . . . الخ » انظر المعقد الفريد ج ٣ ص ١٦ ، وقد مات الحجاج قبل أن يتولى سليمان الخلافة بسنة .

٣٩٦ - وفود العراق على سليمان بن عبد الملك

وقدمت وفود العراق على سليمان بن عبد الملك بعد ما استخلف ، فأمرهم بشتم الحجاج ، فقاموا يشتمونه ، فقال بعضهم : « إن عدو الله الحجاج كان عبداً زبانياً ^(١) ، قنور بن قنور ^(٢) ، لا نسب له في العرب » قال سليمان : أى شتم هذا ! إن عدو الله

(١) بائع زبيب ، قيل إنه كان يبيع الزبيب بالطائف ، وذكروا أنه كان أول أمره يعلم الصبيان مع أبيه بالطائف - ويسمى كليباً - وفيه يقول الشاعر :

أينسى كليب زمان الهزال وتعليمه سورة الكور ؟
رغيف له فلك دائر وآخر كالقمر الأزهر

« يشير إلى خبز المعلمين ، فإنه يختلف في الصغر والكبر على قدر بيوت الصبيان » ويقول آخر :

فلولا بنو مروان كان ابن يوسف كما كان عبداً من هيد إباد
زمان هو العبد المقر بذله يروح صبيان القرى ويغادى

« راحهم وروحهم : ذهب إليهم رواحاً » ، ثم صار دباغاً كما يدل على ذلك هجاء كعب الأشقرى له ، وذلك أن المهلب بن أبي صفرة لما أطال قتال الأزارقة ، كتب إليه الحجاج يستبطفه ويضعفه ويمجزه في تأخير متاجرتهم ، فقال المهلب لرسوله : قل له : إن الشاهد يرى مالا يرى الغائب ، فإن كنت نصبتني لحرب هؤلاء القوم على أن أديرها كما أرى ، فإن امكنتني الفرصة انتهزتها ، وإن لم تمكني فأنا أدبر ذلك بما يصلحه ، وإن أردت مني أن أعمل برأيك وأنت غائب ، فإن كان صواباً فلك ، وإن كان خطأ فعلى ، فابحث من رأيت مكاناً » وقام كعب الأشقرى إلى المهلب ، فأنشده بحضرة رسول الحجاج أبياتا منها :

إن ابن يوسف غره من غزوكم خفض المقام بجانب الأمصار
لو شاهد الصفين حين تلاقيا ضاقت عليه رحبة الأقطار
ورأى معارضة الدباغ غنيمة أزمان كان محالف الإقتار

فلغت أبياته الحجاج ، فكتب إلى المهلب يأمره بإشخاص كعب الأشقرى إليه ، فأعلم المهلب كعباً بذلك ، وأوفده إلى عبد الملك من ليته ، وكتب إليه يستوهد منه ، فقدم كعب على عبد الملك واستنشدته ، فأعجبه ما سمع منه ، فأوفده إلى الحجاج ، وكتب إليه يقسم عليه أن يدقوه عنه ، فلما دخل عليه قال : إيه يا كعب ، « ورأى معارضة الدباغ غنيمة » ا فقال له : أيها الأمير ، والله لقد وددت في بعض مشاهدته في تلك الحروب وأزماتها ، وما يوردناه المهلب من خطرهما ، أن أنجو منها ، وأكون حجاباً ، أو حائكاً ، فقال له الحجاج : أولى لك ، لولا قسم أمير المؤمنين لما نفعك ما سمع ، فالحق بصاحبك ، وبعض الرواة ينكر هذا القول ، ويقول : هذه من أكاذيب الشعراء : - انظر الأغاني ج ١٣ ص ٥٧ ، وشرح الميون ص ١١٢ ، والمقد الفرزدق ٣ : ٦ . (٢) القنور : الشمس الصعب من كل شيء ، وكقنور : العبد .

الحجاج كتب إلى : « إنما أنت نقطة من مداد ، فإن رأيت في ما رأى أبوك وأخوك كنت لك كما كنت لهما ، وإلا فأنا الحجاج وأنت النقطة ، فإن شئت محوتك ، وإن شئت أثبتك » فالعنوه لعنه الله ، فأقبل الناس يلعنونه ، فقام ابن أبي بريدة بن أبي موسى الأشعري فقال : « يا أمير المؤمنين ، إنا نخبرك عن عدو الله يعلم » قال : هات ، قال : « كان عدو الله يتزين تزين المومسة^(١) ، ويصعد المنبر فيتكلم بكلام الأخيار ، فإذا نزل عمل عمل الفراعنة ، وأكذب في حديثه من الدجال » ، فقال سليمان لرجاء بن حيوة : « هذا وأبيك الشتم ، لا ما تأتى به السفلة^(٢) » . (البيان والتبيين ١ : ٢١١)

٣٩٧ - كلام أبي حازم لسليمان بن عبد الملك

حج سليمان بن عبد الملك ، فلما قدم المدينة للزيارة بعث إلى أبي حازم الأهرج ، وعنده ابن شهاب ، فلما دخل قال : تكلم يا أبا حازم . قال : فيم أتكلم يا أمير المؤمنين؟ قال : في المخرج من هذا الأمر . قال : يسير إن أنت فعلته . قال : وما ذاك؟ قال : لا تأخذ الأشياء إلا من حيلها ، ولا تضعها إلا في أهلها . قال : ومن يقوى على ذلك؟ قال : من قلده الله من أمر الرعية ما قللك ، قال : عظمى أبا حازم . قال : اعلم أن هذا الأمر لم يصر إليك إلا بموت من كان قبلك ، وهو خارج من يديك بمثل ما صار إليك . قال : يا أبا حازم أشر على ، قال إنما أنت سوق ، فما نفق^(٣) عندك حيل إليك من خير أو شر ، فاختر أيهما شئت . قال : مالك لا تأتينا؟ قال : وما أصنع بإتيانك يا أمير المؤمنين؟ إن أدنيتني فتنيتني ، وإن أقصبتني أخزيتني ، وليس عندك ما أرجوك له ، ولا عندي

(١) امرأة مومس ومومسة : فاجرة ، أو مجاهرة بالفجور من الومس كوهج : وهو احتكاك الشيء بالشيء.

حتى ينجرد؟ وأومست : أمكنت من الومس . (٢) سفلة الناس كسفلة وفرحة : أسافلهم وغوغاؤهم.

(٣) راج .

ما أخافك عليه : قال : فارفع إلينا حاجتك . قال : قد رفعتها إلى من هو أقدر منك عليها ،
فما أعطاني منها قِبَلْتُ ، وما منعتني منها رَضِيْتُ .

(المقدم الفريد ١ : ٣٠٦ ، والبيان والتبيين ٣ : ٧٢)

٣٩٨ - أبو حازم وسليمان بن عبد الملك أيضاً

ودخل عليه أبو حازم الأعرج ، فقال : يا أبا حازم ما لنا نكره الموت ؟ فقال :
لأنكم عمرتم دنياكم ، وأخرتكم آخرةكم ، فأنتم تكرهون الثقل من العمران إلى
الخراب ، قال : فأخبرني ، كيف القوم على الله ؟ قال : أما المحسن فكأنائب يأتي
أهله مسروراً ؟ وأما المسيء فكأنعبد الآبى^(١) يأتي مولاه محزوناً ، قال : فأى الأعمال
أفضل ؟ قال : أداء الفرائض مع اجتناب المحارم ، قال : فأى القول أعدل ؟ قال : كلمة
حق عند من تخاف وترجو ، قال : فأى الناس أعدل ؟ قال : من عمل بطاعة الله ، قال :
فأى الناس أجهل ؟ قال : من باع آخرته بدنيا غيره ، قال : عظمى وأوجز ، قال :
يا أمير المؤمنين ، نزهة ربك ، وعظمة أن يراك حيث نهاك ، أو يفقدك حيث أمرك ،
فبكى سليمان بكاء شديداً ، فقال له بعض جاسائيه : أسرفت وينحك على أمير المؤمنين ،
فقال له أبو حازم : أسكت فإن الله عز وجل أخذ الميثاق على العلماء ليبيئننه للناس
ولا يكتمونه ، ثم خرج فلما صار إلى منزله بعث إليه سليمان بمال ، فردّه وقال للرسول :
قل له : والله يا أمير المؤمنين ما أرضاه لك ، فكيف أرضاه لنفسى ؟

(مروج الذهب ٢ : ١٦٤ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ١٤٧)

(١) الآبى : الحارب .

۳۹۹ - وفد أهل الحجاز عند عمر بن عبد العزيز

لما استخلف عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، قدّم عليه وفود أهل كل بلد ، فتقدم إليه وفد أهل الحجاز ، فأمر أبّ منهم غلاماً للكلام ، فقال عمر : مهلاً يا غلام ، ليُتكلّم من هو أسنُّ منك ، فقال الغلام : مهلاً يا أمير المؤمنين ، إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، فإذا منح الله العبد لساناً لا فظاً ، وقلباً حافظاً ، فقد استجد له الحليّة ، ولو كان التقدّم بالسنّ لكان في هذه الأمة من هو أحقّ بمجالسك منك ، فقال عمر : صدقت ، تكلم ، فهذا السّحر الخلال ، فقال : يا أمير المؤمنين ، نحن وفد الهدية لا وفد المرزنة^(۱) ، قدّمنا إليك من بلدنا ، نحمد الله الذى منّ بك علينا ، لم يُخرجنا إليك رغبة ولا رهبة ، لأننا قد أمّنا في أيامك ما خفنا وأدركنا ما طلبنا ، فقال : عطفنا يا غلام وأوجز ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ، إن أناساً غرّم حِلْمُ الله عنهم ، وطولُ أمليهم ، وحسنُ ثناء الناس عليهم ، فلا يفرّونك حِلْمُ الله عنك ، وطولُ أملاك ، وحسنُ ثناء الناس عليك ، فتزلّ قدمك ، فنظر عمر في سن الغلام ، فإذا هو قد أتت عليه بضع عشرة سنة^(۲) ، فأنشأ عمر يقول :

تعلم فليس المرء يولد عالماً وليس أخو علم كمن هو جاهل
وإن كبير القوم لا يلمّ عنده صغيرٌ إذا التفت عليه المحافل

(مروج الذهب ۲ : ۱۶۹ ، وزهر الآداب ۱ : ۹)

(۱) رزاه ماله كجمل وعلم : أصاب منه شيئاً ، ورزاه مرزنة : أصاب منه خيرا ، أى لسانا واندين للمطاء.

(۲) وفي زهر الآداب : « فسأل عمر عن سن الغلام فقيل عشر سنين ».

٤٠٠ - خالد بن صفوان يعزى عمر بن عبد العزيز ويهنته

وعزى خالد بن صفوان عمر بن عبد العزيز وهنأه بالخلافة ، فقال :
« الحمد لله الذى من على الخلق بك ، والحمد لله الذى جعل موتكم رحمة ، وخلافتكم
عصمة ، ومصائبكم أسوة ، وجعلكم قدوة »
(زهر الآداب ٣ : ٢٤٧)

٤٠١ - خطبة عبد الله بن الأهم

دخل عبد الله بن الأهم على عمر بن عبد العزيز - رحمه الله تعالى - مع العامة ، فلم
يفجأ عمر إلا وهو مائل بين يديه يتكلم ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
« أما بعد ، فإن الله خلق الخلق ، غنياً عن طاعتهم ، آمناً من معصيتهم ، والناس
يومئذ في المنازل والرأى مختلفون ، والعرب بشر تلك المنازل ، أهل الوتر وأهل المدر ،
تحتاز دونهم طيبات الدنيا ورفاغة^(١) عيشتها ، ممتهم في النار ، وحجهم أعمى ، مع
ما لا ينجيهم من المرغوب عنه ، والمزهود فيه ، فلما أراد الله أن يندشر فيهم رحمة ، بعث
إليهم رسولا منهم « عزير عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين رءوف رحيم » ،
فلم يندمهم ذلك أن جرحوه في جسمه ، واقتبوه في اسمه^(٢) ، ومعه كتاب من الله لا يرحل
إلا بأمره ولا ينزل إلا بإذنه ، واضطروه إلى بطن غاز ، فلما أمر بالعزيمة أسفر لأمر الله
لونه ، فأفدج^(٣) الله حجته ، وأعلى كلمته ، وأظهر دعوته ، ففارق الدنيا نقياً تقياً ،
صلى الله تعالى عليه وسلم ، ثم قام بعده أبو بكر رضى الله تعالى عنه ، فسلك سنته وأخذ سبيله ،
وارتدت العرب فلم يقبل منهم بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلا الذى كان قابلاً منهم ،

(١) الرفافة والرفاغية : سمة للعيش والخصب . (٢) توصفوه بأنه ساحر ، وكذاب ،

وكافن ، وشاعر . (٣) نصر .

فانتفضى السيوف من أعقادها ، وأوقد النيران من شعاعها ، ثم ركب بأهل الحق أهلَ الباطل ، فلم يَبْرَحْ يفصل أوصالم ، ويسقى الأرضَ دماءهم ، حتى أدخاهم في الذي خرجوا منه ، وقرَّروهم بالذي نفرُّوا منه ، وقد كان أصاب من مال الله بَكْرًا^(١) يرتوى عليه ، وحبشية تُرَضِّع ولداً له ، فرأى ذلك غصّة عند موته في حلقه ، فأدّى ذلك إلى الخليفة من بعده ، وَبَرِيْ إِيَّاهُمْ مِنْهُ ، وفارق الدنيا نقيّاً تقيّاً ، تلى منهاج صاحبه ، رضى الله تعالى عنه . ثم قام من بعده عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، فحصر الأمصار ، وخاطب الشدة باللين ، فحسّر عن ذراعيه ، وشمّر عن ساقيه ، وأعدّ الأمور أقرانها^(٢) ، وللحرب آلتها ، فلما أصابه قِن^(٣) المغيرة بن شعبه ، أمر ابن عباس يسأل الناس : هل يُثبتون قتله ؟ فلما قيل له قِن المغيرة ، استهل^(٤) بحمد الله أن لا يكون أصابه ذو حق في الفء ، فيستحلّ دمه بما استحلّ من حقه ، وقد كان أصاب من مال الله بضعاً وثمانين ألفاً ، فكسرها رِباءه^(٥) ، وكريه بها كغفالة أهله وولده ، فأدّى ذلك إلى الخليفة من بعده ، وفارق الدنيا نقيّاً تقيّاً على منهاج صاحبه ، رضى الله تعالى عنهما ، ثم إنا والله ما اجتمعنا بعدها إلا على ظُلْم^(٦) ، ثم إنك يا عمر ابن الدنيا ، ولدتك ملوكها ، وألقتك ثديها ، فلما وُلِّيتها أقيتها حيث ألقاها الله ، فالحمد لله الذي جلا بك حوبتها^(٧) ، وكشف بك كربتها ، امضِ ولا تلتفت ، فإنه لا يذللّ على الحق شيء ، ولا يعزّ على الباطل شيء ، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم وللمؤمنين والمؤمنات ، ولما أن قال : « ثم إنا والله ما اجتمعنا بعدها إلا على ظُلْم » سكت الناس كلهم إلا هشاماً فإنه قال : « كذبت » .

(البیان والتبيين ٢ : ٥٩ . والمقدّم الفريد ٢ : ١٤٣ . وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص ١٠٩ . وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ص ١٣٦) .

- (١) الفنى من الإبل . (٢) أسبابها التي تقاد بها ، جمع قرن كسبب : وهو الحبل يجمع به البعيران . (٣) القن : عبد ملك هو وأبوه ، أو الذى ولد عندك ولا تستطيع إخراجه منك (٤) صاح . (٥) الرباع جمع ربع كشمس : وهو الدار . (٦) جمع ظالم : وهو للثمن والمائل ، وأصله من ظلم البحر كنع : غمز في شيء . (٧) الحوبة : ألهم والحاجة .

٤٠٢ - مقام محمد بن كعب القرظي بين يدي عمر بن عبد العزيز

قام محمد بن كعب القرظي بين يدي عمر بن عبد العزيز ، فقال :

« إنما الدنيا سوقٌ من الأسواق ، فمنها خرج الناس بما ينفعهم وبما يضرهم ، وكم من قوم قد غرّم مثل الذي أصبَحْنَا فيه ، حتى أتاهم الموت فاستوعبَهُمْ ، فخرجوا من الدنيا مُرَمِلِينَ^(١) ، لم يأخذوا لما أُحِبُّوا من الآخرة عُدَّةً ، ولا لما كَرِهوا جُنَّةً ، واقتسم ما جمعوا من لم يَحْمَدِمْ ، وصاروا إلى من لا يَعْذِرُهُمْ ، فانظر الذي نحب أن يكون معك إذا قَدِمْتَ ، فَقَدِّمْهُ بين يديك حتى تخرج إليه ، وانظر الذي تكره أن يكون معك إذا قَدِمْتَ ، فابتغ به البَدَلَ ، حيث يجوز البَدَل ، ولا تذهب إلى سِلْعَةٍ قد بَارَتْ على غيرك ، ترجو جَوَازَهَا عنك . يا أمير المؤمنين ، افتح الأبواب ، وسهّل الحِجَابَ ، وانصر المظلوم ، وَرُدِّ الظالم . »

(عيون الأخبار م ٢ ص ٢٤٣ ، وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ١٣٤)

٤٠٣ - وفد أهل الحجاز على هشام بن عبد الملك

وفد أهل الحجاز من قريش على هشام بن عبد الملك بن مروان ، وفيهم محمد ابن أبي الجهم^(٢) بن حذيفة العدوي ، وكان أعظَمَهُمْ قدراً ، وأكبرهم سِنًا ، وأفضلَهُمْ رأياً وَحِلْمًا ، فقام متوكِّئًا على عصا ، فقال :

أصلح الله أمير المؤمنين ، إن خطباء قريش قد قالت فيك فأطنبت ، وأئننت عليك فأحسنت ، ووالله ما بلغ قائمهم قدرك ، ولا أحصى مُنْذِبِهِمْ فضلك ، أفتأذن لي في الكلام؟ قال: تكلم ، قال: أفأرجز أم أطنب؟ قال: بل أوجز ، قال: « تولاك الله أمير المؤمنين

(١) أرمل : نفذ زاده وانقر . (٢) في الأمال « إسماعيل بن أبي الجهم » .

بالحسنى ، وَزَيْنِكَ بالتقوى ، وَجَمْعُ لِكَ خَيْرَ الآخِرَةِ وَالْأُولَى ، إِنْ لِي حَوَائِجٌ أَوْ أَذْكَرَهَا ؟
 قَالَ : هَاتِيهَا ، قَالَ : كَبِرَتْ سِنِّي ، وَضَعُفَتْ قُوَايَ ، وَاشْتَدَّتْ حَاجَتِي ، فَإِنِ رَأَى
 أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَجْبُرَ كَسْرِي ، وَيَبْنِي فَقْرِي ، قَالَ : يَا بَنَ أَبِي الْجَهْمِ ، وَمَا الَّذِي يَجْبُرُ
 كَسْرَكَ ، وَيَبْنِي فَقْرَكَ ؟ قَالَ : أَلْفُ دِينَارٍ ، وَأَلْفُ دِينَارٍ ، وَأَلْفُ دِينَارٍ ، فَأَطْرَقَ هِشَامُ
 طَوِيلًا ، ثُمَّ قَالَ : هِيَاتِ يَا بَنَ أَبِي الْجَهْمِ ، بَيْتُ الْمَالِ لَا يَحْتَمِلُ مَا سَأَلْتَ ، فَقَالَ : أَمَّا
 إِنْ أَمَرَ لَوْ أَحَدٌ ، وَلَكِنْ اللَّهُ آتَرَكَ لِمَجْلِسِكَ ، فَإِنْ تَعَطْنَا فَحَقْنَا أُدْبِتَ ، وَإِنْ تَمَنَعْنَا نَسَأَلُ
 الَّذِي بِيَدِهِ مَا حَوَيْتَ ، إِنْ اللَّهُ جَعَلَ الْعَطَاءَ مَحَبَّةً ، وَالْمَنَعَ مَبْغِضَةً ، وَلَا أَنْ أُحِبَّكَ أَحَبُّ
 إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُبْغِضَكَ ، قَالَ : فَأَلْفُ دِينَارٍ لِمَاذَا ؟ قَالَ : أَقْضِي بِهَا دَيْنًا قَدْ حُمِّمْتُ^(١) قَضَاؤُهُ ،
 وَفَدَحْنِي^(٢) سَخْلَهُ ، وَأَرْهَقْنِي^(٣) أَهْلُهُ ، قَالَ : نَعَمْ الْمَسْلُوكُ أَهْلُكُنَّهَا ، دَيْنًا قَضَيْتَ ، وَأَمَانَةً
 أُدْبِتَ ، وَأَلْفُ دِينَارٍ لِمَاذَا ؟ قَالَ : أَزَوِّجُ بِهَا مَنْ أُدْرِكُ مِنْ وَلَدِي ، فَأَشُدُّ بِهِمْ عَضُدِي
 وَيَكْتُرُ بِهِمْ قَدْدِي قَالَ : وَلَا بَأْسَ أَغْضَضْتَ طَرْفًا ، وَحَصَّصْتَ فَرْجًا ، وَأَمَرْتِ^(٤)
 نِسَاءً ، وَأَلْفُ دِينَارٍ لِمَاذَا ؟ قَالَ : أَشْتَرِي بِهَا أَرْضًا يَعِيشُ بِهَا وَلَدِي ، وَأَسْتَعِينُ بِفَضْلِهَا
 عَلَى نَوَائِبِ دَهْرِي ، وَتَسْكُونُ ذُخْرًا لِمَنْ بَعْدِي ، قَالَ : وَلَا بَأْسَ ، أَرَدْتَ ذُخْرًا ،
 وَرَجَوْتَ أَجْرًا ، وَوَصَلْتَ رَحِمًا ، قَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِمَا سَأَلْتَ ، قَالَ : فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ ،
 وَجَزَاكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَالرَّحِمَ خَيْرًا ، وَخَرَجَ ، فَقَالَ هِشَامُ : تَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ رَجُلًا
 أَلْطَفَ فِي سَوْأَلٍ ، وَلَا أَرْفَقَ فِي مَقَالٍ مِنْ هَذَا ، هَكَذَا فَلْيَكُنِ الْقَرَشِيُّ ، وَإِنَّا لَنَعْرِفُ
 الْحَقَّ إِذَا نَزَلَ ، وَنَكْرَهُ الْإِمْرَافَ وَالْبَخْلَ ، وَمَا نُعْطَى تَبْذِيرًا ، وَلَا نَمْنَعُ تَقْتِيرًا ،
 وَمَا نَحْنُ إِلَّا خُزَّانُ اللَّهِ فِي بِلَادِهِ ، وَأَمْنَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ ، فَإِنْ أُذِنَ أَعْطَيْنَا ، وَإِذَا مَنَعَ أَبَيْدْنَا ؛
 وَلَوْ كَانَ كُلُّ قَائِلٍ يَصْدُقُ ، وَكُلُّ سَائِلٍ يَسْتَحِقُّ ، مَا جَبَّهْنَا^(٥) قَائِلًا ، وَلَا رَدَدْنَا سَائِلًا ،
 فَسَأَلَ الَّذِي بِيَدِهِ مَا اسْتَحْفَظْنَا أَنْ يُجْرِيَهُ عَلَى أَيْدِينَا ، فَإِنَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ

(١) حم الأمر : قضى وقدر . (٢) انقلبي . (٣) الإرهاق : أن تحمل الإنسان على
 حالاطيقته . (٤) كثرت . (٥) جبهه كنهه : انفيه بما يكره .

وَيَقْدِرُ^(١) ، إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، لقد تكلمت فأبغنت ، وما بلغ في كلامه ما قصصت ، فقال : إنه مبتدى ، وليس المبتدى كالمقتدى .

(صبح الأعشى ١ : ٢٦٤ ، والأمالى ١ : ١٤٧ ، والعقد الفريد ٢ : ٢٨٥)

٤٠٤ — مقام خالد بن صفوان بين يدي هشام

قال خالد بن صفوان : وفدت على هشام فوجدته قد بدأ يشرب الدُّهْن ، وذلك في عام باكرٍ وشمسيه ، وتتابع وليه^(٢) ، وأخذت الأرض زخرفها ، فهي كالزُّرابي^(٣) المبتوثة ، والقباطي^(٤) المنشورة ، وثرأها كالسكفور ، لو وضعت به بضعة^(٥) لم تُترب^(٦) ، وقد ضربت له سرادقات حبر^(٧) ، بعث بها إليه يوسف بن عمر من اليمن ، تتلألاً كالعقيان^(٨) ، فأرسل إلي ، فدخلت عليه ، ولم أنزل واقفاً ، ثم نظر إلي كالمستنطق لي ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أتمَّ الله عليك نعمة ، ودفع عنك نقمة ، وجعل ما قلَّدك من هذا الأمر رُشداً ، وعاقبة ما يشول إليه حُداً ، وأخلصه لك بالثقي ، وكثره لك بالثما ، ولا كدر عليك منه ما صفأ ، ولا خالط سُروزة بالردى ، فلقد أصبحت للمؤمنين ثقةً ومُستترأحا ، إليك يقصدون في مظالمهم ، ويفزعون في أمورهم ، هذا مقام زبَّان الله به ذِكْرِي ، وأطاب به شَرِي^(٩) ، إذ أراي وجه أمير المؤمنين ، ولا أرى لمقامي هذا شيئاً هو أفضل من أن أنبه أمير المؤمنين لفضل نعمة الله عليه ، ليجدَّ الله على ما أعطاه ،

(١) يقبض ويقبض . (٢) الوسمى : مطر الربيع الأول ، سمي بذلك لأنه يسم الأرض ، والول :

المطر بعد الوسمى . (٣) جمع زربي بالمكسر ويضم : النمارق والبسط ، أو كل ما يسط واتكى عليه

(والنمارق : الرسائل الصغيرة) . (٤) قباطي بضم الأول مع تشديد الآخر ، وقباطي بفتح الأول

مع تخفيف الآخر جمع قبطية بالضم على غير قياس ، وقد تكسر : ثياب كتان بيض رفاق كانت تعمل في مصر .

(٥) البضعة وقد تكسر : القطعة من اللحم . (٦) أزره وأزره : جعل عليه التراب .

(٧) حبر جمع حبرة كعنبه : ضرب من برود اليمن . (٨) العقيان : الذهب .

(٩) التشر : الرائحة الطيبة .

ولا شيء، أحضر من حديث سلف الملك من ملوك العجم، إن أذن لي فيه حديثه به، قال: هات، قلت: «كأن رجل من ملوك الأعاجم جمع له فتاه^(١) السن، وصحة الطباع، وسعة الملك، وكثرة المال، وذلك بالخوزنق، فأشرف يوماً، فنظر ما حوله، فقال لمن حضره: هل علمتم أحداً أوتي مثل الذي أوتيت؟ فقال رجل من بقايا حملة الحجّة: إن أذنت لي تكلمت. فقال: قل، فقال: أرايت ما جمع لك، أشيء هو لك، لم يزل ولا يزول، أم هو شيء كان لمن قبلك زال عنه، وصار إليك، وكذلك يزول عنك؟ قال: لا. بل شيء كان لمن قبلي، فزال عنه، وصار إلي، وكذلك يزول عنى، قال: فسرت بشيء تذهب لذته، وتبقى تبعته، تكون فيه قليلاً، وترثه به طويلاً؟ فسكى وقال: أين المهرّب؟ قال: إلى أحد أمرين: إما أن تُقيم في ملكك، فتعمل فيه بطاعة ربك، وإما أن تُلقى عليك أماسحاً^(٢)، ثم تلحق بجبل، تعبد فيه ربك. حتى يأتي عليك أجلك، قال: فإلى إذا أنا فعلت ذلك؟ قال: حياة لا تموت، وشباب لا يهرم، وصحة لا تشقم، وملك جديد لا يبلى، قال: فإذا كان السحر فافرع على بابي، فإني مختار أحد الرأيين، فإن اخترت ما أنا فيه، كنت وزيراً لا يمضي، وإن اخترت فلوات الأرض وقفر البلاد، كنت رقيقاً لا يخالف، ففرع عليه عند السحر بابه، فإذا هو قد وضع تاجه، وخلع أطواره، ولبس أمساحه، وتهباً للسياحة، فلزما والله الجبل، حتى أتاهما أجهما، وأنشده قول عدي بن زيد:

وتفكر رب الخوزنق إذا أصبح يوماً ولهدى تفكير
سره حاله وكثرة ما يملك والبحر معرضاً والسدير^(٣)
فارعى قلبه، فقال: وما غبطة حتى إلى الممات بصير؟^(٤)

فسكى هشام وقام ودخل، فقال لي حاجبه: لقد كسبت نفسك شراً، دعاك أمير المؤمنين.

(١) الفتاه كساء: الشباب. (٢) الأماسح جمع كساح: وهو الكساء من شعر كثوب الرهبان.

(٣) معرضاً: من أمراض الشيء إذا ظهر وبرز. (٤) الغبطة: المسرة.

لتحدثه وتلويحه ، وقد عرفت عاقبته ، فما زدت على أن نعتت إليه نفسه ، فأقمت أياً ما أتوقع الشر ، ثم أتاني حاجبه ، فقال : قد أمر لك بجائزة ، وأذن لك في الانصراف .

(عيون الأخبار م ٢ : ص ٣٤١ ؛ الأغاني ٢ : ٣٣)

٥٠٥ — خالد بن صفوان يصف جريراً والفرزدق والأخطل

قال هشام بن عبد الملك لشيبه بن عقال - وعنده جرير والفرزدق والأخطل ، وهو يومئذ أمير - ألا تخبرني عن هؤلاء الذين قد مزقوا أعراضهم ، وهتكوا أستارهم ، وأغرّوا بين عشائرتهم ، في غير خير ولا بر ولا نفع ، أيهم أشعر ؟ فقال شيبه : « أما جرير فيعرف من بحر ، وأما الفرزدق فينبحت من صخر ، وأما الأخطل فيجيد المدح والفخر » ، فقال هشام : ما فسرت لنا شيئاً نحصله ، فقال : ما عندي غير ما قلت . فقال لخالد بن صفوان : صفهم لنا يا ابن الأهم ، فقال :

« أما أعظهم فخراً ، وأبعدهم ذكراً ، وأحسنهم عُذراً ، وأسيرهم مثلاً ، وأقلهم غزلاً ، وأحلامهم عيلاً ، الطامبي إذا زخر ، والحامي إذا زار^(١) ، والسامي إذا خطر ، الذي إن هدر قال ، وإن خطر صال ، الفصيح اللسان ، الطويل العنان ، فالفرزدق ؛ وأما أحسنهم نعتاً ، وأمدحهم بيتاً ، وأقلهم قوتاً ، الذي إن هجا وضع ، وإن مدح رفع ، فالأخطل ؛ وأما أغزرهم بحراً ، وأرقهم شعراً ، وأهتكهم امدوء ستراً ، الأغرُّ الأبلق ، الذي إن طلب لم يسبق ، وإن طاب لم يباحق ، فجرير ، وكلهم ذكي الفؤاد ، رفيع العماد ، واري الزناد » .

فقال له مسلمة بن عبد الملك : ما سمعنا بمثلك يا خالد في الأولين ، ولا رأينا في الآخرين ، وأشهد أنك أحسنهم وصدقاً ، واليهم عطفاً ، وأعفهم مقالا ، وأكرمهم فعلا .
فقال خالد : « أتم الله عليكم نعمته ، وأجزل لديكم قسمته ، وآمن بكم الغربة ،

(١) وفي رواية زهر الآداب : « إذا ذمر » .

وفرج بكم الكربة ، وأنت والله ما علمت أيها الأمير كريم الفراس ، عالم بالناس ، جواد في المجل^(١) ، بسام في البذل ، حلیم هند الطيش ، في ذروة قریش ، وأبواب عبد شمس ، ويومك خير من أمس .

فضحك هشام وقال : « ما رأيت كتحاصك يابن صفوان في مدح هؤلاء ووصفهم ، حتى أرضيتهم جميعاً ، وسليت منهم » .

(الأغاني ٧ : ٦٩ ، وزهر الآداب ٢ : ٢٦٣)

٤٠٦ — خالد بن صفوان وبلال بن أبي بردة

قال أبو المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي : كان بلال بن أبي بردة^(٢) جليداً حين أبتلي ، أحضره يوسف بن عمر في قيوده ، لبعض الأمر ، وهم بالحيرة ، فقام خالد بن صفوان ، فقال ليوسف : « أيها الأمير ، إن عدو الله بلائاً ضربني وحبسني ، ولم أفارق جماعة ، ولا خلعتُ يوماً من طاعة » ، ثم التفت إلى بلال فقال : « الحمد لله الذي أزال سلطانك ، وهدأ أركانك ، وأزال جمالك ، وغير حالك ، فوالله لقد كنت شديداً الحجاب ، مستخفياً بالشريف ، مظهراً للصديقة^(٣) » .

فقال بلال : « يا خالد ، إنما استطلت علي بثلاث ، هن معك علي ، الأمير مقبل عليك ، وهو عنى معرض ؛ وأنت مطلق ، وأنا مأسور ؛ وأنت في طينتك وأنا غريب » ، فأخذه .

وكان سبب ضرب بلال خالداً في ولايته ، أن بلالاً مرَّ بخالد في مؤكب عظيم ، فقال خالد : صحابة صيف عن قليل تقشع^(٤) ، فسمعه بلال ، فقال : والله لا تقشع أو يصيبك منها شوبوب^(٥) برد ، وأصر بضربه وحبسه .

(زهر الآداب ٣ : ١٩٠)

(١) القحط والجذب . (٢) هو بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري .

(٣) وكان أصله من العرب البياضين . (٤) تنكشف وتنفرق . (٥) الشوبوب: الدفعة من المطر.

٤٠٧ - خطبة الكميث بن زيد بين يدي هشام يستعطفه

روى صاحب العقد قال :

كَانَ الْكُمَيْتُ بْنُ زَيْدِ الْأَسَدِيِّ يَمْدَحُ بَنِي هَاشِمٍ وَيَمْرُضُ بَيْنِي أُمِيَّةَ ، فَطَلَبَهُ هِشَامُ ، فَهَرَبَ مِنْهُ عَشْرِينَ سَنَةً^(١) ، لَا يَسْتَقِرُّ بِهِ الْقَرَارُ ، مِنْ خَوْفِ هِشَامِ ، وَكَانَ مَسْأَلَةً بِنِ عَبْدِ الْمَلِكِ لَهُ عَلَى هِشَامِ حَاجَةٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَقْضِيهَا لَهُ ، وَلَا يَرُدُّهُ فِيهَا ، فَلَمَّا خَرَجَ مَسْأَلَةً يَوْمًا إِلَى بَعْضِ صُيُودِهِ ، أَتَى النَّاسُ يَسْأَلُونَ عَلَيْهِ ، وَأَتَاهُ الْكُمَيْتُ بْنُ زَيْدٍ فِيمَنْ أَتَى ، فَقَالَ :

السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، أَمَا بَعْدُ :

قِفْ بِالْدِيَارِ وَقُوفَ زَائِرٍ وَتَأَنَّ ، إِنَّكَ غَيْرُ صَافِرٍ^(٢)

حتى انتهى إلى قوله :

يَا مَسْلَمَ بْنَ أَبِي الْوَلِيدِ لِمَتِ إِنْ شِئْتَ نَاشِرٍ^(٣)
عَلِمَتْ حِبَالِي مِنْ حَبَا لِكَ ذِمَّةَ الْجَارِ الْجَارِ
فَالآنَ صِرْتُ إِلَى أُمِّيَّةَ ، وَالْأُمُورُ إِلَى الْمَصَابِرِ
وَالآنَ كُنْتُ بِهَ الْمَصِيبِ كَهْتَدٍ ، بِالْأَمْسِ حَاضِرٍ

فقال مسألة : سبحان الله ! من هذا الهنديكي^(٤) الجناح^(٥) ، الذي أقبل من أخريات الناس ، فبدأ بالسلام ، ثم أمأ بعد ، ثم الشعر ؟ قيل له : هذا الكميث بن زيد ، فأعجب به لفصاحته وبلاغته ، فسأله مسألة عن خبره ، وما كان فيه طول غيبته ، فذكر له سخط أمير المؤمنين عليه ، فضمن له مسألة أمانه ، وتوجه به حتى أدخله على هشام - وهشام لا يعرفه - فقال الكميث : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته

(١) يلاحظ أن مدة خلافة هشام كانت عشرين سنة من سنة ١٠٥ - إلى سنة ١٢٥ هـ . (٢) صافر : ذليل

(٣) نشره وأنشده : أحياء . (٤) رجل هندي : من أهل الهند ، (وهو هنا على التشبيه) .

(٥) الجناح : الشيخ الكبير ، والضمخ الأجلح ، (والأجلح : الذي انحسر الشعر من جانبي رأسه) .

الحمد لله ، قال هشام : نعم . الحمد لله ، ما هذا ؟ قال الكهيت : مبتدئ الحمد ومبتدئ ،
الذي خص بالحمد نفسه ، وأمر به ملائكته ، جعله فاتحة كتابه ، ومنتهى شكره ،
وكلام أهل جنّته ، أحده حمد من علم يقيناً ، وأبصر مستبيناً ، وأشهد له بما شهد به
نفسه « قائماً بالقيسط »^(۱) ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده العربي ،
ورسوله الأُمِّي ، أرسله والناس في هفوات حيرة ، ومدلهمات ظلمة ، عند استمرار أهبته^(۲)
الضلال ، فبلغ عن الله ما أمر به ، ونصح لأمتيه ، وجاهد في سبيله ، وعبّد ربه ، حتى
أتاه اليقين ، صلى الله عليه وسلم .

ثم إنى يا أمير المؤمنين ، نهت في حيرة ، وحررت في سكرة ، ادلّام^(۳) بي خطرهما ،
وأهاب^(۴) بي داعيها ، وأجابني غاويها ، فاقطوطيت^(۵) إلى الضلالة ، واتسكنت^(۶)
في الظلمة والجهالة ، جأراً عن الحق ، قائلاً بغير صدق ، فهذا مقام العائذ^(۷) ، ومنطق
التائب ، ومبصر الهدى بعد طول العمى ، يا أمير المؤمنين كم من عائر أفلتم عثرته ،
ومجترم^(۸) عفوتم عن جرّمه .

فقال له هشام - وأيقن أنه الكهيت - وَيُنْحَكَ ! مَنْ سَنَّ لَكَ الْغَوَايَةَ ، وَأَهَابَ بِكَ
فِي الْعَمَايَةِ^(۹) ؟ قال : الذي أخرج أبي آدم من الجنة : فذسي ولم يجد له عزماً ،
وأمير المؤمنين كريح رحمة أثارته سحاباً متفرقاً ، فلذقت^(۱۰) بمضه إلى بعض ، حتى التجم
فاستحك هذر^(۱۱) رَعْدَه ، وتلاؤ برقه ، فنزل الأرض فرويت ، واخضلت^(۱۲)

(۱) العدل . (۲) الأبهة : العظمة والبهجة والكبر . (۳) ادلّام الليل : ادلّام أي اسود
وأظلم ، وفي الأصل « ادلّام » وهو تصحيف . (۴) أي دعاني ؛ وفي الأصل « وأهب » وهو تحريف ؛
(ويقال أيضاً هيبت به أي دعوته لينزول) . (۵) اقطوطى : قارب في مشيه إمراساً .
(۶) تسكع : مشى مشياً متعسفاً لا يدري أين يأخذ من بلاد الله ، ونحوه . (۷) اللاجئ : المستجير .
(۸) جرم فلان وأجرم واجترم : أذنب . (۹) العماية : الغواية . (۱۰) من لفق الثوب
كفرب : ضم شقة إلى أخرى فخطهما . (۱۱) من هذر البعير كضرب هدرا وهديرا : صوت ؛ وفي
الأصل « هدار » وهو تحريف . (۱۲) ابتلت .

واخضرت ، وأسقيت ، فروى ظمآنها ، وامتلاً عطشانها ، فكذلك نعدك أنت
يا أمير المؤمنين ، أضاء الله بك الظلمة الداجية^(١) بعد العموس^(٢) فيها ، وحقن بك
دماء قوم أشعر خوفك قلوبهم^(٣) ، فهم يبكون لما يعلمون من حزمك وبصيرتك ،
وقد علموا أنك الحرب وابن الحرب إذا احمرت الخدق ، وعصت المغافر^(٤) بالهام ،
عز بأسك ، واستربط جأشك^(٥) ، مسمار هتان ، وكاف^(٦) بصير بالأعداء ، مغرى
الجيل بالنكراء^(٧) ، مستغن برأيه عن رأى ذرى الألباب ، برأى أريب ، وحلم مصيب
فأطال الله لأمير المؤمنين البقاء ، ونعم عليه النعماء ، ودفع به الأعداء ، فرضى عنه هشام
وأمر له بجائزة .

وروى صاحب الأغاني خطبة الكعيت^(٨) فقال :

(١) المظلمة . (٢) في الأصل : « العموس » بالعين ؛ وهو تجريف ، والصواب « العموس »
من عمس ككرم وفرح عماسة وعموسا : اشتد واسود وأظلم . (٣) أشعر الخوف والهم قلبى :
أزق به ، ركل ما أزلته بشئ : أشعرته به . (٤) المغفر كبير ، وبهاء ؛ وككتابة : زرد من الدرع
يلبس تحت القلنسوة ؛ أو حلق يتقنع به بالمتلح . (٥) أى صار رابطاً من ربط جأشه رباطة
(بالكسر) اشتد قلبه . (٦) فلان مسعر حرب وسمار : أى موقد نار الحرب ، ومطار هتان :
دطال ، وكاف كذلك ، وهما كناية عن الجود .

(٧) النكراء : الأمر الشديد . (٨) وكان سبب غضب هشام على الكعيت : أن حكيم بن عباس
الكلبي كان ولداً بهجاء مضر والكعيت مضرى - فكانت شعراء مضر تهجوه ويحجهم ، وكان الكعيت يقول
هو والله أشعر منكم ، قالوا فأجب الرجل ، قال إن خالد بن عبد الله القسرى - والى العراق وهو يمنى - محسن
إلى ، فلا أقدر أن أرد عليه ، قالوا فاسمع بأذنك ما يقول فى بنات عمك وبنات خالك من الهجاء ،
وأنشده ذلك فحمى الكعيت لمشيرته ؛ فقال قصيدته الملهبة ؛ وبلغ ذلك خالداً فقال والله لأقتلنه ، ثم اشترى
ثلاثين جارية بأعلى ثمن ؛ وتخيرهن نهاية فى حسن الوجوه والكمال والأدب ؛ فرواهن الهاشميات - وهى
قصائد قلها الكعيت فى مدح بنى هاشم ، وكان معروفاً بالتشيع لهم مشهوراً بذلك ، وتعد هذه القصائد من جيد
شعره ومختاره وهى مطبوعة مشهورة - ودمهن مع نخاس إلى هشام بن عبد الملك ، فاشتراهن جميعاً ، فلما أنس
بهن استنطقهن ، فرأى فصاحة وأدبا ، فاستقرأهن القرآن فقرأن واستنشدن الشعر ، فأشدهن قصائد
الكعيت الهاشميات ؛ فقال : وياكفن ! من قائل هذا الشعر ؟ قلن الكعيت بن زيد الأسدى ، قال وفى أى بلد =

حَدِثِ اللَّهِ ، وَأَثْنِي عَلَيْهِ ، وَصَلِّ عَلَى نَبِيِّهِ ثُمَّ قَالَ : « أَمَا بَعْدَ : فَإِنِّي كُنْتُ أَتَدَهْدِي ، فِي غَمْرَةٍ ، ^(۱) وَأَعُومُ فِي بَحْرِ غَوَايَةِ ، أَخْنِي عَلَى خَطَلُهَا ، وَاسْتَفْزَنِي وَهَلُمَّا ^(۲) ، فَتَحِيرْتُ فِي الضَّلَالَةِ ، وَتَسَكَّمْتُ فِي الْجَهَالَةِ ، مُهْرَعًا عَنِ الْحَقِّ ، جَائِرًا عَنِ الْقَصْدِ ، أَقُولُ الْبَاطِلَ ضَلَالًا ، وَأَفُوهُ بِالْبَهْتَانِ وَبِالْأَلَا ، وَهَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ ، مُبْصِرِ الْهُدَى ، وَرَافِضِ الْعَمَايَةِ ، فَانْغَسِلْ عَنِّي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْحَوْبَةَ ^(۳) بِالتَّوْبَةِ ، وَاصْفَحْ عَنِ الزَّلَّةِ ، وَاعْفُ عَنِ الْجُرْمَةِ ^(۴) » ، ثُمَّ قَالَ :

كَمْ قَالَ قَائِلِكُمْ لَعْنَا لَكَ ، عِنْدَ عَثْرَةِ لِعَاثِرٍ ^(۵)

وَغَفَرْتُمْ لِدَوَى الذَّنُوبِ مِنْ الْأَكْبَارِ وَالْأَصَاغِرِ

= هو ؟ قلن : في العراق ثم في الكوفة . فكتب إلى خالد عامه بالعراق : ابعث إلى برأس الكمييت ، فبعث إليه خالد في الليل ، فأخذه وأودعه السجن ، وعزم لينفذ أمر الخليفة فيه ، وأعمل الكمييت الخيلة في الفرار ، فبعث إلى زوجه حبسى (بهم ففتح الباء المشددة) فلما دخلت عليه لبس ثيابها ، وتنقب ثيابها ، وأقامها مكانه ، وخرج متنكرا ، وظل متواريا مدة ، حتى إذا أيقن أن الطلب قد خف عنه ، خرج ليلا في جماعة من بني أسد ، وما زال يسير حتى بلغ الشام ؛ واستجار بمسلمة بن عبد الملك ، فأجاره واحتال له في عفو الخليفة عنه ، فقال له : إن معاوية بن هشام مات قريبا ؛ وقد جزع عليه جزعا شديدا ، فإذا كان الليل فاضرب رواقك على قبره ، وأنا أبعث إليك بنيه يكونون معك في الرواق ، فإذا دعا بك تقدمت إليهم أن يربطوا ثيابهم بثيابك ، ويقولوا : هذا استجار بقبر أبينا ، ونحن أحق من أجاره ؛ فأصبح هشام على عادته متعلما من قصره إلى القبر ، فقال : من هذا ؟ فقالوا : لعله مستجير بالقبر ؛ فقال : يجار من كان لإل الكمييت فإنه لا جوار له ، فقيس : فإنه الكمييت ، قال : يحضر أعنف إحضار ، فلما دعى به ربط الصبيان ثيابهم بثيابه ، فلما نظر هشام إليهم اغرورقت عيناه واستعبر ، وهم يقولون : يا أمير المؤمنين استجار بقبر أبينا ، وقد مات ومات حظه من الدنيا ، فأجعله هبة له ولنا ؛ ولانفضحنا فيمن استجار به ، فسكى هشام حتى انتحب ؛ ثم أقبل على الكمييت ؛ فقال له : يا كمييت : أنت القائل كذا وكذا - بما أورده في هاشمياته؟ فقال : لا والله ؛ ولا أذن من أذن الحجاز وحشية ؛ ثم خطب بين يديه يستعطفه ، فعفا عنه وأجازه ، وتوفي الكمييت سنة ۱۲۶ هـ .

(۱) دهدي الحجر فتدهدي : دحرجه ، كدهده ، والغمرة : الانهماك في الباطل ، والشدة .

(۲) الوهل : الضعف والفرع . (۳) الحوبة : الإثم . (۴) الجرمة ككلمة : الجريمة .

(۵) يقال لعائر : لعالك ، وهو دماء له بأن ينتمش .

أَبِي أُمِّيَّةَ : إِنَّكُمْ أَهْلُ الْوَسَائِلِ وَالْأَوَامِرِ
تَقَاتِي لِكُلِّ مُلْمَأَةٍ وَعَشِيرَتِي دُونَ الْعَشَائِرِ
أَنْتُمْ مَعَادِينُ لَلْخَلَا فَعَرَّ كَأَبْرَأَ مِنْ بَعْدِ كَأَبْرَأَ
بِالنَّسْبَةِ الْمُتَقَابِلِينَ خَلَاءَ نَفَاً وَبِخَيْرِ عَاشِرٍ^(١)
وإلى القيامة لا تزا لُ إِشَافِعِ مِنْكُمْ وَوَاتِرِ

ثم قطع الإنشاد ، وعاد إلى خطبته فقال : « إغضاه أمير المؤمنين وسماحته وصباحته^(٢) ،
ومناط المنتجعين بحبِّه ، مَنْ لَا تُحَلُّ حُبُّوتُهُ لِإِسَاءَةِ الْمَذْنِبِينَ ، فضلاً عن استشاطَةِ غَضَبِهِ
بِجَهْلِ الْجَاهِلِينَ ، فقال له : وَيَلَّكَ يَا كَمِيتَ ا مِنْ زَيْنَ لَكَ الْغَوَايَةِ ، وَدَلَاكَ فِي الْعَمَايَةِ ؟
قال : الذي أخرج أبانا من الجنة ، وأنساه العهد ، فلم يجد له عزماً » فرضى عنه ، وأمر
له بجائزة . (العقد الفريد ١ : ١٥٤ ، والأغانى ١٥ : ١١٢)

٤٠٨ — مَخَاصِمُ عَدِيِّ بْنِ أَرْطَاةَ لِامْرَأَتِهِ عِنْدَ شَرِيحِ الْقَاضِي

دَخَلَ عَدِيُّ بْنُ أَرْطَاةَ عَلَى شَرِيحِ^(٣) الْقَاضِي بِمَخَاصِمِ امْرَأَتِهِ لَهُ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ،
قَالَ : وَعَلَيْكُمْ ، قَالَ : اسْتَمِعْ مِنِّي ، قَالَ : قُلْ أَسْمَعُ ، قَالَ : إِنِّي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّأْمِ ،
قَالَ : مِنْ مَكَانٍ سَحِيقٍ ، قَالَ : وَإِنِّي قَدِمْتُ إِلَى بِلَدِكُمْ هَذَا ، قَالَ : خَيْرٌ مَقْدَمٌ ، قَالَ :
وَإِنِّي تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً ، قَالَ : بِالرِّفَاءِ^(٤) وَالْبَيْنِينَ ، قَالَ : وَإِنِّهَا وَلَدَتْ غُلَامًا ، قَالَ :
إِبْنِيكَ الْفَارِسَ ، قَالَ : وَقَدْ كُنْتُ شَرَطْتُ لَهَا صَدَاقَهَا ، قَالَ : الشَّرْطُ أُمَّلَكَ ، قَالَ :

(١) هشام بن عبد الملك هو عاشر خلفاء بني أمية . (٢) الصباحة : الجمال ، صبح ككرم فهو صبيح .
(٣) هو أبو أمية شريح بن الحارث السكندی ، كان من كبار التابعين ، وأدرك الجاهلية ، واستقضى
عمر بن الخطاب على الكوفة ، وقد أقام قاضياً نحسا وسبعين سنة ، وكان أعلم الناس بالقضاء ، ذا فطنة
وفكاه ، ومعرفة ، وعقل ، وإصابة ، توفي سنة ٨٧ هـ ، وهو ابن مائة سنة ، وقيل ابن مائة وعشرين .
(٤) أي بالالتئام وجمع الشمل ، رفا الثوب كنع : لام خرقه ، وضم بعضه إلى بعض .

وقد أردت الخروج بها إلى بلدي ، قال : الرجل أحقُّ بأهله ، قال : فاقضِ بيدنا . قال :
قد فعلت ، قال : فملى من حكت ؟ قال : على ابن أمك ، قال : بشهادة من ؟ قال بشهادة
ابن أخت خالتك . (البيان والتبيين ۳ : ۲۳۴ ، ووفيات الأعيان ۱ : ۲۲۴)

۴۰۹ - كلمة لعمر و بن عتبة بن أبي سفيان

وقد تشاحُّ بنو هاشم ، و بنو أمية في ميراث بينهم
عن سفيان بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان قال : وقع ميراث بين بنى هاشم وبين
بنى أمية ، تشاحُّوا فيه ، وتضايقوا ، فلما تفرقوا أقبل علينا أبو ناعرو ، فقال :
« يا بني : إن أقرش درجاً تزلُّ عنها أقدامُ الرجال ، وأعمالاً تخشع لها رقابُ
الأموال ، وغاياتٍ تقصر عنها ألبابُ المسومة^(۱) ، وألسناً تكيلُ عنها الشفار المشحوذة
ولو اختلفت الدنيا ما تزيدت إلا بهم ، ولو كانت لهم ضافت بسمة أخلاقهم ، ثم إنه
ليخيل إلى أن منهم ناساً تحلقوا بأخلاق العوامِّ ، فصار لهم رفق في اللؤم ، وخرق^(۲)
في الحرص ، ولو أمكنهم لقاسموا الطير في أرزاقها : إن خافوا مكارهاً تمجّلوا له
الفقر ، وإن عجّلت لهم نعمة أخرّوا عليها الشكر ، أولئك أنضاء^(۳) الفـكـر ، وعجزة
حالة الشكر . » (الأمل ۲ : ۲۳۸ ، والقد الفريد ۲ : ۴۰)

(۱) الخيل المسومة : المرسله وعليها ركبانها ، أو المعلمة ، أي التي جعل عليها سومة (بالضم) أي سمة
وعلامة ، أو المرصية . (۲) كقفل وسبب ضد الرفق ، وأن لا يحسن الرجل العمل والتصرف في الأمور .
(۳) جمع نضوك حمل : وهو المهزول .

٤١٠ - خطبة دينار

وكان سيماك بن عبيد العباسي في حصار نهاوند (سنة ٢١ هـ) أسر رجلا من أهلها
يسمى دينار فأتى - حذيفة بن اليمان فصالحه على الخراج - فنسبت إليه ماء .
وكان يواصل سيماك ويهدى له ويواني الكوفة كلما كان عمله إلى عامل الكوفة
فقدم الكوفة في إمارة معاوية فقام في الناس بالكوفة فقال :
« يا معشر أهل الكوفة : أنتم أول ما مررتم ببناء ، كنتم خيار الناس ، فعمرتم بذلك
زمان عمر و عثمان ؛ ثم تغيرتم وفشت فيكم خصال أربع : بخل وخب^(١) وغدر وضيق ،
ولم يكن فيكم واحدة منهن ، فرمقتكم فإذا ذلك في مولدكم ، فعلت من أين أنيتم ،
فإذا الخب من قبل النبط ، والبخل من قبل فارس ، والغدر من قبل خراسان ، والضيق
من قبل الأهواز » .

(تاريخ الطبري ٤ : ٢٤٥)

٤١١ - رجل يمدح خالد بن عبد الله القسري

وقال رجل لخالد بن عبد الله القسري : « والله إنك لتبذل ما جَلَّ ، وتَجْبُرُ ما انقلَّ ،
وَتُكْثِرُ ما بقلَّ ، ففضلك بديع ، ورأيك جميع ، تحفظ ما شذَّ ، وتؤلف ما ندَّ » .
(زهر الآداب ٣ : ١٦٧)

(١) الخب : الخداع .

خطب الخوارج وما يتصل بها

٤١٢ - خطبة حيان بن ظبيان السلمي

روى ابن جرير الطبري في تاريخه قال :

كَانَ حَيَّانُ بْنُ ظَبْيَانَ السُّلَمِيُّ يَرَى رَأْيَ الْخَوَارِجِ - وَكَانَ مِنْ أَرْتَثَ^(١) يَوْمَ النَّهْرَوَانَ ، فَعَفَا عَنْهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فِي الْأَرْبَعِيَّةِ الَّذِينَ كَانُوا عَفَا عَنْهُمْ ، مِنَ الْمُرْتَشِينَ يَوْمَ النَّهْرِ - فَكَانَ فِي أَهْلِهِ وَعَشِيرَتِهِ : فَلَبِثَ شَهْرًا أَوْ نَحْوَهُ ، ثُمَّ لَانَهُ خَرَجَ إِلَى الرَّيِّ ، فِي رَجَالٍ كَانُوا يَرَوْنَ ذَلِكَ الرَّأْيَ ، فَلَمْ يَزَالُوا مَقِيمِينَ بِالرَّيِّ حَتَّى بَلَغَهُمْ قَتْلُ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ ، فَدَعَا أَصْحَابَهُ أَوْلِيَاءَهُ ، وَكَانُوا بِضِعْفِ عَشْرِ رَجُلًا ، فَأَتَوْهُ ، فَحَمَدَ اللَّهُ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

« أَبِهَا الْإِخْوَانُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ : إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ أَخَاكُمْ ابْنَ مُلْجَمٍ أَخَا مُرَادٍ قَعَدَ لِقَتْلِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عِنْدَ أَغْبَاشِ^(٢) الصَّبِيحِ ، مُقَابِلَ السُّدَّةِ^(٣) الَّتِي فِي الْمَسْجِدِ الْمَسْجِدِ الْجَمَاعَةِ ، فَلَمْ يَبْرَحْ رَاكِدًا يَنْتَظِرُ خُرُوجَهُ ، حَتَّى خَرَجَ عَلَيْهِ حِينَ أَقَامَ الْمُقِيمِ الصَّلَاةَ : صَلَاةَ الصَّبِيحِ ، فَشَدَّ عَلَيْهِ ، فَضْرَبَ رَأْسَهُ بِالسَّيْفِ ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا لَيْلَتَيْنِ حَتَّى مَاتَ » .
فَقَالَ سَالِمُ بْنُ رَبِيعَةَ الْعَبْسِيُّ : لَا يَقْطَعِ اللَّهُ يَمِينًا عَلَّتْ قَدَّالَهُ^(٤) بِالسَّيْفِ ، فَاخْذِ الْقَوْمَ بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَى قَتْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلَا رَضِيَ عَنْهُمْ وَلَا رَحِمَهُمْ ، ثُمَّ إِنَّ حَيَّانَ بْنَ ظَبْيَانَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ :

(١) ارتث : حمل من المعركة رثينا ، أي جرحا وبه رمق . (٢) أغباش جمع غبش بالتحريك : وهو ظلمة آخر الليل . (٣) السدة : باب الدار ، وهي هنا ما يبق من الطاق المسدود . (٤) القذال : جماع مؤخر الرأس .

« إنه والله ما يَبْقَى على الدهر باقٍ ، وما يلبثُ الليالي والأيامُ ، والسَّنونَ والشهورُ على ابن آدمَ ، حتى تُذْبِقَهُ الموتُ ، فيفارقَ الإخوانَ الصالحينَ ، ويدعَ الدنيا التي لا يبكي عليها إلا العَجْزَةُ ، ولم تزل ضارَّةً لمن كانت له همتا وشجَناً^(١) ، فانصرفوا بنا رَحِمَكُم اللهُ إلى مِصْرِنَا ، فَلَمَّاتِ إِخْوَانُنَا ، فَلَمَّذَعُهُمُ إِلَى الأَمْرِ بالمَعْرُوفِ ، والنَهْيِ عَنِ المُنْكَرِ ، وإلى جِهَادِ الأَحْزَابِ ، فَإِنَّهُ لَا عُذْرَ لَنَا فِي القَعُودِ ، وَوَلَاتُنَا ظَلَمَةٌ ، وَسُنَّةُ المَهْدَى مَتْرُوكَةٌ ، وَتَأْرُنَا^(٢) الَّذِينَ قَتَلُوا إِخْوَانُنَا فِي المَجَالِسِ آمِنُونَ ، فَإِنْ يُظْفِرْنَا اللهُ بِهِم نَعْمِدُ بِعَدُوِّ إِلَى التِّي هِيَ أَهْدَى وَأَرْضِي وَأَقْوَمُ ، وَبِشْفِي اللهُ بِذَلِكَ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، وَإِنْ نَقُتِلُ فَإِنَّ فِي مَفَارِقَةِ الظَّالِمِينَ رَاحَةً لَنَا ، وَلَنَا بِأَسْلَافِنَا أُسُوةٌ » .

فقالوا له : كلُّنا قائلٌ بما ذَكَرْتَ ، وَحامدٌ رَأْيِكَ الَّذِي رَأَيْتَ ، فَرِذُّ بِنَا المِصْرَ ، فَإِنَّا مَعَكَ راضُونَ بِهَذَاكَ وَأَمْرِكَ ، فَخَرَجُوا وَخَرَجُوا مَعَهُ مَقْبِلِينَ إِلَى الكَوْفَةِ ، حَتَّى نَزَلُوا ، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى قَدِمَ مَعَاوِيَةَ ، وَبِعَثَ المَغِيرَةَ بِنِ شُعْبَةَ وَاليَاءَ عَلَى الكَوْفَةِ .

(تاريخ الطبري ٦ : ٩٩)

(٢) الدار : تامل حيمك .

(١) الشجن : الهم والحزن .

اثمار الخوارج

ثم إن الخوارج في أيام المغيرة فزِعوا إلى ثلاثة نفرٍ منهم : المستورد بن علفة التيمي ، وحيان بن ظبيان السلمي ، ومعاذ بن جوين بن حصين الطائي ، فاجتمعوا في منزل حيان بن ظبيان ، فتشاوروا فيمن يؤثون عليهم ، فقال لهم المستورد :

٤١٣ - مقال المستورد بن علفة

« يا أيها المسلمون والمؤمنون ، أراكم الله ما تحببون ، وعزل عنكم ما تكرهون ، ولوا عليكم من أحببتهم ، فوالذي يعلم خائنة الأعين^(١) وما تخفي الصدور ، ما أبالي من كان الوالي علي منكم ، وما شرف الدنيا نريد ، وما إلى البقاء فيها من سبيل ، وما نريد إلا الخلود في دار الخلود . »

٤١٤ - مقال حيان بن ظبيان

فقال حيان بن ظبيان : « أما أنا فلا حاجة لي فيها ، وأنا بك وبكل امرئ من إخواني راض ، فانظروا من شئتم منكم فسموه ، فأنا أول من يبايعه . »

(١) بمسارقتها النظر إلى المحرم .

٤١٥ - مقال معاذ بن جوين

فقال لهم معاذ بن جوين : « إذا قاتما أنتما هذا ، وأنتما سيدا المسلمين ، وذوّا أنسابهم ، في صلاحكما ودينكما وقدركما ، فمن برّأ من المسلمين ؟ وليس كلكم يصلح لهذا الأمر ، وإنما ينبغي أن يبلى على المسلمين - إذا كانوا سواء في الفضل - أبصرهم بالحرب ، وأفقهم في الدين ، وأشدّهم اضطلاماً^(١) بما نُحْمَل ، وأنتما بحمد الله ممن يُرَضَى لهذا الأمر ، فليتوّله أحدكما » :

قالا : فتوّله أنت : فقد رضييناك ، فأنت - والحمد لله - الكامل في دينك ورأيك ، فقال لهما : أنتما أسنّ مني ، فليتوّله أحدكما ، فقال حينئذ جماعة من حضر : قد رضيينا بكم أيها الثلاثة ، فولّوا أيكم أحببتم ، وكانت خاتمة ذلك النقّاش أن بايعوا المستورد ، واتعدوا أن يتجهّزوا ويقبضوا ويستعدّوا ، ثم يخرجوا هلال شعبان سنة ٤٣ هـ .
(تاريخ الطبري ٦ : ١٠٠)

٤١٦ - خطبة المغيرة بن شعبه أمير الكوفة

يحذر أهلها من إيواء الخوارج ونصرتهم
وَنَمَى إِلَى الْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَنَّ الْخَوَارِجَ خَارِجَةٌ عَلَيْهِ ، فَقَامَ فِي النَّاسِ ، فَحَمِدَ اللَّهُ ،
وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

« أما بعد ، فقد علمتم أيها الناس أني لم أزل أحبّ لجماعتكم العافية ، وأكفّ عنكم الأذى ، وإني والله لقد خشيتُ أن يكون ذلك أدبَ سوءٍ لسفهاءكم ، فأما الخُلَفاءُ الأتقياء فلا ، وإيمُ الله لقد خشيتُ أن لا أجدُ بدءاً من أن يُعصَبَ الخليم التقي ، بذنوبِ

(١) أي قوة على حمله .

السفيه الجاهل ، فكفوا أيها الناس عنها ، كم ، قبل أن يشمل البلاء عوامكم ، وقد ذكر لي أن رجلاً منكم يريدون أن يظهروا في مصر بالشقاق والخلاف ، وأيم أفه لا يخرجون في حتى من أحياء العرب في هذا المصر إلا أبدتهم ، وجعاتهم تكالاً لمن بعدهم ، فنظروا قوم لأنفسهم قبل الندم ، فقد قت هذا المقام إرادة الحجّة والإعذار .

ثم نزل ، وبعث إلى رؤساء الناس فدعاهم ، ثم قال لهم :

« إنه قد كان من الأمر ما قد علمتم ، وقد قلت ما قد سمعتم ، فليكنفني كل امرئ من الرؤساء قومه ، وإلا فوالذي لا إله غيره لأتحوأنّ عما كنتم تعرفون ، إلى ما نذكره ونعما نحبون إلى ما تكرهون ، فلا يلم لأئيم إلا نفسه ، وقد أعذر من أنذر .»

فخرجت الرؤساء إلى عشائهم ، فنادى الله والإسلام إلا دأوم على من يرون أنه يريد أن يهيج فتنة ، أو يفارق جماعة ، وجاء صعصعة بن صوحان ، فقام في عيد القيس ، فقال :

٤١٧ - خطبة صعصعة بن صوحان

« يا معشر عباد الله : إن الله - وله الحمد كثيراً - لما قسم الفضل بين المسلمين خصكم منه بأحسن القسم ، فأجبتكم إلى دين الله ، الذي اختاره الله لنفسه ، وارتضاه لملائكته ورسله ، ثم أقمتم عليه حتى قبض الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم اختلف الناس بعده ، فبينت طائفة ، وارتدت طائفة ، وأذهنت طائفة ، وتربصت طائفة ، فلزمت دين الله إيماناً به وبرسوله ، وقانتم المرتدين ، حتى قام الدين ، وأهلك الله الظالمين ، فلم يزل الله يزيدكم بذلك خيراً في كل شيء ، وطى كل حال ، حتى اختلفت الأمة بينها ، فقالت طائفة : نريد طامحة والزبير وعائشة ، وقالت طائفة : نريد أهل المغرب^(١) ، وقالت

(١) أي معاوية ، وكان والياً على الشام ، وهي بالنسبة للمراق في المغرب .

طائفة : نريد عبد الله بن وهب اراسي : راسب الأزدي ، وقتلتم انتم : لا نريد إلا أهل البيت ، الذين ابتدأنا الله من قبيلهم بالكرامة ، تسديداً من الله لكم وتوفيقاً ، فلم نزالوا على الحق لازمين له ، آخذين به ، حتى أملاك الله بكم ، وبين كان على مثل هداكم ورأيكم . الباكثين يوم الجمل ، والمارقين يوم النهروان ، (وسكت عن ذكر أهل الشام لأن الساطان كان حينئذ ساطانهم) ، ولا قوم أعدى لله وأسى ، ولأهل بيت نبيكم ، ولجماعة المسلمين ، من هذه المارقة الخاطئة ، الذين فارقوا إمامنا ^(١) . واستحلوا دماءنا ، وشهدوا علينا بالكفر ، فأياكم أن تؤثروهم في دؤركم ، أو تسكنتموا عليهم ، فإنه ليس ينبغي لحي من أحياء العرب أن يكون أعدى لهذه المارقة منكم ، وقد والله ذكر لي أن بعضهم في جانب من الحي ، وأنا باحث عن ذلك وسائل ، فإن كان حكي لي ذلك حقاً ، تقربت إلى الله تعالى بدمائهم ، فإن دماءهم خلال ، ثم قال : يا معشر عبد القيس : إن ولاتنا هؤلاء هم أعرف شيء بكم وبرأيكم ، فلا تجملوا لهم عليكم سبيلاً ، فإنهم أسرع شيء إليكم وإلى أمثالكم .

وأقبل أصحاب المستورد يأتونه ، فليس منهم رجل إلا يُخبره بما قام به المغيرة بن شعبة في الناس ، وبما جاءهم رؤسائهم وقاموا فيهم ، وقالوا له : اخرج بنا فوالله ما نأمن أن نؤخذ في عشايرنا ، فخرج بهم من الكوفة ، ووجه المغيرة لقتالهم معقل بن قيس ارياحي فلما علم المستورد تمسير معقل إليه جمع أصحابه .

(تاريخ الطبري ٦ : ١٠٦)

(١) أي علياً عليه السلام .

۴۱۸ - خطبة المستورد

فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد : فإن هذا الخريف معقل بن قيس قد وُجِّه إليكم ، وهو من السَّبْيِيَّةِ^(۱) المعتزِّين الكاذبين ، وهو لله ولكم عدو ، فأشيروا على برايكم . فقال له بعضهم : والله ما خرجنا نريد إلا الله ، وجهاد من عادى الله ، وقد جاءونا فأين نذهب عنهم ؟ بل نقيم حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين ، وقالت طائفة أخرى : بل نعتزل ونتحجى ، ندعو الناس ونحتج عليهم بالدعاء .

فقال : « يا معشر المسلمين : إني والله ما خرجت ألتبس الدنيا ، ولا ذكرها ، ولا فخرها ، ولا البقاء ، وما أحبُّ آتياً لي بحذافيرها ، وأضعاف ما يُتفانس فيه منها ، بقبال^(۲) نعلي ، وما خرجت إلا التماس الشهادة ، وأن يهتديني الله إلى الكرامة ، بهوان بعض أهل الضلالة ؛ وإني قد نظرت فيما استشرتكم فيه ، فرأيت أن لأقيم لهم حتى يقدّموا على ، وهم حامون متوافرون ، ولكن رأيت أن أسير حتى أمين ، فإنهم إذا بلغهم ذلك خرجوا في طلبنا ، ففقطموا وتبدّدوا ، فعلى تلك الحال ينبغي لنا قتالهم ، فاخرجوا بنا على اسم الله عز وجل . »

(۱) السبئية : أتباع عبد الله بن سبأ ، وهو يهودى من صنعاء ، أسلم زمن عثمان ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم ، وغلا في علي ، وزعم أنه نبي . ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله ، ودعا إلى ذلك قوما من غوابة الكوفة وأقوام منهم إلى علي فقالوا له : أنت هو ، قال : ومن هو ؟ قالوا : أنت الله ، فاستعظم الأمر ، وأمر بنار فأججت في حفرتين ، وأحرقهم بها ، فجملوا يقولون وهم يرمون في النار : الآن صح عندنا أنه الله ، لأنه لا يمدب بالنار إلا الله ، ثم إن عليا خاف من إحراق الباقين منهم شامة أهل الشام ، وخاف اختلاف أصحابه عليه ، فنتى ابن سبأ إلى ساباط المدائن ، فلما بلغه مقتل علي قال : لو أتيتمونا بدماغه سبعين مرة ما صدقنا موته ، وزعم أن المقتول لم يكن عليا ، وإنما كان شيطانا تصور للناس في صورة علي ، وأن عليا صعد إلى السماء كما صعد إليها عيسى بن مريم ، ومن ابن سبأ انشعبت أصناف الفلاة . (۲) قبالة النعل : زمام بين الأصبع الوسطى والى قلبها .

فخرجوا فضوا على شاطئ دجلة ، فعبروه ومضوا في أرض جوحى ، حتى بانوا
المذار فأقاموا فيها ، وأقبل معقل بن قيس ، فأقام بالمداين ثلاثاً ، ثم جمع أصحابه ، فقال :
(تاريخ الطبرى ٦ : ١١٠)

٤١٩ - خطبة معقل بن قيس

« إن هؤلاء المارقة الضلال إنما خرجوا فذهبوا على وجوههم ، إرادة أن تعجلوا
في آثامهم ، فتنقطعوا وتتبددوا ، ولا تلحقوا بهم إلا وقد تعبتهم ونصبتهم^(١) ، وإنه ليس شيء
يدخل عليكم من ذلك إلا وقد يدخل عليهم مثله » فخرج في آثامهم حتى لحقهم بالمذار مقيمين .
ودارت بينهما رحى الحرب بشدة ، ودعا المستورد معقلاً المبارزة فتبارزا ، وطعنه
المستورد حتى خرج سنان الرمح من ظهره ، وضربه معقل بالسيف حتى خالط سيفه
أمّ الدماغ ، فوقع ميتاً ، وقتل معقل ، وشداً أصحابه على الخوارج ، فما لبثوهم أن قتلوهم .
(تاريخ الطبرى ٦ : ١١١)

٤٢٠ - كلمات حكيمة للمستورد

كان المستورد يقول : إذا أفضيتُ بسيرى إلى صديقى فأفشاء لم أُلْمَ ، لأنى كنت
أولى بحفظه ، ويقول : لا تنفس إلى أحدٍ سرّاً وإن كان مخلصاً إلا على جهة المشاورة ،
ويقول : كن أحرص على حفظ سِرِّ صاحبك ، منك على حقن دمك ، ويقول : أوّل
ما يدلُّ عليه عائبُ الناس معرفته بالعيوب ، ولا يعيب إلا عيباً ، ويقول : المال غير
باقٍ عليك ، فاشتر من الحد ما يبقى عليك ، ويقول : بذلُ المال في حقِّه استدعاء
المزید من الجواد^(٢) ، وكان يُكثِر أن يقول : لو ملكتُ الأرض بحذاقيرها ،
ثم دُعيت إلى أن أستفيد بها خطيئة ما فعلت .

(الكامل للمبرد ٢ : ١٥٥ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ ص ٤٥٣)

(٢) أى من المولى الكريم جل وملا .

(١) تعبتهم .

اثمار الخوارج ثانية

٤٢١ - خطبة حيان بن ظبيان

فلما كانت سنة ٥٨ هـ ، جمع حَيَّانُ بن ظبيان السَّلَمِيُّ أصحابه إليه ، ثم إنَّ حَمِيدَ اللَّهِ وأثنى عليه ، ثم قال لهم :

« أما بعد ، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ كتب علينا الجهاد ، فَمِنَّا مَنْ قَضَى نَجْبَهُ ^(١) ، وَمِنَّا مَنْ يَنْتَظِرُ ، وَأَوْلَئِكَ الْأَبْرَارُ الْفَائِزُونَ بِفَضْلِهِمْ ، وَمَنْ يَكُنْ مِنَّا مَنْ يَنْتَظِرُ فَهُوَ مِنْ سَلَفِنَا الْقَاضِينَ نَجْبَهُمْ ، السَّابِقِينَ بِإِحْسَانٍ ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَرِيدُ اللَّهُ وَتَوَابَهُ ، فَلْيَسْلُكْ سَبِيلَ أَصْحَابِهِ وَإِخْوَانِهِ ، يُؤْتِيهِ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ مَعَ الْمُحْسِنِينَ »

٤٢٢ - خطبة معاذ بن جوين

قال مُعَاذُ بن جُوَيْنِ الطَّائِي : « يَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ : إنا والله لو علمنا أننا إذا تركنا جهادَ الظَّالِمَةِ ، وَإِنْكَارَ الْجَوْرِ ، كان لنا به عند الله عُذْرٌ ، لكان تركه أيسرَ علينا وأخفَ من ركوبه ، ولَكنا قد علمنا واستيقنا أنه لا عُذْرَ لنا ، وقد جعل لنا القلوبَ والأسماعَ ، حتى تُنْكِرَ الظلمَ ، وتغيِّرَ الجورَ ، ونجاهدَ الظالمينَ » . ثم قال أبسطُ يدك نبياعك ، فبايعه ، وبايعه القومُ ، فضرروا على يد حَيَّانِ فبايعوه ، وذلك في إمارة عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفي ^(٢) .

(١) النعب : الأجل والنذر . (٢) وهو ابن أم الحكم أخت معاوية بن أبي سفيان .

ثم إن القوم اجتمعوا بعد ذلك بأيام إلى منزل مُعَاذِ بْنِ جُوَيْنٍ ، فقال لهم حيان :
 عباد الله ، أشيروا برأيكم ، أين تأسرونني أن أخرج ؟ فقال مُعَاذٌ : إني أرى أن تسير بنا
 إلى حُلُوان^(١) حتى ننزلها ، فإنها كورة بين السهل والجبل ، وبين المِصرِ والثَّغْرِ
 - يعني بالثَّغْرِ ارْتَى - فمن كان يرى رأينا من أهل المِصرِ والثَّغْرِ والجبال والسَّواد^(٢)
 لحق بنا .

٤٢٣ - رد حيان بن ظبيان

فقال له حيان : « عَدُوُّكَ مُعَاذِيكَ قَبْلَ اجْتِمَاعِ النَّاسِ إِلَيْكَ ، لَعَمْرِي لَا يَتْرُكُونَكَ
 حَتَّى يَجْتَمِعُوا إِلَيْكَ ، وَلَكِنْ قَدْ رَأَيْتَ أَنَّ أُخْرِجَ مَعَكُمْ فِي جَانِبِ الْكُوفَةِ وَالسَّبْعَةِ ،
 أَوْ زُرَّارَةَ^(٣) وَالْحَبْرَةَ ، ثُمَّ نَقَاتَهُمْ حَتَّى نَلْحَقَ بِرَبِّهَا ، هَإِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ
 - وَأَنْتُمْ دُونَ الْمِائَةِ رَجُلٍ - أَنْ تَهْزِمُوا عَدُوَّكُمْ ، وَلَا أَنْ يَشْتَدَّ نَكَابَتِكُمْ فِيهِمْ ، وَلَكِنْ
 مَتَى عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ قَدْ أَجْهَدْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ وَعَدُوَّكُمْ ، كَانَ لَكُمْ بِهِ الْعُذْرُ ،
 وَخَرَجْتُمْ مِنَ الْإِيمِ » قَالُوا : رَأَيْنَا رَأْيَكَ .

٤٢٤ - مقال عتريس بن عرقوب

فقال لهم عتريس بن عرقوب : ولكن لا أرى رأي جماعتكم ، فانظروا في رأي
 لكم ، إني لا أخالكم تجهلون معرفتي بالحرب ، وتجربتي للأمر ، فقالوا له : أجن ،
 أنت كما ذكرت ، فما رأيك ؟ قال : ما أرى أن تخرجوا على الناس بالمِصرِ ، إنكم قليل
 في كثير ، والله ما تزيدون على أن تخرزوم^(٤) أنفسكم ، وتقرئوا أعينهم بقتلكم ،
 وليس هكذا تكون المكابدة ، إذا آترتم أن تخرجوا على قومكم ، فكيدوا عدوكم

(١) بلد بفارس . (٢) أي سواد العراق . (٣) محلة بالكوفة . (٤) أي تملكوهم .

ما يضرهم» قالوا : فما الرأي ؟ قال : تسيرون إلى الكورة التي أشار بنزولها مُعَاذُ ابن جُوَيْنٍ ، يعني حُلُوَان ، أو تسيرون بنا إلى عين التَّمَر ، فنقيم بها ، فإذا سمع بنا إخواننا أتونا من كل جانب وأوب^(١) .

٤٢٥ - رد حيان

فقال له حيان : «إيك والله لو ميرت بنا أنت وجميع أصحابك نحو أحد هذين الوجهين ، ما اطمانتم به حتى يلحق بكم خيول أهل مصر ، فأني تشفون أنفسكم ؟ فوالله ما عدتكم بالكثيرة ، التي ينبغي أن تطمعوا معها بالنصر في الدنيا على الظالمين المعتدين ، فاخرجوا بجانب من مصركم هذا ، فقاتلوا عن أمر الله من خالف طاعة الله ، ولا ترَبَّصُوا ولا تنظروا ، فإنكم إنما تبادرون بذلك إلى الجنة ، وتخرجون أنفسكم بذلك من الفتنة » قالوا : أما إذا كان لا بد لنا ، فإننا لن نخالفك ، فاخرج حيث أحببت .

٤٢٦ - خطبة حيان

ثم إن أصحاب حيان بن ظبيان اجتمعوا إليه ، فقال لهم : يا قوم : إن الله قد جمعكم تخيير ، وعلى خير ، والله الذي لا إله غيره ، ما سررت بشيء قط في الدنيا بعد ما أسلمت سروري لخرجي هذا على الظلمة الأتمة ، فوالله ما أحب أن الدنيا يحذاقها لي ، وأن الله حرمني في نخرجي هذا الشهادة ، وإني قد رأيت أن نخرج حتى نزل جانب دار جرير فإذا خرج إليكم الأجزاء ناجزتموم .

فقال عتريس بن عرقوب : أمّا أن نقاتلهم في جوف مصر ، فإنه يقاتلنا الرجال ،

(١) الأوب : الطريق والجهة .

وتصعد النساء والصدّيقان والإمام فيرموننا بالحجارة ، فقال لهم رجل منهم : انزلوا بنا
إذن من وراء المصر الجسر - وهو موضع زُرارة ، وإنما بنيت زُرارة بعد ذلك إلا أبيتنا
يسيرة كانت منها قبل ذلك - فقال لهم معاذ بن جوين : لا . بل سيروا بنا فلننزل
بأنقيأ^(١) ، فما أسرع ما يأتىكم عدوكم ، فإذا كان ذلك استقبلنا القوم بوجوهنا ،
وجعلنا البيوت في ظهورها ، فقاتلناهم من وجة واحد ، فخرجوا ، فبعث إليهم جيش ،
فقتلوا جميعاً .
(تاريخ الطبرى ٦ : ١٧٢)

٤٢٧ - خطبة مسلم بن عبيس

حين خرج لقتال الأزارقة

لما ملك نافع بن الأزرق - زعيم الأزارقة^(٢) - بلاد الأهواز ، وفشا عماله في السواد
ارتاع لذلك أهل البصرة ، فاجتمعوا إلى الأحنف بن قيس ، فشكوا ذلك إليه ، وقالوا :
ليس بيننا وبين العدو إلا ليلتان ، وسيرتهم ماترى ، فقال الأحنف : إن فعلهم
في مصركم إن ظفروا به كفعاهم في سوادكم ، فجدّوا في جهاد عدوكم ، فاجتمع إليه
عشرة آلاف ، فأتى عبد الله بن الحرث بن نوفل أمير البصرة ، فسأله أن يؤمر عليهم
فاختار لهم مسلم بن عبيس ، وكان ديناً شجاعاً ، فأمره عليهم وشيخه .

(١) بأنقيأ: ناحية من نواحي الكوفة . (٢) قدمناك في «مناظرة عبد الله بن الزبير للخوارج» أن
الخوارج كالوا قد مضوا إلى مكة سنة ٦٤ لينعوا الحرم من جيش يزيد ، وناصروا ابن الزبير ،
وقاتلوا معه ، ثم ناظروه : فلم يرقهم ما سمعوا منه ، ففرقوا منه ، وصارت طائفة كبيرة منهم إلى
البصرة ، وبايعوا نافع بن الأزرق الحنفي ، وسموه أمير المؤمنين ، وخرج بهم إلى الأهواز ،
فغلبوا عليها وحل ماوراءها من أرض فارس وكرمان ، ونسبوا إليه فقبل لهم : الأزارقة ، وهذه الفرقة من
أشد فرق الخوارج بأساً ، وأصلها عودا ، وأكثرها مددا واحتملها حوادث وأنباء .

فلما نفذ من جسر البصرة أقبل على الناس فقال : « إني ما خرجت لامْتِيارٍ^(١)
ذهب ولا فضة ، وإني لأحارب قوماً إن ظفرت بهم فما وراءهم إلا سيوفهم ورمحهم ،
فمن كان شأنه الجهادَ فلينهض ، ومن أحب الحياة فليرجع » .

فلما صاروا « بدُولابَ » خرج إليهم نافع ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وقتل في المعركة
ابن عبيس وابن الأزرق سنة ٦٥ هـ . (الكامل للمبرد ٢ : ١٨٠)

(١) أى جلب ، وأصله من انتار لأهله : جلب لهم الميرة بالكسر ، وهى الطعام .

خطب المهلب بن أبي صفرة

٤٢٨ - خطبته في حث جنده على قتال الأزارقة

وكان المهلب بن أبي صفرة - وهو على قتال الأزارقة - يأمر أصحابه بالتحريز ويخوفهم البيات ، وإن بعد منهم العدو ، ويقول : « احذروا أن تُكادوا كما تكيدون ، ولا تقولوا هزمتنا وغلبنا . فإن القوم خائفون وجلون ، والضرورة تفتح باب الحيلة ، ثم قام فيهم خطيباً فقال : « يا أيها الناس ، إنكم قد عرفتم مذهب هؤلاء الخوارج ، وأنهم إن قدروا عليكم فقتلواكم في دينكم ، وسفكوا دماءكم فقاتلواكم على ما قاتل عليه أولئك علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ، فقد آتاهم قبلكم الصابر المحتسب مسلم بن عبيس ، والعجل المفرط عثمان بن عبيد الله (١) ، والمعصي الخائف

(١) هو أخو عمر بن عبيد الله بن معمر للذي ولاه ابن الزبير البصرة (نولها بعد عبد الله بن الحارث ابن نوفل) . وولى عثمان محاربة الأزارقة بعد مسلم بن عبيس ، فخرج إليهم في اثني عشر ألفاً ، فلما عبروا إليهم دجيلاً نهض إليهم الخوارج - وذلك قبيل الظهر - فقال عثمان بن عبيد الله لحارثة بن بدر : أما الخوارج إلا ما أرى ؟ فقال له حارثة : حسبك هؤلاء ، فقال : لا جرم ، والله لا أتغدى حتى أناجزهم ، فقال له حارثة : إن هؤلاء لا يقاتلون بالتصاف ، فأبق على نفسك وجندك ، فقال : أبيت أهل العراق إلا جينا ؛ وأنت يا حارثة ما علمك بالحرب ؟ أنت والله بغير هذا أعلم (يعرض له بالشراب) ففضب حارثة فاعتزل وحاربهم عثمان يومه إلى أن غابت الشمس ، فأجلت الحرب عنه قليلاً ، وانهمز الناس ، وولى حربهم بعده حارثة بن بدر فهزموه أيضاً ، فهرب يركض حتى أتى دجيلاً ؛ فركب سفينة هو وجماعة من أصحابه ، وأتاه رجل من بني تميم ، وعليه سلاحه ، والخوارج وراءه ، فصاح به : يا حارث ليس مثلي ضيع ، فقال للملاح : قرب ، فاقرب إلى جرف ، فطفر بسلاحه في السفينة ، فساخت بالقوم جميعاً ، فاتوا غرقاً ، وتوجه الخوارج نحو البصرة ، فضج الناس ، وخافوهم خوفاً شديداً ، واختاروا لقتالهم المهلب بن أبي صفرة ، فولاه القباع (وهو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، والى البصرة من قبل ابن الزبير بعد عمر بن عبيد الله) .

حارثة بن بدر ، قَتَلُوا جَمِيعًا وَقَتَلُوا ، فَأَلْفَوْهُمْ بِجِدِّ وَحَدِّ فَإِنَّمَا هُمْ مَهَنَتُكُمْ^(١) وَعَبِيدُكُمْ ،
وَعَارٌ عَلَيْكُمْ ، وَنَقَصٌ فِي أَحْسَابِكُمْ وَأَدْيَانِكُمْ أَنْ يَغْلِبَكُمْ هَؤُلَاءُ عَلَى فَيْشِكُمْ ، وَيَطْأُوا حَرِيَّكُمْ .
(الكامل للمبرد ٢ : ١٨٩ ؛ وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص : ٢٨٥)

٤٢٩ - خطبة أخرى له في جنده

وخطب أصحابه ، وقد مال الخوارج بأجمعهم على العسكر ، وانهزم الناس
بسُؤْلَافٍ فقال :

« وَأَللَّهِ مَا بَعَثَ مِنْ قَبْلِي ، وَمَا ذَهَبَ عَنْكُمْ إِلَّا أَهْلُ الْجَبَنِ وَالضَّعْفِ ، وَالطَّمَعِ وَالطَّبَعِ^(٢) .
فَإِنْ يَمَسَّنْكُمْ قَرْحٌ^(٣) فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ، فَسِيرُوا إِلَى عَدُوِّكُمْ عَلَى بَرَكَاتِ اللَّهِ » .
(الكامل للمبرد ٢ : ١٩١ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص : ٢٨٦)

٤٣٠ - نص آخر

وروى الطبري خطبة المهلب في أصحابه يوم هزموا فقال :

ثم إن الخوارج شدت على الناس بأجمعها شدة منكرة ، فأجفل الناس ، وانصأوا^(٤)
منهزمين ، لا تلوي^(٥) أم على ولد ، حتى بلغ البصرة هزيمة الناس وخافوا السبأ^(٦) ،
وأسرع المهلب حتى سبهم إلى مكان يفاع^(٧) ، في جانب عن سنان المنهزمين ، ثم إنه
نادى الناس : إلى إلى عباد الله ، فتأب إليه جماعة من قومه ، فاجتمع إليه منهم
نحو من ثلاثة آلاف ، فلما نظر إلى من قد اجتمع رضى جماعتهم ، فحمد الله ، وأثنى
عليه ، ثم قال :

(١) جمع ما هن ، وهو العبد والخدم . (٢) الشين والميب . (٣) القرح ويضم : عض السلاح
ونحوه ما يخرج باليد ، أو بالفتح : الآثار ، وبالضم : الألم . (٤) انصاع : انفتل راجعا ممرعا .
(٥) مر لا يلوي على أحد : أي لا يقف ولا ينتظر . (٦) السبى . (٧) اليفاع : ما ارتفع
من الأرض .

« أما بعد : فإن الله ربنا يَكِلُ الجمع الكثير إلى أنفسهم فيُهزَمون ، ويُنزِل النصر على الجمع اليسير فيَظَهَرُونَ ، ولعمري ما بكم الآن من قِلة ، إني لجماعةكم لراض ، وإنكم لأنتم أهل الصبر وفُرسان أهل المِضر ، وما أحبُّ أن أحداً ممن انهزم معكم ، فإنهم لو كانوا فيكم ما زادوكم إلا خَبالاً^(١) ، عَزَمْتُ على كل امرئ منكم لما أخذ عشرة أحجار^(٢) ، ثم امشوا بنا نحو عسكرهم ، فإنهم الآن آمنون ، وقد خرجت خيلهم في طلب إخوانكم ، فوالله إني لأرجو ألا ترجع إليهم خيلهم ، حتى تستبيحوا عسكرهم ، وتقتلوا أميرهم » .

(تاريخ الطبري ٧ : ٨٨)

٤٣١ - خطبته في جنده وقد استخلف عليهم ابنه المغيرة

ولما كتب إليه مُصعب بن الزبير أن أقدم على ، واستخلف ابنك المغيرة ، جمع الناس فقال لهم : « إني قد استخلفت عليكم المغيرة ، وهو أبو صغيركم : رِقَّةٌ ورحمة ، وابنُ كبيركم : طاعةٌ وبرٌّ وتبجيلٌ ، وأخو مثلي : مؤاماةٌ ومناجاةٌ ، فمَلَّحَسُنْ له طاعتكم ، وأتيلن له جانبكم ، فوالله ما أردت صواباً قط إلا سَبَقَنِي إليه » ثم مضى إلى مصعب .

(الكامل للمبرد ٢ : ١٩٨ ، ونهاية الأرب ٧ : ٢٤٩ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٢٨٩)

(١) فساد . (٢) وفي الكامل للمبرد : وقال المهلب لأصحابه : أعدوا مخالي فيها حجارة ، وارموا بها في وقت الغفلة ، فإنها تصد الفارس ، وتصرع الراجل ، وقال رجل من الخوارج : أنا باحجار ليقتلنا بها وهل تقتل الأبطال وبمك بالحجر ؟

۴۳۲ — خطبة الزبير بن علي في الأزارقة

وكان نافع بن الأزرق قبل قتله استخلف عبيد الله بن بشير بن الماحوز السليطي ،
 وقتل ابن الماحوز يوم سلى وسلبرى^(۱) ، فاجتمعت الخوارج بأرجان ، فبايعوا
 الزبير بن علي السليطي ، فرأى فيهم انكساراً شديداً ، وضعفاً بيدياً ، فقال لهم : اجتمعوا .
 فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم أقبل عليهم فقال :
 « إن البلاء للمؤمنين تمحيصاً وأجرٌ ، وهو على الكافرين عقوبة وخزى ،
 وإن يصب منكم أمير المؤمنين ، فما صار إليه خيرٌ مما خلفت ، وقد أصبتم منهم مسلم
 ابن عبيس ، وربيعاً الأجدم^(۲) ، والحجاج بن باب ، وحاتمة بن بدر ، وأشجبنم
 المهلب ، وقتلتم أخاه المَعَارِك^(۳) ، والله يقول لإخوانكم من المؤمنين « إن يمسسكم
 قرحٌ فقد مسَّ القومَ قرحٌ مثله » ، ورنالك الأيامُ نداولها بين الناسِ » فيوم سلى
 كان لكم بلاء وتمحيصاً ، ويوم سولاف^(۴) كان لهم عقوبة ونكالا ، فلا تغابن على
 الشكر في حينه ، والصبر في وقته ، وثقوا بأنكم المستخلفون في الأرض ، والعاقبه للمتقين .
 (الكامل للمبرد ۲ : ۱۹۶ وشرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۳۸۸)

(۱) مجموع اللفظين موضع واحد بالأهواز قرب جند يسابور ، وقعت فيها وقعة بين الخوارج والمهلب ،
 وقتل فيها ابن الماحوز رئيس الخوارج ، وفي ذلك يقول رجل منهم :

بسلى وسلبرى مصارع فتية كرام وجرحى لم تومد خدودها

(۲) كان مسلم بن عبيس تقدم إلى أصحابه « يوم دولاب » فقال : إن أصبت فأمركم الربيع بن عمرو
 الأجدم ، فلما أصيب ابن عبيس أخذ الربيع الراية ، فلم يزل يقاتلهم نيفا وعشرين يوماً حتى قتل ، ثم أخذها
 الحجاج بن باب الحميري ، فلم يزل يقاتلهم زهاء شهر حتى قتل أيضاً ، التقى هو وعمران بن الحارث الراسبي
 فاختلفا ضربتين ، فسقطا ميتين . (۳) وكان ابن الماحوز وجه بمض جيشه إلى نهر تبرى ؛ وبها المعارك
 ابن أبي صفرة ، فقتلوه وصلبوه ، فبنى الخبر إلى المهلب ، فوجه ابنه المغيرة ، فدخل نهر تبرى ، فاستنزله
 ودفنه ، وسكن الناس ، واستخلف بها ورجع إلى أبيه . (۴) وفي ذلك اليوم يقول رجل من الخوارج :

وكان تركنا يوم سولاف منهم أسارى وقتل في الجمع مصيرها

٤٣٣ — خطبة عتاب بن ورقاء الرياحي وقد طال عليه الحصار

وانحط الزبير بن عليّ على أصفهان^(١) ، فحصر بها عتاب بن ورقاء الرياحي سبعة أشهر ، وعتابٌ يحارب به في بعضهن ، فلما طال به الحصار ، وأصابه الجهد الشديد ، دعا أصحابه ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد : أيها الناس ما تنتظرون وقد أصابكم من الجهد ما قد ترون ؟ فوالله إن^(٢) بقي مع هذا الحصار إلا أن يموت أحدكم على فراشه ، فيجىء أخوه فيدفنه إن استطاع ، وبالحرى أن يضعف عن ذلك ، ثم يموت هو ، فلا يجد من يدفنه ولا يصلي عليه ، فانقوا الله ، فوالله ما أنتم بالقليل الذين تهون شوكتهم على عدوهم ، وإن فيكم لفرسان أهل مصر ، وإنكم لصلحاء من أنتم منه ، ولقد حاربتموهم سراراً فانتصفتهم منهم أخرجوا بنا إلى هؤلاء القوم ، وبكم حياة وقوة ، قبل أن لا يستطيع رجل منكم أن يمشى إلى عدوه من الجهد ، وقبل أن لا يستطيع رجل أن يمتنع من امرأة لو جاءتته ، فقاتل رجل عن نفسه وصبراً وصدق ، فوالله إني لأرجو إن صدقتهم أن يظفركم الله بهم ، وأن يظهركم عليهم .

فلما أصبح الفد صلى بهم الصبح ، ثم خرج إلى الخوارج ، وهم غارون ، فلم يشعروا بهم حتى غشّوهم ، فقاتلوهم بجدي لم ير الخوارج منهم مثله ، فمقرّوا منهم خلقاً ، وقتلوا رئيسهم الزبير بن عليّ ، وانهمزمت الخوارج .

ثم أدار الخوارج أمرهم بينهم ، فوآوا عليهم قطريّ بن الفجاءة المازنيّ وبايعوه
(تاريخ الطبري ٧ : ١٦٦ ، والكامل للبرد ٢ : ٢٠٢ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٢٩١)

(١) أصفهان : بفتح الهمزة والباء ، وقد تسكر همزها ، وقد تبدل باؤها فاء .

(٢) إن هنا نافية .

۴۳۴ - نصيحة عرهم العدوى لخالد بن عبد الله

ولما بعث خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد^(۱) أخاه عبد العزيز لقتال الأزارقة^(۲) قام إليه عرهم أخو بني العدوية ، فقال :

« أصلح الله الأمير ، إن هذا الحمى من تميم تئبط^(۳) بقریش منهم راحم داسة مائة ، وإن الأزارقة ذو بان العرب وسباعها ، وليس صاحبهم إلا المباكر المناكر ، المجرّب^(۴) المجرّب ، الذي أرضعته الحرب بلبانها ، وجرسته^(۵) وضرسته ، وذلك أخو الأزدي المهلب بن أبي صفرة ، والله إن غنك أحب إلينا من سمينه ، ولكي أخاف عدوات الدهر وغدره ، وليس المجرّب كمن لا يعلم ، ولا الناصح المشفق ، كالغاش المتهم » ، قال له خالد : اسكت ، ما أنت وذا ؟ وقد هزمت الأزارقة عبد العزيز ، وأحدوا امرأته^(۶) وفرّ عنها .

(ذيل الأمالي ص ۲۲)

- (۱) كان والي البصرة وأعمالها من قبل عبد الملك بن مروان من سنة ۷۱ إلى سنة ۷۴ (انظر ص ۲۲۳) .
- (۲) قال أبو العباس المبرد في الكامل (۲ : ۲۰۷) : « ومضى قطرى إلى كرمان ، فانصرف خالد إلى البصرة ، فأقام قطرى بكرمان أشهرا ، ثم عد لغارس ، وخرج خالد إلى الأهواز ، وندب للناس رجلا فجلوا يطلبون المهلب ، فقال خالد : « ذهب المهلب يحفظ هذا المصر ، إنى قد وليت أخى قتال الأزارقة » فولى أخاه عبد العزيز ، واستخلف المهلب على الأهواز في ثلاثمائة ، ومضى عبد العزيز في ثلاثين ألفا ، فجعل عبد العزيز يقول في طريقه : « يزعم أهل البصرة أن هذا الأمر لا يتم إلا بالمهلب فيعلمون ! » إلى أن قال : فناداهم عبد العزيز ، فواقفوه ساعة ، ثم انهزموا عنه مكيدة فاتبعهم ، فقال له الناس : لا تتبعهم فإننا على غير تعب فأتى ، فلم يزل في آثارهم حتى انتحوا عقبه ، فافتحمها وراهم ، والناس يهوتونه ويأتونهم في بطن العقبة كين ، فلما صاروا وراهم خرج عليهم الكعبن ، وانحاز عبد العزيز ، واتبعهم الخوارج يقتلونهم كيف شاءوا . (۳) أصله من أط الرجل أطيطا : صوت .
- (۴) من حرب السنان : حده . (۵) التجريس : التحكيم والتجربة ، وضرسته الحرب تضريسا : جريته وأحكته أيضا . (۶) وكان عبد العزيز قد خرج بامراته أم حفص بنت المنذر بن الجارود ، فمضى الخوارج النساء يومئذ وكأنت أم حفص من سبين ، قال ابن عبد ربه في العقد لفريد (۲ : ۷۵) : « فأقاموها »

٤٣٥ ... خطبة قطري بن الفجاءة^(١)

وصعد قطريُّ بن الفجاءة منبر الأزارقة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
 « أما بعد : فإني أحتذركم الدنيا ، فإنها حلوة خضرة^(٢) ، حفت^(٣) بالشهوات ،
 وراقت^(٤) بالقليل ، وتحمَّبت بالعاجلة^(٥) ، وحليت^(٦) بالآمال ، وتزيَّنت بالغرور ،
 لا تدوم خبرتها^(٧) ، ولا تؤمن فجعها ، غرارة ضرارة ، خوانة غدارة ، وحائلة^(٨)
 زائلة ، وناقدة^(٩) بائدة ، أسكالة غوالة^(١٠) ، بدالة نقالة ، لا تمدو إذا هي تناهت إلى
 أمنية أهل الرغبة فيها ، والرضا عنها ، أن تكون كما قال الله تعالى : « كء أنزلناه من

= في السرق حاسرة بادية المحاسن ، فاعترضوها وقلبوها ، وكانت من أكل الناس كالا وحسنا ، فتزايدت فيها
 العرب والموالي ، حتى بلغوها تسعين ألفا ، فأقبل رجل من الخوارج من عبد القيس من خلفها ، فضرب
 عنقها ، فأخذوه ورفعوه إلى قطري بن الفجاءة ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، إن هذا استهلك تسعين ألفا من بيت
 المال ، وقتل أمة من إمام المؤمنين : فقال له : ما تقول ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إني رأيت هؤلاء قد تنازعوا
 عليها ؛ حتى ارتفعت الأصوات ؛ واحترت الحدق ؛ فلم يبق إلا الخبط بالسيوف ؛ فرأيت أن تسعين ألفا
 في جنب ما خشيت من الفتنة بين المسلمين هيئة ، فقال قطري : خلوا عنه ، عين من عيون الله أصابتها « ا .
 (١) أورد الشريف الرضي رحمه الله هذه الخطبة في سجع البلاغة ؛ وعزاها إلى الإمام على كرم الله وجهه
 وكذلك القضاعي في دستور معالم الحكم ؛ وقال ابن أبي الحديد في شرحه (م ٢ : ص ٢٤٢) : « وهذه
 الخطبة ذكرها شيخنا أبو عثمان الجاحظ في البيان والتبيين ؛ ورواها لقطري بن الفجاءة ؛ والناس يروونها لأمر
 المؤمنين عليه السلام ، وقد رأيتها في كتاب المونق لأبي عبيد الله المرزباني ، مروية لأمر المؤمنين عليه السلام
 وهي بكلام أمير المؤمنين أشبه وليس يبعد عندي أن يكون قطري قد خطب بها بعد أن أخذها عن بعض أصحاب
 أمير المؤمنين عليه السلام ، فإن الخوارج كانوا أصحابه وأنصاره ، وقد لقي قطري أكثرهم » .

(٢) أي ناضرة ، من خضر الزرع كفرح ، فهو أخضر وخضر وهو من كلام رسول الله صلى الله عليه
 وسلم — انظر خطبته في الجزء الأول ص ١٥١ : (٣) أي أطافت بها الشهوات . (٤) أعجبت أهلها
 بمشاع قليل ليس بدائم . (٥) أي ونجبت إليهم بالذم العاجلة ، (والنفس مولعة بحب العاجل) .

(٦) حليت المرأة فهي حال وحالية كتحللت . وفي رواية : « ونحلت » . (٧) الخبر : السرور .
 وفي رواية : « لاتقوم نضرتها » ؛ لاتقوم : لاثبت . والنصرة : النعمة والفضي والحسن .

(٨) أي متحولة متغيرة من حال يحول . وفي رواية « خائلة » أي عادية . (٩) أي هالكة فانية
 من نفذ ينفذ كفرح . (١٠) أي مهلكة من غاله يفوله .

السَّمَاءِ ، فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ، وَأَصْبَحَ حَشِيماً^(١) تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ ، وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقَدِّراً ، مع أن امرأ لم يكن منها في حبرة ، إلا أنفقته بعدها عبثاً ، ولم يلق من سرّاها بطناً ، إلا منفتحته من ضرّاها ظهراً^(٢) ، ولم تطله غيثة^(٣) رخاء ، إلا هطلت^(٤) عليه مزنّة بلاء ، وحرى إذا أصبحت له منتصرة ، أن تسمى له خاذلة منكراً ، وإن جانب منها اغذوّذب واحلّولى^(٥) ، أمرّ عليه منها جانب وأوبى^(٦) ، وإن أنت امرأ من غضارتها^(٧) ورفاهتها نعماً ، أرهقته من نوائها تعباً ، ولم يمس امرؤ منها في جناح أمن ، إلا أصبح منها على قوادم^(٨) خوف ، غرّازة غرور ما فيها ، فانية ، فإن ما عليها ، لا خير في شيء من زادها إلا التقوى ، من أقلّ منها استكثر مما يؤمنه ، ومن استكثر منه استكثر مما يؤبه^(٩) ، وبطيل حزنه ، ويبيكي هنيه ، كم واثق بها قد فجمته ، وذى طمأنينة إليها قد صرّعه^(١٠) ، وذى اختيال^(١١) فيها قد خدعته ، وكمن

- (١) الهشم : ما هشم وتحطم ، وتذروه : أى تطيره . (٢) كنى بالبطان والظهر عن إقبالها عليه وإدبارها عنه لأن الملاقى لك بالصدر ملاق بالوجه ، فهو مقبل عليك ، والمعطيك ظهره مدبر عنك .
- (٣) طله السحاب يطله : إذا أمطره مطراً قليلاً ، وربما كانت « غيث » مصحفة عن « غيبة » والغيبة يفتح الغين : المطرة غير الكثيرة ، وفي رواية « ديمة » والديمة بالكسر : مطر يدوم في سكون بلا رعد وبرق .
- (٤) هطلت السماء كجلس هطلا : تتابع مطرها ، وفي رواية : « هنت » هنت السماء كجلس أيضاً هنتا : انصبت ، أو هو فوق الهطل ، والمزنة : السحابة أو ذات الماء .
- (٥) أى صار عذبا حلوا . (٦) أمر : صار مرا وأوبى : سهل عن أوبى ، أى صار وبيثا ، وبنت الأرض كفرح وكرم وعنى ، وأوبات : صارت كثيرة الوباء ، وهو الطاعون أو كل مرض عام . (٧) الضارة : النعمة والسعة والخصب ، وأرهقه : حمله على ما لا يطيقه ، وفي رواية : « لا ينال امرؤ من غضارتها رغبا » والرغب بالتحريك ما ترغب فيه ، وفي رواية : « فإن أنت امرأ من غصونها ورقا » ، وفي رواية : « وإن لبس امرؤ من غضارتها ورفاهيتها نعماً ، أرهقته من نوائها غما » .
- (٨) القوادم : أربع أو عشر ريشات في مقدم الجناح ، الواحدة قادة ، وخص الخوف بالقوادم لأنها مقادير الريش ، والراكب عليها يمرض سقوط قريب . (٩) يهاككه . (١٠) وفي رواية : « وذى حكم أنفه إليها قد صرّعه » . (١١) الاختيال : الكبر والمجب ، والأبهة : العظمة ، والبهجة والكبر والتخوة .

ذِي أُتْبِرَ فِيهَا قَدْ صَيَّرْتَهُ حَقِيرًا ، وَذِي نَحْوَهُ قَدْ رَدَّتَهُ ذَلِيلًا ، وَكَمْ مِنْ ذِي تَاجٍ قَدْ كَبَّتْهُ ^(١) لِلدِّينِ وَالنِّعَمِ ، سُلْطَانَهَا دُولٌ ، وَعَيْشُهَا رِنَقٌ وَعَذَابُهَا أَجَاجٌ ، وَحُلُوهَا صَبِيرٌ ، وَغِذَاؤُهَا سِمَامٌ ^(٢) وَأَسْبَابُهَا رِمَامٌ ^(٣) ، وَقِطَاعُهَا سَلَعٌ ^(٤) ، حَبِّهَا بَعْرَضٌ مَوْتٌ ، وَصَحْبُهَا بَعْرَضٌ شَقْمٌ ، وَمَنْعِيهَا بَعْرَضٌ اهْتِضَامٌ ، مَلِيكُهَا مَسْلُوبٌ ، وَعَزِيْزُهَا مَغْلُوبٌ ، وَسَلِيْمُهَا مَنَكُوبٌ ، وَجَامِعُهَا مَحْرُوبٌ ^(٥) ، مَعَ أَنْ وَرَاءَ ذَلِكَ سَكْرَاتِ الْمَوْتِ ، وَهَوَلِ الْمَطْلَعِ ، وَالْوَقُوفِ بَيْنَ يَدِي الْحَكْمِ الْمَدْلِ « لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحَادُوا بِمَا عَمَلُوا ، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى » .

السَّمُ فِي مَسَاكِنَ مِنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَارًا ، وَأَوْضَحَ مِنْكُمْ آثَارًا ، وَأَعْدَّ عَدِيدًا ، وَأَكْتَفَ جُنُودًا ، وَأَعْتَدَ عَتَادًا ^(٦) ، وَأَطْوَلَ عَمَادًا ، تَعَبَّدُوا ^(٧) لِلدُّنْيَا أَيْ تَعَبَّدُوا وَآثَرُهَا أَيْ إِثَارًا وَظَهَّنُوا عَنْهَا بِالْكُرْهِ وَالصَّغَارِ فَهَلْ بَانَكُمْ أَنْ الدُّنْيَا تَسْمَحَتْ لِمَنْ نَفْسًا بَفِيدِيَّةً ، أَوْ أَعْنَتَتْ عَنْهُمْ فِيمَا قَدْ أَهْلَكْتُمْ بِحَطَبِ ^(٨) ؟ بَلْ قَدْ أَرَهَقْتُمْ بِالْفَوَادِحِ ^(٩) . وَضَعَفْتُمْ بِالْفَوَائِبِ ، وَعَقَرْتُمْ بِالْمَصَائِبِ ^(١٠) ، وَقَدْ رَأَيْتُمْ تَفَكَّرُهَا

(١) صرعته وقلبه . (٢) رنق الماء كفرح ونصر : كدر ، فهو رنق كعدل وكتف وجبل ؛ وأجاج : ملح مر ، وسمام جمع سم مثلث السين . (٣) أسباب جمع سبب : وهو الحبل ، ورمام : بالية ، حبل أرمام ، ورمام : أى بال . (٤) السلع : شجر مر ، أو سم : أو ضرب من الصبر ، أو بقلعة خبيثة الطعم . (٥) مسلوب : من حربه حربا كطابه فلما : سلب ماله فهو محروب وحريب ، وفي رواية : « وجارها محروب » . (٦) العتاد : العدة ، وقد عتد كسكرم عتادا فهو عتيد : أى حاضر مهيا معد ، وفي رواية : « وأعدت عنودا » من عند عن الطريق كنصر وسمع وكرم عنودا : أى مال ، وفي رواية : « وأشد عقودا » . (٧) أى استعبدهم الدنيا ، تعبه . اتخذ عيدا . (٨) أى بشأن وأمر . (٩) الفوادح : النوائب المشقة ، من فدحه الدين إذا أثقله ، وفي رواية : « الفوادح » والقوادح جمع قادح : وهو أكل يقع في الشجر والأسنان ، وفي رواية : « وأرهقتهم » أى جعلتهم في الودق بفتح الهاء وتسكينها : وهو حبل كالطول . (١٠) وفي رواية : « وعقرتهم بالفجائع » وفي رواية وعقرتهم للمناخر ، ووطنهم بالمنام ، عقرتهم للمناخر : الصقت أنوفهم بالعقر (كعب ويسكن) وهو التراب والمناخر جمع منخر بفتح الميم والخاء ، وبكسرهما ، وبضمهما وكجلس : الأنف ، والمنام جمع منم كجلس وهو خف البهير .

لَمَنْ دَانَ^(١) لَهَا ، وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا ، حِينَ ظَمَعُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الْأَبَدِ ، إِلَى آخِرِ الْمُسْتَدِ^(٢) ، هَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلَّا السَّغْبَ^(٣) ، وَأَحْلَسَهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ ، أَوْ نُورَتْ لَهُمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ ، أَوْ أَعْقَبَتْهُمْ إِلَّا النَّدَامَةَ ؟ أَفَهَذِهِ تُؤَثِّرُونَ ، أَمْ عَلَى هَذِهِ تَحْرِصُونَ ، أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَثُنُونَ ؟ يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : « مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَى لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ » فَبُنِيتِ الدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّعَمَّهَا ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ مِنْهَا .

فَاعْلَمُوا - وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ - أَنْكُمْ تَارِكُوهَا لِأَبَدٍ ، فَإِنَّمَا هِيَ كَمَا وَصَفَهَا اللَّهُ بِاللَّعِبِ وَاللَّهْوِ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ، وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ، وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ^(٤) » ، وَانْعَمُوا فِيهَا بِالَّذِينَ قَالُوا : « مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ؟ » ، حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَانًا ، وَأُنزِلُوا الْأَجْدَاثَ فَلَا يُدْعَوْنَ^(٥) ضِيْفَانًا ، وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّرِيحِ أَكْنَانٌ ، وَمِنَ التُّرَابِ أَكْفَانٌ ، وَمِنَ الرَّفَاتِ جِيرَانٌ^(٦) ، فَهَمَّ حَيْرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِيًا ، وَلَا يَنْعَمُونَ ضَيْفًا ، وَلَا يَبَالُونَ مَنْدَبَةً^(٧) ، إِنْ أَخْصَبُوا^(٨) لَمْ يَفْرَحُوا ، وَإِنْ قَحَطُوا^(٩) لَمْ يَقْنَطُوا ، جُمِعَ وَهُمْ آحَادٌ ، وَجِيرَةٌ وَهُمْ أَبَادٌ ، مَتَنَاهُونَ لَا يَزُورُونَ وَلَا يُزَارُونَ ، حُلَمَاءٌ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْفَانُهُمْ ، وَجُهَلَاءٌ

(١) أَيْ خَضَعَ لَهَا وَذَلَّ ، وَفِي رَوَايَةٍ : « لَمَنْ رَادَهَا » أَيْ طَلَبَهَا : رَوَدَا ، وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا : مَالَ .

(٢) الْمُسْتَدُ : الدَّهْرُ ، وَفِي رَوَايَةٍ هِيَ إِلَى آخِرِ الْأَمَدِ . (٣) الْجُوعُ ، وَفِي رَوَايَةٍ :

« الشَّقَاءُ » وَالضَّنْكَ : الضِّيْقُ . (٤) نَزَاتٍ فِي عَادٍ قَوْمِ هُودٍ ، الرِّيْحُ : الْمُرْتَفِعُ مِنَ الْأَرْضِ ، آيَةٌ :

أَيُّ أَيْبِيَةٍ وَقُصُورًا يَفْتَخِرُونَ بِهَا ، وَيَعْبَثُونَ بِالْفُقَرَاءِ ، وَيَطَاوَأُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَجْلِهَا ، وَالْمَصَانِعُ : الْمَبَانِي مِنْ الْقُصُورِ وَالْحُصُونِ . (٥) وَفِي رَوَايَةٍ « فَلَا يَرْعَوْنَ » أَيْ فَلَا يَرْعَاهُمْ أَحَدٌ . (٦) الْأَكْنَانُ جَمْعُ

كُنَّ بِالْكَسْرِ : وَهُوَ وَقَاءُ كُلِّ شَيْءٍ وَسِتْرُهُ . وَالصَّرِيحُ : الْقَبْرِ أَوْ الشَّقِّ وَسَطُهُ ، وَفِي رَوَايَةٍ : « وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ

الصَّفِيحِ أَجْنَانٌ » وَالْأَجْنَانُ جَمْعُ جَنْنٍ كَسَبَبٍ : وَهُوَ الْقَبْرِ ، وَالصَّفِيحُ : الْحِجَارَةُ الْعَرَاضُ ، وَالرَّفَاتُ :

الْعِظَامُ الْبَالِيَةُ . (٧) الْمَنْدَبَةُ : النَّدْبُ عَلَى الْمَيْتِ . (٨) وَفِي رَوَايَةٍ : « إِنْ جِيدُوا » مِنْ جَادَهُمُ الْغَيْثُ إِذَا

أَطْرَوْا . (٩) قَحَطَ النَّاسُ كَمَسَّ ، وَقَحَطُوا وَأَقْحَطُوا مَبْنِيَيْنَ الْمَجْهُولِ (قَلِيكُنَانِ) ، وَبِكُلِّ رَوَى .

قد ماتت أحقادهم ، لا يُخشى فِجْهُم ، وَلَا يُرْجَى دَفْعُهُمْ ، وكما قال الله تعالى :
 « قَتَلْتَ مَسَاكِينَهُمْ لَمْ تَسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ، وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ » ،
 استبدلوا بظهر الأرض بطناً ، وبالسَّعَةِ ضَيْقًا ، وبالأهل غُرْبَةً ، وبالنور ظُلْمَةً ، ففارقوها
 كما دخلوها ، حُفَاةً عُرَاةً فُرَادَى ، غير أن ظمئوا بأعمالهم إلى الحياة الدائمة ، وإلى
 خلود الأبد ، يقول الله تعالى : « كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ »
 فاحذروا ما حذرکم الله ، وانتفعوا بمواعظه ، واعتصموا بحبله ، عَصَمْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ
 وَرِزْقِنَا وَإِيَّاكُمْ أَدَاءَ حَقِّهِ . »

(البيان والتبيين ١ : ٦٣ . وصبح الأعشى ١ : ٢٢٣ . والمقد الفريد
 ٢ : ١٦٠ . وعيون الأخبار م ٢ : ص ٢٥٠ . ونهاية الأرب ٧ :
 ٢٥٠ . ونهج البلاغة ١ : ١٢٢ . دستور معالم الحكم ص ٥١)

٤٣٦ - خطبة عبد ربه الصغير

ولما دبت عقاربُ الخِلافِ بين الأزارقة ، واهبت بهم يد الشقاق ، خلموا فطرى
 ابن الفجاءة ، وَوَلَّوْا عَبْدَ رَبِّهِ الصَّغِيرِ ، فانفصل إلى عبد ربه أكثر من ^(١) الشطر ،
 ونشبت الحرب بينه وبين المهلب ، فأجَلَّتِ الوقعةُ عنه قتيلاً ، وقد جمع أصحابه في الليلة
 التي قتل في صَدِيحَتِهَا ، فقال :

« يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ : إِنْ قَطَرِيًّا وَعُيَيْدَةً ^(٢) هَرَبًا طَلَبَ الْبِقَاءَ ، وَلَا سَبِيلَ إِلَيْهِ ،
 فَالْقُوا عَدُوَّكُمْ ، فَإِنْ غَلِبَكُمْ عَلَى الْحَيَاةِ ، فَلَا يَغْلِبُنَّكُمْ عَلَى الْمَوْتِ ، فَتَلْقُوا الرِّمَاحَ بِنَحْوِكُمْ
 وَالسِّيُوفَ بِوُجُوهِكُمْ ، وَهَبُوا أَنْفُسَكُمْ لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا ، يَهَبَهَا لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ . »

(الكامل للمبرد ٢ : ٢٣١ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٠٥)

(١) أما قطري فقد ارتحل ومن معه إلى طبرستان فوجه الحجاج إليه جيشاً عليه سفيان بن الأبرد
 فقاتلوه ، وتفرق منه أصحابه وقتل سنة ٧٨ هـ ، وبقتله انتهت حروب الأزارقة . (٢) هو عبيدة
 ابن هلال اليشكري من كبراء الأزارقة .

٤٣٧ - خطبة صالح بن مسرح^(١)

وروى الطبري في تاريخه قال :

كان صالح بن مسرح يرى رأى الصُفْرِيَّةِ^(٢) ، وكان رجلاً ناسكاً مُخْبِئاً^(٣) ، مصفراً الوجه ، صاحب عبادة ، وكان بِدَارًا^(٤) وأرض الموصل والجزيرة ، له أصحاب يُقرئهم القرآن ، ويفقههم ويَقْصُّ عليهم ، وكان قصصه :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ، ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ، اللَّهُمَّ إِنَّا لَا نَعْمُدُ بِكَ ، وَلَا نَحْمَدُ^(٥) إِلَّا إِلَيْكَ ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاكَ ، لَكَ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ، وَمَنْتَ النِّعَمَ وَالضَّرَّ ، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ الَّذِي اصْطَفَيْتَهُ ، وَرَسُولُكَ الَّذِي اخْتَرْتَهُ وَارْتَضَيْتَهُ لِتَبْلِيغِ رِسَالَاتِكَ ، وَنَصِيحَةِ عِبَادِكَ ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ الرِّسَالَهَ ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ ، وَدَعَا إِلَى الْحَقِّ ، وَقَامَ بِالْقِسْطِ ، وَنَصَرَ الدِّينَ ، وَجَاهَدَ الْمُشْرِكِينَ ، حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

أُرْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَالزَّهْدِ فِي الدُّنْيَا ، وَالرَّغْبَةِ فِي الْآخِرَةِ ، وَكَثْرَةِ ذِكْرِ الْمَوْتِ ، وَفِرَاقِ الْفَاسِقِينَ ، وَحُبِّ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّ الزَّهَادَةَ فِي الدُّنْيَا تَرْغَبُ الْعَبْدَ فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ ،

(١) هو صالح بن مسرح أحد بني امرئ القيس ، وهو زعيم فرقة من الخوارج الصفرية ، تسمى : « الصالحية » نسبة إليه : وقد خرج هل بني أمية سنة ٧٦ هـ ، فبعث إليه محمد بن مروان أمير الجزيرة جيشاً بقيادة عدى بن عدى بن عميرة فهزمه صالح ونزل عسكره وحوى مافيه ، وبعث محمد بن مروان إليهم جيشاً آخر فقاتلهم ، فخرجوا من أرض الجزيرة إلى الموصل ، فصرح إليهم الحجاج جيشاً يقوده الحارث بن عميرة فحاربهم وقتل في المعركة صالح . (٢) الصفرية : فرقة من الفرق الرئيسية الخوارج ، وهم أصحاب زياد بن الأصغر ، وقيل نسبوا إلى عبد الله بن صفار ، وقيل لأنهم نهكتم العبادة أو لخلوهم من الدين وليس هذا موضع تفصيل عقائدهم . (٣) أخبت لله : خشع وتواضع . (٤) دارا : بلد بين نصيبين وحماديين من أرض الجزيرة . (٥) حقد كضرب : خف وأسرع .

وتفرغ بدنه لطاعة الله ، وإن كثرة ذكر الموت تخيف العبد من ربه ، حتى يجاز (١)
إليه ويستكين له ، وإن فراق الفاسقين حق على المؤمنين ، قال الله في كتابه :
« وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا ، وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ، إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ » ، وإن حب المؤمنين للسبب الذي يُنال به كرامة الله ورحمته
وجنته ، جعلنا الله وإياكم من الصادقين الصابرين ، ألا إن من نعمة الله على المؤمنين أن
بعث فيهم رسولا من أنفسهم ، فسلمهم الكتاب والحكمة وزكاهم وطهرهم ، وفقهم
في دينهم ، وكان بالمؤمنين رهوفا رحيمًا ، حتى قبضه الله ، صلوات الله عليه ، ثم ولي الأمر
من بعده التقي الصدوق ، على الرضا من المسلمين ، فاقتدى بهديه ، واستن بسنته ،
حتى لحق بالله رحمه الله ، واستخلف عمر فولاه الله أمر هذه الرعية ، فعمل بكتاب الله ،
وأحيا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يُخنق في الحق على حيرته (٢) ، ولم يخف
في الله كومة لائم ، حتى لحق به رحمة الله عليه ، وولي من بعده عثمان ، فاستأثر بالنبي ،
وعطل الحدود ، وجار في الحكم ، واستذل المؤمن ، وعزّر المحرم ، فسار إليه المسلمون
فقتلوه ، فبرى الله منه ورسوله وصالح المؤمنين ، وولي أمر الناس من بعده عليٌّ
ابن أبي طالب ، فلم ينشأ أن حكم في أمر الله الرجال ، وشك في أهل الضلال ،
وركن (٣) وأذهن ، فنجح من عليٍّ وأشياعه برآء ، فتبسموا رحمكم الله لجهاد هذه الأحزاب
المتحزبة ، وأئمة الضلال الظلمة ، وللخروج من دار الفناء إلى دار البقاء ، واللحاق
بإخواننا المؤمنين الموقنين الذين باعوا الدنيا بالآخرة ، وأنفقوا أموالهم التماس رضوان الله
في العاقبة ، ولا تجزعوا من القتل في الله ، فإن القتل أيسر من الموت ، والموت نازل بكم
— غير ما ترجم الظنون — ففرق بينكم وبين آبائكم وأبنائكم وحلائدكم ودنياكم ،

(١) جأر إليه كنع : رفع صوته بالدعاء ، وتضرع واستغاث . (٢) احق الصلب : لزم
بالطن . والبحرة : ما يخرج البعير من جوفه ويمضغه ، كفى بذلك عن عدم إظهاره الحقد والدغل .
(٣) ركن إليه : مال .

وإن اشتد ذلك كرهكم وحزكم ، ألا فبيعوا الله أنفسكم طائعين وأموالكم تدخلوا
الجنة آمنين ، وتمايقوا الحور العين ، جعلنا الله وإياكم من الشاكرين اذا كرين ،
الذين يهدون بالحق وبه يعدلون .

(تاريخ الطبرى ۷ : ۲۱۷ ، وشرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۴۰۹)

۴۳۸ - خطبة أخرى له

وروى الطبرى أيضاً قال :

« يبدأ أصحابُ صالحٍ يختلفون إليهِ ، إذ قال لهم ذات يوم : ما أذرى ما تنتظرون ؟
وحتى متى أنتم مُقيمون ؟ هذا الجور قد فشا ، وهذا العدل قد عمأ ، ولا تزداد هذه
الولاية على الناس إلا غلوا وعتوا ، وتباعدا عن الحق ، وجرأة على الرب ، فاستعدوا ،
وابعثوا إلى إخوانكم الذين يريدون من إنكار الباطل والدعاء إلى الحق ، مثل الذى
يريدون ، فيأتوك فدلتي ، وننظر فيما نحن صانعون ، وفي أى وقت إن خرجنا نحن
خارجون . »

(تاريخ الطبرى ۷ : ۲۱۸ ، وشرح ابن أبي الحديد م ۱ : ص ۴۰۹)

۴۳۹ - خطبة أخرى

وقال لأصحابه ليلة خرج : « اتقوا الله عباد الله ، ولا تمجّلوا إلى قتال أحد من
الناس إلا أن يكونوا قوماً يريدونكم وبنصّيون^(۱) لكم ، فإنكم إنما خرجتم غضباً
لله ، حيث انهمكت محارمهُ ؟ وعنى فى الأرض ، فسفكت الدماء بغير حياها ، وأخذت
الأموال بغير حقها ، فلا تعبيراً على قوم أعمالهم تعملوا بها ، فإن كل ما أنتم عاملون ،

(۱) أى يهادونكم .

أنتم عنه مسئولون ، وإن عظمكم رجالة ، وهذه دواب محمد بن مروان في هذا الرستاق^(١) ، فابدهوا بها فشدوا عليها ، فاحملوا أرجلكم ، وتقووا بها على عدوكم .
(تاريخ الطبري ٧ : ٢٢ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤١٠)

٤٤٠ - خطبة زائدة بن قدامة

وخلف على رئاسة الخوارج الصفرية بعد مقتل صالح بن مسراح أحد أصحابه ، وهو شبيب بن يزيد الشيباني ، فكتب الحجاج لقتاله الكتاب ، وكان أميرها في بعض الوقعات زائدة بن قدامة ، وجاء شبيب حتى وقف مقابل القوم ، فخرج زائدة يسير بين الميمنة والميسرة ، يحرّض الناس ويقول :

« عباد الله ، إنكم الطيبون الكثيرون ، وقد نزل بكم الخبيثون القليلون ، فاصبروا جميت لكم الفداء إنها تخمستان أو ثلاث ، ثم هو النصر ليس دونه شيء ، ألا ترؤسهم والله لا يكونون مائتي رجل ؟ إنما هم أكلة رأس ، وهم السراق المراق ، إنما جاءوكم ابهريقوا دماءكم ، وياخذوا فيميتكم ، فلا يكونوا على أخذه أقوى منكم على منعه ، وهم قليل وأنتم كثير ، وهم أهل فرقة ، وأنتم أهل جماعة ، غضوا الأبصار ، واستقبلوهم بالأسنة ، ولا تحملوا عليهم حتى أمركم » ، فما برح يقاتلهم مقبلاً غير مدبر ، حتى قتل .
(تاريخ الطبري ٧ : ٢٣٥ ، شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤١٥)

٤٤١ - خطبة الحجاج بن يوسف

ولما هزم شبيب الجيش الذي كان الحجاج وجهه إليه مع عبد الرحمن بن محمد ابن الأشعث ، أقبل نحو المدائن ، وبلغ ذلك الحجاج ، فقام في الناس ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

(١) الرستاق . يستعمل في الناحية التي هي طرف الإقليم ، (معرب) .

« أيها الناس : والله لَتَقَاتِلَنَّ عن بلادكم وعن فيثكم ، أو لَأُبْعَثَنَّ إلى قومٍ رم أطوع وأسمع ، وأصبر على اللأواء والغيظ منكم ، فيقاتلون عدوكم ، ويأكلون فيثكم - يعني جند الشام - . »

فقام إليه الناس من كل جانب ، فقالوا : نحن نقاتلهم ، ونعتب الأير ، فليند بنا الأمير إليهم ، فإننا حيث سره .

(تاريخ الطبري ٧ : ٢٤٣ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤١٨)

٤٢٢ - خطبة أخرى للحجاج

وبعث الحجاج إلى عتّاب بن ورقاء ليأتيه - وكان مع المهلب - ووجهه في جيش اقتال شيب ، وخطب الناس حين وجهه فقال :

« يا أهل الكوفة اخرجوا مع عتّاب بن ورقاء بأجمعكم ، لا أرخص لأحد من الناس في الإقامة إلا رجلاً قد وليناه من أعمالنا ، إلا إن للصابر المجاهد الكرامة والأثرة ، ألا وإن لنا كل المارب الموان والجفوة ، والذي لا إله غيره إن فعلتم في هذا الموطن ، كفعلكم في الموطن التي كانت ، لأوليئكم كنفاً خشناً ، ولأعزكم بكم بكل كل ثقيل » ، ثم نزل .

(تاريخ الطبري ٧ : ٢٤٥)

٤٤٣ - خطبة شيب بن يزيد الشيباني

وعرض شيب أصحابه بالمدائن فكانوا ألف رجل ، فخطبهم ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« يا معشر المسلمين : إن الله قد كان ينصركم عليهم وأنتم مائة ومائتان ، وأكثر من ذلك قليلاً ، وأنقص منه قليلاً ، وأنتم اليوم ميثون ومثون ، إلا إنى مصلى الظاهر ، ثم سار بكم إن شاء الله . »

(تاريخ الطبري ٧ : ٢٤٦ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤١٩)

٤٤٤ - خطبة عتاب بن ورقاء

ولما تواقف الفريقان للقتال ، جعل عتاب يسير فيما بين الميمنة إلى اليسرة ، يمرّ بأهل راية رابية ، فيحثهم على تقوى الله ويأمرهم بالصبر ، ويقص عليهم قصصاً كثيراً منه قوله : « يا أهل الإسلام : إن أعظم الناس نصيباً في الجنة الشهداء ، وليس الله لأحد من خلقه بأحمد منه للصابرين ، ألا ترون أنه يقول : « وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ » ، فمن حمد الله فعله فما أعظم درجته ، وليس الله لأحد أمقت منه لأهل البغي ، ألا ترون أن عدوكم هذا يستعرض المسلمين بسيفه؟ لا يرون إلا أن ذلك لهم قرابة عند الله ، فهم شرار أهل الأرض ، وكلاب أهل النار . »

فلم يجبه أحد ، فقال : ابن القصاص يقصون على الناس ويحرضونهم ؟ فلم يتكلم أحد ، فقال : ابن من يروى شعر عنزة فيحرك الناس ؟ فلم يجبه أحد ، ولا رد عليه كلمة ، فقال : إنا لله اواق الكأني بكم وقد فررتم عن عتاب بن ورقاء ، وتركتموه تشفي في استهـ الرياح ، وحمل عليه شبيب فتفرق عنه كثير من أصحابه وخذلوه ، وثبت في عصابة قليلة صبرت معه ، وقابل حتى قتل .

(تاريخ الطبري ٧ : ٢٤٦ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ ص ٤٢٠)

٤٤٥ - خطبة الحجاج

ولما رأى الحجاج تجز أهل الكوفة عن قتال شبيب في مواطن كثيرة ، في كل ما يقتل أمرأهم ، ويفل جنودهم ، كتب إلى عبد الملك يستمده ، فبعث إليه سفيان بن الأبرد الكلبى ، في أربعة آلاف ، وحبيب بن عبد الرحمن الحكيمى من مذحج في ألفين ، ودخلا فيمن معهما من أهل الشام الكوفة ، فشدوا للحجاج ظهره ، فاستغنى بهما عن أهل الكوفة ، فقام على منبرها ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد : يا أهل الكوفة ، فلا أعز الله من أراد بكم العز ، ولا نصر من أراد بكم النصر ، اخرجوا عنا ، ولا تشهدوا معنا قتال عدونا ، الحقوا بالحيرة ، فانزلوا مع اليهود والنصارى ، ولا تقاتلوا معنا إلا من كان لنا عاملا ، ومن لم يكن شهيدا قتال عتاب ابن ورقاء^(١) . »
(تاريخ الطبري ٧ : ٢٤٨ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٢٠)

٤٦ — خطبة عبد الله بن يحيى الإباضي^(٢)

لما استولى عبد الله بن يحيى الكندي على بلاد اليمن سنة ١٢٩ ، خطب الناس ، فحمد الله جل وعز ، وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ووعظ وذكر وحذر ، ثم قال :

« إنا ندعوكم إلى كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه ، وإجابة من دعا إليهما ، الإسلام ديننا ، ومحمد نبينا ، والكعبة قبلتنا ، والقرآن إمامنا ، رضينا بالحلال حلالا ، لا نبيي به بدلا ، ولا نشترى به تمنا قليلا ، وحرمتنا الحرام ونبذناه وراء ظهورنا ، ولا حول

(١) ولم تنه شبيب عن القتال ، وقد هاجم الكوفة ودخلها ، ونهض الحجاج لدفاعته ، فشنت جموعه فانصرف عن الكوفة ، وأتبعه الحجاج جيشا عليه سفيان بن الأبرد فالتقى على حمر دجيل ، وحمل بينهما وطيس القتال حتى جن الليل ، فقتل شبيب لأصحابه : اعبروا معاشر المسلمين ، فإذا أصبحنا باكرناهم ، فعبروا أمامه وزا ، حافر فرسه من حرف السفينة ، فسقط في الماء ، وكان هلاكه سنة ٥٧٧ (٢) هو عبد الله بن يحيى الكندي ، وكان من حضر موت ، وكان مجتهدا عابدا من رؤساء الخوارج الإباضية : (والإباضية فرقة من فرق الخوارج الرئيسية تنسب إلى زعيمها عبد الله بن إباض - بكسر الهمزة -) وقد خرج ابن يحيى باليمن في أيام مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، إذ رأى جورا ظاهرا وعمسا شديدا ، وسيرة في الناس قبيحة فقال لأصحابه إنه لا يحل لنا المقام على ما ترى ولا الصبر عليه . وكتب إلى جماعة من الإباضية بالبصرة وغيرها يشاورهم في الخروج فوافقوه ، وشخص إليه أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي ، وبلغ بن عقبة المسودي في رجال من الإباضية فعرضوه على الخروج ، وكثر جمعه وسموه طالب الحق ، وتوجه إلى صنعاء سنة ١٢٩ (وكان عامل مروان على صنعاء القاسم بن عمر) فجرت بينه وبين ابن يحيى حروب ومناوشات كانت النصر فيها لابن يحيى ، فدخل صنعاء ، وأحرز ما فيها من الخزان والأبوال .

(٣٠ - جهرة خطب العرب - ثان)

ولا قوة إلا بالله ، وإلى الله المشتكى ، وعليه المعول ، من زنى فهو كافر ، ومن سرق
فهو كافر ، ومن شرب الخمر فهو كافر ، ومن شك في أنه كافر فهو كافر ، ندعوكم إلى
فرائض بينات ، وآيات محكمات ، وآثار ممتدى بها ، ونشهد أن الله صادق فيما وعد ،
هدل فيما حكم ، وندعو إلى توحيد الرب ، واليقين بالوعيد والوعد ، وأداء الفرائض ،
والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والولاية لأهل ولاية الله ، والعداوة لأعداء الله .
أيها الناس : إن من رحمة الله أن جعل في كل فترة بقايا من أهل العلم ، يدعون
من ضل عن الهدى ، ويصبرون على الألم في جنب الله تعالى ، يُقتلون على الحق
في سائر الدهور شهداء ، فما نسيهم ربهم ، وما كان ربك نسيًا . أوصيكم بتقوى
الله ، وحسن القيام على ما وكلكم الله بالقيام به ، فأبلاوا الله بلاء حسنًا في أمره
وذكره ، أفول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم .

(الأغاني ٢٠ : ٩٨ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٥٥)

خطب أبي حمزة الشاربي

٤٤٧ - خطبته حين دخل المدينة

ولما دخل أبو حمزة المدينة^(١) سنة ١٣٠ ، رقى المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وقال :
 « يا أهل المدينة : ماأناكم عن وولاتكم هؤلاء ، فأسأتم - لأمركم الله - فيهم القول ،
 قلم والله ما فيهم الذي يعلم ، أخذوا المال من غير حيلة ، فوضعوه في غير حقه ، وجاروا
 في الحكم ، فحكوا بغير ما أنزل الله ، واستأثروا بفتننا ، فجعلوه دولة بين الأغنياء

(١) بعد أن استولى عبدالله بن يحيى على اليمن سنة ١٢٩ ، أقام بصنعاء أشهراً يحمن السيرة في الناس ويلين
 جانبه لهم ، ويكف الأذى عنهم فكثرت جمعه وأتته الشراة من كل جانب (والشراة كقضاة جمع شاركوا
 وهم الخوارج ، من شرى يشري كرمى : أى باع ، سموا بذلك لقولهم : شرينا أنفسنا في طاعة الله : أى بعناها
 ووهبناها ، أخذاً من قوله تعالى :

« وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ أُبْتِغَاءً مَرْضَاةَ اللَّهِ » أو لقولهم : شرينا الآخرة بالدنيا ،
 أى اشتريناها) فلما كان وقت الحج وجه ابن يحيى أبا حمزة « وهو المختار بن عوف الأزدي ثم السلمى من
 أهل البصرة » إلى مكة ، فأقبل إليها يوم التروية « وهو ثامن ذى الحجة » وعليها وعلى المدينة عبد الواحد
 ابن سليمان بن عبد الملك ، فكره عبد الواحد قتالهم ، ثم خلى مكة لهم ، فدخلها أبو حمزة بغير قتال ، ومضى
 عبد الواحد إلى المدينة ، فجهز جيشاً لقتالهم أمر عليه عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ،
 فسار حتى نزل قديداً « وقديد كزبير » وبلغ أبا حمزة إقبال أهل المدينة إليه ، فاستخلف على مكة ، وشخص
 إليهم ، وبعث إليهم يسألهم أن يكفوا عنهم ، ويقول لهم : خلوا سبيلنا إلى الشام لنسير إلى من ظلمكم ،
 وجار في الحكم عليكم ، ولا تجعلوا حداً بكم ، فإننا لانريد قتالكم ، فشتهم أهل المدينة وقالوا : يا أعداء
 الله : أنحن نخليكم وندعكم تفسدون في الأرض ؟ فقال الخوارج : يا أعداء الله أنحن نفسد في الأرض ؟ إنما
 خرجنا لنكف أهل الفساد ، ونقاتل من قاتلنا ، واستأثر بالنوء ، فانظروا لأنفسكم ، واخضعوا لمن لم يجعل الله
 له طاعة ، فإنه لا طاعة لمن عصى الله ، فادخلوا في السلم ، وعاونوا أهل الحق ، فأبوا عليهم ، ونشب القتال
 بينهم ، فهزمهم أبو حمزة هزيمة لم يبق بعدها منهم باقية ، وقد بلغت قتل قديد ألفين ومائتين وثلاثين رجلاً ،
 منهم من قریش أربعمائة ونهمون ، ودخل أبو حمزة المدينة ثلاث عشرة بقية من صفر سنة ٥١٣٠ ، وهرب
 عبد الواحد بن سليمان إلى الشام .

منهم ، وَجَعَلُوا مَقَالِمَنَا وَحُتُوقَنَا فِي مَهْوَرِ النَّسَاءِ ، وَفُرُوجِ الْإِمَاءِ (١) ، فَقُلْنَا لَكُمْ : تَعَالَوْا
نَحْنُ وَأَنْتُمْ إِلَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ظَلَمُونَا وَظَلَمُواكُمْ ، وَجَارُوا فِي الْحَكْمِ ، فَحَكَمُوا بِغَيْرِ مَا أُنزِلَ اللَّهُ
نُنَاشِدُهُمْ اللَّهُ أَنْ يَتَنَحَّوْا عَنَّا وَعَنكُمْ ، لِيَخْتَارَ الْمُسْلِمُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ، فَقُلْتُمْ : لَا يَفْعَلُونَ ، فَقُلْنَا
لَكُمْ : تَعَالَوْا نَحْنُ وَأَنْتُمْ نَقَاتِلُهُمْ ، فَإِنْ نَظَرَ نَحْنُ وَأَنْتُمْ نَأْتِ بِمَنْ يُقِيمُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقُلْتُمْ : لَا نَقْوَى عَلَى ذَلِكَ ، فَقُلْنَا لَكُمْ :
فَخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، فَإِنْ نَظَرَ نَعْدِلُ فِي أَحْكَامِكُمْ ، وَنَحْمِلُكُمْ عَلَى سُنَّةِ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَنَقْسِمُ فَبَيْنَكُمْ بَيْنَكُمْ ، فَأَبَيْتُمْ وَقَاتَلْتُمُونَا دُونَهُمْ ، فَقَاتَلْنَاكُمْ وَقَتَلْنَاكُمْ ،
فَأَبْعَدَكُمْ اللَّهُ وَأَسْحَقَكُمْ .

(تاريخ الطبري ٩ : ١٠٧ ، والأغانى ٢٠ : ١٠٣ ، وشرح

ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٥٨ ، والعقد الفريد ٢ : ١٦٢)

٤٤٨ — خطبة أخرى له

وروي أنه لما دخل المدينة قام فخطب ، فقال في خطبته :

« يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ مَرَرْتُ بِكُمْ فِي زَمَنِ الْأَحْوَالِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَقَدْ أَصَابَتْكُمْ
عَاهَةٌ بِئْسَ أَرْكَامٌ ، وَكُتِبَتْ إِلَيْهِ تَسْأَلُونَهُ أَنْ يَضَعَ خَرَاجَكُمْ عَنْكُمْ ، فَكُتِبَ إِلَيْكُمْ بِوَضْعِهِ
عَنْ قَوْمٍ مِنْ ذُرَى الْبِسَارِ مِنْكُمْ ، فَزَادَ الْغَنِيَّ غِنًى ، وَزَادَ الْفَقِيرُ فَقْرًا ، فَقُلْتُمْ : جِزَاكَ اللَّهُ
خَيْرًا ، فَلَا جِزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ، وَلَا جِزَاكَ خَيْرًا . »

(تاريخ الطبري ٩ : ١٠٨ ، والأغانى ٢٠ : ١٠٣ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٥٨)

(١) وفي رواية : « وسألناكم ، هل يقتلون بالظن ؟ فقلمت : نعم ، وسألناكم : هل يستحلون المال الحرام

والفرج الحرام ؟ فقلمت : نعم . »

٤٤٩ — خطبته وقد بلغه أن أهل المدينة يعيبون صحابه^(١)

وبلغ أبا حمزة أن أهل المدينة يعيبون أصحابه ، لخدائته أسنانهم ، وخيفة أحلامهم ، فصعد المنبر ، وعليه كساء غليظ ، وهو متشكّب قوساً عربية ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم وآله ، ثم قال :

« يا أهل المدينة ، قد بلغتني مقاتلكم لأصحابي ، ولولا معرفتي بضعف رأيكم وقلة عقولكم ، لأحسنت أدبكم ، ونحکم إِنْ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل عليه الكتاب ، وَبَيَّنَّ له فيه السننُ ، وشُرِّعَ له فيه الشرائعُ ، وَبَيَّنَّ له فيه ما يأتي وما يذُرُ ، فلم يكن يتقدم إلا بأمر الله ، ولا يُخجِمُ إلا عن أمر الله ، حتى قبضه الله إليه صلى الله عليه وسلم ، وقد أدى الذي عليه ، وعَلَّمَ المسلمين معالم دينهم ، ولم يدعهم من أمرهم في شبهة ، ودلى أبا بكر صلاتهم ، فولاه المسلمون أمر دنياهم ، حين ولّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر دينهم ، فعَمِلَ بالكتاب والسنة ، وقَاتَلَ أهل الرِّدَّةِ ، وشَمَّرَ في أمر الله ، حتى قبضه الله إليه ، والأمة عنه راضون رحمة الله عليه ومغفرته ، ثم ولي بعده عمر بن الخطاب فسار بسيرة صاحبه ، وعَمِلَ بالكتاب والسنة ، وجنَّدَ الأجنادَ ، ومَصَّرَ الأمصارَ ، وجَبَى النَّيْءَ ، وفَرَضَ الأَعْطِيَةَ ، وشَمَّرَ عن ساقه ، وحَسَرَ عن ذراعه ، وجَلَدَ في الخمر ثمانين ، وجمع الناس في شهر رمضان^(٢) ، وغزاه العدو في بلادهم ، وفتح المدائن والحصون ، حتى قبضه الله إليه ، والأمة عنه راضون ، رحمة الله عليه ورضوانه ومغفرته ، ثم ولي من بعده عثمان بن عفان ، فسار ست سنين بسيرة صاحبيه - وكان دونهما - ثم سار في الست الأواخر بما أَحْبَبَ به الأرائلَ ، واضطرب جبل الدين بعدها ، فطلبها^(٣) كل امرئ

(١) روى الجاحظ أن هذه الخطبة كانت بمكة ، وذكر أن اسم أبي حمزة ه يحيى بن المختار .

(٢) أي لصلاة القيام ، وفي رواية : « وقام في شهر رمضان » .

(٣) أي الخلافة ، يشير إلى تطلع طلحة والزبير إليها ، وطبع معاوية فيها .

لذنبه ، وأمر كل رجل منهم سريرةً أبداها الله عنه ، حق مضوا على ذلك ، ثم ولي
 على بن أبي طالب ، فلم يبلغ من الحق قصداً ، ولم يرفع له مناراً ، ثم مضى لسبيله :
 ثم ولي معاوية بن أبي سفيان لعين رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن لعينه^(١) ،
 وجلب من الأعراب ، وبقية من الأحزاب ، مؤلف طليق . فسفك الدم الحرام ، وأخذ
 عباد الله خوفاً^(٢) ، ومال الله دولاً^(٣) ، وبغى دينه عوجاً ودغلاً^(٤) ، وأحل الفرج
 الحرام ، وعمل بما يشبهه ، حتى مضى لسبيله ، فالعنوه لعنه الله ، ثم ولي بعده ابنه يزيد ،
 يزيد الخمر ، ويزيد الصقور ، ويزيد الفهود ، ويزيد الصيود ، ويزيد القروود^(٥) ،

(١) انظر ص ٢٣ و ٢٤ . (٢) عبداً . (٣) جمع دولة بالضم ؛ أى متداولاً بين عشيرته
 دون سائر المحلّين . (٤) الدغل : الفساد كالدخل . (٥) روى المصمودى فى مروج الذهب -
 ج ٢ : ص ٩٤ - قال :

« وكان يزيد صاحب طرب ، وجوارح ، وكلاب ، وقروود ، وفهود ؛ ومنادمة على الشراب ؛ وجلس
 ذات يوم على شرابه ، وعن يمينه ابن زياد - وذلك بعد قتل الحسين - فأقبل على ساقه ، فقال :

اسقنى شربة تروى مشائى ثم صل فاسق مثلها ابن زياد

صاحب السر والأمانة عندي ولتسديد معنى وجهادى

(والمشائى كغراب : النفس والطبيعة) ، ثم أمر المغنين فغنوا ، وقلب على أصحاب يزيد وعماه ما كان
 يفعله من الفسوق ، وفى آياته ظهر الغناء بحمكة والمدينة ، واستعملت الملاحى ، وأظهر الناس شرب الشراب ،
 وكان له قرد يكفى بأبي قيس ؛ يحضره مجلس منادته ؛ ويطرح له متكناً ، وكان قرداً خبيثاً ، وكان يحمله
 على أذان وحشية ؛ قد ربيضت وذلت المالك بمرج وجام ، ويسابق بها الخيل يوم الحلبة ، فجاء فى بعض الأيام
 سابقاً فتناول القصب ، ودخل الحجرة قبل الخيل ، وعلى أبي قيس قباء من الحرير الأحمر والأصفر مشهور
 (مخطوط) وعلى رأسه قلنسوة من الحرير ذات أنوان بشقائق (أى مصبغة بمثل الشقائق) وعلى الأتان سرج من
 الحرير الأحمر منقوش ملمع بأنواع من الألوان فقال فى ذلك بعض شعراء الشام فى ذلك اليوم :

تمسك أبا قيس بفضل عنانها فليس عليها إن سقطت ضمان

ألا من رأى القرد الذى سبقت به جياذ أمير المؤمنين أتان !

وروى ابن طباطبا فى الفخرى ص ٤٩ قال : « كان يزيد بن معاوية أشد الناس كلفاً بالصيد لا يزال لاهياً
 به ، وكان يلبس كلاب الصيد الأساور من الذهب ، والجلال المنسوجة منه « الجلال بالكسر جمع جل بالضم
 والفتح : ما تلبسه الدابة لتصان به » ويهب لكل كلب عبداً يخدمه ، قيل إن عبداً لاهياً بن زياد أخذ من بعض

الفاسق في بطنه ، المأبون^(١) في فرجه ، يخالف القرآن ، واتبع الكهان ، ونادم القردة ، وعمل بما يشبهه ، حتى مضى على ذلك آمنه الله ، وفعل به وفعل ، ثم ولي مروان بن الحكم ، طر يد أمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وابن لعينه ، فاسق في بطنه وفرجه ، فالعنوه والعنوا آباءه .
ثم تداولها بنو مروان بعده ، أهل بيت اللعنة ، طرداء رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، وقوم من الطلقاء ، ليسوا من المهاجرين والأنصار ، ولا التابعين بإحسان ، فأكلوا مال الله أكلاً ، ولعبوا بدين الله لعباً ، واتخذوا عباد الله عبيداً ، يورث ذلك الأكبر منهم الأصغر ، فيا لها أمة ! ما أضيعةها وأضعفها ! والحمد لله رب العالمين ، ثم مضوا على ذلك من سيء أعمالهم ، واستخفوا بهم بكتاب الله تعالى ، قد نبذوه وراء ظهورهم لعنهم الله ، فالعنوهم كما يستحقون ، وقد ولي منهم عمر بن عبد العزيز ، فبالغ ولم يكذب وعجز عن الذي أظهره حتى مضى لسبيله - ولم يذكره بخير ولا شر - .

ثم ولي يزيد بن عبد الملك ، غلام ضعيف سفيه ، غير مأمون على شيء من أمور المسلمين ، لم يبلغ أشده^(٢) ، ولم يؤنس رشدته ، وقد قال الله عز وجل : « فَإِنْ آتَيْتُمُ

= أهل الكوفة أربعمائة ألف دينار جباية وجعلها في خزائن بيت المال ، فرحل ذلك الرجل من الكوفة .
وقصد دمشق ليشكو حاله إلى يزيد ، وكانت دمشق في تلك الأيام فيها سرير الملك - فلما وصل إلى ظاهر دمشق سأل عن يزيد فعرفوه أنه في الصيد ، فكره أن يدخل دمشق ، وايس يزيد حاضراً فيها ، فضرب مخيمه ظاهر المدينة ، وأقام به ينتظر هود يزيد من الصيد ، فبينما هو في بعض الأيام جالس في خيمته ، لم يشعر إلا بكلبة قد دخلت عليه ، وفي قوائمها الأساور من الذهب ، وعليها جل يساوي مبلغاً كبيراً ، وقد بلغ منها العطش والتعب ، وكادت تموت ، فعلم أنها ليزيد وأنها قد شلت منه ، فقام إليها وقدم لها ماء وتمهدا بنفسه ، فاشعر إلا بشاب حسن الصورة على فوس جميل ، وعليه زى الملوك ، وقد علت غيرة ، فقام إليه ، وسلم عليه ، فقال له أرأيت كلبة عابرة هذا الموضع ؟ فقال : نعم يا مولانا ، هاهي في الخيمة ، قد شربت ماء واستراحت وقد كانت على غاية من العطش والتعب ، فلما سمع يزيد كلامه نزل ودخل الخيمة ، ونظر إلى الكلبة وقد استراحت ، فجذب بجلبها ليخرج ، فشكا الرجل إليه حاله وعرفه ما أخذت من ابن زياد ، فطلب دواء وكتب إليه برد ماله وخلعة سنية ، وأخذ الكلبة وخرج ، فرد الرجل من ساعته إلى الكوفة ، ولم يدخل دمشق .

(١) أبنة بشي كعصر وضرب : أتمه ، فهو مأبون ، بخير أو شر ، فإن أطلقت فقلت مأبون فهو للشر والأبنة كهقده : العيب . (٢) بلغ أشده : أي قوته ، وهو ما بين تمانى عشرة إلى ثلاثين سنة ، وقد اختلف المؤرخون في مقدار سن يزيد ، فقيل إنه توفي وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، وقيل ابن سبع وثلاثين ، وكانت ولايته أربع سنين وشهراً ، والمراد أنه لم يبلغ أشده لعنفه وعكوفه على اللذات والشهوات .

مِنْهُمْ رُشْدًا فَأَذْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ^(١) ، فَأَمْرُ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ فِي أَحْكَامِهَا وَفِرَاجِهَا وَدَمَائِهَا
 أَكْثَرُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَإِنْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ، غَلَامٌ مَأْبُونٌ فِي بَطْنِهِ وَفِرْجِهِ ،
 يَشْرَبُ الْحَرَامَ ، وَيَأْكُلُ الْحَرَامَ ، وَيَلْبَسُ الْحَرَامَ ، يَلْبَسُ بُرْدَيْنِ قَدْ حَيَّكَتَاهُ ، وَقَوْمَتَا
 عَلَى أَهْلِهِمَا بِالْفِ دِينَارٍ ، وَأَكْثَرُ وَأَقْلُ ، قَدْ أَخَذَتْ^(٢) مِنْ غَيْرِ حِلِّهَا ، وَصُرِفَتْ فِي غَيْرِ
 وَجْهٍ ، بَعْدَ أَنْ ضُرِبَتْ فِيهَا الْأُبْشَارُ^(٣) ، وَحُلِقَتْ فِيهَا الْأَشْعَارُ ، وَهَتَكَتْ فِيهَا الْأَسْتَارَ ،
 وَاسْتَحِيلَ مَا لَمْ يُحِيلِ اللَّهُ لِعَبْدٍ صَالِحٍ ، وَلَا أَنْبِيَّ مُرْسَلٍ ، ثُمَّ يُجْلِسُ حَبَابَةَ عَنْ يَمِينِهِ ،
 وَسَلَامَةَ عَنْ شِمَالِهِ ، تَغْنِيَانِهِ بِزَامِيرِ الشَّيْطَانِ ، وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ الصُّرَاحَ الْحَرَمَةَ نَصَابَ بَعِينِهَا ،
 حَتَّى إِذَا أَخَذَتْ مِنْهُ مَا خَذَهَا ، وَخَالَطَتْ رُوحَهُ وَلَحْمَهُ وَدَمَهُ ، وَغَلَبَتْ سَوْرَتَهَا عَلَى عَقْلِهِ ،
 مَزَّقِي حُلَّيْنِهِ ، ثُمَّ التَفَّتْ إِلَيْهِمَا فَقَالَ : أَنْأَذِنَانِ لِي أَنْ أَطِيرَ^(٤) ؟ نَعَمْ ، فَطَرْتُ إِلَى لَعْنَةِ اللَّهِ ،
 وَحَرِيقِ نَارِهِ ، وَأَلِيمِ عَذَابِهِ ، طَرْتُ إِلَى حَيْثُ لَا يَرُدُّكَ اللَّهُ .

(١) الآية الكريمة في اليتامى ، وأولها : « وَأَبْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ
 آسَأْتُمْ . . . » . (٢) أى الدناير . (٣) فيها : أى فى تحصيلها . والأبشار : جمع بشر ، وهو
 جمع بشرة : ظاهر الجلد ، والمراد ضرب الناس فى جباية الأموال . (٤) ذكر ذلك ابن طباطبائي الفخرى
 ص ١١٧ قال : « كان يزيد بن عبد الملك خلیج بنى أمية شغف بجاريتين اسم إحداهما سلامة ، والأخرى حباية
 فقطع معهما زمانه ، قالوا : فغنت يوما حباية :

بين العراق والهاء حرارة
 مانطمئن ولا تسوغ فتبرد

فأهوى يزيد لطير ، فقالت : يا أمير المؤمنين لنا فيك حاجة ، فقال : والله لأطيرن ، قالت : فملى
 من تدع الأمة ؟ قال : عليك وقبل يدها ، فخرج بعض خدمه وهو يقول : « سخنت عينك فا أسخنك »
 وروى أبو الفرج الأصبهاني فى الأغاني « ج ١٣ ص ١٤٨ » قال : « كانت حباية مولاة من مولدات المدينة ،
 حلوة جميلة الوجه ظريفة حسنة الغناء ؛ وقد قال يزيد بن عبد الملك : ماتقر عيني بما أوتيت من الخلافة حتى
 اشترى سلامة وحباية ، فأرسل فاشترىتا له ، فلما اجتمعتا عنده قال : أذا الآن كما قال القائل :

فأقت عصاها واستقر بها النوى
 كما قر عينا بالإياب المسافر

وذكروا أن سلامة بن عبد الملك أقبل على يزيد بلومه فى الإلحاح على الغناء والشراب ، وقال له : إنك
 وليت بعقب عمر بن عبد العزيز وعدله ، وقد تشاغلت بهذه الأمة من النظر فى الأمور ، والوفود ببابك ، -

ثم ذكر بنى أمية وأعمالهم وسيرهم فقال: « أصابوا إمرة ضائعة ، وقوماً طعماً جهلاً ، لا يقومون لله بحق ، ولا يفرقون بين الضلالة والهدى ، ويرون أن بنى أمية أرباب لهم ، فأكوا الأسر ، وتسلطوا فيه تسلط ربوبية ، بطشهم بطش الجبارة ، يحكمون بالهوى ، ويقتلون على الغضب ، يأخذون بالظنة ، ويعطلون الحدود بالشفاعات ، ويأمنون الخوثة ، ويقصون ذوى الأمانة ، يأخذون الفريضة من غير موضعها ، ويضمونها في غير أهلها ، وقد بين الله أهلها ، فجمعهم ثمانية أصناف ، فقال : « إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَاتِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ ، وَالْعَارِيْنَ

= وأصحاب الظلمات يصيحون ، وأنت غافل عنهم ، فقال : صدقت والله وأعتبه ، وهم بترك الشراب : ولم يدخل على حباية أياما ، فعدت حباية إلى الأحوص أن يقول أبيتنا في ذلك ، وقالت له : إن رددته عن رأيه ، فلك ألف دينار ، فقال :

ألا لائله اليوم أن يتبلدا	فقد غلب المحزون أن يتجلدا
بكيت الصبا جهدى فن شاء لاني	ومن شاء آسى في البكاء وأسعدا
وإن وإن فندت في طلب الغنى	لأعلم أنى أنت في الحب أوحدا
إذا أنت لم تمشق ولم تدر ما الهوى	فكن حجرا من يابس الصخر جللدا
فا العيش إلا ما نلذ وتشتهى	وإن لام فيه ذو الشنان وفندا

ومكث يزيد جمعة لا يرى حباية ، ولا يدعو بها ، فلما كان يوم الجمعة ، قالت لبعض جواربها : إذا خرج أمير المؤمنين إلى الصلاة فأعلميني ، فلما أراد الخروج أظلمت ، فقلقت وانمود في يدها ، فغنت البيت الأول ، فغطى وجهه ، وقال : مه لاتفعلى ، ثم غنت : فا العيش إلا ما نلذ وتشتهى : فعدل إليها ، وقال : صدقت والله ، فقبج الله من لاني فيك ، يا غلام ، مسلمة أن يصل بالناس ، وأقام معها يشرب وتغنيه ، وعاود ما كان فيه ، ثم قال لها : من يقول هذا الشعر ؟ قالت : الأحوص ، فأحضره ثم انشده قصيدة مدحه فيها ، فقال له : ارفع حوائجك ، فكتب إليه في نحو أربعين ألف درهم من دين وغيره ، فأمر له بها ، انظر أيضا تاريخ الطبرى ٨ : ١٧٩ ، ومروج الذهب ج ٢ : ص ١٧٥ ، وما ذكره المسعودى : أن حباية امتلت فأقام يزيد أياما لا يظهر للناس ، ثم ماتت ، فأقام أياما لا يذفها حق جيغت فقيل له : إن الناس يتحدثون بجزمك وإن الخلافة تجل من ذلك ، فدفعها وأقام على قبرها ، فقال :

فإن تسل عنك النفس أو تدع الهوى - فبالياس تساو النفس لا بالتجلد

ثم أقام بعدها أياما تلالل ومات .

وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ^(١) ، فَأَقْبِلْ صِنْفٌ تَاسِعٌ لَيْسَ مِنْهَا ، فَأَخِذْ كُلَّهَا : تَلَكُمُ
الْفِرْقَةُ الْحَاكِمَةُ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، فَالْعَنُومُ لِعَنَمِ اللَّهِ .

وَأَمَّا إِخْوَانُنَا مِنْ هَذِهِ الشَّيْخَةِ - وَلَيْسُوا بِإِخْوَانِنَا فِي الدِّينِ ، لَكِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ
عَزَّ وَجَلَّ قَالَ فِي كِتَابِهِ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَجَعَلْنَاكُمْ
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا » فَإِنَّهَا فِرْقَةٌ تَظَاهَرَتْ بِكِتَابِ اللَّهِ ، وَأَعْلَنَتْ الْفِرْقِيَّةَ عَلَى اللَّهِ ،
لَا يَرْجِعُونَ إِلَى نَظَرٍ نَافِذٍ فِي الْقُرْآنِ ، وَلَا عَقْلٍ بَالِغٍ فِي الْفِقْهِ ، وَلَا تَفَمِّيشٍ عَنْ حَقِيقَةِ
الصُّوَابِ ، قَدْ قَلَّدُوا أُمُورَهُمْ أَهْوَاءَهُمْ ، وَجَمَلُوا دِينَهُمْ الْعَصَبِيَّةَ لِحِزْبٍ لَزِيمٍ ، وَأَطَاعُوهُ
فِي جَمِيعِ مَا يَقُولُهُ لَهُمْ ، غَيًّا كَانَ أَوْ رَشْدًا ، ضَلَالَةً أَوْ هُدًى ، يَنْتَظِرُونَ الدُّوَلُ فِي رَجْعَةِ
الموتى^(٢) ، وَبُؤْمِنُونَ بِالْبَعْثِ قَبْلَ السَّاعَةِ ، وَيَدَّعُونَ عِلْمَ الْغَيْبِ لِخُلُوقٍ ، لَا يَعْلَمُ أَحَدُهُمْ
مَا فِي بَيْتِهِ ، بَلْ لَا يَعْلَمُ مَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ تَوْبُهُ ، أَوْ يَحْوِيهِ جَسَدُهُ ، يَفْتَقِرُونَ الْمَعَاصِيَ عَلَى أَهْلِهَا
وَيَعْمَلُونَ إِذَا تَوَلَّوْا بِهَا ، يُصِرُّونَ عَلَى الْفِتْنَةِ وَلَا يَعْرِفُونَ الْمَخْرَجَ مِنْهَا ؛ جُفَاءً فِي دِينِهِمْ ،

(١) الصدقات : الزكاة . العاملين عليها : الساعين في تحصيلها وجمعها . والمزلفة قلوبهم : الذين
أسلموا ودينهم ضعيف في الإسلام ، فتستألف قلوبهم . وفي الرقاب : أي وفي فك رقاب المكاتبين ، فيعاونون
بشيء منها . والغارمين : أي المدينين لأنفسهم في غير مصيبة ، ومن غير إسراف إذا لم يكن لهم وفاء .
(٢) كان بعض الشيعة يعتقدون في أنهم الذين ماتوا ، أنهم أحياء لم يموتوا ، إلا أنهم غائبون عن
أعين الناس ؛ فالشيعة الكيسانية يقولون إن محمد بن الحنفية رضي الله عنه لم يموت ، وإنه في جبل رضوى
(بالحجاز) بين أسا ونمر يحفظاته ، وعنده عينان نضاختان تجريان بماء وحل ، وإنه يعود بعد الغيبة قبلاً
الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، وفيه يقول كثير من أبيات :

يغيب ولا يرى فيهم زماناً برضوى عنده صل ومام

انظر الملل والنحل للشهرستاني ١ : ١٥٥ والفصل لابن حزم ٤ : ١٣٧ والفرق بين الفرق ص ٢٨
والاثنا عشرية « وهي إحدى فرقتي الشيعة الإمامية ، سموا بذلك لوقوفهم عند الإمام الثاني عشر وهو محمد
ابن الحسن العسكري ، ويلقبونه بالمهدي المنتظر » يزعمون أنه دخل في سرداب بصر من رأى ، وغاب هناك ،
وأنه يخرج في آخر الزمان فيملأ الأرض عدلاً وهم ينتظرونه - ويسمونه المنتظر لذلك - ويقفون في كل ليلة
بمد صلاة المغرب بباب هذا السرداب وقد قدموا مركباً فيفتفون باسمه ، ويدعونه للخروج ، حتى تشتبك
النجوم ، ثم ينفضون ويرجعون الأمر إلى الليلة الآتية - انظر مقدمة ابن خلدون ص ٢٢٠ - .

قليلة عقولهم^(١) ، قد قلدوا أهل بيت من العرب دينهم ، وزعموا أن مؤالآتهم لهم
تُنْفِئهم عن الأعمال الصالحة ، وتُنْجِئهم من عقاب الأعمال السيئة ، قاتلهم الله أنى
يُؤْفِكُون^(٢) .

فأى هؤلاء الفرق بأهل المدينة تتبعون ، أم بأى مذاهبيهم تفتدون ؟ وقد بلغنى
أنكم تنتقصون أصحابى ! قاتم هم شباب أحداث ، وأعراب جفاة ، ويحكم بأهل المدينة !
وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله المذكورون فى الخير إلا شبابا
أحداثا ؟ أما والله إنى لعالم بنتابعكم فيما يضركم فى معادكم ، ولولا اشتغالى بغيركم عنكم
ما تركت الأخذ فوق أيديكم شباب والله مُكْتَهِلُونَ^(٣) فى شبابهم ، غَضِيضَةٌ عن
الشراعيئهم ، ثقيلة عن الباطل أرجلهم ، أنضاه^(٤) عبادة ، وأطلاح مَهَرَّ^(٥) ، باعوا
أنفساً تموت غداً ، بأنفس لا تموت أبداً ، قد نظر الله إليهم فى جوف الليل ، منحنية
أصلابهم على أجزاء القرآن ، كلما مر أحد من آية من ذكر الجنة بكى شوقاً إليها ، وإذا
مر آية من ذكر النار شقق شهقةً ، كأن زفير جهنم بين أذنيه ، قد أكلت الأرض
رُكَبَهُم وأيديهم وأنوفهم وجباههم ، ووصلوا كلال^(٦) الليل بكلال النهار ، مُصْفَرَّة
ألوانهم ، ناحلة أجسامهم ، من طول القيام ، وكثرة الصيام ، مستقلون لذلك فى جنب
الله ، مؤفون بهد الله ، مُدْجِرُونَ لوعده الله ، حتى إذا رَأوا سهام العدو وقد فُوقَتْ^(٧) ،
ورماحهم وقد أُشْرِعَتْ^(٨) ، وسيوفهم وقد انْتَضَبَتْ^(٩) ، وَبَرَفَتْ الكَتِيبَةُ وَرَعَدَتْ
بصواعق الموت ، استخفوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله ، ولم يستخفوا بوعيد الله لوعيد

(١) وفى البيان والتبيين « جفاة من القرآن ؛ أتباع كهان » . (٢) أفكته عنه كضرب ؛ صرفه
وقلب رأيه . (٣) أى قد أحرزوا رزاة الكهول وسداد رأيهم . (٤) جمع نضو كحمل ، وهو
المهزول . (٥) جمع طلع وهو كنضو وزنا ومعنى . (٦) الكلال ؛ التعب والإعياء .
(٧) فوق السهم ؛ جعله فوقاً (بانضم) وهو موضع الوتر من السهم ؛ أى أعدت للرى .
(٨) سددت . (٩) استلت .

الكتيبة ، ولَقُوا شَبَابًا^(١) الأسننة ، وشائك السهام ، وظبكات السيوف بنحورهم ،
 ووجوههم وصدورهم ، ففضى الشاب منهم قُدُماً ، حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه ،
 واختضبت محاسن وجهه بالدماء ، وعُفِّرَ^(٢) جبينه بالثرى ، وانحطت عليه طير السماء ،
 وتمرقته سباع الأرض ، فطوبى لهم وحسن مآب ، فكم من عين في منقار طائر طالما بكى
 بها صاحبها في جوف الليل من خوف الله ، وكم من يد قد أبيت عن ساعدها ، طالما
 اعتمد عليها صاحبها راكماً وساجداً ، وكم من وجه رقيق ، وجبين عتيق^(٣) ، قد فلق
 بعنقه الحديد ، ثم بكى ، وقال : آه ، آه على فراق الإخوان ، رحمة الله على تلك الأبدان ،
 وأدخل أرواحهم الجنان .
 الأفان ٢٠ : ١٠٥ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٥٩ ،
 والبيان والتبيين ٢ : ٦١ ، والمقد الفريد ٢ : ١٦١ .

٤٥٠ - خطبة أخرى

ورق المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :
 « أُرْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ ، وَالْعَمَلِ بِكِتَابِهِ ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
 وَصَلَةِ الرَّحْمِ ، وَتَعْظِيمِ مَا صَغُرَتْ الْجَبَابِرَةُ مِنْ حَقِّ اللَّهِ ، وَتَصْغِيرِ مَا عَظُمَتْ مِنَ الْبَاطِلِ ،
 وَإِيمَانِهِ مَا أَحْيَوْا مِنَ الْجَوْرِ ، وَإِحْيَاءِ مَا أَمَاتُوا مِنَ الْحَقِّ ، وَأَنْ يُطَاعَ اللَّهُ ، وَيُعَصَى
 الْعِبَادُ فِي طَاعَتِهِ ، فَالطَّاعَةُ لِلَّهِ وَلِأَهْلِ طَاعَةِ اللَّهِ ، وَالطَّاعَةُ لِلْمَخْلُوقِ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ ، نَدْوَى
 إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ، وَالْقَسْمِ بِالسُّوِيَّةِ ، وَالْعَدْلِ فِي أَرْعِيَةِ ، وَوَضْعِ الْأَخْسَاسِ فِي
 مَوَاضِعِهَا الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ^(٤) بِهَا ، تَعْلَمُونَ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَنَّا لَمْ نَخْرُجْ مِنْ دِيَارِنَا وَأَمْوَالِنَا أَشْرَأَ

(١) جمع شابة : وهي حد كل شيء ؛ والظبات : جمع ظبة ؛ وهي حد السيف . (٢) أصابه العفر :

وهو التراب . (٣) كريم .

(٤) قال الله تعالى : « وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ ، فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ

وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ » .

وَلَا بَطْرًا ، وَلَا عَبَثًا ، وَلَا لَهْوًا ، وَلَا لِدَوْلَةِ مُلْكٍ نَرِيدُ أَنْ نَخْوِضَ فِيهِ ، وَلَا لِثَأْرِ قَدِيمٍ نَيْلٍ مِنَّا
 وَلَكِنَّمَا رَأَيْنَا مَصَابِيحَ الْحَقِّ قَدْ أُطْفِئَتْ ، وَمَعَالِمَ الْعَدْلِ قَدْ عَطَلَّتْ ، وَكَثُرَ الْإِدْعَاءُ فِي
 الدِّينِ وَعَمِلَ بِالْهَوَى ، وَعُذِّفَ الْقَائِلُ بِالْحَقِّ ، وَقَتِلَ الْقَائِمُ بِالْقِسْطِ ، ضَاقَتْ عَلَيْنَا الْأَرْضُ
 بِمَا رَحَّبَتْ ، وَسَمِعْنَا دَاعِيًا ^(١) يَدْعُو إِلَى طَاعَةِ الرَّحْمَنِ ، وَحُكْمِ الْقُرْآنِ ، فَأَجَبْنَا دَاعِيَ اللَّهِ
 وَمَنْ لَا يُجِيبُ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ ^(٢) فِي الْأَرْضِ ، فَأَقْبَلْنَا مِنْ قَبْلِ شَتَّى ،
 النَّفْرِ ^(٣) مَنَاعِي عَلَى بَعِيرٍ وَاحِدٍ ، عَلَيْهِ زَادُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ ، يَتَعَاوَرُونَ لِحَاءً وَاحِدًا ، قَائِلُونَ
 مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ ، فَأَوَانَا اللَّهُ وَأَيْدِنَا بِنَصْرِهِ ، وَأَصْبَحْنَا وَاللَّهُ جَمِيعًا بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ،
 وَطَلَى الدِّينَ أَعْرَانًا ، ثُمَّ لَقِينَا رِجَالًا كَمْ بَقْدِيدٍ ، فَدَعَوْنَاهُمْ إِلَى طَاعَةِ الرَّحْمَنِ ، وَحُكْمِ الْقُرْآنِ ،
 وَدَعَوْنَا إِلَى طَاعَةِ الشَّيْطَانِ ، وَحُكْمِ مَرْوَانَ وَآلِ مَرْوَانَ ، فَشَتَّانَ أَمْرُ اللَّهِ مَا بَيْنَ الْغَىِّ
 وَالرُّشْدِ ثُمَّ أَفْبَلُوا يُهْرَعُونَ وَزِقُونَ ^(٤) ، قَدْ ضَرَبَ الشَّيْطَانُ بَحْرَانَهُ ^(٥) ، وَغَلَّتْ بِدِمَائِهِمْ
 مَرَاجِلُهُ ، وَصَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ ، وَأَقْبَلَ أَنْصَارُ اللَّهِ عَصَائِبَ وَكُتَابَ ، بِكُلِّ مَهْمَدٍ
 ذِي رَوْتِقٍ ، فَدَارَتْ رِحَانًا وَاسْتَدَارَتْ رِحَامٌ بِضَرْبِ بَرْتَابٍ مِنْهُ الْمُبْطَلُونَ .

وَأَنْتُمْ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ إِنْ تَنْصَرُوا مَرْوَانَ وَآلَ مَرْوَانَ يُسْحِتْكُمْ ^(٦) اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ
 عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا ، وَبَشَفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ إِنْ أَوْلَاكُمْ خَيْرَ أَوْلٍ ،
 وَآخِرَكُمْ شَرًّا آخِرًا ، يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ : النَّاسُ مِنَّا وَمِنْهُمْ ، إِلَّا مُشْرِكًا عَابِدًا وَثَنًا ، أَوْ كَافِرًا
 مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، أَوْ إِمَامًا جَائِرًا أَوْ شَادًا طَلَى عَضُدَهُ ، يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ : مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ
 تَعَالَى كَلَّفَ نَفْسًا فَوْقَ طَاقَتِهَا ، أَوْ سَأَلَهَا مَا لَمْ يُؤْتِهَا ، فَهُوَ اللَّهُ عَدُوٌّ وَلِيًّا حَرْبٌ ^(٧) .

(تاريخ الطبري ٩ : ١٠٨) ، الأغاني ٢٠ : ١٠٤ ، وشرح

ابن أبي الحديد ١ ص ٤٥٨ ، والمعقد الفريد ٢ : ١٦١)

- (١) يريد عبدالله بن يحيى الكندي . (٢) أي لا يعجز الله بالهرب منه فيفوته .
 (٣) النفر : جماعة الرجال من ثلاثة إلى عشرة . (٤) زف الظلم وغيره كضرب زفا وزفيضا
 وزفوفًا ، وأزف : أسرع . (٥) جران البعير : مقدم عنقه من ملجحه إلى منخره : أي استولى عليهم .
 (٦) أسحت : استأصله . (٧) روى أنه قال عقب ذلك : « يا أهل المدينة أخبروني عن ثمانية
 أسهم فرضها الله تعالى في كتابه على القوي ، على جبه الضعيف ، فجاء تاسع ، ليس له منها ولا سهم واحد ، -

۴۵۱ - خطبہ له فی سبّ اهل المدينة و تقریرِہم

وخطب المدينة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« يا أهل المدينة : مالي رأيت رَسْمَ الدين فيكم ، قِيًّا ، وآثاره دارسةً ، لا تقبلون عظمتَه ولا تفقهون من أهله حُجَّةً ، قد بايت فيكم حديثُه ، وانطلمست عنكم سُنَّتُه ، تَرَوْنَ معروفَه منكراً ، والمنكر من غيره معروفًا ، إذا انكشفت لكم العبر ، وأوضحت لكم النذر^(۱) ، عميت عنها أبصاركم ، وصمّت عنها أسماعكم ، ساهين في غمريّة ، لاهين في غفلة ، تنبسط قلوبكم للباطل إذا نُشِر ، وتنقبص عن الحق إذا ذكر ، مستوحشة من العلم ، مستأنسة بالجهل ، كلما وقعت عليها موعظة زادتها عن الحق نُفورًا ، تحملون قلوبًا في صدوركم كاللحجارة أو أشد قسوة من الحجارة ، أو لم تلبس الكتاب الذي لو أُزِل على جبل لرأيتَه خاشعًا مُتصدعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، يا أهل المدينة ، ما تُثني عنكم صحة أبدانكم إذا سِقمت قلوبكم ، إن الله قد جعل لكل شيء سببًا غالبًا ينقاد له ، ويطيع أمره . وجعل القلوب غالبًا على الأبدان ، فإذا ماتت القلوب ميلاً ، كانت الأبدان لها تبعًا ، وإن القلوب لا تلبس أهاها إلا بصحتها ، ولا يصححها إلا المعرفة بالله ، وقوة النية ، ونفاذ البصيرة ، ولو استشعرت تقوى الله قلوبكم ، لاستعملت في طاعة الله أبدانكم ، يا أهل المدينة : داركم دارُ الهجرة ، ومَنوى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نبتت به داره ، وضاف به قراره ، وآذاه الأعداء وتجهمت^(۲) له ، فنقله الله إليكم ، بل إلى قوم لامرئ لم يكونوا أمثالكم ، مُتوازين مع الحق على الباطل ، مختارين الآجل على العاجل ، يصبرون للصَّراء رجاء نوابها ، فنصروا الله ، وجاءدوا في سبيله ، وآووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصروه ، واتبعوا النور

= فأخذ جميعها لنفسه مكابرا محاربا لربه ، ما تقولون فيه وفيمن ماونه على نعمك ؟ يا أهل المدينة بلنق أنكم تنتقصون أصحابي ... الخ » وقد حدثتُه هنا اوروده في الخطبة السالفة .

(۱) النذر : جمع نذير ، وهو المنذر . (۲) تجهمت وتجهم له : استقبله بوجه كريمة .

الَّذِي أَنْزَلَ مَعَهُ ، وَآثَرُوا اللَّهَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ^(۱) . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى
لَأَمْنَاهُمْ وَلَمَنْ أَهْتَدَى بِهِدَاهُمْ : « وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » ، وَأَنْتُمْ
أَبْنَاؤُهُمْ وَمَنْ بَقِيَ مِنْ خَلْقِهِمْ ، تَتْرَكُونَ أَنْ تَقْتَدُوا بِهِمْ ، أَوْ تَأْخُذُوا بِسِتْمِهِمْ ، نُحْمَى الْقُلُوبَ ،
صُمَّ الْأَذَانَ ، اتَّبَعْتُمُ الْهَوَى ، فَازْدَاكُمْ عَنِ الْهُدَى وَأَسْهَأَكُمْ ، فَلَا مَوَاعِظَ الْقُرْآنَ تَزْجُرْكُمْ
فَتَزْجُرُونَ ، وَلَا تَعِظْكُمْ فَتَعْتَبِرُونَ ، وَلَا تُوقِظْكُمْ فَتَسْتَيْقِظُونَ ، ابْتِئْسَ الْخَلْفَ أَنْتُمْ مِنْ
قَوْمٍ مَضَوْا قَبْلَكُمْ ، مَا سِيرْتُمْ بِسِيرَتِهِمْ ، وَلَا حَفِظْتُمْ وَصِيَّتَهُمْ ، وَلَا احْتَذَيْتُمْ مِثْلَهُمْ ، لَوْ شِئْتُمْ
عَنْهُمْ قُبُورَهُمْ ، فَعَرَضْتُمْ عَلَيْهِمْ أَعْمَالَكُمْ ، لَعَجِبُوا كَيْفَ صُفِرَ الْعَذَابُ عَنْكُمْ !
(الْأَنْعَامُ : ۲۰ : ۱۰۵ ، وَشَرَحَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ م ۱ : ح ۴۵۸)

* * *

وجاء في رواية العقد الفريد :

« يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ : أَوْلَاكُمْ خَيْرٌ أَوَّلٌ ، وَآخِرُكُمْ شَرٌّ آخِرٌ ، إِنَّكُمْ أَطَعْتُمْ قُرَّاءَكُمْ
وَفَقَّهَاءَكُمْ فَاخْتَأَنُواكُمْ^(۲) عَنْ كِتَابِ غَيْرِ ذِي عِوَجٍ ، بِتَأْذِينِ الْجَاهِلِينَ ، وَانْتِحَالِ الْمُبْطَلِينَ ،
فَأَصْبَحْتُمْ عَنِ الْحَقِّ نَائِبِينَ^(۳) ، أَمْوَانًا غَيْرَ أَحْيَاءَ وَمَا تَشْعُرُونَ ، يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ : يَا أَبْنَاءَ
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمُ بِإِحْسَانٍ ، مَا أَصْحَحَّ أَضَاكَكُمْ ، وَأَسَقَمَ فِرْعَاكُمُ ! كَانُوا
أَبَاؤَكُمْ أَهْلَ الْيَقِينِ ، وَأَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالدِّينِ ، وَالْبَصَائِرِ النَّافِذَةِ ، وَالْقُلُوبِ الْوَاعِيَةِ ، وَأَنْتُمْ
أَهْلُ الضَّلَالَةِ وَالْجَهْلَةِ ، اسْتَعْبَدْتُمْ الدُّنْيَا فَأَدَلَّتْكُمْ ، وَالْأَمَانِيَّ فَأَضَاتْكُمْ فَتَبَحَّ اللَّهُ لَكُمْ
بَابَ الدِّينِ فَسَدَّدْتُمُوهُ ، وَأَغَاقَ عَنْكُمْ بَابَ الدُّنْيَا فَفَتَحْتُمُوهُ ، مِيرَاحٌ إِلَى الْهَيْبَةِ ، بِيَطَاءٍ
عَنِ الشُّنَّةِ ، عُحْيٌ عَنِ الْبِرْهَانِ ، صُمٌّ عَنِ الْعِرْفَانِ ، عَيْبِدُ الْعَامِيعِ ، خَلْفَاءُ الْجَزَعِ ، نِعْمَ
مَا وَرَّثَكُمْ آبَاؤُكُمْ لَوْ حَفِظْتُمُوهُ ، وَبِئْسَ مَا تَوَرَّثْتُمْ مِنْ أَبْنَائِكُمْ إِنْ نَمَّ كَوَابَهُ ، نَصَرَ اللَّهُ
آبَاءَكُمْ عَلَى الْحَقِّ ، وَخَذَلَكُمْ عَلَى الْبَاطِلِ ، كَانَ عِدَدُ آتَائِكُمْ قَلِيلًا طَيِّبًا ، وَعِدَدُكُمْ كَثِيرًا

(۱) الخصاص : الفقر . (۲) خانوكم . (۳) أي عادلين عنه منصرفين .

خبيث ، اتبعتم الهوى ، فأزداكم ، والاهو فأسهاكم ، ومواعظُ القرآن تزجركم
فلا تزددجرون ، وتعبركم^(١) فلا تعتبرون »
(العقد الفريد ٢ : ١٦١)

٤٥٢ - خطبة أخرى

وخطب فقال : « أما بعد ، فإنك في نائي فتنة^(٢) ، وقائد ضلالة ، قد طال
جثومها ، واشتد عليك غمومها ، وتلوأت^(٣) مصايدُ عدو الله فيها ، وما نصب من
الشرك لأهل الغفلة عمّا في عواقبها^(٤) ، فلن يهدّ عمودها ، ولن ينزع أوتادها ،
إلا الذي بيده ملك الأشياء ، وهو الله الرحمن الرحيم ، ألا وإن لله بقايا من عباده
لم يتحيروا في ظلمها ، ولم يشايعوا أهالها على شئها ، مصابيحُ النور في أفواههم تزهو ،
وألسنتهم بحجج السكّاب تنطق ، ركبوا منهج السبيل ، وقاموا على العلم^(٥) الأعظم ،
هم خصماء الشيطان الرجيم ، بهم يصلح الله البلاد ، ويدفع عن البلاد ، فطوبى لهم
وللمستصبحين^(٦) بنورهم ، وأسأل الله أن يجعلنا منهم^(٧) . »

(العقد الفريد ٢ : ١٦٢)

(١) المراد : تعظكم ، من العبرة ؛ ولم أجده في كتب اللغة بهذا المعنى ، وإنما الذي فيها : « عبر
الدرهم : وزنها » . (٢) من إضافة الصفة للموصوف أي في فتنة ناشئة ، أي حية شابة .
(٣) تعددت وصارت ذات ألوان : أي نصب العدو لنا المصايد ، ودبر المكاييد للإيقاع بنا .
(٤) أي ولسنا منهم . (٥) العلم : الجبل ، والمراد أنهم لا يستخفون في دهرتهم .
(٦) أي المستصبيين . (٧) ذكر الجاحظ هذه الخطبة ، وقال : ذهب مني إسنادها ؛ وهي لأبي

حمزة كما في العقد الفريد .

٤٥٣ — خطبته حين خرج من المدينة

وخطب حين خرج من المدينة ، لقتال جيش مروان^(١) فقال :
« يا أهل المدينة : إنا خارجون لحرب مروان ، فإن نظهر نعدّل في أحكامكم ،
ونحمّلكم على سنة نبيكم ، ونقسّم بينكم فينكم ، وإن يكن ما تمنّون لنا : فسيعلم
الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون » .

(تاريخ الطبري ٩ : ١١٠ ، والأغاني ٢٠ : ١١٠ وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٦١)

٤٥٤ — عمران بن حطان والحجاج

ولما ظفر الحجاج بعمران^(٢) بن حطان الشّاري . قال : اضربوا عنق ابن الفاجرة ،
فقال عمران : لبئس ما أدبك أدلك يا حجاج ! كيف أمّنت أن أجيبك بمثل
ما لقيتني به ؟ أيمدّ الموت منزلة أصانمك عليها ؟ فأطرق الحجاج استجباءً وقال : خلّوا عنه ،
فخرج إلى أصحابه ، فقالوا : والله ما أظنك إلا الله ، فارجع إلى حربه معنا ،
فقال : هيهات ! غلّ يداً مطلقهاً ، وأسرّ رقبةً مضمّتها .

(زهر الآداب ٣ : ١٧٨)

(١) وذلك أن مروان بن محمد جهز جيشاً من أهل الشام ، واستعمل عليهم عبد الملك بن محمد بن عطية ،
وأمره أن يمضي فيقاتلهم ، فإن هو ظفر بهم مضى حتى يبلغ اليمن ، ويقا تل عبد الله بن يحيى ، فصار إليهم ،
وخرج أبو حزة لقاتله ، فقاتلهم ابن عطية حتى قتلهم ، وقتل أبو حزة ، وبعث برأسه إلى مروان ، وصلبه
هو وكبار أصحابه (سنة ١٣٠) ولم يزلوا مصلين حتى أنفض الأمر إلى بني العباس ، ثم سار ابن عطية إلى
اليمن ، فقاتل عبد الله بن يحيى وقتله ، وبعث برأسه إلى مروان .

(٢) كان رأس القعد من الخوارج الصفرية وخطيبهم وشاعرهم .

الخطب الوعظية والوصايا

٤٥٥ - خطبة سحبان بن زفر الواصل^(١) (توفي سنة ٥٥٤ هـ)

خطب فقال :

« إن الدنيا دارُ بَلاغ ، والآخرة دارُ قَرَار ، أيها الناس : فَخُذُوا مِنْ دَارِ نَمَرٍ كَمْ
لِدَارِ مَقَرٍّ كَمْ ، وَلَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ أَسْرَارُكُمْ ، وَأُخْرِجُوا
مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ ، فِيهَا حَيَاتُكُمْ وَغَيْرُهَا خَلِيقَتُمْ ، إِنْ الرَّجُلُ
إِذَا هَلَكَ ، قَالَ النَّاسُ : مَا تَرَكَ ؟ رَقَاتِ الْمَلَائِكَةِ مَا قَدَّمَ لِلَّهِ ؟ قَدَّمُوا بَعْضًا يَكُونُ
لَكُمْ ، وَلَا تَخْلَفُوا كُلًّا يَكُونُ عَلَيْكُمْ . »

(شرح العيون ص ٩٥)

(١) هو سحبان بن زفر الواصل ، وقد ضرب به المثل في الفصاحة والبيان ، فقيل : « أخطب من سحبان
واصل » ومع ذلك لم يؤثر عنه إلا هذه الخطبة الموجزة ، على أنها تعزى إلى الإمام علي - انظر نهج البلاغة
١ . ٢٦٠ - وذكر المبرد في الكامل عن الأصمعي أن أعرابيا خطبها بالبادية - تهذيب الكامل ١ : ٢٨ -
وكذا ذكر أبو علي القالي - في الأمالي ١ : ٢٥٨ - وابن عبد ربه - في العقد الفريد ٢ : ١٦٤ -
وأبو الفضل الميداني - في مجمع الأمثال ١ : ٣١٨ ، وابن قتيبة في عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٥٣ -
والخصري - في زهر الآداب ٢ : ٤ - قال ابن أبي الحديد : « وأكثر الناس على أن هذا الكلام لأبي المبرك
علي عليه السلام ، ويجوز أن يكون الأعرابي حفظه ، فأورده كما يورد الناس كلام غيرهم » - م ٣ : ص ٢ .
وقد روى ابن زائدة في شرح العيون أنه قدم على معاوية وفد من خراسان ، فبهم سعيد بن عثمان بن عفان ،
فطلب سحبان فلم يوجد في منزله ، فانتضب من ناحية اقتضابا ، وأدخل عليه ، فتكلم منذ صلاة الظهر إلى
أن قامت صلاة العصر ، ماتنحج ، ولا سهل ، ولا توتف ، ولا ابتداء في معنى ، فخرج منه ، وقد بقى عليه
منه شيء ، فا زالت تلك حاله حتى أشار معاوية بيده ؛ فأشار إليه سحبان أن لا تقطع كلامي ، فقال معاوية :
الصلاة ، قال : هي أمامك : نحن في صلاة وتحميد ، ووعد ووعد ، فقال معاوية : أنت أخطب العرب ،
فقال سحبان : « والمعجم والجن والإنس » هـ ، ولعل هذه الإطالة هي التي عاقت الرواة عن حفظ ما يقول .

٤٥٦ - خطبة معاوية

وخطب معاوية بدمشق ، فقال :

أيها الناس : سافروا بأبصاركم في كَرِّ الجديدين^(١) ، ثم ارجعوا كلبلة عن بلوغ
الأمَل ، فإن الماضي عِظَةٌ لباقي ، ولا تجعلوا الغرورَ سبيلَ العجز عن الجِدِّ ، فَتَنْقَطِعَ
حجبتكم في مَوْقِفِ الله سائِلُكم فيه ، ومحاسِبُكم فيما أسلفتم ، أيها الناس : أمْسِ شَاهِدٌ
فاحذروه ، واليوم مؤدَّب فاعرفوه ، وغداً رسولٌ فأكرموه .

(مواسم الأدب ٢ : ١١٦)

٤٥٧ - خطبة عبد الملك بن مروان

وخطب عبد الملك بن مروان ، فقال :

« أيها الناس : اعملوا لله رغبةً ورهبةً ، فإنكم نبات نِباتِ نِعْمَتِهِ ، وَحَصِيدِ نِعْمَتِهِ ،
ولا تفرس لكم الآمالُ ، إلا ما تجتنيه الآجالُ ، وأقولوا الرغبة فيما يورث العطبَ ،
فكل ما تزرعه العاجلةُ ، تقلعه الآجلةُ ، واحذروا الجديدين ، فهما بكران عليكم ،
إن عُقْبَى من أتى لحوق بين مضي ، وعلى أثرٍ من سلف ، يمضي من خلف ،
فترودوا فإن خيرَ الزادِ التَّقْوَى . »

(مواسم الأدب ٢ : ١١٨)

(١) الجديدان : الليل والنهار .

٤٥٨ — خطبة لعمر بن عبد العزيز^(١)

قال أبو العباس المبرد : حَدَّثْتُ فِي بَعْضِ الْأَسَانِيدِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ فِي خُطْبَةٍ لَهُ :

« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّمَا الدُّنْيَا أَمَلٌ مُخْتَرَمٌ ، وَأَجَلٌ مُنْتَقِصٌ ، وَبِلاغٌ إِلَى دَارٍ غَيْرِهَا ، وَسَيْرٌ إِلَى الْمَوْتِ لَيْسَ فِيهِ تَعْرِيجٌ ، فَرَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا فَكَّرَ فِي أَمْرِهِ ، وَنَصَحَ لِنَفْسِهِ ، وَرَأَى رَبَّهُ ، وَاسْتَقَالَ ذَنْبَهُ ، وَنَوَّرَ قَلْبَهُ ، أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ أَبَاكُمْ قَدْ أُخْرِجَ مِنَ الْجَنَّةِ بِذَنْبٍ وَاحِدٍ ، وَإِنْ رَبُّكُمْ وَعَدَّ عَلَى التَّوْبَةِ ، فَلْيَكُنْ أَحَدُكُمْ مِنْ ذُنْبِهِ عَلَى وَجَلٍ ، وَمَنْ رَبَّهُ تَلَى أَمَلٌ » .

(تهذيب الكمال ١ : ٢٧)

(١) هذه الخطبة مختلف في قائلها أيضا ، فقه عزاه المبرد إلى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كما ترى وروى الميداني في مجمع الأمثال (٢ : ٢٧٧) الشارح الأول منها ، وعزاه إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

كلام الحسن البصرى

(المتوفى سنة ١١٠ هـ)

٤٥٩ - خطبة له

قال الحسن البصرى رحمه الله (١) :

« يا بن آدم : بيع دنياك بأخرتك ترينهما جميعاً ، ولا تبغ آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً . يا بن آدم : إذا رأيت الناس في الخير فنافسهم فيه ، وإذا رأيتهم في الشر فلا تمنعهم عليه ، الثراء (٢) هاهنا قليل ، والبقاء هناك طويل ، أمتكم آخر الأمم ، وأنتم آخر أمتكم ، وقد أسرع بخياركم ، فإذا تنتظرون ؟ المعاينة ؟ فكان قد ذهبت هيبات هيبات الدنيا بحالها (٣) ، وبقيت الأعمال قلائد في أعناق بنى آدم . فيا لها موعظة لو وافقت من القلوب حياة ! أما إنه والله لا أمة بعد أمتكم ، ولا نبي بعد نبيكم ، ولا كتاب بعد كتابكم ، أنتم تسوقون الناس والساعة تسوقكم ، وإنما ينتظر بأولكم أن يلحقه آخركم ، من رأى محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم فقد رآه غادياً ورائحاً ، لم يضع لبنه على لبنه ، ولا نصبة على نصبة ، رُفِعَ له عَلمٌ فشمَّرَ إليه (٤) ، فالوَحَاءُ الوَحَاءُ (٥) »

(١) هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصرى ، من سادات التابعين ، وأورع العباد والمتفكرين وإمام أهل العلم والرأى في عصره ، وأستاذ وأصل بن عطاء شيخ المعتزلة . (٢) الإقامة .

(٣) أى بزمنها الحال ، من حليت المرأة كرضى فهي حال وحالية : لبست الحل ، والمعنى ذهبت بزخرفها الذى تزينت به للناس فأصلتهم وأغوتهم ، وهي في نسخة : « بحال بالها » وفي أخرى : « بحال بالها » وهو تحريف . (٤) وفي نسخة : « فدعا إليه » . (٥) الوحا وبه : السجلة والإسراع .

وَالنَّجَاءَ النِّجَاءَ ، عَلَامَ تَعْرِجُونَ ؟ أُرَيْتُمْ وَرَبَّ السَّكْبَةِ اِقْدَ أُسْرِعَ بِخِيَارِكُمْ : وَأَنْتُمْ كُلَّ يَوْمٍ تَرْتَدُّونَ^(۱) ، فَمَاذَا تَنْتَظِرُونَ ؟ إِنْ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى عِلْمٍ مِنْهُ ، اخْتِيارَهُ لِنَفْسِهِ ، وَبَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ ، وَكَانَ صَهْوَتَهُ مِنْ خَدَقِهِ ، وَرَسُولُهُ إِلَى عِبَادِهِ ، ثُمَّ وَضَعَهُ مِنَ الدُّنْيَا مَوْضِعًا يَنْظُرُ إِلَيْهِ أَهْلُ الْأَرْضِ^(۲) ، وَأَتَاهَا مِنْهَا قُوَّةً وَبُلْغَةً ، ثُمَّ قَالَ : « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ » . فَرَغِبَ أَقْوَامٌ عَنْ عَيْشِهِ ، وَسَخِطُوا مَا رَضِيَ لَهُ رَبُّهُ ، فَأَبْعَدَهُمُ اللَّهُ وَأَسْحَقَهُمْ^(۳) .

يَا بَنَ آدَمَ : طَلِّ الْأَرْضَ بِقَدَمِكَ ، فَإِنَّهَا عَنْ قَلِيلٍ قَبْرُكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَمْ تَزَلْ فِي هَدْمٍ عَمْرِكَ مُنْذُ سَقَطْتَ مِنْ بَطْنِ أُمِّكَ . رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا نَظَرَ فَتَفَكَّرَ ، وَتَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ ، وَأَبْصَرَ فَصَبَرَ ، فَقَدْ أَبْصَرَ أَقْوَامٌ وَلَمْ يَصْبِرُوا ، فَذَهَبَ الْجَزَعُ بِقُلُوبِهِمْ ، وَلَمْ يُدْرِكُوا مَا طَلَبُوا ، وَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَى مَا فَارَقُوا .

يَا بَنَ آدَمَ : إِذْ ذَكَرَ قَوْلَهُ : « وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ »^(۴) فِي عُنُقِهِ ، وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ، أَقْرَأُ كِتَابَكَ ، كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا . عَدَلَ وَاللَّهِ عَلَيْكَ مَنْ جَعَلَكَ حَسِيبَ نَفْسِكَ ، خَذُوا صِفَا الدُّنْيَا ، وَذَرُّوا كَدْرَهَا ، فَلَيْسَ الصَّفْوُ مَا عَادَ كَدْرًا ، وَلَا الْكَدْرُ مَا عَادَ صَفْوًا ، دَعُوا مَا يُرِيْبُكُمْ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكُمْ ، ظَهَرَ الْجَمَاءُ وَقَلَّتِ الْعُلَمَاءُ ، وَعَفَّتِ^(۵) الثَّنِيَّةُ ، وَشَاعَتِ الْبِدْعَةُ ، لَقَدْ صَحِبَتْ أَقْوَامًا مَا كَانَتْ صَحْبَتُهُمْ إِلَّا فُرْقَةً الْعَيْنِ ، وَجِلَاءَ الصُّدُورِ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ أَقْوَامًا كَانُوا - مِنْ حَسَنَاتِهِمْ أَنْ تُرَدَّ عَلَيْهِمْ - أَشْفَقَ^(۶) مِنْكُمْ - مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ أَنْ تُعَذَّبُوا عَلَيْهَا - ، وَكَانُوا فِيهَا أَحْلَى اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا أَرْهَدَ مِنْكُمْ فِيهَا حَرَمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْهَا ، مَا لِي أَسْمَعُ حَسِيبًا ، وَلَا أَرَى

(۱) أَيْ تَصِيرُونَ أَرْدَالًا جَمْعُ رَذَلٍ : وَهُوَ الدُّونُ الْخَسِيسُ . (۲) أَيْ مَوْضِعًا سَائِيًا .

(۳) أَيْ أَبْعَدَهُمْ ، وَفِي نَسْخَةِ : « وَسَحَقَهُمْ » أَيْ أَهْلَكَهُمْ . (۴) أَيْ عَمَلَهُ بِجَمَلِهِ فِي عُنُقِهِ ،

وَالتَّعْبِيرُ بِهِ لَمَّا كَانُوا يَتِيمُونَ وَيَتَشَامُونَ بِالطَّائِرِ السَّائِعِ وَالْبَارِحِ ، اسْتَعِيرَ لَمَّا هُوَ سَجَبُ الظَّيْرِ وَالشَّرِّ .

(۵) عَفِيَتْ . (۶) أَخْوَفُ .

أنيباً ، ذهب الناس وبقى الذنسان^(١) ، لو تكاشفتُم ما تدافنتُم ، تهاديتُم الأطباق ، ولم تهادوا النصائح ، قال ابن الخطاب : « رَحِمَ اللهُ أُمراً أَهْدَى إِلَيْنَا مَسَاوِينَنَا » أعدوا الجواب ، فإنكم مسئولون ، المؤمن من لم يأخذ دينه عن رآيه ، ولكنه أخذ من قبل ربه ، إن هذا الحق قد جهّد أهله ، وحال بينهم وبين شهواتهم ، وما يصبر عليه إلا من عرف فضله ، ورجا عاقبته ، فنجد الدنيا ذم الآخرة ، وليس بكره لقاء الله إلا مُقيمٌ على سُخطه .

يا بن آدم : الإيمان ليس بالتحلي ولا بالتمني ، ولكنه ما وقر في القلوب ، وصدقه العمل .

(البيان والتبيين ٣ : ٦٨ وميون الأخبار م ٢ ص ٣٤٤ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٦٩)

٢٦٠ - خطبة أخرى

وكان إذا قرأ : « أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْكَاذِبُ^(٢) » قال :
 عمّ الهاكم ؟ عن دار الخلود ، وجنة لا تبديد^(٣) ، هذا والله فضح القوم ، وهتك الستر ، وأبدى العوار^(٤) : تنفيق مثل دينك في شهواتك سرّفاً ، وتمنع في حق الله دبرها استعلم يا الكع^(٥) ، الناس ثلاثة : مؤمن ، وكافر ، ومنافق ؛ فأما المؤمن : فقد ألجم الخوف وقومه ، ذكر العرض ؛ وأما الكافر : فقد قومه السيف ، وشرده الخوف ، فادعن بالجزية ، وسمح بالصربية ؛ وأما المنافق : ففي الحجرات والطرقات ، يسرون غير ما يعلنون ، ويضمرون غير ما يظهرون ، فاعتبروا إنكارهم ربهم ، بأعمالهم الخبيثة ، وبلك ؟ قتلت رآيه ، ثم تمنى عليه جنته ؟ .

(١) في حديث أبي هريرة رضى الله عنه : « ذهب الناس وبقى الذنسان » قيل : فما للذنسان ؟ قال :
 « الذين يتشبهون بالناس ، وليسوا من الناس » ولهم في تفسير الذنسان كلام كثير ، منه : أنهم خلق على صورة
 الناس خالفوهم في أشياء ، وليسوا منهم .

(٢) التباهى بالكثرة . (٣) لانفى . (٤) العوار مثلات للمين : العيب .

(٥) الكع : التيم والأحق .

۴۶۱ - خطبة أخرى

وكان يقول : « رحم الله رجلاً خلا بكتاب الله ، فعرّض عليه نفسه ، فإن وافقه
حدّ ربه ، وسأله الزيادة من فضله ، وإن خالفه اعتب وأتاب ، وراجع من قريب ،
رحم الله رجلاً وعظ أخاه وأهله فقال : « يا أهلي : صلاتكم صلواتكم ، زكاتكم زكاتكم ،
جيرانكم جيرانكم ، إخوانكم إخوانكم ، مما أبتكم مما كينكم ، لعل الله يرحمكم ،
فإن الله تبارك وتعالى أثنى على عبد من عباده ، فقل : « وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ
وَالزَّكَاةِ ، وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا » . يابن آدم : كيف تكون مسلماً ولم يسلم
منك جارُك ، وكيف تكون مؤمناً ولم يأمنك الناس ؟ » .

(البيان والتبيين ۲ : ۶۹)

۴۶۲ - خطبة أخرى

وكان يقول : « لا يستحق أحد حقيقة الإيمان ، حتى لا يعيب الناس بعيب هو فيه
ولا يأمر بإصلاح عيوبهم ، حتى يبدأ بإصلاح ذلك من نفسه ، فإنه إذا فعل ذلك
لم يصاح عيباً إلا وجد في نفسه عيباً آخر ينبغي له أن يصاحبه ، فإذا فعل ذلك شغل
بخاصة نفسه عن عيب غيره ، وإنك ناظر إلى عمالك بوزن خيره وشره ، فلا تحقرن شيئاً
من الخير وإن صغر فإنك إذا رأيت مراك مكانه ، ولا تحقرن شيئاً من الشر وإن
صغر فإنك إذا رأيت ساءك مكانه » .

(البيان والتبيين ۲ : ۷۰)

۴۶۳ - خطبة أخرى

وكان يقول : « رَحِمَ اللهُ عَبْدًا كَتَبَ طَيِّبًا ، وَأَنْفَقَ قَصْدًا ، وَقَدَّمَ فَضْلًا ، وَجَهَّوْا هَذِهِ الْفُضُولَ ^(۱) حَيْثُ وَجَّهَهَا اللهُ ، وَضَمَّوْهَا حَيْثُ أَمَرَ اللهُ ، فَإِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَأْخُذُونَ مِنَ الدُّنْيَا بِلَاغَتِهِمْ ، وَيُؤْتِرُونَ بِالْفُضْلِ ، أَلَا إِنَّ هَذَا الْمَوْتَ قَدْ أَضْرَبَ بِالدُّنْيَا فَفَضَحَهَا ، فَلَا وَاللَّهِ مَا وَجَدَ ذُو لُبٍّ فِيهَا فَرَحًا ، فَإِيَّاكُمْ وَهَذِهِ السُّبُلَ الْمُتَفَرِّقَةَ ، الَّتِي جِئْتُمْ بِهَا الضَّلَالَةَ ، وَمِيعَادَهَا النَّارَ ، أَدْرَكْتُ مِنْ صَدْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمًا كَانُوا إِذَا جَنَّتْ لَيْلُ قِيَامٍ عَلَى أَطْرَافِهِمْ ، يَفْتَرِشُونَ خُدُودَهُمْ ، تَجْرِي دَمُوعُهُمْ عَلَى خُدُودِهِمْ ، يَنَاجُونَ مَوْلَاهُمْ فِي فِكَكَ رِقَابِهِمْ ، إِذَا عَمَلُوا الْحَسَنَةَ سَرَّوْهُمْ ، وَسَأَلُوا اللَّهَ أَنْ يَقْبَلَهَا مِنْهُمْ ، وَإِذَا عَمَلُوا سَيِّئَةً سَاءَتْهُمْ ، وَسَأَلُوا اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَهَا لَهُمْ ، يَا بَنَ آدَمَ : إِنْ كَانَ لَا يُغْنِيكَ مَا بَكَفِيكَ ، فَلَيْسَ هَاهُنَا شَيْءٌ يُغْنِيكَ ، وَإِنْ كَانَ يُغْنِيكَ مَا بَكَفِيكَ ، فَالْقَابِلُ مِنَ الدُّنْيَا بِكَفِيكَ ، يَا بَنَ آدَمَ : لَا تَعْمَلْ شَيْئًا مِنَ الْحَقِّ رِيَاءً ، وَلَا تَتْرُكْهُ حِيَاءً . »

(للبيان والتبيين ۳ : ۷۰)

۴۶۴ - خطبة أخرى

وكان يقول : « إِنْ الْعُلَمَاءُ كَانُوا قَدْ اسْتَفْتَوْا بَعْلَهُمْ عَنِ أَهْلِ الدُّنْيَا ، وَكَانُوا يَقْضُونَ بَعْلَهُمْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا ، مَا لَا يَقْضِي أَهْلُ الدُّنْيَا بِدُنْيَا فِيهَا ، وَكَانَ أَهْلُ الدُّنْيَا يَبْذُلُونَ دُنْيَاهُمْ لِأَهْلِ الْعِلْمِ رَغْبَةً فِي عِلْمِهِمْ ، فَاصْبَحَ لِلْيَوْمِ أَهْلُ الْعِلْمِ يَبْذُلُونَ عِلْمَهُمْ لِأَهْلِ الدُّنْيَا رَغْبَةً فِي دُنْيَاهُمْ ، فَرَغِبَ أَهْلُ الدُّنْيَا بِدُنْيَاهُمْ عَنْهُمْ ، وَزَهَدُوا فِي عِلْمِهِمْ ، لَمَّا رَأَوْا مِنْ سَوْءِ مَوْضِعِهِمْ عِنْدَهُمْ ، وَكَانَ يَقُولُ : لَا أَذْهَبُ إِلَى مَنْ يُوَارِي

(۱) جمع فضل: وهو الزيادة من المال وغيره .

غنى غناه ، وببدي لي فقره ، ويغلق دوني بابه ، ويعتني ما عنده ، وأدع
من يفتح لي بابه ، وببدي لي غناه ، ويدعوني إلى ما عنده .

(البيان والتبيين ٣ : ٧٠)

٤٦٥ - خطبة أخرى

وكان يقول : « يا بن آدم ، لا غنى بك عن نصيبك من الدنيا ، وأنت إلى نصيبك
من الآخرة أفقر ، مؤمن مُهمم ، وعالج اغتم ، وأعرابي لا فقه له ، ومنافق مكذب ،
ودنياوي^(١) مُترَف ، نَعق لهم ناعق فاتبهوه ، فرأش نار^(٢) ، وذبان طمع ، والذي نفسُ
الحسن بيده ، ما أصبح في هذه القرية مؤمن إلا أصبح مهموماً حزيناً ، وليس لمؤمن
راحة دون لقاء الله ، الناس ما داموا في عافية مستورون ، فإذا نزل بلاء صاروا إلى
حقائهم ، فصار المؤمن إلى إيمانه ، والمنافق إلى نفاقه ، أي قوم : إن نعمة الله عليكم
أفضل من أعمالكم ، فسارعوا إلى ربكم ، فإنه ليس لمؤمن راحة دون الجنة ،
ولا يزال العبد بخير ما كان له واعظ من نفسه ، وكانت المحاسبة من همّه . »

(البيان والتبيين ٣ : ٧٠)

٤٦٦ - خطبة أخرى

وقال في يوم فِطْر - وقد رأى الناس رهيئاتهم - : إن الله تبارك وتعالى جعل رمضان
مضماراً لخلقهِ ، يستبِقون فيه بطاعته إلى مرَضاتِهِ ، فسبق أقوام ففازوا ، وتخلف آخرون
فخابوا ، فالمعجب من الضاحك اللاعب ، في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون ، ويخسر فيه
المبطلون ، أما والله أن لو كشف الغطاء ، أشغل محسن بإحسانه ، ومُسيء بإساءته ،
عن ترجيل^(٣) شعر ، أو تجديد ثوب .

(البيان والتبيين ٣ : ٧١ ، وتهذيب الكامل ١ : ٢٩ ، وزهر الآداب ٢ : ٢٠٣)

(١) نسبة إلى دنيا . (٢) أي هم كالأفراش يتهاقت على النار بحسبها نافعة له فتحرقه .

(٣) وفي رواية الكامل : « تردد : ترطيل بالطاء ، والترطيل : تليين الشعر بالدهن وتكبيره وإرخاؤه وإرساله . »

٤٦٧ - مقام الحسن البصرى عند عمر بن هبيرة

لما ولي عُمر بن هُبَيْرَةَ الفَزَارِيَّ العِراقَ - وذلك في أيام يزيد بن عبد الملك - استدعى الحسن البصرى ، ومحمد بن سيرين ، والشَّهْبِيُّ ، سنة ثلاث ومائة ، فقال لهم : إن يزيد خليفةُ الله ، استخلفه على عبادته ، وأخذ عليهم الميثاق بطاعته ، وأخذ عهدنا بالسمع والطاعة ، وقد ولّاني ما ترَوْن ، فيكتب إلى بالأمر من أمره ، أعرف في تنفيذه المهلكة ، فأخاف إن أطعته غضبَ الله ، وإن عصيته لم آمنُ سَطَوْتَهُ ، فما ترَوْن ؟ فقال ابن سيرين والشَّهْبِيُّ قولاً فيه تَقْيِيَةٌ ، وكان ابن هُبَيْرَةَ لا يستثني دين أن يسمع قول الحسن ، فقال : قل ما عندك يا أبا سعيد ، فقال : « يا ابن هبيرة : خَفِ الله في يزيد ولا تخفْ يزيدَ في الله ، إن الله يمنعك من يزيد ، وإن يزيد لا يمنعك من الله ، وأوشك أن يبعث إليك ملكاً ، فيزيلك عن سريرك ، ويخرجك من سعة قصرك ، إلى ضيق قبرك ، ثم لا ينجيك إلا عملك ، يا ابن هبيرة : إن تعص الله ، فإننا جعل الله هذا السلطان ناصراً لدين الله وعباده ، فلا تركب دين الله وعباده بساطان الله ، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » .

وفي رواية أخرى قال : « أقول والله إنه يُوشِكُ أن ينزل بك ملك من ملائكة الله نظاً غليظاً ، لا يعصى الله ما أمره ، فيخرجك من سعة قصرك ، إلى ضيق قبرك ، فلا يُغْنِي عنك ابن عبد الملك شيئاً ، وإني لأرجو أن الله عز وجل سيصيبك من يزيد ، وإن يزيد لا يمنعك من الله ، فاتق الله أيها الأمير ، فإنك لا تأمن أن ينظر الله إليك ، وأنت على أقبح ما تكون عليه من طاعة يزيد ، نظرةً يمقتك بها ، فيمليق عنك باب الرحمة ، واعلم أي أخوفك ما أخوفك الله سبحانه حين يقول : « ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ » وإذا كنت مع الله عز وجل في طاعته كذاك بوائق^(١) يزيد ، وإن كنت مع يزيد على معصية الله وملك الله إلى يزيد حين لا يُغْنِي عنك شيئاً » .

(١) جمع بائقة وهي الدابة .

فبكي عمر بن هبيرة بكاء شديداً ، ثم أجازهم ، وأضعف جائزة الحسن ، فقال الشعبي لابن سيرين : سَفَسَفْنَا (١) لَهُ فَسَفَسَفَ لَنَا .

(وفيات الأعيان ١ : ١٢٨ ، الحسن البصرى لابن الجوزى ص ٥٢ ، مروج الذهب ٢ : ١٧٨ ، عيون الأخبار ٢ : ص ٣٤٣ ، شرح ابن أبي الحديد ٤ : ص ٥٩ ، أمالي السيد المرتضى ١ : ١١٠)

٤٦٨ - مقام الحسن عند النضر بن عمرو

وأحضر النضر بن عمرو - وكان والياً على البصرة - الحسن البصرى يوماً ، فقال : يا أبا سعيد إن الله عز وجل : خالق الدنيا وما فيها من رِيَاشِهَا (٢) ، وبهجتها ، وزينتها لعباده ، وقال عز وجل : « كَلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ » ، وقال عز من قائل : « قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ، قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » فقال الحسن :

« أبها الرجل : اتق الله في نفسك ، وإياك والأمانى التي ترجحت (٣) فيها فتهلك ، إن أحداً لم يعط خيراً من خير الدنيا ، ولا من خير الآخرة بأمنيتها ، وإنما هي داران ، من عمل في هذه أدرك تلك ، ونال في هذه ما قُدِّرَ له منها ، ومن أهمل نفسه خسرهما جميعاً ، إن الله سبحانه اختار محمداً صلى الله عليه وسلم لنفسه ، وبعثه برسائمه ورحمته ، وجعله رسولا إلى كافة خلقه ، وأنزل عليه كتاباً مهيمناً ، وحدَّ له في الدنيا حدوداً ، وجعل له فيها أجلاً ، ثم قال عز وجل : « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ » وأمرنا أن نأخذ بأسره ، ونهتدي بهديه ، وأن نسلك طريقته ، ونعمل بسنته ، فما بلغنا إليه فبفضله ورحمته ، وما قصرنا عنه فعلمنا أن نستعين ونستغفر ، فذلك باب نخرجنا ، فأما الأمانى فلا خير فيها ، ولا في أحدٍ من أهلها » :

(١) سَفَسَفَ عمله : لم يبلغ في إحكامه . (٢) الرياش : اللباس الفاخر والمال والخصب والمناش .

(٣) أى ملت إليها ، من ترجعت به الأرجوحة : مالت .

فقال النضر : والله يا أبا سعيد إنا على ما فينا لنُحِبَّ ربنا ، فقال الحسن :
 « لقد قال ذلك قوم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى عليه :
 « قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ » فجعل سبحانه اتباعه صلى الله
 عليه وسلم علما للمحبة ، وأكذب من خالف ذلك ، فاتق الله أيها الرجل في نفسك ،
 وإيم الله لقد رأيت أقواما كانوا قبلك في مكانك ، يعلون المنابر ، وتهتز لهم المراكب
 ويجرؤون الذيول بطراً ورياء الناس ، يبنون المدر^(١) ، ويؤثرون الأثر^(٢) ، ويتنافسون
 في النياب ، أخرجوا من سلطانهم ، وسلبوا ما جمعوا من دنياهم ، وقدموا على رسهم ،
 ونزلوا على أعمالهم ، فالويل لهم يوم التغابن^(٣) ، وبأويحهم - يوم يفر المرء من أخيه
 وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ، لكل أمرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » .
 (الحسن البصرى لابن الجوزى ص ٥٠)

٤٦٩ - مقام آخر له عند النضر

ودخل عليه يوما آخر فقال :

« أيها الأمير أيذك الله ، إن أخك من نصحك في دينك ، وبصرك عيوبك ،
 وهداك إلى مرشدك ، وإن عدوك من غرك ومنك ، أيها الأمير اتق الله فإنك أصبحت
 مخالفا للقوم في الهدى والسيرة ، والغلاية والسريرة ، وأنت مع ذلك تتمني الأمان ،
 وترجع في طلب العذر ، والناس أصلحك الله طابرت ، فطالب دنيا ، وطالب
 آخرة ، وإيم الله لقد أدرك طالب الآخرة واستراح ، وتعب الآخر واخترم^(٤) .

(١) المدر : قطع الطين اليابسة ؛ والمراد يبنون القصور . (٢) امتأثر على أصحابه : اختار
 لنفسه أشياء حسنة واستبد بها ، والامم : الأثرة بالتحريك ، والأثرة بالضم والكسر ، والجمع أثر
 كفرصة وفرص . (٣) يوم التغابن : يوم يفر المرء من أخيه ، والتغابن : أن يغيب بعض القوم بعضا ، وسمى يوم القيامة
 يوم التغابن لأن أهل الجنة تغيب أهل النار بأخذ منازلهم في الجنة لو آمنوا . (٤) هلك .

فاحذر أيها الأمير أن تشقى بطلب الفاني ، وترك الباقي ، فتكون من النادمين ، واعلم أن حكماً قال :

أين الملوكُ التي عن حفظها غفَلتُ حتى سفاها بكأس الموت ساقبها
نعوذ بالله من الحور بعد الكور^(١) ، ومن الضلالة بعد الهدى ، لقد حدثت أيها الأمير
عن بعض الصالحين أنه كان يقول : « كفى بالمرء خيانة أن يكون للخونة أميناً ، وعلى
أعمالهم معيناً » .
(الحسن البصري لابن الجوزي ص ٥١)

٤٧٠ - مقال الحسن حين رأى دار الحجاج التي بناها بواسط

وروى أن الحجاج بنى داراً بواسط^(٢) ، وأحضر الحسن ليرآها ، فلما دخلها قال :
« الحمد لله : إن الملوك لا يروون لأنفسهم عزاً ، وإنما أنزى فيهم كل يوم عبداً ، يعمد
أحدهم إلى قصر فبشيده ، وإلى فرش فينجده^(٣) ، وإلى ملابس ومراكب فيحسنها ،
ثم يحفُّ به ذباب طمع ، وفراش نار ، وأصحاب سوء ، فيقول : أنظروا ما صنعت ! فقد
رأيا أيها الغرور ، فكان ماذا يا أفسق الناسقين ؟ أما أهل السموات فقد مقتوك ،
وأما أهل الأرض فقد لعنوك ، بنيت دار الفناء ، وخرت دار البقاء ، وغررت في دار
الغرور ، أتذلل في دار الجبود ، ثم خرج وهو يقول : إن الله سبحانه أخذ هذه على
العلماء ، كيبيدئذً للناس ولا يكتموناه » .

وبلغ الحجاج ما قال ، فاشتد غضبه ، وجمع أهل الشام ، فقال : يا أهل الشام أيشتمني
عبد من عبيد أهل البصرة وأنتم حضور فلا تنكرون ! ثم أمر بإحضاره فجاء وهو
يمرك شفتيه ، لم يسمع ، حتى دخل على الحجاج ، فقال : يا أبا سعيد ، أما كان لإمارتي
عليك حق ، حين قلت ما قلت ؟ فقال : يرحمك الله أيها الأمير ، إن من خواتمك حتى

(١) الحور : النقصان ، والكور : الزيادة ، وهو حديث شريف : « نعوذ بالله من الحور بعد
الكور » أي من النقصان بعد الزيادة ؛ وقيل : من فساد أمورنا بعد صلاحها ؛ وأصله من كور الصمامة وهو
لفها وجهها . (٢) واسط : مدينة بالمراقم من الجنوب بين دجلة والفرات ، بناها الحجاج ومات بها .
(٣) التنجيد : التزيين ، والتنجاد : الذي يعالج الفرش والوسائد ويخيطهما .

تبلغ أمتك أرفق بك وأحبّ فيك من أمتك حتى تبلغ الخوف، وما أردتُ الذي سبق إلى وهمك، والأمران بيدك: العفو والمعقوبة، فافعل الأولى بك، وعلى الله فتوكل، وهو حسبنا ونعم الوكيل، فاستجيب الحاج منه، واعتذر إليه وأكرمه وحبّاه.

وفي رواية أخرى: « فلما دخل، قال له الحاجب: ها هنا، فأجلسه قريباً منه، وقال: ما تقول في عليّ وعثمان؟ قال: أقول قول من هو خيرٌ مني عند من هو شرٌّ منك، قال فرعون لموسى: « فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى؟ قال: عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَبْضُلُ رَبِّي وَلَا يَنْدَسِي » عِلْمُ عَلِيٍّ وَعُثْمَانِ عِنْدَ اللَّهِ قال: أنت سيد العلماء يا أبا سعيد، ودعا بغالية^(١) وعَلَّفَ بِهَا لِحِيَّتَهُ، فلما خرج تبعه الحاجب فقال له: ما الذي كنت قلت حين دخلت عليه؟ قال: قلتُ: « يا عُدَّتِي عِنْدَ كُرْبَتِي، ويا صَاحِبِي عِنْدَ شِدَّتِي، ويا رِزْقِي نِعْمَتِي، ويا إلهي وإله آبائي إبراهيم وإسحق ويعقوب، ارزقني مودته، واصرف عني أذاه » ففعل ربي عز وجل.

ز الحسن البصري لابن الجوزي ص ٥٣، والمنية والأمل لابن يحيى المرتضى ص ١٤،
وأمال السيد المرتضى ١ : ١١٢)

٤٧١ - صفة الإمام العادل^(٢)

لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إلى الحسن أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل، فكتب إليه الحسن رحمه الله:

« اعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل، وقصد^(٣) كل جائر، وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ونصفة^(٤) كل مظلوم، ومفرج كل ماهوف، والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله، الرفيق الذي ير ناد

(١) طيب . (٢) أوردت هذا الكتاب هنا، والكتابين التاليين له لانتظامها في ملك اللوصايا .
(٣) هداية ورشاد . (٤) اسم من الإنصاف .

لها أطيب المرعى ، ويدودها عن مرايع المهلكة ، ويحميها من السباع ، ويكنفها من
أذى الحر والقر^(١) ، والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على ولده ، يستى لهم
صغاراً ، ويعلمهم كباراً ، يكتسب لهم في حياته ، ويدخر لهم بعد مماته ، والإمام العدل
يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة ، البرّة الرقيقة بولدها ، حملته كرهاً ، ووضعت كرهاً ،
وربته طفلاً ، تسهر بسهره ، وتسكن بسكونه ، ترضعه تارةً ، وتقطعه أخرى ،
وتفرح بهافيقه ، وتغمّ بشكايته ، والإمام العدل يا أمير المؤمنين وصي اليتامى ، وخازن
المساكين ، يرّبي صغيرهم ، ويمون كبيرهم ، والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالقلب بين
الجوانح ، تصلح الجوانح بصلاحه ، وتفسد بفساده ، والإمام العدل يا أمير المؤمنين هو
القائم بين الله وبين عباده ، يسمع كلام الله ويُسْمِعهم ، وينظر إلى الله ويرِيهم ، وينقاد
إلى الله ويقودهم ، فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما مأكك الله كعبد ائتمنه سيده ،
واستحفظه ماله وعباله ، فبدد المال ، وشرّد العيال ، فأفقر أهله ، وفرّق ماله . واعلم
يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والقواحش ، فكيف إذا
أتاها من يلبسها ؟ وأن الله أنزل القصاص حياةً لعباده ، فكيف إذا قتلهم من يقتص
لهم ؟ واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده ، وقلة أشياعك عنده ، وأنصارك عليه ،
فتزود له ، ولما بعده من الفزع الأكبر . واعلم يا أمير المؤمنين أن لك منزلاً غير منزلك
الذي أنت فيه ، يطول فيه ثوابك ، ويفارقك أحبّائك ، يُلهونك في قصره فريداً
وحيداً ، فتزود له ما يصحبك يوم يفرّ المرء من أخيه ، وأُمّ وأبيه ، وصاحبته
وبنيه ، واذكر يا أمير المؤمنين إذا بُعِثَ ما في القبور ، وحصل ما في الصدور ، فالأسرار
ظاهرة ، والكتب لا يُغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها ، فالآن يا أمير المؤمنين
وأنت في مهل ، قبل حلول الأجل ، وانقطع الأمل ، لا تحسب يا أمير المؤمنين في عباد

(١) مثلث القاف : البرد .

الله بحكم الجاهلين ، ولا تسلك بهم سبيل الظالمين ، ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين ، فإنهم لا يترقبون في مؤمن إلا^(١) ولا ذممة ، فنبوء بأوزارك ، وأوزار مع أوزارك ، وتحمل أثقالك ، وأثقالاً مع أثقالك ، ولا يفرتك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك ، ويأكلون الطيبات في دنياهم بإذهاب طيباتك في آخرتك . لا تنظر إلى قدرتك اليوم ، ولكن انظر إلى قدرتك غداً ، وأنت مأسور في حبال الموت ، وموقوف بين يدي الله في مجمع من الملائكة والنبين والمرسلين ، وقد عننت^(٢) الوجوه للحى الميؤم ، إني يا أمير المؤمنين وإن لم أبلغ بمعظي ما بلغه أولو النهى من قبلي ، فلم آلك^(٣) شفقةً ونصحاً ، فأنزل كتابي إليك كداوي حبيبه ، يسقيه الأدوية الكريهة ، لما برجوله في ذلك من العافية والصحة ، والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته »

(العقد الفريد ١ : ١٢ ، الحسن البصرى لابن الجوزى ص ٥٦)

٤٧٢ - موعظته لعمر بن عبد العزيز

وكتب إليه عمر بن عبد العزيز رحمه الله : اكتب إلى يا أبا سعيد بموعظة فأوجز ، فكتب إليه :

« أما بعد يا أمير المؤمنين : فكأن الذي كان لم يكن ، وكان الذي هو كائن قد نزل ، واعلم يا أمير المؤمنين أن العبر ، وإن أذاقت تعجيل مرارته ، فلنعم ما أعقبك من طيب حلوته ، وحسن عاقبته ، وأن الموى ، وإن أذاقت طعم حلوته ، فابئس ما أعقبك من مرارته ، وسوء عاقبته ، واعلم يا أمير المؤمنين أن الفائز من حرص على السلامة في دار الإقامة ، وفاز بالرحمة فأدخل الجنة . »

(الحسن البصرى لابن الجوزى ص ٥٤)

(١) مهدي . (٢) خضعت وذات . (٣) لم أقصر .

(٣٢ - جمهرة خطب العرب - ثان)

٤٧٣ - موعظته لعمر بن عبد العزيز أيضا

وَ كَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : اَكْتُبْ إِلَيَّ يَا أَبَا سَعِيدٍ بِذِمَّةِ الدُّنْيَا ،
فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

«أَمَّا بَعْدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ ظَعْنٍ ^(١) وَ انْتِقَالٍ ، وَ لَيْسَتْ بِدَارِ إِقَامَةٍ عَلَى
حَالٍ ، وَ إِنَّمَا أَنْزَلَ إِلَيْهَا آدَمُ عَقُوبَةً ، فَاحْذَرُهَا إِنْ الرَّاعِبُ فِيهَا تَارَكَ ، وَ الْغَنِيُّ فِيهَا فَقِيرٌ ،
وَ السَّمِيدُ مِنْ أَهْلِهَا مَنْ لَمْ يَتَعَرَّضْ لَهَا ، إِنَّهَا إِذَا اخْتَبَرَهَا اللَّيْبُ الْحَاقِقُ ، وَ جَدَّهَا تَذَلُّ مَنْ
أَعَزَّهَا ، وَ تَفَرَّقَ مِنْ جَمْعِهَا ، فَهِيَ كَالسَّمِّ يَأْكُلُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ ، وَ يَرْغَبُ فِيهِ مَنْ يَجْهَلُهُ ،
وَ فِيهِ وَ اللَّهُ حَتْفُهُ ؛ فَكُنْ فِيهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَالْمَدَاوِي جِرَاحَهُ ، يَحْتَمِي قَلِيلًا ، مَخَافَةَ
مَا يَكْرَهُ طَوِيلًا ، الصَّبْرُ عَلَى لَأْوَأْسِهَا ^(٢) ، أَيْسَرُ مِنْ اِحْتِمَالِ بِلَاسِهَا ، وَ اللَّيْبُ مَنْ حَذَرَهَا
وَ لَمْ يَغْتَرَّ بِزِينَتِهَا ، فَإِنَّهَا غَدَارَةٌ خَعَالَةٌ ^(٣) خَدَاعَةٌ ، قَدْ تَعَرَّضْتُ بِأَمَالِهَا ، وَ تَزِينْتُ لُحَطَّابِهَا ،
فَهِيَ كَالْعُرُوسِ ، الْعَيُونُ إِلَيْهَا نَظْرَةٌ ، وَ الْقُلُوبُ عَلَيْهَا وَالِهَةٌ ^(٤) ، وَ هِيَ - وَ الَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا
بِالْحَقِّ - لِأَزْوَاجِهَا قَاتِلَةٌ ، فَاتَّقِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صَرَغَتَهَا ، وَ احْذَرِ عَثْرَتَهَا ، فَارْتَخَاهُ فِيهَا
مَوْصُولٌ بِالشَّدَةِ وَ الْبِلَاءِ ، وَ الْبَقَاءُ مَوْدٌّ إِلَى الْهَلَكَةِ وَ الْفَنَاءِ .

وَ اعْلَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنَّ أَمَانِيَّهَا كَازِبَةٌ ، وَ آمَالُهَا بَاطِلَةٌ ، وَ صَفْوُهَا كَدْرٌ ، وَ عَيْشُهَا
نَكْدٌ ، وَ تَارِكُهَا مَوْفِقٌ ، وَ الْمَتَمَسِّكُ بِهَا هَالِكٌ غَرِيقٌ ، وَ الْفَطْنُ اللَّيْبُ مَنْ خَافَ مَا خَوْفَهُ اللَّهُ
وَ حَذَرَ مَا حَذَرَهُ ، وَ قَدَّرَ مَنْ دَارَ الْفَنَاءِ إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ ، فَعِنْدَ الْمَوْتِ يَأْتِيهِ الْيَقِينُ ؛
الدُّنْيَا وَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ دَارُ عَقُوبَةٍ ، لَهَا يَجْمَعُ مَنْ لَاعَقَلَ لَهُ ، وَ بَهَا يَغْتَرُّ مَنْ لَاعَلَّمَ عِنْدَهُ ،
وَ الْحَازِمُ اللَّيْبُ مَنْ كَانَ فِيهَا كَالْمَدَاوِي جِرَاحَهُ ، يَصْبِرُ عَلَى مَرَارَةِ الدَّوَاءِ ، لَمَّا يَرْجُو مَنْ

(١) ارتحال .

(٢) شدتها .

(٣) خداعة .

(٤) من الوله بالتحريك: وهو ذهاب العقل من شدة الوجد .

العافية ، وَيَخَافُ مِنْ سَوْءِ عَاقِبَةِ الدَّارِ ، وَالدُّنْيَا وَيَا أَيُّهَا اللهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حُلْمٌ ، وَالْآخِرَةَ
يَقْتَضِي ، وَالْمُتَوَسِّطُ بَيْنَهُمَا الْمَوْتُ ، وَالْعِبَادُ فِي أَضْغَاثِ أَحْلَامٍ ، وَإِنِّي قَاتِلٌ لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
مَا قَالَ الْحَكِيمُ :

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخْلَاكَ نَاجِيًا «
ولما وصل كتابه إلى عمر ، بكى وانتحب حتى رحمه من كان عنده ، وقال :
يرحم الله الحسن ، فإنه لا يزال يوقظنا من الرقدة ، وينبئنا من الغفلة ، والله هو من
مُشْفِقٍ مَا أَنْصَحَهُ ! وَوَاعِظٍ مَا أَسَدَقَهُ وَأَفْصَحَهُ !

(الحسن البصرى لابن الجوزى ص ٥٤ ، وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ص ١٢١)

٤٧٤ - كلمات حكيمة للحسن البصرى

وقال : احذر من نقل إليك حديث غيرك ، فإنه سينقل إلى غيرك حديثك .
أيها الناس : إنكم لا تنالون ما تحبون إلا بترك ما تشتهون ، ولا تُدركون ما تأملون
إلا بالصبر على ما تكرهون . الصبر صبران : صبرٌ عند المصيبة ، وصبر عن المعصية ،
فمن قر على ذلك فقد نال أفضل الصبرين . أفضل الجهاد جهاد الهوى . لا تكن ممن
يجمع علم العلماء وحكم الحكماء ، ويمجى في الحق مجرى السفهاء . من خاف الله أخاف
الله سبحانه منه كل شيء ، ومن خاف الناس أخافه الله من كل شيء . لولا ثلاثة
ما طأ ابن آدم رأسه : الموت ، والمرض ، والفقر ، وإنه بعد ذلك لو ثاب . احذروا
العابد الجاهل ، والعالم الفاسق ، فإن فيهما فتنة لكل مفتون . ترك الخطيئة أهون
من معالجة التوبة . لا تكن شاة الراعى أعقل منك ، تزجرها الصبيحة ، وتطردّها
الإشارة . المؤمن تلقاه الزمان بعد الزمان ، بأمر واحد ، ووجه واحد ، ونصيحة واحدة ،
وإنما يتبدل المفاق ايئنا كل كل قوم . المؤمن صدق قوله فعله ، وسرّه علانيته ،
ومشهدّه مخفيته . لا يزال العبد بخير ما كان له واعظ من نفسه ، وكانت الفكرة من عمله

والذکر من شأنه ، والمحاسبة من همته ، ولا يزال بشرًا ما استعمل التسويف ، واتبع
 الهوى ، وأكثر الغفلة ، ورجح في الأمانى الحق مرة لا يبصر عليه إلا من عرف حسن
 العاقبة ، ومن رجا الثواب خاف العقاب حادثوا هذه القلوب ، فإنها سريرة الذنور^(۱) ،
 واقدعوا^(۲) هذه النفوس ، فإنها طلعة^(۳) ، وإنكم إلا تزعوها^(۴) تنزع بكم إلى شر
 غاية . يا بن آدم : نهارك ضيفك ، فأحسن إليه ، فإنك إن أحسنت إليه ارتحل بحمدك ،
 وإن أسأت إليه ارتحل بؤذمك ، وكذلك ليلاك إنما أنت أيها الإنسان عدد ، فإذا مضى
 لك يوم فقد مضى بعضك . وقيل له يا أبا سعيد : من أشد الناس صراخاً يوم القيامة ؟
 فقال : رجل رزق نعمة فاستعان بها على معصية الله . وكان يقول : لو قت الليل حتى
 ينحني ظهرك ، وصمت النهار حتى ينقم جسمك ، لم ينفك ذلك إلا بورع صادق .
 وسمع رجلاً يكثرك الكلام ، فقال : يا بن أخى أميك عليك لسانك . فقد قيل : ما شئ
 أحق بسجن من لسان . وكان يقول : لو لم يكن من شؤم الشراب إلا أنه جاء إلى أحب
 خلق الله إلى الله فأفسده ، لكان ينبغى للعاقل أن يتركه (يعنى العقل) ويقول :
 ما أطال أحد الأمل إلا أساء العمل ، وما أساء العمل إلا ذل .

وقال : « يا عجبا لقوم قد أمروا بالزاد ، وأوذوا بالرحيل ، وأقام أولهم على آخرهم ،
 فليت شعري ما الذى ينتظرون ؟ » وقال : اجعل الدنيا كالقنطرة : تجوز عليها ،
 ولا تتمررها ، وقال : ليس العجب ممن عطب كيف عطب ، إنما العجب ممن نجا
 كيف نجا ، وقال : « من أخلاق المؤمن قوة في دين ، وحرص على العلم ، وقناعة في فقر ،
 ورحمة للمجهود ، وإعطاء في حق ، وبر في استقامة ، وفقه في يقين ، وكسب في حلال » .
 (الحسن البصرى لابن الجوزى في مواضع متفرقة ، والبيان والتبيين ۳ - ۷۶ - ۸۳ ، أمالى السيد المرتضى
 ۱ : ۱۱۰-۱۱۱ . وتهذيب الكامل ۱ : ۲۹ . وزهر الآداب ۱ : ۱۷۸ ، ۲ : ۲۰۵)

(۱) دنور القلوب : الحياء الذكر منها . (۲) كفوها واكبحوها . (۳) نفس طلعة :
 تكثر التطلع إلى الشيء ، وفي رواية : « فإنها طامعة » . (۴) وزعه كوضع : كفه ، وفي رواية :
 منعها .

۴۷۵ - خطبة واصل بن عطاء^(۱) المنزوعة الراء

الحمد لله القديم بلا غاية ، والنبأ بلا نهاية ، الذي علا في دُنُوّه ، ودنا في عُلوّه ،
فلا يحويه زمان ، ولا يُحيط به مكان ، ولا يَشُودُه^(۲) حِفْظ ما خَلَق ، ولم يَخْلُقْه على مثال
سبق ، بل أنشأ ابتداء ، وَعَدَّله اصطناعا ، فأحسن كل شيء خلقه ، وتَمَّ مشيئته ،
وأوضح حكيمته ، فدل على أُلُوهِيّته ، فسيحانه لَأَمَقَّب^(۳) الحِكْمه ، ولا دافع لقضائه ،
تواضع كل شيء لعظمته ، وذل كل شيء لسلطانه ، ووسيع كل شيء فضله ، لا يمزُب
عنه منقال حبة ، وهو السميع العليم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ، إلهًا تقدَّست
أسماءه ، وعظمت آلاؤه ، وعلا عن صفات كل مخلوق ، وتنزه عن شبه كل مصنوع ،
فلا تبلُغه الأوهام ، ولا تُحيط به العقول ولا الأوهام ، يُمَصِّى فيحلم ، وَيُدْعَى فيسمع ،
ويتقبل التوبة من عباده ، وَيَعْفُو عن السيئات ، وَيَعْلَم ما تفعلون ، وأشهد شهادة حق ،
وقول صدق ، بإخلاص نية ، ورحمة طوية ، أن محمد بن عبد الله عبده ونبيه ، وخالصة^(۴)
وصفيه ، اجتمعت إلى خلقه بالبينّة والهدى ودين الحق ، فبان مَأْلُكته^(۵) ، ونصح لأمته ،
وجاهد في سبيل الله ، لا تأخذه في الحق لومة لائم ، ولا يصدّه عنه زعم زاعم ، ماضيا
على سنته ، مؤفيا على قصده ، حتى أتاه اليقين ، فصلى الله على محمد ، وعلى آل محمد

(۱) هو أبو حذيفة واصل بن عطاء شيخ المعتزليين ، وأحد الأئمة المعتكليين ، وكان يُلغ
بالراء ، فيجعلها فينا ، فاستطاع بمهارته أن يخلص منها كلامه ، خطب يوما عند عبد الله بن عمر بن عبد العزيز
والى العراق سنة ۱۲۶ شبيب بن شيبه ، وخالد بن صفوان ، والفضل بن عيسى ، ثم قفاهم واصل ، فارتجل
هذه الخطبة وعراها من حرف الراء ، وأبدع في القول :

فضل عبد الله خطبة واصل وضوعف في قسم الصلوات له الشك

(والشك بالضم : العطاء) وتوفى واصل سنة ۱۳۱ هـ . (۲) يشقله ، آده أودا (كنصر) بلغ
منه المجهود . (۳) لا راد له . (۴) هذا الشيء خالصة لك : أى خاصة . (۵) المألكة : بضم
اللام وتفتح : الرسالة .

أفضل وأزكى ، وأتم وأنى ، وأجل وأعلى صلاة صلاحها على صفوة أنبيائه ، وخالفه ملائكته ، وأضعاف ذلك ، إنه حميد مجيد .

أوصيكم عباد الله مع نفسى بتقوى الله ، والعمل بطاعته ، والمجانبة لمعصيته ، وأحضكم على ما يذنبكم منه ، وَيُزَلِّفُكُمْ لَدَيْهِ ، فَإِنْ تَقَوَّى اللهُ أَفْضَلُ زَادٍ ، وَأَحْسَنُ عَاقِبَةٍ فِي مَعَادٍ ، وَلَا تَأْتِيَنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا بَرِيئَةً وَخُدْعَةً ، وَفَوَائِنَ لَذَاتِهَا ، وَشَهَوَاتِ آمَالِهَا ، فَإِنَّهَا مَتَاعٌ قَلِيلٌ ، وَمُدَّةٌ إِلَى حِينٍ ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنْهَا يَزُولُ ، فَكَمْ عَابَيْتُمْ مِنْ أَعَاجِبِهَا ، وَكَمْ نَصَبْتُمْ لَكُمْ مِنْ حَبَائِلِهَا ، وَأَهْلَكْتُمْ مِنْ جَنَحِ إِلَيْهَا ، وَاعْتَمَدْتُمْ عَلَيْهَا ! إِذَا قَامَتْ خُلُوفُهَا ، وَمَزَجَتْ لَهُمْ سَمًّا ، أَيْنَ الْمُلُوكُ الَّذِينَ بَنَوْا الْمَدَائِنَ ، وَشِيدُوا الْمَصَانِعَ ، وَأَرْتَقُوا الْأَبْوَابَ ، وَكَاتَفُوا الْحِجَابَ ، وَأَعَدُّوا الْجِيَادَ ، وَمَلَكَوا الْبِلَادَ ، وَاسْتَعْدَمُوا التَّلَادَ ، قَبَضْتُمْ بِمَحْمِلِهَا ^(۱) ، وَطَحَنْتُمْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ ^(۲) ، وَعَضْتُمْ بِأَنْبِيَائِهَا ، وَعَاضْتُمْ مِنْ السَّعَةِ ضَيْقًا ، وَمِنَ الْعِزَّةِ ذُلًّا ، وَمِنَ الْحَيَاةِ فَنَاءً ، فَسَكَنُوا الْحُودَ ، وَأَكَلُوا الدُّودَ ، وَأَصْبَحُوا لَا تَرَى إِلَّا مَسَاكِينَهُمْ ، وَلَا تَجِدُ إِلَّا مَعَالِمَهُمْ ، وَلَا تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ ، وَلَا تَسْمَعُ لَهُمْ نَبِيًّا ، فَتَزُودُوا عَافَاكُمْ اللهُ ، فَإِنَّ أَفْضَلَ الزَّادِ التَّقْوَى ، وَاتَّقُوا اللهُ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ، جَعَلْنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ مَنْ يَنْتَفِعُ بِمَوَاعِظِهِ ، وَيَعْمَلُ لِحُظَّةِ وَسَعَادَتِهِ ، وَمَنْ يَسْتَمِيعُ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُ أَحْسَنَهُ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ ، وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ إِنْ أَحْسَنَ قَصَصِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَبْلَغَ مَوَاعِظِ الْمُتَّقِينَ ، كِتَابُ اللهِ ، الزُّكِّيَّةُ آيَاتُهُ ، الْوَاضِعَةُ بَيِّنَاتُهُ ، فَإِذَا تُبِيَّ عَلَيْكُمْ فَأَنْصِتُوا لَهُ ، وَأَسْمِعُوا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ الْقَوِيِّ ، مِنَ الشَّيْطَانِ الْفَوْرِ ، إِنْ اللهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ، اللهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ ، وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ، ثُمَّ قَالَ :

(۱) الحمل : شقان على البعير يحمل فيهما العنبلان ، والمراد أحصوت عليهم .

(۲) الكلكل : الصدر .

نفعنا الله وإياكم بالكتاب الحكيم ، وَالوحي المبين ، وَأعاذنا وإياكم من العذاب
الآليم ، وأدخلنا وإياكم جنات النعيم .
(مفتاح الأفكار ص ۲۷۰)

۴۷۶ - وصية عبد الملك بن مروان لبني أمية

وقال عبد الملك بن مروان : « يا بني أمية : ابذلوا نَدَاكُمْ ، وَكُفُّوا أَذَاكُمْ ،
وَاعْفُوا إِذَا قَدَّرْتُمْ ، وَلَا تَبْخُلُوا إِذَا سُئِلْتُمْ ، فَإِنْ خَيْرَ الْمَالِ مَا أَفَادَ حِمْدًا ، أَوْ نَقَى ذِمًّا ،
وَلَا يَقْوَانَ أَحَدُكُمْ : ابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ ، فَإِنَّمَا النَّاسُ عِيَالُ اللَّهِ ، قَدْ تَكْفَلَهُ اللَّهُ
بَارزاقهم ، فَمَنْ وَصَّعَ أَخْلَفَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَمَنْ ضَيَّقَ ضَيَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ » .

(الأمل ۲ : ۲۲)

۴۷۷ - وصية عبد الله بن شداد لابنه^(۱)

لما حضرت عبد الله بن شداد الوفاة ، دعا ابناً له يقال له محمد ، فقال :
« يَا بُنَيَّ ، إني أرى داعيَ الموت لا يُقْلِعُ ، وَأرى من مَضَى لا يرجِعُ ، ومن بقي
فإليه ينزع^(۲) ، وَإني موصيك بوصية فاحفظها ، عليك بتقوى الله العظيم ، وَليكن
أولى الأمور بك شُكْرُ اللَّهِ ، وَحُسْنُ النِّيَّةِ فِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، فَإِنْ الشُّكْرُ بَزْدَادٍ ،
وَالتَّقْوَى خَيْرُ زَادٍ ، وَكُنْ كَمَا قَالَ الْحَطِيبَةُ :

وَلَسْتُ أَرَى السَّعَادَةَ جَمَعَ تَمَالٍ وَلكِنْ التَّقِيُّ هُوَ السَّعِيدُ
وَتَقْوَى اللَّهِ خَيْرُ الزَّادِ ذُخْرًا وَعِنْدَ اللَّهِ لِلْأَتَقِيِّ مَزِيدُ
وَمَا لَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ قَرِيبٌ وَلكِنْ الَّذِي يَمْضَى بَعِيدُ

(۱) هو عبد الله بن شداد بن الهادي ، واسمه أسامة اللبني ، خرج مع القراء في فتنة ابن الأشعث على
الحجاج ، قيل : إنه غرق بدجيل ، وقيل : ملك هو وعبد الرحمن بن أبي ليلى في الجماجم ، ائتمعت بهما
فرصهما الماء فذهبا . (۲) يشاقق .

ثم قال : أئى بُنَى ، لاتزهدن في معروف ، فإن الدهر ذو صُرُوف ، والآيام
ذات نواب ، على الشاهد والغائب ، فكم من راغب أصبح مطلوباً مالمديه ، واعلم
أن الزمان ذو ألوان ، وَمَنْ يَصْحَبَ الزمانَ يرَ الهوان ، وَكُنْ أئى بُنَى كما قال
أبو الأسود الدؤلى :

وَعُدُّ من الرحمن فَضلاً وَنِعْمَةً عليك ، إذا ما جاء للعُرْفِ طالبٌ^(۱)
وَإِنْ امرأ لا يُرْتَجَى الخَيْرُ عنده يَكُنْ هَيِّئاً ثِقلاً على مَنْ يصاحبُ
فلا تَمْنَعَنَّ إذا حاجةٍ جاء طالباً فإنك لاتَدْرِي متى أنت راغِبُ
رأيتُ التِوَا هذا الزمانِ بأهله وَبَيْنَهُمْ فيه تكونُ النوابُ^(۲)

ثم قال : أئى بنى ، كن جواداً بالمال في موضع الحق ، بخيلاً بالأسرار عن جميع
الخلق ، فإن أحمدَ جود المرء الإنفاقُ في وجه البرِّ ، وإن أحمدَ بخلُ الحرِّ الضَّنُّ^(۳)
بمكتوم السرِّ ، وكن كما قال قيس بن الخطيم الأنصارى :

أجودُ بَمَكُونِ التَّلاذ ، وإئى بسرِّك عَمَّن سألنى أَمْنِينُ^(۴)
إذا جازز الإئنين سرُّ فإنه بِذَثِّ ، وتكثيرِ الحديثِ قَمِينُ^(۵)
وعندى له يوماً إذا ما ائتمنتنى مكانُ بِسِوَدَاءِ الفِوَادِ مَكِينُ^(۶)

ثم قال : أئى بنى ، وإن غلبت يوماً على المال ، فلا تدع الحيلة على حال ، فإن
السكريم يحتال ، والدنى عيال^(۷) ، وكن أحسن ما تكون في الظاهر حالاً ، أقلُّ

(۱) العرف : المعروف . (۲) التوا أصله التواء قصره لضرورة الشعر ، التوى به الزمان : اعوج .

(۳) الضنن بالسكر والضنائة بالفتح : البخل . (۴) سال يسال من باب خاف لغة في سأل

المهموز ، وليس مسهلاً للوزن كما ظن بعضهم .

(۵) نث الحديث : أفشاء ، وقين : جدير ، وقطع همزة الإئنين لضرورة .

(۶) سوداء الفؤاد ؛ وسويداؤه ، وسواده ، وأسوده : حبه . (۷) العيال جمع عيل كجيد :

وهو ما يلزم الإنفاق عليه ، ويكون اسماً للواحد (كما استعمله هنا) .

ما تكون في الباطن مالا ، فإن الكريم من كرمته طيبته ، وظهرت عند الإنقاد^(۱) نعمته ، وكن كما قال ابن خذاق العبدي^(۲) :

وَجَدْتُ أَبِي قَدْ أُوْرَثَهُ أَبُوهُ خِلَالاً قَدْ تُعَدُّ مِنَ الْمَعَالِي^(۳)
فَأَكْرَمُ مَا تَكُونُ عَلَيَّ نَفْسِي إِذَا مَا قَلَّ فِي الْأَزْمَاتِ مَالِي
فَتَحَسَّنْ سِيرَتِي وَأَصُونْ عِرْضِي وَبِحُجْلِ عِنْدَ أَهْلِ الرَّأْيِ حَالِي
وَإِنْ نِلْتُ الْغَنَى لَمْ أُغْلُ فِيهِ وَلَمْ أُخْصَصْ بِجَفَوَاتِي الْمَوَالِي^(۴)

ثم قال : أي بني ، وإن سمعت كلمة من حاسد ، فكن كأنك لست بالشاهد ، فإنك إن أمضيتها حياً لها^(۵) ، رجع العيب على من قالها ، وكان يقال : الأريب العاقل ، هو الفطن المتغافل ، وكن كما قال حاتم الطائي :

وَمَا مِنْ شَيْئِي شَمُّ ابْنِ عَمِّي وَمَا أَمَا مُخْلِفٌ مِنْ يَرْتَجِيئِي
وَكَكَلَمَةِ حَاسِدٍ فِي غَيْرِ جُرْمٍ سَمِعْتُ فَقُلْتُ مَرُّى فَأَفْذِيئِي^(۶)
فَمَا بُوَهَا عَلَيَّ وَلَمْ تَسُوْنِي وَلَمْ يَبْرُقْ لَهَا يَوْمًا جَبِيئِي
وَذَوَالْوَيْنِ بِلِقَائِي طَلِيْقًا وَبِئْسَ إِذَا تَغَيَّبَ يَا تَلِيئِي^(۷)
سَمِعْتُ بِعَيْبِهِ فَصَفَحْتُ عَنْهُ مُحَاطَةً عَلَيَّ حَسْبِي وَدِيئِي

ثم قال : أي بني ، لا نواخ امرأ حتى تماشره ، وتتعقد موارده ومصاديره ، فإذا استعطمت العشرة ، ورضيت الخبرة^(۸) ، فواخه على إقالة العثرة ؛ والمواساة في العشرة ، وكن كما قال المقنع الكندي :

أَبْلُ الرِّجَالِ إِذَا أُرِدْتَ إِخَاءَهُمْ وَتَوَسَّرَ فِعَالَهُمْ وَتَفَقَّدَ

(۱) الفقر . (۲) هو يزيد بن خذاق شاعر قديم . (۳) بنقل حركة الهمزة من أورثه إلى الدال من قد . (۴) الموالى جمع مولى : وهو هنا القريب . (۵) قعد حياله وبجباله : بإزائه ، أي إن تركتها تجرى في مجراها . (۶) نفلهم : جازهم . (۷) ائتل : قصر ، أي لا يقصر في نهش مريض . (۸) الخبر والخبرة بكسر الخاء فيهما ، ويضمان : العلم بالشئ كالإختبار .

فَإِذَا ظَنَرْتُ يَدِي الْبَابَةَ وَالْتَمَقِي قَبِيهِ الْيَدَيْنِ (قَرِيرَعَيْنِ) فَاشْدُدِي^(١)
وَإِذَا رَأَيْتَ (وَلَا مَحَالَةَ) زَلَّةً فَوَلِي أَخْبِكَ بِفَضْلِ حِلْمِكَ فَارْزُدِي

ثم قال : أى بنى ، إذا أحببت فلا تُفْرِطِ ، وإذا أبغضت فلا تُشْطِطِ^(٢) ، فإنه قد كان
يقال : أَحَبُّ حَبِيبِكَ هَوْنًا مَّا ، عَسَى أَنْ يَكُونَ بِبَيْضِكَ يَوْمًا مَّا ، وَأَبْغَضَ بَيْضَكَ
هَوْنًا مَّا ، عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبِكَ يَوْمًا مَّا ، وَكَانَ كَمَا قَالَ هُدَيْبَةُ بْنُ الْخَشْرَمِ الْعَدْرِيُّ :

وَكَانَ مَعْقِلًا لِلْحِلْمِ وَأَصْفَحَ عَنِ الْخُلْفَاءِ فَإِيكَ رَأَى مَا حَيِّيتَ وَمَا مَعِ^(٣)

وَأَحَبُّ إِذَا أَحَبَّتَ حَبًّا مُقَارِبًا فَإِيكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ نَارِعُ^(٤)

وَأَبْغَضَ إِذَا أَبْغَضْتَ بَغْضًا مُقَارِبًا فَإِيكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ رَاجِعُ

وَعَلَيْكَ بِصُحْبَةِ الْأَحْيَارِ ، وَصِدْقِ الْحَدِيثِ ، وَإِيكَ وَصُحْبَةِ الْأَشْرَارِ ، فَإِيهِ عَارُ ، وَكَانَ كَمَا

قال الشاعر :

أَحَبِّ الْأَخْيَارِ وَارْغَبْ فِيهِمْ رَبُّ مَنْ صَاحِبَتَهُ مِثْلُ الْجَارِبِ

وَدَعِ النَّاسَ فَلَا تَشْتَمُهُمْ وَإِذَا شَأْنُكَ فَاشْتَمِ ذَا حَسَبِ

إِنَّ مَنْ شَأْنُكَ وَغَدًا كَالَّذِي يَشْتَرِي الصُّعْرَ بِأَعْيَانِ الذَّهَبِ^(٥)

وَاصْدُقِ النَّاسَ إِذَا حَدَّثْتَهُمْ وَدَعِ النَّاسَ فَمَنْ شَاءَ كَذَبْ

(الأمالي ٢ : ٢٠٤ ، والبيان والتبيين ٢ : ٥٧ ، ١٢٨)

(١) لب من باب تمب ؛ وفي لغة كقرب مع الفتح في المضارع لبابة ؛ أى صار ذا لب بانضم

وهو المعقل . (٢) شط في حكمة . وأشط : جاد . (٣) المعقل : الملجأ ، والحناء : الفحش .

(٤) نزع عن الشيء : انتهى عنه . (٥) الصعر كقفل ، وكمر الصاد لغة : النحاس .

۴۷۸ - وصية أسماء بن خارجة لابنته^(۱)

زَوْجِ اسْمَاءِ بْنِ خَارِجَةَ الْفَزَارِيَّ بْنْتَهُ هَذَا مِنْ الْحِجَابِ بْنِ يَوْسُفَ ، فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةً
أَرَادَ الْبِنَاءَ بِهَا ، قَالَ لَهَا اسْمَاءُ : « يَا بِنْتِي ، إِنَّ الْأُمَمَاتِ يُؤَدَّبْنَ الْبَنَاتِ ، وَإِنْ أُمَّكَ
هَلَكَتْ وَأَنْتِ صَغِيرَةٌ ، فَعَايِكَ بِأَطْيَبِ الطَّيِّبِ الْمَاءِ ، وَأَحْسَنِ الْحَسَنِ الْكُحْلِ ، وَإِيَّاكَ
وَكثْرَةَ الْعَانَةِ ، فَإِنَّهَا قَطِيعَةٌ لَوْدٌ ، وَإِيَّاكَ وَالْغَيْرَةَ ، فَإِنَّهَا يَفْتَاخُ الطَّلَاقُ ، وَكُونِي لَزُوجِكَ
أُمَّةً ، يَكُنْ لَكَ عَبْدًا ، وَاعْلَمِي أَنِّي الْقَائِلُ لَأُمَّكَ :

خَدِي الْعَفْوَةَ مِنِّي تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي وَلَا تَنْطِقِي فِي سَوْرَتِي حِينَ أَغْضَبُ^(۲)
وَلَا تَنْقُرِي نَقْرَةَ اللَّذْفِ مَرَّةً فَإِنَّكَ لَا تَدْرِينَ كَيْفَ الْمَغْيِبُ
فَإِنِّي وَجَدْتُ الْحُبَّ وَالصَّدْرَ وَالْأَذَى إِذَا اجْتَمَعَا لَمْ يَبَثِّ الْحُبُّ يَذْهَبُ
(الأغاني ۱۸ : ۱۲۸ ، والبيان والتبيين ۲ : ۴۵)

۴۷۹ - رجل ينصح لهشام بن عبد الملك

وَخَرَجَ الزُّهْرِيُّ يَوْمًا مِنْ عِنْدِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ ،
وَلَا سَمِعْتُ كَأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ ، تَكَلَّمْتُ بِهِنَ رَجُلٌ عِنْدَ هِشَامِ ، دَخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ :
« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، احْفَظْ عَنِّي أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ، فِيهِنَّ صَلَاحٌ مُدْرِكٌ ، وَاسْتِقَامَةٌ
رَعِيَّتُكَ . قَالَ : وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ : « لَا تَعِدْ عِدَّةً لَا تَتَّقِي مِنْ نَفْسِكَ إِجْرَازَهَا ، وَلَا يَغْرُبُكَ
الْمُرْتَقَى وَإِنْ كَانَ سَهْلًا إِذَا كَانَ الْمُتَحَدَّرُ وَعَرًّا ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَعْمَالَ جَزَاءٌ ، فَاتَّقِ
الْعَوَاقِبَ ، وَأَنَّ لِلْأُمُورِ بَقَعَاتٍ ، فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ . »

قال عيسى بن داب : فحدثت بهذا الحديث الهدي ، وفي يده لقمة قد رفعها إلى ربه ،

(۱) أورد الجاحظ هذه الوصية بصورة أوجز ، وذكر أنها وصية عبد الله بن جعفر لابنته

(۲) المودة : الحدة .

فأمسكها ، وقال : وَيُنْحَك ! أَعِدْ عَلِيَّ ، فقلت : يا أمير المؤمنين أَسِغْ^(۱) لِقَمَتِكَ ، فقال :
حديثك أعجبُ إليَّ .
(زهر الآداب ۳ : ۱۸۰)

٤٨٠ - وصية عبد الحميد بن يحيى الكاتب للكتاب

كتب عبد الحميد بن يحيى الكاتب^(۲) رسالة إلى الكتاب بوصيهم فيها ، قال :
« أما بعدُ حَفِظْكُمْ اللهُ يَا أَهْلَ صِنَاعَةِ الْكِتَابَةِ ، وَحَاطْكُمْ وَوَقِّكُمْ وَأَرْشِدْكُمْ ، فَإِنَّ
اللهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ الدَّاسَ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، وَمَنْ بَعْدَ
الْمُلُوكِ الْمَكْرُمِينَ أَصْنَاةً ، وَإِنْ كَانُوا فِي الْحَقِيقَةِ سَوَاءً ، وَصَرَّفْتَهُمْ فِي صِنُوفِ الصِّنَاعَاتِ ،
وَضُرُوبِ الْمَحَارِلَاتِ ، إِلَى أَسْبَابِ مَعَايِشِهِمْ ، وَأَبْوَابِ أَرْزَاقِهِمْ ، فَجَعَلَكُمْ بَعْشَرَ الْكُتَّابِ
فِي أَشْرَفِ الْجِهَاتِ ، أَهْلَ الْأَدَبِ وَالْمُرُوءَةِ وَالْعِلْمِ وَالرَّوَايَةِ ، بِكُمْ تَنْتَظِمُ لِلْخَلِيفَةِ مَحَاسِنُهَا ،
وَتَسْتَقِيمُ أُمُورُهَا ، وَبِنَهَائِكُمْ يُصْلِحُ اللهُ لِلخَلْقِ سُلْطَانَتَهُمْ ، وَتَعْمُرُ بِلَادَهُمْ ، لَا يَسْتَفْنِي
الذِّكُّ عَنْكُمْ ، وَلَا يُوَجِّدُ كَافٍ إِلَّا مِنْكُمْ ، فَمَوْعِدُكُمْ مِنَ الْمُلُوكِ مَوْعِدُ أَسْمَاعِهِمُ الَّتِي
بِهَا يَسْمَعُونَ ، وَأَبْصَارُهُمُ الَّتِي بِهَا يُبْصِرُونَ ، وَأَسْنَتُهُمُ الَّتِي بِهَا يَنْطِقُونَ ، وَأَيْدِيهِمُ الَّتِي
بِهَا يَبْطِشُونَ ، فَأَمْتَعَكُمْ اللهُ بِمَا خَصَّكُمْ مِنْ فَضْلِ صِنَاعَتِكُمْ ، وَلَا تَزَعْ عَنْكُمْ مَا أَضْفَاءَ^(۳)
مِنَ النِّعْمَةِ عَلَيْكُمْ .

وليس أحدٌ أحوجُ إلى اجتماعِ خِلالِ الخَيْرِ الْمَحْمُودَةِ ، وَخِصَالِ الْفَضْلِ الْمَذْكُورَةِ
الْمَعْدُودَةِ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْكُتَّابُ ، إِذَا كُنْتُمْ عَلَى مَا يَأْتِي فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنْ صِفَتِكُمْ ، فَإِنَّ
الْكِتَابَ يَحْتَاجُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَيَحْتَاجُ مِنْهُ سَاحِبُهُ الَّذِي يَثِقُ بِهِ فِي مَهْمَاتِ أُمُورِهِ ، أَنْ
يَكُونَ حَاجِبًا فِي مَوْضِعِ الْحِلْمِ ، فَهَيَّأْ فِي مَوْضِعِ الْحُكْمِ ، مَقْدَامًا فِي مَوْضِعِ الْإِقْدَامِ ، مَحْجَابًا
فِي مَوْضِعِ الْإِحْجَامِ ، مُؤَثِّرًا لِلْعَقَافِ ، وَالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ ، كَثُومًا لِلْأَسْرَارِ ، وَفِيئًا عِنْدَ

(۱) ابتلع . (۲) هو عبد الحميد بن يحيى العامري ، كاتب دولة مروان بن محمد آخر خلفاء

الأمويين ، قتله السفاح سنة ۱۳۲ هـ . (۳) أسبغ .

الشدايد ، علما بما يأتي من الفوازل ، بضع الأمور مواضعها ، والطوارق أما كتبها ، قد نظر في كل فن من فنون العلم فأحكمه ، فإن لم يحكمه ، أخذ منه بمقدار يكفي به ، يعرف بغريزة عقله ، وحسن أدبه ، وفضل تجربته ما يرد عليه قبل وروده ، وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره ، فبعدل لكن أمر عذته وعقاده^(۱) ، ويهيئ لكل وجه هينته وعادته ، فتتأفسوا ، يا معشر الكتاب ، في صنوف الآداب ، وتفتقروا في الدين ، وابدعوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ، ثم العربية ، فإنها تقاف^(۲) ألسنتكم ، ثم أجيدوا الخط ، فإنه حلية كتبكم ، وارووا الأشعار ، واعرفوا غريبها ومعانيها ، وأيام العرب والمعجم ، وأحاديثها وسيرها ، فإن ذلك معين لكم على ما تسمو إليه هممكم ، ولا تضبموا النظر في الحساب ، فإنه قوام كتاب الخراج ، وارغبوا بأنفسكم عن المطامع سنيها^(۳) ، ودنيها ، وسفاسف^(۴) الأمور ومحقرها ، فإنها مداة للرقاب ، مفسدة للكتاب ، ونزها صناعتهكم عن الذنابات ، وأرثموا^(۵) بأنفسكم عن السعاية والنميمة ، وما فيه أهل الجهالات ، وإباكم والكبر والصلف والعظمة ، فإنها عداوة مجتلية من غير إحنة ، وتحابوا في الله عز وجل في صناعتهكم ، وتواصوا عليها بالذي هو أبقى بأهل الفضل والعدل والتبيل من سلفكم

وإن نبأ الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه وواسوه ، حتى يرجع إليه حاله ، ويثوب^(۶) إليه أمره ، وإن أقدم أحدكم الكبر عن مكاتبه ولقاء إخوانه ، فزوروه وعظموه وشارروه ، واستظهروا^(۷) به فضل تجربته ، وقدم معرفته ، وإيكن الرجل منكم على من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته إليه ، أحفظ منه على ولده وأخيه ، فإن عرضت في الشغل محمداً ، فلا يضيفها إلا إلى صاحبه ، وإن عرضت مذنماً ، فليحملهما

(۱) المتاد : العدة . (۲) التقاف في الأصل : مانسوى به الرماح . (۳) رفيهما . (۴) الرديء من كل شيء . (۵) ربأ : علا وارتفع . (۶) يرجع . (۷) تقروا .

هو من دونه ، وایحذر السَّفْطَةَ والزَّلَّةَ ، وَالْمَلَّلَ عند تغير الحال ، فإن العیب إليکم معشر الكتاب ، أسرعُ منهُ إلى الفِرَاءِ ، وهو لکم أفسدُ منهُ لها .
فقد علمتم أن الرجل منکم إذا صحبهُ الرجل ، يَبْذُلُ له من نفسه ما يجب له عليه من حقّه ، فواجبٌ عليه أن يعتقد له من وقائِهِ ، وشكره ، واحتماله ، وصبره ، ونصيحتِهِ ، وکتمان سره ، وتدبير أمره ، ما هو حَزَاءُ لحقهِ ، ويصدقُ ذلك بفعله عند الحاجة إليه ، والاضطرار إلى ما لديه .

فاستشعروا إذا کم - وفتکم الله من أنفسکم - في حالة الرخاء والشدة والحرمان والمواساة والإحسان ، والسرّاء والعسرّاء ، فینعمت الشیمة هذه لمن وُسم بها من أهل هذه الصناعة الشريفة ، فإذا وُلّي الرجل منکم ، أو صيّر إليه من أمر خلق الله وعياله أمرٌ ، فليراقب الله عز وجل ، ولْيُوَازِرْ طاعته ، وليکن على الضعیف رقيقاً ، وللمظلوم مُنصِفاً ، فإن الخلق عيال الله ، وأحبُّهم إليه أرقُّهم بعياله ، ثم لیکن بالعدل حاکماً ، وللأشراف مُکرمًا ، وللثقیة موفراً ، وللبلاد عامراً ، وللرعية متألِّفاً ، وعن إبدائهم متخفياً ، وليکن في مجلسه متواضعاً حليماً ، وفي سبجالات خراجهِ واستقضاء حقوقهِ رقيقاً ، وإذا صحب أحدکم رجلاً فليختبر خلاقته ، فإذا عَرَفَ حسنَها وقبيحَها ، أعانه على ما يوافقهُ من الحسن ، واحتال لصرفه عما يهواه من القبيح ، بأطف حيلة ، وأجمل وسيلة ، وقد علمتم أن سائس السهيمية إذا کان بصيراً ببيانتها ، التمس معرفة أخلاقها ، فإن كانت رَمُوحاً^(۱) لم يهيجها إذا ركبها ، وإن كانت شَبُوباً^(۲) اتقاها من قبل يديها ، وإن خاف منها شُرُوداً توقأها من ناحية رأسها ، وإن كانت حرُوناً قمع برفق هواها في طريقها ، فإن استمررت عطفها يسيراً ، فینسأس له قيادها ، وفي هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس وعاملهم ، وخدمهم وداخلهم .

والسکاتب بفضل أدبه ، وشريف صنعتِهِ ، ولطيف حيلتِهِ ، ومعاملتِهِ لمن يحاوره

(۱) رمحه الفرس کنع : رفعة . (۲) شب الفرس کضرب ونصر : رفع يديه .

من الداس وبنائره ، ويفهم عنه أرى يخاف سطوته ، أرى بالرفق بصاحبه ومداراته وتقويم
 وده ، من سانس البهيمه التي لا تُحير^(۱) جواباً ، ولا تعرف صواباً ، ولا تفهم خطاباً ،
 إلا بقدر ما يُصيرها إليه صاحبها الراكب عليها ؛ ألا فأمعنوا رحمكم الله في النظر ،
 وأعملوا فيه ما أمكنكم من الروية والفكر ، تأمنوا بإذن الله من محبته والنموة ،
 والاستفان والجفوة ، ويصير^(۲) منكم إلى الموافقة ، وتصيروا منه إلى المواخاة والشفقة ،
 إن شاء الله تعالى .

ولا يجازن الرجل منكم - في هيئة مجلسه ، وملبسه ، ومركبته ، ومطعمه ،
 ومشربه ، وبنائه^(۳) وخدمه وغير ذلك من فنون أمره - قدر حقه ، فإنكم - مع ما فضلكم
 الله به من شرف صنعكم - خدمه لا تحمّلون في خدمتكم على التقصير ، وحفظه
 لا تحتمل منكم أعمال التضييع والتبذير ، واستعينوا على عفاءكم بالقصد في كل ما ذكرته
 لكم ، وقصصته عليكم ، واحذروا مقاليف السرف ، وسوء عاقبة الترف ، فإنهما
 يُعقبان الفقر ، ويُذلان الرقاب ، وَيَفْصَحَانِ أَهْلَهُمَا ، ولا سيما الكتاب ، وأرباب
 الآداب ، والأمور أشباه ، وبعضها داييل على بعض ، فاستدلوا على مؤنث^(۴) أعمالكم
 بما سبقت إليه تجربتكم ، ثم اسلكوا من مسالك التدبير أوضحتها بحجة ، وأصدقها حجة
 وأحدها طافية .

واعلموا أن للتدبير آفة متافئة ، وهي الوصف الشاغل لصاحبه عن إنفاذ عمله ورؤيته ،
 فليقصد الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي من منطقته ، وليوجز في ابتدائه وجوابه ،
 وليأخذ بمجامع حججه ، فإن ذلك مصلحة فعله ، ومدفئة للشاغل عن إكثاره ،

(۱) لا ترد . (۲) تأمنوا ؛ مجزوم في جواب الأمر ، أو بعبارة أخرى جواب لشرط محذوف مع
 فعل الشرط أي إن تعملوا . . . تأمنوا ؛ ومن ثم يجوز في « ويصير » ثلاثة أوجه الجزم ، والنصب
 والرفع كما هو مشهور . فقول بعضهم : « ولعل ثبوت الياء قبل الراء من زيادة الناسخ » مردود .

(۳) بنى على أهله ، وبها بناء ، وابتنى : زفها . (۴) مبتدأ .

وَأَيُّضَرَع إِلَى اللَّهِ فِي صَلَاةِ تَوْفِيْقِهِ ، وَإِمْدَادِهِ بِتَسْدِيدِهِ مَخَافَةَ وَقُوعِهِ فِي الْفَلْطِ الْمُضِرِّ بِيَدَيْهِ وَعَقْلِهِ وَأَدْبِهِ ، فَإِنَّهُ إِنْ ظَنَّ مِنْكُمْ ظَانًّا ، أَوْ قَالَ قَائِلًا : إِنْ الَّذِي بَرَزَ مِنْ جَمِيلِ صَنَعَتِهِ ، وَقُوَّةِ حَرَكَتِهِ ، إِنَّمَا هُوَ بِفَضْلِ حَيْلَتِهِ ، وَحَسَنِ تَدْبِيرِهِ ، فَقَدْ تَعَرَّضَ بِظَنِّهِ أَوْ مَقَالَتِهِ إِلَى أَنْ يَتَكَلَّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى نَفْسِهِ ، فَيَصِيرَ مِنْهَا إِلَى غَيْرِ كَافٍ ، وَذَلِكَ عَلَى مَنْ تَأَمَّلَهُ غَيْرُ خَافٍ .

وَلَا يَقُولُ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِنَّهُ أَبْصَرَ بِالْأُمُورِ ، وَأَحْمَلُ لِعِبَاءِ التَّدْبِيرِ مِنْ مَرَّافِقِهِ فِي صَنَاعَتِهِ وَمُصَاحِبِهِ فِي خِدْمَتِهِ ، فَإِنْ أَعْقَلَ الرَّجُلِينَ عِنْدَ ذَوِي الْأَبْوَابِ مِنْ رَمَى بِالْمُعْجَبِ وَرَاءَ ظَهْرِهِ وَرَأَى أَنْ صَاحِبَهُ أَعْقَلَ مِنْهُ ، وَأَحْمَدُ فِي طَرِيقَتِهِ ، وَعَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ أَنْ يَعْرِفَ فَضْلَ نِعْمِ اللَّهِ جَلَّ شَأْوُهُ ، مِنْ غَيْرِ اغْتِرَارٍ بِرَأْيِهِ ، وَلَا تَزَكِيَّةٍ لِنَفْسِهِ ، وَلَا تَكَاثُرٍ عَلَى أَخِيهِ أَوْ نَظِيرِهِ ، وَصَاحِبِهِ وَعَشِيرِهِ ، وَحَمْدُ اللَّهِ وَاجِبٌ عَلَى الْجَمِيعِ ، وَذَلِكَ بِالتَّوَاضُعِ لِعَظَمَتِهِ وَالتَّدَائُلِ لِعِزَّتِهِ ، وَالتَّحَدُّثِ بِنِعْمَتِهِ .

وَأَنَا أَقُولُ فِي كِتَابِي هَذَا مَا سَبَقَ بِهِ الْمَثَلُ : « مَنْ يَتْلُزِمِ الدُّصِيْحَةَ ^(١) يَتْلُزِمُهُ الْعَمَلُ » وَهُوَ جَوْهَرُ هَذَا الْكِتَابِ وَغُرَّةُ كَلَامِهِ ، بَعْدَ الَّذِي فِيهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؛ فَلِذَلِكَ جَعَلْتُهُ آخِرَهُ ، وَتَمَّمْتُهُ بِهِ ، تَوَلَّيْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ يَا مَعْشَرَ الطُّلَبَةِ وَالْكَتَبَةِ ، بِمَا يَقُولِي بِهِ مَنْ سَبَقَ عِلْمُهُ بِإِسْمَاعِيلِ وَإِرْشَادِهِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِلَيْهِ وَبِيَدِهِ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .
(صَبِيحُ الْأَمْشَى ١ : ٨٥)

(١) فِي نَسْخَةِ : « الصَّحَّة » ، وَذَكَرَ الْجَاهِظُ فِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ (٢ : ٤٦) أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ مِنْ كَلَامِ

الْأَحْنَفِ السَّائِرِ فِي أَيْدِي النَّاسِ .

الصراع بين الأموية والعباسية

٤٨١ - خطبة قحطبة بن شبيب الطائي^(١)

لما دخل أبو مسلم الخراساني زعيم الدعوة العباسية مدينة مرو سنة ١٣٠ هـ هرب منها نصر بن سيار - أمير خراسان من قبيل مروان بن محمد الأموي - ثم سار إلى نيبانة ابن حنظلة : عامل جرجان^(٢) ، فوجه أبو مسلم قحطبة بن شبيب في جيش لقتاله^(٣) ، وقدم قحطبة ، فنزل بإزاء نيبانة ، وأهل الشام في عِدَّة لم ير الناس مثلها ، فلما رآهم أهل خراسان هابوهم ، حتى تسكلموا بذلك وأظهروه ، وبلغ قحطبة ، فقام فيهم خطيباً ، فقال :

« يا أهل خراسان : هذه البلاد كانت لأبائكم الأولين ، وكانوا ينصرون على عدوهم لعدلهم وحسن سيرتهم ، حتى بدّلوا وظلموا ، فسخط الله عز وجل عليهم ، فانتزع سلطانهم وسلط عليهم أذلّ أمة ، كانت في الأرض عندهم ، فغلبوهم على بلادهم ، واستنكحو نساءهم ، واسترقّوا أولادهم ، فكانوا بذلك يحكمون بالعدل ، ويوفون بالعهد ، وينصرون

(١) هو أحد النقباء الاثني عشر الذين اختارهم محمد بن علي بن عبد الله بن عباس من السبعين الذين كانوا استجابوا له حين بعث رسوله إلى خراسان سنة ١٠٣ ، أو ١٠٤ ، وكان قدم على أبي مسلم خراسان منصرفاً من عند إبراهيم الإمام ، ومعه لواؤه الذي عقده له إبراهيم .

(٢) من قبل يزيد بن صر بن هيرة أمير المراق . (٣) وكان قحطبة قبل ذلك قد تبعاً لقتال تميم بن نصر بن سيار ثم زحف إليه فاقتلوا قتالاً شديداً ، وقتل تميم بن نصر في المعركة ، وقتل معه مقتلة عظيمة واستبيح عسكرهم ، ثم توجه إلى نيسابور ، وكان نصر بن سيار نزل بها ، فبلغه ذلك ، فارتحل هاربا ، وفرق عنه أصحابه ، فسار إلى نيبانة بن حنظلة بجرجان ، ونزل في آخر أمره ساوة بين همدان والري ، فأتى بها كذا .

المظلوم ، ثم بدّلوا وغيروا وجاروا في الحكم ، وأخافوا أهل البرِّ والتقوى من عِترَةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأطعكم عليهم ، لينتقم منهم بكم ، ليكونوا أشدَّ عقوبةً ، لأنكم طلبتموم بالنار ، وقد عهد إليَّ الإمام^(۱) أنكم تلقونهم في مثل هذه العِدَّة ، فينصرم الله عز وجل عليهم ، فتَرمونهم وتقتلونهم .

وقد قرى على قحطبة كتابُ أبي مسلم : « من أبي مسلم إلى قحطبة ، بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد : فناهضُ عدوك ، فإن الله عز وجل ناصرُك ، فإذا ظَهَرَت عليهم ، فأئخِّن في القتل » فالتقوا في مستهلِّ ذي الحِجَّة سنة ۱۳۰ هـ في يوم الجمعة ، فقال قحطبة :

٤٨٢ - خطبة أخرى له

« يا أهل خراسان : إن هذا يوم قد فضّله الله تبارك وتعالى على سائر الأيام ، والعمل فيه مضاعفٌ ، وهذا شهر عظيم ، فيه عيد من أعظم أعيادكم عند الله عز وجل ، وقد أخبرنا الإمام أنكم تُنصرون في هذا اليوم من هذا الشهر على عدوكم ، فالتقوه بجد واحتساب ، فإن الله مع الصابرين » ثم ناهضهم فاقتتلوا وصبر بعضهم لبعض ، فانهزم أهل الشام ، وقتل منهم عشرة آلاف ، وقتل نبانة ، وبعث قحطبة برأسه ورأس ابنه حَيَّة إلى أبي مسلم .

(تاريخ الطبري ۹ : ۱۰۶)

(۱) هو إبراهيم الإمام بن محمد بن حل بن عبد الله بن عباس ، وكان نصر بن سيار حين أظهر أبو مسلم الدعوة العباسية في خراسان وقويت شوكته . كتب إلى مروان يعلمه بحال أبي مسلم ومن معه ، وأن الذي تلحوا الدعاء إليه هو إبراهيم الإمام . فأرسل مروان إلى عامل البلقاء (في أطراف الشام) أن يسير إلى الحميمة (كجهينة) حيث يقيم إبراهيم فيشده وثاقا ، فحمل إلى مروان فحبسه في حران ثم قتله في سجنه ، ولما قبض على إبراهيم الإمام خاف أخواه السفاح والمنصور وجماعة من أقاربهم ، فهربوا إلى الكوفة ، فأخذ لهم أبو سلمة الخلال دارا بالكوفة ، وكم أمرهم حتى وصل أبو مسلم بالجنود من خراسان إلى الكوفة ، ودخل حل بن عباس ، وسلم حل السفاح بالخلافة ، وبويج بها سنة ۱۳۲ هـ .

استدراك على الجزء الأول

سقطت هذه الخطبة سهوا في أثناء الطبع فأوردناها هنا

خطبة السيدة عائشة حين أنبتت بقتل عثمان

كانت السيدة عائشة خرجت إلى مكة للحج وعثمان محصور ، ثم خرجت من مكة ريد المدينة ، فلما كانت بسرّيف أنبتت بقتل عثمان ، فانصرفت إلى مكة فقصدت الحِجْرَ فسُتت فيه ، واجتمع إليها الناس فقالت :

« أيها الناس : إن الفوغاء من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلما بالأمس ، ونقموا عليه استعمال من حدثت سنّه ، وقد استعمل أمثالهم قبله ، ومواضع من الحمى حماها لهم ، فتابمهم ونزع لهم عنها ، فلما لم يجدوا حجة ولا عذرا بادروا بالعدوان ، فسفكوا الدم الحرام ، واستحلوا البلد الحرام ، والشهر الحرام ، وأخذوا المال الحرام ، والله لإصبع من عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم ، والله لو أن الذي اعتدوا به عليه كان ذنبا تخلّص منه كما يتخلّص الذهب من خبثه ، أو الثوب من دَرَنِهِ ، إذ ماصوه^(۱) كما يماص الثوب بالماء . (الكامل لابن الأثير ۳ : ۱۰۲)

(۱) الموص : غسل لين ولذلك باليد .

سقط من هامش ص (۳۰) ما يأتي :

جاء في مقال الحسن بن علي رضي الله عنهما للمغيرة بن شعبة ص ۳۰ : « وإن حداقه في الزنا ثابت عليك ، ولقد درأ عمر عنك حقا الله سائله عنه . » وخبر ذلك أن المغيرة بن شعبة كان عاملا على البصرة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فاتهمه أبو بكره - أخو زياد - هو ونفر معه بأنه زنى بأُم جميل بنت الأنقم ، وكتبوا بذلك إلى عمر ، فعزل المغيرة وولى مكانه أبا موسى الأشعري - وكان ذلك سنة ۱۷ هـ - وارتمل المغيرة وأبو بكره ومن معه حتى قدموا على عمر ، فجمع بينهم وبين المغيرة ، وقد أقسم بين يدي عمر أنه مأتى إلا امرأته ، وكان الشهود عليه : أبا بكره ، وشبل بن عبد البجل ، ونافع بن كلدة ، وزيادا ، فبدأ عمر بأبي بكره ، فشهد عليه أنه زنى بأُم جميل ، وشهد شبل ونافع بمثل ذلك ، ولم يشهد زياد بمثل شهادتهم ، إذ سأله هل تعرف المرأة ؟ قال : لا ، ولكن أشبهها ، فنحاه وأمر بالثلاثة فجلدوا الحد ، وقرأ : « فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ » فقال المغيرة : اشقى من الأعباء فقال : اسكت ، أسكت الله نأمتك ، أما والله لو تمت الشهادة لرجحتك بأحبارك .

اقرأ القصة في تاريخ الطبري ۴ : ۲۰۷ - .

انتهى الجزء الثانى

ويليه

الجزء الثالث وأوله : الباب الرابع فى خطب ووصايا

العصر العباسى الأول

فہرس

الجزء الثاني

من جمهرة خطب العرب

الباب الثالث

الخطب والوصايا في العصر الأموي

الخطبة أو الوصية	رقم الصفحة	رقم الخطبة
خطب بنى هاشم وشيعتهم وما يتصل بها	٧	
خطب الحسن بن علي رضي الله عنه		
خطبة الحسن بن علي بعد وفاة أبيه	٧	١
تعبئة الجيوش لقنال معاوية		
خطبة الحسن بن علي في الحث على الجهاد	٩	٢
مقال عدى بن حاتم	٩	٣
خطبة الحسن وقد جنح إلى مصالحة معاوية	١٠	٤
خطبته يبرر مصالحته لمعاوية	١١	٥
خطبته في الصلح بينه وبين معاوية	١٢	٦
خطبة له بعد الصلح	١٢	٧
خطبة لمعاوية في أهل الكوفة	١٤	٨
رد الحسن بن علي على معاوية حين نال منه ومن أبيه	١٤	٩
خطبة سليمان بن صرد في استنكار الصلح	١٥	١٠
خطبة الحسن يرد على مستنكري الصلح	١٦	١١

الخطبة أو الوصية	رقم الصفحة	رقم الخطبة
خطبة له في عهد خلافته	۱۷	۱۲
» أخرى له	۱۸	۱۳
مخاصمة ومهاجاة	۱۹	
بين الحسن بن عليّ ، وبين عمرو بن العاص ، والوليد أبن عقبة ، وعتبة بن أبي سفيان ، والمغيرة بن شعبة ، بحضرة معاوية		
مقال عمرو بن العاص	۲۱	۱۴
» الوليد بن عقبة بن أبي معيط	۲۱	۱۵
» عتبة بن أبي سفيان	۲۲	۱۶
» المغيرة بن شعبة	۲۲	۱۷
رد الحسن بن عليّ عليهم	۲۲	۱۸
رثاء محمد بن الحنفية لأخيه الحسن رضي الله عنهما	۳۱	۱۹
مقتل الحسين بن عليّ رضي الله عنه تأبيه عن بيعة يزيد وخروجه إلى مكة نصيحة محمد بن الحنفية للحسين رضي الله عنهما	۳۵	۲۰
بعثة مسلم بن عقيل إلى الكوفة		
خطبة عابس بن أبي شبيب الشاكري	۳۷	۲۱
» النعمان بن بشير	۳۷	۲۲
» عبيد الله بن زياد	۳۸	۲۳
» أخرى له	۳۹	۲۴
» كثير بن شهاب	۳۹	۲۵
» عبيد الله بن زياد	۴۰	۲۶

الخطبة أو الوصية	رقم الصفحة	رقم الخطبة
خروج الحسين رضى الله عنه إلى الكوفة		
نصيحة ابن عباس له	۲۷	۴۲
« أبى بكر بن عبد الرحمن المخزومى له	۲۸	۴۴
خطبة عبيد الله بن زياد	۲۹	۴۵
« للحسين رضى الله عنه	۳۰	۴۶
« أخرى له	۳۱	۴۶
« « «	۳۲	۴۷
« زهير بن القين البجلي	۳۳	۴۷
« للحسين أيضاً	۳۴	۴۸
خطبته ليلة قتله	۳۵	۴۹
رد أهل بيته عليه	۳۶	۵۰
« أصحابه	۳۷	۵۰
خطبته غداة يوم قتله	۳۸	۵۱
دعاؤه وقد صبحته الخيل	۳۹	۵۱
خطبته وقد دنا منه القوم	۴۰	۵۲
خطبة أخرى	۴۱	۵۲
« زهير بن القين	۴۲	۵۴
« الحر بن يزيد	۴۳	۵۶
طلب التوابين بدم الحسين رضى الله عنه		
خطبة المسيب بن نجبة الفزارى	۴۴	۵۸
خطبة رفاعة بن شداد	۴۵	۵۹
« سليمان بن صرد	۴۶	۶۰
« خالد بن سعد بن نفيل	۴۷	۶۱
« سعد بن حذيفة بن اليمان	۴۸	۶۲

الخطبة أو الوصية	رقم الصفحة	رقم الخطبة
خطبة عبد الله بن الحنظل الطائي	٤٩	٦٢
« عبيد الله بن عبد الله المرسي	٥٠	٦٣
« عبد الله بن يزيد الأنصاري	٥١	٦٥
« إبراهيم بن محمد بن طلحة	٥٢	٦٦
رد المسيب بن نجبة .	٥٣	٦٦
رد عبد الله بن وال التيمي	٥٤	٦٧
خطبة سليمان بن صرد	٥٥	٦٨
« صخير بن حذيفة بن هلال	٥٦	٦٨
ما أشار به عبد الله بن سعد	٥٧	٦٨
رأى ابن صرد	٥٨	٦٩
خطبة عبد الله بن يزيد	٥٩	٧٠
« سليمان بن صرد	٦٠	٧٠
« أخرى له	٦١	٧١
« «	٦٢	٧٢
« عبد الملك بن مروان	٦٣	٧٣
طلب المختار بن أبي عبيد الثقفي بدم الحسين رضي الله عنه		٧٤
خطبته حين قدم الكوفة	٦٤	٧٤
ما كان يردده على زائريه في سجنه	٦٥	٧٥
خطبة عبد الله بن مطيع العدوي حين قدم الكوفة	٦٦	٧٦
رد السائب بن مالك	٦٧	٧٧
خطبة عبد الرحمن بن شريح	٦٨	٧٨
« أخرى له	٦٩	٧٨
« محمد بن الحنفية	٧٠	٧٩
« المختار	٧١	٧٩

الخطبة أو الوصية	رقم الصفحة	رقم الخطبة
خطبة عبد الرحمن بن شريح	۸۰	۷۲
الخطبة في دار إبراهيم بن الأشتر	۸۱	۷۳
يزيد بن أنس الأسدي	۸۲	۷۴
عبد الله بن مطيع	۸۲	۷۵
تحريض ابن الأشتر أصحابه	۸۳	۷۶
خطبة ابن مطيع وهو محصور	۸۳	۷۷
الخطبة بعد هرب ابن مطيع	۸۴	۷۸
وقد استنصره ابن الحنفية	۸۵	۷۹
وقد شيع ابن الأشتر لقتال عبيد الله بن زياد	۸۷	۸۰
خطبته وقد سار إليه مصعب بن الزبير	۸۸	۸۱
—		
خطبة محمد بن الحنفية يرد على عبد الله بن الزبير وقد تنقص الإمام -	۹۰	۸۲
عبد الله بن عباس ومعاوية	۹۱	۸۳
عبد الله بن عباس ومعاوية أيضا		
مقال معاوية	۹۴	۸۴
ابن عباس	۹۵	۸۵
عبد الله بن عباس ومعاوية أيضا		
مقال معاوية لابن عباس	۹۵	۸۶
ابن عباس	۹۶	۸۷
عبد الله بن عباس ومعاوية أيضا		
مقال معاوية لبني هاشم	۹۷	۸۸
ابن عباس	۹۷	۸۹

الخطبة أو الوصية

رقم الصفحة رقم الخطبة

عبد الله بن عباس ومعاوية أيضاً

مقال معاوية	۹۰	۹۸
• ابن عباس	۹۱	۹۹
عبد الله بن عباس ومعاوية أيضاً	۹۲	۹۹
عبد الله بن عباس وعمتة بن أبي سفيان	۹۳	۱۰۰
مخاصمة بين عبد الله بن عباس وبين معاوية وأصحابه		

جواب ابن عباس	۹۴	۱۰۱
مقال عمرو بن العاص	۹۵	۱۰۲
جواب ابن عباس	۹۶	۱۰۲
مقال مروان بن الحكم	۹۷	۱۰۳
جواب ابن عباس	۹۸	۱۰۴
مقال زياد	۹۹	۱۰۵
جواب ابن عباس	۱۰۰	۱۰۵
مقال عبد الرحمن بن أم الحكم	۱۰۱	۱۰۶
جواب ابن عباس	۱۰۲	۱۰۶
مقال المغيرة بن شعبة	۱۰۳	۱۰۷
جواب ابن عباس	۱۰۴	۱۰۷
مقال يزيد بن معاوية	۱۰۵	۱۰۸
جواب ابن عباس	۱۰۶	۱۰۹
مقال معاوية	۱۰۷	۱۰۹
جواب ابن عباس	۱۰۸	۱۰۹

عبد الله بن عباس ، وعمرو بن العاص

مقال ابن عباس	۱۰۹	۱۱۱
---------------	-----	-----

الخطبة أو اللوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
رد ابن العاص	۱۱۰	۱۱۲
عبد الله بن عباس وعمرو بن العاص أيضا	۱۱۱	۱۱۳
عمرو بن العاص وابن عباس	۱۱۲	۱۱۴
مفاخرة عبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عباس	۱۱۳	۱۱۴
ابن عباس وابن الزبير في مجلس مروان بن الحكم		
مقال ابن الزبير	۱۱۴	۱۱۹
» » عباس	۱۱۵	۱۲۰
—————		
خطبة عبد الله بن عباس يرد على ابن الزبير وقد عاب بني هاشم	۱۱۶	۱۲۰
» ابن الزبير يتنقص ابن عباس	۱۱۷	۱۲۳
رد ابن عباس عليه	۱۱۸	۱۲۵
عبد الله بن جعفر ، وعمرو بن العاص	۱۱۹	۱۲۷
الحسن بن علي ، وعمرو بن العاص	۱۲۰	۱۲۹
الحسن بن علي ، ومروان بن الحكم	۱۲۱	۱۳۰
عقيل بن أبي طالب ومعاوية	۱۲۲	۱۳۱
خطبة السيدة أم كلثوم بنت علي في أهل الكوفة بعد مقتل الحسين عليهم السلام	۱۲۳	۱۳۴
خطبة السيدة زينب بنت علي عليهما السلام بين يدي يزيد	۱۲۴	۱۳۶
رثاء الحسين لأخيه الحسن عليهما السلام	۱۲۵	۱۳۹
عبد الله بن هاشم بن عتبة وعمرو بن العاص في مجلس معاوية	۱۲۶	۱۴۰
عبد الله بن هاشم في مجلس معاوية	۱۲۷	۱۴۵
قيس بن سعد بن عبادة ومعاوية		
مقال معاوية	۱۲۸	۱۴۵
رد قيس بن سعد	۱۲۹	۱۴۶

رقم الصفحة رقم الخطبة	الخطبة أو الوصية
۱۴۶	۱۳۰ معاوية وصعصعة بن صوحان وعبد الله بن الكواء
۱۴۸	۱۳۱ صعصعة بن صوحان ومعاوية
۱۵۰	۱۳۲ » » » وعبد الله بن عباس
۱۵۴	۱۳۳ » » » ورجل من بني فزارة
۱۵۵	۱۳۴ رجل من آل صوحان يجبه عبد الملك بن مروان وهو يخطب
۱۵۶	۱۳۵ وصف عقيل بن أبي طالب لآل صوحان
۱۵۷	۱۳۶ وصية محمد الباقر لعمر بن عبد العزيز

خطب الزبيريين وما يتصل بها

خطب عبد الله بن الزبير

عبد الله بن الزبير ومعاوية

مقال ذكوان مولى الحسين ۱۳۷ ۱۵۹

» معاوية ۱۳۸ ۱۵۹

» ابن الزبير ۱۳۹ ۱۶۰

» معاوية ۱۴۰ ۱۶۲

عبد الله بن الزبير ومعاوية أيضاً ۱۴۱ ۱۶۴

عبد الله بن الزبير ومعاوية وعمرو بن العاص ۱۴۲ ۱۶۵

خطبة ابن الزبير لما قتل الحسين عليه السلام ۱۴۳ ۱۶۸

مناظرة ابن الزبير للخوارج ۱۴۴ ۱۶۹

أبو صخر الهذلي وعبد الله بن الزبير ۱۴۵ ۱۷۳

خطبته وقد قدم عليه أهل العراق ۱۴۶ ۱۷۴

» لما بلغه قتل مصعب ۱۴۷ ۱۷۵

خطبة أخرى له ۱۴۸ ۱۷۷

خطبته وقد بلغه قتل عمرو الأشدق ۱۴۹ ۱۷۷

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
عبد الله بن الزبير وأمه أسماء بنت أبي بكر	١٥٠	١٧٨
خطبته يوم قتله	١٥١	١٧٩
خطبة أخرى	١٥٢	١٨٠
مصعب بن الزبير	١٥٣	١٨١

خطب الأمويين

خطباء البيت الأموي

خطب معاوية

خطبته بالمدينة عام الجماعة	١٥٤	١٨٢
خطبة أخرى له بالمدينة	١٥٥	١٨٣
له بالمدينة	١٥٦	١٨٣
خطبته حين ولي المغيرة بن شعبه الكوفة	١٥٧	١٨٤
خطبة له في يوم صائف	١٥٨	١٨٥
آخر خطبة له	١٥٩	١٨٥
خطبته وقد حضرته الوفاة	١٦٠	١٨٥
وصيته لابنه يزيد	١٦١	١٨٧

خطب يزيد بن معاوية

خطبته بعد موت معاوية	١٦٢	١٨٩
خطبة أخرى له	١٦٣	١٨٩
معاوية بن يزيد	١٦٤	١٩٠
وصية مروان بن الحكم لابنه عبد العزيز	١٦٥	١٩١

خطب عبد الملك بن مروان

خطبته بمكة	١٦٦	١٩٢
------------	-----	-----

الخطبة أو القوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة له موجزة	۱۶۷	۱۹۲
خطبته حين قتل عمرو الأشدق بن سعيد بن العاص	۱۶۸	۱۹۳
» لما دخل الكوفة بعد قتل مصعب بن الزبير	۱۶۹	۱۹۴
» عام حجه	۱۷۰	۱۹۵
» وقد علم بخروج ابن الأشعث	۱۷۱	۱۹۶
وصيته لبعض أمرائه	۱۷۲	۱۹۷
» للشعبي	۱۷۳	۱۹۷
» لأخيه عبد العزيز بن مروان	۱۷۴	۱۹۸
» لولده عند وفاته	۱۷۵	۱۹۸
—————		
خطبة للوليد بن عبد الملك	۱۷۶	۱۹۹
» لسليمان بن عبد الملك	۱۷۷	۲۰۰
خطب عمر بن عبد العزيز		
أولى خطبه	۱۷۸	۲۰۱
خطبة له بالمدينة	۱۷۹	۲۰۱
خطبة أخرى	۱۸۰	۲۰۲
خطبة أخرى	۱۸۱	۲۰۳
» »	۱۸۲	۲۰۴
» »	۱۸۳	۲۰۴
» »	۱۸۴	۲۰۵
» »	۱۸۵	۲۰۵
» له يوم عيد	۱۸۶	۲۰۶
» أخرى	۱۸۷	۲۰۶
» »	۱۸۸	۲۰۷

رقم الصفحة	رقم الخطبة	الخطبة أو التوصية
٢٠٧	١٨٩	خطبة أخرى
٢٠٨	١٩٠	» »
٢٠٨	١٩١	» »
٢٠٨	١٩٢	» »
٢٠٩	١٩٣	» »
٢١٠	١٩٤	» »
٢١٠	١٩٥	» »
٢١١	١٩٦	» »
٢١١	١٩٧	آخر خطبة له
٢١٢	١٩٨	نص آخر
٢١٣	١٩٩	كلامه في مرضه الذي مات فيه
٢١٤	٢٠٠	مناظرة عمر بن عبد العزيز للخوارج
٢١٧	٢٠١	تأبينه ابنه عبد الملك
٢١٨	٢٠٢	خطبة يزيد بن الوليد حين قتل الوليد بن يزيد
٢١٩	٢٠٣	وصية يزيد بن معاوية لسلم بن زياد حين ولاه
خطب عتبة بن أبي سفيان		
٢٢٠	٢٠٤	خطبة له في تهديد أهل مصر
٢٢١	٢٠٥	» » في تقريرهم وتهديدهم
٢٢١	٢٠٦	» » فيهم وقد أرجفوا بموت معاوية
٢٢٢	٢٠٧	خطبته فيهم وقد منعوا الخراج
٢٢٢	٢٠٨	» فيهم إذ طعنوا على الولاية
٢٢٣	٢٠٩	» بمكة
٢٢٤	٢١٠	» في علة التي مات فيها
٢٢٤	٢١١	وصيته لمؤدب ولده

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
وصية سعيد بن العاص لبنيه	۲۱۲	۲۲۵
خطب عمرو بن سعيد الأشدق		
خطبة له بالمدينة	۲۱۳	۲۲۸
» » بمكة	۲۱۴	۲۲۹
ملاحاة الوليد بن عقبة معه في مجلس معاوية	۲۱۵	۲۳۰
خطبته حين غلب على دمشق	۲۱۶	۲۳۱
—————		
خالد بن يزيد وعبد الملك بن مروان	۲۱۷	۲۳۲
خالد بن عبد الله بن أسيد وعبد الملك بن مروان	۲۱۸	۲۳۳
نصيحة لعمرو بن عتبة بن أبي سفيان	۲۱۹	۲۳۴
تأديب معاوية لجلسائه	۲۲۰	۲۳۴
كلام معاوية وقد سقطت ثناياه	۲۲۱	۲۳۴
تقريع عبد الملك بن مروان لأحد عماله	۲۲۲	۲۳۵
طلب معاوية البيعة ليزيد		
خطبة الضحاک بن قيس الفهري	۲۲۳	۲۳۷
» عبد الرحمن بن عثمان الثقفي	۲۲۴	۲۳۸
» ثور بن معن السلمی	۲۲۵	۲۳۹
» عبد الله بن عصام الأشعري	۲۲۶	۲۴۰
» عبد الله بن مسعدة الفزاري	۲۲۷	۲۴۰
» عمرو بن سعيد الأشدق	۲۲۸	۲۴۱
» الأحنف بن قيس	۲۲۹	۲۴۲
» الضحاک بن قيس	۲۳۰	۲۴۲
» الأحنف بن قيس	۲۳۱	۲۴۳
» عبد الرحمن بن عثمان الثقفي	۲۳۲	۲۴۴

الخطبة أو الوصية	رقم الصفحة	رقم الخطبة
خطوه معاوية	٢٤٤	٢٢٣
يزيد بن المقنع	٢٤٥	٢٢٤
الأحنف	٢٤٥	٢٣٥
معاوية	٢٤٦	٢٣٦
عبد الله بن عباس	٢٤٧	٢٣٧
عبد الله بن جعفر	٢٤٧	٢٣٨
عبد الله بن الزبير	٢٤٨	٢٢٩
عبد الله بن عمر	٢٤٨	٢٤٠
معاوية	٢٤٩	٢٤١
مروان بن الحكم	٢٥٠	٢٤٢
معاوية	٢٥١	٢٤٣
مروان وعبد الرحمن بن أبي بكر	٢٥١	٢٤٤
خطبة معاوية	٢٥٣	٢٤٥
الحسين	٢٥٥	٢٤٦
معاوية	٢٥٧	٢٤٧
عبد الله بن عمر	٢٥٧	٢٤٨
معاوية	٢٥٨	٢٤٩
عبد الله بن الزبير	٢٦٠	٢٥٠
معاوية	٢٦١	٢٥١

تهنئة وتعزية

خطبة عبد الله بن همام السلولى	٢٦٣	٢٥٢
عطاء بن أبي سفيان الثقفى	٢٦٤	٢٥٣
عبد الله بن مازن	٢٦٤	٢٥٤
غيلان بن مسلمة الثقفى	٢٦٥	٢٥٥

خطب ولاية الأمويين وقوادهم

خطب زياد بن أبيه

خطبته بفارس وقد كتب إليه معاوية يتهدده	۲۵۶	۲۶۶
وقد بعث معاوية إليه المغيرة بن شعبه يستقدمه	» ۲۵۷	۲۶۷
وقد استلحقه معاوية	» ۲۵۸	۲۶۹
حين ولي البصرة (وهي البتراء)	» ۲۵۹	۲۷۰
بالكوفة وقد ضمت إليه	» ۲۶۰	۲۷۴
خطبة أخرى له بالكوفة	۲۶۱	۲۷۵
خطبته بالكوفة يتهدد الشيعة	۲۶۲	۲۷۵
خطبة أخرى له	۲۶۳	۲۷۶
» »	۲۶۴	۲۷۶
وصية لزياد	۲۶۵	۲۷۷
ما كان يقوله لمن ولاه عملا	۲۶۶	۲۷۷
خطبة الضحاك بن قيس الفهري بالكوفة	۲۶۷	۲۷۸
خطبته عند موت معاوية	۲۶۸	۲۷۹
خطبة النعمان بن بشير بالكوفة	۲۶۹	۲۸۰
عبيد الله بن زياد بن أبيه بين يدي معاوية	» ۲۷۰	۲۸۱
رد معاوية على ابن زياد	۲۷۱	۲۸۳
بقال يزيد بن معاوية	۲۷۲	۲۸۴
وصية المهلب بن أبي صفرة لأبنائه	۲۷۳	۲۸۵

خطب الحجاج بن يوسف الثقفي

خطبة بمكة بعد مقتل ابن الزبير	۲۷۴	۲۸۷
خطبته بعد قتل ابن الزبير	۲۷۵	۲۸۷

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبته حين ولي العراق	۲۷۶	۲۸۸
وقد سمع تكبيراً في السوق	» ۲۷۷	۲۹۱
وقد قدم البصرة	» ۲۷۸	۲۹۲
بعد وقعة دير الجماجم	» ۲۷۹	۲۹۳
خطبة أخرى له في أهل الكوفة وأهل الشام	۲۸۰	۲۹۵
له بالبصرة	» ۲۸۱	۲۹۵
أخرى له بالبصرة	» ۲۸۲	۲۹۶
خطبته في أهل العراق يصارحهم بالكراهية	۲۸۳	۲۹۷
خطبة أخرى	۲۸۴	۲۹۷
خطبته لما مات عبد الملك بن مروان	۲۸۵	۲۹۸
حين أُرلد الحج	» ۲۸۶	۲۹۸
لما أصيب بولده وأخيه محمد في يوم واحد	» ۲۸۷	۲۹۹
وقد أُرجم أهل العراق بموته	» ۲۸۸	۳۰۰
خطبة له في الوعظ	۲۸۹	۳۰۱
» أخرى	» ۲۹۰	۳۰۲
» »	» ۲۹۱	۳۰۲
» »	» ۲۹۲	۳۰۳
» »	» ۲۹۳	۳۰۳
خطب قتيبة بن مسلم الباهلي		
خطبته يحث على الجهاد وقد تهباً لغزو طخارستان	۲۹۴	۳۰۴
وقد تهباً لغزو بلاد السغد	» ۲۹۵	۳۰۵
وقد سارت إليه جيوش الشاش وفرغانة	» ۲۹۶	۳۹۶
حين دعا إلى خلع سليمان بن عبد الملك	» ۲۹۷	۳۰۷
خطبة أخرى	۲۹۸	۳۱۰

الخطبة أو الوصية	رقم الصفحة	رقم الخطبة
خطبة أخرى	۳۱۰	۲۹۹
»	۳۱۱	۳۰۰
كلمات حكيمة لقتيبة بن مسلم	۳۱۲	۳۰۱
<hr/>		
خطبة طارق بن زياد في فتح الأندلس	۳۱۴	۳۰۲
نص آخر لخطبة طارق	۳۱۶	۳۰۳
خطبة عثمان بن حيان المرّی	۳۱۶	۳۰۴
وصية يزيد بن المهلب لابنه مخلد	۳۱۸	۳۰۵
نصيحة عمر بن هبيرة لبعض بني	۳۲۰	۳۰۶
<hr/>		
خطب خالد بن عبد الله القسري		
خطبته بمكة يدعو إلى الطاعة ولزوم الجماعة	۳۲۱	۳۰۷
خطبة أخرى يشيد فيها بفضل الوليد	۳۲۲	۳۰۸
خطبته بمكة في الحججاج	۳۲۲	۳۰۹
» في الحث على مكارم الأخلاق	۳۲۳	۳۱۰
» يوم عيد	۳۲۴	۳۱۱
قوله وقد سقطت جرادة على ثوبه	۳۲۴	۳۱۲
<hr/>		
خطبة يوسف بن عمر الثقفي	۳۲۴	۳۱۳
خطبة له	۳۲۵	۳۱۴
<hr/>		
خطب الفتن والأحداث		
فتنة المدينة ووقعة الحرة		
خطبة عبد الله بن حنظلة الأنصاري	۳۲۶	۳۱۵
» مسلم بن عقبة يؤنب أهل الشام	۳۲۷	۳۱۶
» مسلم يحرضهم	۳۲۷	۳۱۷

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة ابن حنظلة يحرص أصحابه	۳۱۸	۳۲۸
اضطراب الأمر بعد موت يزيد		
خطبة عبيد الله بن زياد بن أبيه	۳۱۹	۳۲۹
» أخرى له	۳۲۰	۳۳۰
» عمرو بن حريث	۳۲۱	۳۳۱
» عمرو بن مسمع	۳۲۲	۳۳۱
خطبة الأحنف بن قيس	۳۲۳	۳۳۲
» روح بن زنباع الجذامي بالمدينة	۳۲۴	۳۳۴
خطبته يؤيد مبايعة مروان بن الحكم بالخلافة	۳۲۵	۳۳۶
—————		
خطبة الغضبان بن القبعري يحض على قتل الحجاج	۳۲۶	۳۳۷
خطبة مطرف بن المغيرة بن شعبة	۳۲۷	۳۳۸
» » »	۳۲۸	۳۳۸
خطبة سعيد بن المجالد	۳۲۹	۳۳۹
فتنة ابن الأشعث		
خطبة ابن الأشعث بسجستان	۳۳۰	۳۴۰
خطبته يعرض على الجند رأى الحجاج	۳۳۱	۳۴۰
خطبة عامر بن وائلة الكناني	۳۳۲	۳۴۱
» عبد المؤمن بن شيبث بن ربيع	۳۳۳	۳۴۲
» ابن الأشعث بالمربد	۳۳۴	۳۴۲
خطبته حين أراد عبد الملك أن يرضى أهل العراق	۳۳۵	۳۴۳
عامر الشعبي والحجاج	۳۳۶	۳۴۴
أبوب بن القرية والحجاج	۳۳۷	۳۴۴
كلمة لابن القرية	۳۳۸	۳۴۸

المخطبة أو الرصية	رقم الصفحة	رقم المخطبة
فتنة يزيد بن المهلب		
خطبة أيوب بن سليمان بن عبد الملك	٣٣٩	٣٤٩
يزيد بين يدي الوليد	» ٣٤٠	٣٥٠
مخلد بن يزيد بن المهلب بين يدي عمر بن عبدالعزيز	» ٣٤١	٣٥٠
يزيد بن المهلب يحرص أصحابه على القتال	» ٣٤٢	٣٥٢
أخرى له	» ٣٤٣	٣٥٣
» » »	» ٣٤٤	٣٥٤
الجسن البصرى يثبط الناس عن يزيد بن المهلب	» ٣٤٥	٣٥٤
مروان بن المهلب	» ٣٤٦	٣٥٥

خطب الأحنف بن قيس التميمي

الأحنف ومعاوية	٣٤٧	٣٥٦
» » أيضاً	» ٣٤٨	٣٥٧
قوله في مدح الولد	٣٤٩	٣٥٨
شفاعته لدى مصعب بن الزبير	٣٥٠	٣٥٨
نصيحته لقومه	٣٥١	٣٥٨
خطبته في قوم كانوا عنده	٣٥٢	٣٥٩
كلمات حكيمة للأحنف	٣٥٣	٣٦٠
صفية بنت هشام المنقرية تؤ بن الأحنف	٣٥٤	٣٦١

خطب الوفود

وما ألقى بحضرة الخلفاء والأمراء والرؤساء

الوافدون على معاوية

وفود الأحنف بن قيس والنمر بن قطبة على معاوية	٣٥٥	٣٦٣
وفد أهل العراق على معاوية ، وفيهم الأحنف	٣٥٦	٣٦٤

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة زياد	٣٥٧	٣٦٤
» معاوية	٣٥٨	٣٦٥
» الأحنف بن قيس	٣٥٩	٣٦٥
وفد العراق على معاوية وفيهم دغفل النسابة	٣٦٠	٣٦٥
دغفل وجماعة من الأنصار	٣٦١	٣٦٩
وفد أهل العراق على معاوية وفيهم صعصعة بن صوحان	٣٦٢	٣٦٩
وفود العرب ومعاوية	٣٦٣	٣٧١
» عبد العزيز بن زرارة على معاوية	٣٦٤	٣٧٢
» زيد بن منية على معاوية	٣٦٥	٣٧٣
» ضرار بن حمزة الصدائي على معاوية	٣٦٦	٣٧٤

الوافدات على معاوية

وفود سودة بنت عمارة على معاوية	٣٦٧	٣٧٥
» أم سنان بنت خيثمة على معاوية	٣٦٨	٣٧٨
» بكارة الهلالية على معاوية	٣٦٩	٣٨٠
» أروى بنت الحارث بن عبد المطلب على معاوية	٣٧٠	٣٨١
أم البراء بنت صفوان ومعاوية	٣٧١	٣٨٤
دارمية الحجونية ومعاوية	٣٧٢	٣٨٥
—————		
شداد بن أوس ومعاوية	٣٧٣	٣٨٧
معاوية ورجل من أهل سبأ	٣٧٤	٣٨٨
حديث معاوية مع عبد الله بن عبد الحجر بن عبد المدان	٣٧٥	٣٨٩
حديث الخيار بن أوفى النهدي مع معاوية	٣٧٦	٣٩٠
حديث عرابة بن أوس بن حارثة مع معاوية	٣٧٧	٣٩١
سعيد بن عثمان بن عفان ومعاوية	٣٧٨	٣٩٢

الخطبة أو الوصية	رقم الصفحة	رقم الخطبة
مصقلة بن هبيرة ومعاوية	۳۷۹	۳۹۳
روح بن زنباع ومعاوية	۳۸۰	۳۹۳
مخاضمة أبي الأسود الدؤلى وامراته بين يدي زياد بن أبيه	۳۸۱	۳۹۴
صورة أخرى	۳۸۲	۳۹۵
وفد أهل البصرة إلى عبد الله بن الزبير	۳۸۳	۳۹۸
كلام خطيب الأزدي بين يدي عبد الملك بن مروان	۳۸۴	۳۹۸
سؤال عبد الملك للحجاج وما أجابه به	۳۸۵	۳۹۹
وفود الحجاج بإبراهيم بن محمد بن طلحة على عبد الملك بن مروان	۳۸۶	۳۹۹
قدوم الحجاج مع أشرف المصريين على عبد الملك	۳۸۷	۴۰۲
وفود مالك بن بشير على الحجاج بقتل الأزارقة	۳۸۸	۴۰۳
كعب الأشقرى على الحجاج	۳۸۹	۴۰۴
سليك بن سلكة والحجاج	۳۹۰	۴۰۵
جامع المحاربى والحجاج	۳۹۱	۴۰۶
ليلى الأنخيلية والحجاج	۳۹۲	۴۰۷
الغضبان بن القبيعرى والحجاج	۳۹۳	۴۱۲
ابن القرية يعدد مساوى المزاح	۳۹۴	۴۱۴
يزيد بن مسلم وسليمان بن عبد الملك	۳۹۵	۴۱۵
وفود العراق على سليمان بن عبد الملك	۳۹۶	۴۱۶
كلام أبي حازم لسليمان بن عبد الملك	۳۹۷	۴۱۷
أبو حازم وسليمان بن عبد الملك أيضا	۳۹۸	۴۱۸
وفد أهل الحجاز عند عمر بن عبد العزيز	۳۹۹	۴۱۹
نخالد بن صفوان يعزى عمر بن عبد العزيز ويهتته	۴۰۰	۴۲۰
خطبة عبد الله بن الأهم	۴۰۱	۴۲۰
مقام محمد بن كعب القرظى بين يدي عمر بن عبد العزيز	۴۰۲	۴۲۲
وفد أهل الحجاز على هشام بن عبد الملك	۴۰۳	۴۲۲

الخطبة أو الوصية	رقم الصفحة	رقم الخطبة
مقام خالد بن صفوان بين يدي هشام	۴۲۴	۴۰۴
خالد بن صفوان يصف جريرا والفرزدق والأخطل	۴۲۶	۴۰۵
خالد بن صفوان وبلال بن أبي بردة	۴۲۷	۴۰۶
خطبة الكميث بن زيد بين يدي هشام يستعطفه	۴۲۸	۴۰۷
مخاصمة عدى بن أرطاة لا مرأته عند شريح القاضي	۴۳۲	۴۰۸
كلمة لعمر بن عتبة بن أبي سفيان	۴۳۳	۴۰۹
خطبة دينار	۴۳۴	۴۱۰
رجل يمدح خالد بن عبد الله القسري	۴۳۴	۴۱۱
خطب الخوارج وما يتصل بها	۴۳۵	
خطبة حيان بن ظبيان السلمى	۴۳۵	۴۱۲
اثمار الخوارج	۴۳۷	
مقال المستورد بن علفة	۴۳۷	۴۱۳
» حيان بن ظبيان	۴۳۷	۴۱۴
» معاذ بن جوين	۴۳۸	۴۱۵
خطبة المغيرة بن شعبة	۴۳۸	۴۱۶
» صعصعة بن صوحان	۴۳۹	۴۱۷
» المستورد بن علفة	۴۴۱	۴۱۸
» معقل بن قيس الرياحي	۴۴۲	۴۱۹
كلمات حكيمة للمستورد	۴۴۲	۴۲۰
اثمار الخوارج ثانية	۴۴۳	
خطبة حيان بن ظبيان	۴۴۳	۴۲۱
» معاذ بن جوين	۴۴۳	۴۲۲

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
رد حيان بن ظبيان	٤٢٣	٤٤٤
مقال عتريس بن عرقوب	٤٢٤	٤٤٤
رد حيان	٤٢٥	٤٤٥
خطبة حيان	٤٢٦	٤٤٥
» مسلم بن عبيس حين خرج لقتال الأزارقة	٤٢٧	٤٤٦
خطب المهلب بن أبي صفرة		٢٤٨
خطبته في حث جنده على قتال الأزارقة	٤٢٨	٤٤٨
خطبة أخرى له في جنده	٤٢٩	٤٤٩
نص آخر	٤٣٠	٤٤٩
خطبته في جنده وقد استخلف عليهم ابنه المغيرة	٤٣١	٤٥٠
خطبة الزبير بن علي في الأزارقة	٤٣٢	٤٥١
» عتاب بن ورقاء الرياحي وقد طال عليه الحصار	٤٣٣	٤٥٢
نصيحة عرهم العدوي لخالد بن عبد الله	٤٣٤	٤٥٣
خطبة قطري بن الفجاءة	٤٣٥	٤٥٤
» عبد ربه الصغير	٤٣٦	٤٥٨
» صالح بن مسرح	٤٣٧	٤٥٩
» أخرى له	٤٣٨	٤٦٠
»	٤٣٩	٤٦١
» زائدة بن قدامة	٤٤٠	٤٦٢
» الحجاج بن يوسف	٤٤١	٤٦٢
» أخرى للحجاج	٤٤٢	٤٦٣
» شبيب بن يزيد الشيباني	٤٤٣	٤٦٣
» عتاب بن ورقاء	٤٤٤	٤٦٤
» الحجاج	٤٤٥	٤٦٤

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
	خطبة عبد الله بن يحيى الإباضي	٤٦٥

خطب أبي حمزة الشاري

خطبته حين دخل المدينة	٤٤٧	٤٦٧
خطبة أخرى له	٤٤٨	٤٦٨
خطبته وقد بلغه أن أهل المدينة يعيرون أصحابه	٤٤٩	٤٦٩
خطبة أخرى	٤٥٠	٤٧٦
خطبته في سب أهل المدينة وتقريرهم	٤٥١	٤٧٨
خطبة أخرى	٤٥٢	٤٨٠
خطبته حين خرج من المدينة	٤٥٣	٤٨١
عمران بن خطان والحجاج	٤٥٤	٤٨١

الخطب الوعظية والوصايا

خطبة سحبان بن زفر الوائلي	٤٥٥	٤٨٢
» معاوية	٤٥٦	٤٨٣
» عبد الملك بن مروان	٤٥٧	٤٨٣
» لعمر بن عبد العزيز	٤٥٨	٤٨٤

كلام الحسن البصري

خطبة له	٤٥٩	٤٨٥
» أخرى	٤٦٠	٤٨٧
» »	٤٦١	٤٨٨
» »	٤٦٢	٤٨٨
» »	٤٦٣	٤٨٩
» »	٤٦٤	٤٨٩
» »	٤٦٥	٤٩٠

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة أخرى	۴۶۶	۴۹۰
مقام الحسن البصرى عند عمر بن هبيرة	۴۶۷	۴۹۱
مقام الحسن البصرى عند النضر بن عمرو	۴۶۸	۴۹۲
مقام آخر له عند النضر	۴۶۹	۴۹۳
مقال الحسن حين رأى دار الحجاج التى بناها بواسط	۴۷۰	۴۹۴
صفة الإمام العادل	۴۷۱	۴۹۵
موعظته لعمر بن عبد العزيز	۴۷۲	۴۹۷
موعظة لعمر بن عبد العزيز أيضاً	۴۷۳	۴۹۸
كلمات حكيمة للحسن البصرى	۴۷۴	۴۹۹
خطبة واصل بن عطاء	۴۷۵	۵۰۱
وصية عبد الملك بن مروان لبني أمية	۴۷۶	۵۰۳
» عبد الله بن شداد لابنه	۴۷۷	۵۰۳
» أسماء بن خارجة لابنته	۴۷۸	۵۰۷
رجل ينصح هشام بن عبد الملك	۴۷۹	۵۰۷
وصية عبد الحميد بن يحيى الكاتب للكاتب	۴۸۰	۵۰۸

الصراع بين الأموية والعباسية

خطبة قحطبة بن شبيب الطائى

۴۸۱ ۵۰۹

» أخرى له

۴۸۲ ۵۱۰

استدراك على الجزء الأول

خطبة السيدة عائشة حين أنبتت بقتل عثمان

۴۸۳ ۵۱۱

فهرس أعلام الخطباء

مرتب بترتيب الحروف الهجائية

مع إتباع اسم كل خطيب بأرقام الصفحات التي وردت فيها خطبه

أم البراء بنت صفوان : ٣٨٤	(١)
أم سنان بنت خيثمة : ٣٧٨	إبراهيم بن الأشتر : ٨٣
السيدة أم كلثوم بنت علي رضي الله عنها ١٣٤	إبراهيم بن محمد بن طلحة : ٦٦ - ٣٩٩
أيوب بن سليمان بن عبد الملك : ٣٤٩	أبو الأسود الدؤلي : ٣٩٤
أيوب بن القرية : ٣٤٤ - ٣٤٨ - ٤٤٤	أبو بكر بن عبد الرحمن : ٤٤
(ب)	أبو بكر الهذلي : ٤٠٢
بكاره الهلالية : ٣٨٠	أبو حازم الأعرج : ٤١٧ - ٤١٨
بلال بن أبي بردة : ٤١٦	أبو حاضر الأسدي : ٣٩٨
(ث)	أبو حمزة الشاري : ٤٦٧ - ٤٦٨ -
ثور بن معن السلمى : ٢٣٩	٤٦٩ - ٤٧٦ - ٤٧٨ - ٤٨٠ -
(ج)	٤٨١
جامع المحاربي : ٤٠٦	أبو صخر الهذلي : ١٧٣
(ح)	الأحنف بن قيس : ٢٤٢ - ٢٤٣ -
الحجاج بن يوسف الثقفي : ٢٨٧ - ٢٨٨ -	٢٤٥ - ٢٣٢ - ٣٥٦ - ٣٥٧ -
٢٩١ - ٢٩٢ - ٢٩٣ - ٢٩٥ -	٣٥٨ - ٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٦٣ -
٢٩٦ - ٢٩٧ - ٢٩٨ - ٢٩٩ -	٣٦٤
٣٠٠ - ٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٠٣ -	أروى بنت الحارث بن عبد المطلب : ٣٨١
٤٠٢ - ٤٦٢ - ٤٦٣ - ٤٦٤ -	أسماء بن خارجة : ٥٠٧

الحر بن يزيد : ۵۶

الحسن البصرى : ۴۸۵ — ۴۸۷ —

— ۴۸۸ — ۴۸۹ — ۴۹۰ — ۴۹۱ —

— ۴۹۲ — ۴۹۳ — ۴۹۴ — ۴۹۵ — ۴۹۷

— ۴۹۸ — ۴۹۹ —

الحسن بن على رضى الله عنه : ۶ — ۷ —

— ۱۰ — ۱۱ — ۱۲ — ۱۴ — ۱۶ — ۱۷ —

— ۱۸ — ۲۲ — ۱۲۹ — ۱۳۰ —

الحسين بن على رضى الله عنه : ۴۵ —

— ۴۶ — ۴۷ — ۴۸ — ۴۹ — ۵۱ —

— ۵۲ — ۱۳۹ — ۲۵۵ —

حيان بن ظبيان : ۴۳۵ — ۴۳۶ — ۴۴۳ —

— ۴۴۴ — ۴۴۵ —

(خ)

خالد بن سعد بن نفيل : ۶۱

خالد بن صفوان : ۴۰۱ — ۴۰۲ — ۴۲۰ —

— ۴۲۴ — ۴۲۶ — ۴۲۷ —

خالد بن عباد الله بن أسيد : ۲۳۳

— خالد بن عباد الله القسرى : ۳۲۱ —

— ۳۲۲ — ۳۲۳ — ۳۲۴ —

خالد بن يزيد : ۲۳۲

الحيار بن أوفى النهدي : ۳۹۰

(د)

دارمية الحجونية : ۳۸۵

دغفل بن حنظلة : ۳۶۵ — ۳۶۹

دينار : ۴۳۴

(ذ)

ذكوان : ۱۵۹

(ر)

رفاعة بن شداد : ۵۹

روح بن زنباع : ۲۳۴ — ۲۳۶ — ۲۹۳ —

(ز)

زائدة بن قدامة : ۴۶۲

الزبير بن على : ۴۵۱

زهير بن القين البجلي : ۴۷ — ۵۴ —

زياد بن أبيه : ۱۰۵ — ۲۶۶ — ۲۶۷ — ۲۶۹ —

— ۲۷۰ — ۲۷۴ — ۲۷۵ — ۲۷۶ — ۳۶۴ —

زيد بن منية : ۳۷۳

السيدة زينب بنت على رضى الله عنها :

۱۳۶

(س)

السائب بن مالك : ۷۷

سحبان بن زفر : ۴۸۲

سعد بن حذيفة بن اليمان : ۶۲

سعيد بن العاص : ۲۲۵

سعيد بن عثمان بن عفان : ۳۹۲

سعيد بن المجالد : ۳۳۹

سليك بن السلوك : ۴۰۵

سليمان بن سرد : ۱۵ — ۶۰ — ۶۸ —

— ۶۹ — ۷۰ — ۷۱ — ۷۲ —

سليمان بن عبد الملك : ۲۰۰

سودة بنت عمارة : ۳۷۵

(ش)

شبيب بن يزيد الشيباني : ۴۶۳

- عبد العزيز بن زرارۃ : ۳۷۲
 عبد العزيز بن مروان : ۴۲۰
 عبد الله بن الأهمم : ۴۲۰
 عبد الله بن جعفر : ۱۲۷ — ۲۴۷
 عبد الله بن الحنظل : ۶۲
 عبد الله بن حنظلة الأنصاري : ۳۲۶ —
 ۳۲۸
 عبد الله بن الزبير : ۱۱۴ — ۱۱۹ —
 ۱۲۳ — ۱۶۰ — ۱۶۴ — ۱۶۵ —
 ۱۶۸ — ۱۶۹ — ۱۷۳ — ۱۷۴ —
 ۱۷۵ — ۱۷۷ — ۱۷۸ — ۱۷۹ —
 ۱۸۰ — ۲۴۸ — ۲۶۰
 عبد الله بن سعد : ۶۸
 عبد الله بن شداد : ۵۰۳
 عبد الله بن عباس : ۴۴ — ۹۱ — ۹۵ —
 ۹۹ — ۱۰۰ — ۱۰۱ — ۱۰۲ —
 ۱۰۴ — ۱۰۵ — ۱۰۶ — ۱۰۷ —
 ۱۰۹ — ۱۱۱ — ۱۱۳ — ۱۱۴ —
 ۱۲۰ — ۱۲۵ — ۲۴۷
 عبد الله بن عبد الحجر : ۳۸۹
 عبد الله بن عصام : ۲۴۰
 عبد الله بن عمر : ۲۴۸ — ۲۵۷
 عبد الله بن الكواء : ۱۴۶
 عبد الله بن مازن : ۲۶۴
 عبد الله بن مسعدة : ۲۴۰
 عبد الله بن مطيع : ۷۶ — ۸۲ — ۸۳

- شداد بن أوس الطائي : ۳۸۷
 شريح القاضي : ۴۳۳
 (ص)
 صالح بن مسرح : ۴۵۹ — ۴۶۱
 صخير بن حذيفة بن هلال : ۶۸
 صعصعة بن صوحان : ۱۴۶ — ۱۴۸ —
 ۱۵۰ — ۱۵۴ — ۳۶۹ — ۴۳۹
 صفية بنت هشام المنقرية : ۳۶۱
 (ض)
 الضحاک بن قيس : ۲۳۷ — ۲۴۲ —
 ۲۷۸ — ۲۷۹
 ضرار بن حمزة الصدائي : ۳۷۴
 (ط)
 طارق بن زياد : ۳۱۴ — ۳۱۶
 (ع)
 السيدة عائشة رضي الله عنها : ۵۱۱
 عابس بن أبي شبيب : ۳۷
 عامر الشعبي : ۳۴۴
 عامر بن وائلة الكناني : ۳۴۱
 عبد الحميد بن يحيى : ۵۰۸
 عبد ربه الصغير : ۴۵۸
 عبد الرحمن بن أبي بكر : ۲۵۱
 عبد الرحمن بن أم الحكم : ۱۰۶
 عبد الرحمن بن شريح : ۷۸
 عبد الرحمن بن عثمان : ۲۳۸ — ۲۴۴
 عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث : ۳۴۰ —
 ۳۴۲ — ۳۴۳

- عمر بن عبد العزيز : ۲۰۱ - ۲۰۲ -
 ۲۰۳ - ۲۰۴ - ۲۰۵ - ۲۰۶ -
 ۲۰۷ - ۲۰۸ - ۲۰۹ - ۲۱۰ -
 ۲۱۱ - ۲۱۲ - ۲۱۳ - ۲۱۴ -
 ۲۱۷ - ۲۱۸ -
 عمر بن هبيرة : ۳۲۰
 عمرو بن حريث : ۳۳۱
 عمرو بن سعيد الأشدق : ۲۲۸ - ۲۲۹ -
 ۲۳۰ - ۲۳۱ - ۲۴۱
 عمرو بن العاص : ۲۱ - ۱۰۲ - ۱۱۲ -
 ۱۱۳ - ۱۱۴ - ۱۴۰ - ۱۶۵
 عمرو بن عتبة بن أبي سفیان : ۲۳۴ - ۲۳۳ -
 عمرو بن مسمع : ۳۳۱
 عمران بن حطان : ۴۸۱
 (غ)
 الغضبان بن القبعثري : ۳۳۷ - ۴۱۲
 غيلان بن مسلمة الثقفي : ۲۶۵
 (ق)
 قتيبة بن مسلم : ۳۰۴ - ۳۰۵ - ۳۰۶ -
 ۳۰۷ - ۳۱۰ - ۳۱۱ - ۳۱۲
 قحطبة بن شبيب الطائي : ۵۰۹ - ۵۱۰
 قطري بن الفجاءة : ۴۵۴
 قيس بن سعد بن عبادة : ۱۴۶
 (ك)
 كثير بن شهاب : ۳۹
 كعب بن معدان الأشقري : ۴۰۴

- عبد الله بن هاشم : ۱۴۰ - ۱۴۵
 عبد الله بن همام السلولي : ۲۶۳
 عبد الله بن وال التيمي : ۶۷
 عبد الله بن يحيى الأباضي : ۴۶۵
 عبد الله بن يزيد الأنصاري : ۶۵ - ۷۰
 عبد المؤمن بن شيبان بن ربيع : ۳۴۲
 عبد الملك بن مروان : ۷۳ - ۱۹۲ -
 ۱۹۳ - ۱۹۴ - ۱۹۵ - ۱۹۶ -
 ۱۹۷ - ۱۹۸ - ۲۳۵ - ۴۸۳ -
 ۵۰۳
 عبيد الله بن زياد بن أبيه : ۳۸ - ۳۹ -
 ۴۰ - ۴۵ - ۲۸۱ - ۳۲۹
 عبيد الله بن عبد الله المري : ۶۳
 صاب بن ورقاء الرياحي : ۴۵۲ - ۴۶۴
 عتبة بن أبي سفیان : ۲۲ - ۲۲۰ -
 ۲۲۱ - ۲۲۲ - ۲۲۳ - ۲۶۴
 حنيس بن عرقوب : ۴۴۴
 عثمان بن حيان المري : ۳۱۶
 العجاج بن رؤبة : ۳۹۹
 عدی بن حاتم : ۹
 عدی بن أرطاة : ۴۳۲
 عرابة بن أوس بن حارثة : ۳۹۱
 عرهم العدوي : ۴۵۳
 عطاء بن أبي سفيان : ۲۶۴
 عقيل بن أبي طالب : ۱۳۱ - ۱۵۶
 عمر بن عبد الرحمن : ۴۵

— ١٨٧ — ١٨٤ — ١٨٣ — ١٨٢

— ٢٤٩ — ٢٤٦ — ٢٤٤ — ٢٣٤

— ٢٥٨ — ٢٥٧ — ٢٥٣ — ٢٥١

— ٣٧١ — ٣٦٥ — ٣٨٢ — ٢٦١

٤٨٣ — ٣٨٨

معاوية بن يزيد : ١٩٠

معقل بن قيس : ٤٤٢

المغيرة بن شعبة : ٢٢ — ١٠٧ — ٤٣٨

المهلب بن أبي صفرة : ٢٨٥ — ٤٤٨ —

٤٤٩ — ٤٥٠

(ن)

النعمان بن بشير : ٣٧ — ٢٨٠

(و)

واصل بن عطاء : ٥٠١

الوليد بن عبد الملك : ١٩٩

الوليد بن عقبة : ٢١ — ٢٣٠

(ى)

يزيد بن أبي مسلم : ٤١٥

يزيد بن أنس الأسدي : ٨٢

يزيد بن معاوية : ١٠٨ — ١٨٩ — ٢١٩ — ٢٨٤

يزيد بن المقنع : ٢٤٥

يزيد بن المهلب : ٣١٨ — ٣٥٠ — ٣٥٢ —

٣٥٤ — ٥٣٣

يزيد بن الوليد : ٢١٨

يوسف بن عمر الثقفي : ٣٢٤ — ٣٢٥ —

تم فهرس أعلام الخطباء

الكفيت بن زيد الأسدي : ٤٢٨

(ل)

ليلي الأخيلية : ٤٠٧

(م)

مالك بن بشير : ٤٠٣

محمد بن أبي الجهم العدوي : ٤٢٣

محمد الباقر : ١٥٧

محمد بن الحنفية : ٣١ — ٣٥ — ٩٠

محمد بن عمرو بن عطار : ٤٠١

محمد بن كعب القرظي : ٤٢٣

المختار بن أبي عبيد الثقفي : ٧٤ — ٧٥ —

٨١ — ٨٤ — ٨٥ — ٨٧ — ٨٨

مخالد بن يزيد بن المهلب : ٣٥٠

مروان بن الحكم : ١٠٣ — ١٩١ — ٢٥٠

مروان بن المهلب : ٣٥٥

المستورد بن علفة : ٤٣٧ — ١٤٤ — ٤٤٢

مسلم بن عبيس : ٤٤٦

مسلم بن عقبة : ٣٢٧

المسيب بن نجبة : ٥٨ — ٦٦

مصعب بن الزبير : ١٨١

مصقلة بن هيرة : ٢٩٣

مطرف بن المغيرة : ٣٣٨

معاذ بن جوين : ٤٣٨ — ٤٤٣

معاوية بن أبي سفيان : ١٤ — ٩٤ — ٩٥ —

٩٧ — ٩٨ — ١٠٩ — ١٤٥ — ١٤٦ —

١٥٩ — ١٦٢ — ١٦٤ — ١٦٥ —

